





المجلد الحادى عشر — الجزء الأول

مايو ١٩٤٩

تصدر هذه المجلة مرتين فى السنة . فى مايو وديسمبر . وتطلب من مكتبة جامعة فؤاد الأول بالجيزة . وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية إلى المشرف على تحريرها الدكتور فؤاد حسنين على بكلية الآداب بالجيزة

مطبعة جامعة فؤاد الأول
١٩٤٩

فهرس

القسم العربى :

القسم الأوروبى :

أسماء الأعلام فى اللغات السامية

للأستاذ الدكتور أنو ليتمان

واسم (عتوُد) روى فى كتاب ابن دريد وفى حماسة أبى تمام ، وكان (رُخيلةٌ) اسما للرجال (وكبشة) اسماً للنساء . وقد ذكرنا بين الأسماء العبرية (Rāḥēl) و (Immēr) .

البقر : توجد الأسماء التالية : ثور و (بقر) و (بُقَير) وروى الهمدانى أن الأبقور والباقر اسما عشيرتين . وقد ذكرنا (ت و ر ا) أى تورا وهو اسم نبطى . واسم (العُجَيْل) روى فى كتاب ابن دريد وكذلك (ع ج ى ل و) أى عجيل فى نقوش تدمرية . وعند أهل الحبشة يوجد اسم (Waifan) أى عجل .

الجاموس : إنه يوجد اسم حبشى وهو (Gōš) أى جاموس و (Gōšē) أى جاموسى . وجاموس اسم رجل فى نجد .

الغزالة : قد ذكرنا اسماً عبرياً للنساء وهو (Ṣēbhīyā) أى غزالة وكتب بحروف يونانية (Jabitha) فى أسفار العهد الجديد ووجد بنو ظبية فى كتاب الهمدانى وظبيان فى كتاب ابن دريد . و (غزال) و (غزالة) معروفان لديكم . ويجوز أن كلمة (غُفْر) تعنى ولد الغزالة ، وقيل إنها تعنى ولد الوعل . وذكر رجل اسمه أبو غفر ورجل اسمه أبو غفير .

بقرة الوحش : إن الفرقد ولد بقرة الوحش واسم فرقد روى فى بعض أشعار العرب ، وفى كتاب ابن دريد وبنو فرقد سموا أيضاً بالفراقد . ويمكن أن اسم رويم أى تصغير رئم يخص ذلك الحيوان ، وكذلك اسم فرين .

اليحمور : قال الأمير أسامة بن منقذ إنه اصتاد اليحمور في غابات نهر العاصى ، والمظنون أن اليحمور كان نوعاً من الابل ووجد اسم (Yamur) فى نقوش يونانية كشف عنها فىمدينة عسقلان ،ولكن عرب البادية لم يكونوا يعرفون تلك الكلمة ولا ذلك الحيوان .

الخنزير : إننا قد تكلمنا عن هذا الاسم فيما سبق ونضيف هنا أن هذا الاسم العربى روى فى كتاب ابن دريد وفى كتاب الأغانى وهو الخنزير البرى كما قلت .

العنبر : ذكرت عشيرة بلعنبر مراراً فى الأدب العربى والعنبر فى ذلك الاسم إما المادة التى تسمى بعنبر وإما الوحش الكبير البحرى الذى تخرج منه ، وسمى (whale) بالانكليزية وبال أو (وال) فى كتب عربية و (Walfisch) بالألمانية . واسمه الحبشى ('anbar) .

العصفور : ذكر ابن عصفور في الأدب العربى ونجد (Ṣippōr) و (Ṣippōrā) فى التوراة (و ص ف ر ا) فى نقش تدمرى .

القنبرة : إنه روى اسم عربى وهو حُمَّرَة وقيل إن الحمرة هى القنبرة . ورجل من خطباء العرب كان اسمه ابن لسان الحمرة .

الغراب : قد ذكرنا اسماً عبرياً وهو ('Orēbh) يعنى غراب . وغراب اسم علم عربى روى فى كتاب ابن دريد وفى كتاب الحماسة وكتب (غ ر ب) فى النقوش الصفوية .

الحمامة : اسمها العبرى هو (Yōnā) والاسم اليونانى هو (Yōnas) ومن هذه الصيغة اشتق اسم النبي يُونُس أو يُونِس . ووجدت الأسماء حمام وحمامة وحاميون فى كتاب القاموس . واسم نساء هو فاختة . وفاختة معناها نوع من الحمام . وقيل أيضاً إن اسم عكرمة معناه حمامة مؤنثة .

القطا والحجل : روى اسم هَوْذة وقيل إن معناه قطاة . وحَجَلْ اسم عشيرة عند العرب . وكلمة سُلَكة معناها ولد الحجل . وسُلَكة اسم أنثى والسُّلَيْك اسم رجل .

الديك والدجاجة : روى الأسماء العربية الآتية : ديك ودُيَيْك ودجاجة ودُجَيْج ، وروى محمد بن حبيب دِجاجة ولكن هذه الصيغة لم تستحسن عند النحويين .

العُقاب : روى ابن دريد أنه عقاب هو اسم علم عربي . وقيل إن هَيثما ولد العقاب والهيثم هو اسم علم .

الصقر : الاسم العبرى (Aiyā) معناه صقر . وصقور اسم عشيرة عربية . وكلمة شاهين معناها بالفارسية صقر وشاهين صار اسم علم عند العرب . و (جِدَأ) أيضاً اسم علم والمعنى يشابه معنى الحداية .

النَّسر : إنه يمكن أن الاسم العبرى (Rāḥām) معناه رَخَم وعند العرب نسر والنسَير اسمان معروفان . وكلمة قشعم معناها الأصلي تخين أو بمين هي لقب النسر والقشعم اسم رواه ابن دريد . وأم قشعم معناها المقاتلة أو موضع الواقعة في أشعار عربية لأن النسور تجتمع هناك .

النعامة : قد روى ابن دريد أن نعامة اسم علم . وبلا شك هذا هو اسم التمنى لكي يصير الولد سريعاً .

التمساح : بلغنى أن تمساح اسم علم .

الضب : وجد عند العرب الأسماء التالية : ضب وضبة وضِباب والضباب ومُضِبّ وحِسل وحُسيَل أى ولد الضب . وعند أهل الحبشة (Gūbanā) أى ضب اسم علم .

الحية : قد ذكرنا اسما عبريا (Nāḥāš) وقلنا إن معناه الحية وأضفنا أسماء عربية مثل حية وأفعى وحنش . ونضيف هنا أن حية اسم رجال ونساء وأن الأرقم لقب الحية . والأرقم اسم علم والأرقمان اسم عشيرتين .

السمك : قد تكلمنا عن اسم عبرى وهو (Nūn) أى السمك وقلت إن هذا الاسم لا يوجد عند العرب وتفضلتم باخبارى عن وجود اسم سمك فى مصر . وبعده وجدت أن شلباية وبلطية إسما فلاحات فى مصر . وروى محمد بن حبيب أن بنى حوت عشيرة من عشائر كندة وحوت معناه أيضاً سمك

فى اللغة العربية . ويمكن أن اسم قريش تصغير قرش ، وقرش هو السمك الكبير الذى اسمه الآن كلب البحر .

الجُعَل : إنه جعل والجعل وجُعيل أسماء أعلام عند العرب . وكلمتا جندع أو (جندع) وجحل أصبحتا علمين وقيل ان مدلولهما نوع من الخنافس .

النملة : إنه نملة ونميلة اسمان عربيان وكذلك ذر . كان ذر ابن أبى ذر وأم ذر . وذكر أيضاً رجل اسمه أبو ذَرَّة .

الذباب والبَرْغش : توجد عشيرة اسمها بنو ذباب فى جزيرة العرب الجنوبية واسم برغش معروف فى جزيرة زنجبار وعند العرب فى نادية العشائر وفى نجد . ومعروف لديكم اسم عنترة الشاعر والبطل وقيل إن معنى الاسم ذباب أزرق .

البرغوث : إننا قد تكلمنا عن هذا الاسم فى باب الأسماء العبرية والآن نضيف أن اسم لبيد بن بُرْغث رواه البلاذرى فى كتاب فتوح البلدان وعلى الأرجح برغث وبُرْغوث أو بَرغوث كلمة واحدة(Bergūṯ) اسم رجل فى نجد .

الجراد : نذكر هنا من الأسماء العبرية التى معناها جراد (Ḥaghābh) و(Ḥargōl) وبين الأسماء العربية توجد جراد وعرادة وجُندُب وجُنيْدِب ودُبية . ودبية تصغير دباة ، ودباة نوع من الجراد ليس له جناح .

الشبث : ذكر ابن دريد رجلا اسمه شبث . وشَبيثَه اسم امرأة فى نجد .

العقرب : إننا قد قلنا إن كلمة عقرب مؤنثة عند العرب ولذلك هذا هو اسم للنساء مثلا لابنة النابغة كما قال ابن دريد . ولكن (ع ق ر ب) أى عقرب اسم رجل فى الصفوية وقد ذكرنا (Akrabos) و (Akrabē) فى النقوش اليونانية وهما اسم رجل وامرأة .

القرادة : يوجد اسم تدمرى كتب (ق ر د ا) . وقراد هو اسم عربى . ويوجد (ن ب ر) فى النقوش الصفوية ، ونبر معناه قرادة ، وكذلك معنى الاسماء التالية وهما حلمة وحُرقوص وعَلَس والقَمْقَام .

الدود : توجد في التوراة عائلة اسمها (Tōla') ومعنى (Tōla') هو دود. ودواد اسم عربي رواه ابن دريد ويمكن أن دودان إبدال ديدان أي جمع دود ودودان اسم عشيرة من عشائر بني أسد .

إننا قد بحثنا عن الأسماء العربية القديمة التي وجدناها في الأدب العربي ونتكلم فيما يأتي عن أسماء غريبة توجد الآن في جبل حوران عند الدروز وفي بادية الشام وفي نجد . واعلموا أني كتبت ست مائة اسم من أسماء الدروز والبدو قبل خمس وأربعين سنة عند ما كنت في تلك البلاد وكتبتها إما في خيمتي وإما عند خيم العرب وإما مضافات الدروز وسألت الحاضرين عن أسمائهم وعن أسماء أقربائهم وعن أسماء الناس الذين كانوا يعرفونهم . ثم كتب الأستاذ (Hess) ألفا ومائتين تقريبا من أسماء عرب نجد . وكتبها عند ما أقام في القاهرة وعند ما سافر إلى الحجاز وسأل كل عرب نجد والحجاز الذين لاقاهم عن أسمائهم وعن أسماء أصدقائهم . وطبعاً لا يمكن أن نبحث عن ألفين اسما تقريباً بل اخترت أربعة مائة تقريباً وأفسر معانيها على قدر الامكان وأضيف إلى الاسماء ذكر أصلها إن كانت من أسماء الدروز أو من أسماء البدو أي عرب بادية الشام أو من أسماء أهل نجد . واذا قلت درزي يجوز أن تكتبوا (د) فقط وكذلك (ب) في أسماء البدو و(ن) في أسماء نجد .

ونتكلم أولا عن الاسماء الأجنبية التي دخلت في العربية ومن الاسماء العبرية المعروفة عند العرب توجد الآن الآتية : ابراهيم (د) وصيغة التلطيف برهوم (د) وبراهيم (ن) . واسماعين (د) وسمعير (ب) وسماعين (ن) وإلياس (د) وجبرين (ن) وداود (د) ودايود (ن) حضري وعيسى (د) و (ن) حضري وموسى ويحي ويعقوب ويوسف ويونس كلهم دروز ووجد الأستاذ (Wetzstein) في بلاد حوران عند الدروز وعند المسيحيين الأسماء العبرية الآتية : نخله وهذا عندهم اسم التلطيف لميخائيل ومريم ومريومة ومروم ، وفي نجد توجد مريم ومريم . وأما دريس وهو إدريس فوجدت هذا الاسم عند البدو .

وأسماء أجنبية غير عبرية هي التالية : رستم (د) وهو اسم فارسى معروف فى شاه نامه . ويمكن أن الدروز جاءوا به فى رحلتهم من بلاد الفرس فى الزمن القديم عندما هاجروا أولا إلى بلاد سوريا الشمالية ثم الى جبل لبنان وثم إلى جبل حوران . واسم فارسى شاع عند العرب هو شاهين معناه صقر وشاهين (د) ، واسم درويش (د) و (ن) وفردوس (ن) فقط وكلمة كرباج فارسية وكرباج اسم رجل درزى ، ونجد اسم (Fendī) عند الدروز وعند البدو والمظنون أن أصله من (Effendi) وهذه الكلمة فى الأصل كلمة يونانية وهى (afṯendī) فصارت تركية فأخذها العرب من الأتراك ، واسم طنوس أخذه الدروز من مسيحيي سوريا وهو صيغة التلطيف لاسم يونانى أى (Antonios) ، وأما اسم عسلان درزى فيمكن أنه الكلمة التركية اسلان أى أسد .

وأما الأسماء التى جزؤها كلمة الدين فهى توجد عند الدروز فقط لا عند البدو ، وهى بهاء الدين وزين الدين وسيف الدين وشرف الدين وشمس الدين وشهاب الدين وبالاختصار شهاب وعز الدين وغرز الدين ونخر الدين ، ونخر ، ومن الأسماء التى فيها المضاف اليه كلمة الله توجد الآتية :

جاد الله (د) وهوجود الله (ن) وضيف الله (ب) و (ن) وبالاختصار ضيفان بدوى وضيف (ن) وعبد الله (د) و (ب) و (ن) وبالاختصار عبود (ب) وعبيد (ب) و(ن) وعباد (ن) وعبدان (ب) و(ن) وعبدى (د) . ثم عطا لله (ب) و (ن) وبالاختصار عطا (ب) وعطيني (ب) وعطيوى (ʿIṭēwī) (ب) وعطوان (ب) و (ن) . وعطية اسم معروف . وجلب الله (ب) وقد تكلمنا عن هذا الاسم فيما سبق . ومجد الله (د) وفضل الله (د) . وجود الله (ن) كما قلنا وبالاختصار جوده (ن) وجواد (ن) . وجار الله (ن) . ثم دخيل الله وبالاختصار داخل ودخيل ودخيل ومدخل كلها أسماء لرجال نجدية ومدخله اسم أمرأة نجدية . ولكن قيل لى فى بلاد حوران إن دخل الله اسم رجل مسيحى . وقيل

للاستاذ (Hess) إن (Deḥēm) دحيم ودحمان اشتقتا من اسم عبد الرحمان للتلطيف ويشابههما الأسماء التالية دحام بدوى ودحام نجدى ودحمة نجدية .

باب أسماء الحمد

نذكر فى هذا الباب الأسماء المترادفة للاسماء التى بها يحمد الآلهة عند الأكديين والعبريين والتى بها يعبر عن فرح الأبوين وعما فعل الآلهة ولكن لا تحسب هذه الأسماء العربية مع الأسماء الدينية، ويجوز أن بعضها أسماء التمنى مثلا اسم خير درزى معناه إما أن الله عمل خيرا وإما أن يكون الولد خيراً . واسم صالح درزى ونجدى معناه إما أن ما فعله الله لصالح وإما أن يكون الولد صالحا . واسم نور يذكرنا الأسماء التى معناها أن الاله هو النور وتكلمنا عنها مرارا فيما سبق ولكنى أظن أن اسم نور الآن يدل على أن الولادة نورت بيت الوالدين أو أن الوالدين اشتهيا أن يكون الولد نوراً . ولذلك نلاحظ أن الفرق بين أسماء الحمد وأسماء التمنى أحيانا ليس بواضح . ونذكر فى هذا الباب الاسماء التالية : مبارك (د) و (ب) و (ن) . و (Mibriē) مبرج (د) وكتب الاستاذ (Hess) من أسماء نجدية براك وبركات و (Pertsī) للمذكر و (Bertsīje) و (Bertsīye) للمؤنث و (Brike) و (Breits) و (Breitsān) ومبزوك و (Mbeirīts) للمذكر ومبروكة ومباركة للمؤنث وبشر (ب) و (ن) وبشير (د) وبشار (ن) وبَشرا نجديه وبشران (ن) أسماءهم كلها تخص البشرى التى بولادة الولد . ولكن مبشر (ن) كان اسم عبد ومعناه التمنى أن يبشر . ثم جبر (د) و (ب) و (ن) وجابر (ب) و (ن) وجابره نجدية وجبّار (ب) ونجدى وجبور درزى و (ب) . والاسماء التى اشتقت من فعل حمد هى عديدة . ونجد منها التالية (حمد) (Hamed) درزى وبدوى ونجدى وحامد وحَماد (ب) و (ن) وحُمود درزى وبدوى ونجدى . وحَمود درزى . وحُميد نجدى وحميده بدوية ونجدية ونجدية وحميّد (ب) و (ن) وحَميدان نجدى وأحمد (د) ولفظ (Ḥamed) بدل أحمد عند البدو وعند أهل نجد . ومحمود (د) و (ب) ومحيميد (ب) و (ن) . وحمدان (د) و (ب) وطبعاً

محمد معروف عند الجميع . ورزق اسم (د) ولكن (Rzeiyidz) و (Merzūg) و (Mreizīdz) و (Merzūge) و (Mreizīdze) كلها اسماء نجدية . وراضى ومرضى من اسماء البدو فى بادية الشأم وراضي و(Rwädī) رويضي نجديان وَرَضْوى ومُرْضِيَّة نجديتان وزبيد (Zubēd) (ب) وزبدون (ن) وزبيده (Zbēde) وزبدية نجديتان وزيد (Zēd) (د) ونجدى وزايد (ب) و (ن) وزايده (ن) وزويد (ب) و(ن) وزويده (ن) وزويد (ب) و (ن) وزياد (ن) ومزيد (ن) ومزيد (د) و(ن) (Zēdān) (د) و (ب) و (ن) ومسئول (ب) معناه أن الولد سُئِل من الله . وسرور (ن) و (ب) وفرح وفريح وفارح ومفرح كلهم نجديون وفريحة (Frähe) نجدية وفرحات (د) وفرحات (د) و (ن) ، وسعد (ب) و (ن) وكذلك سعود ، وسعود (د) وسعيد (د) و (ب) و (ن) وسعيد (ب) و(ن) وسعيدان (ن) وسعدون (ن) ومسعد (ب) و(ن) ومسعود (د) و (ب) و (ن) ومسيعيد (ن) ومسعودة (ن) ، وشاكر (د) ، وعايزينها (ن) ومعنى الاسم مثل معنى (Temennotre) ، وصالح (د) و (ن) وصويلح ومصلح نجديان (Sweilke) وصويلحة (ن) ، وغالى (ن) وغالية (ن) ، وفرج (د) و(ن) وفريج (ب) و (ن) وفراج ومفرج (ن) وفرجه (ن) ، وفليط (Flēṭ) (ب) واشتق هذا الاسم من فعل فلط الذى بحثنا عنه فيما سبق :

ونور اسم (د) وكذلك نور العين ونوره (ن) ونوار (ن) ونوران (ن) ومنور (ب) ومنير ومناور (ن) ومنيرة (ن) ويوجد نورى والنورى عند البدو وعند أهل نجد ولا أعرف إن كان اشتقاقه من النور أم من النَّوَر لأن كلمة نورى هي النسبة لأهل النور ويمكن أن صاحب اسم النورى ولد عندما أقام النَّور قريباً من عشيرته . وضاوى ومضوى ومضاوى نجديون وضُوية وضاويه نجديتان ومعنى تلك الأسماء يشابه معنى نور . وجزا وجازى وجويزى (ğwēzī) نجديون وجزيه وجزوا نجديتان . وماجد ومجيد (Mğēd) نجديان ومجدا (ن) . ونصر (د) وناصر (د) و (ب) و (ن)

نصار ومنصور ونصير (Nṡär) ومنتصر (ن) ونصرا (ن) . وهادى (د) و (ب) وهدانى (ب) وهويدى (Hwēdī) (ن) وهدية (ن) وهديان أيضاً (ن) . وهانى (د) و (ب) و (Mhanna) مهنا (د) و (ب) و (ن) و (Udēd) (ن) وهو إبدال وديد . ووهب ووهبه (د) ووهى بدوى .

باب أسماء التمنى

إنه يشتمل هذا الباب على تمنيات متفرقة ، وأحياناً الفرق بين أسماء التمنى وأسماء الصفات ليس بواضح مثلا اسم لطيفة إما معناه أن أبا الصبية قال عند ولادتها (أما لطيفة) وإما أن الوالدين كانا يشتهيان أن تصبح لطيفة وكذلك عند صفات أخرى . وأما الصفات الجسمية فهى عادة أسماء الصفة الصحيحة التى اختيرت عند الولادة . وقد قلنا فيما سبق إن العرب كانوا يعبدون البدر والهلال والثريا فى الجاهلية ، ولكن الآن تلك الأسماء معناها أن يشتهى الناس أن يصير الولد مثل البدر أو الهلال أو الثريا . ونذكر هنا الأسماء التالية : باجد (ن) معناه الذى يدخل فى وسط الأعداء . وبدر (ب) و(ن) وهلال (د) و (ب) و(ن) وهلاله (ن) وهليل وهلال (ن) ونجم (د) و (ن) ونجيم (ن) و (Beḫīte) وبخيته (ن) وحبل (د) وحبيل (د) و (Ḥadīd) وحديد (ن) و (ǧibel) جبل أى جبل (ن) وجشمة أى محترمة (ن) وحنيشل أى الذى يغزو فى البادية هو (ن) وخالد (د) و (ب) و (ن) وخويلد وخليد ومخلد (ن) وخلدا (ن) . ورجا (ب) و (ن) ورجوى (ن) . وخاين (ن)والمظنون أن معناه الذى يخون الأعداء . وسكران (ب) وقد فسرت لكم معنى هذا الاسم وسكيكير تصغيره وهو أيضاً اسم (ب) ونشوان (ب) فى المعنى نفسه . ودامغ (ن) معناه الذى يكسر دماغ الأعداء . والأسماء التى اشتقت من فعل سلم هى عديدة وهى الآتية : سالم (ب) و (ن) سويلم (ب) سليم (ن) وسلام (د)و(ن) سلامه (د) و (ب) و (ن) وسليم وسلامه (د) وسلوم (د) وسليم (ن)

وسلمى (ن) ومسلم ومسيلم (ب) ومسلم (ب) و (ب) ومسلمة (ن)
وسلمـان (د) و (ب) و (ن) وكذلك سليمان . وشانى ومشنى (ب)
وبوشيبه (ب) والمظنون أن معناه الذى يعيش حتى يصير صاحب شيبة .
وصعب (د) يعنى صعب على الأعداء . و (Setre) و (Mesūtre) (ن)
ومعنى هذين الاسمين أن تكون الصبية عفيفة . وظاهر (ب) و (ن) .
وعادى (ن) وعداى (ب) وعدوان (ب) و (Me'äddī) معدى (ن)
و (Me'äddye) معدية (ن) . وعجب وعجاب ومعجب (ن) وعجيبة
وعجايب (ن) . وبو العز يعنى أبو العز (د) ومعزى (ب) و (ن)
ومعناه الذي يعزى العائلات لأنه يقتل الرجال . وعاصى وعصاى (ن)
وعدوان (ب) و (ن) . وعمر اسم معروف ولكن لا يستعمل عادة
عند أهل الشيعة ويوجد عند البدو وعند أهل نجد وعامر (د) و (ب)
و (ن) وعمار (د) و (ن) وعمير (ن) و (ن) وعميره (ن) وعويمر
وعمران و (Me'ammar) ومعمر (ن) . وعلى مشهور عند كل المسلمين
وكذلك هو اسم (د) و (ب) و (ن) وعالى (ن) وعليان (د) و (ن)
وعليوى (ʻOlēwī) (ن) وعايش (ب) و (ن) وعويش (ب) وعايشة
وعويشة (ن) وعياش (ب) . وغازى (ب) و (ب) ويوجد عند أهل نجد
أيضاً (Ġwêzī) غويزى وغزاى . وغزوة وغزية (ن) . وغالب (ب)
و (ن) وغلاب (ن) وغالبة (ن) . ومغضب (د) وغضبان (د) و (ن)
وغانم درزى وغنام و (Ġenēm) غنيم و (Ġenīme) غنيمة (ن) ومن فعل
فاز يفوز اشتقت الأسمـاء التالية : فايز وفواز كلاهما درزى وبدوى و (ن)
وفوزان ومفيز (ن) وفوزه (ن) . و (Cässāb) جساب أى كساب
بدوى وكال (د) وعلى الأرجح اختصر من كان الدين .

وتسامل (Tsâmil) نجدى . ثم نذكر الأسماء التالية التى وجدت عند
أهل نجد فقط وهى : شجاع معناه يصبح شجاعاً كما قيل للأستاذ
(Hess) وشجعا (ن) وصبور وصافيه إسمان للمؤنث وكذلك (Gût)
و (Gwêt) أى قوت وقويت وقوت القلوب اسم معروف فى كتاب ألف

ليلة وليلة و (Mdzīte) أى مقيته ولطيفه ومالتسه (Mâltse) . وشُعاع سميت كذا لكى تصير بيضاء مثل الشعاع كما قيل للأستاذ (Hess) وتصغير هذا الاسم هو (Šê'äiye') . ومطعم و (Mdzīt) أى مقيت ومالك وبيده (Bideh) (ن) ومعنى اسم (Bideh) بيده أى الذى يفعل كل شىء بيده .

باب أسماء الصفات

إن الصفات التى فى أسماء هذا الباب لمتفرقة . جمعت فيه صفات جسمية وصفات نفسية وحرفاً ورتباً وهلم جرا . وبعض هذه الأسماء أيضاً أسماء التمنى لاشك . اسم آمر (ب) وأمين (د) وأنيس (د) وأنيس (ن) . وبربور (د) (يعنى الذى يتكلم كثيراً) . وبصير (ب) ويمكن أن صاحب هذا الاسم كان بصيراً أى أعمى عندما ولد . وبطين (ب) و (ن) وأبو بطين (ن) معناه مفهوم.

بياع (د) ومتعب (ب) و (ن) أى الذى أتعب أمه أو الذى يعتب الأعداء . ومن كلمة جدع اشتقت أسماء مثل جدوع (ب) و (ن) وكذلك جديع. ثم جدعان (د) و (ب) و (ن) ومجيديع (ن) ومعنى هذين الأسماء من أذنه قصيرة . وجعلوس (ب) (أى دمية أو لعبه) . وجندى (ب) وعسكر (د) و (ن) . وصياد (ب) وصباغ (د) وفحام (د) وفارس (د) و (ب) و (ن) . وكذلك خليفة وسلطان وكلمة سلطان تكتب وتلفظ فى نجد بالصاد . ودرويش (د) و (ن) . وأبو دبوس (د) ودبسان (ن) وقيل للأستاذ (Hess) إن الولد سمى كذا لأن رأسه كان كبيراً مثل الدبوس . والصبى البدوى الذى اسمه زغير كان صغيراً . وحليمان (ن) وحليمه (ن) . ويختار اسم حسن عادة لأنه كان اسم ابن الخليفة على بلا التفكير فى معناه ويختار حسنين لكى كل البركة التى فى حسن وحسين الاسمين الشريفين تكون على الولد . وأما الأسماء المشتقة من كلمة حسن فالمظنون أن الناس كانوا يفكرون فى معناها أحياناً . وهى حسان (ن) وحسون (د) و (ب) ومحسن (د) و (ب) و (ن) ومحيسن (ن)

وَحسناً وَمحسنة نجديتان وأما (Hisēn) أى حسن فقد قلنا فيما سبق إنه فى الزمن القديم كان اسماً مذكراً ومؤنثاً فوجدنا فى نقوش يونانية (Osnos) و (Osnē) والآن (Hisēn) اسم نجدية . ومن الأسماء التى تخص اللون الأسمر وجدنا أسمر وسمرون عند البدو وأسيمر عند البدو وعند أهل نجد وسمير وسمره (Semre) وسمار وُسمير وسمران وِسمرى والمؤنث سمرا عند أهل نجد ولكن مسمار نجدى ومسيمير (ن) لايخصان اللون بل الحديدة . وتشار الى اللون الأسود بالأسماء التالية : أسود (ب) و (ن) وسويد (ب) و (ن) وسودى (ب) وسويدان (ب) وسويد وسودان وأسيود (ن) وُسوده (ن) . ويعبر عن اللون الأخضر أيضاً ونجد أخيضر وهو (ن) وخضرا وخضيرا وهما (ن) . وتدل على العيون السوداء دعيج (ن) ودعجه (ن) ودعيجة (ن) ونجلا (ن) . وخشيم (ن) معناه الذى أنفه صغير . وشريم (ن) تصغير أشرم . وشامان (ن) كان صاحب شامة فى ذراعه . وفى كتاب سيرة النبي لابن هشام ذكرت جذامة بنت الحارث الشيماء أى صاحبة الشامة وعريميش (ن) تصغير عرموش أى ضعفان معظم . وفحيان (ن) معناه أسود مثل الفحم . و (Zigam) نجدى معناه ذو أنف طويل لأن (ez-zigme) الأنف فى لهجة نجد . ومزنه ومزينه نجديتان ومزنه معناها السحابة وسميت الصبية كذا لأنها كانت بيضاء مثل السحابة . ورفيع (ن) ورفيعة نجدية واسمها يدل على رقة الجسم أو رفعه . والأطرش اسم (د) معروف لأنه من عائلة الطرشان . كانوا أمراءهم فى جبل حوران وأشهرهم كان شبلى الأطرش قائدهم فى الطوشة أى محاربة الأتراك قبل خمسين سنة . والعريان اسم بدوى والطفل طبعاً عريان عند ولادته . وكذلك أقرع (د) وفرعونى (د) . وجوعان (ب) والجويع (ن) لأن الطفل جوعان . وحبوا نجدى ومعنى هذا الاسم الذى يحبوا على يديه ورجليه وسمى الطفل كذا لأنه كان أعرج منذ ولادته . وهيفا (ن) . ومعنى هذا الاسم مفهوم .

باب أسماء الأعلام

التى اشتقت من أسماء الحيوان

إننا قد ذكرنا أسماء الحيوان التى وجدت فى أدب العرب وقابلنا بعض الأسماء السامية المترادفة . والآن نذكر تلك الأسماء كما وجدت فى عصرنا ولا بد من أن بعض الأسماء العتيقة توجد هنا أيضاً .

القطة : بسبس وبسبسه نجديتان .

الأسد : سبع (د) وسباع (ب) وشبل (ب) و (ن وشبلى (د) وشبلان (ن) وخباس يعنى نهاب هو لقب الأسد وهو اسم علم (د) والجرو هو ولد الأسد خاصة كما قلنا فيما سبق ونجد الأسماء الآتية : جرو (ب) وجريو (ب) و (ن) وجروان) ن) .

النمر : نمر ونمر (د) و (ب) و (ن) .

الفهد : فهد (ب) وفهد (د) وفهد (ن) وفهاد وفهيدان (ن) وفهده وفهيده (ن) .

الضبع : ضبعان (ب) .

الذئب : ذيب (ب) وذيب (د) و (ب) و (ن) وذيبان (ب) و (ن) والذويب وسرحان (ب) و (ن) وسريحان (ن) .

ابن آوى : واوى (ب) .

الكلب : (Tslēb) (ن) و (Tsläbe) (ن) ، وقد ذكرنا جلب الله (Cālballāh) فيما سبق .

الثعلب : ثعلب (د) وحصينى (ب) .

الدب : كان الدب لقب (ب) .

القنفذ : (Gnēfid) (ن) .

اليربوع : جربوع (د) و (ب) و (ن) . وجريبيع (ن) . قيل إن صاحب هذا الاسم عند ما ولد كان وليداً صغيراً أحيمر مثل ولد اليربوع

الفرس : حصين (ن) .

الحمار : حمار (ب) وحمير (ن) وجحش (ب) وجحيش (ن) .

البغل : بغل (ب) .

الجمل : (ğimel) (ن) ، اشتهوا أن يكون قوياً مثل الجمل ، ولكن جملا النجدية تدل على جمال ومخليل (ب) وعلى الأرجح هذا الاسم تصغير مخلول ومخلول هو الجمل الصغير الذى فى أنفه خلال أى وتد وزمل وزامل ومِزْمِل نجديون ومعنى زِمّل الفحل أى الجمل المذكر .

العنز : عَنّاز وعُنَيْزان نجديان . وقيل إن عَنّاز كان جد عشيرة العنزة . وعنيزة نجدية . وجدى بدوى . ولكن جدى النجدى سمى باسم الكوكب الذى هو الجدى أو الفرقد . وتويسان نجدى هو تصغير مضاعفه أو تصغير التصغير لكلمة تيس وقيل للأستاذ (Hess) إن أكابر العشيرة يلقبون بالتيوس كما كانوا يلقبون فى الزمن القديم بالفحول .

الخروف : خرفان اسم بدوى .

الجاموس : جاموس اسم نجدى .

الغزالة : غزال وغزالة درزيان وغزلان نجدى وغزيل (Gzeiyil) نجدية ، والعفرى (el-'Ofärīg el-'Ofrī) نجديتان والعفرى هى الغزالة فى نجد والعفيرى تصغير العفرى ، وظبى نجدية ومعناها أيضاً غزالة وقد ذكرنا الاسم العبرى (Ṣibhyā) و (Tabitla) الموجودة فى الانجيل بحروف يونانية .

الطير : طير درزى وطوار (Ṭwār) نجدى و (eṭ-Ṭwāreg) نجدية .

العصفور : عصفور (د) وعصفور ('Oṣfūr) (ن) .

الغراب : غراب (ب) و (Gereiyib) و (Gercibāng) (ن) .

الديك : ديك (د) و (Duwēc) (ن) وصويص (ب) .

الحجل : الحجل اسم عائلة درزية .

العقاب : عقاب (د) (ب) و ('Ogāb) و ('Ogūb) (ن) .

الصقر : صقر (د) و (ب) وباز يعنى الصقر فى اللغة الفارسية هو اسم درزى ، وقيل للأستاذ (Hess) إن الوحش هو الصقر فى نجد و (Wâḥäš) و (Uḥâšc) نجديتان .

النعامة : (l-Hīdz) نجدى والهيق هو مذكر النعامة .

الهدهد : هدهود (ب) و (Hedēhid) (ب) .

الزرزور : زرزور اسم بدوى .

ونضيف هنا اسم (Sunēunwa) الذى سمعه الأستاذ (Wetzstien) فى حوران وهو تصغير سنونو .

الضب : (Dbeib) اسم نجدى .

السمك : إننا قد تكلمنا عن هذا الاسم وعن حوت وحويت ونذكر هنا حوتان وهو نجدى .

النملة : نملة بدوية ونميلة نجدية .

البرغش : اسم برغش (ب) و (ن) .

البرغوث : برغوث وبريغيث (ن) .

الجراد : جراد وجريد ومجراد (ن) .

باب أسماء الأعلام التى اشتقت من أسماء النبات إننا نجد من هذه الأسماء الأمثلة الآتية : بلوط (د) وزعتر (د) ولمون (د) وليمون (ب) وتمر وتامر (ن) ورمان (ن) ورمانة (ن) وريحانة (Rüḥāne) وزهر (ن) وشرى وشريان (ن) وشرى معناه الحنظل . وشمروخ وشميريخ (ن) وشمروخ قسم التمر ، ونخيلان (ن) وهذا تصغير نخل ، و (Gurumful) نجدية ، وقطيفان (Gṭeifān) يعنى تصغير قطف (ب) و (Mōze) (ن) وهذا هو اسم عبدة .

باب الأسماء الزمانية

إن هذا الباب يشمل الأسماء التى تخص الزمان الذى ولد الطفل فيه والحوادث التى حدثت عند ولادته ، ونرتبها بحسب حروف الأبجد العربى ،

ذكر الأستاذ (Wetzstien) الاسمين (بره) و (بريره) وهما (ب) ومعناهما وليمة وولدتا عند وليمة والأطفال الذين ولدوا فى الثلج أسماؤهم عند البدو الآتية : ثلج وثالج وثلاج وثلوج وثليج وثليجان أما ثلجة فهى (ن)، وجمعه (ب) و (ن) ولد فى يوم الجمعة ، وحجى (ب) وحجى (ن) وحجا (ن) ولدوا فى وقت الحج ، وحرب (ب) و (ن) ومحارب (د) و (ب) و (ن) وحربية (ن) ولدوا فى الحرب ، وخميس (د) و (ب) و (ن) وخميس (ن) ونخس (ب) يدلون على يوم الخميس ، وربيع (ب) ومربيع (ب) وربيع (ن) وربعان (ن) ولدوا فى الربيع ، ودهيران (Dhärān) (ن) ولد فى الدهر يعنى فى سنة ليس فيها مطر ، ورحيل ورخيل ورحيله (ب) وزويحل (ن) كلهم أطفال ولدوا فى الرحلة ، وقيل للأستاذ (Hess) إن محيل (ن) ولد فى الاحالة أى الرحلة من بئر إلى بئر ، ورمضان ورميضين (ن) ومعنى هذين الاسمين مفهوم ، وعن زعله (ن) قيل للأستاذ (Hess) إنها ولدت بعد ماطلق أبوها أمها ، ولكن عن زعيله (ب) قيل للأستاذ (Wetzstein) إن أباها غضب لأنها لم تكن صبياً ، وأما زعل (ن) ومزعل (د) و (ب) فأظن أن هذين الاسمين يشيران الى أن يغضب الأعداء ، وسبتى (ب) ولد فى يوم السبت ، وسدينا (ن) معنى اسمها مثل معنى استكفينا فى السودان ، وتمام وزمقنا فى فلسطين وسراب (ب) ولد فى وقت السراب ، وشوباش (ب) ولد عند ما كان الرجال يغنون الشوباش أى أغانى العرس ، ويخص العرس الأسماء التالية أيضاً وهى : عرسان (ب) (ن) وعرسان (ب) (ن) وعرسان (د) وعرسة (ن) ، والاسماء التى تعبر عن عيد هى كما يأتى : عيد (د) و (ب) و (ن) عيده (ب) و (ن) ، عبيدة (ن) ، عايد (ن) عياد (ب) و (ن) عيادى (ب) وعيادة (ن) وعواد ومعتاد (ن) وعويدة ومعودة (ن) ولكن يمكن أن بعض هذه الأسماء لا تدل على العيد بل على العودة ، وشاتى وشتوان (ب) ولدا فى الشتاء ، والأطفال الذين ولدوا فى الصباح أسماءهم التالية : صبح (ب) صباح (د) صباح صبيح (ب) صبيحة (ب) ضبحا (ن) وضبحان (ن) وصبحى (د) و (ن) .

وصيور (د) وصويران (ب) ولدا في صيرة أي حظيرة . وطله بدوية ولدت عندما كان الطل أي الندى في الأرض . وغطيط (ب) ولد في وقت الغُطيطة . وفاجر (ن) وفجرية نجدية ولدا في وقت الفجر . وفلاح (ب) ولد عند ما كان الفلاحون يحرثون. وقيظان (ب) ولد في القيظ . وليل (ن) ولد في الليلة . ومداد (ن) ولد في المديد أي السفر إلى السوق . وتدل الأسماء النجدية الآتية على المطر وهي مُطر وماطر و (Mṭärān) للمذكر و (Mṭäre) وماطرة للمؤنث . وناجي ونجا ومناجا نجديون. وقيل للأستاذ (Hess) إن ناجي نجا من خطر . ونزل (ب) ونزال (ب) و (ن) ونزيل ومنيزل بدويان ونزلا نجدية أسماؤهم تخص النزول فيمكان الخيم . ونهار (ن) ولد في النهار وأما (Mūhidz) موهق (ن) أي محزن فقد قلنا فيما سبق إن أباه طلق أمه قبل الولادة مثل أبي زعله التي قد ذكرناها في هذا الباب . وإتيم (د) و (ب) اسمهما يعبر عن أن أبويهما ماتا قبل الولادة .

باب أسماء الأعلام المكانية

إنني قد قلت في ابتداء محاضراتي إن بعض الأسماء اشتق من أسماء الأمكنة التي ولد الأطفال فيها أوعندها وأضيف الى هذا الباب أسماء العشائر أو الأمم التي ولدوا عندها أو التي اشتهى الناس أن يكونوا مثلها . بادي وبداي نجديان وبديوي و (د) و (ن) . وبريدة نجدية ولدت قريباً من مدينة بريدة . وبعيجان (ن) ولد عند بئر اسمه بعاج . وباير (ب) ولد عند مكان اسمه البائر بين معان وكاف . وتركي (ب) و (ن) وتركية نجدية . وحلبي (د) . وحوران اسم عبد في نجد . وحويطي (ب) تعني الذي من عشيرة الحويطات . وخنيفس ولد إما عند جبل خنيفس وإما عند بئر خنيفس في بادية الشام . ودرزي (ب) ولد في جبل الدروز أو عند ما زار الدروزُ العرب . ودنون درزي ولد عند خان دنون في ناحية دمشق . ورحيب ورحيبي بدويان ولدا في الرحبة والرحبة واحة في شرق جبل حوران . وزيتوني ولد في أم زيتون وهي قرية في جبل حوران وصفدي ولد في صفد في بلاد فلسطين . وصلبي (ب) و(ن) ولد

عند ما جاء صليب إلى العشيرة . وعديد ولد عند عد أى بئر . وعنيزى (ب) يعنى الذى من عشيرة عنزة ، وقويعان ولد فى القاع . ومنيهل ولد عند منهل أى مورد . ووادى (ب) و (ن) ولد فى الوادى .

باب أسماء الأعلام
التى تخص أشـــياء أو آلات

جليميد (ن) سمى كذا لأنه كان مثل الجلمود ومعنى جلمود حصوة مدورة . محراث (ب) . وسبب هذه التسمية ليس بواضح . بوحصاص (د) وحصاص جمع حصة . وحصة نجدية وكذلك لولى نجديه . ومحماس (ن) يعنى معلقة التحميس وبكرج وبكيرج نجديان ودله نجديه وكلمتا بكرج ودلة تعنيان إبريق . وذهب وذهيبة نجديتان وكذلك فضة و (Fedüde) . ورميح (ب) وسكر درزى وسكرة نجديه وشمعة (د) وشموع (ب) . وشنيور (ب) وشنيبر (ن) وهاتان الكلمتان تصغير شنبر وشنبر كلمة تركية تعني غطاء الرأس عند النساء . ومشخص نجدية وسمى العرب الليرا الذهب أو الجنيه بمشخص لأنه فيها صورة شخص . ومحن (ب) . وصلبوخ (ب) وصلبوخ وصليبخ نجديان ومعنى صلبوخ صوان . وعنبر (د) و (ن) وعنيبر نجدى . وقفطان (د) وقيل للاستاذ (Wetzstein) إن طفلا سمى كذا لأن مصريين ملبسين بقفاطين مروا بالبيت . وقنطار (د) . وكبريت (ب) ومرجان (ب) وماضى ومضيان نجديان وماضى يعنى السيف الماضى وسيف أيضاً اسم (ن) وواسط درزى معناه العمود الواسط للخيمة . ووريور (ب) يعنى (Revolver) .

ملاحظات
عن أسماء الأعلام الموجودة الآن فى مصر
وعن الفرق بين أسماء المسلمين وأسماء المسيحيين وأسماء اليهود

إن مصرياً اسمه محمود صدقى وهو كان نساخاً ذكياً كتب لى كراسة فيها خمس مائة اسم علم سمعها فى القاهرة وفى الجيزة . وكتب أسماء الرجال

وأسماء السيدات وأسماء الفلاحات وأسماء رجال قبطية وأسماء سيدات قبطية وأسماء الرجال من اليهود وأسماء سيدات يهودية وأسماء العبيد من الرجال وأسماء السودانيات ، واخترت بعض تلك الأسماء وأتكلم عن هذا الموضوع بالاختصار :

١ — من أسماء المسلمين أذكر أسماء الشهور . إننا قد سمعنا رمضان ورميضين عند أهل نجد وفي مصر وجدت رجب وشعبان وشوال ومحرم وصفر إلي جانب رمضان واسم ربيع يعبر إما عن الشهر وإما عن فصل السنة . وأذكر أيضاً صيغاً غريبة مثل طِلِبْ ومحمدين ومحمدان. و(طلب) مختصر عبد المطلب وهنا بقي في الاختصار المضاف إليه لا المضاف . ومحمدين ومحمدان فلاحان ويمكن أن الناس الذين استعملوا هذين الصيغتين فكروا في حسنين فشكلوا المثنى قياسا غافلين . ومعروف أن اسم حسنين يشمل حسناً وحسيناً . ثم نجد فعول وفعوله للتلطيف في أسماء النساء خاصة . ومن أسماء الرجال وجدت عبود وفتوح ولكن من أسماء النساء وجدت عيوشه وخدوجه وزنوبة ونفوسة وفطومة وملوحة وأمونة حتى هنومه . وهنومه تصغير هانم وهانم كلمة تركية تعني سيدتي صارت اسم علم للمؤنث عند أهل مصر . وقد ذكرنا فيما سبق أن صيغة فَعُّول هي صيغة قديمة موجودة عند العبريين . ومن خصائص أسماء النساء استعمال الجمع مثل أنعام ونعمات ولطيفات ولواحظ وأمثال وكمالات وجمالات وهديات وجواهر وحلويات وشربات وأكابر وعطيات وفواكه وكواكب وملوك . وهذا الاستعمال أيضاً عادة قديمة عند العرب كما نستنتج من الأسماء التالية وهي أنمار وكلاب وبدور وغيرها وتوجد أسماء أعلام بالجمع أيضاً عند أهل الحبشة وعند المصريين القدماء في النقوش الهيروغليفية .

ثم من أسماء الفلاحات اخترت الآتية : مبروكه ومباركه وعليه وعاليه وخميسه وفرخه وأرنبه وشلبايه وبلطيه وكحله وأم الخير وعوضه وبُنّه وملوخيه أغلبها صيغ مؤنثة لأسماء رجال التي قد تكلمنا عنها . وتوجد أيضاً عين أبوها وست أبوها وست البيت وست العيله وست الكل وست الأهل وستهم

وة. قلنا إن ضمير الغائبين الذى يوجد فى ستهم وأيضاً فى سيدهم وهو اسم صبى وفى حياتهم وحلاوتهم وهما اسما صبيتين إن هذا الضمير قد وجد فى الأسماء الأكدية.

ومن أسماء رجال قبطية سأذكر هنا جرجس وهو اسم يونانى (Georgios) وبالانكليزى (Georges) وحنا وهو اسم عبرى كما قد قلنا ومرزوق وطنوس وهو تصغير (Antonios) ولوقا وهو اسم يونانى (Lukas) ومتى وهو اسم عبرى تصغير (Mattān) أى عطيه. وبولص وبطرص وتادرس ومرقس وقسطندى كلها أسماء يونانية أو لاتينية أى (Paulos) و (Petros) و (Theodors) و (Marcus) و (Constantius). ثم رمسيس اسم مصرى قديم وبشاى اسم موجود فى الكتب القبطية القديمة وميلاد وميخائيل وعبد القدوس وغبريال.

ومن أسماء الرجال القبطية عزيز وكامل ومراد ووجدت عزيز وكامل ومراد عند المسلمين أيضاً. وأما أسماء سيدات قبطية فسمعت منها الآتية: مريم وصيغتها الأوربية ماريه وحنينه وطوبه وملكه ثم فكتوريا أى (Victoria) وأڤون أى (Yvonne) وأماليا أى (Amalia) ودميانه اسمها اشتق من اسم لاتينى ويونانى أى (Damianus) وهيلانه أى (Helene) وهذا هو اسم يونانى معناه قمر.

ومن أسماء الرجال اليهود اخترت التالية موسى بخور يوسف يعقوب عزرا روفائيل ميخائيل منشه وهو فى العبرية (Menaššè) كما رأينا وموصيرى وهو تصغير مصرى وندى وبنيامين وهو معروف فى التوراة (كان أخا يوسف) وحييم معناه حياة وليشع اسم عبرى معناه. أعان الاله. وإبراهيم وصماويل وسلامون. وقلت فيما سبق إن اليهود صاروا يستعملون صيغاً أوربية فى جانب الصيغ الأصلية وكذلك يستعملون الآن جوزيف الى جانب يوسف وسيمون الى جانب شمعون ولكن اذا قالوا داڤيد الى جانب داود فهنا داڤيد الصيغة العبرية الأصلية وداود الصيغة العربية.

وأغلب الأسماء القبطية واليهودية التى ذكرتها هنا توجد عند القبط واليهود فقط لا عند المسلمين ولكن توجد أيضاً أسماء تستعمل عندهم جميعاً

ونذكر بعضها . مثلا ابراهيم وموسى ويعقوب وداود ويوسف ودانيال وسليمان والياس . وتوجد أسماء تستعمل عند المسلمين والمسيحيين قد ذكرت منها عزيز وكامل ومراد ومنها أيضاً أديب وأسد وأسعد وأمين وأنيس وتوفيق وجميل وخليل ورجا ورفيق وسالم وسعيد وشوقى وصادق وصالح وعادل وعفيف وعوض وعيد وعيسى وغالى وفريد وكرم وكريم وكمال ولبيب ومسعود ومنصور وناصر ونبيه ونجيب ونعمان . وبعض الأسماء يوجد عند المسيحيين وعند اليهود مثلا رفول تصغير روفاييل وسمان وصمويل (وهو عند العرب شمويل) . واسم زكى وجدته عند المسلمين واليهود ، وأما اسم اسماعيل أو اسماعين فيستعمله المسلمون فقط .

وفى آخر الباب عن الأسماء العربية أذكر أسماء العبيد من الرجال وأسماء السودانيات كما سمعتها . وأسماء الرجال كما يأتى : ريحان يعنى نبات ريحته طيبة . وياقوت وزمرد وجوهر وهى (جواهر) ومرجان وبلبل وفرج وسرور وأمان وإمام وزايد وبخيت وعمير وزيد المال وبلال . وأما عنبر فليس هنا الحوت الكبير بل المادة التى فيه وبلال صار اسم العبيد لأجل أن المؤذن الأول فى الاسلام كان عبداً . وفى لغة ملايا كلمة بلال تعنى مؤذن . وأسماء السودانيات كما يأتى ريحانه وياقوته وزمرده وجوهره ومرجانه وبخيته ونرجسه وكريمه وصبره ونور الصباح ومسروره وحوا وصبر جميل . ومن أسماء نساء من الواحات رويت لى شونخه وشاخه وشمروخه وعويشه وشوبشه . وبعض أسماء العبيد هى أسماء للأحرار أيضاً كما فهمتموه أنفسكم .

باب أسماء الأعلام الحبشية

إن أغلب الأسماء التى رويت فى الأدب الحبشى هى أسماء دينية مسيحية . وقيل فيها إن الانسان ذو الاله أو من عائلة الاله والملائكة أو انه قسم من جسم الملائكة أو شيء يخصهم وبالغ الحبش فى هذه التسمية . ومثال تلك الأسماء كما يأتى (Bèĕsē Egzi'abḫēr) يعنى رجل الاله أو امرؤ الاله وتقابل الاسم العربى امرؤ القيس ثم (Walda Krĕstōs) أى ولد المسيح و (Walda Amlāk)

أى ولد الاله . و (Walda Sellāsē) أى ولد الثالوث المقدس و Walda)
Māryām) أى ولد مريم العذراء و (Walda Gabri'l) أى ولد جبريل
و (Walda Yoḥannes) أى ولد يحيى الرسول و (Walatte Madḫen)
أى ابنة المخلص و (Walatta Sellāsē) أى ابنة الثالوث المقدس و Walatte)
Amlāk) أى إبنة الاله و (Walatte Māryām) أى ابنة مريم العذراء
و (Walatta Dengel) أى ابنة العذراء و (Walatta Mīkāē'l) أى ابنة
ميخائيل الملاك وهلم جراً . ثم (Sarṣa Krestōs) أى نجل المسيح
و (Sarṣa Dēngel) أى نجل العذراء و (Aḫwa Krestos) أى أخو المسيح
و (Eḫta Krestos) أى أخت المسيح و ('Aṣqa Dengel) أى غصن العذراء
و (Fĕrē Māryām) أى ثمرة مريم العذراء ثم (Kĕsāda Krĕstōs) أى رقبة
المسيح و (Kanāfĕra Kr.) أى فم المسيح و (Afa Krestos) أى شفات
المسيح و (Hafa Kr.) أى عرق المسيح و (Ĕda Kr.) أى يد المسيح
و (Yamāna Kr.) أى يمين المسيح و (Yamāna Ab) أى يمين الأب
و (Kenfa Mikā'ēl) أى جناح ميخائيل الملاك و ('Enqua Sĕllāsē)
أى جوهر الثالوث المقدس و ('Enqua Māryām) أى جوهر مريم العذراء
و (Bāzgenā Dengel) أى قلادة العذراء و ('Aṣfa Krestos) أى ثوب
المسيح و (Zafara Mīkā'ēl) أى ذيل ميخائيل الملاك و (Asā'ena Sellasē)
أى نعل الثالوث المقدس و (Asa'ena Gīyorgīs) أى نعل قديس جرجس
و (Asrāba Dengel) أى مطرة العذراء و (Batra Gīyorgīs) أى عصاة
قديس جرجس . ولكن الأسماء البسيطة فيها الجزء الأول هو حرف (Za)
يعنى ذو وقيل (Za Krestos) أى ذو المسيح و (Za Gīyorgīs) أى ذو قديس
جرجس و (Za Yoḥannes) أى ذو يحيى الرسول . ثم قيل أيضاً
(Emḫaba Krestos) يعنى من عند المسيح . ويذكرنا هذا الاسم إسماً عربياً
قد ذكرناه فيما سبق وهو (من الله) وجد فى صقلية قبل تسع مائة سنة عبد
اسمه أبو بكر بن من الله ونقل الاسم الى حروف يونانية وهكذا (bubker
thyios menalla) ونذكر أيضاً الأسماء الحبشية التالية (Ba'eda Māryām)

يعنى بيد مريم العذراء و (Baḫaila Māyām) يعنى بقوة مريم العذراء و (Baḫaila Mīkā'ēl) يعنى بقوة ميخائيل الملاك و (Baṣalōta Mikā'ēl) يعنى بصلاة ميخائيل الملاك و (Westa Qeddūsan) يعنى بين القديسين .

وأما الأسماء الدنيوية التى رويت فى الأدب الحبشى فهى قليلة ولكن وصلتنا أسماء دنيوية عديدة فى اللغة الأمهارية وفى لغة (Tigrina) وفى لغة (Tigrē) . ومن الأسماء الأمهارية أذكر هنا (Māmmā) و (Māmmō) معناهما صبي و (Mammit)أى صبية وأصل هذه الأسماء من كلمة (māmmá) لأن الأولاد الصغار ينادون دائماً أمهم ويصرخون (māmmā) . و (Kāsā) و (Mĕtĕk) معنى هذه الأسماء (عوض) و (Metkū) (عوضه) وقد فسرنا أسماء العوض فيما سبق . و (Worqiē) أيضاً اسم أمهارى معناه ذهبى .

إنى جمعت أكثر من ألف اسم علم عند أهل (Tigrē) فى بلاد الحبشة الشمالية . وأتكلم عنها هنا بالاختصار .

٢ — أسماء دينية هى الآتية (Hebtēs) يعنى هبة عيسى و(Temāryām) أى هبة مريم العذراء و (Hebte-Gärgis) أى هبة قديس جرجس و (Hiyābū) أى يعنى هبته أى الاله و (Taksellāsē) أى زرع الثالوث المقدس . و (Hammeddō) يعنى أحمده أى الاله . و (Haile-Gärgīs) أى قوة قديس جرجس و ('Egbaktos) أى حليف المسيح . و (Sefāf) أى شفى وفسر لى هذا الاسم كما يأتى قال الأب أو قالت الأم أحزننى الاله سابقاً فشفانى الآن بولادة هذا الطفل . و (Abrehē) يعنى نور أى نور الاله البيت الذى ولد فيه الطفل . و (Wassaka) أى أضاف يعنى أضاف الاله ولدا . و (Gabrēs) أى عبد عيسى و (Bahaimānot) أى بالايمان . وأسماء قديمة أخذت من اللغة العبرية واليونانية هى التالية (Iyāsū) أى (Yehōsīa) فى العبرية و (Ya'aqob) أى يعقوب و (Tēdros) أى (Theodors) و (Gärgīs) أى (Georgios) .

٢ — ومن الأسماء المشتقة من أسماء الحيوان نذكر الآتية (Ḥayat-ʿaddeḥa) يعني أسد الظهر لأن الأسد لمخوف ومهول إذا جاء في وقت الظهر و (Kerel) أي فيل و (ʾEwāl) أي ولد الفيل و (Ḥarīš) أي كركدن وجمل و (Adeg) أي حمار و (Kaleb) (كلب) و (Maflas) أي خنزير بري و (ʿAnsāy) أي فأر و (Oerʾob) أي ضفدعة و (Nehēbāy) أي نحل . و (Sarērāy) أي طير .

٣ — والأسماء التي تخص النبات هي التالية: (Lēmān) أي ليمون و (Kerdàd) يعني حشيش قالت الأم إن الطفل حشيش بلا إفادة ولذلك لا يقتله الاله و Aqbētâi أي سيال أو طلح قالت الأم فليكن شوك للولد فلا يدوسه أحد . و (Ferē) أي تمرة وجبيب (Gabīb) يعني زبيب أي حلو .

٤ — ثم نذكر هنا من أسماء الأشياء والآلات الآتية (Šekkär) أي سكر يعني حلو ونضيف الى السكر (Čēwāy) يعني ملح قال الوالدان فليكن الولد ملحنا وليجعل عيشتنا مليحة . و (Legām) أي لجام قالوا فليكن الولد لجاماً لأعدائه و (Maḥagam) أي محجم وسمى الولد كذا لكي يشرب دم الأعداء ومعنى هذا أن الاسم مثل معنى سكران وسكيكير ونشوان . و (Šotalài) أي خنجر يعني فليقتل به أعداءه (Ṭabanğa) .

٥ — نجد أيضاً أعداداً في أسماء الأعلام مثلا (Miya) أي مائة و (Alef) أي ألف ومعنى هذين الاسمين التمني أن يصير الولد جداً لقوم كثيرين .

٦ — ونجد من الكواكب (Sehēl) أي سهيل و (Serūi) أي كوكب الشعرى ونضيف هنا (Bareq) سمى الولد كذا لكي يصبح مثل البرق .

٧ — واستعملت أسماء الشهور أيضاً وجدت منها ستة أمثال وعند العشائر الاسلامية يوجد اسم رمضان، ومن أيام الأسبوع وجدت (Sambatāi) أي سبتي وعند المسلمين (Gemeʿ) أي جمعه والأولاد الذين ولدوا في يوم الخميس يسمون (Edrīs) لأن الخميس يوم إدريس . ويسمون الأطفال أيضاً بأسماء فصول السنة وأسماء الأعياد منها (ʿArafa) عند المسلمين وكل هذه الأسماء هي أسماء زمانية .

٨ — ثم نذكر الأسماء التي سميت بمناسبة الحوادث التي حدثت عند الولادة مثل (Aggaba') أي ظلم يعني ظلم أمه لأنها ماتت بعد الولادة وقد ذكرنا اسم ظلمتني فيما سبق و (Aitama) أي يتم لأن ولد بعد موت أبيه و ('Adàb) أي عذاب أو تعب لأن الطفل أتعب الأم عندما ولد . (Atgāwḥa) أي جاء في وقت الضحى و (Wad-gabai) أي ولد السكة لأنه ولد في وقت الرحلة . و (Gāyid) أي سارع أو مستعجل يعني الذي ولد قبل الوقت المعين :

٩ — واشتقت أسماء عديدة من أسماء عشائر أو أقطار أو مدن وتفسيرها مختلف وأذكر هنا قليلة فقط وهي التي سميت بمناسبة عشائر أو مدن مشهورة وفيها التمني أن يصبح الطفل مشهورا ، مثلا (Amḥarāi) أي أمهارى و (Terkī) أي تركي وقد ذكرنا اسم تركي عند العرب . و(Gerdefān) يعني ناحية كردفان في السودان و Gādām وهو اسم جبل قريب من مصوع و (Gandār) أي مدينة (Gondar) وهي وصمة قديمة في بلاد الحبشة .

١٠ — ومن أسماء الصفات اخترت الآتية (Hemār) أي مخافة يعني الذي يجعل العدو ضعيفاً و (Hedād) أي فزعة أو تجميع الجيش يعني التمني أن يصير الولد مثل جيش قوي. (Lebāb) أي حكمة و(Ḥankūl) أي أعوج و(Ḥenqūq) أي مدلع . و(Ḥemez)أي سم يعني للأعداء . (Mafarreḥg) أي مفرح و (Rākeb) بمعنى غني و (Qayeḥ-qarnūy) أي الذي قرنه أحمر وهو الجاموس البري و (Bāreh) أي لامع . و (Bala'-'addām) أي آكل الناس يعني قاتل أو قتال و(Tāyib) أي شجاع و(Abāi-krestān) أي عدو المسيحيين وهذا الاسم لقب لمسيحي حارب مسيحيين .

وجمعت عشرين ومائة اسم حبشية مشتقة من أسماء عربية ولكن لا يمكنني أن أذكرها هنا وبقي أن أذكر بعض أسماء النساء . وهي(Amata-Māryām) أي أمة مريم العذراء و(Amatū) أي أمته يعني الاله أو القديس و(Elēnī) أي هيلانه وروى أن هيلانه وجدت صليب المسيح في بيت المقدس و(Edget) أي أتان وهو المؤنث (Adeg) أي حمار و (Kalbät) المؤنث لـ (Kaleb) .

و (Gabīlat) أى جوخة (Gūkāt) أى زخرفة و (Hēkal) أى زبيبة و
و (Gemāš) أى قماش و (Kaymat) أى خيمة و (Gaharat) أو (Zahara)
أى كوكب الزهرة و (Kēma) أى ثريا . و (Akkel) يعنى (يكفى) سميت
الصبية بعد ما ولدت أربع بنات ولكن (Sannēt) أى هى طيبة سماها أبوها
كذا لأنها ولدت بعد ما أنجب بنين فقط و (Settom) يعنى سيدتهم كما قد قلنا
فيما سبق ، و (Bārhät) أى لامعة . و (Bakita) أى بخيتة . و (Timnīt)
أى متمناه . و (Amāyir) أى أمراء يعني التمنى أن تلد أمراء . وكذلك
(Gabāyil) أى قبائل ، ثم (ʿAǧab) و (ʿAǧāyib) ومعناها مثل معنى هاتين
الكلمتين فى اللغة العربية . وننتهى من هذا الباب ذاكرين (Fāydät)
و (Fāgrät) و (Fāydät) هى المفيدة و (Fāgrät) هى المرتفعة .

الدخيل فى اللغة العربية

للدكتور فؤاد حسنين على

— ٢ —

(ز)

(ز) الحرف الحادى عشر من حروف المبانى وهو فى حساب الجُمَّل يقام سبعة من العدد .

يقال زآء بالمد ، وزاى بالياء ، وزى بالكسر والتشديد . والعامة تقول (زين) بالنون واللفظ الأخير عن العبرية זַיִן (زين) .

(زئبق) معدن مائع ثقيل فضى اللون .

فارسى : ژيوه : > الآرامية : زيبق :

(زاج) ملح يصبغ به .

الفارسية : زاج :

(زار) بدعة منتشرة فى الشرق حيث تعتقد الدهماء فى شفاء المرضى عن طريق إقامة طقوس خاصة لبعض الأرواح ، ويظن ان وطنها الأصلى بلاد الحبشة .

الحبشية : : زار : > العربية .

(زاف) زافت عليه الدراهم تزيف صارت مردودة عليه لغش فيها .

آرامى : زافا : أو : زيف : > العربية .

(زاوية) الزاوية من البيت ركنه .

آرامى : زويثا : > العربية .

(زايجة) صورة مربعة أو مدورة تعمل لمواضع الكواكب فى الفلك . والزيج خيط البناء .

الفارسية : زايجة :

(زبرجد) حجر كريم وهو ألوان كثيرة .

يونانى : سَمَرَجْدُس σμάραγδος : > الآرامية : زمرجدا : أو : زمرجدوس : > العربية : زبرجد :

(زبون) المشترى أو البائع .

من المعانى التى تستعمل فيها مادة « زبن » فى العربية هذا النوع من البيع الذى تفهمه من التعبير : زَبَنَ التمر : باعه على شجره بثمر كيلا . ثم نجد فى العربية المتأخرة : زبون : وجمعها : زبائن : للدلالة غالباً على المشترى وقليلا على البائع ، وفى هذه المعانى نجد هذا اللفظ ومشتقاته فى الآرامية .

وهذه المادة كما يتضح لنا من النصوص الواردة أكدية الأصل قديمة الاستعمال ، وقد جاء فيها لفظ : زبانيت : أى ميزان > الآرامية : زبن : > العربية .

فكأن لفظ: زبون: معناه الرجل الذى يتجول ومعه ميزان للبيع والشراء .

(زبيل) وعاء .

آرامى : زبيلا : > العربية .

(زجاج) جسم شفاف صلب سهل الانكسار .

آرامي : زجوجا : > العربية .

(زجر) سمك عظيم الجثة صغير الفلوس .

آرامي : زجرا : > العربية .

(زربول) لما يلبس فى الرجل ، وقد تبدل لأمه نونا فيقال : زربون : اليونانية (σέρβουλον) : سربولون :

(زرجون) شجر العنب ، وقيل قضبانه ، والخمر .

الفارسية : زرگون > الآرامية : زرجونا : أى لون الذهب > العربية .

(زرد) درع .

الفارسية : زره : > الآرامية : زردا : > العربية .

(زرنيخ) حجر له ألوان كثيرة اذا جمع مع الكلس حلق الشعر . وهو مادة سامة .

اليونانية : (ἀρσενιχον) : ارسنيكون : > الآرامية : زرنيكا : > العربية .

(زعتر) أو (صعتر) نبات .

اللاتينية (satureja) : ستوريا : > الآرامية زوترا : > العربية .

(زعرور) شجر .

آرامي : عزررا : > العربية مع تقديم حرف وتأخير آخر .

(زفت) قار .

آرامي : زفتا : > العربية .

(زق) جلد يجز ولا ينتف للشراب .

أكادى : زق : > الآرامية : زقا : > العربية .

(زكريا) قال ابن دريد فيه لغات : زكريا : بالمد والقصر .

عبرى : זְכַרְיָה : زخريا : > العربية .

(زلابية) نوع من الفطائر يشبه لقمة القاضي .

فارسى : زليبيا : > العربية .

(زمج) طائر دون العقاب تغلب على لونه الحمرة يصاد به كالبازى .

الفارسية : زمه : > الآرامية : زوما : > العربية .

(زمرذ) حجر كريم .

يوناني : سمرجدس μάραγδος زمرجدا > امية > :

زومروذ > العربية : زمرذ .

(زمن) العصر أو اسم لقليل الو سيره .

الآرامية : زمن : > العربية .

(زنار) مايشد على الوسط .

اليونانية . ζωνάριον زوناريوز رامية : زونرا : زنا: >

العربية .

(زنبرى) الضخم من السفن .

الفارسية : زنبرى .

(زنجبيل) بقلة يقال لها فلفل نها حريفة .

سنسكريتى : سرنجفيرا ngavera الآرامية : زنج : > العربية .

(زنجير أو جنزير) سلسلة .

الفارسية : زنجير .

(زنديق) من يبطن الكفر ويظ ان .

فارسي : زندانى : > الآرامية : : > العربية

(زهزهه) انشراح وسرور :

الفارسية : زهى زهى .

(زو) قيل كل زوج زو و كل

عبرى (تلمود) زووا (זווא) ربية :

(زوج) كل واحد معه آخر ه .

يوناني : زوجوس (ζεύγος) : رامية : زوج > العربية .

(زور) قوة أو بدون رغبة (عملته بالزور) .

فارسي . زور : الآرامية : زورا : أي سوط .

(زورق) سفينة صغيرة .

الأكادية : زورق : > الآرامية : زورقا : > العربية .

(زوفاء أو زوفى) صنفان أحدهما نبات يقوم على ساق دقيق مربع له ورق كورق الصعتر الدقيق يتداوى به غالباً لتقطيع البلغم . والثانى يتعلق بأصواف الغنم من مرورها على أعشاب .

أكادى : ذوف : > الآرامية : ذوفا > العربية .

(زوّق) نظّف .

راجع مادة : زئبق :

(زوم) طعام لأهل اليمن من اللبن .

يونانى : زوموس (ξωμος) . أى عصير > الآرامية : زوما : أو : زوموس : > العربية .

(زى) مثل أو مظهر .

فارسى : زى :

(زيت) دهن الزيتون وخلافه .

آرامي : زيتاً : > العربية .

(زيج) كتاب يحسب فيه سير الكواكب ويستخرج التقويم .

الفارسية : زيج :

(زير) إناء مستدير من الفخار لحفظ الماء .

الأكادية : زير : أى إطار أو حدود أو شمول > الآرامية : زيرا : مستدير أو مرشح > العربية .

(س)

(سابرى) نسبة الى سابور ، والسابرى نوع من القماش : وعيش كمس السابرى رقيق : ومنه المثل : عَرْضٌ سابرى : يقوله من يعرض عليه شيء عرضا لا يبالغ فيه لأن السابرى من أجود الثياب يرغب فيه بأدنى عرض .

الفارسية : شاپور > العربية : سابور : > سابرى .

(سابوط) دابة بحرية .

العبرية שיבוטא : > شيبوطا : > العربية .

(ساج) شجر يعظم جداً وينبت فى بلاد الهند وخشبه أسود رزين .

الآرامية : سوجا : > العربية .

(ساجور) خشبة تعلق فى عنق الكلب .

الآرامية : سوجرا : سور أو قفص > العربية .

(ساطن) خبيث .

العبرية שָׂטָן : ساطان : أى : شيطان > العربية .

(ساطور) مايقطع به اللحم .

الآرامية : سطورا : > العربية .

(ساعور) مقدم النصارى فى معرفة الطب .

آرامى : سعورا : > العربية .

(ساف) الصف من الطين أو اللبن .

آرامى : سفا : بمعنى صف أو حدود أو بيت .

(سافلين) كما جاءت فى قوله تعالى : « رددناه أسفل سافلين » وقيل فى تفسيرها الى الهرم، وقيل الى التلف، وقيل الى الضلال، وقيل الى أرذل العمر .

اليونانية : σπηλαῖον : سپليون : > الآرامية : سفلاون: أى : أخدود يمتد داخل الأرض . أو الهاوية (عالم الموتى فى الأساطير السامية القديمة) .

(سباسب) أيام الشعانين .

عبرى: شبشبث (שַׁבְּשֶׁבֶת) : > العربية .

(سَبَتْ) قفّة .

الفارسية . سبد : > الآرامية : سبطا : أو : سفطا : > العربية .

(سبت) أحد أيام الأسبوع .

وهذا لفظ دينى مقدس وهو أكادى الأصل صيغته : شَبّتُ : ودلالته اليوم الخامس عشر من الشهر القمرى أو بمعنى آخر اليوم الذى يصير فيه الهلال بدرا .

ويرجح أن أصل هذا اللفظ كلمة : شبات : ومعناها (نظّفَ) وقد استعملت العربية كلمة (سبت) فى معنى يقرب من هذا فسبَتَ الرجلُ رأسه : حلقه : قال الحريرى : وبرزت من الحمام بعد سبت رأسى . ثم يظن أن الأكادية أطلقت هذا اللفظ على اليوم الذى كانت تنظف فيه المعابد خاصة وكان ذلك عادة فى اليوم الخامس عشر من الشهر القمرى . ومن هنا أصبح لفظ : شبات : فى الأكادية يقابل كلمة : بدر : فى العربية ، واكتسب صفته المقدسة وصار يدل لا فى الأكادية فحسب بل فى سائر اللغات السامية على يوم الراحة والفرح والسرور . ثم اتصل الاسرائيليون بالأكاديين فاستعاروا هذا اللفظ وكانوا الواسطة بين الشعب البابلى الأشورى وسائر شعوب العالم ، ويرجح كثيرون من رجال اللغات السامية أن لفظ (سمطة) الدال فى المصرية القديمة على اليوم الخامس عشر من الشهر يرجع الى الأصل الأكادى .

وقد حَرَّم سكان الرافدين قديماً أكل الخنزير ، والنكاح ، والسباحة والاستحمام وأشياء أخرى كثيرة فى ذلك اليوم كما اعتقدوا فى شؤم العدد سبعة والأعداد القابلة للقسمة عليه ، وهذا الاعتقاد هو الذى حدا باليهود فى العصور المتأخرة الى القول بأن نجم هذا اليوم هو زُحل .

وعن الساميين انتقل هذا اللفظ كاسم من أسماء أحد أيام الأسبوع الى الغرب فنجده عند اليونان والرومان وسائر الشعوب الهندية الأوربية

مع ملاحظة أن الألمان والفرنسيين والايطاليين اشتقوا ألفاظهم من الصيغة القديمة ، بينما أخذ الانجليز لفظ (Saturday): سترداى : من اسم النجم الملازم لهذا اليوم أعنى (Saturn) : ستورن : كما اعتقد اليهود فى العصور المتأخرة .

(سبح) صلى وسبح الله نزهه .

آرامى : شوبحا : < العبرية : شبح שִׁבַּח : < العربية .

(ستاديون أو : ستاديوم) : ملعب .

الصيغة الأولى هى اليونانية (στάδιον) : ستديون : والثانية اللاتينية (stadium) : ستديوم : < اللغات الهندية الأوربية < العربية .

(ستوق) : درهم زيف .

الفارسية : ستو : < العربية .

(سجد) خضع وانحنى .

الآرامية : سجد : < العربية .

(سِجِلٌّ) كتاب العهد ونحوه ، وقيل كتاب الحكم ، وهو فى الأصل الصك أى كتاب الاقرار ونحوه ثم سمى به كتاب الحكم للتشبيه وعند الفقهاء كتاب يكتب به القاضي صورة الدعاوى والحكم فيها .

اليونانية (σίγιλλον) : سيجيلون : < الآرامية : سيجيليون : أو : سجلين : < العربية .

(سجلاط) ياسمين .

الأكادية : سجلات : < الآرامية : سجلثا : < العربية .

(سجلاطس) أو (سجلاط) = نمط من الثياب .

لاتينى : سجللاتس (sigillatus) : < العربية .

(سراج) إناء يستضاء بالنور المتألق فى ذبالته .

فارسى : چراغ : < الآرامية : شرجا : < العربية .

(سراية) قصر .

التركية : سراى .

(سرج) رحل الدابة وغلب استعماله للخيل .

آرامي : سرجا : > العربية .

(سرداب) مكان تحت الأرض .

الفارسية : سرداب : > الآرامية : سرداب : > العربية .

(سردار) القائد الأكبر للجيش .

الفارسية : > : التركية : > العربية .

(سرس أو سريس) الذى لا يولد له .

الأكادية : شريش : > الآرامية : سريسا : > العربية .

(سروال) أو (سراويل أو سراوين) لباس يستر النصف الأسفل من الجسم .

الفارسية : شلوار : > العربية .

(سطام) المسعار لحديدة مفطوحة تحرك بها النار .

اليونانية (στόμωμα) : ستوموما : > الآرامية : سَطَما : > العربية .

(سطام) حد السيف .

يونانى ستوموما : (στόμωμα) : > الآرامية : سطما : > العربية .

(سطر) كَتَبَ .

أكادى : شطار : > الآرامية شطرا : > العربية .

(سطل) طسيسة صغيرة .

يونانى سيطلا (σιτλα) : > الآرامية : سيطلا : > العربية .

(سعانين) عيد للنصارى قبل الفصح بأسبوع والمشهور الشعانين .

آرامي : أوشعنا : أى نخيل .

(سعر) الذى يقوم عليه الثمن .

آرامى يهودى : شعرا (שַׁעְרָא) : > العربية :

(سفار) حديدة أو جلدة توضع على أنف البعير .

أكادى : أشيرو : > الآرامية : افسرا : > العربية مع تقديم حرف وتأخير آخر .

(سفتج) جمع سفتجة وهى الخطوط وأصلها أن يكون لواحد ببلد متاع عند رجل أمين فيأخذ من آخر عوض ماله ويكتب له خوفاً من غائلة الطريق .

الفارسية : سفته .

(سفر) كتاب .

أكادى : شپر : > الآرامية سفرا : > العربية .

(سفسار) نقاد أو خبير .

فارسى سيسار : > الآرامية سفسرا : > العربية .

(سفسطة) قياس مركب من الوهميات والغرض منه افحام الخصم وإسكاته .

اليونانية (σοφιστής) : سوفيستس : > الآرامية : سوفيسطوثا : > العربية .

(سفسفير) عالم بأمر الحديد .

يونانى سمبرا (σαμψήρα): > الآرامية:سفسيرا أى:سيف : > العربية .

(سفط) قفة .

راجع مادة : سبت :

(سفن) كل ما ينحت به الشىء كقوله : وأنت فى كفك المبراة والسفن .

اليونانية (σφήν) : سفن : > الآرامية : سفينا : > العربية .

(سفود) حديدة ذات شعب معقفة يشوى بها اللحم .

آرامى : شفودا : > العربية .

(سفيرة) شاع هذا اللفظ فى مصر حتى أيامنا هذه خاصة فى الصعيد والأرياف ومعناه : فتانة أو جميلة كما فى التعبير : السفيرة عزيزة : ثم أطلق هذا التعبير على هذا الضرب من التسلية المعروف فى الوجه البحرى باسم : صندوق الدنيا .

اليونانية (σπεῖρα) : سپيرا : > الآرامية : سفيرا : أى فرقة الممثلين > العربية .

(سفيرة) لفظ كان شائعاً فى مصر فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ومعناه فتانة أو جميلة (انظر المادة السابقة) .

(سفيرة) قلادة لها عرى من ذهب وفضة .

يونانى : سفيرا (σφαίρα) : > الآرامية : سفيرا : أى فلك أو كرة > العربية .

(سفينة) فلك .

آرامى : سفيـ (ذ) ثا : > العربية .

(سقالة) سلم للنزول من السفن أو الصعود اليها .

اليونانية : σχάλα : سكالة : > الآرامية : سقلا : > العربية .

(سِقطرى) جهبذ .

يونانى : سكرتريوس σεχρητάριος : > العربية .

(سقمونيا) نبات .

اليونانية σχαμμωνια : سكمونيا : > الآرامية :سقمونيا : > العربية .

(سقنطار) جهبذ .

راجع مادة ــ سقطرى ــ

(سك) سمار .

أكادى : سكّ : > الآرامية : سكثا : وجمعها سكا > العربية .

(سكان) ذنب السفينة الذى به تقوم .

أكادى : سكان : > الآرامية : سوكنا > العربية .

(سكة) حديدة الفدان التى يحرث بها .

(راجع مادة — سك —) .

(سكة) حديدة منقوشة يضرب عليها الدراهم .

(راجع مادة — سكة —) .

(سكر) مادة حلوة تستخرج من ماء القصب والبنجر .

الفارسية : شكر : > العربية .

(سكرجة) صحفة .

الآرامية : سكورجة : > العربية .

(سكسفون) آلة موسيقية .

الألمانية Saxophon : سكسوفون : وهى كلمة مركبة من اسم مخترع الآلة وهو : سكس Sax : ومن كلمة : فون phon أى آلة موسيقية ، وقد عاش المخترع فيما بين عامى ١٨١٤ — ١٨٩٤ م : > سائر اللغات العالمية > العربية .

(سكسونيا) ضرب من الصينى .

الألمانية Sachsen : سكسن : ولاية بألمانيا .

(سكينة) الآلة التى يذبح بها .

آرامى : سكينا > العربية .

(سُلاق) عيد صعود المسيح .

آرامى : سولقا : > العربية .

(سلامى) نوع من اللحوم المجففة.

الايطالية Salame : سلامى : > العربية.

(سلة) جونة.

أكادى : سَلُّ : > الآرامية: سلا : > العربية.

(سلحفاة) دابة برية ونهرية وبحرية لها أربع قوائم.

الفارسية : سولاخ (سوراخ) پاى : > العربية.

(سلطة) نوع من الطعام وهو خليط من خضروات وغيرها، وتستخدم الكلمة أحياناً للاشارة الى الأشياء المختلطة.

الايطالية : (Salata): سلته : ومعناها الأصلى : مُمَلَّح : ومن ثم أطلقت على هذا النوع من الطعام.

(سِلق) نبت له ورق طويل.

أكادى : سِلقُ : > الآرامية : سلقا > العربية.

(سلمكة) دواء ملين.

الآرامية : سلمكا : > العربية.

(سلمون) نوع من السمك المحفوظ.

الايطالية (salamone) : سالامون : > العربية.

(سلور) نوع من السمك.

اليونانية : (σιλουρος) سيلوروس: > الآرامية : سلورا : > العربية:

(سم) مادة قاتلة.

أكادى : سم : > الآرامية : سما : > العربية.

(سُمَّاق) شجر يقارب الرمان ثمره شديد الحموضة.

اللاتينية : (sumac) : > الآرامية : سومقا : > العربية.

(سمسار) وسيط وبائع وشارى وساعى للواحد منهما .
فارسى : سيسار : > الآرامية : سفسرا : > العربية .
(سمن) مادة دهنية تستخلص من اللبن .
عبرى : شمن (שֶׁמֶן) : > العربية .
(سمور) حيوان برى جرىء .
فارسى : سمور : > الآرامية : سمورا : > العربية .
(سميد أو سميذ) حوارى الشىء الخالص الدقيق الأبيض الخالص .
أكادى : سميذ : > الآرامية سميد (ذ) ا .
(سنبوك) سفينة صغيرة .
الايطالية (sambuco) سمبوكو : > العربية .
(سندال أو سندان) ما يضرب عليه بالمطرقة .
الفارسية : سندان .
(سندرة) شجرة تعمل منها النبال والقسى .
آرامى : سندر : > العربية .
(سندروس) صمغ شجر شبيه بالكهرباء .
فارسى : سندروس : > الآرامية : سندروس : > العربية .
(سندل أو صندل) حذاء يشبه الخف .
اليونانية σανδάλιον : سندليون : > الآرامية : سندلا : > العربية .
(سندويتش) شطائر محشوة .
الانجليزية Sandwich : سندويش : نسبة إلى مخترعه اللورد Sandwich الذى عاش فيما بين عامى ١٧١٨ — ١٧٩٢ > العربية .
(سنطير) آلة من آلات الطرب الوترية .
اليونانية ψαλτήριον : بسلتريون .

(سنكرى) العامل الذى يلحم الصفيح وما إليه .
الايطالية zingaro : زنجارو : أى : غجرى : وكان غجر إيطاليا يحترفون هذه المهنة التى أطلق اللفظ على صاحبها : > العربية .

(سنه) بالفتح وتخفيف وتشديد الهاء بمعنى : حسنة :
الحبشية : سنا : أى : سلام أو محبة أو صداقة > العربية .

(سِنَّوْر) حيوان أنيس ألوف يأكل الفأر .
الأكادية : شُرانُ : > الآرامية : شورنا : أو : شونرا : > العربية .

(سنونو) طائر من الخطاطيف .
أكادى : سنونت : > الآرامية : سنونى :

(سنيور) سيد .
الايطالية Signore : سنيور : > العربية .

(سنيوره) جميلة .
الايطالية signora : سنيورا : أى سيدة > العربية .

(سوبيه) شراب مرطب .
الفرنسية sous-pied : سوبيه : أى تحت القدم > العربية فى هذا المعنى المتداول

(سور) حائط يطوف بالمدينة .
آرامى : شورا : > العربية .

(سورة) قطعة مستقلة من القرآن الكريم .
عبرى : شورا שׁוּרָה : أى صف > العربية .

(سوسن) نبات من الرياحين طيب الرائحة .
مصرية قديمة : سشن : (القبطية : شوشن) > الأكادية : ششانو : > العبرية شوشن : > الآرامية : سوسنة : > العربية : سوسن : ومن اللغات السامية انتقلت منذ القدم الى اللغات الهندية الأوربية .

(سوق) موضع فى المدينة وغيرها تباع فيه الحاجات .
عبرى : شوق : שׁוּק : طريق أو درب :

(سياع) زفت .
آرامي : شيعاً : > العربية .

(سيخ) : قضيب يشوى بواسطته اللحم .
الفارسية : سيخ : > العربية .

(سيدارة) وقاية على رأس المرأة تحت المقنعة وقبل القلنسوة بلا أصداغ .
اليونانية σουδάριον : سوداريون : > الآرامية : سودرا : > العربية .

(سير) قِدةٌ من الجلد مستطيلة .
اليونانية σειρα : سير : أى خيط > الآرامية : سيرا : > العربية .

(سيراء) نوع من البرود فيه خطوط صفراء يخالطه حرير .
الآرامية : شيريا : > العربية .

(سيرج) دهن السمسم .
الفارسية : شيره : > الآرامية . شيرج : > العربية .

(سيطر) عليهم وَسَوْطر وتسيطر : راقبهم وتعهد أحوالهم .
مادة دخيلة فى العربية .
اليونانية στατῆρα : ستتر : > الآرامية : سطاطيرا > العربية .

(سيطل) طسيسة صغيرة .
راجع مادة — سطل —

(سيف) نوع من السلاح ذو نصل حديد .
اليونانية ξιφος: سيفوس : > الآرامية : سيفا : > العربية .

(سيكورتاه) التأمين على الحياة وغيرها .
الفرنسية sécurité سكيريتا : الأمن أو السلامة > العربية .
أما الفعل : سوكَرَ ، أو سوجر ، فقد دخل العربية عن طريق التركية .

(سيما أو سيما توغراف أو سينما أو سينما توغراف) أى : سينما .
الفرنسية cinéma : سينما cinematograph سينماتوجراف > العربية .

(ش)

(شادر) سوق الجملة للفاكهة .

الفارسية : شتر : > التركية : شادر : أى : بناء من الخشب أو منصة أو بلدشين : > العربية .

(شادروان) عرفه الخفاجى فقال : بفتح الدال من جدار البيت الحرام وهو الذى ترك من عرض الأساس خارجا يسمى تازيرا لأنه كالازار للبيت .

وجاء فى النسخة التيمورية أن الشيخ مصطفى المدنى أورده فى كتابه المعرب والدخيل بلفظ : سادروان : هكذا بالسين المهملة وفسره بقوله : معرب عن الفارسية وأصله ساه ذاوران ومعناه سوار الحائط : ا هـ .

الفارسية : شدروان : > العربية .

(شاش) أو (شيت) : ضرب من القماش يصنع أصلا فى الهند .

الهندية > الفارسية : شهيت : > العربية .

(شاصونة) برنية من الأوانى .

الحبشية : شاصون : أى صندوق أو حقيبة .

(شاكوش) مطرقة صغيرة .

التركية : چكوچ : > العربية .

(شال) ضرب من السمك .

مصرى قديم .

(شامونه) ثقل .

الآرامية : شمونا : أى ثُمن : > العربية .

(شاهسبرم أو شاهسفرم) نوع من الريحان يقال له الريحان السلطانى .

الفارسية : شاه أسپرم : > الآرامية : شاهشفرم أو : شهسفرم : ويطلق عليه فى علم النبات اسم (ocimum basilicum) .

(شاويش) رجل الأمن ورتبة من رتب رجال الأمن أو الجيش .

التركية : چاوش : > العربية .

(شاى) شراب منبه يشرب عادة ساخناً .

الصينية > الروسية > التركية : چاى : العربية .

(شبت أو شبث) بقلة .

الأكادية : شبتّ : > الآرامية : شبتا : > العربية .

(شُبُك) جهاز للتدخين .

التركية چوبوق > العربية .

(شبكة) شركة الصياد فى المـاء والبر .

اليونانية : (σαβαχα) : سبكه : > الآرامية : سبكا : > العربية .

(شبوط) سمك دقيق الذنب عريض الوسط لين الملمس صغير الرأس .

الآرامية : شيبوطا : > العربية .

(شحرور) طائر أسود .

الآرامية : شحرورا > العربية .

(شخيرة) زجاج .

الهندية : (çekhara) : > الآرامية > العربية .

(شراب) جورب .

صيغة : شراب : هى فى الواقع تطور للفظ : جورب : واللفظان دخيلان .

التركية : چوراب : > العربية .

(شراق) جفاف الأرض لعدم وصول ماء النيل اليها .

المصرية القديمة .

(شرانق) سلخ الحية إذا ألقته .

الآرامية : شورنقا > العربية .

(شُرْبة) نوع من الطعام .

التركية : چوربا : > العربية .

(شرقراق) طائر .

الآرامية : شرقرقا > العربية .

(شرقوق) طائر الشقراق .

الآرامية : شرقرقا > العربية .

(شريان) واحد الشرايين وهى عروق رقاق نابضة فى جسد الانسان وغيره .

الآرامية : شرينا > العربية .

(ششم) سلفات النحاس .

الفارسية : ششم > العربية .

(ششنة) تجربة .

الفارسية : شاشنى > العربية .

(شص) حديدة عقفاء يصاد بها السمك .

الفارسية : شست : > العربية .

(شطرنج) لعبة شهيرة يلعبها اثنان عادة .

الهندية فهى فى السنسكريتية : تشطورنجا : أعنى أربعة أقسام أى جيش : > الفارسية > العربية .

فى النص الفهلوى : (مادهيجن شطرنج) نقرأ خبرا عن الملك الهندى (ديوسرم) الذى أرسل الى كسرى أنوشروان هذه اللعبة مكونة من ستة عشر شخصاً من الزمرذ ومثل هذا العدد من الياقوت ، ولعل أقدم إشارة عربية الى هذه اللعبة قول ابن المعتز :

وحيطان كشطرنج صفوف فما تنفك تضرب شاه ماتا

ويذكر اليعقوبى فى تاريخه (ج ١ ص ١٠٣ طبع أوربا) : فاجتمعوا على حكيم من حكمائهم — يقصد حكماء الهند — يقال له (قفلان) وكان ذا حكمة وفطنة ورأى فذكروا ذلك له فقال : انظرونى ثلاثاً : ففعلوا ذلك ، وخلا مفكراً ثم قال لتلميذه : أحضرنى نجارا وخشبا من لونين مختلفين أبيض وأسود : فصور صورة الشطرنج وأمر النجار فنجزها ثم قال له أحضرنى جلداً مدبوغاً ، فأمره أن يخط فيه أربعة وستين بيتا ففعل ذلك فنصب ناحية ثم تجاولا حتى فهماها فأحكماها ثم قال لتلميذه : هذه حرب بلا ذهاب أنفس ثم حضره أهل المملكة فأخرجها لهم فلما رأوها علموا أنها حكمة لا يهتدى لها أحد . . . الخ [1] .

(شفره) لغة المخاطبة السرية بين الدولة وممثليها فى الخارج ،وهى تتركب من أعداد تحل محل الحروف .

الفرنسية (chiffre) : شيفر : > العربية : صفر : وبيان ذلك أن اللفظ العربى وجد فى العصور الوسطى طريقه الي أوربا ، ومن ثم أخذت تلك اللغات التى استعارته تميز فى القرن السادس عشر بين : صفر : أى خال ، وبين : صفر : العدد فنجد لفظ : صفر : > (zero) : زيرو : و : (chiffre) : شيفر : والأخير هو الذى تتطور فى اللغات الهندية الأوربية الى المعنى الحالى وعن الفرنسية أخذته العربية .

---

(١) أثر الشرق فى الغرب : تأليف المستشرق الألمانى جورج يعقوب (Georg Yacob) وترجمتى ص ٨٩ — ٩٠

(شفنين) نوع من الحمام .
الآرامية : شوفنينا > العربية .
(شقل) شقل الدينار وزنه .
الآرامية : شقل > العربية .
(شلبة) نوع من السمك .
اليونانية (σαλπη) : سلبة .
(شلتة) وسادة للجلوس عليها .
التركية : شلته .
(شماس) دون القسيس معناه خادم الكنيسة .
الآرامية : شمشا .
(شلبي) أنيق أو ظريف .
التركية : چلبي .
(شمر) نوع من التوابل .
مصرى قديم .
(شمعدان) فنار .
التركية : شمعدان .
(شنبر) رباط .
الفارسية : شمبر : > التركية : شمبر : أى دائرة : > العربية .
(شنطة) حقيبة .
التركية : شنطه .
(شنكل) رتاج .
الفارسية : شنجلة .

(شهدانج) بزر القنب .

الفارسية : شاهدانه .

(شوال) حقيبة .

التركية .

(شوباش) لفظ يستخدم فى الأفراح ومعناه لأجل المحبة أو : طول العمر .

الآرامية : شوبشا : > العربية .

(شونة) مخزن الحبوب .

المصرية القديمة .

(شياف) نوع من الأدوية يستعمل للعين وغيرها .

الآرامية : شيفا :

(شيت) نوع من القماش .

أنظر مادة : شاش .

(شيرج) بفتح الشين دهن السمسم .

الفارسية : شيره : > الآرامية : شيرج : > العربية بالشين والسين .

(شيشة) جهاز للتدخين .

الفارسية : شيشة .

(شيطان) روح شرير أو حية .

الحبشية : شيطان : > العربية .

(ص)

(صابورة) ما يوضع فى بطن المركب من الثقل ليثقل ولا يميل على جانبيه .

اللاتينية : (saburra) > العربية .

(صابون) مطبوخ من الزيت والقلي والجير ومواد أخرى .

اليونانية : (σάπων) : ساپون : الآرامية : صابون أو : صبون : أو : صفونا : > العربية .

(صاع أو صوع) مكيال .

الآرامية : صعا .

(صاغ) كامل . جيد .

التركية : صاغ .

(صاقور) فأس عظيمة .

الآرامية : سيثورا .

(صحناة) ادام من السمك الصغير المملح .

الآرامية : صَحْنيثا .

(صحيفة) : كتاب .

الحبشية : صحفيت .

(صراط) أو (سراط) طريق .

اليونانية (στρατα) : ستراتا : > اللاتينية (strata) الآرامية : سطرط : أو : اسطرط : > العربية .

(صراف) رجل مهنته بيع الدراهم أو جبايتها .

الآرامية : صَرّفا .

(صرح) قصر .

الحبشية : صرح : > العربية .

(صرد) برد .

الفارسية : سرد .

(صرم) جلد .

الفارسية : صرم .

(صرمة أو صرماية) النعل أو الحذاء .

انظر : صرم .

(صعتر) نبات طيب الرائحة .

الآرامية : صترا .

(صُفّة) ظُلة .

الآرامية : صفثا :

(صفصاف) شجر ينبت عند مجارى المياه .

الآرامية : صفصفيثا :

(صقر) كل طائر يصيد من البزاة والشواهين .

اللاتينية (sacer) : سكر .

(صك) وثيقة .

الفارسية : صك :

(صلب) قتل على العمود المعروف باسم الصليب .

الآرامية : صلبَ .

(صلة) جلد يابس .

الآراميه : صلا > اليهودية الآرامية צלא صَلاَ .

(صليب) عود يعتقد المسيحيون أن السيد المسيح صلب عليه .

الآرامية : صليبا .

(صنار) شجر الدلب .

الفارسية : چنار : > الآرامية : صنر .

(صنارة) حديدة دقيقة معققة فى رأس المغزل أو لصيد السمك .

الآرامية : صنرثا .

(صنج) صفيحة مدورة من الصفر يضرب بها على أخرى مثلها للطرب .

الفارسية : چنك : > الآرامية : صنجا : > العربية.

(صندل) شجر هندى يحمل ثمراً فى عناقيد له حب أخضر .

الفارسية : چندل : > الآرامية : صندل .

(صندوق) وعاء له طبق يصنع غالباً من الخشب .

الآرامية : صندوقا .

(صنط) نوع من الشجر ينمو فى مصر يعرف فى النبات باسم (acacia nilotica) .

المصرية القديمة .

(صنفرة) مادة للصقل .

التركية : ذِيماره (كاغدى) .

(صنم) وثن .

الأكادية . صَلْمُ : > الآرامية : صلما .

(صهريج) حوض يجتمع فيه الماء .

الآرامية : صهريج .

(صواع) مكيال يكال به .

الحبشية : صواع : > العربية .

(صورة) وجه .

الأكدية صُوْرة : > الآرامية : صورتا : > العربية .

(صولجان) العصا المنعطفة الرأس .

الفارسية چولكان .

(صومعة) منار الراهب .

الحبشية : صومعات : > العربية .

(صَيدانة) السيئة الخلق من النساء .

الحبشية : صيدينات : > العربية .

(صير) شق الباب حيث يلتقى الرتاج والعضادة .

الآرامية : صيرثا .

(صيقل) من يجلو السيوف ويشحذها .

الآرامية : سقل : > الآرامية اليهودية (סיקלא) . سيقلا .

(صيوان) فسطاط .

الفارسية : سايبان : سقف يقى من الشمس .

(ط)

(طابور) صف .

تركية : طابور .

(طابية) حصن .

التركية : طابية .

(طاجن) اناء يحضر فيه الطعام .

اليونانية τηγανον : تيجنون : > الآرامية : طجنا : أو : طاجنا : أو طيجنا

(طارقة) مجن .

الايطالية Targa : ترجه : > العربية .

(طاس) أو (طاسة) اناء يشرب منه .

الاكادية : تش : > الآرامية : طسا : > العربية .

(طاظجة) حديثة .

الفارسية : تازه .

(طاظه) حديثة .

أنظر : طاظجة .

(طاعون) وباء .

الآرامية : طعون .

(طالونة) كعب الحذاء .

الايطالية : tallone : تلونه : > العربية .

(طاولة) مائدة .

الايطالية tavola : تافولا : > العربية .

(طاؤوس) طائر مشهور بجمال ريشه .

اليونانية ταώς : تاوس > الآرامية : طوسا .

(طبانجة أو طبنجة) مسدس .

التركية : طبانجه > العربية .

(طبس) صينية يقدم عليها الطعام .

التركية : تپسی > العربية .

(طبق) إناء يؤكل فيه .

الفارسية : تابه : > الآرامية : طبقا : > العربية .

(طبل) آلة من آلات الموسيقى يضرب بها وتكون من ذات وجه أو وجهين .

اليونانية ταβάλα : تبل : > الآرامية طبلا .

(طبلية) مائدة .

اليونانية ταβλά : تبلا : > الآرامية : طبليثا : > العربية .

(طرابيزه) مائدة .

اليونانية τράπεα : ترابيزا : > العربية .

(طراز) زخرفة الملابس .

الفارسية : تراز : > العربية .

(طربوش) غطاء رأس لبعض الرجال فى الشرق .

التركية طربوش : > العربية .

(طرشى) طعام من بقول وخضروات يحضر عادة فى الخل

الفارسية : ترش : أى حريف .

(طرة) رسم خاص يعبر عن اسم الحاكم ومن اليه .

أنظر مادة — طغراء .

(طريخ) سمك صغير يعالج بالملح .

اليونانية ταριχος : تريخوس : > الآرامية : طاريكا .

(طرش) صمم .

الآرامية : طروشا : > العربية .

(طسق)

اليونانية ταξις : تكسيس . > الآرامية : طسقا .

(طسوج) ربع دانق .

الفارسة : تسو : > الآرامية : طسوجا .

(طغراء) رسم خاص يعبر عن اسم الحاكم ومن اليه .

التركية : طغرا : > العربية .

(طقس) جو .

اليونانية : ταξις .

(طقم) كسوة .

اليونانية ταγμα : تجا : < العربية .

(طشت) اناء من نحاس لغسل اليد .

الفارسية : تشت : < الآرامية : طشت .

(طلسم) تعويذة .

اليونانية : τέλεσμα : تلسما : < العربية .

(طلق) دواء اذا طلي به منع حرق النار .

الآرامية : طلق .

(طمى) طين النيل .

المصرية القديمة .

(طنبور) ضرب من القيثارة .

الفارسية : طنبورة : < العربية .

(طنجرة) إناء يُعد فيه الطعام .

الفارسية : تنكـيره : < الآرامية : طنجيرا : < العربية .

(طنفسة) بساط .

الآرامية : طنفستا .

(طوالة) المزود .

الايطالية (tavola) : تافولا : < العربية .

(طوب) لبن يستخدم فى البناء .

المصرية القديمة .

(طورية) فأس .

المصرية القديمة .

(طوف) قرب ينفخ فيها ويشد بعضها الى بعض كهيئة السطح .

الآرامية : طف .

(طومار أو طامور) صحيفة .

الحبشية : طومار .

(طيط) كلمة تستخدم للاستهزاء والسخرية .

الاكادية : طيطُ : > الآرامية : طيطا : > أي : غائط : > العربية .

(طيلسان) معطف من الصوف .

الفارسية : تاليسان : (تاليشان) > العربية .

(طين) تراب أو رمل وكلس يخلط بالماء ويطلى به .

الأكادية : طيط : > : طيناً : > العربية .

ويلاحظ أن معنى الكلمة أصلا : غائط .

(طيهوج) ذكر السلكان .

الفارسية : تيهو : > الآرامية : طيهوج .

بلاى

وميلاد أشتُريس ، وقيام حركة المقاومة النصرانية

فى شمال اسبانيا

حينما وصلت جيوش الاسلام الفاتحة الى لُكْ (*Lugo=Lucus Asturum*) وأوغلت فى الجبال الصخرية المفضية الى سواحل كنتبريه القاحلة ، وأشرقت عند جيخون على خليج بسكايه[1]، اعتقد قادة المسلمين أنهم فرغوا من افتتاح هذه الناحية، وتحولوا بجهودهم الى الركن الشمالى الشرقى من شبه الجزيرة فيما يلى الخط الممتد من برشلونة الى (أماية) ماراً بلاردة وسَرَقُسطة وتُطيلة وقَلَهُرّة وتَبخرة ومايلى ذلك من منطقة البُوتات وما إلى شمالها من أراضى غالة[2]. ولم يكن يخطر على بال موسى وطارق — ومن جاء بعدهم — أن الركن الشمالى الغربى القصى المسمى « جليقية » الذى خلفوه وراءهم دون فتح — استصغاراً لشأنه — إنما كان فى الواقع حصناً لجأت إليه أعداد قليلة من بقايا القوط ، واطمأنت الى الحياة فى هضابه ووديانه، وأخذت تنتظر الفرصة المواتية لتخرج منه وتنساح فيما يليه من الأرض رويداً رويداً ، لتكوّن لنفسها دويلة لا تزال تتسع بجهود أمرائها ومواتاة الظروف إياها حتى تصبح كتلة صلبة لن يستطيع العرب القضاء عليها ، ولا تزال أحداث الزمان تجرى بها الى سعود حيناً والى نحوس حيناً ، حتى تضعف دولة الاسلام فى شبه الجزيرة ، فيتنفس أهل جليقية الصعداء ، وينقلبون من الدفاع الى الهجوم ، ويتيح لهم المسلمون الفرص بما أسرفوا فيه من الخصومات فيما بين أنفسهم ، حتى إذا هدموا دولتهم

(١) كان خليج بسكايه يعرف فى العصر الرومانى بالبحر الغالى الكنتبرى الأكويتانى *Mare Gallicum Cantabricum Aquitanicum* . انظر
FRANCISCO CONDEMINAS Y LUIS VISINTIN : *Atlas Historico de España.*
الخريطة رقم ٤ من هذا الأطلس .

(٢) ابن عذارى : البيان ، ج ٢ ص ١٨

بأيديهم وانفرد كل فريق منهم بقطعة منها ، أقبل هؤلاء المتحصنون فى الشمال يستعيدون من المسلمين البلاد بلداً بعد بلد ، حتى استخلصوا شبه الجزيرة كله من أيديهم ، بعد قرابة القرون الثمانية من الجهد والكفاح .

وليس من الصواب فى شىء أن يذهب الانسان الى أن العرب أخطأوا إذ تركوا هذا الركن القصى دون فتح ، فقد كان فى الواقع على أيام موسى هضبة مقفرة ماحلة باردة لا أهمية لها من أية وجهة حربية أو عمرانية ، تحيط بها غابات كثيفة . وكان طبيعياً أن يخلفها العرب دون فتح . ولم تأت العلة — فيما بعد — من تركه ، بل من انقسام العرب أنفسهم وانصرافهم الى منازعات الجنس والعصبية : فقد قضت هذه المنازعات على أعداد كبيرة منهم ، وصرفت جهودهم عن مراقبة الجزيرة والاستمرار فى اليقظة على سلامة دولتهم فيها ، بل أدت حروب العرب والبربر الى مبارحة معظم البربر للنواحى التى كانوا قد استقروا فيها فى الشمال الغربى الأقصى، وانحدارهم الى الجنوب، بل الى عودة أعداد عظيمة منهم الى افريقية ، فتخلفت وراءهم مساحات فسيحة من الأرض كان من الطبيعى أن يتقدم القوط والأيبيريون الرومان للسكنى فيها دون خوف ، فاستعادوا بهذا الشكل نحو خُمس شبه الجزيرة دون أن يفطن العرب الى ذلك ، فاذا استوثقوا من أنفسهم فى هذا الخمس فقد كثرت أعدادهم وتنسموا شيئاً من الرخاء أعانهم على الثبات للمسلمين وعلى ردهم عن بلادهم أولا، ثم شجعهم على التقدم نحوهم والاستيلاء على الأرض والبلاد من أيديهم فيما بعد .

وتسمى هذه الحركة فى تاريخ اسبانيا بحركة « الاسترداد » *La Reconquista* والأسبان يعتبرون تطوراتها الحلقات الرئيسية لسلسلة تاريخهم القومى الذى يبدأ بضعة قرون قبل المسيح ، حينما هبط الفينيقيون شبه الجزيرة الأيبيرية ، ويتصل أثناء العصور الاغريقية والرومانية والقوطية النصرانية ، ويستمر خلال الفترة الاسلامية متمثلا فى هذه الدويلات التى نشأت فى الشمال ، وأخذت تتسع حتى قضت على دولة الاسلام فى البلاد وأعادتها نصرانية كما كانت .

ولا شك فى أن إطلاق تسمية « الريكونكيستا » على حركة المقاومة النصرانية منذ ميلادها فى أوائل القرن الهجرى الثانى (النصف الأول من القرن الثامن المسيحى) وربطها بحركة الاسترداد الحقيقى ، التى بدأت بصورة جدية محسوسة

بعد زوال خلافة قرطبة وانتثار دولة الاسلام فى شبه الجزيرة فى أوائل المائة الخامسة للهجرة، لايخلو من خطأ، لأن اشتُريس إنما ولدت فى ناحية لم يفتتحها العرب قط، فبلادها لا يعد بدء لحركة الاسترداد، وإنما يعد ميلاداً لحركة المقاومة للسيادة الاسلامية. وقد بدأت حركة الاسترداد فعلا فى أواخر أيام « بلاى » على ماسيجىء، ونشطت على أيام أذفونش الأول، ولكنها وقفت بعد ذلك زماناً طويلا، ولم يتجدد نشاطها إلا بعد أيام المنصور بن أبى عامر. ومن هنا يجوز لنا أن نعترض على ماتجمع عليه التواريخ الاسبانية من أن حركة الاسترداد إنما كانت معركة دامت ثمانى قرون *La batalla de ocho siglos* وقد اعترض على هذه التسمية نفر من معتدلى المؤرخين الأسبان.

وقد كان مؤرخو الأسبان ومن شايعهم من الأوروبيين ينظرون إلى الفتح الاسلامى على أنه حادث طارىء، طال زمنه ثم انتهى أمره، دون أن يخلف فى البلاد أثراً يذكر، ولهذا كان هؤلاء المؤرخون يمرون بالفترة الاسلامية مروراً عابراً لا تظفر منه إلا ببضع صفحات من مؤلفاتهم ولم يتبين الأسبان أهمية هذه العصور الاسلامية إلا من أواخر القرن الماضى، ولم يعتبروها جزءا هاما مجيدا من تاريخهم إلا من أوائل القرن الحالى، نتيجة لجهود طائفة من المستشرقين الأسبان، لم يدخروا جهدا فى كشف النقاب عن جلال هذه العصور الاسلامية وما قام خلالها من حضارات، وما خلفته للاسبان وللحضارة البشرية من تراث مجيد.

فاذا كان هذا هو مكان حركة الاسترداد هذه من التاريخ الأسبانى العام، فلا بد لدارس التاريخ الأندلسى من الوقوف عندها بين الحين والحين ليرقب تطوراتها، لأن العلاقات الحربية وغير الحربية بين المسلمين والنصارى فى اسبانيا تكوّن جزءاً هاما من تاريخ العصور الاسلامية نفسها. بل ستكون هى الناحية الهامة الخطيرة من تاريخ هذه العصور ابتداء من القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى).

وطبيعى ألا نجد من مراجعنا العربية أى اهتمام كبير بمبادىء هذه الحركة، لأنها كانت فى أول الأمر خافية أو كالخافية، لا يكاد يحفل لها مؤرخ يتتبع الحوادث الهامة، وطبيعى كذلك أن تهتم بها المراجع النصرانية اللاتينية

الاسبانية اهتماما عظيما ، لأن مصنفيها كانوا قساوسة ورهبانا عاشوا فى مدائن الدول النصرانية الشمالية أو فى العواصم الاسلامية ، ولكن اهتمامهم بها لم ينفعنا كثيراً ، لأن أسلوبهم فى كتابة التاريخ فى هذه الأعصر كان يقتصر على تسجيل قوائم من التواريخ والأحداث موجزة إيجازاً شديداً ومضطربة اضطرابا بالغاً ، ولهذا فاننا لا نستطيع الانتفاع بها إلا إلى حد محدود جداً .

لهذا كله كادت الحقائق الخاصة بتطورات هذه الحركة تضيع بين إهمال المراجع العربية واضطراب المراجع النصرانية ، وظلت مبادئها وتطوراتها فى أدوارها الأولى نهباً مقسما بين الغموض والأساطير ، وأصبح من العسير جداً أن نكتب فى شىء من الثقة عن أول أبطالها المسمى بلاى [1] بن ڤافيلا وعن أول حوادثها الجسام التى تسميها المراجع بواقعة « كوڤا دونجا » .

الأيبيريون الرومان

وكذلك يحيط الغموض فى مراجعنا العربية بحقيقة الأجناس التى كانت تسكن اشتريس وكنتبريه على أول أيام الفتح الاسلامى ، لأن أصحاب المدونات اللاتينية الاسبانية فى العصور الوسطى يسمونهم « القوط » فى حين يجعلهم العرب قوطاً أو جلالقة ، وهم يريدون بالجلالقة أهل الركن الشمالى الغربى لشبه الجزيرة الاسبانية، والواقع أن هذه الناحية كانت تسكنها جماعات من الأيبيريين ، وهم جنس قديم أقبل إلى شبه الجزيرة من إفريقية واستقر فيها من أقدم العصور ، يمتاز بالنشاط والذكاء ويعتبر أساس سكان شبه الجزيرة كلهم ، وأما من أتوا بعد ذلك فمهاجرون اختلطوا بهذا العنصر الافريقي الأصيل. وأول من هاجر إلى شبه الجزيرة واختلط به جنس أوروبى قديم — جرمانى فى الغالب — هاجر إلى شبه الجزيرة من الشمال فى أعداد قليلة اختلطت بالعنصر الأفريقي وتكون منهما العنصر المسمى بالأيبيرى *Los Ibberos*.

وتوالت الهجرات بعد ذلك على شبه الجزيرة ، أهمها هجرة الكلت وقد اختلط معظمهم بالايبيريين ، وبقيت بعض جماعاتهم صافية فى نواحى جليقية ، ثم نزلت

---

(1) Pelayo ، هذه هى الصورة الأسبانية لاسمه ، أما صيغته فى اللاتينية فهى Pelagius وقد آثرت استعمال الصورة الاسبانية لأنها أشيع ، ولأن هناك من المؤرخين من يقول بأنها الأصل كما سنرى .

البلاد جماعات من الفينيقيين واليونان ، ثم أعقبت ذلك موجة الفتح الرومانى الذى شمل البلاد كلها ونظمها للمرة الأولى تنظيما إداريا ، وإلى هذا الأثر العمرانى ترجع القيمة العظيمة لهذه الموجة الرومانية التى طبعت البلاد بالطابع الرومانى ، حتى أصبح أهلها يعرفون بالايبيريين الرومان من ذلك الحين *Ibero-Romanos* ، فلما أقبل القوط لم يختلطوا بأهل البلاد ، فبقى سكان شبه الجزيرة أيبيريين روماناً فى حين كانت الطبقة الحاكمة من القوط[1] .

صخرة بلاى

تتفق المراجع العربية وغير العربية على أن فلولا من القوط فرت أمام الفاتحين المسلمين ، ولازالت تتقهقر نحو الشمال حتى اعتصمت منهم بركن قصى من « جليقية » الذى تسميه المراجع العربية « صخرة بلاى » والاسبانية (*Picos de Europa*) فى ناحية كنتبريه القاحلة[2] . وهناك اطمأن بها المقام ، لأن العرب عجزوا عن الوصول إليها أو استصغروا شأنها ، ولم يجدوا على أنفسهم بأساً فى تركها حيث هى . وتبالغ المراجع العربية فى استصغار شأن هذه الأعداد ، فيقول عيسى بن أحمد الرازى مثلا : « ... ولم يبق إلا الصخرة ، فانه لاذ بها ملك يقال له بلاى ، فدخلها فى ثلاثمائة رجل ، ولم يزل المسلمون يقاتلونه حتى مات أصحابه جوعا ، وبقى فى ثلاثين رجلا وعشر نسوة ، ولاطعام لهم إلا العسل يشتارونه من خروق بالصخرة فيتقوتون به ، حتى أعيي المسلمين أمرهم واحتقروهم وقالوا : ثلاثون علجا ، ما عسى

(1) Cf : F. Olóriz : *Distriburión geográfico del índice cefálico en España* (Boletín de la Royal Sociedad Geogáfica, Vol. XXXDI, 1894, primer semestre. pp. *294–499*.

(2) تسميها المراجع العربية فى الغالب « الصخرة » اختصارا ، وقد ترجمها لافوينتى أى الكانترا *El-Roca* مجاراة للمسلمين فى تسميتهم . وهم يجعلونها فى جليقية *Galicia* خطأ ، مع أنها فى كنتبرية ، وهى أقصى قمم كنتبريه ارتفاعا وأبعدها الى الشمال ، وهى الناحية التى تحصن بها بلاى ومن معه . وثابت من المراجع الاسبانية أن « بلاى » وأصحابه احتموا من المسلمين فى مغارة ونجا (Cova de onga) الواقعة فى جبال « بيكوس دى أوروبا » ، وقد وصفها الكونت سان سو بقوله : « كتلة هائلة من صخر الجبل يقيم الانسان فيها ثلاث قمم : قمة الى الشروق تسمى « أندارا » وثانية وسطى تسمى *Bulnes* وثالثة غربية تسمى قمة كوفا دونجا . ويبلغ متوسط ارتفاع الصخرة ٢٦٠٠ مترا
Cf : Le conte Saint-Saud : *Monojaphie des Picos de Europa. Etudes et Voyages*, Paris 1923,

أن يجيء منهم! »[1]. ويقول ابن عذارى : « فما زال المسلمون يضيقون عليهم حتى صاروا ثلاثين رجلا، وحتى فنيت أزودتهم ولم يتقوتوا إلا بعسل يجدونه في خروق الصخرة ، وأعيي المسلمين أمرهم فتركوهم »[2]. وانصرف المسلمون عن (بلاى) وأصحابه ، فاطمأن المقام بهم واختلطوا بأهل هذه الناحية من الأيبيريين الرومان ، فأخذت أعدادهم تتزايد ، وازداد أمرهم ثباتا .

ومن الثابت أنه كان على رأس هؤلاء القوط الهاربين إلى «الصخرة» نفر من أهل بيت لذريق ونفر من كبار القوط وعدد آخر من القساوسة ورجال الدين الذين فضلوا الهجرة والعيش في هذه النواحي القاصية على العيش في البلاد التي فتحها المسلمون . ويذهب بعض المؤرخين إلى ان نفراً من هؤلاء الهاربين أخذ يفارق صخور كنتبرية ويعود إلى مواطنه الأولى بعد أن اطمأن إلى عدل المسلمين [3] ، بل إن بعضهم تبع غيره من أهل البلاد ودخل في الدين الجديد ، ولم تحدد لنا الروايات تاريخاً لذلك وإن كنا نظن أنه حدث خلال ولاية عقبة الحجاج السلولى (أى بين سنتى ١١٦ و١٢١ هـ) .

بلاى

وهنا ينبغى أن نسأل : من هو بلاى هذا الذى تذكره النصوص وتنسب إليه أعمالا كثيرة جعلته فى الطليعة من شخصيات التاريخ الاسبانى؟ نبدأ بروايات المراجع النصرانية عنه لأنها أوثق صلة بهذا الموضوع: نذكر أقدمها وهى رواية مُدوّنة البلدة (*Chronicon Abeldense*) : أن بلاى كان ابن أمير قوطى يسمى برمودو (*Vermudo*) وابن أخ للُذريق ، وأنه — أى بلاى — اختلف مع لذريق ، فنفاه هذا عن طليطلة قبيل دخول العرب البلاد ، فذهب إلى اشتريس وأقام نفسه أميرا عليها ، وأقام بلاطه فى بليدة (*Cangas=Canicas*) تسعة عشر عاما . ومات فيها سنة ٧٣٧ [4] . ورواية سبستيان السلمنتى أكثر تفصيلا ، فهى تذهب إلى أنه عند ما غزا العرب الأندلس هلك معظم القوط

(١) عيسى بن أحمد الرازى ، فى نفح الطيب المقرى : ج ٢ ص ٦٧١ — ٦٧٢

(٢) ابن عذارى : البيان ج ٢ ص ٢٩

(٣) LÉVI-PROVENÇAL : *Histoire de l'Espagne Musulmane*, I p. 47.

(٤) HUICI : *Crónicas Látinas de la Reconquista. Chronicon Albeldense* : I p. 157.

بالسيف أو بسبب الجوع ، وأن من نجا من أفراد بيتهم الهالك فر بعضهم إلى غالة ، ولجأ معظمهم إلى اشتريس ، حيث أقاموا على أنفسهم بلايو بن الدوق فافيلا أميرا ، وقد حكم بلاى تسعة عشر عاما وتوفى سنة ٧٣٧ م ، وألحد مع زوجته « جاوذ يوسا » فى كنيسة سانتا أو بلاليادا فيلا بينو[1] . وتضيف مدونة سيلوس (Chronicon silense) أن بلاى كان حامل سيف للذريق (Spatarius regis Roderici)، وأنه هرب إلى اشتريس حينما غزا العرب البلاد وتشرد فى نواح غير معروفة منها حينا (يجمع النـاس لحرب المسلمين) (Vagabatur incertis locis)، فلما اكتملت له العدة نازلهم وانتصر عليهم، فأكبره القوط لهذا وأقاموه عليهم أميرا[2] وأما تاريخ اسبانيا العام (Cronica general de España) الذى صنفه ألفونس العاشر المعروف بالعالم ، فيذهب إلى أن بلاى كان ابنا « لفافيلا » دوق كنتبريه الذى كان الملك إجيكا قد نفاه من طليطلة، فمضى إلى توى (Tuy) واستقر فيها حينا ، وهناك مات بسبب ضربة عصا كانت قد أصابته من يد غيطشة ، الذى كان يطمع فى زوجته (أى زوج فافيلا) ، فلما صعد غيطشه إلى العرش نفى بلاى من طليطلة ، وأراد أن يفقأ عينيه ، ففر إلى كنتبريه ، وهناك تزعم أهل هذه الناحية، ودعاهم إلى الوثوب بالعرب، واستطاع الانتصار عليهم فى معركة عند مغارة أونجا (La Cueva de Onga) سنة ٧١٨م[3] ويضيف لوقا التُّودى (Lucas Tudense) فى تاريخ العالم (Chronicon mundi) قصة تعلق « مونوسة » — الأمير المسلم على هذه النواحى، وكان مقيما فى جيجون — باحدى بنات بلاى ، مما أدى إلى الخصومة بين الرجلين، ووقعت الحرب بينه وبين المسلمين، فأقامه القوط ملكا عليهم قبل لقائه إياهم وانتصاره عليهم فى « معركة مغارة أونجا » ، وتوفى فى كانجاس سنة ٧٣١م بعد أن حكم ثمانية عشر عاما، ويذهب ألفونس كذلك الى أن فافلة أبا بلاى كان ابنا لشند سفنتو ، وربما زعم لوقا هذا رغبة منه فى أن يجعل بلاى سليلا للبيت القوطى[4] .

(1) Huici : *op. cit.* I. p. 206.

(2) Huici, *op. cit* II. p. 44.

(3) *Primera Crónica General* de España (Madrid 1906) pp. 303-499.

(4) Lucas Tudense. *Chronicon Mundi*, apud: Schott : *Hispaniae ilustratae Scriptores varii* : 17 n. 2-220, 695 n. 1.

وأما الروايات العربية عن أصل «بلاى» فأكثرها تفصيلا رواية «ابن حيان» التى يقول فيها: «قال غير واحد من المؤرخين: أول من جمع فل النصارى بالأندلس — بعد غلبة العرب لهم — علج يقال له بلاى من أهل اشتريس من جليقية، كان رهينة عن طاعة أهل بلده، فهرب من قرطبة أيام الحر بن عبد الرحمن الثقفى، الثانى من أمراء العرب بالأندلس، وذلك فى السنة السادسة من افتتاحها سنة ٩٨ من الهجرة، وثار النصارى معه على نائب الحر بن عبد الرحمن، فطردوهم وملكوا البلاد، وبقى الملك فيهم الى الآن [١]».

ويذهب صاحب «الأخبار المجموعة» الى أنه كان جليقياً من أهل أشتريس [٢]، ويؤيده ابن خلدون فى رأيه هذا، ويقول «إن أمم النصرانية أجفلت أمام المسلمين إلى سيف البحر من جانب الجوف، وتجاوزوا الدروب وراءه قشتالة، واجتمعوا بجليقية، وملكوا عليهم بلاية بن قافلة، فأقام ملكا فيهم تسع عشرة سنة، وهلك سنة ١٣٣، وولى ابنه قافلة سنتين، ثم هلك فولوا عليهم بعدها أذفونش بن بيطره الذى اتصل الملك فى عقبه الى اليوم، ونسبهم فى الجلالقة من العجم كما تقدم، ويزعم ابن حيان أنهم من أعقاب القوط، وعندى أن ذلك ليس بصحيح، فإن أمة القوط قد دثرت وغبرت وهلكت، وقل أن يرجع أمر بعد اندثاره، وإنما هو ملك مستجد فى أمة أخرى والله أعلم [٣]».

أى أنه يقرر مع المقرى وصاحب الأخبار المجموعة أن بلاى جليقى من أهل الشمال، وليس قوطياً، ونلاحظ أن ابن خلدون لا يؤيد رأيه إلا بدليل استخرجه

---

(١) ابن حيان عند المقرى، نفح الطيب: ج ٢ ص ٦٧١

(٢) الأخبار المجموعة، ص ٦١

ونص عبارتها: «... فثار أهل جليقية على المسلمين، وغلظ أمر علج يقال له «بلاى» قد ذكرناه فى أول كتابنا، فخرج من «الصخرة» وغلب على كورة (هنا كلمة أسقطها الناسخ ولم يلحظ ذلك الناشر) واشتريس...» وقد جعل تاريخ هذا الحادث سنة ١٣٣هـ (٧٤٠ — ٧٤١م) ولما كان من الثابت أن بلاية توفى سنة ٧٣٧م (حوالى ١٣٠ هـ) فإن لافوينتى أى الكانتارا فى تعليقاته على الترجمة الاسبانية للأخبار المجموعة يذهب الى أن مؤلف «الأخبار» يخلط فى هذه الفقرة بين أعمال بلاى وأعمال اذفونش بن بيطره.. وهو رأي معقول. أنظر الترجمة الاسبانية للأخبار المجموعة ص ٦٦ هامش ٥

(٣) أورد «دوزى» نص ابن خلدون فى ملاحق أبحاثه: *Cf:* Dozy, *Recherches* (3° éd. 1881) I, appendice III pp. X, XI.

من فلسفته ، فلا يمكن — في رأيه — أن يكون الرجل قوطياً ، لأن مُلك القوط قد اندثر ، ولا يمكن أن يقوم أمر القوط بعد ذلك ، وسنرى أن قانونه لم يصدق هذه المرة .

كوفادونجا

ولم يكن أحد من المؤرخين ليتنبه الى «بلاى» هذا لو لم يقترن اسمه إلى صراع قصير مع العرب أعانه الحظ على التوفيق فيه ، فانتصر عليهم وأبعدهم عن النواحي التي كان يبسط عليها سلطانه . وقد بالغت المراجع النصرانية في تصوير هذا النصر ، وجعلته شيئا أشبه بالفتح العظيم ، وزاده مؤرخو الاسبان تقديرا وإجلالا مع الزمن ، فجعلوه بدءاً لصراعهم لتحرير بلادهم من المسلمين ، وإيذاناً بميلاد اسبانيا النصرانية من جديد . ومن هنا أهميته التي تحدونا إلى أن نقف عنده وقفة تتفق مع قدره في التاريخ الاسباني عامة .

تكاد المدونات اللاتينية الاسبانية كلها تجمع على ذكر هذا الانتصار ، وإن اختلفت فيما بينها في التفاصيل وتحديد التواريخ اختلافا بينا .

ومصدر هذه الروايات النصرانية كلها قصة طويلة أوردها «سبستيان السلمنتى» في تاريخه يقول فيها : «إن بلاى حينما انتهى به المطاف إلى ناحية «الصخرة» أعلن نفسه أميراً على ما يجاورها من النواحي واتخذ قرية كانجاس (Cangas = Canicas) مركزاً لأعماله ، وهناك أعلن الثورة على العرب وصارحهم بالعداء ، فأرسل اليه المسلمون جيشاً كبيراً يقوده قائد من كبار قوادهم يسمى علقمة[1] ، فغزا اشتريس وتوغل في أرضها ، فلما سمع بلاى بذلك تحصن في جبل أوسبة *Auseva* في مغارة القديسة مارية (*Cova Sanctae Mariae*) التي تسمى كذلك

---

(1) لم يرد ذكر علقمة اللخمى هذا على صورة صريحة في مراجعنا الاسلامية . ولكن وجود ابنيه عبد الرحمن وتمام يؤيد تواجده في الاندلس أوائل أيام الفتح ، فقد كان أولهما قائدا لقوات المسلمين في جنوبي غالة وكان من كبار اليمنية ، وقد قام بدور كبير في الحروب بين الشاميين والبلديين . وهو الذى قتل بلج بن بشر في معركة «أقوة برطورة» ، ويصفه صاحب «الأخبار المجموعة» بأنه كان : «ويعد فارس أهل الأندلس» وأنه «كان فارس نجدة مع جودة الأتقاء ، وعليه سلاح كريم لايحبك فيه سيف حصين» (ابن الدجن العقيلي) انظر : الأخبار المجموعة ، ص ٤٣ — ٤٤ وكان الثانى من كبار موالي بنى أمية في الأندلس وكان من الاعمدة التي أقامت ملك عبد الرحمن الداخل . راجع نفس المصدر : ص ٧٥ وما بعدها .
وابن الأبار . الحلة السيراء ص ٣٣ وما بعدها .

«مغارة أونجا» فحاصره المسلمون وضيقوا عليه، وكان معهم أُبَّه (Oppas)[1] أخو لذريق الذى انضم الى المسلمين لأشياء نقمها عليه. فمضى أُبَّه إلى بلاى، وحاوره محاولا اقناعه بالتسليم للمسلمين ، وأورد لنا سباستيان نص هذه المحاورة مفصلا، فلم يفلح فى اقناعه، فاذا فشلت هذه المحاولة فقد قام المسلمون بهجوم عنيف على الجبل والمغارة بالمعاول (Fundibala) والسهام، وهنا حدثت معجزة: إذ كانت السهام ترتد نحو المسلمين أنفسهم ! وانتهت المعركة بهزيمة المسلمين وقتل ١٢٤ ألفاً منهم، فيهم القائد علقمة نفسه، وأخذ «أبه» أسيراً ونجا من المسلمين ثلاثة وستون ألفا فروا هاربين، فتسلقوا جبل أوْسِبة وانحدروا من الناحية الأخرى، وساروا فى خانق فى الجبل يسمى خانق أنكورا (El Tajo de Ancora) وانحدروا الي إقليم ليبانا (Liebuna) وهنا حدثت معجزة أخرى: إذ أن الجبل انهار من الناحية المشرفة على مصب نهر الديفا (Deva) فطمر بقية المسلمين[2].

وتلى رواية سباستيان فى الأهمية والطول رواية «مدونة البلدة» التى تذهب إلى أن ثورة بلاى حدثت فى أيام يوسف الفهرى، وكان مونوسة حاكما على أشتريس فى ذلك الحين ومقيما فى ليون، فسار نحو بلاى جيشٌ اسلامى يقوده رجل تسميه المدونة ألوامان (Alcaman = Aloaman) = علقمان = علقمة ؟ وكان معه «أبه» فانهزم المسلمون وأسر «أبه»، ومات مونوسة بعد ذلك بزمن. وأما الذين نجوا من القتل فقد هلكوا بناحية ليبانا (Liebana) إذ انهار عليهم الجبل بارادة الله[3].

وورد ذكر الواقعة كذلك فى «مدونة سيلوس»، ولكن ما فيها إن هو إلا تكرار لما قاله سبستيان السلمنتى و «راهب البلدة» مع إضافات يسيرة. منها أن ثورة بلاى حدثت فى بليدة (Cangas)، وهو يسمى علقمة (Alchaman) ويقدر

---

(١) هذه هى الصورة العربية لاسم Oppas كما أوردها صاحب الأخبار المجموعة (انظر ص ٨) وهو أحد ابنى غيطشة Witiza ملك القوط الذى غصبه لذريق العرش. وقد سماه إبن القوطية «عباس».

(٢) Ambrosio Huici: *Las Cronistas látinas de la Reconquista*, I, (Valencia 1913). *Sebastiani Chronicon. Pelagius* p. 206.

(٣) A. Huici: *op. cit. Chronicon Albeldense*. I. p. 159.

العرب بمائة وسبعة وثمانين ألفا ، ويذكر أن معجزة انهيار الجبل حدثت على مقربة من نهر الديفا بناحية ليبانا ، وأن مونوسة كان مقيما ببلدة جيجون . فهرب عندما سمع بخبر الهزيمة ، وقتله أهل هذه النواحي فى قرية أولاليس (*Olalies*) [1] .

وتكتفى مدونة كمبستيلة (*Compostela*) بالقول بأن بلاى طرد المسلمين من هذه الناحية واحتلها [2] ، فى حين لا تزيد مدونة « شرطانية » على أن المسلمين سادوا شبه الجزيرة كله إلا « مغارة مارية المقدسة [3] » .

أما مراجعنا الاسلامية فقد أشارت إلى وثوب بلاى بالمسلمين فى ناحية « الصخرة » ومحاولتهم القضاء عليه وهزيمته إياهم . وإشاراتها كلها موجزة غير دقيقة التحديد ، ولكنها تدل على فهم أصحابها لأهمية الدور الذى لعبه بلاى فى تاريخ دول إسبانيا النصرانية والاسلامية أيضاً ، وما ترتب على نهوضه فى وجه المسلمين وحربه معهم من النتائج البعيدة فى تاريخ شبه الجزيرة كله : فعيسى بن أحمد الرازى يقول : وفى أيام عنبسة بن سحيم الكلبى قام بأرض جليقية علج خبيث يقال له « بلاى » من وقعة أخذ النصارى بالاندلس ، وجد الفرنج فى مدافعة المسلمين عما بقى بأيديهم ، وقد كانوا لا يطمعون فى ذلك [4] » مما يفهم منه أن الرازى كان يعتبر « بلاى » منشىء حركة المقاومة النصرانية ومجدد دولة النصرانية فى الاندلس من جديد بعد تفرق أمرها على اول أيام الفتح ، وأن نهوضه بأمرها كان الحجر الأول فى بنائها الجديد ، فقد قوى شأنها بعد ذلك ، ونظر أهلها الى مدافعة المسلمين عما استولوا عليه ، بعد أن كانوا لا يطمعون فى ذلك قبل ظهور « بلاى » . ولابن حيان — عميد المؤرخين الأندلسيين — رواية أخرى أدل على شخصية بلاى وقدره يقول فيها : « أنه فى أيامه — أى أيام عنبسة بن سحيم الكلبى — قام بجليقية علج خبيث يدعى « بلاى » ،

(١) A. Huici : *op. cit.* *Monachi Silensis Chronicon*, II, p. 50.

(٢) A. Huici : *op. cit.* *Chronicon ex Historiae Compostellanae*, *Codice* I, p. 80.

(٣) A. Huici : *op. cit.* *Chronicon Cerratensis*, I. p. 90.

(٤) عيسى بن أحمد الرازى فى المقرى ، نفح الطيب ، ج ٢ ص ٦٧١ .

فعاب على العلوج طول الفرار، وأذكى قرائحهم حتى سما بهم الى طلب الثأر، ودافع عن أرضه، ومن وقته أخذ نصارى الاندلس فى مدافعة المسلمين عما بقى بأيديهم من أرضهم والحماية عن حريمهم، وقد كانوا لا يطمعون فى ذلك. وقيل: أنه لم يبق بأرض جليقية قرية فما فوقها لم تفتح إلا «الصخرة» التى لاذ بها هذا العلج، ومات أصحابه جوعا، إلى أن بقى فى مقدار ثلاثين رجلا ونحو عشر نسوة، وما لهم عيش إلا من عسل النحل يجمعونه فى جباح معهم، فى خروق الصخرة. وما زالوا ممتنعين بوعرها الى أن أعيى المسلمين أمرهم واحتقروهم، وقالوا: ثلاثون علجاً ما عسى أن يجيء منهم[1]..»

مما يفهم منه أن «بلاى» كان شهماً شجاعاً، فهاله تراجع قومه المستمر أمام المسلمين، فنهض يستنهض هممهم «ويذكى قرائحهم حتى سما بهم إلى طلب الثأر» وهى عبارة عظيمة المعنى والدلالة، بل إن أحداً من مؤرخى اسبانيا النصرانية القدماء لم يقل مثل هذا القول الذى يحدد دور «بلاى» كواضع أساس حركة «الاسترداد» وصاحب الفضل الأول فيها.

وربما كان مؤرخانا الأندلسيان الكبيران — الرازى وابن حيان — أصدق نظراً وأصح تقديراً لبلاى من عامة من تناول الحديث عنه من أصحاب المدونات النصرانية، الذين لاتخرج رواياتهم عن مبالغات وتفاصيل بعيدة التصديق عن انتصار بلاى على المسلمين عند مغارة أونجا عند سفح جبل أوسبه (*Auseva*)، وهو انتصار محقق لاتنكره الرواية الاسلامية، ولكن مبالغات الروايات النصرانية تلقى عليه ظلا من الشك ربما قلل من قيمته.

يقول صاحب «الأخبار المجموعة» بعد أن يشير الى ظهور بلاى فى ناحية الصخرة: «.. وغزاه أهل استورقة زماناً طويلا، حتى كانت فتنة أبى الخطار وثوابه، فلما كان فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة هزمهم وأخرج (يرد = أخرجهم) عن جليقية كلها، وتنصر كل مذبذب فى دينه وضعف عن الخراج[2]. وقتل من قتل، وصار فلهم إلى خلف الجبل الى أستورقة، حتى استحكم الجوع

(١) رواه المقرى فى نفح الطيب، ج ٢ ص ٩ — ١٠

(٢) هكذا فى الأصل، ولا يستقيم المعنى الا اذا استغنينا عن حرف الجر «عن».

فأخرجوا أيضاً المسلمين عن أستورقة وغيرها ، وانضم المسلمون إلى ما وراء الدرب الآخر ، وإلى قورية وماردة في سنة ست وثلاثين» ويقول بعد قليل «وكاد أن يغلب عليهم — أي على المسلمين — العدو ، إلا أن الجوع شملهم»[1] ونستخلص من روايته هذه الحقائق الآتية :

(أولا) أن « بلاى » خرج على المسلمين في ناحية اشتُريس واستقل بها في ولاية عَنْبَسَة بن سُحيم الكلبي .

(ثانياً) إن جند المسلمين القائم في أستورقة حاولوا اخضاعه « زماناً طويلا » دون أن يوفقوا .

(ثالثاً) أن حركة الرجل أخذت في النمو ، حتى إذا وقعت فتنة أبي الخطار ، واشتغل المسلمون بحربه مع يوسف الفهري والصُّمَيْل بن حاتم انتهز الرجل الفرصة وضاعف جهده ، فهزم المسلمين هزيمة أخرجتهم عن جليقية جملة .

(رابعاً) أن صدى هذه الهزيمة تردد في نواحي جليقية كلها ، فعاد بعض من كان أسلم من أهلها الى النصرانية ، وضعف الخراج تبعاً لذلك .

(خامساً) أن أهل هذه الناحية انقلبوا على المسلمين فقتلوا منهم من استطاعوا قتله ، وفر الباقي الى أستورقة ، ليحتموا بالعسكر الاسلامي المقيم هناك .

(سادساً) ولم يُضع بلاى الفرصة ، فتقدم وأخرج المسلمين من أستورقة واستولى عليها .

(سابعاً) وانسحب مسلمو هذه النواحي عن طريقين : طريق الغرب إلى إقليم سرُقسطة وطريق الجنوب الى ماردة وقورية .

وسنرى بعد قليل أن صاحب «الأخبار المجموعة» خلط بين أعمال «بلاى» وأعمال «أذفونش الأول» ، وأن عمل بلاى لم يتعد الحقائق الأربعة الأولى .

---

(1) الأخبار المجموعة ص ٦٢

ويقول صاحب فتح الأندلس : « وقام علج خبيث من أعيانهم فى أيام عنبسة هذا بأرض جليقية اسمه بِلايُه بن فافِلة على من كان بملك أطراف جهته من العرب ، فتقاهم عنها . فملك سنتين ، ثم ملك ابنه فافلة بعده الى سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، ثم هلك فاستولى على أهل جليقية بعده أذفنش بن بيطرُه جدُّ بنى أذفنش هؤلاء الذين اتصل أمرهم الى اليوم »[1] . وهى رواية مختصرة فيها خطأ كثير فى نسب بلايه وفى تحديد التواريخ ، ولكنها تقرر أن بلاى كان مستقلا بناحيته عن المسلمين ، ثم ثار على من بأطراف هذه الناحية من العرب ، فهزمهم وطردهم عنها .

وللمقرى رواية لا تقل عن هذه أهمية ، وإن لم يسندها إلى أحد ، وذلك حيث يقول : « قال غير واحد من المؤرخين : أول من جمع فل النصارى بالأندلس بعد غلبة العرب لهم علج يقال له « بلاى » من أهل اشتريس من جليقية ، كان رهينةً عن طاعة أهل بلده ، فهرب من قرطبة أيام الحر بن عبد الرحمن الثقفى ، الثانى من أمراء العرب بالأندلس ، وذلك فى السنة السادسة من افتتاحها ، وهى سنة ثمان وتسعين من الهجرة ، وثار النصارى معه على نائب الحر بن عبد الرحمن فطردوه ، وملكوا البلاد ، وبقى الملك فيهم الى الآن »[2] .

وهى إشارة هامة تعيننا على تكوين فكرة عن حياة بلاى قبل لجوئه إلى الصخرة وقيامه بالثورة على المسلمين ، وهى تحدد هروب بلاى من أيدى المسلمين بسنة ٩٨ هـ / ٧١٨ م وهو تحديد سيعيننا على ربط أحداث حياته بعضها ببعض .

وقبل أن نستخلص من هذه الروايات كلها سلسلة واحدة مترابطة الحلقات عن حياة « بلاى » وحركاته ، يجدر بنا أن نناقش التواريخ التى تقدمها لنا هذه الروايات .

---

(١) فتح الأندلس ، ص ٢٩

(٢) المقرى : نفح الطيب ، ج ٢ ص ٦٧١

ليس من اليسير مناقشة التواريخ المتضاربة التى يقدمها إلينا المؤرخون عن هذه الحوادث، لأن المؤرخين النصارى الذين يتحدثون عنها يختلفون فيما بينهم اختلافا عظيما ، فيجعلها « سبستيان » فى أوائل أيام الفتح ، لأنه يذكر أن قائد البعث الاسلامى المنهزم كان « علقمة » وهو من قواد طارق بن زياد ، فى حين يجعلها صاحب « مدونة البَلْدة » فى ولاية يوسف الفهرى ، أى بين سنتى ١٢٩ — ١٣٨ هـ/٧٤٦ و ٧٥٦ م . أما مؤرخونا الاسلاميين فلا يكادون يتفقون هم الآخرون فيما بينهم ، فابن حيان والرازى يجعلان ثورة «بلاى» أثناء ولاية عنبسه بن سحيم (١٠٣ — ١٠٧ هـ / ٧٢١ — ٧٢٥ م) ، فى حين يجعلها صاحب «الأخبار المجموعة» فى بدء ولاية عقبة بن الحجاج السلولى(١٢٢هـ/٧٤٣م) ويكتفى المقرى بالقول بأن بلاى هرب من قرطبة سنة ٩٩ هـ/٧١٧م ، وأنه كان فى اشتريس فى العام التالى(١٠٠ هـ / ٧١٨ م) ، دون أن يزيد على ذلك شيئاً . أما هزيمة بلاى للعرب فيجعلها صاحب الأخبار المجموعة وصاحب فتح الأندلس فى أثناء ثورة البربر على العرب أى فى أوائل فتنة أبى الخطار والصميل ، اى بعد سنة ١٣٣ هـ/٧٥٠ — ٧٥١ م .

وقد حاول إدواردو ساڤدرا أن يستخلص من هذه التواريخ المتناقضة رأياً لا بأس من إيراده ، لأنه يمثل الرأى المتبع بين عامة المشتغلين بتاريخ هذه الأحداث من الاسبان المحدثين .

يقول «ساڤدرا» : أن رواية المقرى صريحة فى أن بلاى هرب إلى صخرته (*Picos de Europa*) فى سنة ٧١٧ م ، وأنه كان هناك فعلا فى سنة ٧١٨ م فى ولاية الحر بن يوسف ، ويعود ابن حيان والرازى فيؤكدان أن بلاى قام بثورته فى ولاية عنبسة، أى بين سنتى ٧٢١ — ٧٢٥ م، وهذا تاريخ معقول ، لأن بلاى لابد أن يكون قد أنفق هذه السنوات فى جمع الأنصار والقيام بغارات صغيرة ومناوشات مع المسلمين أقلقت بالهم ، ففكروا فى إرسال بعث لتأديبه والقضاء على حركته . وحيث أن سبستيان يذكر أن وقعة « كوفادونجا» كانت فى أوائل أيام الفتح ، لأنه يذكر اسم القائد علقمة — الذى تؤيد المراجع العربية وجوده فى هذه الأيام — فان أقرب الفروض الى الصحة أن علقمة

هذا سار لحرب بلاى فى ولاية عنبسة، وهناك حدثت الوقعة، وانهزم هذا البعث الإسلامى، واستشرى أمر بلايه بعد ذلك، ولكن ظروف المسلمين لم تسمح بإرسال قوة لتأديبه إلا بعد ذلك بنحو اثنتى عشرة سنة، أى فى ولاية عقبة، وهذا ما أشارت إليه المراجع الاسلامية من قيام عقبة بن الحجاج بحملة تأديبية تتبعت بلاى ورجاله بالحرب حتى كادت تفنيهم، ورجعت وهى تظن أن الرجل وأنصاره لن تقوم لهم بعد ذلك قائمة، ولهذا اختفى اسم بلاى حتى من المراجع النصرانية، فلم نجد له ذكر إلا سنة ٧٣٧م وهو عام وفاته الذى تحدده المراجع النصرانية [1].

ولنا على هذا الرأى ملاحظات:

أولها، أن سبستيان السلمنتى لم يحدد تاريخاً لواقعة «كوفادونجا» وإنما ذكر أنها كانت فى أوائل أيام الفتح. فليس هناك ما يدعو الى القول بأنها حدثت أثناء ولاية عقبة بن الحجاج بالذات. وربما كانت أيام عقبة هى أبعد الأيام احتمالا لوقوع هزيمة إسلامية على يد النصارى فى الأندلس، لأن الرجل كان محارباً لا يمل القتال، وقد استنفد أيامه فى الحروب مع النصارى، وظل يتتبع الثائرين فى جليقية حتى خُيّل إليه أنه قضى على كل أمل لهم فى القيام على المسلمين من جديد، ثم انصرف بعد ذلك إلى الناحية الشمالية الشرقية ودخل بنبلونه [2] وما يليها من البلاد شمالا، ولو قد هُزم له بعث على يد بلاى لما انصرف عنه ولواصل قتاله. والثابت من الروايات النصرانية والاسلامية أن بلاى تتبع المسلمين بعد انتصاره عليهم حتى أخرجهم

---

(1) Eduards Saavedra : *Pelayo, Conferencia histórica*, Madrid 1906

(2) يقول ابن عذارى عن أعمال عقبة الحربية: «وهو الذى فتح مدينة أربونة، وافتتح جليقية وبنبلونة وأسكنها المسلمين. وعمت فتوحاته جليقية كلها غير «الصخرة»، فإنه لجأ إليها ملك جليقية وكان بها ثلاثمائة راجل. فما زال المسلمون يضيقون عليهم حتى صاروا ثلاثين رجلا وحتى فنيت أزودتهم، ولم يتقوتوا إلا بعسل يجدونه فى خروق الصخرة، وأعيى المسلمين أمرهم فتركوهم، وأقام عقبة بالأندلس بأحسن سيرة وأجملها وأجمل طريقة وأعدلها إلى أن غزا أرض افرنجة .... » البيان المغرب ج ٢ ص ٢٩، وليس فى هذا كله اشارة الى هزيمة ما ولا احتمال انكسار أى بعث اسلامى.

من بلاده ، ولا يمكن أن يكون ذلك قد وقع على أيام عقبة . والمراجع الاسلامية صريحة كذلك فى أن بلاى طارد المسلمين وأخرجهم من بلاده أثناء فتنة أبى الخطار والصميل أى بعد سنة ١٣٣ﻫ/ ٧٥٠—٧٥١ ميلادية .

بيد أن هذا لا يتفق وما تجمع عليه الروايات النصرانية من أن «بلاى» توفى سنة ٧٣٧ ميلادية ، وهى فى مجموعها لا تستند على دليل واحد يؤيدها فى هذا التحديد . بل إن الفونس العاشر يجعل وفاته قبل ذلك بست سنوات أى سنة (١٢١ﻫ/ ٧٣١م) أى أثناء ولاية عقبة بن الحجاج السلولى، مما يدلنا على أن تحديد تاريخ وفاة بلاى بهذه السنة لم يخل من أن يناقضه مؤرخ مطلع كهذا الملك العالم ، الذى قرأ كل التواريخ التى كتبت قبله ولم يقر ما أجمعت عليه .

ثم إن ابن خلدون — وقد اعتمد على الرازى وابن حيان فيما كتب من تاريخ ملوك الجلالقة — يجعل وفاة بلاى سنة ١٣٣ ﻫ/ ٧٥٠ — ٧٥١ م أى فى نفس السنة التى يؤكد صاحب الأخبار المجموعة أن بلاى هزم المسلمين فيها وأخرجهم من جليقية . ولما كان الرازى وابن حيان وصاحب الأخبار المجموعة هم أقدم من حفظ لنا أخبار هذه الفترة البعيدة ، فاننا أميل إلى الأخذ برأيهم ، ومتابعتهم فى القول بأن واقعة كوفا دونجا وقعت سنة ١٣٣ﻫ/ ٧٥٠ — ٧٥١م أثناء فتنة أبى الخطار والصميل ، وأن « بلاى » لا بد أن يكون قد توفى بعد ذلك بقليل ، فى أواخر ٧٥١ م على الأرجح[1] .

وقد لاحظ دوزى أن التواريخ التى تحددها المدونات اللاتينية لأحداث هذه الفترة لا يمكن تأييدها ، وفضل عليها روايتى الرازى وابن حيان ، ولم يرض كذلك عن التواريخ التى قدمها ابن خلدون ، وختم كلامه عن موضوع تاريخ حوادث هذه الفترة بقوله : « أنه لمن العسير جداً — إن لم يكن

(١) تذهب « مدونة البلدة » الى أن كوفا دونجا وقعت سنة ٧٥٦ م أى أثناء الصراع بين عبد الرحمن الداخل ويوسف الفهرى ، وقد أخذ بروايتها ماسديو ، فذهب الى أن الوقعة حدثت فى تلك السنة. Cf. J. F. Masdeu : *Historia Critica*, I. pp. 55 sqq.

من المحال — أن نحل إشكالا من هذا النوع ، إذ ينقصنا المحيط الذي يدلنا على طريق الخروج من هذه المتاهة»[1].

وهو على حق ، فليس لدينا ما يقنعنا بقبول ما تجمع عليه غالبية المراجع النصرانية من جعل وقعة كوفا دونجا سنة ٧١٨م وجعل وفاة بلاى سنة ٧٣٧ م ولا يذكر لنا مؤرخونا الاسلاميون هذه الواقعة محددة باسم أو بتاريخ ولو تقريبين لها . ثم إن منطق الحوادث لا يستقيم إذا نحن فرضنا أن بلاى هزم المسلمين على أيام عنبسة أو على أيام عقبة : فلو قلنا أن الهزيمة وقعت في أيام عنبسة لضاعت قيمتها كنصر حاسم رد المسلمين عن بلاد أشتريس ، لأن عقبة أتى بعد ذلك وغزاها حتى ألجأ بلاى إلى « الصخرة » ، ولم يُبق له إلا على عدد قليل من الأنصار ، أى أن « كوفا دونجا » لم تكن الوقعة الفاصلة التي ردت المسلمين عن تعقب النصارى ، بل عادوا اليها وأوغلوا أكثر مما فعلوا من قبل ، وانصرفوا عنها بعد ذلك بسنوات من تلقاء أنفسهم ، لأن عقبة اضطر إلى مغادرة الاندلس إلى أفريقية ، كما يقول باليستروس[2] ، فلا يكون والحالة هذه لكوفا دونجا ولا لبلاى فضل فى ارتدادهم أو فى ميلاد اشتريس ، ولا تكون « كوفا دونجا » والحالة هذه إلا مناوشة خسرها المسلمين وعادوا بعدها إلى الظفر .

ولما كانت الروايات النصرانية وما بين أيدينا من الروايات الاسلامية تجمع على أن انتصار بلاى على المسلمين كان حاسما ، وأنه أعقبه اخراجهم من جليقية ، فلا مفر لنا من القول بأن هذا الانتصار حدث بعد أيام عقبة ، وفي أوائل فتنة أبي الخطار وثوابة بن سلامة العاملي أى فى سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠ — ٧٥١ م أو فيما بعدها ، ولا محيص لنا فى هذه الحالة من جعل وفاة بلاى بعد ذلك بقليل فى نفس السنة ، تمشياً مع تحديد ابن خلدون لسنة وفاته .

---

(١) Dozy, *Recherches.*, I. p. 96.

(٢) Ballesteros, *Historia...* II, p. 181.
وهو خطأ : لأن عقبة أقام بالأندلس حتى انتهت ولايته نهاية غير واضحة ، وقد تتبعت مرجعه الذى أشار اليه ، وهو الاخبار المجموعة ، فلم أجد فيه ذكراً لهذا ، لا فى الأصل ولا فى الترجمة الاسبانية ولا فى التعليقات عليها : الأصل العربى : ص ٢٨ ، الترجمة الاسبانية : ص ٣٨ — ٣٩

فاذا انتهينا من تقرير أحداث حياة « بلاى » وتحديد تواريخها ، فلنعرض حياته وما قام به من الأعمال مستخلصة من مجموعة ما لدينا من المراجع الاسلامية والنصرانية .

نستطيع أن نقبل ما يذكره ألفونس العاشر — الملك العالم — من أن « بلاى » كان ابنا لفافيلا دوق كنتبرية ، وأن فافيلا (*Fafila*) هذا كان قد استقر فى توده (*Tuy=Tude*) — عاصمة كنتبرية فى ذلك الحين — بعيداً عن البلاط القوطى فى طليطلة ، لأن نزاعا قام بينه و بين الملك « أجيكا » (*Egica*) فلما مات هذا الأخير وخلفه غيطشه ، تجدد النزاع بينه وبين « فافلة » ، إما لأن غيطشة طمع فى زوج فافله (أم بلاى) أو لسبب آخر ، والمهم هو أن النزاع ثار بين الرجلين ، وفر فافلة مرة أخرى إلى كنتبرية حيث مات هناك مخلفا ابنه « بلاى » .

فلما وثب لذريق بغيطشة وآله ، انضم إليه « بلاى » وأعانه على إدراك العرش ، فكافأه على ذلك بأن جعله « حامل سيفه » (*spatarivs*) واستمر « بلاى » على هذا حتى فتح العرب الاندلس ، فكان ممن وقعوا فى أيديهم أسرى ، فاحتفظوا به لديهم فى قرطبة رهينة .

ولما كانت أيام الحر بن عبد الرحمن بن يوسف الثقفى ، عامل الاندلس بين سنتى ٩٧ و ١٠٠هـ/٧١٧ — ٧١٩م . أمكنت بلاى الفرصة ، ففر من قرطبة ، وتشرد فى نواحى شمالى الاندلس فترة من الزمن ، وتنقل فى اشتريس حتى استقر به المقام فى بليدة « كانجا دى أونيس » ، وهناك التف حوله نفر من القوط الهاربين من المسلمين ونفر من الايبيريين الرومان المقيمين فى هذه الناحية ، فأخذ يحرضهم على الوثوب بالعرب ، ويعيب عليهم طول الاستسلام والتراجع أمام المسلمين حتى استنهض هممهم ، وجمعهم على الوثوب بالمسلمين .

وكان عامل المسلمين على نواحى اشتريس القائد البربرى « مونوسة » ، فوقعت بينه وبين بلاى مناوشات ، وظل مونوسة يحاربه ويطارده حتى ألجأه

إلى التحصن « بالصخرة » فى عدد قليل جداً من أنصاره ، ولو ظل مونوسه مكانه لقضى على بلاى فى ذلك الحين ، ولكن نزاعا وقع بينه — أى بين مونوسه — وعبد الرحمن الغافقى ، فحاربه وما زال به حتى قتله على يد قائده البربرى « ابن زيان » سنة ١١٣ هـ/٧٣١ م .

وخلا الجو أمام « بلاى » بذلك ، فتشجع وخرج من « الصخرة » وأخذ فى التوسع حتى استولى على جيخون التى كان « مونوسة » يقيم فيها ، وبسط سلطانه على إقليمى أشتريس وكنتبرية ، واتسع ملكه ، وأخذ ينازع من جاوره من الأدواق ، حتى شمل سلطانه جزءاً من جليقية وناحيتى أشتريس وكنتبرية .

فلما ولى الأندلس عقبة بن الحجاج السلولى (١١٦ — ١٢٣ هـ/٧٣٤ — ٧٤١ م) تجرد للقضاء على هذه الدويلة التى قامت فى وجه المسلمين فى شمالى الأندلس وأخذت تنتقص من سلطانهم على شبه الجزيرة ، فما زال يحارب بلاى ويقتطع منه أراضيه جزءاً جزءاً حتى رده إلى « الصخرة » كما كان ، وأدخل الكثيرين من أهالى اشتريس فى الاسلام ، وكادت الدويلة الناشئة أن تنهار وينتهى أمرها .

ثم ساعفتها المقادير بما وقع من الخلاف بين اليمنيين والقيسيين فى الأندلس عقب وثوب عبد الملك بن قطن ومن معه من اليمنية بعقبة وانتزاعهم الأمر من يده ، فتنفس بلاى ومن معه الصعداء ، وأخذوا يغادرون الصخرة وينتشرون فيما والاها من نواحى اشتريس .

ووقعت فى أثناء ذلك الفتنة البربرية ، واشتد الصراع بين العرب والبربر فى نواحى شبه الجزيرة كلها ، وكان عقبة قد خلف على اشتريس علقمة اللخمى ومعه قوة من الجند تقيم فى استورقة (*Astorga* = *Asturicum*) أو فى ليون (*Leon* = *Legio*) فهال علقمة ومن معه ما رأوا من تقدم بلايه وأصحابه فى أرض المسلمين ، فنهضوا إليهم فى قوة يسيرة ، وتوغلوا فى بلادهم حتى أدركوا الصخرة ، وتحصن بلاى منهم فى جبل أونسبة

(*Auseva*) واحتمى نفر من انجاد جنده فى مغارة كبيرة تسمى «مغارة أونجه» (*Covadunga = Cova de Onga*) أو « مغارة مارية المقدسة » ، فلما أراد العرب اقتحام الجبل والصعود إلى المغارة هبط عليهم بلاى وأصحابه فهزموهم ، وقتلوا علقمة ، وارتد المسلمون مسرعين نحو استورقة وشردت جماعة منهم ، ومضت تضرب فى نواحي اشتريس القاحلة حتى نزلت ناحية لِيبَانَا *Liebana* حيث هلكوا ، إما على يد الجلالقة أو لسبب آخر . وتشجع بلاى وأصحابه فتقدموا واستعادوا ما كانوا فقدوه ، وعاد أمرهم كما كان ، وأتاح المسلمون لهم هذه الفرصة بما انشغلوا فيه بعد ذلك من فتنة أبى الخطار والصميل ؛ فاطمأن بلاي وأصحابه ، وقوى مركزهم وثبتت أقدام الدولة الجديدة.

أهمية كوڤادونجا

هذه هى خلاصة ما بين أيدينا من النصوص عن « بلاى » ومعركة « كوڤادونجا » . وواضح جداً أن هذه المعركة لم تكن فى واقع الأمر أكثر من مناوشة انهزم فيها المسلمون لأسباب أخرى غير ما تزعمه الروايات النصرانية من تفوق بلاى وأصحابه فى الشجاعة والنجدة أو من تدخل قوى علوية خفت لنجدة النصاري فى اللحظة الحاسمة ، ولم يعد المسلمون إلى مهاجمة هذه النواحى الشمالية القاصية إلا فى أيام المنصور بن أبى عامر ، فظلت منذ يوم « كوڤادونجا » مهداً لدولة اشتريس الناشئة ، فثبتت قواعدها ورست أصولها على نحو لم يستطع المسلمون معه إزالتها بعد ذلك أبداً ، أى أن هذه الوقعة كانت إيذاناً بميلاد اشتريس وبدءاً حاسماً لحركة المقاومة النصرانية فى شبه الجزيرة . وهى على هذا الاعتبار حادث فاصل من حوادث التاريخ الاسبانى .

وربما بدا لنا أن التواريخ الاسبانية تبالغ فى تعظيم هذه الموقعة ، وربما كان مرد هذه المبالغة إلى « بلاى » وأصحابه ومعاصريهم من القُصَّاص . بيد أنه لا حرج على بلاى وأصحابه ، ولا حرج كذلك على الروايات النصرانية فى مثل هذه المبالغة ، لأن هذه المناوشات ، التى وقعت بين المسلمين والنصارى فى نواحى اشتريس وانتهت بانتصار هذه الجماعات النصرانية التى اختارت العيش فى هذه الناحية القاصية القاحلة — مستقلة عن سلطان المسلمين —

على العيش فى ظلالهم ، قد وضعت أساس الدولة الاسبانية النصرانية التى سيتاح لها أن تناوىء المسلمين قرناً بعد قرن حتى تتيح الظروف لها فرصة إخراجهم من البلاد .

والتاريخ الصحيح يعتبره كوفادونجا ، ميلاداً لهذه الحركة التي ستصل حلقات تاريخ إسبانيا النصرانية وتعيد البلاد إلى النصرانية وإلى ميدان الحضارة الغربية من جديد . وليس إلى الشك سبيل فى أن حركة بلاى تعد حادثاً رئيسياً فى تاريخ إسبانيا كله ، لأن العبرة فى أمثال هذا الحادث ليست بالتفاصيل الدقيقة ولا بالأرقام الصغيرة أو الكبيرة ، بل العبرة فيها بالمعنى التاريخى الذى يستتر خلف الحادث نفسه. « ونحن — كما يقول المؤرخ بأليستروس — بعيدون جداً عن الحادث بدرجة لا تسمح لنا بن نزعم أننا نستطيع أن نقدر أعداد المقاتلين أو أن نصف الحركات الحربية على وجه الدقة ، ثم إن هذا ليس هو الأساسى ولا المهم ، فسواء أُوجِد فى هذه المعركة هذا العدد أو ذاك من المقاتلين ، وسواء أكانت وقعت فى هذا المكان بعينه أو فى مواقع أخرى ، فان الأمر المهم هو أن بَعْثاً إسلامياً — ربما كان صغيراً — أراد أن يقضى على مركز حركة ثورية ، وحاول الوصول إلى الموضع الذى اعتقد رجاله أنه وكر رجال العصابات والثائرين ، ففشل فى إدراك ما طلب بسبب النخوة والشجاعة التى أبدتها حفنة من الرجال كانوا يقاتلون قتال اليائس منافحين عما بأيديهم ، وأنقذوا بهذا الكفاح ما هو أغلى مما كانوا يملكون فى ذلك الحين ، وهو الاستقلال عن السيادة الأجنبية . وقد أقاموا بعد ذلك محافظين على كرامتهم وممتلكاتهم محتملين ما كلفتهم هذه المحافظة من باهظ التكاليف » .

« ثم إن ازدياد الاجلال لكوفادونجا مع مرور الزمن ، واتجاه الأنظار خلال الأعصر الى هذه البقعة من الجبل التى أشرنا اليها بالذات ، ليدلان على انه قد وقع فيما يحيط بها ويقاربها حادث باقى الأثر من حوادث الصراع الذى أراد خلفاء من حضروه وشهدوه أن يخلدوا ذكره . فكيف وبين يدينا وثائق تؤيد وقوع هذا الحادث بالفعل ؟ ولسنا نريد بهذه التأكيدات كلها أن نقول — بأى حال — إن الموقعة كانت من الكبر بما يتفق مع هذه

المعانى التى ذكرناها ، وليس معناه كذلك أن الكارثة التى نزلت بالعدو كانت بالشدة التى يصفها بها الرواة الذين استرسلوا مع خيالهم وحماسهم أكثر مما ينبغى ، وإنما معناه أن النقد السليم يقرر الصفة الرمزية للواقعة ، فقد كانت بدءاً لعمل مجيد ، وكانت أول حجر فى بناء ضخم . وكانت هذه المناوشة وهذه الهزيمة الصغيرة وذلك الفشل اللذان أصابا القوة الحربية الاسلامية عوامل أفهمت النصارى أن أعداءهم لم يكونوا معصومين من الهزيمة ، وذلك وحده يوضح لنا كيف ان الحادث الصغير أصبح منذ هذا التاريخ معتبراً فى نظرهم رمزاً وهدفاً وغاية بعيدة عالية ، أى أنه إنما كان فى الواقع الملموس بدء استقلالهم وبدء التحرر من السلطان الاسلامى . وهذا أمر ذو قيمة لا تقدر » [1] .

وأما من وجهة النظر الاسلامية فهذه الحادثة فى ذاتها لم تكن تعنى شيئاً لو لم يعقبها من الأحداث ما زاد فى قيمتها وأهميتها : فلو لم يختلف المسلمون على أنفسهم وينقسمون شيعاً لما كان لكوفادونجا ولا لبلاى نفسه أهمية كبرى ، فأن انهزام الجيوش الاسلامية لم يكن بالأمر النادر ولا الحاسم ، وقد انهزمت هذه الجيوش فى إفريقية مثلا عشرات المرات ، وكانت الهزائم فى بعض هذه الحالات قاسية بل قاصمة ، ولكنها لم تكن حاسمة ، لأن المسلمين استطاعوا أن يجمعوا صفوفهم بعد كل هزيمة ويعودوا للقتال حتى يقضوا على الحركة ويستعيدوا ما يكون قد ضاع منهم . فأما فى هذه المرة فقد عجز المسلمون عن إخضاع هذه الناحية ، وقامت فيها الدولة النصرانية ولم تختف من التاريخ بعد ذلك أبداً ، فأصبحت لهذا حادثاً حاسماً له خطره فى تاريخ إسبانيا الاسلامية . والثابت على أى حال أن المسلمين لم يتركوا هذا الركن القصى من جليقية دون فتح لأنهم هُزموا أمام بلاى أو غيره ، أو لأنهم احتقروا هذه البقية الباقية من الثائرين ، بل لأنهم انصرفوا عنها إلى التافه من منازعات الجنس والعصبية ، فأضعفوا أنفسهم من جهة ، وأعطوا رجال الحركة فرصة كانوا فى أشد الحاجة اليها ليثبتوا أقدامهم وليتحولوا من جماعة الثائرين

(١) BALLESTEROS: *Historia* . . . , II. pp. 180-181

المطاردين إلى دولة مستقرة لها كيان ولها سيادة على ما تملكه من الأرض من جهة أخرى ، ومن الواضح جداً أن هذه الحركة وانصراف العرب عن القضاء عليها قد أنشأ فى شبه الجزيرة وضعاً جديداً سيكون محوراً من محاور التاريخ الأندلسي كله وهو: أن أسبانيا لن تكون من ذلك التاريخ قطراً إسلامياً خالصاً ، وإنما ستكون قسمة بين الدولة الاسلامية والدولة النصرانية ، وأن كلا من هاتين الدولتين ستسير فى طريقها ، وأن النزاع بينهما سيستمر ، وأن هذا النزاع سينتهى بعد قرون طويلة برجحان الكفة النصرانية وزوال أمر المسلمين والاسلام من البلاد .

ولم يخف هذا المعنى على مؤرخينا الاسلاميين ، فهذا ابن حيان يقول عن جماعة بلاى : « ... وما زالوا ممتنعين بوعرها — أى بوعر الصخرة — الى أن أعيى المسلمين أمرهم واحتقروهم ، وقالوا ثلاثون علجاً ؟ ما عسى أن يجىء منهم ؟ فبلغ أمرهم بعد ذلك فى القوة والكثرة والاستيلاء الى ما لا خفاء به . وملك بعده — أى بعد بلاى — أذفونش جد عظماء الملوك المشهورين بهذه السمة ... »[1]. وهذا ابن سعيد يقول : « فآل احتقار تلك الصخرة ومن احتوت عليه الى أن ملك عقب من كان فيها المدن العظيمة ، حتى أن حضرة قرطبة فى يدهم الآن ، جبرها الله ، وهى كانت سرير السلطنة لعنبسة »[2] .

وينبغى كذلك أن نقرر أن هذه الحادثة أخذت جانباً عظيماً من قيمتها من طبيعة هذه الطوائف القوطية والأيبيرية الرومانية التى اعتصمت بهذا الركن ، فقد كانت طبيعة صلبة مثابرة لا تكف عن القتال ولا تخشاه ، وهى لم تقنع بالسلامة من أيدى المسلمين ، وإنما عولت على الاستمرار فى مناجزتهم ، ومضت فى ذلك بصبر وجلد يدعوان الى الاعجاب . وأحسن رجالها الاستفادة من هذا الوضع الذى كانوا فيه على بساطة شأنه ، وما زالوا يحاربون

---

(١) المقرى ، نفح الطيب ، جـ ٢ ص ١٠

(٢) نفس المصدر والصفحة .

ويجالبيون ، لا يتركون غرة فى العرب إلا انتهزوها ، حتى أصبحوا مع الزمن قوة يخشى بأسها .

فاذا صح هذا استبانت لنا القيمة الحقيقية لشخصية بلاى فى التاريخ الاسبانى عامة ، فهو واضع أساس الدول النصرانية الشمالية الغربية التى ستحمل لواء المقاومة على الجبهة الشمالية الغربية « وهو أبو بنى أدفنش هؤلاء » كما يقول مؤرخونا الأندلسيون ، وقد رأينا أن معظم أحداث حياته لا زال نهباً موزعا بين القُصاص وأصحاب الملاحم الشعرية الأسطورية ، ولكن المهم أن التاريخ الصحيح يعترف له بجمع شمل النصارى المتفرقين وقيادتهم فى حرب المسلمين قيادة موفقة ، وفى هذا كفاية ، فلا معنى إذن لانكار وجوده كما فعل بعض المسرفين فى الشك من المؤرخين [١] ولا معنى للاصرار على أنه ينحدر عن صلب البيت الحاكم القوطى القديم ، لأن الواقع أن الرجل سما الى أوج الملوك بما قام به من دور عظيم : « وربما كان بلايو هذا ، منشىء الأسرة الأشتورية رجلا عاديا من العوام ، رجلا بسيط الأصل رقيق الحال ، ولكنه امتاز على أى حال بخصال ممتازة أهلته للرياسة . وسواء أكان قوطيا أم أيبيريا رومانيا ، فقد استطاع أن يضع نفسه على رأس المغلوبين فى لحظات الخطر المحيق به ، وحاز لنفسه القيادة عن جدارة » كما يقول باليستروس [٢] ، فذلك لا يغير من الواقع شيئاً ، لأنه يبقى لبلاى بعد ذلك فضل إقامة دولة للنصرانية فى الشمال وتعزيزها أمام الفتح الاسلامى الجارف ، وفضل تكوين هذه النواة التى تكونت حولها فيما بعد دول استطاعت أن تسير بالتاريخ الاسبانى الى الأمام حينما عجز المسلمون عن الاستمرار فى القيادة بعد انهيار دولة الخلافة الأموية وفشل كل المحاولات الجليلة التى قام المسلمون بها لجمع الكلمة وإعادة سيادة الاسلام على شبه الجزيرة .

---

(١) مثل MAYANS و MASDEU (يقرر وجوده ولكنه يشك فى نسبة الكثير من أعماله اليه ، و SARMIENTO و PELLICER و CASIRI و NOGUERA .
Cf: BALLESTEROS : *op. cit.* p. 194.

(٢) BALLESTEROS: *op. cit.* p. II, 174.

هذا، وليس بين مؤرخي الاسبان المحدثين إجماع على إقرار ما تذهب اليه الروايات النصرانية من انحدار بلاي عن صلب قوطي — ملكي أو غير ملكي — بل منهم من يذهب الى أنه من أهل اشتريس الأصلاء، أى كلتي أو أيبيري روماني وأن اسمه الأصلي ليس بلاجيوس (*Pelagius*) كما تورده المدونات النصرانية بل بلايو (*Pelayo*) بدليل وجود ألفاظ كثيرة في اللغة الأشتوريه تنتهي بالياء والواو (*yo*) منها أسماء أعلام مثل (*Volcayo*) و(*Poyayo*) و(*Olayo*) و (*Ubayo*) و ألفاظ مثل (*orvaya*) و (*carbayo*) و (*borgayo*)[1] و (*argayo*) .

بل من علماء الاسبان من يقرر أن أصل بلاي من ناحية ليبانا بالذات[2]، ومراجعنا العربية تؤيد هذا الرأي، وهي أقدم من المراجع النصرانية ، فهي تسمية بلاي وهي تسمية أقرب الى بلايو منها الى بلاجيوس ، ثم إن أوثق مؤرخينا الاسلاميين يؤكدون أن الرجل كان جليقياً على ما سبق ذكره .

وقد كانت عاصمته طول حياته بلدة كانيكاس اللاتينية (*Canicas*) الأسبانية (*Cangas de Onis*)، وأغلب الظن أنه دفن بها مع زوجته جاوديوسا (*Gaudiosa*)، وخلفه ابنه فافلة (*Fafila*) على ما تجمع عليه المراجع النصرانية (يؤيدها في ذلك ابن خلدون) ، ولم يكن على شيء من خصال أبيه ، وإنما كان مولعاً بالصيد ، وقتله دب أثناء الطرد بعد أن حكم سنتين لم يكد يفعل خلالها شيئاً ذا بال كما يقول سباسبستيان السلمنتي[3]، ويجعل المؤرخون وفاته في سنة ٧٣٩م وذلك لايتفق مع ما ذكرناه، والأصح أن يكون قد توفي سنة ٧٥٢م أي قبل قيام الدولة الأموية بأربع سنوات، ودفن مع زوجته فروليبا (*Froleba*) أو (*Froiliuba*) في كنيسة سانتا كروث في كانجاس .

وقد انتهت ولاية عقبة بن الحجاج الذي كان يرجى أن يتم القضاء على حركة بلاي على يديه نهاية غير واضحة ، فمن قائل إنه مات حتف أنفه إثر مرض

(١) RICARDO BURGUETE: *Recteficaciones históricas*, p, 284.
(٢) BALLESTEROS: *op. cit.* p. 182.
(٣) Cf: JULIO SAMOZA GARCIA SALA: *Gijón en la Historia general de Asturias*. II. pp. 415-499.

ألم به ، وأنه أوصى لعبد الملك بن قطن بالولاية من بعده[1] ومن قائل أن اليمنيين انتهزوا فرصة ثورة بربر إفريقية على العرب أثناء ولاية عبيدة ابن عبد الرحمن ، فعزلوه وولوا شيخهم عبد الملك بن قطن مكانه[2]، وهكذا اختفت هذه الشخصية العربية المجاهدة فى « ليل الزمان » كما يقولون ، ولو قد أتيحت له فرصة أطول لترك أثراً بعيداً فى تاريخ الغرب الاسلامى .

وكان من سوء طالع الدولة الاسلامية الأندلسية الناشئة أن الأمور صارت الى عبد الملك بن قطن من بعده ، إذ أن عبد الملك كان يمنياً شديد العصبية قليل السياسة ، فلم تلبث الأمور أن ساءت بين يديه ، واشتعلت نيران الثورة البربرية فى الاندلس ، وأعقبها قدوم طالعة بلج من الشآميين الى الأندلس واحتدام الخصومة بين هؤلاء الشاميين ومن كان فى الأندلس من قدماء الفاتحين والمهاجرين من العرب والبربر الذين يطلق عليهم لفظ « البلديين » ، مما جعل الأندلس الاسلامى شعلة نار، فهلكت من العرب أعداد كبيرة ، وفنيت من البربر جماعات، وعادت جماعات أخرى منهم إلى مواطنها الأولى فى إفريقية ، فلم يقف تراجع المسلمين عند حدود اشتريس كما رأينا ، بل خلت المساحة الواسعة الواقعة بين نهرى المنهو ودُوَيْرة من سكانها المسلمين، وأصبحت أرض فضاء حاجزة بين الدويلة النصرانية فى أقصى الشمال والدولة الاسلامية التى أصبحت تحد من الشمال بخط يبدأ من إفراغه على ساحل المحيط الاطلسى ويمتد الى قورية فطليطلة ، ثم يصعد حتى لارده فى ناحية الشرق . ولم يوقف هذا التقلص إلا قدوم عبد الرحمن الداخل وإقامته صرح الدولة الاموية فى سنة ١٣٤ هـ/٧٥٦ م .

(١) ابن القطان ، فى البيان المغرب لابن عذارى ، جـ ٢ ص ٢٩

(٢) الرازى فى نفح الطيب للمقرى ، جـ ٢ ص ١١ ، وابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ ٢ ص ٢٩

الحدود الغربيـــة لمصر

للدكتور محمد متولى موسى

يبتدئ خط الحدود بين أراضي برقة وبين الأراضي المصرية كما رسمته الاتفاقية التي عقدت بين مصر وايطاليا في ديسمبر سنة ١٩٢٥ وصدق عليها مجلس النواب المصرى فى جلسة ١٣ يونيه سنة ١٩٣٣ ، من نقطة على ساحل البحر المتوسط تقع شمـالى السلوم على بعد عشرة كيلو مترات من عزلة القطارة (Beacon Point) . ويمتد من هذه النقطة على شكل قوس لدائرة مركزها عزلة القطارة ونصف قطرها عشرة كيلو مترات حتى يلتقى بمسرب الشفرزن ، ثم يتبع هذا المسرب من جانبه الغربى ماراً بسيدى عمر وبير شفرزن وبير الشقة ، وهنا يترك المسرب ، ويتبع طريق القوافل القديم الذى يتجه نحو ملاذ سيدى ابراهيم . ثم يتبع مسرب الاخوان حتى ملتقاه بمسرب القرن فى الجهة المعروفة بالقرن والقرنين ، ثم مسرب القرن حتى ملتقاه بمسرب العجروم ، ثم مسرب العجروم حتى الحد الشمالى لواحة ملفا . ويسير بعد ذلك فى اتجاه عام نحو الجنوب الشرقى مارا بواحتى ملفا وعجاب حتى خط طول ٢٥° شرقا ثم يتبع هذا الخط حتى ملتقاه بخط عرض ٢٢° شمالا .

* * *

الأراضى التى تجتازها الحدود

تختلف الأراضى التى تجتازها هذا الخط من جهـــة الى أخرى . فهى فى أقصى الشمال عبارة عن هضبة مرتفعة مكونة من صخور جيرية . وتمتد هذه الهضبة من ساحل البحر المتوسط شمـالا حتى المنخفض الذى تشغله جغبوب وسيوة والقطارة جنوبا ، وتعد أقليما صحراويا فى جملته لأننا اذا استثنينا

الأمطار القليلة التى تسقط على أجزائها الشمالية فى فصل الشتاء بسبب الأعاصير التى تمر بحوض البحر المتوسط من الغرب الى الشرق لا يصل الى أية جهة من جهاتها ماء إطلاقا ، ولا تصلح هذه الهضبة للسكنى إلا فى أقصى الشمال فى الجهات التى تشرف على السهل الساحلى حيث يعمد الناس إلى الانتفاع بمياه الأمطار بتخزينها فى صهاريج عديدة يحفرونها فى صخور الهضبة .
ويتراوح ارتفاع الهضبة فى المنطقة التى تجتازها الحدود بين ١٥٠ ، ٢٥٠ متراً فى المتوسط ، فوق مستوى سطح البحر. أما عرضها فيتراوح بين ٦٠ كيلو متراً عند العلمين و ٢٥٠ كيلو متراً عند السلوم . والى الشرق قليلا من المنطقة التى تجتازها الحدود تبلغ هذه الهضبة أعظم اتساع لها من الشمال الى الجنوب . فتكون المسافة بين ساحل البحر وبين المنخفض الذى تشغله جغبوب وسيوه ٣٠٠ كيلو متر تقريباً .

وتمتاز الأجزاء الشمالية من الهضبة — وهى عبارة عن نطاق يتراوح عرضه بين ٢٥ و ٣٠ كيلو مترا — بكثرة ما يسقط بها من الأمطار وفيها تمتلىء المنخفضات الحوضية الكثيرة برواسب طينية تجعلها غاية فى الخصوبة ، وتسمح بنمو كثير من الحشائش التى تتغذى عليها قطعان الأبل والأغنام كما تسمح بزراعة بعض الغلات مثل الشعير .

ويغطى سطح هذه المنطقة كثير من الصخور الخشنة . وعلى الرغم من أنه سطح مستو تستطيع السيارات اجتيازه فى أى اتجاه تريد فان خشونته مجهدة للعجلات .

وفى هذه المنطقة كثير من الصهاريج التى حفرها الرومان قديما لتتجمع فيها مياه الأمطار القليلة التى تسقط هناك لاستخدامها فى فصل الجفاف . ولكن يجب أن ندرك أن واحداً من تلك الصهاريج لا يمكن الاعتماد عليه الآن لأن بعضها قد تهدم ، وبعضها الآخر فى حاجة الى إصلاحات كثيرة ثم إنها تعتمد على مياه الأمطار ، والأمطار هنا قليلة غير مضمونة .

. والى الجنوب من النطاق السابق يوجد نطاق آخر لا نجد فيه أثراً للحياة النباتية ، ولكنه مع ذلك تبدو به آثار تدل على سقوط الأمطار فيه . ففى المنخفضات الحوضية التى تنتشر فى جهاته توجد رواسب من الطين قد كونتها مياه الأمطار التى تسقط بين حين وحين . ومن هذه الرواسب تتألف مساحات مستوية السطح جداً يسميها البدو بلاطة العرب ، والسير فيها مريح للغاية لأنها لا تختلف فى استوائها عن الطرق المعبدة الحديثة . كما أن السفر فى المنطقة كلها سهل لأن الأرض مستوية وصلبة ، إلا أن الانسان قد يصادفه فى الطريق بعض مساحات منخفضة ملأتها الرمال اللينة التى تجعل السير فيها شاقاً .

والى الجنوب من هذه المنطقة ، منطقة أخرى تمتد حتى نهاية الهضبة وهى شبيهة بها فى خلوها من النبات لأنها منطقة صحراوية قاحلة ولو أنها تختلف عنها من حيث أن بلاطة العرب غير موجودة فيها . ويرجع ذلك الى أن الأمطار التى تسقط بها قليلة للغاية ، ويميزها أن صخورها الصلبة لا تظهر عارية إطلاقاً وإنما تغطيها طبقة من المواد المفككة وتتألف هذه المواد من قطع صغيرة من الصخر والصوان قد تفككت محلياً لتعاقب الحر والبرد مع التفاوت العظيم بين درجات الحرارة فى الليل والنهار وفى الشتاء والصيف ، والسير فى الاقليم سهل للغاية لأن الصخور التى تقلق الأبل وتعطل السيارات لا وجود لها وهذا مادعا البدو الى تسميتها بالسرير .

ويمكن القول بصفة عامة أن السير فى الهضبة ممكن وميسور فى أى اتجاه من الاتجاهات ، وأفضل الطرق التى يمكن السير فيها ما تبع المسارب أو طرق القوافل لأنها لكثرة ما طرقت منذ فجر التاريخ صارت أكثر صلابة وأعظم صلاحية لسير العجلات والسيارات . واذا استثنينا السير فى تلك المسارب فأن الانتقال فى جهات الهضبة شبيه بالملاحة البحرية لأن السطح مستو ولأنه لا توجد به علامات ظاهرة يمكن اتخاذها دليلا للسير ، وقد لا يصادف الانسان علامة ما فى مرحلة من مراحل السير لا يقل طولها عن ١٠٠ كيلومتر . ويتطلب السير فى تلك الجهات استعمال البوصلة والخريطة واستخدامهما بمهارة فائقة .

على أن المسارب كثيرة فى المنطقة كثرة تجعل السير فيها من جهة الى أخرى سهلاً مأموناً ، والمسارب طرق للتجارة تربط مراكز العمران الهامة فى الجهات الصحراوية بعضها ببعض ، وهى فى العادة ممتدة على طول موارد المياه .

وتتألف المسارب فى العادة من خطوط متوازية من الطرق التى تسير فيها الابل يختلف عددها من ٥ أو ٦ الى ٥٠ أو ٦٠ حسب أهمية المسرب . وقد يصل عددها فى بعض الأحيان إلى ١٢٠ خطاً، وينفصل الخط عن الآخر مسافة قصيرة تتراوح بين مترين ونصف متر ، وبناء على ذلك يبلغ عرض المسارب المزدحمة بالخطوط نحو ١٠٠ متر تقريباً .

والمسارب التى تنتشر فى هذه الهضبة عريقة فى القدم ، وقد أدى استخدامها طوال العصور المختلفة الى زوال المواد المفككة التى كانت تعلوها وبهذا صارت أرضاً صخرية صلبة أو قريبة من الصلبة ، ولهذه المسارب أهمية عظيمة لأنها ترشد المسافر الى أقرب الطرق وأصلحها للسير ، ويستطيع المسافر أن يتبينها بسهولة لأنها تعد من أوضح الظواهر فى منطقة الهضبة .

ولا يجتاز الهضبة إلا مسرب واحد يمتد من الشرق إلى الغرب هو مسرب العبد . ويبدأ من نزان وطرابلس فى الغرب ، وينتهى فى المنطقة الرعوية المجاورة لبئر حباتا فى الشرق .

ويقال إن بهذا المسرب عدداً كبيراً من الآبار يقوم واحد منها فى نهاية كل مرحلة من المراحل اليومية التى تقطعها الأبل أثناء السير . أما المسارب التى تقطع الهضبة من الشمال الى الجنوب فهى كثيرة جداً منها مسرب الشفرزن ، ومسرب الثقة ، ومسرب الأخوان ، ومسرب العجروم ، ومسرب الفرن ، ومسرب الأسطبل ، وكلها مسارب رئيسية .

المنطقة الساحلية

ويمتد الى الشمال من تلك الهضبة شريط ساحلى ضيق يفصل بينها وبين مياه البحر ، وفى الجهة الشرقية من المنطقة تهبط الهضبة ويقترب مستواها شيئاً فشيئاً من مستوى الشريط الساحلى ، وهنا لا يمكن التمييز بين الاثنين لأنهما يندمجان معاً ويظهران كما لو كانا اقليما واحداً . أما فى الجهة المجاورة لخط الحدود

فان مستوى الهضبة يبلغ أقصى ارتفاع له ، وتبدو المنطقة الساحلية الى جانب الهضبة المرتفعة عظيمة الانخفاض .

وفى المنطقة الواقعة بين مرسى مطروح وسيدى برانى يتسع الشريط الساحلى حتى يبلغ عرضه ٤٠ كيلومترا تقريبا ، وفى هذه المنطقة يكون الصعود الى أعلى الهضبة أو الهبوط منها مهمة سهلة لأن ارتفاع الأرض تدريجى للغاية . ولا تبدو حافة الهضبة على شكل جرف قائم ، كما هو الحال فى منطقة السلوم ، وإنما تتألف من ثلاث درجات متعاقبة يقترب مستوى الأرض فى كل واحدة منها من مستوى الدرجة التى تليها .

ويضيق الشريط الساحلى بدرجة عظيمة عند مدينة السلوم ، وتقترب حافة الهضبة من ماء البحر ويعلو مستواها علواً ظاهرا وتبدو الهضبة على شكل جرف قائم وتصبح مهمة الارتقاء الى أعلى الهضبة أو الهبوط منها مهمة شاقة للغاية . وعلى الرغم من وجود أودية كثيرة فى هذه المنطقة مما ييسر على الابل مهمة الصعود الى الهضبة أو الهبوط منها ، فان السيارات لا يمكنها أن تستخدم طريقاً واحداً منها إلا نقب الحلفاية ، ولسنا نبالغ فى شىء إذا قلنا إن هذا الطريق هو الوحيد الذى استخدمته السيارات الحربية فى الحربين العالميتين الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) ضد السنوسيين والثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) ضد الايطاليين والألمان .

ويختفى السهل الساحلى فى المنطقة التى تمتد شمالى السلوم لأن حافة الهضبة تشرف على مياه البحر مباشرة وتكون جرفا صخريا عظيم الارتفاع تمتد عند حدود مصر من نقطة تقع على ساحل البحر على بعد عشرة كيلومترات شمالى السلوم .

منخفض الواحات الشمالية

ويمتد الى الجنوب من الهضبة منخفض عظيم تشرف عليه الهضبة من ناحيته الشمالية بحافة عالية تبدو على شكل جرف يبلغ ارتفاعها ٣٠٠ متر فى المنطقة التى تنحصر بين مغارة والقطارة و ١٢٠ عند واحة سيوة و ١٠٠ متر عند واحة جغبوب .

وتعد هذه الحافة أوضح ظاهرة طبيعية فى الاقليم . وهى فى جزئها الشرقى بالقرب من وادى النطرون قليلة الارتفاع ولكنها ترتفع شيئاً فشيئاً كلما امتدت غربا ، ويمكن تتبعها الى ما وراء حدود مصر من ناحية برقة . وأكثر جهاتها ارتفاعا المنطقة التى تنحصر بين مغارة والقطارة حيث يصل الارتفاع الى ٢٥٠ متراً أو ٣٠٠ متر فوق مستوى الأرض المنخفضة المجاورة . والى الغرب من هذه المنطقة يهبط مستوى تلك الحافة ولا يزيد ارتفاعها عن مستوى الارض المنخفضة المجاورة عن ٢٠٠ متر فى غرب القطارة و١٢٠ متراً عند سيوة . والحافة رأسية عند مدخل سيوة فى المنطقة الممتدة بين مغارة وجبل حدون ، ومن الصعب الهبوط منها أو الصعود الي أعلاها . ومن جبل حدون الى الغرب تكثر بها الممرات ، وهى فى هذا الجزء لا تظهر على شكل جرف رأسى وإنما تبدو متدرجة .

وتتألف هذه الحافة من طبقات متعاقبة من تكوينات جيرية تختلف فى صلابتها الواحدة عن الأخرى ، وقد أثرت الرياح فى تلك التكوينات بدرجات متفاوتة فبدت الحافة ذات أشكال متعددة غريبة ، ولهذه الحافة قيمة حربية عظيمة فهى وسيلة للاشراف على الواحات ومنها يمكن التحكم فيها ، وهى ليست كما يتصور الكثير صعبة الاجتياز للراجلين ولكنها صعبة بالنسبة للابل والسيارات ، ولا بد لهذه جميعاً من اتخاذ طرق معينة هى فى العادة طرق الأودية .

والأرض المنخفضة التى تقع الى الجنوب من حافة الهضبة تختلف تمام الاختلاف عن الهضبة المرتفعة ، وأهم ما يميزها نوع من الأراضى يعرف لدى البدو بالسبخة ، والسبخة كما يدل عليها اسمها عبارة عن أراضى بها نسبة كبيرة من الاملاح وهى فى العادة ذات سطح متماوج لا يختلف كثيرا عن سطح البحر المائج ، ويميزها أيضاً نوع آخر من الاراضى تغمره الكثبان الرملية ، والرمال فى هذه المنطقة كثيرة جداً وهى تغطى مساحات واسعة من الأرض عند الاطراف الجنوبية لذلك المنخفض . وتبدو الكثبان على شكل بحر واسع متماوج السطح يمتد فى نفس الاتجاه الذى تسير فيه الرياح السائدة أى من الشمال الى الجنوب . والسير فى المنطقة التى تغمرها الرمال صعب للغاية ، ولم تخلق بعد

أية وسيلة النقل تستطيع اجتياز هذه المنطقة سواء من الشرق الى الغرب، أم من الشمال الى الجنوب .

وقل أن تمتد الرمال من المنطقة التى تكسوها فى الجنوب حتى تبلغ حافة الهضبة فى الشمال ، ولكنها تبلغها فى نقطة واحدة ، هى النقطة التى يوجد فيها ممر وليامز وممر المناسيب ، وكلاهما يقع الى الجنوب من واحة جغبوب .

ويقال إن الرمال التى تشاهد فى جنوب تلك الأراضى تزحف نحو الشمال والدليل على ذلك أن بعض أشجار النخيل التى تشاهد فى جنوب المنخفض قد طمرتها الرمال ، فهل ستملأ الرمال يا ترى المنخفض كله أم أن المنخفض سيزداد انخفاضاً . . . . هذا ما نتركه للباحثين كى يجيبوا عليه .

وليست المنطقة المنخفضة كلها صعبة الاجتياز بوساطة السيارات ، إذ تستطيع السيارات الحربية أن تجتازها فى جزئها الشمالى الذى يجاور حافة الهضبة الشمالية بعكس الجزء الجنوبى الذى تغمره الرمال ، فهو صعب للغاية ، والمنطقة التى تنحصر بين حافة الهضبة شمالا والمساحة التى تغمرها الرمال جنوباً هى الأراضى التى تشغلها الواحات ، وهذه تتألف من أرض سبخة يهبط مستواها عن مستوى البحر ، وعلى أطراف هذه الارض السبخة توجد أراضى حصوية فى الشمال ، ورملية فى الجنوب ، وهذه ترفع ارتفاعاً تدريجياً حتى تندمج فى حافة الهضبة الشمالية من جهة وفى منطقة الرمل الجنوبية من جهة أخرى . وعلى تلك الأطراف توجد حياة نباتية غنية قوامها الحشائش الخشنة والبوص والنباتات الشوكية والقتل وأشجار النخيل وقد تكثر حدائق النخيل فى السبخة نفسها . وتشغل البحيرات مساحات واسعة من أرض الواحات ، وماء هذه البحيرات مالح نوعاً وأغلبها ضحل يتراوح عمقه بين متر وبضع سنتيمترات . وتختلف مساحة البحيرات فى الفصول المختلفة ، وتختلف طبيعة المياه ودرجة ملوحتها تبعاً لذلك وبالواحات الهامة مثل واحتى جغبوب وسيوة عيون قديمة تتدفق منها المياه بغزارة ، وعلى هذه المياه تتوقف الحياة فى تلك الأجزاء البعيدة الواقعة فى قلب الصحراء والمنظر يبهج حقاً فى الواحات ، وبصفة خاصة فى واحة سيوة حيث

توجد الرمال فى الجنوب والحافة الصخرية فى الشمال ومياه البحيرات فى الوسط وحدائق النخيل بين هذه وتلك .

ولا تستطيع السيارات الميكانيكية الضخمة أن تجتاز أرض الواحات وبنوع خاص اذا كانت الأرض سبخة وكانت مبتلة ، ومن الصعب أن يميز الانسان إن كانت الأرض السبخة قد جفت أو أنها مازالت مبتلة ، وهنا تصبح عملية السير فى الواحات مخاطرة عظيمة .

بحر الرمال

ويمتد الى جنوب المنخفض الذى تشغله الواحات بحر عظيم من الرمال وهذا البحر يشغل منطقة واسعة من صحراء مصر الغربية تبلغ مساحتها نحو ١٥٠ ألف كيلومتر مربع ، وهذه المساحة تكسوها طبقة سميكة من الرمال ويمكن أن نعد هذا البحر أكبر منطقة فى العالم تغطيها الرمال المفككة .

ويتفق الحد الشرقى لبحر الرمال مع خط طول ٢٧° شرقا . أما حده الغربى فيتفق مع الطريق التجارى الذى يربط واحتى جغبوب والكفرة ، والحد الشمالى لهذا البحر يوازى طريق القوافل بين سيوة وجغبوب وجالو ، على حين أن حده الجنوبى هو الحافة الشمالية لهضبة الجلف الكبير . والبحر فى جزئه الشمالى الواقع جنوبى منخفض سيوة وجغبوب مباشرة يمتاز بعظم سمك الرمال التى تكونه . وهنا تظهر حافته الشرقية كأنها حائط مرتفع يبلغ ارتفاعه ٨٠ متراً تقريباً ويعلو سطحه المتماوج كثبان أخرى يتقارب بعضها من بعض كلما اتجهنا جنوباً حتى تلتئم وتكون خطوطاً طولية من الكثبان فوق سطح البحر الرملى . وفى هذه المنطقة لا يختلف المظهر العام كثيراً عنه فى المنطقة الشمالية من هضبة الحجر الجيرى الأيوسينى حيث تنتشر خطوط الغرود المستطيلة المتوازية ولكن بدلا من أن ترتكز خطوط الغرود فى الحالة الثانية على صخور الصحراء نجدها فى بحر الرمال ترتكز على تكوينات سميكة من الرمل .

وتبلغ التكوينات الرملية فى هذا البحر اعظم ضخامة لها فى المنطقة الواقعة شمالى خط عرض ٢٦° شمالا ، فخطوط الرمال العلوية عظيمة الارتفاع « ١٠٠ متر تقريباً فوق السطح العام » والوديان التى تفصلها عظيمة الاتساع .

أما فى المنطقة الواقعة جنوب هذا الخط مباشرة فأن التكوينات الرملية تقل فى ضخامتها سواء فى ذلك خطوط الغرود الطولية أو الرمال التى ترتكز عليها ، وفى كثير من الأحيان يقل سمك الرمال فى مناطق الوديان التى تفصل الغرود الطولية فتظهر من تحتها الأرض الصلبة التى تتكون منها الهضبة ، غير أن هذه التكوينات تستعيد ضخامتها من جديد كلما سرنا جنوبا حتى اذا ما اقتربنا من هضبة الجلف الكبير ظهرت من خلال الرمال قمم صخرية لبعض التلال التى طغى عليها الرمل ، وتأخذ هذه القمم فى الكثرة كلما اتجهنا جنوبا حتى اذا ما بلغنا هضبة الجلف الكبير تجمعت بعضها مع بعض وكونت الحافة الشمالية التى ينتهى عندها بحر الرمال . وأهم ما يعنينا من هذا البحر أنه منطقة لا يمكن اجتيازها بأية وسيلة من وسائل النقل البرى ، ولذا فهو أصلح المناطق لأن يجتازه خط الحدود .

منطقة الحجر الرملى النوبى

والى الجنوب من بحر الرمال تجتاز الحدود الغربية لمصر منطقة الحجر الرملى النوبى ، وتتألف هذه المنطقة من صخور رملية شديدة الصلابة تعرف بالخرسان النوبى . وأهم ما يمتاز به سطحها الاستواء التام الذى يساعد على سهولة الحركة فى أى اتجاه .

ويمكن عبور الحدود فى هذه المنطقة فى أية نقطة من نقطها ، ولكن نظراً لعظم الجفاف الذى يسود الاقليم ، وانعدام الحياتين النباتية والحيوانية فيه يندر أن يسير فيه إنسان .

وتقوم فى وسط تكوينات الخرسان النوبى كتلة مرتفعة من الصخور النارية هى جبل العوينات ، وهى الكتلة التى تنتهى عند حدود مصر الغربية فى أقصى الجنوب .

أهمية الحدود الغربية لمصر

تعتبر المنطقة التي تمتد فيها الحدود الغربية لمصر — وبنوع خاص جزؤها الشمالي الذي يمتد من ساحل البحر شمالا حتى منخفض الواحات الشمالية جنوبا — مدخلا هاما من مداخل مصر دخلت البلاد عن طريقه أفواج كثيرة من الشعوب التي غمرت مصر وجعلتها آهلة بالسكان .

ولا نستطيع هنا أن نقدر مكانة هذا المدخل بالنسبة لمداخل مصر الأخرى مثل المدخل الشرقي الذي يمتد عبر شبه جزيرة طورسينا ويتلقى الموجات الآتية من بلاد الشرق الأوسط ، والمداخل الجنوبية التي تتلقى الموجات الآتية من القارة الافريقية ، إما بجوار البحر الأحمر أو على طول النيل أو في الدروب والمسارب الصحراوية التي تمتد بين مصر والسودان . ولكنا نستطيع أن نجزم أنه كان مدخلا رئيسياً ، وأن موجات بشرية ضخمة قد استقرت في مصر عن طريقه ، ونستطيع أن نجزم أيضاً أنه ظل طوال العصور التاريخية طريقاً مفتوحا تأتي منه الهجرات والغزوات الى أرض مصر ، وتخرج منه الجيوش والجماعات الى بقية البلاد التي تقع في شمال افريقية .

وعلى الرغم من أن المسارب والدروب كثيرة في هذا الاقليم ، وأنها تنتشر في كل جزء من أجزائه ، وتمتد في كل اتجاه من اتجاهاته ، فان الطرق التي كانت تتخذها الهجرات والغزوات للدخول الى مصر أو الخروج منها كانت وما زالت طرقاً محدودة حددتها طبيعة الاقليم الصحراوي ، وجعلتها قاصرة على المنطقة الشمالية منه ، وهي المنطقة التي تمتد بين ساحل البحر في الشمال ومنخفض الواحات الشمالية في الجنوب .

وهذه المنطقة التي يسهل السير فيها نظراً لما يصادفه الناس فيها من ماء يرتوون منه ، ومن عشب وحشائش ترعاها قطعانهم من الابل والأغنام هي المنطقة الوحيدة المفتوحة في صحراء مصر الغربية التي يمكن اجتيازها بين برقة ومصر نظراً لخلوها من العقبات الطبيعية .

والانتقال فى هذه المنطقة نفسها كان محدوداً أيضاً ، وكان على القافلة التى تريد الانتقال فيها شرقاً أو غرباً والجيش الذى توجهه مصر أو يتجه نحوها أن يتخذ طريقاً من اثنين :

إما الطريق الساحلى على طول البحر المتوسط ما بين برقة ومصر .

وإما طريق الواحات الذى يجتاز المنخفض الممتـــد الى الجنوب من الهضبة الشمالية ماراً بجالو وجغبوب وسيوة وقارة ومغرة .

ولكن نظراً لأن الأراضى سهلة فى المنطقة الساحلية ، ولأن الأحوال المناخية ملائمة وموارد المياه مضمونة فان الطريق الساحلى كان أكثر استعمالاً من طريق الواحات وقد اجتازته الغالبية العظمى من الهجرات والجيوش التى عبرت الاقاليم بين الشرق والغرب .

واذا نحن تتبعنا تاريخ مصر منذ عهوده الأولى تبين لنا أن المنطقة الغربية فيما وراء الحدود المصرية كانت وما زالت مصدراً لهجرات بشرية أوغزوات حربية إما من جانب الجماعات الرعوية التى كانت تعيش وراء الحدود وهدفها الوصول الى الأرض الخصيبة فى دلتا النيل ، وإما من جانب المصريين أنفسهم وهدفهم بسط نفوذهم على الجماعات التى كانت تهدد بلادهم من وقت الى آخر .

وتبين لنا أيضاً أن منطقة الحدود الغربية لمصر قد شهدت صراعاً عنيفاً بين المصريين والليبيين كان فى أول الأمر لا يزيد على ثورات كانت الجماعات الليبية تقوم بها ضد الحكم المصرى فيكتفى المصريون باخضاعها وحماية بلادهم منها ، ثم تحولت فيما بعد الى حروب عنيفة بين قوى حربية ضخمة كان يحشدها الطرفان .

وقد بدأ الصراع فى هذه المنطقة بين الفريقين فى الأسرة العاشرة ولكنه لم يبلغ أشده إلا فى الدولة الحديثة فى عهد الأسر التاسعة عشرة والعشرين والحادية والعشرين ، لأن ضغط الجماعات الليبية التى كانت تتجه الى مصر فى هذا الطريق كان شديد الوطء فى ذلك العصر ، وقد حشد له ملوك مصر كل قواهم ليدرءوا عن أنفسهم الأخطار التى كانت تهددهم .

ومما يلاحظ على الغزوات التى كان الليبيون يوجهونها الى مصر أنها كانت تتفق مع موجة بشرية اكتسحت القارة الأوربية ودفعت أمامها الشعوب التى كانت فى جهاتها الجنوبية فاضطرت هذه الشعوب الى الاتجاه الى القارة الافريقية عن طريق إيطاليا وصقلية وتونس وطريق جبل طارق ومراكش .

ولم تستطع تلك الشعوب أن تتوغل جنوباً فى القارة الافريقية بسبب العقبات الطبيعية التى صادفتها سواء أكانت جبالا مرتفعة أم صحارى مجدبة فاندفعت على طول الساحل الافريقى لتفسح الطريق أمام الموجات التى تدفعها من الخلف . وقد كانت هذه الحركة عاملا رئيسياً جعل جماعات الربو (Rebu) يضغطون على جيرانهم فى الشرق من جماعات التحنو (Tehenu) ويحملونهم على الاتجاه معهم نحو الشرق .

وقد كانت عاملا رئيسياً أيضا جعل جماعات المشوش تظهر فى الميدان قادمة من الغرب وتضغط على جماعات الربو والتحنو ، وتحملها على الاتجاه معها نحو أرض مصر الخصيبة فى الشرق . وقد مرت بهذه المنطقة ، عدا الجماعات الليبية التى كانت تندفع نحو الشرق آتية من جهات برقة وطرابلس، الجيوش التى ساقها ملوك مصر لمقاومة تلك الجماعات ومقاومة غيرهم ممن غمروا المنطقة الشمالية من إفريقية بعدهم .

فهناك فى العهد الفرعونى نجد الجيوش التى ساقها منفتاح ورمسيس الثالث نحو الغرب ، وهناك فى العهد الرومانى نجد الجيش الذى وجهه نيكتاس من إقليم برقة شرقا نحو الاسكندرية (سنة ٦٠٩) . وهناك فى العهد الاسلامى نجد الجيش العربى الذى اتجه به عمرو بن العاص فى القرن السابع الميلادى نحو الغرب قاصداً برقة وطرابلس ثم جيوش الفاطميين التى اتجهت شرقا نحو مصر فى القرن العاشر الميلادى آتية من أرض تونس عبر طرابلس وبرقة . ثم جموع الهلالية التى اجتازت دلتا النيل واتجهت غربا نحو أراضى برقة وتونس فى القرن الحادى عشر . وهناك فى العصر الحديث نجد الحملة الأمريكية التى اجتازت المنطقة سنة ١٨٠٥ ، والجيوش الضخمة التى ساقتها دول المحور من جانب ودول الحلفاء من جانب آخر وأخذت تصول وتجول فى الاقليم برجالها وعتادها .

هذه جميعها قد اجتازت منطقة الحدود الغربية لمصر من الشرق الى الغرب أو من الغرب إلى الشرق وكانت تتبع فى حركتها طريقاً واحداً دائماً هو الطريق الشمالى الذى يمتد على طول المنطقة الساحلية لأنه طريق سهل تتوفر فيه المياه وتساعد ظروفه المناخية والنباتية على السير فيه .

ولا يقل طريق الواحات سهولة عن هذا الطريق من حيث موارد المياه ، والحياة النباتية ، ولكنه طريق رخو فى أغلب أجزائه لايتحمل ضغط الحركة الميكانيكية عليه خصوصاً فى المناطق السبخة .

ولا يذكر التاريخ إلا غزوة واحدة اتخذت هذا الطريق هى غزوة السنوسيين الذين هاجموا الواحات المصرية خلال الحرب الأوربية الأولى سنة ١٩١٦ وقد كانت على كل حال غزوة فاشلة لأن موارد الاقليم لم تكن من الكثرة بحيث تكفى جموعهم التى هبطت أرض الواحات .

ولا يذكر التاريخ كذلك أن غزوة واحدة من الغزوات التى وجهت شرقاً نحو مصر أو خرجت منها نحو الغرب قد استطاعت أن تجتاز منطقة الهضبة المرتفعة التى تمتد بين الطريقين السابقين . والسبب فى ذلك أن موارد الماء محدودة فى المنطقة وأنها تكاد لا تكفى جموع الجيوش المتحركة وأن الانتقال صعب فى جهات الاقليم لشدة الحاجة الى الدواب الصالحة للسير فيه ، ولكن يجب أن لا ننسى مع كل ذلك أن الحرب الميكانيكية الحديثة قد قلبت الأوضاع جميعا وأن المعركة العنيفة التى شهدتها منطقة الهضبة فى الحرب الأخيرة قد أثبتت أن الجيوش التى تعتمد على السيارات والدبابات والطيارات تستطيع التنقل في أية جهة من جهات الهضبة وفى أى اتجاه من اتجاهاتها . وليس معنى هذا أن الجيوش الحديثة تستطيع اجتياز الحدود الغربية لمصر فى أية نقطة من نقطها، لأننا اذا استثنينا المنطقة الساحلية التى تجاور البحر الأبيض المتوسط، وهى منطقة يسهل اجتيازها ، ومنطقة المنخفض الذى تشغله الواحات الشمالية ، وهى منطقة يسهل اجتيازها أيضاً ، ومنطقة الهضبة التى تمتد بين المنطقتين السابقتين وهى طريق مفتوح للدبابات والسيارات ، فانا لا نصادف نقطة واحدة على طول الحدود

الغربية لمصر تستطيع الجيوش الحديثة أو غير الحديثة اجتيازها . و تعليل هذا أن بحر الرمال الناعمة الذي يشغل المساحة الواسعة التي تمتد جنوبي منخفض سيوة و جغبوب و يمتد جنوبا حتى هضبة الجلف الكبير عقبة كأداء في سبيل المواصلات . و لم يستطع العقل البشرى بعد أن يخلق أية وسيلة من وسائل النقل البرى تستطيع اجتيازها .

من هذا يتبين لنا أن أهم جزء في حدود مصر الغربية تجدر العناية بتخطيطه وتحديده هو الجزء الذي يمتد بين ساحل البحر الأبيض في الشمال وبين الحافة الشمالية لبحر الرمال الذي يمتد جنوبي منخفض سيوة وجغبوب أو بعبارة أخرى الجزء الذي يمتد عبر المنطقة الساحلية في الشمال ومنخفض الواحات في الجنوب ومنطقة الهضبة التي تمتد بين الاثنين ، ومن هذه جميعا تتألف المنطقة التي تستطيع الحملات الميكانيكية الحديثة اجتيازها .

*
* *

التطور التاريخي للحدود

لن نعرض لهذا التطور إلا في العصر الحديث الذي يبدأ بتولى محمد على عرش مصر لأن الاهتمام بحدود مصر لم يبدأ إلا منذ ذلك التاريخ عند ما فكر محمد على في التركة التي سيخلفها لأولاده من بعده ، وفي تحديد الوطن المصرى تحديداً دقيقاً .

وقد حدد الفرمان الذي أصدره سلطان تركيا في ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ بمنح محمد على ولاية مصر له ولأبنائه من بعده خط الحدود الغربية لمصر وقد ألحق بذلك الفرمان خريطة توضيحية ولكنها مفقودة وليس لها أثر على الأطلاق بين الأوراق الرسمية للحكومة المصرية . وقد حصلت الحكومة المصرية على خريطة أخرى يقال إنها صورة من خريطة مماثلة محفوظة بين أوراق الحكومة التركية . ولكن يبدو أنها غير صحيحة لأن الحدود التي وردت فيها تختلف اختلافاً كبيراً عن الحدود التي تظهر في بعض الخرائط الأجنبية المعاصرة إذ بينما تبدأ الحدود بمقتضى صورة الخريطة المفقودة من نقطة تقع على ساحل خليج الكنائس و تمتد جنوبا بحيث تخرج واحتى جغبوب وسيوة والأراضى المحيطة بهما من أملاك مصر نراها بمقتضى خريطة فرنسية نشرت في سنة ١٨٢٧ تبدأ من السلوم ثم تسير في اتجاه جنوبي غربي حتى

تصل الى نقطة تبعد بنحو ٤٠ كيلومتراً الى الشرق من جالو ثم تنحرف بعد ذلك نحو الجنوب الشرقى حتى إذا بلغت نقطة الى الجنوب من واحة سيوة انحرفت نحو الجنوب وامتدت على مسافة قريبة من واحات الفرافرة والداخلة وسليمة أى أنها تضم الواحات جميعاً الى الأراضي المصرية .

وقد أعلن الأتراك فى عام ١٩٠٤ أن حدود مصر الغربية تبدأ من رأس علم الروم وليس من السلوم ولكن الحكومة البريطانية اعترضت على ذلك وأعلنت أن الحدود الغربية لمصر تبدأ من جبل السلوم فى الشمال وتسير فى اتجاه جنوبى غربى بحيث تدخل واحتا سيوة وجغبوب فى أرض مصر .

وفى عام ١٩٠٥ قدم اللورد كرومر مذكرة الى الحكومة التركية بشأن تخطيط الحدود بين مصر وطرابلس ، وقد نص فيها على أن خط الحدود يبدأ من بيكون بوينت (Beacon Point) وبهذا يكون خليج السلوم تابعاً لمصر .

وفى عام ١٩٠٧ أرادت الحكومة التركية الدخول فى مفاوضات مع مصر بشأن تخطيط الحدود الغربية لها ، ولكن سفير بريطانيا فى استانبول أبلغها أن انجلترا تتمسك بالمذكرة التى قدمها اللورد كرومر ، وذكرها بأن واحتى جغبوب وسيوة تابعتان لمصر .

وفى نفس ذلك العام أى فى سنة ١٩٠٧ تقدم سفير إيطاليا فى لندن الى الحكومة البريطانية قائلا إن حدود مصر الغربية تبدأ من رأس علم الروم وتسير فى اتجاه جنوبى غربى حتى نقطة التقاء خط طول ٢٥ شرقا بخط عرض ٣٠ شمالا ثم تتبع بعد ذلك خط طول ٢٥ شرقا حتى نقطة التقائه بخط عرض ١٥ شمالا ، ولكن الحكومة البريطانية أجابته بأن مشاكل الحدود التى تقوم بين مصر وبين أية جهة من جهات الامبراطورية العثمانية هى من شأن الحكومة المصرية والدولة العثمانية ويجب أن تحل عن طريقهما وحدهما .

وفى سنة ١٩١١ اشتبكت إيطاليا فى حرب مع الدولة العثمانية ، وأعلنت محاصرتها لسواحل طرابلس وشمل حصارها إذ ذاك كل المنطقة الساحلية التى تمتد حتى خط طول ٥٤َ — ٢٧° شرقاً ولكنها عادت فقصرت محاصرتها

على المنطقة الممتدة غربى السلوم وذلك بعد أن تدخلت بريطانيا فى الأمر وقدمت احتجاجا الى إيطاليا .

وفى نفس هذا العام وضع اللورد كتشنر مشروعين لتخطيط الحدود الغربية لمصر عرف أحدهما بالمشروع (ا) وعرف الثانى بالمشروع (ب) .

وبمقتضى المشروع (ا) تبدأ الحدود الغربية لمصرعند رأس الملح على ساحل البحر المتوسط ثم تمتد فى اتجاه جنوبى غربى حتى نقطة التقاء خط طول ٢٤° شرقاً بخط عرض ٣٠ شمالا ثم تمتد بعد ذلك فى اتجاه جنوبى على طول خط طول ٢٤ حتى نقطة التقاء هذا الخط بخط عرض ٢٢ شمالا . وبناء على ذلك تدخل السلوم وبرديا فى الشمال وجغبوب وبئر أبو سلامه فى الجنوب ضمن الأراضى المصرية .

وبمقتضى المشروع (ب) تبدأ الحدود من بيكن بوينت على ساحل البحر المتوسط عند السلوم وتمتد فى اتجاه جنوبى غربى حتى النقطة التى يلتقى عندها خط الحدود الأول (ا) بتقاطع خط طول ٢٤ شرقاً وخط عرض ٣٠ شمالا ثم تسير مع خط الحدود الأول حتى خط عرض ٢٢ شمالا . وبناء على ذلك تدخل جغبوب وبئر أبو سلامه فى الجنوب ضمن الأملاك المصرية أما برديا فانها تقع خارج الحدود .

وفى عام ١٩١٥ أى (خلال الحرب الأوربية الأولى) احتلت إيطاليا ميناء برديا كما احتلت الأراضى التى تقع الى الشمال الغربى من السلوم مباشرة ولكن المفهوم أن ذلك الاحتلال كان احتلالا مؤقتاً وأنه لم يكن لتترتب عليه أية حقوق لايطاليا بعد انتهاء الحرب الأوربية .

وفى مؤتمر الصلح الذى عقد فى باريس سنة ١٩١٩ طالبت الحكومة البريطانية فى إلحاح أن تتسع الأراضى المصرية فى منطقة السلوم ناحية الغرب كما طالبت الحكومة الايطالية بضم برقة وواحة جغبوب الى أملاكها، ولكن لم يتم الاتفاق على شىء من ذلك .

وقد تجدد الحديث بين هاتين الدولتين بشأن الحدود بين مصر وبرقة فقدمت إيطاليا على يد شالويا المشروع التالى فى سنة ١٩١٩

يبدأ الحدود عند السلوم من بيكون بوينت (Beacon Point) وتتجه نحو الغرب حتى نقطة تقاطع خط طول ٢٥ بخط عرض ٣٠ وهى تقع بين أم مساعد والسلوم ثم تتبع الحدود بعد ذلك خط طول ٢٥ حتى تبلغ خط عرض ١٦ شمالا حيث تلتقى بخط الحدود الذى عينته (اتفاقية مارس سنة ١٨٩٩ بين فرنسا وانجلترا) وهو الخط الذى يفصل بين منطقة النفوذ البريطانى فى الشمال ومنطقة النفوذ الفرنسى فى الجنوب .

وبناء على هذا المشروع تخرج من أراضى مصر أم مساعد وبئر الشقة فى الشمال وملفا وأجدابية وجغبوب وبئر أبو سلامه فى الجنوب .

وفى عام ١٩٢٠ قدمت الحكومة البريطانية على يد ملنر مشروعاً ترد به على المشروع الايطالى وتبـــدأ الحدود بمقتضاه من نقطة على ساحل البحر المتوسط تقع فى منتصف المسافة بين السلوم وبرديا ثم تسير فى اتجاه جنوبى غربى حتى تصل الى مسرب الشفرزن بشرط ألا تقترب من السلوم بأقل من ١٥ كيلو مترا ، ثم تمر بعد ذلك بسيدى عمر وبئر شفرزن وبئر الشقة ومجموعة النخيل التى توجد بالقرب منها . ثم تسير فى اتجاه جنوبى غربى على طول مسرب الاخوان بحيث يكون المسرب الى الشرق منها . وعند ما تبلغ ملتقى مسرب الاخوان بمسرب القرن تتبع مسرب القرن حتى نقطة التقائه بمسرب العجروم ، ومن ثم تسير فى محاذاة مسرب العجروم من ناحية الغرب حتى أطراف واحة ملفا . وتغير الحدود اتجاهها بعد ذلك فتسير فى اتجاه جنوبى جنوب غربى مخترقة واحة ملفا وجغبوب ثم تعبر مسرب جالو وتمتد بحيث لا يقل بعدها عن ممر وليامز وممـر منسب من ناحية الغرب عن ١٠ كيلو مترات . وعند ما تبلغ الحدود خط طول ٢٥ شرقاً تسير على طوله حتى نقطة التقائه بخط عرض ٢٠ شمالا ثم تمتد فى اتجاه مستقيم الى نقطة تقع الى الشرق من الحدود التى تمتد بين المستعمرات البريطانية والمستعمرات الفرنسية وهذه توجد الى الشمال من خط عرض ١٩ شمـالا . وبناء على هذا المشروع تخرج من أراضى مصر واحة جغبوب وبئر أبو سلامه ولكن يضم اليها مساحة من الارض بجوار السلوم من ناحية الغرب .

وفى يونيه سنة ١٩٢٩ أرسل المستشار المالي مذكرة الى الحكومة المصرية يرفع بها المشروعين السابقين : مشروع الحكومة الأيطالية ومشروع الحكومة البريطانية التى ترد به على مشروع الحكومة الأيطالية ويطلب منها إبداء رأيها فى مقترحات الحكومة البريطانية ، وقد ذكر المستشار المالى فى تلك المذكرة أن الحكومة البريطانية ترى أن الاقتراحات التى تقدمت بها كل من تركيا وايطاليا فى الماضى خاصة بحدود مصر الغربية تلحق بالمصالح المصرية ضرراً بليغاً لأنها جميعا كانت ترمى الى حرمان مصر من أراض ترى بريطانيا أنها من صميم البلاد المصرية . ثم أشار الى أنه بالنسبة لتعديل المقترحات الايطالية تعديلا يتجلى فيه هبوط أطماع ايطاليا كما يظهر فى المشروع التى تقدمت به أخيراً فانه من الميسور الوصول مع تلك الحكومة الى اتفاق على الحدود تراعى فيه المصالح الايطالية والمصالح المصرية على السواء .

وقد أشار المستشار المالي الي مشروع كتشنر قائلا إن الخط المرموز له بحرف (ا) هو أكثر الخطوط ملاءمة لمصر لأنه يعطيها ميناء برديه ويعطيها مساحة واسعة من الأرض في الشمال الغربي من السلوم ولكنه عاد فقال: «وحيث أن هذا الخط يعطى لمصر أكثر مما تقدمت بطلبه فى سنة ١٩٠٥ عن طريق البرقية التى أرسلها اللورد كرومر الي استامبول فقد تم الاتفاق بين الحكومة البريطانية والحكومة المصرية على أن يكون الخط المرموز له بحرف (ب) هو الخط الذى يعين بصفة عامة حدود مصر الغربية».

وقد سبق أن رأينا أن هذا الخط يضع جغبوب ضمن الاراضى المصرية ، ولكنه فى نفس الوقت يضر بالمصالح المصرية لأنه لايترك الى جانب السلوم أرضا كافية تمكن مصر من الدفاع عن ذلك الميناء . وهذا ما دعا المستشار المالى الى تأييد المشروع الجديد الذى يعطى لمصر مساحة من الارض الى جانب السلوم من الناحية الغربية يمكنها من الدفاع عن الميناء فى نظير مساحة من الأرض الصحراوية تعطيها مصر لايطاليا فى المنطقة الداخلية ونعنى بذلك منطقه جغبوب (وهذا هو مضمون اتفاق ملنر وشالويا) .

وقد طلب المستشار المالي من الحكومة المصرية أن تدلي برأيها فيما اذا كانت مستعدة للتنازل عن واحة جغبوب نظير الحصول على الارض المجاورة للسلوم مذكراً إياها بأن الحكومة البريطانية تعترف بأن واحة جغبوب هي ملك لمصر وأن مصر عند ما تتمسك بملكيتها يكون لها الحق كل الحق لأن جميع الخرائط القديمة التى أمكن الحصول عليها تبين أن الواحة داخلة فى الاراضي المصرية ولأن الواحة ضرورية للدفاع عن سيوة ، ومذكراً إياها في نفس الوقت بأن جغبوب لم تخضع لمصر في يوم من الايام خضوعا فعلياً ، وبأن ايطاليا محقة عندما تقرر أن السنوسيين الذين يقيمون في برقة وطرابلس أكثر عدداً ممن يقيم منهم فى مصر ، وهم أحق بأن تكون الواحة التي يوجد بها قبر السنوسي جزءا من الارض التى يقيمون فيها ، وبناء على هذا تكون مصر وايطاليا كلتاهما على حق عندما تطالبان بضم جغبوب .

وقد ختم المستشار المالى مذكرته بقوله: « وعلى الرغم من أن الحكومة البريطانية ترعى حق مصر فى ملكية جغبوب فانها ترى أن من مصلحة مصر التنازل عن تلك الواحة لطرابلس نظير الحصول على مساحة من الأرض حول السلوم تمكن مصر من الدفاع عن المنطقة الساحلية التي تقوم فيها مدينة السلوم» .

وقد نظر مجلس الوزراء المصرى فى هذه المذكرة ولكنه لم يصل الى قرار ما بشأن ما جاء فيها ، وعندما جاءت المفاوضات الرسمية بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية فى لندن وهي المفاوضات التى قام بها عدلى باشا على رأس وفد رسمى لمصر درست اللجنة العسكرية الملحقة بهذا الوفد مسألة الحدود المصرية بصفة عامة والحدود الغربية بصفة خاصة . ورفعت هذه اللجنة مذكرة خاصة استعرضت فيها المشروعات المختلفة التى اقترحت لحل المسألة ثم ختمتها بقولها : « إن خط الحدود الذى عينه كتشنر ورمز له بحرف (ا) هو أنسب الخطوط وأكثرها ملائمة لمصر من الناحية العسكرية لأنه يمكن مصر من الدفاع عن الحدود الغربية بصفة عامة وعن المنطقة الساحلية بصفة خاصة ولهذا تحتم اللجنة أن يتخذ هذا الخط حداً غربياً لمصر ولو اضطر الأمر الى التخلى

عن واحة جغبوب والتنازل عنها لايطاليا التى تعلق أهمية كبيرة على امتلاكها بصفتها مركزاً هاماً من مراكز السنوسيين » . ولكن المفاوضات فشلت قبل أن يناقش هذا الموضوع .

وفي فبراير سنة ١٩٢٢ رفعت الحماية البريطانية عن مصر وصارت مصر مملكة مصرية ذات سيادة وأصبح لزاماً عليها أن ترعى شئونها بنفسها ، وبناء على ذلك أرسل المندوب السامى البريطانى فى ٢٦ يونيه سنة ١٩٢٢ كتاباً الى الحكومة المصرية يقول فيه : « إن بريطانيا بعد أن رفعت الحماية عن مصر لا ترى مبرراً للاستمرار فى المفاوضة مع ايطاليا بشأن الحدود الغربية لمصر دون تأييد من الحكومة المصرية وتعاون مع وزارة الخارجية المصرية » .

وقد أرسل المندوب السامى الى الحكومة المصرية بناء على ذلك المذكرتين الاخيرتين اللتين وردتا الى الحكومة البريطانية من سفير ايطاليا واللتين توضحان المدى الذى وصلت اليه المفاوضات بين بريطانيا وايطاليا بشأن حدود مصر . وقد ورد فى هاتين المذكرتين إشارة الى المشروع الذى تقدمت به بريطانيا رداً على المشروع الايطالى . وقد أضاف المندوب السامى الى ذلك قوله : « إن الحكومة البريطانية على استعداد تام لمساعدة الحكومة المصرية اذا هى أرادت الوصول مع الحكومة الايطالية على اتفاق بشأن الحدود الغربية » ثم قال : « وليكن معلوماً أن خط الحدود الذى يمكن تعيينه فى هذه الحالة لن يمتد ناحية الجنوب إلا لغاية الحدود الشمالية للسودان » .

موقف الحكومة المصرية

سبق أن بينا أن بريطانيا كانت فى عهد الاحتلال تدافع عن مصالح مصر وأنها من أجل ذلك وقفت أمام الدول التى كانت تطمع فى أملاك مصر فوقفت أمام تركيا عندما أرادت الأخيرة تعديل الحدود الغربيه لمصر لمصلحتها ، ووقفت أمام ايطاليا عندما حاولت هذه بسط نفوذها على الساحل الشمالى لمصر ثم ذكرنا أن بريطانيا كانت قد اتفقت بعد الحرب الأوربية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨)

مع ايطاليا بمقتضى اتفاق ملنر — شالويا على أن تتنازل مصر عن واحة جغبوب لايطاليا نظير مساحة من الأرض مجاورة للسلوم تتركها ايطاليا لمصر .

وذكرنا أن الحكومة البريطانية كتبت الى حكومة مصر تخبرها بما تم الاتفاق عليه بينها وبين ايطاليا وتترك لها الحرية فى تسوية المسألة مع ايطاليا ما دامت هى قد رفعت حمايتها عن مصر .

ومن هنا تدخل المسألة فى دور جديد لأن الحكومة المصرية وقد تولت زمام الأمر فى يدها وجدت أن معالجة هذه المسألة ستكون أول امتحان لها فى حياتها السياسية الجديدة . لهذا أولت المسألة كل عناية فبحثها مجلس الوزراء فى جلسة ١٥ أغسطس سنة ١٩٢٢ ووافق الوزراء بناء على اقتراح قدمه وزير الحربية على تأليف لجنة مهمتها النظر فى حل مشكلة الحدود الغربية لمصر حلا يلائم المصالح المصرية والمصالح الايطالية على حد سواء ، على أن تنتقل تلك اللجنة الى منطقة الحدود ، وتعين على الطبيعة الخطوط التى تضمنتها المشروعات المختلفة التى قدمت فى السنوات الأخيرة ، وتتبين القيمة الحربية لكل منها ، وتجمع من البيانات ما يمكن مجلس وزراء مصر من تحديد الأسس التى يمكن أن يقوم عليها حل مشكلة الحدود .

وقد ورد فى تقرير اللجنة أنها بعد أن اطلعت على كل المكاتبات التى تبودلت بين بريطانيا وتركيا وايطاليا فى الفترة التى تمتد بين عامى ١٨٤١و١٩٠٤ والفترة التى تمتد بين عامى ١٩٠٤و١٩٢٢ وبعد أن اطلعت على المشروعات المختلفة التى قدمتها الدول المذكورة بشأن الحدود الغربية لمصر وبعد أن عاينت الخطوط جميعاً على الطبيعة ، رأت أن السلوم ضرورية لمصر ، وأنها على الرغم من تحصينها الطبيعى لابد من أخذ الاحتياطات التى تضمن سلامتها ، ولا يكون ذلك إلا بامتلاك مساحة من الأرض حولها تكفى لصد أى هجوم يوجه اليها . ورأت أن جغبوب جزء من الأراضى المصرية وأنها قريبة جداً من واحة سيوة ومكملة لها ، وأن صلات قوية تربط بين سكان هاتين الواحتين ، وأنه لا يمكن التخلى عن جغبوب مهما كانت الظروف ، حتى لا تكون مركزاً تتجمع فيه

القوى المعادية التي تريد مهاجمة الحدود الغربية لمصر أو تريد تهديد واحة سيوة .
ورأت أيضا أن الطريق الذي يمتد بين سيوة وبئر أبو سلامه مارا بجسربو
جالو ومخترقا ممرى وليامز ومنسّب يجب أن يبقى في يد الدولة التي تملك
واحة سيوة لأنه طريق تستطيع القوافل اجتيازه .

وقد اقترحت اللجنة بناء على ذلك أن يبدأ خط الحدود الغربية لمصر من
نقطة على ساحل البحر الأبيض المتوسط تقع شمالى السلوم وتبعد عنها بنحو عشرة
كيلو مترات ثم يمتد فى اتجاه جنوبى غربى حتى يصل الى بئر سيدى عمر ويسير
الى الغرب من هذا البئر فى خط مستقيم حتى يصل الى الوشكة وهى نقطة التقاء
مسرب الأخوان بمسرب الشقة ومن ثم يمتد فى خط مستقيم فى اتجاه جنوبى
غربى حتى نقطة التقاء خط طول ٢٤ شرقا بخط عرض ٢٩,٥ شمالا ثم يتبع
خط طول ٢٤ حتى نقطة التقائه بخط عرض ٢٢ شمالا .

ووقفت مسألة الحدود عند هذا الحد حتى راجت إشاعة في يوليه سنة ١٩٢٤
فحواها أن الايطاليين يستعدون إستعداداً حربياً لاحتلال واحة جغبوب وتبين
للحكومة القائمة فى ذلك الوقت — وكانت حكومة سعد باشا زغلول — أن نوايا
الايطاليين بالنسبة لمصر لم تكن طيبة رغم تأكيد ممثل إيطاليا فى مصر المرة بعد
المرة بأن احتلال واحة جغبوب لم يكن فى برنامج السياسة الايطالية ، ففكرت
أن تبادر هى باحتلال الواحة احتلالا عسكريا أو إدارياً كى تضيع على إيطالياً
ذلك الأمل الذى تحلم به .

وقد استشارت الحكومة المصرية رجالها الفنيين فى أمر ذلك الاحتلال
فأفتوا جميعاً بضرورة القيام به ، ولكنها لم تقدم على تنفيذ الفكرة لأنها خشيت
أن تعد إيطاليا ذلك العمل عدائياً بالنسبة لها .

وعلمت إيطاليا بنية الحكومة المصرية نحو احتلال الواحة فطلبت منها
تأكيداً بأنها لن تعمد الى احتلال الواحة فتم لها ما أرادت ، ولكنها منذ ذلك الوقت
أخذت تتحرش بمصر بشتى الوسائل فكانت تستفزها أحياناً بانتهاك حرمة
الحدود ، وتهددها أحياناً بزيادة القوات الحربية فى النقط العديدة التى أقامتها

على طول الحدود وكانت غايتها من كل ذلك أن تسحث الحكومة المصرية وتحملها على عقد اتفاق معها تتنازل بمقتضاه عن واحة جغبوب .

موقف إيطاليا

يستطيع المؤرخ أن يلمح اتجاه السياسة الايطالية نحو تملك طرابلس التى تقع مقابلة لبلادها فى الجانب الآخر من البحر المتوسط منذ ابتداء القرن العشرين ، وقد رأينا فى أول عرضنا للتطور التاريخى للحدود كيف أن إيطاليا أرادت فى سنة ١٩٠٧ إبداء رأيها فى النقطة التى تبدأ منها الحدود الغربية لمصر على ساحل البحر المتوسط وفى امتداد خط الحدود نحو الجنوب ، ورأينا كيف أن الحكومة البريطانية نبهتها إلى أن أمراً كهذا لا يعنى أحداً سوى مصر والدولة العثمانية ، فهما وحدهما صاحبتا الشأن فى ذلك .

ورأينا أيضاً كيف أن إيطاليا اشتبكت فى حرب مع الدولة العثمانية فى سبيل الاستيلاء على طرابلس ولقد نزلت إيطاليا أول ما نزلت فى المنطقة الساحلية منها ، ولكن الاهالى هناك قاوموها مقاومة شديدة حالت بينها وبين التوغل فى داخل البلاد . وبذلت إيطاليا جهوداً جبارة فى استمالة الاهالى إليها واخضاعهم لنفوذها تارة بالارهاب وتارة بالمسالمة والخديعة ، ولكنها لم توفق فى ذلك . من ذلك أنها فى خلال الحرب الاوربية الاولى أرادت أن تستميل إليها السيد أحمد السنوسى رئيس الطريقة السنوسية التى يدين بها سكان طرابلس جميعاً بجعله أميراً على قسم كبير من البلاد وتركه يتمتع بسلطانه الدينى كاملا فى طول البلاد وعرضها على شرط أن يخضع لنفوذ إيطاليا السياسى ، ولكن السنوسى لم يقبل ذلك وترك البلاد وسافر إلى تركيا .

ودخلت إيطاليا بعد ذلك فى مفاوضات طويلة مع ابن أخيه السيد محمد السنوسى وكان لا يزال مقيما فى البلاد ، وقام لها بهذه المهمة الكولونيل تالبوت وقد قبل السيد محمد السنوسى العروض الايطالية فاعترف لايطاليا فى سنة ١٩١٧ بحق سيادتها على برقة وعلى الأراضى الصحراوية التى تمتد الى الجنوب منها ، ثم اعترف لها فى سنة ١٩٢٠ بحق السيادة على الكفرة ، وعلى هذا النحو

حققت ايطاليا ما كانت تصبو اليه من أطماع في برقة وفي الأراضي الصحراوية التي تمتد وراءها حتى حدود السودان ، ولكن كان ينقصها أن تعترف الدول بهذه الحقوق التي اكتسبتها ، وقد سنحت الفرصة لذلك الاعتراف في الأيام الأولى من الحرب العظمى ١٩١٤ — ١٩١٨ عندما كانت فرنسا وانجلترا تحاولان إغراء ايطاليا بدخول الحرب ، ففي معاهدة لندن التي عقدت في أبريل سنة ١٩١٥ تعهدت الدولتان (فرنسا وانجلترا) أنهما اذا كسبتا الحرب وضمتا الى أملاكهما المستعمرات الألمانية في أفريقيا ستعوضان الحكومة الايطالية عما قد يصيبها في تلك الحرب بتعديل حدود المستعمرات الأفريقية التابعة لها .

وقد دخلت إيطاليا الحرب مع الحلفاء وكان نصيبهم جميعاً أن انتصروا على الألمان فجردوا هؤلاء من مستعمراتهم في إفريقية وفي غيرها من بلاد العالم . وعندما انتهت الحرب في سنة ١٩١٨ أخذت إيطاليا تستحث الحلفاء على أن يبروا بوعودهم وأن ينفذوا ما سبق الاتفاق عليه من تعديل الحدود في المستعمرات الايطالية ومن بينها حدود برقه . وقد بر الحلفاء بوعدهم فعلا لأن اللجنة التي ألفت من بين أعضاء مؤتمر السلام الذى عقد في باريس سنة ١٩١٩ للنظر في تطبيق ما انطوت عليه المادة ١٣ من معاهدة لندن رأت أن تجزى إيطاليا باجراء تعديل في الحدود التي تمتد الى الشرق من مستعمرة ليبيا التابعة لها ، وقد وافق مندوب بريطانيا في تلك اللجنة — وكان اللورد ملنر — على أن تضم جغبوب لمستعمرة ليبيا وتكون جزءاً من أملاك إيطاليا ، على أن تعوض مصر بمساحة من الأرض الى الغرب من السلوم تتركها إيطاليا لها ، ولكن الظروف في ذلك الوقت لم تكن تسمح لبريطانيا أن تبت نهائيا في أمر كهذا يمس السيادة المصرية .

وقد أعقب ذلك مباشرة أن رفعت بريطانيا حمايتها عن مصر (في فبراير سنة ١٩٢٢) فترك أمر تعديل الحدود بين مصر وليبيا للحكومة المصرية والايطالية لبحثه وتقرير ما تريانه . وقد بدأت المفاوضات بين الحكومتين في أغسطس سنة ١٩٢٢ ولكن يبدو أن صعابا عديدة اعترضت المفاوضين من كلا الجانبين فتوقفت المفاوضات ، ولكن أحداثا جديدة لاحت فوق الأفق جعلت

تعيين الحدود بين مصر وليبيا أمراً يجب الانتهاء منه بأية صورة من الصور ، لأن السنوسيين أخذوا يناوئون الايطاليين من جديد ويهددونهم فى كل جزء من أجزاء ليبيا ، وكان من الضرورى على الايطاليين اذا هم أرادوا الاستقرار فى ليبيا أن تكون لهم السيطرة الكاملة على السنوسيين .

ورأت إيطاليا أنها لن تقدر على كسر شوكة السنوسيين إلا اذا تملكت جغبوب تلك الكعبة التى يحجون اليها من أقصى البلاد لزيارة قبر السنوسى الذى يقدسونه . ولكن إيطاليا كانت تعلم علم اليقين أن جغبوب ملك لمصر ، وأنها لا تستطيع الاستيلاء عليها إلا اذا اتفقت مع مصر . وقد بدا لها أن الاستيلاء على جغبوب بعد أن رفعت بريطانيا حمايتها على مصر أصبح أمراً ميسوراً ، نظراً لما تعتقده فى ضعف مصر من الناحية الحربية ، فجردت على مصر حملة منظمة من الارهاب الحربى كان من مظاهره الهامة الحشود الهائلة التى كانت تجمعها فى ميناء برديا بالقرب من السلوم وفى النقط الحربية الكثيرة التى أقامتها على طول الحدود بين مصر وبرقة . وجردت عليها أيضاً حملة من الارهاب السياسى كانت تتجلى فى المقابلات والمذكرات الكثيرة التى تبادلها مندوب الحكومة الايطالية فى القاهرة مع رئيس الحكومة المصرية ووزير خارجيتها .

ولما تبين لايطاليا أن الحملات التى وجهتها لمصر فى ميدان الصحراء الغربية وفى ميدان القاهرة لم تجد شيئاً لجأت الى الحكومة البريطانية تستعديها على مصر وتطلب اليها أن تحقق الوعد الذى أعطته لايطاليا بتمليكها واحة جغبوب ، وأن تحمل مصر على تنفيذ اتفاق ملنر — شالويا . وهنا لا نستطيع الادعاء بأن بريطانيا بعد أن رفعت حمايتها عن مصر قد نفضت يدها تماماً من أمور مصر الخارجية والداخلية ، وابتعدت عن جو السياسة المصرية ، لأن بريطانيا استمعت الى نداء إيطاليا ، وضغطت على مصر فعلا وجعلتها تقبل الوضع كما هو . وقد اتخذ ضغطها هذا صورة نصيحة وجهها المندوب السامى البريطانى فى القاهرة الى رئيس الوزارة المصرية ووزير الخارجية فيها فى خطاب رسمى ..

موقف بريطانيا

إن من يتتبع مراحل التطور التاريخي لحدود مصر الغربية لا يسعه إلا أن يؤمن بأن بريطانيا كانت دائماً أبداً تهتم بمصالح مصر وتدافع عن تلك المصالح ضد كل اعتداء خارجي. ولسنا هنا بصدد الكشف عن الدوافع التي كانت توجه بريطانيا نحو تلك السياسة، لأنها لا تخفى على أحد وإنما يعنينا من هذه الدراسة أن نبين الاتجاه الذي سارت فيه تلك السياسة، ومدى ما أصاب ذلك الاتجاه من انحراف.

لقد دافعت بريطانيا عن مصر ضد أطماع الدولة العثمانية في سنة ١٩٠٤ عندما ادعى الأتراك أن حدود مصر تبدأ من رأس علم الروم وليس من السلوم. فاحتجت وأعلنت أن الحدود تبدأ من السلوم وليس من رأس علم الروم. وبذا حفظت لمصر مساحة واسعة من الأرض كانت ستفقدها.

ودافعت عن مصر مرة ثانية في سنة ١٩٠٥ عندما قدم اللورد كرومر مذكرة الى الدولة العثمانية ينص فيها على أن خط الحدود الغربية لمصر يبدأ من ساحل البحر المتوسط عند السلوم من نقطة بيكون بوينت (Beacon Point) بحيث يجعل خليج السلوم تابعاً لمصر.

ودافعت عن مصالح مصر مرة ثالثة في سنة ١٩٠٧ عند ما أرادت تركيا الدخول في مفاوضات مع مصر بشأن تخطيط الحدود الغربية، إذ قدم سفير بريطانيا في استامبول مذكرة تنص على أن واحتى جغبوب وسيوة تابعتان لمصر.

ودافعت عن مصر مرة رابعة في سنة ١٩٠٧ أيضاً عندما تدخل سفير إيطاليا في لندن في أمر مصر قائلا إن حدود مصر الغربية تبدأ من رأس علم الروم وليس من السلوم، لأنها نبهت ذلك السفير إلى أن مشاكل الحدود المصرية هي من شأن الحكومة المصرية والدولة العثمانية وحدهما وأنها لا تحل إلا عن طريقهما فقط.

ودافعت عن مصالح مصر مرة خامسة في سنة ١٩٠٧ أيضاً عند ما وضع اللورد كتشنر مشروعيه لتخطيط الحدود الغربية لمصر وهما المشروعان اللذان رمز لهما بحرفي ا، ب واللذان يحتفظان لمصر بملكية جغبوب وبئر أبي سلامه،

ويبدو أن بريطانيا أرادت أن تخدم المصالح المصرية بالطريقة التى تراها هى عندما اتفق اللورد ملنر مع السنيور شالويا على أن تعدل الحدود بين مصر وليبيا بحيث تترك لأيطاليا واحة جغبوب فى نظير مساحة من الأرض تتنازل عنها إيطاليا لمصر بجوار السلوم من ناحية الغرب ، وأقول بطريقتها لأن بريطانيا وهى تعنى بمصالح مصر تنظر إليها بعين الدولة البحرية التى تسيطر على البحار وترى مصلحتها فى تأمين الموانى البحرية وليس بعين الدولة البرية التى تعنى بكل جزء من أملاكها مهما كان بعيداً عن البحر . وهذه النظرة هى التى أملت على بريطانيا أن تؤمن ميناء السلوم وأن تعمل جهد طاقتها على الحصول على مساحة كافية من الأرض المرتفعة التى تشرف عليها من ناحية الغرب لتضمن سلامتها من كل اعتداء . فبريطانيا دولة بحرية ويهمها أن تكون لها قاعدة بحرية مأمونة فى الطرف الغربى لساحل مصر كقاعدة السلوم .

أما جغبوب وهى المركز الدينى الذى يقدسه السنوسيون والكعبة التى يحجون اليها من مختلف جهات البلاد ، وهى التى يهتم بالأحتفاظ بها بلد اسلامى كمصر فان بريطانيا لا تعنى بها لأنها بعيدة عن متناول الأسطول البحرى الذى تعتمد عليه بريطانيا كل الاعتماد .

بهذه النظرة وحدها فكر الانجليز فى خدمة المصالح المصرية فكان الاتفاق الذى تم بين ملنر البريطانى وشالويا الايطالى .

ويبدو أن بريطانيا لم تكن مرتاحة لمسلك الحكومة المصرية (حكومة سعد) عندما عرضت هذه الحكومة لمسألة الحدود الغربية وتمسكت بملكية جغبوب . يدل على ذلك أنها استمعت الى نداء إيطاليا وعمدت إلى تأييدها فى مطالبتها بواحة جغبوب ، وضغطت على الحكومة المصرية فى صورة نصيحة ، فكانت النتيجة ذلك إبرام اتفاقية الحدود التى تمت بين مصر وإيطاليا فى ديسمبر سنة ١٩٢٥

واحة جغبوب هي محور النزاع بين مصر وايطاليا

يتضح مما سبق أن إيطاليا ومصر كانتا تعلقان أهمية عظمى على امتلاك واحة جغبوب ، وأن كلا منهما كانت له وجهة نظر خاصة ، فايطاليا تريدها لأنها القلب النابض الذى يوجه الحركة السنوسية ضد انتشار النفوذ الايطالى فى أرض برقة وطرابلس ، أما مصر فتريدها لأنها جزء من أملاكها ولأنها مركز اسلامى تعتز به مصر كدولة اسلامية لأنها الكعبة التى تحج اليها مجموعة كبيرة من سكان مصر هم بدو الصحراء الغربية وسكان الواحات المصرية . ثم لأنها مركز دفاعى هام عن الواحات المصرية ، بل إنها خط الدفاع الأول عن الأراضى المصرية من ناحية الغرب .

ولعل فى النبذة التاريخية التى نسوقها هنا عن نشأة السنوسية والمذهب السنوسى مايعين على معرفة أى هاتين الدولتين (مصر وايطاليا) أحق بملكية واحة جغبوب .

أنشأ المذهب السنوسي (مذهب الاخوان) السيد محمد بن على السنوسى ، وقد ولد فى الجزائر فى سنة ١٧٨٩ ، وبعد أن تلقى السيد السنوسى علومه بالجامعة الأزهرية فى القاهرة رحل الى مكة لأن حياة الزهد التى كان يحياها بالقاهرة وكراهيته للتجديد والبدع لم تحبب الناس فيه .

وقد اتصل السيد محمد بن على السنوسى وهو فى مكة برجل مشهور من رجال الدين هو السيد أحمد بن ادريس الفاسى وتتلمذ عليه . وتوطدت الصداقة بين الاثنين خصوصاً بعد ما آلت الى السنوسى رئاسة جماعة من الزهاد عرفوا بجماعة الطريقة المحمدية . ولكن معارضة الكثيرين من كبار المشايخ له ولمبادئه جعلته يهجر مكة ويعود الى إفريقية ويقيم فى البيضة .

وقد أقام السنوسي فى هذه القرية مدرسة (زاوية) وأخذ يعلم الناس فيها وينشر مبادئه ، ثم أرسل رسله الى الجهات المختلفة فى شمالى إفريقية مابين مراكش فى الغرب ومصر فى الشرق ليقيموا الزوايا ويعلموا الناس مبادىء المذهب السنوسى وقد أفلح هؤلاء الرسل فى إقامة عدد من الزوايا فى المناطق الصحراوية

التى تلتقى عندها طرق القوافل الآتية من الشرق والغرب والشمال والجنوب .
وكان المسافرون الذين يرتادون تلك الطرق يجدون فى زوايا السيد أحمد بن ادريس كل إكرام وترحيب ، وكانوا يلقون من اتباع مذهبه تذكيراً بأمور الدين وإخلاصاً لنشر مبادئ المذهب السنوسى ، وكان المسافرون إزاء ما يلقونه من إكرام وترحيب ينضمون الى جماعة الاخوان ويقومون بدورهم كرسل يبشرون بمبادئ الجماعة فى الجهات التى يمرون بها وبين العشائر التى ينزلون فيها ، وكان أهم ما يدعون اليه من مبادئ هو اتباع ما جاء فى القرآن بدقة وإخلاص والابتعاد عن مظاهر الترف والأبهة جميعاً . ولم يكن لأتباع هذه الجماعة طقوس دينية خاصة أو طريقة يؤدون بها الصلاة غير ما هو معروف لدى المسلمين جميعاً . وربما كانت أهم الظاهرات التى تميزهم عن غيرهم من أتباع الفرق الاسلامية الاخرى أنهم كانوا يحرمون استعمال الذهب والحلى وكل مقومات الترف بما فى ذلك الدخان والخمور ، وكانت جماعة الاخوان تكرة التعامل مع اليهود والمسيحيين وغيرهم من المشركين ، لذلك ابتعدوا عنهم وأسسوا مراكزهم فى قلب الصحراء .

وفى سنة ١٨٥٢ استقر السيد محمد بن على السنوسى فى واحة جغبوب وكان أتباعه قد بنوا فيها من قبل زاوية كبيرة . ويروى عنه أنه حول واحة جغبوب من مكان صغير لا قيمة له الى مركز سياسى وتجارى خطير .

وقد اتصل السيد السنوسى وهو فى جغبوب بأهالى واحة الكفرة فرحبوا بمبادئه وارتبطوا به وبواحة جغبوب ارتباطاً وثيقاً ، وقد توفى السيد بن على فى جغبوب ودفن بها فى سنة ١٨٥٩ وعند موته كان ابنه محمد المهدى صغيراً فظل تحت الوصاية حتى سنة ١٨٨٢ ثم تولى أمر الاخوان بعد ذلك .

وكانت جغبوب فى عهد محمد المهدى المركز الادارى لجماعة الاخوان ، وكان المهدى يشرف منها على إدارة سبع عشرة زاوية فى البلاد المصرية ويشرف على زوايا أخرى عديدة كانت تقوم فى مختلف جهات إفريقية الشمالية وعلى نحو عشرين زاوية كانت تقوم فى بلاد الحجاز واليمن . ويقدر

من كانوا يدينون بمذهب السنوسية من الأخوان بعدد يتراوح بين ١,٥٠٠,٠٠٠ الى ٣,٠٠٠,٠٠٠ نفس .

ويبدو أن السيد المهدى بقى فى جغبوب حتى نهاية سنة ١٨٩٥ ثم انتقل بعد ذلك الى الكفرة . وقد وافاه الأجل فى تشرو حيث كان يقاوم الفرنسيين الذين أتوا من منطقة تشاد ، ويحول دون توغلهم فى الأراضى الصحراوية نحو الشمال .

وعلى الرغم من أن مبادىء المذهب السنوسى مبادىء دينية بحتة ، ولا دخل لها بالسياسة أو الحرب فان السيد المهدى اضطر لمقاومة الفرنسيين الزاحفين من ناحية الجنوب ، كى يحمى أتباعه فى منطقتى واداى ودارفور ، ويحول دون خضوع هؤلاء لسلطان الكفرة من الأجانب .

وعند وفاة المهدى كان أبناؤه صغاراً لا يقوون على النهوض بأعباء الجماعة فخلفه ابن أخيه السيد أحمد الشريف ، وقد تبع سياسته فى مقاومة الفرنسيين فجاهد جهاداً قويا لوقف تقدمهم نحو الشمال ، ولكنه هزم أمامهم فى عام ١٩٠٢ واضطر الى التقهقر والانزواء فى واحة الكفرة .

وقد عاون السيد أحمد الأتراك فى عام ١٩١١ عندما هاجم الايطاليون طرابلس وبرقة ، ولكن الأتراك انهزموا فى سنة ١٩١٢ وانسحبوا من برقة، وبذلك استطاع الايطاليون أن يبسطوا أيديهم على المنطقة الساحلية، أما الأجزاء الداخلية فقد بقيت تحت نفوذ السيد أحمد .

وعندما شبت الحرب الأوربية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) لم يكن السيد أحمد فى عداء مع مصر أو عـــداء مع انجلترا ، ولكنه مع ذلك قام بغزو مصر من ناحية الغرب ، ومرجع ذلك أن الألمان والأتراك أثاروه وأفلحوا فى إقناعه بضرورة مهاجمة الانجليز في مصر والاستيلاء على الواحات المصرية ثم الدخول الى وادى النيل ، وقد اضطرت الحاميات المصرية والبريطانية أمام ضغط السنوسيين للانسحاب على عجل من السلوم ومن الواحات المصرية جميعاً ، ولكنها عادت فكالت

لقوات السيد أحمد ضربات موجعة فى ديسمبر سنة ١٩١٥ ويناير وفبراير سنة ١٩١٦ واستطاعت أخيراً أن تسترد السلوم.

وقد جرد دوق وستمنستر حملته المشهورة على السنوسيين فى سنة ١٩١٦ مبتدئاً من السلوم ثم جغبوب ثم بقية الواحات المصرية واستطاع أن يخلص هذه الجهات جميعاً من أيديهم . وأمام الهزائم التى منيت بها قوات السنوسيين لم يجد السيد أحمد بداً من الانسحاب من الواحات المصرية ثم من برقة وأن يرحل نهائياً الى القسطنطينية وكان ذلك فى سنة ١٩١٨

ولم يقبل السيد ادريس بن المهدى أن يشترك فى الأعمال العدوانية ، التى قام بها السيد أحمد ضد بريطانيا ومصر واتخذ أجدابية مقاماً له . وقد انتهز الحلفاء هذه الفرصة فعهدوا الى لجنة مؤلفة من المركيز (De Vita) والجنرال (Talbot) للاتفاق معه على معاونتهم ، فأبرما معه اتفاقا فى سنة ١٩١٧ تعهد بمقتضاه أن يحافظ على الأمن فى المنطقة الداخلية من ليبيا بشرط أن تزوده إيطاليا بالاسلحة والذخائر التى تمكنه من ذلك ، وأن تزوده هو وأفراد أسرته بمرتبات معينة، وتعهد أن يترك لايطاليا حماية المنطقة الساحلية والاراضى التى تمتد بالقرب منها ، بشرط أن تطبق المحاكم فى هذه المنطقة أحكام الشريعة الاسلامية ، وأن تنشىء ايطاليا المدارس اللازمة لتعليم الاهالى .

وقد تعهد أن ينزع السلاح من القبائل التى توجد فى المنطقة التى يسيطر هو عليها ، وأن يسمح لمندوبى الحكومة الايطالية بدخول تلك المنطقة لبحث مختلف الامور مع المندوبين الذين يعينهم من قبله ، وتعهد أن يسمح بوجود ممثل للحكومة الايطالية معه وأن يسمح بحرية التجارة بين المنطقة الداخلية التى تخضع له وبين المنطقة الشمالية الخاضعة للنفوذ الايطالى .

وفى نوفمبر سنة ١٩٢٠ عقدت ايطاليا مع السيد ادريس اتفاقا آخر . أصبحت شروط الاتفاق السابق بمقتضاه لاغية وغير معمول بها . وتذكر روزيتا فوربس أن السيد ادريس قد منح بمقتضى الاتفاق الجديد لقب أمير ، على أن ينتقل هذا اللقب الى أولاده من بعده ، وعين حاكما من قبل إيطاليا

على الكفرة وجغبوب وجالو وأوجيلا وأجدابية ، على أن يحكمها حكما مستقلا . ولكن يبدو أن هذه السيدة قد أخطأت فى ضم واحة جغبوب الى الواحات التى وضعت تحت حكم السيد إدريس بمقتضى الاتفاق السابق ، لأن إيطاليا قد سبق أن اعترفت لانجلترا بملكية مصر لتلك الواحة ، وذلك عندما نشبت الحرب بين ايطاليا وتركيا فى سنة ١٩١١ ، وحقيقة ما حدث أن السيد ادريس سمح له بادارة الواحة نيابة عن الحكومة المصرية لما للواحة من أهمية دينية بالنسبة للسنوسيين .

ومنذ أن اعترفت إيطاليا لانجلترا بملكية مصر لواحة جغبوب فى سنة ١٩١١ تحاول ادعاء ملكيتها فى يوم من الأيام ، ولكنها طالبت باعطائها هذه الواحة بناء على الوعد الذى حصلت عليه بمقتضى المادة (١٣) من معاهدة لندن سنة ١٩١٥ ، وهى المادة التى نص فيها على إمكان تعديل الحدود بين ليبيا ومصر تعديلا يفيد إيطاليا إذا وافقت ايطاليا على دخول الحرب فى جانب الحلفاء .

وبعد أن انتهت الحرب اجتمع مندوب ايطاليا (السنيور شالويا) ومندوب بريطانيا (اللورد ملنر) ووضعا معاً مشروع اتفاق أعطيت إيطاليا بمقتضاه واحة جغبوب على أن تتنازل لمصر عن منطقة من الأرض الى الغرب من السلوم يبلغ اتساعها عشرة كيلو مترات .

وعندما رفعت انجلترا حمايتها عن مصر سنة ١٩٢٢ لم يكن هذا المشروع قد ووفق عليه بصفة نهائية . ويبدو أن مصر وقد تركت لها القيام بهذه التسوية لم تشأ التقيد بمشروع لم يشترك رجالها فى إعداده أو يؤخذ رأيها فيه ، ويبدو أن انجلترا نفسها قد تنبهت إلى أنها رغم ماتعهدت به لايطاليا بمقتضى المادة (١٣) من معاهدة لندن ليس لها بمقتضى القانون الدولى أن تهب جزءاً من أملاك الدولة الخاضعة لحمايتها لدولة أخرى ما لم توافق على ذلك الدولة المحمية ، وهذا ما دعا انجلترا إلى ترك المسألة لمصر فى نهاية الأمر كي تصرفها هى حسب ما ترى .

وإذا كانت موافقة مصر ضرورية كى يكون مشروع الاتفاق الذى وضعه ملنر وشالويا نافذاً بمقتضى القانون الدولى ، فان موافقتها على الاتفاق الذى تم بين إيطاليا والسيد إدريس السنوسى ضرورية أيضاً كى يكون هذا الاتفاق نافذاً هو الآخر ، ذلك لأن الأراضى التى تملكها ايطاليا بمقتضى هذا الاتفاق وهى الكفرة وجالو وبقية الواحات الليبية التى تقع جنوبى برقة كانت بمقتضى الاتفاق الذى أمضته مصر وانجلترا مع فرنسا فى سنة ١٨٩٩ تعتبر من الناحية الدولية من أملاك مصر ، ومما يؤيد ذلك أن الخريطة التى نشرتها جريدة التيمز فى ١٢ مارس سنة ١٩٢٤ لتوضح عليها رحلة المكتشف الفرنسى (De Proi) من بحيرة تشاد الى الاسكندرية قد رسمت فيها الحدود الغربية لمصر ، وكانت الكفرة وجالو ضمن الأراضى المصرية .

والعامل الذى دعا إيطاليا الى التطلع الى واحة جغبوب أن الحكومة الفاشية بعد أن تنكرت فى سنة ١٩٢٢ للاتفاق الذى عقد من قبل مع السيد إدريس السنوسى كانت تريد أن تمنع الاتصال بين السنوسيين وبين مصر ، وأن تحول دون وصول الامدادات من المؤن والرجال من مصر الى برقة ، وذلك لتتمكن من إخضاع السنوسيين لها إخضاعاً تاماً .

ولكن مصر أجابت على ذلك بأن إيطاليا إذا تخلت عن أطماعها مكنت مصر من أن تحتل الواحة عسكرياً ومن أن تمنع ذلك الاتصال الذى تشكو منه إيطاليا ، وذكرت أنها أكثر من إيطاليا رغبة فى إيقاف الاتصال بين برقة ومصر ، لأن سيلا من المهربات يدخل البلاد المصرية من تلك الناحية ويسرها كل السرور أن توقف ذلك التيار وأن تحمى بلادها منه .

أما العوامل التى تدعو مصر الى التمسك بجغبوب وتجعلها تأبى على إيطاليا أن تمتلكها فكثيرة وهى :

(أولا) أن امتلاك إيطاليا لهذه الواحة يحول دون اتصال مصر بجالو والكفرة وبغيرها من الواحات الليبية .

(ثانياً) أن مصر تحرص كل الحرص على السيطرة على طرق القوافل التي تعبر حدودها الغربية، لأن تلك الطرق تربط مصر بواحة الكفرة، والمعروف عن تلك الواحة أنها ملتقى طرق القوافل الرئيسية التي تأتي من قلب القارة الافريقية، وأن كثيراً من السلع التي كانت تحملها القوافل من قلب القارة كالتبر والعاج وريش النعام كانت ترد لمصر من هذا الطريق فاذا امتلكت ايطاليا واحة جغبوب امتنع عن واحة سيوه ذلك السيل من غلات وسط إفريقية التي تأتي بهـا القوافل عن طريق الكفرة، وبدلا من أن تعود القوافل إلى وسط افريقية محملة بغلات مصر ومتاجرها تعود اليهـا بمتاجر برقة وإيطاليا . ويقال أن الطريق من الـكفرة إلى جغبوب، وهو الطريق ، الذى تبعه المغفور له أحمد حسنين باشا في رحلته إلى قلب الصحراء، لو زيدت العناية به فوضعت على جوانبه العلامات التي تحدده وأنشئت على طوله المحطات التي تتزود منها قوافل الابل والسيارات بالمـاء والوقود وأخذت الاحتياطات التي تضمن الأمن للمسافر الذى يجتاز تلك الأراضي الصحراوية، لو حدث ذلك، فان الفائدة التي تجنيها التجارة والتبادل التجارى بين مصر وبلاد وسط إفريقية تـكون عظيمة .

(ثالثاً) أن مصر وقد تحررت من قيود الحماية وتسلمت مقاليد الأمور في يدها لاتقبل بأية حال التنازل عن جزء من أملاكها لدولة أوروبية ، فنى التسليم بأى جزء من أجزاء الدولة فى أول امتحان تصادفه فى حياتها الجديدة يقلل من هيبتها بين البلاد الشرقية ويضعف من شأنها أمام جماعة السنوسيين الذين يسوؤهم ، من غير شك أن تترك مصر أقدس مكان لديهم لدولة مسيحية معادية .

(رابعاً) أن هذه الواحة لهـا أهمية حربية كبيرة لأن مصر اذا هوجمت ناحية الغرب فانها تهاجم من طريقين اثنين لاثالث لها :

طريق يمتد على طول الساحل ماراً بالسلوم .

وطريق يمتد على طول المنخفض الذى تشغله جغبوب وسيوة والقطارة .

وقد عرضت ايطاليا أن تتنازل لمصر عن منطقة مجاورة للسلوم من ناحية الغرب اتساعها عشرة كيلو مترات مقابل هذه الواحة . وقد علق مراسل التيمز على هذا

العرض قائلا إن له قيمة عظيمة جداً لأن الأراضي التى تعرض إيطاليا التنازل عنها في مجاورة السلوم ضرورية للدفاع عن هذه المدينة ، وبقاء هذه الأرض في يد إيطاليا يهدد السلوم دائما ، وهو لذلك ينصح مصر بقبول التنازل عن جغبوب في سبيل الحصول على الأراضي المجاورة للسلوم . ولكن المراسل ينسى أن قوات إيطاليا مهما كانت قوية لاتستطيع التوغل الى السلوم وأسطول بريطانيا رابض في البحر ، لأن الطريق الى السلوم طريق مكشوف وهو معرض دائما أبداً لنيران مدفعيـــة الاسطول وهو بنصحه هذا يناقض نفسه لأنه عند ما تكلم عن الدفاع الحربى عن مصر ذكر أن مراكز الدفاع عن وادى النيل وعن قناة السويس تبدأ من واحة سيوة ، وهو فى الوقت الذى يعلن فيه عن أهمية الواحات كمراكز للدفاع عن مصر يرى التنازل لايطاليا عن واحد من تلك المراكز الهامة ، وهى واحة جغبوب التي لاتبعد عن سيوة بأكثر من مائة ميل .

وهناك أربع طرق رئيسية للقوافل تلتقى عند جغبوب ، ثلاث منها تبدأ من الساحل عند بنغازى ودرنة وواحد من جالو وفى استطاعة إيطاليا اذا هى اهتمت بتوفير المياه على طول هذه الطرق أن تستخدم الطرق الأربعة فى أى وقت تشاء لنقل المعدات والجيوش بسرعة فائقة وتستطيع أن تهدد سيوة ومصر من هذه الناحية .

وقد كتبت التيمز فى ٢٩ أبريل سنة ١٩١٩ مقالا رئيسياً فى الوقت الذى كانت الحكومة البريطانية تطلب فيه من الحكومة الايطالية تحديد وجهة نظرها بالنسبة لمشروع الاتفاق بين ملنر وشالويا . كتبت تقول إن الحكومة البريطانية قد تجد من الواجب عليها أن تبين لزيور باشا المزايا الكثيرة التى تعود على مصر اذا هى استطاعت أن تنتهى من حل مشكلة الحدود الغربية لمصر فى فرصة سريعة لأن أحداً لا ينكر المزايا العديدة التى تعود على مصر اذا هى استطاعت أن تحل مشكلة الحدود مع إيطاليا بطريقة ودية ، فمصر لا تقوى على مناوأة جار قوى كايطاليا تقوم العلاقة بينه وبينها حتى اليوم على أساس من الصداقة والوئام . وإيطاليا لا تستطيع أن تتجاهل أن لهـا فى مصر جالية كبيرة من رعاياها

وأن لهؤلاء مصالح اقتصادية وتجارية فى مصر على جانب عظيم من الأهمية، ولا بد لهما من معالجة الأمر بكافة الوسائل الودية . ومن هذا المقال يستطيع القارئ أن يتبين اتجاه بريطانيا ورغبتها فى الانتهاء من حل مسألة الحدود بين مصر وبرقه .

اتفاقية الحدود بين مصر وإيطاليا
(ديسمبر ١٩٢٥)

لم يكن أمام الحكومة المصرية فى عهد زيور باشا ، وقد استعدت ايطاليا عليها الحكومة البريطانية فى وقت كان التوتر بين مصر وبريطانيا قد بلغ أشده بد من أن تفكر فى قبول اتفاق ملنر — شالويا الذى تم بين بريطانيا ومصر أساساً لحل مشكلة الحدود بين مصر وبرقة . فاتفقت على الدخول فى مفاوضة رسمية مع ايطاليا وعينت كل حكومة مفاوضيها ، وكانت اللجنة المصرية برئاسة اسماعيل صدقى وزير الداخلية وعضوية عبد الحميد بدوى وحسن توفيق بدر واجتمع المفاوضون المصريون والايطاليون بمصر فى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٢٥ وأبدى كل جانب وجهة نظره فتمسك الايطاليون باتفاق ملنر شالويا واعتبروه اتفاقاً دولياً عقد مع انجلترا صاحبة الحق وقتئذ فى التعاقد لأنها كانت الدولة الحامية لمصر فهو ملزم لمصر ، وأن هذا الاتفاق لم يتضمن تنازلا عن أرض مصرية لايطاليا لأن جغبوب لم تكن فى يوم من الأيام أرضاً مصرية وإنما كانت دائماً جزءاً من أرض برقة غير منفصل عنها بل بالعكس يتضمن تنازلا عن أرض إيطالية لمصر هى العشرة كيلو مترات التى أعطيت لها فى غرب السلوم .

وكانت وجهة نظر المفاوضين المصريين عدم الاعتراف بذلك الاتفاق وعدم التقيد به لأنه من الناحية القانونية غير ملزم لمصر .

وقد قامت اللجنة المصرية بدور خطير فى المفاوضات التى قامت بين مصر وإيطاليا لأنها دافعت عن وجهة النظر المصرية دفاعاً بنته على أسس علمية ودراسات عميقة قام بها الخبراء العديدون الذين استعانت بهم من رجال الحرب والسياسة والتاريخ والجغرافيا . وقد قدمت اللجنة تقريراً مستفيضاً الى مجلس الوزراء بمصر ضمنته خلاصة وافية لأبحاثها العديدة وخلاصة لنتيجة

ما وصلت اليه مفاوضاتها مع اللجنة الايطالية وقد جاء في هذا التقرير ما يأتي :

« لما تبينت اللجنة استحالة الوصول الى اتفاق على أساس التمسك بعدم ارتباط مصر باتفاق ملنر — شالويا ، وأن المفاوضة على أساس استبقاء واحة جغبوب لمصر لم تؤد الى اتفاق ما .

رأت أن تتبين مدى ماتذهب اليه الحكومة الايطالية فى تعويض مصر عن ترك تلك المنطقة ، فطلبت أن يبتدئ خط الحدود من نقطة مرسى مريغا ليتجه غرباً ثم جنوباً بحيث يجعل حول السلوم حرماً مستديراً على مثال الحرم الذى نظمه اتفاق ملنر — شالويا ، وطلبت أن تكون العبادة والتعليم فى جغبوب والانتقال منها واليها حراً غير مقيد ، ثم طالبت بتأمين سلامة الحدود المصرية من الناحية الغربية سواء كان ذلك من جانب إيطاليا أو من جانب البدو الذين يقيمون فى برقة ، فوافق الايطاليون على كل ماطلبته اللجنة المصرية إلا فيما يختص بتعديل الحدود .

وختمت اللجنة تقريرها بأنها لاتستطيع والحالة هذه أن توصى بابرام اتفاق على أساس ما قبله الايطاليون فقط ، ورأت أنه لو سلم الايطاليون فى المطلب الخاص بتعديل الحدود وإعطاء مصر الستة أو السبعة كيلومترات المطلوبة لتدخل بئر الرملة فى الأراضى المصرية لأوصت اللجنة بقبول الاتفاق .

وقد قرر مجلس الوزراء تكليف رئيس الوزارة باستعمال نفوذه وبذل كل ما يستطيع للحصول على الستة أو السبعة كيلومترات فكانت نتيجة مسعاه أن قبلت الحكومة الايطالية التنازل لمصر عن قطعة الأرض التي يوجد فيها بئر الرملة فى دائرة نصف قطرها ٥٠٠ متراً وعن طريق يصل الى الحدود المصرية من هذه البئر عرضه ٨٠٠ متراً وعلقت هذا التنازل على بعض شروط اشترطتها مثل ضمان حرية المرور فى طرق القوافل بين السلوم وجغبوب والاحتفاظ بكمية من المياه لشرب السكان المحليين التابعين لايطاليا كما اشترطت عقد الاتفاق .

وقد وافق مجلس الوزراء على عقد الاتفاق على هذه الأسس وتم توقيع الاتفاق فعلا فى سنة ١٩٢٥ ، وقد أمضاه المركيز نجروتو كامبيازو

عن الحكومة الايطالية ودولة أحمد زيور باشا عن الحكومة المصرية ، وهذا الاتفاق يجعل خط الحدود يبتدئ من نقطة على شاطئ البحر المتوسط شمالى السلوم وتبعد ١٠ كيلومترات عن بيكون بوينت ثم يتجه جنوباً ماراً بسيدى عمر وبير الشقة وواحة ملفا بحيث لا يمر بعد تقاطعه بمسرب جالو بأية نقطة يقل بعدها عن عشرة كيلومترات غربى مضيق المقتسب ووليامز .

نص الاتفاقية

إن حضرة صاحب الجلالة ملك مصر .

وحضرة صاحب الجلالة ملك إيطاليا .

رغبة فى تعيين الحدود بين أراضي برقة الايطالية والأراضى المصرية قد عينا مندوبين عنهما مع تفويضهما تفويضاً تاماً وهما :

من قبل حضرة صاحب الجلالة ملك مصر : حضرة صاحب الدولة أحمد زيور باشا رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية .

ومن قبل حضرة صاحب الجلالة ملك إيطاليا : النبيل لازارو مركيز نجروتو كامبيازو سفير جلالته .

وبعد أن تبادل المفوضان أوراق تخويلهما السلطة التامة ، وبعد أن تبين لها صحة هذه الأوراق اتفقا على ما يأتى :

(مادة ١) يبتدئ خط الحدود بين أراضى برقة الايطالية والأراضى المصرية من نقطة على الشاطئ شمالى السلوم تبعد عشرة كيلو مترات عن بيكون بوينت (عزلة القطارة) . ومنها يتجه بشكل قوس دائرة مركزها بيكون بوينت (عزلة القطارة) ونصف قطرها عشرة كيلو مترات من النقطة المذكورة حتى يلتقى بمسرب الشفرزن . ومنه رأساً يتبع الخط من الغرب مسرب الشفرزن ماراً بسيدى عمر وبير شفرزن وبير الشقة . وهنا يترك الخط مسرب الشفرزن ويسير رأساً غربى طريق القوافل القديم الذى يتجه نحو الجهة المعروفة بملاذ سيدى ابراهيم ، ثم يتبع غرباً مسرب الاخوان حتى ملتقى

مسرب القرن فى الجهة المعروفة بالقرن والقرنين ، ومنها رأساً غربى مسرب القرن حتى يلتقى هذا المسرب بمسرب العجروم ، ومن نقطة ملتقى مسرب القرن بمسرب العجروم يسير الخط رأساً غربى مسرب العجروم حتى حد واحة ملفا . ويسير الخط بعد ذلك ابتداء من نقطة اتصال مسرب الاجرام شمالى واحة ملفا فى اتجاه عام نحو الجنوب الشرقى ماراً بواحتى ملفا وعجاب لغاية الدرجة ٢٥ من خطوط الزوال شرقى جرينتش بحيث لا يمر بعد تقاطعه بمسرب جالو بأية نقطة تقل عن عشرة كيلومترات غربى مضيقى المنسب ووليامز . ثم يستمر الخط متبعاً الدرجة ٢٥ من خطوط الزوال شرقى جرينتش حتى يلتقى خط الزوال المذكور بالدرجة ٢٢ من خطوط العرض الشمالى خط الاستواء .

(مادة ٢) قد بين خط الحدود المعين فى المادة الأولى باللون الأحمر على الخريطة المرفقة بهذا وهى تعتبر جزءاً متمماً لهذا الاتفاق .

(مادة ٣) تعين السلطات العليا لكل من الحكومتين المتعاقدتين فى ظرف ثلاثة شهور من تاريخ اعتماد هذا الاتفاق لجنة مختلطة لتحدد فى الأراضى نفسها خط الحدود المبين فى المادة الأولى .

(مادة ٤) تتعهد الحكومتان المصرية والايطالية بضمان حرية مرور القوافل الايطالية والمصرية المتوجهة من السلوم الى جغبوب ضماناً تاماً على طرق القوافل .

ولا يدفع أى رسم أو أية ضريبة لمرور هذه القوافل التى يجوز لها تماما أن تستمر فى استعمال مياه الصهاريج لحاجاتها العادية وكذلك المآوى الموجودة بالقرب من الطرق المشار اليها .

(مادة ٥) رغبة فى توفير مياه الشرب لسكان السلوم تتنازل إيطاليا لمصر عن ملكية بئر الرملة التى تستغلها الآن الحكومة الايطالية وعن منطقة تحيط بالبئر المذكورة وممر من الأرض يكون اتجاهه على محور وادى الرملة يكفى لايصال هذه البئر بالحدود المصرية .

وتعين اللجنة المختلطة المنصوص عليها فى المادة الثالثة مساحة المناطق السابق الاشارة اليها ، على أنه من المتفق عليه منذ الآن أن المنطقة التى تحيط ببئر الرملة لا يجوز أن يزيد نصف قطرها على خمسمائة متر ، وأن تدخل أرض الممر من بئر الرملة لغاية الحدود المصرية ضمن الحدود التى تكون ضرورية فقط على أن لا يتجاوز عرضها بحال من الأحوال ثمانمائة متر .

ومن المتفق عليه أيضاً أن المناطق المشار اليها يجب أن تكون فى أية نقطة بعيدة عن الشاطئ بمائتي متر على الأقل .

(مادة ٦) يكون مفهوماً أنه عند استعمال مياه بئر الرملة يجب على الحكومة المصرية أن تخصص مقداراً كافياً من المياه لحاجة السكان المحليين الايطاليي التبعة ويحدد هذا المقدار بمعرفة اللجنة المختلطة المنصوص عليها فى المادة الثالثة .

(مادة ٧) تتعهد إيطاليا ومصر باتخاذ الوسائل اللازمة لمنع غارات العربان كل فيما يتعلق بأراضيها .

(مادة ٨) تعين الحكومتان فى خلال الثلاثة شهور التالية لاعتماد هذا الاتفاق لجنة مختلطة لتسوية المسائل الآتية :

(أ) جنسية سكان المنطقة الداخلة فى العشرة كيلو مترات شمالى السلوم وسكان مجموعة واحات جغبوب لتقرير ما اذا كان يصح منح حق اختيار وإلى أى مدى وإلى أى السكان .

(ب) رسوم المرعى والسقاية والبذار فيما يتعلق بالسكان الرحل الذين يتنقلون على خط الحدود على قاعدة مبدأ تبادل الاعفاء من كل رسم وضريبة .

(ج) النظام الجمركي للتجارة على الحدود على قاعدة التساهل من الجانبين فيما يتعلق بتعريفة الرسوم الجارى العمل بها الآن مراعاة للحالة التى يكون عليها سكان الحدود على اثر تعيين خط الحدود بين مصر وبرقة تعييناً نهائياً .

(د) المسائل القضائية الخاصة بالأشخاص الرحل لتقرير محاكمة هؤلاء الأشخاص سواء أكانوا ايطالي التبعية أم مصريين أمام المحاكم وهيئات القضاء فى مناطق الحدود التي يوجدون فى دائرتها .

ويكون من المفهوم أيضاً أنه اذا أقام هؤلاء الأشخاص مدة تزيد على سنة فى إحدى مناطق الحدود ويكونون خاضعين لنظام الضرائب المقررة على الرحل المعمول به فى المنطقة المذكورة .

(مادة ٩) كل خلاف يقع فى تطبيق هذا الاتفاق يعرض على لجنة تحكيم تؤلف من مندوبين تعينهما كل من الحكومتين المتعاقدتين ومن رئيس يعين بالاتفاق بينهما . وتصدر قرارات اللجنة بأغلبية الآراء .

(مادة ١٠) يعمتد هذا الاتفاق بعد التصديق عليه من برلمان كل من الدولتين ويكون تبادل الاعتماد بروما فى أقرب وقت .

بناء على ذلك قد وقع المفوضان المذكوران هذا الاتفاق المحرر من نسختين ورسماه بختميهما م

صدر بالقاهرة فى السادس من شهر ديسمبر سنة ١٩٢٥

أحمد زيور　　　　　　نجروتو كامبيازو

ملاحظة : اعتمدت فى كتابة هذا البحث على الوثائق والرسائل التى تبودلت بين الحكومة المصرية وحكومات بريطانيا وايطاليا وتركيا بشأن حدود مصر الغربية وهى مودعة بمحفوظات رئاسة مجلس وزراء الحكومة المصرية .





يبين الأراضي التي يجتازها خط الحدود
بين مصر وليبيا

←

شكل (٢)
يبين الأراضي التي تجتازها حدود مصر
الغربية مابين السلوم وبحر الرمال العظيم

فرنتشسكا دا ريمينى[1]

عند دانتى أليجييرى

بقلم

حسن عثمان

دانتى أليجييرى من أعظم رجال التاريخ . عاش فى مفترق الطرق ، ومثّلت حياته وآثاره تراث الانسانية منذ العصور القديمة حتى مطلع العصر الحديث . أبدى دانتى ملكات ممتازة فى الشعر والموسيقى والحرب والسياسة ، ونفى وشُرد ضحية للرأى ، ودفاعاً عن حقوق فلورنسا ضد مطامع البابوية الجامحة . فقد دانتى الأهل والوطن ، وجاع وطلب المأوى ، وأصبح روحاً غاضباً داخل هيكل هش . ولم يكن دانتى من أولئك الرجال الذين يتخذون الخداع والنفاق والكذب وسائل يملأون بها بطونهم التى لا تمتلىء ، بل كان رجلا صارماً جدياً مستقيما صاحب إحساس وعقيدة . وكل الآلام والمحن التى انصبت عليه كانت عنده بوتقة العبقرية . فقد دانتى كل شىء ولكنه كشف عن خبيئة نفسه . وبعد أن مُنى بمرارة الهزيمة ، وبعد أن عاش وسط الظلم والمطامع ، وحقارة النفوس وضعة الأصول ، أحس بحاجته إلى أن يجيب على ذلك كله بالخلق والابداع . عمل دانتى ليل نهار ، وضرب وطرق ، وبكى ، ونفث روحه فيما كتب . وكان قلمه أقطع من السيف . وبذلك خلق الكوميديا وانتقم لنفسه الأبية العزيزة المتكبرة ، المثخنة بالجراح .

الكوميديا الالهية قصيدة الانسانية الكبرى : هى مرآة العصور الوسطى من حيث هيكلها وتقسيمها وقواعدها الخلقية ومضمونها العام ، ومن حيث تأثرها بفلسفة توماس أكويناس ، وتمشيها مع جغرافية بطليموس . وهى بداية للعصر الحديث لأنها خرجت على الكثير من تقاليد العصور الوسطى ، فدعت إلى قيام الوطنيات القومية ، وأرادت أن تخلق إنسانية جديدة يسودها

التفاهم والسلام ، ووضعت البابا بونيفاتشو الثامن فى الجحيم لانه هدّد مصالح فلورنسا [٢] ، وجعلت سيجر دى برابنت ، المتهم بالهرطقة ، فى الفردوس لأنه مات فى سبيل الدفاع عن الرأى [٣] . فى الجحيم عطف ورحمة [٤] ، وفى الفردوس تهكم وسخرية [٥] . حطم دانتى خلال الكوميديا الأرض قطعاً صغيرة ، وشيد منها عالمه الضخم ، ولكنه عالم قديم جديد ، كشف فيه أسرار النفس ، التى ظلت خافية وراء ستار العصور الوسطى ، واختلطت فيه السماء بالأرض ، واقترب الانسان من الله ، وانسابت أصوات الدنيا الصاخبة ، فى أعطاف الفردوس الهادئ الصافى .

يمثّل الجحيم الشبابَ الحر الطليق المتكبر الثائر ، ويصوّر الفطرة والغرائز الانسانية التى تسخر الذكاء لاشباع ميولها ، وهو الخطيئة والمأساة والحياة الدنيا . أما المطهر فيمثل التجربة والتضج والفكر والتأمل والتكفير والتطهر . ويصور الفردوس الكهولة والطهارة والحب والصفاء والحرية والنور الالهى .

إن فصل فرتتشسكا دا ريمينى من أروع الفصول التى ظهر خلالها الانسان الحديث . ولم تولد فرتتشسكا فجأة ، ولكنها ظهرت بعد تدرج طويل فى أشعار التروبادور أولا ، حيث كان الرجل يملأ مسرح الحوادث ، ولم تكن للمرأة فيه كيان مستقل ، وبقيت كانعكاس لصورة الرجل . ثم أصبحت فى الشعر الغنائى فى أواخر العصور الوسطى ، وعند دانتى ذاته ، رمزاً للفضائل والمعانى المجردة . فهى تهبط من السماء لكى تقوم بالعجائب ، وتعقل الألسنة ، ولاتجرؤ الأعين على النظر إليها ، وتثير الحب فى قلب الرجل ، وتعلمه الفضائل ، وتقوده إلى الله .

وكذلك ظهرت فرتتشسكا وليدة تجارب الحب العديدة التى مرّ بها دانتى فى أثناء حياته . عرف دانتى حلو الحب ومرّه ، وذاق حب الروح وحب الجسد . عاش مع الحب منذ حداثته [٦] . وأحب بياتريتشى التى لم تبادله الحب ، ومع ذلك فقد كانت عنده وحى الحياة . قال عنها مالم يقله رجل فى امرأة من قبل . وألهبته بنيرانها ، وطهّرت نفسه من الآثام وجعلته قادراً على رؤية الله .

بكى دانتى عندما ماتت بياتريتشى . وتزوج جمّا دوناتى وأنجب أولاداً . ولكنه كان فى حاجة ملحّة إلى الحب . فالتقى عن طريق دموعه بنساء كثيرات . أحب دانتى فيوليتا التى جعلته يتشوّق ويتنهّد عند مرأى الورود [٧] . وأحب لزيتا القويه الواثقة من نفسها [٨] . وأحب بيترا التى ظلت باردة أمامه كالصخر الذى يغرقه فى أعماق البحر بعد النوء الشديد [٩] . وأحب جنتوكا العذراء الصغيرة الجذابة [١٠] . وبذلك نحس رائحة النساء ورائحة الحب فى آثاره الرائعة . كان دانتى يعشق الجمال أينما وجد ، ويستجيب لنداء القلب . وماقلبه إلا جزء من الطبيعة ، يطير مع الرياح ، ويهتز مع النسيم ، ويشارك الثلج فى نصاعته فوق قمم الجبال العالية ، وينساب مع منحدرات المياه ، ويستيقظ مع الربيع الضاحك المزدهر .

وجد دانتى نفسه فى الكوميديا ، وقد ضل الطريق وسط غابة موحشة ، جعل نفسه فيها رمزاً للبشر الذين ضلوا السبيل فى هذا العالم الملىء بالآثام والخطايا . وحاول أن يرتقى تلا مرتفعا أمامه ، ولكن واجهه فجأة فهد وأسد وذئبة ، رمز المادة والكبرياء والجشع . فامتلأ قلبه رعباً وأوشك على التراجع [١١] ، ولكن ظهر له فرجيليو الذى أخبره أنه قدم إليه تلبية لنداء بياتريتشى من السماء ، لكى يقوده بأمان خلال المصاعب التى ستلاقيه فى الجحيم والمطهر ، حيث تتسلمه بياتريتشى ، وترتفع به إلى الفردوس ، بعد أن تتطهر نفسه وتصفو من أدران الدنيا وعلائقها . دخل دانتى برفقة فرجيليو إلى الجحيم ، وأخذا فى هبوط حلقاته ، وسمعا أنين المعذبين ، فبكى دانتى من التأثر . ووصلا معاً إلى الحلقة الأولى من الجحيم ، حيث الأولاد الذين ماتوا قبل تعميدهم ، والشعراء والفلاسفة القدماء الذين ماتوا قبل ظهور المسيح ، وهؤلاء تحدوهم الرغبة فى رؤية الله ، بغير أمل [١٢] .

هبط دانتى وفرجيليو إلى الحلقة الثانية من الجحيم ، حيث أولئك الذين غلّبوا العاطفة على العقل فى أثناء الحياة . وضعهم دانتى فى مكان بعيد عن درك الجحيم الأسفل ، حيث يعذّب الشيطان رأس الخطايا . وفرض عليهم عذاباً أخف من غيرهم ، لأنه عرف كيف يصعب على الانسان مقاومة العاطفة ،

وبذلك عطف على مرتكبي الخطيئة بسبب الحب . صوّر دانتي ذلك المكان بغير ضوء ، وجعله أشبه بالبحر العاصف الثائر تسوده الريح العاتية ، التي تطوّح بنفوس الآثمين ، وتفرقهم ، ثم تضربهم بعضهم ببعض ، بغير انقطاع ، وهم بذلك يلقون الجزاء الذي يستحقون . وقسمهم دانتي قسمين : جماعة الذين تقلّبوا في الحب للمتعة واللذة ، ومن هؤلاء هيلينا وسميراميس وكليوباترا ، وجماعة الذين ارتكبوا الخطيئة ، ولكنهم أخلصوا في الحب لرجل واحد ، ومن هؤلاء ديدوني وفرنتشسكا . تألم دانتي لمصير هؤلاء المعذبين حتى أوشك أن يفقد الوعي [١٣] .

وكما تمهّد موسيقى فاجنر لظهور أبطاله ، مهّد دانتي لظهور فرنتشسكا بألفاظه العذبة العميقة المؤلمة ، وبالريح تسكن قليلا ، وبأجنحة تصفق في الهواء ، وبدمعة تراود عينه ولا تسقط ، ثم بنفسه وقد أوشك أن يفقد الوعي . لمح دانتي ، عبر الهواء ، « هذين الاثنين » ، وأفاق من غشيته على مرآهما وقد اختلفا عن تلك الزمرة من الآثمين ، إذ لم تفرقهما الريح ولم تضربهما ، كما فعلت بالآخرين ، بل ترفقت بهما وجعلتهما يذهبان معاً على الدوام . ثارت في نفس دانتي رغبة شديدة ، لمعرفة أمرهما . وفي ذلك شعور عميق بالعطف والرحمة على هذين الآثمين . أراد دانتي الكلام ، ولكن لم يقو لسانه على النطق سريعاً . وبذل جهداً حتى أفاق مما أصابه . وعندما تمالك نفسه نادى فرجيليو باسم الشاعر العزيز عليه ، وأفصح له عن رغبته الشديدة في أن يتحدث إلى « هذين الاثنين » اللذين يذهبان معاً . وعند ذلك أجابه فرجيليو بكلمات مطمئنة ، وحاول أن يهدئ من نفسه ، وأراد أن يحمله على الصبر والتريث ، لكي يعدّه لأن يتحمل ما هو أقسى وأشد عما قليل . قال له فرجيليو إنه سيرى وسيعرف كل شيء عندما يقترب هذان اللذان ذهبا معاً . وأشار عليه بأن يطلب إليهما القدوم عليه باسم الحب الذي يقودهما . الحب إذاً هو موضوع هذا المشهد الانساني الرائع . وهو الذي جمع بين « هذين الاثنين » في الحياة والموت . وستتوالى كلمة الحب ومشتقاتها مرات عديدة في سطور قلائل .

استجابت الريح لموقف دانتى الكريم ، وساعدتهما على الاقتراب من الشاعرين .
ولم يكن النطق سهلا على دانتى فى ذلك الموقف المؤثر ، وأصبح صوته حبيساً ،
فبذل جهداً حتى تكلم . لم يدعهما دانتى باسم الحب ، بل ناداهما بالحال الذى كانا
عليه ، أى « بالنفسين المعذبتين » . كان ذلك النداء صرخة حبيبة إلى نفسيهما
جاءت على غير انتظار ، وكان صوت الرحمة فى عالم لا رحمة فيه (١٤) . طلب
دانتى أن يأتيا إليه إذا لم يمنعهما الله ، وأراد بذلك ألا يكلفهما مالا طاقة لها به ،
حتى لا يزيد فى عذابهما . أراد أن يحضرا إليه إن كان ذلك سهلا ميسوراً .
لم يمنعهما الله ، بل ساعدهما وسهّل لهما سبيل الاقتراب من الشاعرين . وعندما
سمعا النداء الحبيب وأحسّا بالعطف الذى غمر قلب دانتى ، أسرعا إليه فى شوق
ولهفة ، كفرخى حمام عاشقين ، وطارا بأجنحة ثابتة ممتدة ، ودفعهما مع الريح ،
الهيام والحنين إلى الوكر الدافىء الحبيب . وهكذا انفصلا عن زمرة الآثمين ،
وعبرا هواء الجحيم الخبيث الأسود الملعون . وصل هذان العاشقان متلاصقين ،
وتكلما بصوت واحد ، هو صوت فرنتشسكا . كان قلب أحدهما يخفق فى الآخر ،
وذاب أحدهما فى الآخر ، وأصبحا نفساً واحدة (١٥) .

لم تعرف فرنتشسكا ماذا تفعل ، ولا بأى شىء تكافىء دانتى على إحساسه
الكريم العطوف . وخامرها شعور بالشكر وعرفان الجميل ، لهذا الزائر المجهول
الذى رأى فى مرتكبى الخطيئة إخوة جديرين بالعطف والرحمة . قالت فرنتشسكا
إنه لو كان الله راضياً عنهما لصلّيا من أجله . أعاد هذا الشرط إليهـا ذكرى
الصلاة التى جرت على لسانها وهى طفلة ، وذكرى الايمـان القديم ، وجعلها
تحس بالألم ، لتعذر صلاتها الآن . ليست هناك الصلاة ذاتها ، ولـكن ذكرى
الصلاة والرغبة فيها . هذه رغبة عميقة تقية صالحة ، تجرى على لسان آثمة ،
من أجل إنسان حى رقيق عطوف . وهنا تموت الصلاة على شفاه الآثمين .
ماذا كانت تريد فرنتشسكا أن تطلب إلى الله ؟ كانت تريد أن يمنح الله دانتى
بصلاتها ، ما حرمها إياه بإثمها . كانت تريد له السلام الذى فقدته إلى الأبد ،
والذى فقده دانتى نفسه فى حياة المنفى الطويل . قالت فرنتشسكا إنهما سيسمعان

وسيتكلمان عما يلذ له سماعه وقوله ، عند ما يسكن الريح ، حتى يسمع الصوت . وأشارت إلى مكان ميلادها دون أن تذكره، لأنه آلمها ذكرى الأهل والوطن[16]. وقارنت بين حالها ونهر البو، الذى يلاقى هو ونهيراته صعاب الأرض فى مجراه الأعلى، ويسير فى مجراه الأدنى تعباً صامتاً هادئاً ، ساعياً إلى السلام ، عندما يصب فى بحر الأدرياتيك .

نطقت فرنتشسكا باسم الحب ثلاث مرات . فالحب أساس الحياة وقانونها . الحب أساس الخير ومحرك الشمس ، وروح الله ذاته . والحب أساس الشر والخطيئة . وهو مصدر الفردوس ومنبع الجحيم على السواء . والحب عندها السعادة واللذة والاثم والموت واللعنة والعذاب . قالت إن الحب الذى يسيطر على القلب الرقيق ، تيم شخص باولو هذا الجميل ، الذى فقدته بالخداع ، وبطريقة لاتزال تشعرها بالاهانة ، عندما ظنت أنها ستتزوج باولو ، على حين تزوجت أخاه جانتشوتو. مضت فرنتشسكا قائلة إن الحب ، الذى لايعفى المحبوب من أن يحب ، كان عندها حاجة امرأة محبوبة ، إذ لايقاوم الحب سوى غلاظ القلب الجاحدون . والحب الكامل تجاوب وتناسق وانسجام وأشعة بين روحين متحدين . ومع أن هذا ليس دائم الحدوث فى الحياة الواقعة ، إذ أحياناً مايكون الحب من جانب واحد ، فان ذلك لم ينطبق على فرنتشسكا وباولو . تكلمت عن الحقيقة التى عرفتها . أحبها باولو فلم تستطع إلا أن تبادله حباً بحب . تكلمت فرنتشسكا بصدق وحرارة وإيجاز . وفى هذا الصدق وهذه الحرارة طهارة وإخلاص على الرغم من الخطيئة . وإن حرارة القلوب تذيب كل الذنوب . وبذلك تتحول الخطيئة إلى طهارة وفضيلة بنيران القلب المخلص . قالت إن الحب قادهما إلى موت واحد ، إلى موت الجسد ، وإلى اللعنة والعذاب . بينهما أخوة فى الحب ، وأخوة فى الخطيئة والموت . وفى الموت خلود الحب [17] . قالت فرنتشسكا إن ذلك الحب لن يفارقهما أبداً . هما آثمان ملعونان ، ولذلك لا يندمان ولا يكفران ، وإثمهما باق لايتغير ، وحبهما دائم لايتحول [18] . إلى هنا انتهى هذا الجزء من اعترافها ، ولكنه لم ينته بالنسبة

لقاتلهما : قالت فرنتشسكا إن الدائرة القائينية تنتظر روح قاتلهما فى أسفل الجحيم ، كى يلقى جزاء ما ارتكب .

سكبت فرنتشسكا تلك القطرات الحارة من دمها . وفى إثرها سادت فترة صمت وسكون عذب أليم . وكم من مواقف يهم فيها الانسان بالكلام فلا يقوى على الكلام . سكتت فرنتشسكا ولم تتكلم . وهل كانت تقوى على المضى فى التعبير عما بين جوانحها، دون توقف ؟ ورب صمت أبلغ من كلام. غلب دانتى الأسى فسكت ، وأطرق برأسه طويلا ، وظل يفكر فى كلام فرنتشسكا العذب الأليم . وسكت فرجيليو ولم يتكلم . الكلام يعقبه سكون، والسكون يعقبه كلام . قطع فرجيليو هذا السكون ، وسأل دانتى ، المستغرق فى الفكر والأسى ، فيم يفكر . ولم يعد دانتى إلى نفسه إلا بعد جهد ووقت . ولما أجاب تكلم وكأنه يحدث نفسه متسائلا عن أية خواطر عذبة وأية رغبة عميقة ، أدت بهذين العاشقين إلى هذا المصير المؤلم . وبذل دانتى جهداً حتى تكلم . لم تخرج فرنتشسكا عن صمتها ، ولم تعد إلى فيض اعترافها ، إلا بعد أن تمالك دانتى نفسه ، وعاد إلى سؤالها بكل عطف وإعزاز . قال دانتى إن آلامها تبكيه وتجعله حزيناً خاشعاً تقياً أمامهما . سألها كيف عرفا ذلك الحب الخبىء الذى خفق بين جوانحهما . لم تسرع فرنتشسكا إلى الافضاء بمكنونها ، وحاولت أن تؤخر اعترافها ، فاستشهدت بكلام بويتزيو عن ألم النفس عند تذكر الأيام السعيدة الماضية ، فى وقت البؤس ، وأشهدت فرجيليو على صحة ذلك الاحساس . تأخرت فرنتشسكا فى الاعتراف فترة ، كمن يريد أن يحتفظ بسر عزيز عليه ، ثم فاض لسانها بما ضمته جوانحها ، وكمن يمنع عبراته لحظة ، لا تلبث أن تفيض غزيرة على الرغم منه .

قالت فرنتشسكا إنهما كانا يقرآن يوماً وبلذة قصة حب لانتشلوتو وجينفرا ، وكانا بعيدين عن أعين الرقباء ، ولم يخامرهما شك فى المصير الذى ينتظرهما . استمرا يقرآن معاً ، وهما منحنيان فوق الكتاب ، كأنهما ينظران نفسيهما فى مرآة سحرية . رأت فرنتشسكا فى نفسها صورة جينفرا ، ورأى باولو فى نفسه صورة لانتشلوتو . ونظر أحدهما إلى الآخر ،

وفى نفسيهما تتأجج نيران رغبة جامحة . وقاوما رغبتيهما ، ثم هزمت مقاومتهما عندما قرآ أن العاشقين تعانقا فى قبلة طويلة فى ضوء القمر الساطع . عندئذ غمرتهما نشوة الحب . وسقط الكتاب من أيديهما . واقترب وجهاهما . واختلطت أنفاسهما . والتقت شفتاهما المرتعشتان ، فى قبلة حارة عميقة خالدة . لعب الكتاب ومؤلفه دور جاليوتو وسيط الحب بين العاشقين القديمين . ولم يقرآ ذلك اليوم شيئاً ، لأنهما لم يرتكبا من الاثم سوى هذه القبلة ، ولكن فرنتشسكا لم تقو على الكلام أكثر مما فعلت . اعترفت بخطيئتها ، ولكن مع احترام لشخصها . أخبرته بكل شىء ، ولكنها تركت ظلاً من الايجاز والابهام على ما اختلج بين جوانحها . وربما أضفى الايجاز على الحقيقة ثوباً ناصعاً من الصدق . وكثيراً ما يعجز اللسان عن النطق ، وتعجز اللغة عن التعبير عما يدور فى حنايا القلوب .

فاضت كلمات فرنتشسكا بالعطف على باولو . تكلمت فرنتشسكا وسكت باولو . أحس الرجل القوى الشجاع بالمسئولية ، وقدّر التضحية التى بذلتها من أجله المرأة ، فلم يقو على الكلام . أما المرأة الخجول الوديعة فقد أصبحت جريئة شجاعة ، وتكلمت باسمها وباسم رجلها . وافتخرت بما فعلت ، واعتزت بأن تكون خالصة له إلى الأبد . عندما تكلمت فرنتشسكا بكى باولو . فكان بكاؤه هو الكلام . غمر دانتى الأسى ، فلم يتمالك نفسه ، وفقد وعيه ، وسقط على الأرض كجسم ميت لاحراك به . غمر دانتى الأسى من أجل هذين العاشقين ، ومن أجل مأساة البشر جميعاً .

وضع دانتى المسيحى المؤمن هذين العاشقين فى الجحيم ، ولكنه أخرجهما منه بعطفه هذا عليهما . كم من ألوان العذاب وضع دانتى فيها مرتكبي الخطايا ، وكم من لعنات صبها على رؤوس الآثمين جزاء ما ارتكبوا ؟ أين ذلك من هذه الرحمة التى أولاها هذين العاشقين الآثمين ؟ تحوّل الغضب واللعنة عنده إلى ألم وعطف وأسى ، وفقدان للوعي وسقوط على الأرض . ألم يضع القاتل فى أسفل درك من الجحيم ، مع أنه لم يرتكب القتل إلا دفاعاً عن العِرض ؟ وهل كان من المنتظر أن يقف بارداً أمام شرفه المنتهك ؟ وألم يكن جديراً بأن يلقى العطف والرحمة جزاء ما فقد ؟

إن فرنتشسكا على الرغم من الخطيئة شخصية نبيلة ، كريمة رقيقة ، وديعة صادقة ، معترفة بالجميل ، تكاد تكون تقية صالحة ، لا تحسد أحداً ولا تحقد على إنسان ، لا تسخط على العذاب الذى تلاقيه ، ولا تتلمس المعاذير للخطيئة التى ارتكبتها . إنها تعلم قيمة الخير والشر ، والزواج والخطيئة . أحبت باولو ولم تستطع عن ذلك بديلا . يتغلب العشاق على فوارق الدين والجنس والمجتمع. وتزول أمام حرارة إحساسهم كل العقبات ، ويبقى الحب . والحب فوق القوانين . كان حب فرنتشسكا وباولو أقوى من الشرف والخطيئة واللعنة والموت .

إن فرنتشسكا داريمينى إمرأة حية كاملة حقيقية. إنها سابقة لتلك الشخصيات الانسانية الحديثة التى خلقها شكسبير وجوته . هى مثل أعلى لذاتها ، وللانسان الحى الحديث الواقعى . حطم دانتى خلالها أبا الهول ، وكسر القيود السابقة ، وخرج على الأفكار التقليدية ، وتغلغل فى صميم الحياة الواقعة ، وصوّر الانسان الرقيق الضعيف ، الذى يخضع للقدر ، ويستسلم للخطيئة . عاشت فرنتشسكا فى عالم لم يفهمهما . إنها كالزهرة الرقيقة ، تؤثر فيها نسمات الهواء الرقيقة . إنها ضحية أكثر منها آثمة . إنها شهيدة حب .

انسابت روح دانتى وامتزجت بهذا كله . وتلك عبقريته . وما هذا كله؟ إنه ألم ولذة ، وحب وخطيئة ، وفردوس وجحيم . إنه القلب الملىء بالأسرار . إنها الحياة الحافلة بالمتناقضات . إنه الانسان الحديث الذى خرج على عالم الرمز والتجريد ، وأصبح شخصاً حياً واقعياً ، يتنفس ويعبر ، ويحب ويأثم ويعيش ويموت . وهذا هو فن دانتى العظيم. كان دانتى بذلك ، وقد عاش حتى مطلع القرن الرابع عشر للميلاد ، أحد بناة التاريخ الحديث. هكذا كتب دانتى فى كهولته بحرارة وإبداع . ومن ذا الذى يقول إن دانتى أحس الشيوخة؟ ومتى جمد القلم فى يده ؟

ظلم بعض الناس التاريخ حينما فهموا أنه مجرد وقائع وإحصاءات وسنوات، ومديح وتظاهر ونفاق ، وبذلك أخرسوه أو قتلوه ، وهو الناطق الزاخر بالحياة . التاريخ فوق هذا كله . إنه الصدق والحقيقة . إنه قلب الانسان . إنه الروح والنفس وراء الأحداث والمظاهر . إنه الانسانية الكبرى .

فرنتشسكا دا ريميني

دانتي أليجييري : الكوميديا الإلهية : الجحيم ٥ : ٧٣ — ١٤٢

٧٣ بدأت[١٩] قائلا [٢٠] : « أيها الشاعر [٢١] ، كم أود
أن أتحدث [٢٢] إلى هذين الاثنين[٢٣] اللذين يذهبان معاً ،
ويبدوان هكذا خفيفين أمام الريح [٢٤] » .

٧٦ أجابني : « سترى عندما يصبحان
أقرب إلينا [٢٥] ، استحلفهما عندئذ
باسم الحب الذي يقودهما [٢٦] ، وسيأتيان [٢٧] » .

٧٩ وإذ حملتهما الريح قريباً منا [٢٨]
رفعت صوتي قائلا [٢٩] : «أيهاتان النفسان المعذبتان[٣٠] ،
تعاليا كلمانا ، إن أحدٌ لم يمنعكما [٣١] .

٨٢ كفرخي حمام ناداهما الهيام[٣٢] ،
حملتهما الرغبة الملحّة عبر الهواء ،
بأجنحة مرفوعة ثابتة [٣٣] ، إلى العش الحبيب [٣٤] ؛

٨٥ هكذا خرجا [٣٥] من زمرة ديدو [٣٦] ،
وقدما إلينا وسط الهواء الخبيث [٣٧] :
إذ كان قوياً ندائي الجياش بالعاطفة .

٨٨ « أيها المخلوق [٣٨] الرقيق الكريم [٣٩] ،
الذي تسير خلال الجو المعتم زائراً [٤٠] إيانا [٤١] ،
نحن اللذين خضّبنا الأرض بالدم .

٩١ إن كان ملك العالم صديقنا [٤٢]
لضرعنا [٤٣] إليه من أجل سلامك[٤٤] ،
لأنك قد أشفقت على مصيرنا الأليم .

FRANCESCA DA RIMINI

Dante Alighieri : La Divina Commedia : Inferno, v. 73-142

73. I' cominciai : " Poeta, volentieri
parlerei a quei due, che 'nsieme vanno,
e paion sì al vento esser leggieri ".

76. Ed elli a me : " Vedrai, quando saranno
più presso a noi ; e tu allor li prega
per quello amor che i mena ; ed ei verranno ".

79. Si tosto come il vento a noi li piega,
mossi la voce : " O anime affannate,
venite a noi parlar, s' altri nol niega ".

82. Quali colombe dal disìo chiamate,
con l' ali alzate e ferme, al dolce nido
vegnon per l' aere dal voler portate :

85. cotali uscir de la schiera ov' è Dido,
a noi venendo per l' aere maligno,
sì forte fu l'affetuoso grido.

88. " O animal grazioso e benigno,
che visitando vai per l' aere perso
noi che tignemmo il mondo di sanguigno :

91. Se fosse amico il re de l'universo,
noi pregheremmo lui per la tua pace,
poi c' hai pietà del nostro mal perverso.

٩٤ إننا سنسمع وسنتكلم إليك ،
عما يلذ لك أن تسمعه وتقوله (٤٥) ،
عندما يسكن الريح ، كما هو الآن (٤٦) .

٩٧ الأرض التي ولدتُ فيها قائمة ،
على ساحل البحر (٤٧) حيث يصب البو ،
باحثاً عن السلام هو ونهيراته (٤٨) .

١٠٠ الحب (٤٩) ، الذي يسيطر على القلب سريعاً (٥٠) ،
تيم شخصه هذا الجميل (٥١) ،
الذي فقدتُه (٥٢) بما لا يزال يشعرني بالاهانة .

١٠٣ الحب (٥٣) ، الذي لا يُعفي المحبوب من أن يحب (٥٤) ،
سيطر على كياني للذته ،
وهو لا يزال ، كما ترى ، غير مفارقي (٥٥) .

١٠٦ الحب (٥٦) ، قادنا معاً إلى موت واحد (٥٧) :
والدائرة القائينية تنتظر من أطفأ سراج حياتنا (٥٨) » .
حملت منهما (٥٩) هذه الكلمات إلينا .

١٠٩ عند سماعي حديث هاتين النفسين المهيضتين
أطرقت برأسي ، وأبقيته هكذا طويلا (٦٠) ،
حتى قال لي الشاعر (٦١) : « فيم تفكر ؟ » .

١١٢ وعندما أجبت ، بدأت قائلا (٦٢) : « واحسرتاه ،
أية خواطر عذبة وأية رغبة عميقة
أدت بهذين إلى طريق العذاب ! » (٦٣) .

١١٥ بعدئذ اتجهتُ إليهما ، وتكلمت ،
وبدأت (٦٤) : « يا فرنتشسكا ، إن آلامك
تستقطر مني الدمع حزناً وخشوعاً (٦٥) .

94. Di quel che udire e che parlar vi piace
noi udiremo e parleremo a vui,
mentre che 'l vento, come fa, ci tace.

97. Siede la terra, dove nata fui,
su la marina dove 'l Po discende
per aver pace co' seguaci sui.

100. Amor, ch' al cor gentil ratto s'apprende,
prese costui da la bella persona
che mi fu tolta, e 'l modo ancor m'offende.

103. Amor, ch' a nullo amato amar perdona,
mi prese del costui piacer sì forte;
che, come vedi, ancor non m' abbandona.

106. Amor condusse noi ad una morte:
Caina attende chi a vita ci spense".'
Queste parole da lor ci fur porte.

109. Quand' io intesi quell' anime offense,
chinai 'l viso, e tanto il tenni basso,
fin che 'l poeta mi disse: "Che pense?"

112. Quando rispuosi, cominciai: "O lasso,
quanti dolci pensier, quanto disìo
menò costoro al doloroso passo!"

115. Poi mi rivolsi a loro, e parla' io,
e cominciai: "Francesca, i tuoi martìri
a lagrimar mi fanno tristo e pio.

١١٨ ولكن أخبريني : في وقت تنهداتكما العذبة [٦٦] ،
بأي دليل وبأية طريقة أتاح لكما الحب [٦٧]
أن تتعرفا على رغباتكما الخبيئة ؟ » [٦٨] .

١٢١ أجابتني : « ليس أقسى على النفس
من تذكر العهد السعيد
في وقت البؤس [٦٩] ، وهذا ما يعرفه أستاذك [٧٠] .

١٢٤ لكن إذا كانت رغبتك ، في أن تعرف
أصل حبنا ، هكذا قوية [٧١] ،
فاني أفعل ، كمن يبكي ويتكلم [٧٢] . .

١٢٧ كنا نقرأ ، يوماً ، وبلذة [٧٣] ،
كيف أن الحب تيم لانتشلوتو [٧٤] :
وكنا وحيدين [٧٥] ، لايخامرنا أي شك [٧٦] .

١٣٠ جعلت تلك القراءة عيوننا تتلاقى
عدة مرات ، وجعلت وجهينا شاحبي اللون [٧٧] ،
ولكن أمراً واحداً هزمنا [٧٨] ،

١٣٣ وذلك عندما قرأنا أن تلك البسمة المرتقبة [٧٩]
قد قبّلها ذلك العاشق الولهان ،
هذا [٨٠] ، الذي لن ينفصل عني أبداً [٨١] ،

١٣٦ قبّل فمي ، وهو يرتجف كله .
كان الكتاب ومؤلفه كجاليوتو [٨٢] :
لم نقرأ ذلك اليوم شيئاً » [٨٣] .

١٣٩ بينما [٨٤] كان أحد الروحين [٨٥] هكذا يتكلم ،
بكى الآخر [٨٦] بمرارة ، حتى أخذت قواي تخور
من فرط الأسى ، كأني أموت [٨٧] .

١٤٢ وهويت كجسم ميت يهوي إلى الأرض [٨٨] .

118. Ma dimmi: al tempo de' dolci sospiri,
a che e come concedette Amore,
che conosceste i dubbiosi desiri?"

121. E quella a me: "Nessun maggior dolore,
che ricordarsi del tempo felice
ne la miseria; e ciò sa 'l tuo dottore.

124. Ma s' a conoscer la prima radice
del nostro amor tu hai cotanto affetto,
farò come colui che piange e dice.

127. Noi leggevamo, un giorno, per diletto
di Lancialotto, come amor lo strinse:
soli eravamo e sanza alcun sospetto.

130. Per più fiate gli occhi ci sospinse
quella lettura, e scolorocci il viso:
ma solo un punto fu quel che ci vinse.

133. Quando leggemmo il disiato riso
esser baciato da cotanto amante,
questi, che mai da me non fia diviso,

136. La bocca mi baciò tutto tremante.
Galeotto fu il libro e chi lo scrisse:
quel giorno più non vi leggemmo avante".

139. Mentre che l'uno spirto questo disse,
l' altro piangea sì, che di pietade
io venni men così com' io morisse;

142. e caddi, come corpo morto cade.

الحواشى

(١) أخذ دانتى هذا الفصل عن حادث تاريخى وقع فى ريمينى فى حوالى ١٢٨٥ ؛ وخلاصته أن أسرة دابولنتا أمير راڤنا وأسرة مالاتستا أمير ريمينى جنحتا الى السلام بعد فترة منافسة ، عن طريق المصاهرة . اعتقدت فرنتشسكا الجميلة ابنة دابولنتا أنها ستتزوج باولو مالاتستا الشاب القوى الجميل ، الذى كان متزوجا وأنجب طفلين . ولكنها خدعت وزفت الى أخيه جانتشوتو القبيح المشوه ، الذى عرف بالعزم والصلابة . وأنجب الزوجان طفلة . ومع ذلك فقد نشأت صلة حب عنيف بين فرنتشسكا وباولو . اجتمع العاشقان فى غياب الزوج الذى شغل وظيفة العمدة فى عدة أماكن . وذات يوم أخذا يقرآن قصة فرنسية من قصص المائدة المستديرة فى العصور الوسطى ، تناولت حب الملكة جينڤرا ، زوجة الملك أرتو ، وفارسها لانتشلوتو . وعندما وصلا فى قراءتهما الى القبلة بين العاشقين القديمين ، أخذهما الموقف ، وقبل باولو فرنتشسكا . وتكرر ذلك الموقف بينهما . فكتب أحد أقرباء جانتشوتو ينبئه بالخبر . رجع جانتشوتو الى ريمينى ، وراقب العاشقين ، وفاجأهما فى عزلتهما ، فأسرع باولو الى الفرار ، ولكن ثوبه علق بالباب ، فاندفع جانتشوتو يضربه بالسيف ، واعترضته فرنتشسكا لحماية باولو ، فاخترق السيف صدرها ونفذ الى ظهر باولو ، فماتا معاً . عرف دانتى هذه القصة فى شبابه ، فأثرت فى نفسه ، واعتزم أن يكتب عنها يوماً ما . وعندما لجأ دانتى فى أواخر أيامه الى جويدو دابولنتا أمير راڤنا ، كان قد أكمل الكوميديا ، ونال ما كتبه دانتى عن فرنتشسكا اعجاب الأمير وتقديره ، الذى كتب شعراً تأثر فيه بما كتبه دانتى .

كتب دانتى هذا الفصل عن فرنتشسكا دا ريمينى ، الذى أوردنا ترجمته العربية مع النص الايطالى فى آخر هذا البحث فيما لا يزيد عن ٧٠ بيتاً . وبذلك أوجز ولم يفصل . جعل هذا الايجاز لكل كلمة واشارة وفكرة معناها الدقيق . ولا بد لفهمه وتذوقه من الوقوف بامعان وتريث أمام كل كلمة وجملة . ويتساءل بعض النقاد عن سبب تخليد دانتى هذين الآثمين دون غيرهما . أبدى البعض الشك فى أن دانتى ربما مر فى تجربة مشابهة ، وأنه أراد بذلك أن يضع لنفسه عظة وعبرة . هذا الرأى مستبعد . وليس هناك أدلة تاريخية تؤيده .

تناول بعض أدباء ايطاليا هذا الموضوع ذاته . كتب پليكو ، من الشعراء الرومانتيكيين ، مأساة فرنتشسكا دا ريمينى ، فى أوائل القرن التاسع عشر ، صور فيها الأبطال الثلاثة كنماذج للخلق والفضيلة . وأحبت فرنتشسكا باولو بغير خطيئة ، وارتكب جانتشوتو القتل لأنه ظن خطأ أن هناك خطيئة قد ارتكبت . ووضع دانونتزيو ، من الشعراء المعاصرين ، مأساة فرنتشسكا دا ريمينى ، التى يسودها العنف والقسوة والتنعم بالحياة ، تلك الصفات التى تغلب على حياة دانونتزيو وأدبه . وكتب تشيزاريو ، من الأدباء المعاصرين ، مأساته عن فرنتشسكا

دا ريميني ، وصور فيها الحب المتبادل بين الأخوين ، وجعل فرنتشسكا امرأة عنيفة جامحة ، ظلت تغري باولو بالتهكم والسخرية تارة ، وبالرفق واللين تارة أخرى ، حتى وقعت الخطيئة .

(٢) Inf. XIX. 55 : XXVII. 81.

(٣) هو أستاذ الفلسفة في باريس في أواخر العصور الوسطى . Par. X. 132.

(٤) فصل فرنتشسكا دا ريميني . Inf. V. 73-142.

(٥) في حضرة الله يتهكم دانتي ويسخر من الأرض . Par. XXXI. 37-39.

(٦) Rime, CXI : V. Nuova. XIII.

(٧) Rime, LXI.

(٨) Rime, CXVII, CXVIII.

(٩) Rime, C-CIII.

(١٠) Purg. XXIV. 43-45,

(١١) Inf. I. 28-60.

(١٢) Inf. IV. 64-151.

(١٣) Inf. V. 25-72.

(١٤) Inf. XX. 28.

(١٥) يشبه هذا قول تريستانو لايزوتا ، في قصص المائدة المستديرة ، انه قد أصبح ايزوتا وهي تريستانو ، وهذا منتهى الحب .

(١٦) هذا على حين لا تتردد بيا دا تولومى في ذكر بلدها سيينا ومكان موتها في ماريما ببساطة لأنها لم ترتكب الخطيئة . Purg. V. 130-133.

(١٧) يشبه هذا ما عبر عنه فاجنر في موسيقاه الخالدة « موت ايزوتا » . عند ما وصلت العاطفة الى الأوج ، جنحت الى السكينة والموت .

(١٨) هذا على عكس كونيتزا أخت الطاغية اتزيلينو التي تزوجت ثم تقلبت في حب عدة رجال ، وتابت وندمت . وضعها دانتي في الفردوس ، وكانت تستحق المطهر على الأكثر . وفرنتشسكا لم تندم فهي باقية بحبها في الجحيم الى الأبد . Par. IX. 32.

(١٩) لا شك في أن الترجمة تفقد النص الأصلي بعض قوته وروعته على الأقل ، وقد حاولت في ترجمة هذا الفصل متابعة النص الاصلي ، سطراً بسطر ، بقدر المستطاع ، واضطررت أحياناً الى شيء من التصرف ، وقد قابلت هذه الترجمة ببعض الترجمات الاخرى .

(٢٠) قال انه بدأ ، أي أنه لم يتكلم مباشرة ، واحتاج الى بعض الجهد والوقت حتى تمالك نفسه ، بعد أن شارك المعذبين آلامهم ، قبل رؤيته « هذين الاثنين » وكاد أن يفقد الوعي .

(٢١) قصد مارو بوبليوس فرجيليوس من أعظم شعراء اللاتين (٧٠ — ١٩ ق . م) امتلأت حياة دانتي وفرجيليو بالعواصف والاسى والنيران . واجتماعهما يهز النفس التاريخية .

تأثر دانتي بأدب فرجيليو الموسيقى الذي يطاوع خفقات القلوب . وهو صاحب الانيادة . اتخذه دانتي دليلا له في الكوميديا ، فساعده على اختراق الصعاب ، وشجعه وعلمه وقاده حتى تسلمته بياتريتشي في المطهر . وهو عنده الاستاذ والحكيم والقائد والأب العزيز ونور ايطاليا وفخر اللاتين ، والشاعر الاعظم . ناداه هنا بالشاعر ، وهي الصفة الخالدة عندها ، ولأنهما مقبلان على موقف انساني مؤثر . وجعل دانتي من فرجيليو صورة من نفسه تتجاوب أفكارها في هذه الرحلة الخيالية .

(٢٢) أي كم تحدوه الرغبة الملحة للتحدث الى هذين الاثنين .

(٢٣) اختلاف عقاب هذين الاثنين عن بقية الآثمين ، فلم تفرقهما الريح ولم تضربهما ببعض ، بل حملتهما معاً على الدوام . أثار ذلك الاختلاف انتباه دانتي .

(٢٤) وبمعنى آخر يبدوان كريشة في مهب الريح .

(٢٥) حاول فرجيليو بهذه الكلمات أن يحمله على الصبر والانتظار ، وأن يهدىء من نفسه .

(٢٦) أي أن الحب يقودهما مع الريح ، والحب محور هذا الفصل .

(٢٧) أي لن يتوانيا عن القدوم اذا ما استحلفهما دانتي باسم الحب العزيز عليهما .

(٢٨) أي أن الريح استجابت لنداء دانتي وحملتهما اليه ، ولم تذهب بهما بعيداً عنه .

(٢٩) أي أنه من فرط تأثره لم يستطع النطق بسهولة ، فبذل جهداً ورفع صوته كي يتكلم .

(٣٠) ناداها بالحالة الاليمة التي هما عليها ، وفي هذا عطف ومشاركة لهاتين النفسين المعذبتين .

(٣١) طلب اليهما أن يقتربا أكثر وأن يتكلما عن حالهما ، ولم يكد يتم قوله حتى أبدى هذا الاعتراض الذي ولده الشك ، اذ ربما وجد عائق يمنعهما . والمقصود بالعائق الله الذي لا يذكر اسمه في الجحيم ويكتفي بالكناية عنه .

(٣٢) شبههما دانتي بالحمام لأنه طير يمشق بالخلاص . يطيران كفرخي حمام ناداهما الهيام الى العش الحبيب .

(٣٣) طارا بأجنحة قوية ممتدة مفتوحة حتى يصلا سريعاً الى العش الحلو الحبيب . يشبه هذا قول فرجيليو في الانيادة :

"qualis spelunca subito commota, columba, cui domus et dulces latebroso in pumice nidi, fertur in arva volans plausumque exterrita pennis dat tecto ingentem, mox aere lapsa quieto radit iter liquidum, celeris neque commovet alas". Virg. Æneid, V. 213-217.

(٣٤) أبدلنا هذين البيتين (٨٣ ، ٨٤) الواحد بالآخر لمطابقة الاسلوب العربي . ومن الجائز أيضاً أن يعدل وضع الابيات الثلاثة السابقة كما يلي : « حملتهما الرغبة الملحة عبر الهواء ، كفرخي حمام ناداهما الهيام ، بأجنحة مرفوعة ثابتة ، الى العش الحبيب » .

(٣٥) أي أنهما لم يستطيعا التأخر أمام نداء دانتي الحار القوي .

(٣٦) ديدونى ملكة قرطاجة ومن شخصيات الانيادة . عندما مات زوجها سيكيو أقسمت أن تعيش بغير زواج . ولكن الظروف أوقعتها في حب اينيا ، فسلمت نفسها اليه ، ثم هجرها ، فانتحرت . ليست ديدونى وجماعتها من الممعنين فى حياة الاثم . هذه جماعة ارتكبت الاثم فى ظروف مؤثرة ، ولا تزال تسودهم الاخلاق النبيلة . ويشبه هذا قول ڤرجيليو فى الانيادة :

" Inter quas phœnissa recens a vulnere Dido errabat silva in magna ".
Virg. Æneid. VI, 450-451.

(٣٧) الهواء الخبيث الاسود المظلم الملون .

(٣٨) أى أن دانتى روح وجسد حى لم يمت بعد .

(٣٩) لا تعرف فرنتشسكا كيف تجازيه على عطفه عليهما ، فتنعته بالصفات الطيبة اعترافاً بالجميل .

(٤٠) أى الذى يتجشم هذه الصعاب لزيارتنا .

(٤١) تأتى لزيارة من ؟ نحن الاثنين اللذين جمعهما الحب والاثم والدم والموت .

(٤٢) ملك العالم أى الله ، ليس الله صديقهما لأنهما ارتكبا الخطيئة .

(٤٣) كانت فرنتشسكا تود أن تكون صلاتها مقبولة عند الله ولكنها تعرف ألا مكان لهما عنده .

(٤٤) كانت تود أن تصلى من أجل غفران ذنوب دانتى ، وبذلك حاولت أن تقابل العطف بالعطف . يمزج دانتى هنا عالم الخطيئة بعالم الرحمة ويحاول أن يقرب بين الارض والسماء .

(٤٥) أبدلنا البيتين (٩٤ ، ٩٥) الواحد بالآخر لمطابقة الاسلوب العربى .

(٤٦) لا يسكن الريح فى هذه المنطقة أبداً ، ولكنه يسكن قليلا من أجلهما حتى يقدرا على الكلام ، لأن خطيئتهما تدعو الى العطف والرحمة .

(٤٧) قصدت مدينة راڤنا التى تقع على مقربة من ساحل الادرياتيك .

(٤٨) يلاق الپو ونهيراته صعوبات الارض فى المجرى الاعلى ويبحث عن السلام فى المجرى الادنى وفى البحر .

(٤٩) لا تنطق فرنتشسكا فى هذه الآونة بغير كلمة الحب . وقد ساد مذهب الحب فى مدرسة الشعر الحديث فى فلورنسا فى القرن ١٣ م .

قال جوينتزيلى ما يشبه هذا : "Al cor gentil ripara sempre amore".
Guinizelli, Canz. V. I.

وقال دانتى ما يشبه هذا : "Amor e cor gentil sono una cosa".
Dante, V. Nuova, XX. 3.

(٥٠) يسيطر الحب على القلب سريعاً فلا يشعر به الانسان .

(٥١) هناك خلاف بين النقاد فى معنى هذا البيت . يرى البعض أن النص هكذا : « تيم صاحبي هذا بجسمى الجميل » . وأن فرنتشسكا أرادت بذلك أن تقلل من مسئولية پاولو الذى لم يستطع مقاومة جمالها . ولكن يرى الاستاذ ريتشى أن لبساً قد وقع فى حرف الجر وبتصحيحه يصبح المقصود شخص پاولو الجميل الذى ملكه الحب ، وبذلك يستقيم المعنى ويزول الغموض . وتصبح الاهانة التى تحسها فرنتشسكا ليست نتيجة للخطيئة ولا للموت ، الذى تعتز به على الرغم من اللعنة والعذاب ، ولكن تصبح الاهانة نتيجة للخداع ، ولأنها وجدت أمامها جانتشوتو القبيح ، بدلا من پاولو الجميل . وعندما نطقت بكلمة الحب سرعان ما ذكرت الالم والاهانة .

(٥٢) فقدت جسم پاولو الجميل بالخداع ولذلك فهى تشعر بالاهانة .

(٥٣) تنسى الالم لحظة ثم تعود الى ذكرى الحب ، ومن ذا الذى يستطيع أن يقاومه ؟

(٥٤) أى أن الحب لا يطلب سوى الحب . أى أن پاولو أحبها فأحبته . وهى بذلك تعبر عن نفسها بصراحة وايجاز .

(٥٥) أى أن الحب لا يزال مستولياً عليها ولا تستطيع منه خلاصاً .

(٥٦) عادت مرة ثالثة الى الحب ، ولكنها لا تطيل الكلام ، لأنه أدى الى وقوع مأساتها .

(٥٧) لم تنس فرنتشسكا القاتل . ان جرحها يدمى فتذكر المصير الذى ينتظر قاتلهما . هى آثمة وضحية فى وقت واحد .

(٥٨) الدائرة القائينية هى الطبقة الاولى فى درك الجحيم التاسع الذى تعذب فيه نفوس الخونة ومن قتلوا أقاربهم . Inf. xxxii. 16-69.

(٥٩) كانت فرنتشسكا تتكلم باسمها وباسم پاولو .

(٦٠) هنا سادت فترة صمت وسكون . أطرق دانتى برأسه ألما عليهما وأخذ يفكر فيما أصابهما .

(٦١) أى أن ڤرجيليو سكت أيضاً ، ثم بدأ الكلام .

(٦٢) أى أن دانتى بذل جهداً حتى استجمع قواه فتكلم .

(٦٣) أجاب دانتى وكأنه يخاطب نفسه متسائلا عن الخواطر العذبة والرغبة العميقة التى أدت بهذين العاشقين الى طريق العذاب .

(٦٤) بذل دانتى جهداً حتى تمالك نفسه وعاد الى سؤال فرنتشسكا ، التى ظلت صامتة أيضاً .

(٦٥) يشاركهما الالم حتى البكاء . وفى بكائه حزن وخشوع وعبادة .

(٦٦) أى فى الوقت السعيد الذى كان كل منهما يفكر فى حبه وفى صاحبه .

(٦٧) أى ليس هما اللذان عرفا مايخالجهما ، ولكن الحب ذاته هو الذى كشف لكل منهما عما فى قلب الآخر من عاطفة .

(٦٨) المصير الذى لقياه جعل دانتى يفكر فى معرفة أصل حبهما ، وأراد بذلك أن يكشف ن خبايا النفس الانسانية ، وسمى الرغبات بالخبيثة أو الغامضة أو الشكوك فيها لأن الحب سحبه الشك دائماً ، ويعتقد كل من العاشقين أن حبه أقوى من حب صاحبه .

(٦٩) عبرت عن الالم بمقارنة الحاضر بالماضى . يشبه هذا قول بويتزيو الشاعر يلسوف (٤٧٠ — ٥٢٥م) .

" Nam in omni adversitate fortunae, infelicissimum est genus in fortun fuisse felicem ". Boethuis, Philos. Consol. II. Prosa. IV. 4.

(٧٠) استشهدت بحكمة فرجيليو ومعرفته .

(٧١) يشبه هذا قول فرجيليو فى الانيادة: "Sed si tantus amor casus cognoscere nostros et breirter Troiae luctuque refugit, incipiam ".
Virg. Æneid II. 10-13.

(٧٢) عندما يمتزج البكاء بالكلام يكون منتهى الألم ، وأوجولينو فى المطهر على العكس تكلم ويبكى . Purg. XIV. 125.

(٧٣) تمهلت فرنتشسكا ووقفت عند كل كلمة ، لأنها استعادت ذكرياتها العذبة الجميلة .

(٧٤) عين الملك أرتو ، فى قصص المائدة المستديرة ، لانتشلوتو فارساً لزوجته الملكة جينفرا . نشأ الحب بين الملكة وفارسها . سألته كيف ومتى أحبها . قال انه أحبها منذ أصبح فارساً لها وانه استمد منها الحب ، عندما ودعته فى رفق وعذوبة ، وبذلك غمرته بالسعادة وجعله غنياً وسط الفقر . ولكن جينفرا على الرغم من حبها اياه كان يلذ لها أن تعذبه وتؤلمه ، حتى ظن لانتشلوتو أنها لم تعد تحبه . وعندئذ تدخل جاليوتو صديقهما ودافع عن لانتشلوتو وشرح كيف أنه يحبها أكثر من نفسه وأنه كنز لا يمكن العثور على مثيله ، وسألها أن تكون رحيمة به ، وأن تظهر له الحب الذى تخفيـــه وأن تحتفظ به أبداً . وعدت جينفرا أن تفعل ذلك وأفصحت عن رغبتها فى أن يكون أحدهما خالصاً للآخر .

(٧٥) وحدتهما دليل على الشعور بالخطيئة .

(٧٦) أى لم يخامرهما أى شك فيما سينتهى اليه الأمر .

(٧٧) جعلتهما تلك القراءة يتبادلان النظرات ، وازداد نبضهما ، وكشف أحدهما الحب فى وجه الآخر ، فشحب لونهما .

(٧٨) قاوما ما جاش فى صدرهما ، ولكن مقاومتهما انتهت ، وغلبهما الحب . حاولت فرنتشسكا أن تشرح أصل ذلك الحب ، ولكنها لم تكد تبدأ الكلام حتى أشرفت على النهاية .

(٧٩) البسمة هنا كناية عن الفم . لا يذكر دانتى الفم أو الشفتين ولكنه يذكر الابتسامة. يعبر عن مادة الشفتين بالبسمة غير المادية . وهذا شعور رقيق . قصدت فرنتشسكا القبلة بين جينفرا ولانتشلوتو .

(٨٠) اكتفت بالاشارة الى باولو بلفظ هذا دون أن تذكر اسمه . ان من يعرفها لابد أن يعرفه . هما شيء واحد . هو هي وهي هو ، وهذا منتهى الحب .

(٨١) فى هذا التلازم الدائم لذة وألم فى وقت واحد .

(٨٢) أى أن الكتاب ومؤلفه لعبا دور جاليوتو وسيط الحب بين العاشقين القديمين .

(٨٣) لم تشرح ماذا حدث بعد ذلك . ولم تذكر كيف قتلا . عبرت عن الفاجعة بسطر واحد . كان المنتظر أن تكون تلك بداية القصة ، لا نهايتها . اختلط فى ذلك الحب باللذة والاثم والنار والخلود . ويشبه مقتلهما ماصوره شكسبير فى مأساة عطيل . يسأل عطيل ديدمونة قبل أن يقتلها هل قامت بالصلاة ، ويطلب اليها ألا يفوتها اثم دون أن تستغفر السماء من أجله ، ولها أن تعتبر نفسها فى سرير الموت ! استولت الدهشة والرعب على ديدمونة البريئة ، وحاولت أن تعرف ماذا قصد عطيل بذلك الكلام المخيف . لم ترتكب ديدمونة اثماً ، ولكن عطيلا صدق وشاية ياجو بها . فأخذته الغيرة وقتلها . ثم عرف الحقيقة الاليمة بعد موتها . هناك خلاف بين المأساتين لأن فرنتشسكا ارتكبت الاثم واعترت بحبها ولم تتنصل منه ، بعكس ديدمونة البريئة . Shak. Othello, v. 2.

(٨٤) أى طول ذلك الوقت كله .

(٨٥) أى فرنتشسكا .

(٨٦) أى باولو . فرنتشسكا تتكلم وباولو يبكي . كلامها بكاء وبكاؤه كلام ، وهما يعبران عن شيء واحد .

(٨٧) خارت قوى دانتى من فرط الاسى . لم يستطع أن يتحمل هذا البكاء كالكلام ، فأحس أنه يموت .

(٨٨) أى أنه فقد الوعى وسقط على الارض كجثة لاحراك بها . وهذا منتهى المشاركة فى آلام هذين العاشقين .

ويشبه هذا قول أوفيد الشاعر اللاتينى (٤٣ — ١٦ ق . م) :

"qua rursus visa veluti praesaga futuri horruit Alcyone lacuimasque emisit abortas amplexusque dedit tristique miserrima tandem ore "vale" dixit, collapsaque corpore toto est". Ovid, Met. XI. 457-460.

ويشبه هذا المعنى ما ورد أيضاً فى شعر بترارکا (١٣٠٤ — ١٣٧٤) :

"Caddi non già come persona viva". Petrarca. Son, LI.8.

ويشبه قول بولتشى (١٤٣٢ — ١٤٨٤) :

"E cadde, come morto in terra cade".

Pulci, Morg. Maggiore, CXXII.

وانى أشكر زميلى الاستاذ محمد محمود السلامونى مدرس اللغتين اللاتينية واليونانية بكلية الآداب بجامعة فاروق الاول لتفضله بمراجعة وشرح النصوص اللاتينية السابقة . كما أشكر زميلى الدكتور جمال الدين الشيال مدرس التاريخ الاسلامى بنفس الكلية لتفضله بمراجعة مخطوطة هذا البحث وابدائه بعض الملاحظات القيمة .

مراجع البحث

أولاً — مؤلفات دانتي :

Dante Alighieri : La Divina Commedia

— commentata da L. Pietrobono. Torino, 1932.

— „ „ V. Rossi. Città di Castello, 1923.

— con il commento di T. Casini. Firenze, 1932.

— nel testo critico della Società Dantesca Italiana, esposta e commentata da E. Mestica. Firenze, 1921.

— nella Figurazione Artistica e nel Secolare Commento, a cura di G. Biagi. Torino, 1924.

— Il Poema Sacro. Riassunti e Schemi per lo studio della D. C. fatti da A. Gustarelli. Milano, 1934,

— The Divine Comedy. Eng. Trans. by H. Cary. Florence ?

— „ „ „ „ „ by M. Anderson. U. S. A. ?

— „ „ „ „ „ by L. G. White. New York, 1948.

— La Divine Comédie. Trad, Franç. par P. A. Fiorentino. Paris, 1872.

— La Divine Comédie. Trad. Franç. par A. de Montor. Paris ?

— „ „ „ „ „ par H. Longnon, Paris, 1938.

— جحيم دانتي ترجمة أمين أبو شعر . القدس ، ١٩٣٨ .

Dante Alighieri : Opere Minori. Firenze, 1935.

ثانياً — بحوث خاصة :

Balzo, C. : Francesca da Rimini nell' arte e nella Storia. Napoli, 1895.

Barlow, H. : Francesca da Rimini; her lamentation and vindication. London, 1889.

Ricci, C. : Lectura Dantis. Il canto v. dell' Inferno. Firenze, 1899.

Yriarte, ch. : Françoise de Rimini. Paris, 1883.

ثالثاً — مراجع عامة :

Bradford, M.W.: Dante the Man and the Poet. Cambridge, 1924.

Croce, B.: La Poesia di Dante. Firenze, 1921.

De Sanctis, F.: Storia della Letteratura Italiana. 2 vol. Milano, 1934.

„ „ : Saggi Critici. 3vol. Milano, 1936.

Gillet, L.: Dante. Rio de Janeiro, 1941.

Goss, E.: Saggi Letterari. Genova, 1939.

Leigh, G.: New Light on the Youth of Dante. London?

Momigliano, A,: Storia della Letteratura Italiana. Messina, 1936.

Polhories, F.: Dante et La Divine Comédie. Paris, 1931.

Papini, G.: Dante Vivo. Firenze, 1933.

„ „ : Storia della Letteratura Italiana. Firenze, 1937.

Rossi, V.: Storia della Letteratura Italiana. 3 vol. Milano, 1935.

حسن عثمان : دانتي أليجييري : حياته وشخصيته . مجلة الكاتب المصري مجلد ٨ عدد ٣١ القاهرة ، ابريل ، ١٩٤٨

وراثية الشعر عند عبد الحق حامد

بقلم

حمزه طاهر

ظل عبد الحق حامد ، شاعر الترك الأعظم ، حامل لواء الشعر ستين عاماً وأخرج أكثر من ثلاثين كتاباً يفخر بها الأدب التركى ، وقد بدأ يقرض الشعر صغيراً وبلغ أوجه ولما يبلغ الثلاثين ، ولم يفقد مكانته حتى توفى فى الثامنة والثمانين . وكتب عنه فى الأدب التركى شىء كثير ، كما كتب عنه بعض كتاب العرب . وقيل إنه مصرى الأصل من سلالة الشيخ عبد الحق السنباطى .

عثرنا فى مجلة « تورك لك — القومية التركية » (عدد ٢ مايو سنة ١٩٣٩) على ترجمة ممتعة للشاعر بعنوان « وراثية الشعر عند عبد الحق حامد » . كتبها نازلان دانشمند بمناسبة الذكرى الثالثة لوفاته . وقد ذهب فيها إلى أنه من أصل تركى هاجر جده الأعلى عبد الخالق من ولاية أزمير إلى مصر ، واستوطن بلدة سنباط فاشتهر بالسنباطى . وبقيت أربعة بطون من الأسرة بمصر . ثم عاد أحد أحفاد الشيخ عبد الخالق الى استانبول واشتهر باسم محمد المصرى وخلف ولدا إسمه اسماعيل . وجعل هذا القسم من الأسرة مجهولة التاريخ .

هكذا قلب الكاتب نسب الشاعر رأساً على عقب محاولا أن يثبت تركيته منذ الأزل ، ولكنه لم يقدر على إثبات ماذهب إليه ببراهين مستندة الى مراجع تاريخية ، فيما يخص أفراد الأسرة الذين عاشوا فى القطر المصرى . وقد حاولنا نحن أيضاً أن نجد ترجمة للشيخ عبدالخالق السنباطى وأولاده فلم نعثر على شىء منها ، على حين أننا إذا أقررنا بعبد الحق السنباطى جداً أعلى للشاعر كما هو المشهور ، فيكون لنا إثنان ممن ذكرهم الكاتب من أجداد حامد معلومين علماً تاماً وهما الشيخ عبد الحق السنباطى وابنه شهاب الدين أحمد . فقد ورد فى « الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة » لنجم الدين الغزى (ج١ ص ٢٢١ ، المطبعة الأمريكانية

ببيروت سنة ١٩٤٥) « عبد الحق بن محمد الشيخ الامام شيخ الاسلام الحبر البحر ، العلامة الفهامة السنباطى القاهرى الشافعى ، خاتمة المسندين ولد ٨٤٢ هـ وتوفى سنة ٩٣١هـ متجاوزاً التسعين . وخلف ثلاثة بنين رجالا متتابعة صلحاء عقلاء فضلاء ، غير أن أوسطهم الشيخ شهاب الدين أحمد أفضل بنيه ودونه الشيخ مجد الدين » . واذا لاحظنا حالة الدولة العثمانية فى تلك العصور بان لنا أن كون عبد الحق حامد من أصل مصرى مستترك من سلالة الشيخ عبد الحق السنباطى أقرب الى الحقيقة والعقل . وخاصة أن اسم عبد الحق قد ورد فى الأسرة أكثر من مرة . واذا تأملنا فى كلام الشاعر نفسه الذى أورده الكاتب فى مقاله ، وهو : « إن أفراد الأسرة التى أنتمى إليها ، من رجال السلك العلمى منذ ثلاثمائة عام ، وأنا فى السلك نفسه ، وأفخر بأنى مسلم منذ الأزل قبل ظهور الأديان » ، زدنا يقينا بأنه من سلالة الشيخ عبد الحق السنباطى المشهور .

وإذ أن الكاتب الفاضل قد اعتمد فى مقاله على مراجع مخطوطة ومسموعة قل أن تتوفر لغيره ، فضلا عن المراجع الكثيرة المطبوعة ، وترجم للشاعر أوسع ترجمة من حيث أسرته وحياته الشخصية ، رأينا نقله الى العربية بتصرف قليل ، ونشره فى مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، لعله يكون مرجعاً قيما لمن أراد أن يدرس شاعر الترك الأعظم . قال الكاتب :

(١)

إذا بُحث فى تراجم العظماء الذين تثقفوا بثقافة عهد الاصلاحات (تنظيمات) ، اتضح أن جميعهم من أبناء الأناضول : « فعاكف باشا من يوزغاد ، وأدهم برتو باشا من أرزن الروم (أرضروم) ، وشناسى من بولى ، وعبد الحميد ضيا باشا من ارزن الروم ، ونامق كمال من قونية ، ويوسف كامل باشا من عربكير ، ومنيب باشا من عينتاب ، وسعد الله باشا من عياش ، وأعظمهم جميعاً عبد الحق حامد من أزمير . وقد ولد شناسى وضيا باشا وعبد الحق حامد باستانبول . ونامق كمال فى تكفور طاغى » . ومن ألقى نظرة على خريطة الدولة العثمانية فى عهد الاصلاحات أدرك أن هذا أمر طبيعى . فقد كانت هذه الدولة المنبسطة على ثلاث قارات ، تدفع الناس من الشرق الى الغرب ، ومن الشمال الى الجنوب دفعاً مستمراً بأسباب مختلفة

كالمناصب والجندية والتجارة وغيرها ، وتجذبهم الى عاصمتها خاصة . وكما أن المولود في سفينة لا يعد بحريا ، فان المولودين في بلاد مختلفة لا ينتمون إليها لولادتهم فيها لظروف أسرهم . فلذا يُتخذ الأساس في تحديد المنشأ مكان نشأة الأسرة وليس مكان الولادة . ومن الممكن أن يولد كل فرد من أفراد أسرة تابعة لدولة من الدول العظمى في مكان خاص ، ولكنهم يحافظون جميعاً على الخواص والتقاليد الوراثية من المنشأ الأصلى ويستمرون عليها .

وهذه الحال واضحة جليه في أسرة عبد الحق حامد خاصة . فان الدولة العثمانية ساقت الأسر التركية الغزية من الأناضول الغربية إلى مصر ومنها الى استانبول . بيد أن أقاليم آسيا وافريقيا وأوربا لم تتمكن بعد من تغيير أساس النظم الوراثية للأسرة .

لقد أشار مؤلف كتاب « تجديدنا الأدبى » (أدبي يكيلكبز) الى أثر الوراثة في عبد الحق حامد ، ولكنه اكتفى بالبحث فى بطنين فقط من الملا عبد الحق الى عبد الحق حامد . وما أريد بحثه الآن هو معالجة التحقيق بطريقة واسعة شاملة ما أمكن ، العوامل التى أنجبت واحداً من أكبر عباقرة الأدب التركى . ولا شك أن تحقيقاً كهذا فى حاجة الى وثائق كثيرة .

تحدث حامد عن أسرته بوسائل مختلفة ، وتلك الأحاديث أهم الوثائق عندى ، أى أنه هو الوثيقة الأولى ، ثم سجل الأسرة الذى يضم خطوط اليد لأفراد هذه الأسرة منذ أبى جده . ثم رحلة أبيه غير المطبوعة التي تتألف من مجلد ضخم ، وبعض رسائل حامد ، والأحاديث القيمة للشاعرة مهر النساء أخت حامد ، والبيانات المفصلة لاسماعيل صاحب بك ابن أخته ، والمحاضرة التى ألقاها اسماعيل حامى دانشمند بنادى الشعب بغلطه سراى فى ١٣ نيسان سنة ١٩٣٨ بعنوان : « من عبد الحق حامد ؟ » ، و « سجل عثمانى » لمحمد ثريا ، و « عثمانلى مؤلفلرى » لطاهر البروسوى ، وتاريخ الدولة العثمانية لأحمد جودت باشا ، وغيرها من الوثائق الشفوية والتحريرية ، المطبوعة وغير المطبوعة .

نظراً إلى هذه الوثائق يعرف التاريخ سبعة أجداد لحامد تتكون منهم ومن فروعهم أسرة كبيرة تنقسم إلى قسمين : قسم نجهل تراجمهم وقسم نعرفهم .

فأما الذين نجهل تراجمهم فهم عبد الخالق السنباطى وأحمد شهاب الدين ومحمد المصرى واسماعيل ، فلا توجد لدينا معلومات عن تراجمهم . لاحامد نفسه يعلم عنهم شيئاً ولا أخته مهر النساء ، فلذا يبدأ التاريخ الحقيقى للأسرة من ابن اسماعيل ، ويمكن تسمية العهد السابق عليه بعصر ما قبل التاريخ .

ولم يكن عبد الحق حامد يذكر عن عهد أسرته هذا ولا مقدار ما يذكر المؤرخون عما قبل التاريخ . فقد ذكر اسماعيل حامى دانشمند فى محاضرته التى ذكرتها آنفا عن معلومات حامد عن ذلك العهد ، قال :

« يُرى محمد المصرى وعبد الخالق السنباطى ، من البطون المجهولة التاريخ ، كأنهما مصريان ، فالأول مصرح بمصريته ، والثانى من بلدة سنباط وهى من البلاد المصرية . عنيت بهذه النقطة فسألت حامداً يوما :

— هل أنت مصرى ؟

أودع رد حامد علىّ فى ذلك اليوم ، تاريخ الأدب التركى اليوم أمامكم .

قال لى حامد :

— ارتحل جدى الأكبر عبد الخالق افندى لسبب مجهول ، من جهة أزمير إلى مصر ، واستوطن مدينة سنباط ، ولقب بالسنباطى . وظلت ثلاثة بطون فى مصر . ثم جاء محمد افندى إلى استانبول واستوطنها . ولقدومه من مصر سمى مصريا على حسب عادة علماء ذلك الزمان .

وكان عبد الحق حامد وهو يشرح لى ذلك ، كأنه يمثل أصله « الزيبكي » بوجهه الجميل وقامته الممشوقة الظريفة .

وأما عهد الأسرة التاريخى فيبدأ بمحمد أمين شكوهى أفندى ابن اسماعيل . وإذا نظمنا السلسلة بضم البطون التى ذكرتها آنفاً ، كان محمد أمين شكوهى افندى الخامس فى هذه السلسلة ، ومعلوماتنا عن ترجمته زهيدة . وقد ورد

فى السجل العثمانى لمحمد ثريا أن شكوهى افندى كان من العلماء المشايخ . وعلى كل حال فقد كان ذا مكانة بين علماء ذلك العهد ، حتى سجل فى التاريخ ضمنهم .

تزوج شكوهى افندى من ابنة الحافظ خير الله محمد افندى حكيمباشى السلطان مصطفى الثالث (١١٧١ — ١١٨٧ هـ) فصار بذلك صهراً لطبيب ذى مكانة فى ذلك العهد ، فلذا أرى أن هذه المصاهرة نقطة مهمة فى تحول تاريخ الأسرة الفكرى . لأنه منذ هذا التاريخ ينتقل هذا المنصب مع رتبة « الحكيمباشية » إلى أسرة شكوهى افندى بصفة تكاد تكون تقليدية . ومنذ ذلك التاريخ يمتزج العلم المدرسى الدينى المبنى على الايمان ، بعلم الطب الريبى . وفى هذه الخاصة للأسرة ، ينبغى البحث عن المنشأ المشترك للايمان والشك اللذين نجدهما توأمين فى عبقرية حامد .

وابتداء من محمد أمين شكوهى افندى نكاد نجد فى كل فرد من أفراد هذه الأسرة ثلاث مميزات فكرية : علم المدرسة ، فن الطب ، وشعر الطبيعة . فيكاد أن يكون كل فرد منهم عالماً وطبيباً وشاعراً . وقد رد حامد على المتعصبين الذين وصموا روايته « اشبر » بأنها « ضد الدين ومحاسن الأخلاق » برسالة كتبها إلى أحمد مدحت افندى فى ١٩ تشرين الثانى سنة ١٢٩٨ وقال: «إن أفراد الأسرة التى انتمى إليها ، من رجال السلك العلمى منذ ثلاثمائة عام ، وأنا اليوم فى السلك نفسه» ، ثم قال « وأفخر بأنى مسلم منذ الأزل ، قبل ظهور الأديان » وبهذا قيد أصالة العلم والايمان بالأزلية . وقد قصد حامد بتقليد المسلك العلمى منذ ثلاثمائة عام بجانب الايمان أن يتحدث عن وجود المسلك العلمى فى أجداده المتقدمين على شكوهى افندى . ومما لا شك فيه أيضاً أن الشعر يستند إلى عصور قديمة فى هذه الأسرة العلمية الدينية . وهذا ثابت بظهور الشعر فى أفراد الأسرة ذكوراً وإناثاً منذ الجد الأول الذى نعلم ترجمته حتى عبد الحق حامد .

فشكوهى افندى شاعر مجدد (أو انقلابى) الى حد أنه عالج ادماج لغة الحياة فى لغة الكتاب فى الأدب التركى (أدب الديوان) . وله غزليات كثيرة

بخط يده فى مجموعة الأسرة — لم تنشر بالطبع — وكلها مسودات ، بعضها تام وبعضها ناقص ، وبعضها مهمل لم يُصحَّح ، وفى بعضها أشطر لا تتفق مع الوزن ، فكأنها كانت رياضة فكرية . فالعلم أصل والشعر فرع فى نظره . وكأن مزاجه لم يكن على استعداد للانشغال الكثير بالتفرعات ، حتى لم يتنزل لتصحيحها ولكن شعره متين . وهاك طرفا من شعره :

«زاوية الوحدة قصر العاشق دائماً ، وركنه الخرب صدر الرفعة له ، اسمع البلبل وقت السحر فى روضة حب الله ، فقد غمرت العالم عربدته . وأما وحشة يوم القيامة ، فيا أيها القلب إبك دائماً ، فان قطرة من دموع العين تخمد نار الجحيم . اشفع يارسول الله شكوهى الضعيف ، فقد صار فراشة شمعك قلباً وروحاً » .

لم يكن قدماء العلماء يستعملون خط الرقعة ويكتبون بخط التعليق ، فقد ظل شكوهى افندى كذلك صادقا لهذا التقليد . وتعليقه جميل والممسوح قليل ، ويستعمل النقطة أحياناً وأحيانا يهملها .

فى مجموعة الأسرة قطعتان لعبد الحق حامد بخط يده ، إحداها موجهة إلى جده الملا عبد الحق ، والأخرى إلى أبى جده أو إلى جد أبيه شكوهى افندى . فقد ترحَّم حامد لشكوهى افندى فى هذه القطعة قائلا :

«هذه مجموعة مهما قلنا اليوم فى وصفها فهى زائدة على الوصف ، وصاحبها الملقب بشكوهى هو جدنا ، وقد انتقل هذا الكتاب إلينا مزيّنا بخطه وبات ملك حفدته ، ويطلب الرحمة لروحه من الله ، ابن ابن ابنه حامد » .

(٢)

اذا تتبعنا سلسلة نسبه من أعلى إلى أسفل ، وجدنا فى البطن السادس الملا عبد الحق جد عبد الحق حامد . قد جمع فى نفسه مسلك التدريس الذى ورثه من أبيه ، ومسلك الطب الذى انتقل إليه من أبى أمه ، فهو مزدوج المسلك ومزدوج الشهادة : مدرس دينى وطبيب ، ولكنه طبيب شرقى ! وقد بلغ أعلى الدرجات فى المسلكين معاً . كان أولا فى قضاء مكة برتبة مولوية سلانيك .

ثم نال رتبة قاضي عسكر الأناضول ثم رتبة قاضي عسكر الروميلي. حتى اذا بلغ هذه الرتب العالية في السلك الديني ، وهي تعادل رتبة الوزارة في السلك المدني الاداري ، انتقل إلى مسلكه الثاني . فقام برياسة الطب للسلطان محمود الثاني ، والسلطان عبد المجيد ، ثلاث مرات . ولما أنشئت المدرسة الطبية الشاهانية صار الملا عبد الحق ناظراً لها (مديراً) ومُنح رتبة « رئيس الأطباء ». وكان الملا عبد الحق كأبيه عالما وشاعراً ، وزاد عليه علم التاريخ فصار كأبنه خير الله افندى . وقد ألف كتاباً في تاريخ عهد السلطان محمود الثاني بعنوان « تاريخ لواء » . قال مؤلف السجل العثماني إنه: « كان أديبا وفصيحا وشاعراً » وأورد له شمس الدين سامي في قاموس الأعلام هذا البيت :

« اغمض عينك عن هذا العالم ثم افتحها فتمضي لحظة ، ويأتي هذا العالم ويمضي حين تغمض العين وتفتحها » .

وقد ورد في ورقة من الأوراق الخاصة بالاسرة يملكها ابن أخت الشاعر عبد الحق حامد ، بيت هذه ترجمته :

« إملأ مجموعة القلب بالعشق فانه هو المقصود من القدوم الى الدنيا »

مزح موليير بالطب لأنه لم يكن طبيباً ، ومزح به الملا عبد الحق لأنه كان حكيما ، فله خاتم منظوم فيه الشك الطريف فيما يشعر نحو مسلكه :

« إن شفى الحكيم المطلق ، وجد لكل داء دواء عبد الحق » .

لم يكن الملا عبد الحق يؤمن بالطب بل يؤمن بالله ، أو بعبارة أصح يؤمن بالله أولا ثم بالطب . وقد أعلن إيمانه هذا ببيت كتبه على لوحة علقها على باب صيدليته بالقصر : « كل ما تطلبه تجده إلا دواء للهم ! » .

وله بيت آخر في مجموعة الأسرة مفيد معنى الشطر السابق ، وذلك :

« يتحمل ألم الأسنان من يفكر في العاقبة ، وإلا فدواؤه الحاسم هو الكلبتان » .

كان الملا عبد الحق عالماً ، وشاعراً ظريفاً ، وصادقاً في كلامه . وقلما وجد من يجيد القول مثله . فمن ظرفه أنه دعا يوماً وزراء زمانه وأقام لهم وليمة

للشرب على باب اصطبل بحديقة منزله ، وتصادف أن حضر السلطان الى المنزل ، واضطرب الوزراء وتحيروا . فما كان منه إلا أن أخفاهم فى الاصطبل . حتى إذا شاهد السلطان حال المائدة فتح عبد الحق باب الاصطبل وقال :

« مولاى خدمتكم الوزراء هنا ! » مشيراً إلى الباشاوات الذين كانوا فى الاصطبل !

وتاريخ ميلاد الملا عبد الحق ووفاته معروفان ، ففى الصفحة الأولى من مجموعة الأسرة العبارة التالية : « هذه المجموعة لأبى المغفور له محمد أمين افندى ، كتبها بيده ، وبها تاريخ ولادة العبد الفقير » كتب هكذا ثم أمضى : « عبد الحق رئيس الأطباء السلطانى برتبة صدر الأناضول » . والتاريخ الذى يشير اليه الملا عبد الحق هو ما ورد فى صفحة ٢٠ من المجموعة فى قصيدة لحمدى بك (ونفهم مما ورد فى موضع آخر من المجموعة أنه مصطفى حمدى بك ابن على باشا يكن) الذى بحث فيها عن علم شكوهى افندى وشعره ، وذكر فى آخر بيت منها ولادة الملا عبد الحق قائلا :

« معمر ايده أبو الحق طول عمرايله بارى »

وتنتج من هذا التاريخ المنظوم على الحساب الأبجدى سنة ١٢٠١ هـ = ١٧٨٦ م. وورد فى السجل العثمانى أنه توفى سنة ١٢٧٠ هـ = ١٨٥٣ م . ويفهم من هذا أنه مات عن ٦٧ عاماً . وقد نقص على هذا الحساب واحداً وعشرين عاماً عن حفيده المجيد الذى عمر ٨٨ عاماً ، أو مات أصغر منه باحدى وعشرين سنة . ولعل هذا هو السبب لما تحدث به حامد عنه فى مجموعة الأسرة حيث قال :

قدم الى العالم فى سنة ١٢٠٠ ، جدى الطاهر حضرة عبد الحق ، وفى دامت حياته وكنت به ملحقا. ومن فكر اليوم قال حفيدٌ شيخ لجد صبي .

كتب حامد هذه الأبيات فى سنة ١٩٢٨ وكان فى التاسعة والسبعين من عمره ، أى أكبر ١٢ سنة من جده الذى توفى عن ٦٧ عاماً فكأن عيناً فى التاسعة والسبعين ترى جداً فى السابعة والستين صغيراً جداً !

كان لملا عبد الحق ثلاثة إخوة أخرى يسمون مصطفى بهجت افندى ، وخير الله افندى ، وإلياس افندى . وكان خير الله افندى هذا يدعى خير الله افندى الصغير لتمييزه عن أبى عبد الحق حامد الذى دعى « خير الله افندى الكبير » . ومصطفى بهجت افندى عالم وفاضل مثل الملا عبد الحق ، وكان طبيب السلطان مثله . وقد ورد فى ص ٢١ من المجلد ١٢ من تاريخ جودت باشا عن الأخوين الفقرة الآتية :

« كان مصطفى بهجت افندى رئيس أطباء السلطان والمصدر الأناضولى ، قد عين رئيساً للاطباء بوساطة حالت افندى . ولما كان هو وأخوه الملا عبد الحق ممن يحسنون المجالسة والحديث ، صدر منهما فى أثناء الحديث مايمس حالت افندى ، فنفى كلاهما الى « كشان » فى أوائل ربيع الثانى » .

وكان بهجت افندى كذلك شاعراً مثل الملا عبد الحق ، وقد عرفه جودت باشا فى صفحة ١٥ من المجلد ١١ بقوله :

« كان بهجت افندى من الظرفاء والشعراء ، حلو الحديث ، عالماً باللغة العربية وبه كفاية لكل عمل » .

وكفايته لكل عمل يتولاه ، ضمنت له التوفيق العظيم فى المناصب الدينية برتبة قاضى مصر ، والمناصب المدنية برتبة رياسة الأطباء من المسلكين اللذين لا يمكن التأليف بينهما . وله أيضا أشعار تركية وفارسية مسجلة بخط يده فى مجموعة الأسرة . ومن شعره :

« إصغ فى حريم الحان بأذن الروح ، الى رباب العشق وهى تترنم بسر العشق فقد أنفق فرهاد وقيس وقتهما سدى فى لذة وطرب ولم يفوزا بسرور العشق ، وأنا ألقيت نظرة الى فهرس شاهنامة الدهر فلخصت انتخاب العشق » .

أولئكم جد حامد وأعمامه العظماء ، أولئك العلماء الشعراء أو الشعراء العلماء . وأبوه خير الله افندى أضوأ شعلة لموقد الفكر هذا .

وأخذ خير الله افندى بتقاليد الأسرة من حيث الاتجاه العلمى ، فهو تخرج أولا فى المدارس الدينية ، ثم نال إجازة الطب . ولذلك كان قاضى أزمير فى بادئ الأمر ، ثم تدرج فى المناصب الادارية بالترتيب الآتى : كان عضواً

فى مجلس المعارف ، فمستشاراً للمعارف ، فناظراً للمعارف ، فرئيساً لمجمع المعارف المسمى « انجمن معارف » ، ثم سفيراً للدولة العثمانية فى إيران ، وقد مات سنة ١٢٨٣ فى طهران موتاً فجائياً ، وحمله ابنه عبد الحق حامد على فرط سمنه .

كان خير الله افندى من أبرز الرجال الذين عنوا بالاصلاحات الثقافية . وقد خلف كتباً عديدة ، خلا تاريخه المؤلف من ١٦ جزءاً . وقيل عنه فى السجل العثمانى : « إنه كان طبيباً عاقلا ، فطنا ، عالماً بالتاريخ » وورد فى قاموس الأعلام لشمس الدين سامى أنه : « ترجم ، عدا تاريخه المشهور ، كتباً فى الزراعة والجغرافيا وسائر العلوم » وأن له : « بعض مؤلفات غير مطبوعة فى التاريخ واللغات والطب» ثم قال : « وله بعض أشعار » وأفهم بذلك شاعريته أيضاً. وخير كتبه غير المطبوعة عندى، ورحلته التى ترشدنا الى نظرة أتراك عهد الاصلاح إلى أوربا ، وفى هذه الرحلة صور الرسائل التى كتبها ابنه عبد الخالق نصوحى الذى أرسله الى أوربا لايصال إبنه الصغير عبد الحق لالحاقه بمدرسة فى باريس لأول مرة . ففى الرسالة الأولى المرسلة من روما بتاريخ ١٤ ربيع الثانى من عام ١٢٧٩ الواردة فى ص ١٦٩ من الرحلة ، وصف لمشاهدة العبقرى الصغير وهو فى الحادية عشرة من عمره ، حفلة تمثيلية لأول مرة فى حياته :

« ذهبنا أنا وشقيقى الى مسرح «أرجنتينو» وكان أخى لم يشهد المسرح حتى قدومنا الى هنا ، فلذا كان سروره بنزول الستار وارتفاعه أكثر من مشاهدته رقص الفتيات. واذا قدمتم الى باريس فسوف أقص عليكم الباقى مفصلا وسوف نرى ماذا يفعل فى باريس » .

وأما شاعرية خير الله افندى فكانت فى القطع الصغيرة والأبيات أكثر منها فى قصائد طويلة . وكان حامد يحكى واحدة منها دائماً ضاحكا . وذلك أنه كان يتردد على السفارة التركية بطهران رجل من تجار السجاد تابع للدولة العثمانية يدعى «استيفاتاكى افندى»، وكان تاجراً غنياً وبخيلا حتى كان من يشاهده

يظنه سائلا ! فأنشد خير الله افندى السفير لأجل ذلك الرجل القذر البيت الآتى الذى أعجب به ابنه أى اعجاب :

أول مرتبة مردار قوقيور أوستى فناكه

معـدم بولانير كلدكجه استيفاناكى

ولم تكن كل أشعـار خير الله افندى من هذا النوع ، فله أبيات جادة عن أوربا أوزدها فى رحلته . ومهما يكن من أمر فان تراث هذا العظيم لم يكن مقصوراً على عبد الحق حامد وجده ، وقد نال سائر أولاده نصيبهم منه . فالشاعرة العظيمة مهر النساء قصيدة عنوانها : « أنا وإسحاق » وقصيدتها الخالدة التى تنتهى بالبيت :

كنت وردة صفراء يازهرة آدم ولم أكن أوَدُّ أن أنطق بأنك مسلولة

(صارى بركلدك أى آدم چيچكى ايسته مزدم سكاورم ديمكى)

وكان عبد الخالق نصوحى أخو حامد الكبير من رجال الدولة والفكر .

فقد قام بعدة وزارات مفوضية ، وولاية بعدة ولايات ، وانتهى أخيراً إلى عضوية مجلس الأعيان . وكان الشعر عنده كنقل العلم . وقد أفاد فكاهاته الرقيقة التى امتاز بها ذكاؤه الفكاهى ، بأبيات مفردة كما كان يفعل أبوه . فقد مزح بالسلطان عبد الحميد بالبيت الآتى :

(حكمكى سوردكجه بويله حكم كيفما يشاء

محو اولور البت بودولت پادشاهم چوق ياشاء)

مادمت تجرى حكمك باستبداد كما تشاء فلا شك فى أن هذه الدولة تزول فعش أنت يامليكى !

وله بيت آخر فى السلطان عبد الحميد يقول :

« إن لسانه المبارك أحلى من العسل ولكن قلبه المبارك أقسى من الحديد »

(مباركك ديلى بالدن ده طاتليدر اما دل مباركى تيموردن ده پكدربك).

لما صار أبوه سفير الدولة العثمانية بطهران دعاه إليها وعزمت أمه على ألا تدعه يذهب إليها ، فبات عبد الخالق نصوحى بين جامعين حيران إلى أيهما يذهب ، ووصف هذه الحال قائلا :

يدعونى أبى من جهة ، وتمنعنى أمى من جهة أخرى ، فقل يا ربى ماذا أفعل فى هذه الحالة ؟

ومزح نصوحى بك مع عبد الحق حامد أيضاً . فقد تلقى منه العبقرى حين نصب سفيراً للدولة العثمانية بلا هاى التهنئة الآتية :

الهى ! جعلت حامداً سفيراً للاهى « فزمر » و « وصل » !

ولنصوحى أشعار جادة أيضاً .

هذه طرف من القول فى رجال أسرة عبد الحق حامد ، ونرى من الحق أن نلم إلمامة يسيرة بحال النساء فى هذه الأسرة .

(٣)

ذكرنا زوجة شكوهى أفندى وهى نفيسة هانم ابنة الحافظ خير الله محمد افندى حكيمباشى السلطان مصطفى الثالث (١١٧١ — ١١٨٧ هـ) ، وهى الجدة الكبرى المعروفة للأسرة . وهى أيضاً أم الملا عبدالحق جد حامد . والملا عبد الحق لم يكتف بزوجة واحدة كأبيه ، بل تزوج إحدى عشرة امرأة ، ولم يمتزج بواحدة منهن : وكأنه أنشد البيت الآتى للتعبير عن مرارة تلك التجارب ، حيث قال :

لم أسكر فى حانة الأمل كما أريد
ليتنى شربت نصف كأس ولكن من يد حبيبى

وبعد كل هذا بقى الملا عزبا ! وكان يقيم فى ذلك العهد بروميلى حصار .

وكانت فى استانبول أسرة مهتدية هجرت من بلغاريا وهى أسرة يحيى ناجى افندى ، فتزوج الملا عبد الحق فى هذه المرة السيدة حسنة الله بنت يحيى ناجى هذا ، ومع هذه السيدة عاش فى « حانة الأمل ثملا كما يريد » كتعبيره فى البيت السابق ، فولد له خير الله افندى أبو حامد ومحمد أمين افندى عمه .

ويحيى ناجى افندى المهتدى ، وإن كان دخيلا فى الاسلام ليس دخيلا فى الأمة التركية ، فهو تركى خالص من الأسر التركية المعروفة بالطرخانية .

وقد صار يحيي ناجى أفندى أول مترجم مسلم فى « ديوان الترجمة الهمايونى » ، وله ابن يدعى روح الدين وهو أبو أحمد وفيق باشا عالم التركيات العظيم ، فيكون خير الله افندى أبو حامد ابن عمة وفيق باشا وحامد حفيد عمته .

ومن أجل هذا اختار حامد لفظ « طرخان » لقباً له حين ظهر قانون اتخاذ الألقاب .

وأم حامد معروفة لدى الجميع وهى « منتهى نصيب هانم » التى بحث عنها حامد ببلاغة حزينة فى كتابه المسمى أمى (والده م) .

ولد لخير الله افندى من السيدة منتهى أربعة من الأطفال ، هم : عبد الخالق نصوحى بك ، وعبد الحق حامد ، وفخر النساء ، زوج شيخ الاسلام الملا صاحب ، ومهر النساء زوج حكمت بك كچه چى زاده .

خطب عبد الحق حامد ثم فسخ الخطبة ، وتزوج أربع مرات . أما خطيبته الأولى التي لم يتم الزواج منها فهى السيدة أمينة ناجية التى لاتزال على قيد الحياة ، وهى بنت نشأت بك ، أمين السلطان عبد المجيد . وأما زوجاته الأربع فهن على الترتيب : (١) السيدة فاطمة التركية (٢) السيدة نيلى الانجليزية (٣) السيدة جميلة التركية (٤) السيدة لوسيان البلجيكية . ولم تدم حياته الزوجية مع السيدة جميلة غير عشرين يوما . وأولاده جميعاً من السيدة فاطمة ، أكبرهم حسين بك الذى توفى فى مستشارية السفارة التركية بواشنطون ، وصغراهم حامده هانم زوجة أمين بك الذى كان سفير تركيا بطهران ، ثم مستشاراً فى الصدارة . وأحب حامد زوجته لوسيان حتى أيامه الأخيرة . وتحدث عن طيبة نيللى ، ولكنه لم ينس قط ملهمة « المقبر » . وهو أحب مؤلفاته اليه . وقد وجدت بين أوراقه الأبيات الآتية :

أذكر متحسراً عليها الأيام التى كتبت فيها « المقبر » ؛ لأنى كنت فى تلك الأزمان رفيقاً لتجلى سانح (اتجلىء بى تفكر) ولملك خفى ، وملهما بدلاله .

كانت هذه الأبيات من أبيات حامد الأخيرة قد كتبها فى كراسة . ولكن ظهر فى ورقة أخرى منظومة كاملة . ومما يهم فى هذا الشعر كلامه عن « تزر » و « أشبر » مع بحثه عن المقبر فى أهم أبياتها :

وبزكه صاحب أشـــبر وتزرز منقدينى خطا منزله چكنرز أزرز

(٤)

وكل الناس يعرفون البيت الذى كتبه عن فاطمة ، وهو : كان اسمها وجدها « پيرى زاده » ، وأسرتها تمتد الى خمسمائة عام . بيد أن انتماء فاطمة الى أسرة پيرى زاده كان من ناحية الأم . وأما اسم أسرة پيرى زاده ، وهى من أكبر أسر استانبول القديمة وأشرفها ، فينحدر من « پيرى آغا » من آغوات الجيش الانكشارى . وقد تقلد ابنه محمد صاحب افندى المشيخة الاسلامية ، وترجم مقدمة ابن خلدون الى التركية . وكان ابن هذا الأخير المدعو عثمان صاحب شيخ الاسلام أيضاً . وتزوجت السيدة نائلة بنت عثمان صاحب من قاضى العسكر ابراهيم عصمت بك ابن صارى محمد باشا الوزير . ولقب يحي افندى الذى ولد من هذا الزواج بلقب « پيرى زاده » المنتقل من طرف الأم . على حسب تقاليد السلك العلمى فى ذلك العهد . ثم ولد ليحي بك ابن دعى ابراهيم عصمت ، وكان قاضى العسكر كذلك . ولابراهيم عصمت ولد يدعى محمد صاحب بك قاضى العسكر أيضاً ، وهو صاحب محمد بك شيخ الاسلام ، زوج أخت حامد .

وأما صلة فاطمة هانم بهذه الأسرة فترتفع الى خمسة بطون : فأبوها أحمد بك ، وجدها عبدى بك من العلمـاء ومدير سكرتارية الصدارة . وأبو جدها حسين حسنى بك وزير الخارجية ، وجد جدها عبد الله بك رئيس الحجاب السلطانى ، وجدها الأعلى حسين حسنى باشا القبطان . وبناء على هذا ليست فاطمة منتمية الى پيرى زاده بل الى حسين حسنى باشا ، بيد أن أم أحمد بك أبى فاطمة هانم ، ابنة يحي بك جد پيرى زاده « صاحب ملا بك » . إذن فليست فاطمة هانم ، أو أبوها وأمها من أسرة

بيرى زاده ، وإنمـا كانت جدتها . فهى تنتمى الى هذه الأسرة من طرف أم أمها .

وخلاصة ماتقدم :

أن عبد الحق حامد تركى أناضولى أصلا ومنشأ .

وأن أسرته نزحت من الأناضول فاستوطنت أولا مصر من الممالك العثمانية القديمة ، ثم استوطنت استانبول .

وأن الميل الطبيعى الى قرض الشعر انتقل بالوراثة فى هذه الاسرة الذكية من جيل الى جيل حتى بلغ أوجه فى عبد الحق حامد . فهو أقوى استعداد وراثى للشعر فى أجيال هذه الاسرة .

وهذه الخلاصة العظيمة التى تسمى عبد الحق حامد ، قد أحدثت أعظم انقلاب فى الأدب التركى .

شاعر غضوب

خلف عبد الحق حامد قصيدتين أنشدهما فى أيامه الأخيرة ولم يتمكن من نشرها ، سماها : بـ « شاعر غضوب » تشتمل القصيدة الأولى على فلسفته الأخيرة فى مساوىء الدنيا وفنائها . والقصيدة الثانية تصور الشباب عالماً خاصاً كله نعيم مقيم وكله لذة ، والشاعر طرد منه لأنه فان .

(١)

مضت سنون ولم أكتب شيئاً ، وما تأتى به الأحداث بلا انقطاع يكفى لأن يكتب الانسان بدم الانسان . وكأنى أكلت جيفة كلب ، فصرت أكثر ضراوة من الحيوان المفترس ؟ أثور دائماً وأكلب .

إن مابى من الحقد لحقد الجمال ، وابتسامتى أشد فتكا من سموم الحيّات . فاذا بكيت فأنا تمساح ! إنى أعد الطوفان رفيقى ، والبحر الخضم دموع عينى ، وأنا أسبح فى ذلك البحر !

ظلام الليل أنيسي الوحيد ، وإن ارتفع صوتي فسوف يكون في أفق يوم الحشر صور إسرافيل ! لقد صادمت الأفلاك حتى أصبحت عالماً بأن عزرائيل لو انتزع عني روحي ، لهوت الكائنات الى الأرض !

إن تختي في الاجرام السماوية بيد أن بختي أسود من الليالي ، فالمآتم تندب فوق رأسي ! من ضراوتي تفر الوحوش ، ومن حدتي تحترق الزبانية ، ومن لعنتي تخمد الجحيم !

لا تحسبني خالياً من رعد السماء وبرقها ، فقد طال سكوتي ، ولكن حدث الانفجار ، وتفرت اليوم من الحقيقة ، واتفقت مع الموت الزؤام على الانتقام من الخليقة !

تنعدم المخلوقات ، أليست تشهد بذلك المشهودات ؟ فالانس والجن يأكل بعضه بعضاً ، فلم تدور الدنيا هكذا؟ لن نجد تأويلا لهذه الرؤيا ولو طال عمرنا حتى يوم الحشر .

هذا الأمر يظل مبهماً دائماً ، ولعلي استلهمته فأنست بأمثال «هانبال» ! فما الضير إن كان «نيرون» في أصله نمراً ؟ فأنا ضبع على رمسه ! ولم لايكون « داروين » نسناساً ؟

يموت الناس جيوشاً ويفوز القاتلون بالجوائز ، تلك هي البطولة ، بل هي الجناية ! ربما كنت جائراً في الشكاية . فهل ينقلب الدنيوى في النهاية عفريتاً ولا يتحول إلى تراب ؟

إن الدعوة للحرب مذمومة ، وإذا كانت دفعاً للصائل فهي واجبة محتومة ، وليست تهمة ، وإنما هي ضرورة . ولكن لم هذه الفلسفات ؟ فالأبطال والرياضيون وأهل الفتوة يزيلون الهموم عنوة .

لبست فروة الأسد فصارت شؤون الحياة من الخير والشر كلها تحت برائني. فجسمي وروحي قوة ، والقوة شهوة، والشهوة ملكة الحواس المستبدة .

تلك القوة حاكمة دائماً في عاصمة الفن العظيمة لمعرض الطبيعة الأزلى ؟ أى أن الشهوة ، وهى الحب الخالص ، توقّع على الانقلابات بيدها ، فالعشق شهوة ، والحسن أيضاً شهوة !

وإذا لم تكن الشهوة فالدنيا كلها آلام ، والليالى القمرية جناية ، ووجه الشفق القانى « نيام نيام » ! فلا الحق ولا الحقيقة ، ولا الرؤيا ولا الخيال ، جيش من الليالى لا نهاية له ، وقافلة من الأيام غير متناهية !

وبدونها تصير الخليقة عبثاً ، ويزول إحساس الشفقة والرحمة ، فلا معبود ولا عبادة ! وما الدين والايمان إلا عشق ، فان جسما حياً لا نفس له لا حياة له .

ففورتى بفضل ذلك الهيام ، وقريحتى فى رتبة هذه الأيام ، قد لا تكون عالية إلا أنها عميقة ، أما العمق فمن ظلمتها ، وأما الظلمة فلانتمائها إلى المستقبل ، أى أنها لعهد غير هذا العهد .

لاتحسبنى بنيت دوراً أرضياً ، بل أنى فتحت هوة فى السماء وليس فيها سواى ! فهل من مدرك ؟ أما أنا فواثق بأن ما كتبته لن يفهم !

إن ذات كل امرئ مُعتمَّى ، وعين البصيرة فيها عمياء ، فلا ترى الوجه الداخلي لأحد . كم مرة تغرب الشمس على هذه الحال ، ويشاهد الفلك ليله ونهاره بخجل خفى !

لأن تلك الكوارث ذوات ألوان متشابهة ، والثوانى أنفاس أخيرة ، سموم وعقارب ، تخنق العقول والأعصاب ! فبينما أنا أشرب ذلك السيل السمى إذا بى أحترق ، وذلك مذهبى !

في هذا الوادى لقيت سلوتى . وما أسعدنى في شيخوختى شاربَ الليل والنهار ! إنى وإن كنت اليوم خبيراً بالدنيا ، إلا أنى لم أبلغ الخريف بعد ، وإنما أنا ربيع تحت البرَد !

أنا كل زهرة نابتة فى فوهة بركان ، ويراعة تمطر البرق ، فقد قلبت حظيرة إلى حديقة الخزامي . أرنى أين كهذه الشيخوخة ؟ وهل للشبيبة دوام ؟

إنى قد اكتويت بنار ولكن بنار بركان (هنا جناس ولعب بالألفاظ، حيث استعمل الشاعر لفظ «داغلى» فى معنيين مختلفين، أحدهما مكتو بالنار والآخر جبلى).

من لم يرعينى ووجهى قال عنى حين يقرأ كلماتى هذه «إنه لشاب»، وأما الذين يفهمون حقيقتى يفهّمون الناس هويتى قائلين، بالله عليكم أذنوا أذانه!

لى فى ظل تاجى دهاة وأصنام ينشدون الأناشيد الدينية، وحوريات يسجدن! ولكنى ضعيف عاجز أمام طفل العشق، ولى رجعات قهقرية شائنة فى ولائمه وحروبه!

يخال أننا فى طريق الاضمحلال، ونحن بالعكس نزيد ونكثر، وقد تهيأنا لافساد الأرض، والاخلال بالسلم والسكون فيها، وإبطال الحق وتضليل الخلق، ومحو العدل وإيجاد الظلم!

الدين والايمان، أعظم بهما سعادة! الدين والايمان علمُ الدهاء وعرفانُهم! هما عطايا الفطرة المشكورَين، وما التهجم عليهما إلا غارة، غارة على الاحساس وهتك الوجدان!

كفى التفاخر وما قمتُ فى نفسى من التظاهر، فان طريق الاستكانة أسلم. فقد قهرت النفس الأمارة واقتلعتها، وخلعت تلك الملكة المزوّرة، وارتحل عالم فى لحظة!

هذه الزاوية دار ملكى اليوم، وعملى شكر الله، فأنا منزو ورحالة. وقد غادرنى الغضب وعاد الىَّ السكون، وما كنت إلا مازحاً. كنت ثملا، والآن مبهوت!

(٢)

نعم، كنت رحالة غير مستقر، ومبهوتاً.

كانت تلك الأيام أيام التهيؤ للرحيل ومضت. تلك حياة روحية، سحابة صيف، وبرق خاطف، وموجة طوفان نوح. كانت لحظة حشر ومضت!

مضى عمرى فى تلك الأيام فى الأفراح دائماً ، والحور ، وعلى شفاههن القبلات ، يدعون النجوم بالاشارات . الدعوة من السماء إلى الأرض! فالأيام كلها مودّة ، والكل ورد وحديقة الورد ، والكل ربيع .

وأما الليل والنهار ، فاما نور القمر وإما شفق .

إن هذا المنظر خالد الحياة ، كله حياة ، وأنا واثق بأن الموت ما كان يخطر بالبال فى هذا العالم .

كانت ريحه تنادى بالوصال ، وأنهاره من دموع الفرح والسرور . كله رياض وكله برارى ، فالشجر والحجر كله جمال أثيرى . وأنا طردت منه اليوم .

نعم طردت منه ، لأنى كنت فانياً وهو لايزال باقياً . ومن البقاء يحيي عاشقه هذا أحيانا . فقلت هذا حسب هذا الفانى .

مضى عمرى فى تلك الايام فى الافراح دائما ، بقبلات متقابلة من بعد ، مع تلك الزهور المفتّحة فى السموات المرصعة بالنجوم .

تجلّى الموسم أو ابتسم، تجلّى الحق ، فصار الربيع عروساً حسناء، وكأن الليل والنهار خطيباها ، هذا يهدى اليها قمراً وهذا شفقاً لعله يفوز بها .

قد مضى عمرى فى تلك الايام فى الأفراح دائما ، مع غادات ربيعية ذات الشفاه البرعومية .

بيد أنى كنت غريباً عن آفاق ذلك الدلال السماوى ، وتسللت الى أسرار ملاذ الآلهة فطردت . واليوم يقدمن الى كأساً عن بعد مترحمات . قلت هذا حسب الغريب ، طوعا أو كرها .

أخذت الأيام تتساوى ، الأيام الماضية مع الأيام الآتية ، ويمضى عمرى فى هذه الأيام فى تلك الأيام الماضية ، وعلى شفتى كئوسها المخيلة .

نعم كنت رحالة ، لأنى لم أكن سماويا ولم يكن لى مقام فى تلك الجنات ، فقد كانت هى الأفلاك ، والملائكة ، ولست مجنّحاً ، فيا عجبا ، ذهبت

أنا الماضى إلى تلك العوالم خيالا؟! وبأية أجنحة بلغتها ؟ إنى لست أدرى كيف تجرأت فاندمجت عابراً بتلك اللحظات الخالدة ! تأملت فى ذلك العالم فاذا هو عالم اللحظة ، لحظة الخير ولحظة الغفران . فقلت هذه حسب امرئ دنيوى . ورحبت بها حسنة كانت أو سيئة .

إن الذهاب بها لأمر عظيم ، فهو رضا وغنى ، ودعاء وثناء ، ويعلم الله أن هذه الدار دار الفناء ! وسقاة تلك الوليمة ، ولمة الحب ، كلهن بنات الكرم . وكان هذا شرب الخمر وعطشاً فى آن واحد . وهل فى الدنيا باق ؟

كانت تلك المهلة ، وتلك الوصلة ، وتلك الدولة متهيئة للرحيل فارتحلت . كان عهداً سريع المرور قصير العمر ، وسيراً ماضياً قد رجع ، ووجوها وردية فى عهد الخزامى [1] ! قافلة سرور وبهجة قدّر سيرها فى هذا الطريق ، فمرت .

نعم إنها مرت ولم تقف وعلى ظهرها غم وكثير من نغم ، وأحراش ومروج ورياض الورد والخزامى ، وحانات ومساجد وقبور ، ولكن بلا جدوى . فقد ظن الخبراء الواصلون ، أن تلك القافلة التى شعارها الفرقة ، سوف تقف لوعورة الطريق وثقل الحمل ، ولكنها مضت !

هذه دولة لاتساس ، إذن فما الوسيلة ، إما شطرنج وإما ذلك البريج المعهود . إذن فأولا كل شىء ثم لاشىء ! وليت مجموعة هذه اللاشيئات مغنية ! تأملت فقلت هذا حسن .

---

(1) عهد فى الادب التركى فى أيام السلطان احمد الثالث ووزيره وصهره ابراهيم باشا النوشهرى ، قضى فيه أهل استانبول نحو ثلاثة عشر عاما فى لذة ونعيم ولهو ولعب ، وحب حدائق وزهور وخاصة زهر الخزامى (لاله) حتى سمى ذلك العهد باسمه .

النورمنديون وبنو زيرى

من الفتح النورمندى لصقلية حتى وفاة رودجيرو الثانى (رجار)

(٤٥٣ — ٥٤٨ هـ / ١٠٦١ — ١١٥٤م) *

للدكتور أومبرتو ريتسيتانو

ما عيشة تصفو سوى ذرى صقلية هنيه
فى دولة أربت على دول الملوك القيصريه
وقصور منصورية حط السرور بها المطيه
أعجبْ بمنزلها الذى قد أكمل الرحمن ريه

[من أبيات عبد الرحمن بن محمد بن عمر من مدينة بوتيرا (Butera)
« المكتبة العربية الصقلية » ص ٥٨٢ — ٥٨٣] .

من نحو قرن مضى بدأ (ميكيلى أمارى) دراسة الفتوحات الاسلامية فى جزيرة صقلية ، وبذل فى دراسته هذه جهداً مشكوراً وغيرة محمودة منقطعة النظير. وإذا ما تذكرنا أن أغلبية المراجع العربية لم تكن قد نشرت فى أيامه ، أمكننا اعتبار هذا العمل الذى قام به عملا يكاد يكون فوق طاقة البشر. ويعرف كل من درس التاريخ الاسلامى أن أبحاث (أمارى) هذه كان من نتيجتها ظهور مؤلفات قيمة منها «تاريخ مسلمى صقلية» ، ذلك الكتاب الذى عنى بنشره وتصحيحه وإكماله المستشرق المعروف المغفور له (كارلو ألفونسو نلّينو) فى الفترة التى بين سنتى ١٩٣٣ ، ١٩٣٩ [١] ، وكتابه الآخر المعروف باسم

---

* يلاحظ أننا قد اخترنا عند ذكر أسماء الأماكن والأشخاص أن نضعها حسب النص الايطالى المستعمل فى الوقت الحاضر .

(١) M. Amari, *Storia dei Musulmani di Sicilia*, seconda edizione modificata e accresciuta dall'autore, pubblicata con note a cura di C. A. Nallino, Catania 1933-1939.

« المكتبة العربية الصقلية » ، الذى اشتمل على النصوص العربية الخاصة بهذا التاريخ وترجمتها الايطالية [(١)] .

وإنه ليسرنى بعد أن مضى نحو مائة سنة من ذلك التاريخ، أن ألخص فى هذا البحث المختصر تلك العوامل التى ميزت العلاقات التى كانت قائمة بين كل من رودچير و الأول والثانى، وبين بنى زيرى بعد الاحتلال النورمندى لصقلية، سواء فى البر أو فى البحر ، أى فى صقلية وإفريقية ، أو بصفة خاصة فى البحر الأبيض المتوسط الذى كان له منذ العصور الماضية الفضل الأكبر فى توثيق الروابط بين ساحليه المتقابلين[(٢)] . وقد اعتمدت فى نشر هذا البحث على دراسات (ميكيلى آمارى)، ودفعنى إلى كتابته هذا الاتجاه الجديد بين طلاب كلية الآداب ، فهم يعنون بتاريخ المسلمين فى صقلية عناية خاصة .

وفضلا عن ذلك فاننا لا ننسى — كما لاحظ بحق صديقنا الأستاذ فرانتشسكوا جابريلى فى بحث له عن ابن حمديس —أن صقلية لم تكن من القرن التاسع حتى أوائل القرن الثانى عشر الميلادى ، تتجه نحو روما أو نابولى، أوالقسطنطينية، بل كانت تتجه نحو الحواضر العربية الاسلامية فى تونس

---

(١) M. Amari, *Biblioteca arabo-sicula,* ossia raccolta di testi arabici che toccano la geografia, la storia, le biografie e la bibliografia della Sicilia; testo Lipsia 1857, appendice 1ª ibid. 1875, Appendice 2ª ibid. 1887; traduzione Torino e Roma 1880–81, Appuedice ibid. 1889. *Centenario della* راجع لمعرفة مؤلفات ميكيلى آمارى كلها *nascita di* M. Amari, Pelermo 1910, vol. I, pp. xlv–ciii.

(٢) يلاحظ أن هناك أبحاثا وافية عن تواريخ المدن والاقطار والقارات فى عصر التوسع الاسلامى فى افريقية الشمالية وبلاد الأندلس وصقلية على حين لا نجد تواريخ مستوفاة عن البحار وعن النشاط الثقافى والاقتصادى والاجتماعى والحربى الذى ساعدت هذه البحار على نموه . ومن المهم وضع تاريخ على أساس المصادر العربية والاوربية سواء عن البحر الأبيض المتوسط أوعن البحر التيرانى اللذين نبت منهما —كما لو كان هذان البحران من الأقطار البرية — معظم نشاط الشعوب التى كانت تسكن السواحل الايطالية والفرنسية والاندلسية ، وكذلك سكان الساحل الافريقى من بلاد المغرب الى بلاد الشام . ونجد بعض معلومات هامة عن هذا الموضوع فى كتابى :
M. Amari, *I diplomi Arabi del R. Archivio fioren tino,* Firenze 1863, pp. i–lxxvii (الوثائق العربية فى دار المحفوظات الملكية بمدينة فلورنسا) De Mas Latrie, *Traités de paix et de commerce concernant les relations des Chrétisns avec les Arabes de l'Afrique Septentrionale,* Paris 1866, pp. 1–342 (معاهدات صداقة وتجارة خاصة بالعلاقات بين المسيحيين وعرب افريقية الشمالية)

ومصر والأندلس، أى نحو مدن القيروان والمهدية وقرطبة وإشبيلية والقاهرة نفسها[1]. وإذا كنا قد طرحنا جانبا تلك الأخبار التى لا يمكن الاعتماد عليها، والتى أوردها سبط بن الجوزى الذى كتب فى القرن الثالث عشر الميلادى أنه فى سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧٠ — ١٠٧١ م) ما نصه: « ملكت الفرنج جزيرة صقلية، وسبب ذلك أنه كان بها وال يقال له ابن البعبع، فبعث إليه صاحب مصر يطلب منه المال. وكان عاجزاً عما طلب منه، فبعث إلى الفرنج، ففتح له باب البلد، فدخلوا فقتلوه وملكوا الجزيرة»[2]. إذا كنا قد ضربنا صفحا عن ذلك، فاننا نستطيع أن نؤكد على أساس المصادر التاريخية التى نستند إليها أن ابن الثمنة[3] هو الذى فتح أبواب صقلية للنورمنديين.

ولكن قبل أن نأخذ فى بحث العلاقات التى قامت بين الجزيرة وبلاد المغرب، وعلى الأخص مع مدينة المهدية، نرى لزاما علينا أن نتطرق بعض الشىء إلى الحوادث التى سبقت هذا الغزو، والتى يمكننا أن نعتبرها من ناحية الفصل الأخير من غزو المسلمين لصقلية، ومن ناحية أخرى مقدمة للاحتلال النورمندى نفسه الذى لعب فيه الدور الأول محمد إبراهيم بن الثمنة والقائد على بن نعمة المشهور بابن الحواس.

وقد أوضح أمارى هذه النقطة بجلاء إذ قال مانصه: «إن جزيرة صقلية التى كانت مقسمة بين جماعة بالرمو وابن الحواس وابن الميكلاتى وابن منكوت، استمرت فى خلافاتها حتى تم الاحتلال النورمندى، لأن نظمها كانت قد ازدادت سوءا بسبب تعدد الأجناس فى الجزيرة، إذ كانت هناك فى الشرق شعوب مسيحية تخضع لأشراف العرب، كما كانت فى الوسط الطبقات الفقيرة من الصقليين التى كانت قد اعتنقت الاسلام، وفى الغرب كان هناك كبار الملاك، كما كان بين كل هؤلاء بعض بقايا البربر الذين وفدوا اليها من جهات مختلفة، كما كان هناك بعض اللاجئين العرب من إفريقية ومن بلاد الاندلس».

---

(1) F. Gabrieli, *Ibn Hamdis*, Mazara 1948, p. 5.

(2) المكتبة العربية الصقلية ص ٣٢٦.

(3) جعلنا الثاء مضمومة وليست مفتوحة كما كتبها أمارى وجميع المستشرقين الذين ذكروا هذا الشخص على ضوء ماذكره المستشرق نالينو فى كتاب «تاريخ مسلمى صقلية» ج ٢ ص ٦٢٠ حاشية.

وكأن ابن الثمنة لم يكن يكفيه هذا الموقف السيء الذى تردت فيه الجزيرة، حتى استولى على مدينة سيراكوزا . ونحن لا نعرف كيف تأتى له ذلك ، ولا متى كان ذلك. ولكنه لم يلبث أن قرر مهاجمة ابن الميكلاتى، الذى كان يقود الجند فى كاتانيا ، والذى كان قد تزوج من ميمونة أخت على بن الحواس. ولم يكتف ابن الثمنة بالاستيلاء على مملكته، بل إنه قتله، وطلب من ابن الحواس أن يزوجه من أخته ميمونة. ولكن هذه المصاهرة الجديدة سرعان ما انهارت، لأن ابن الثمنة شرب يوما من الأيام حتى ثمل وقطع شريانا من ذراع زوجه . وقد قبلت الزوج فى أول الأمر العذر الذى اعتذر به ذلك الزوج القاسى، ولكنها تأكدت من غدره، وذهبت تشكوه ، إلى شقيقها ابن الحواس الذى أخذ الغضب منه كل مأخذ وأراد الانتقام من صهره. ولم يمض وقت طويل حتى كان الرجلان قد استعدا للقتال. ولما تقابلا فى الميدان دارت الدائرة على ابن الثمنة، ومنى بهزيمة منكرة. ولم تلبث تلك المأساة التى طالما تكررت فى المرات الماضية أن عادت الى الظهور، وهى الالتجاء إلى طلب مساعدة العدو المسيحى للتغلب على الخصم المسلم[1]، وهى ظاهرة تجلت ،فى كل لحظة وفى كل بلد من بلاد العرب ، والبلاد الاخرى بصفة عامة ، وامتلأ بها تاريخ المسلمين فى بلاد الاندلس[2]. ونحن ندع القول هنا لابن الأثير الذى وصف لنا مسلك خيانة ابن الثمنة حيث قال :

« فلما رأى ابن الثمنة أن عساكره قد تمزقت سولت له نفسه الانتصار بالكفار لما يريده الله تعالى ، فسار الى مدينة مليطو وهى بلاد الفرنج قد ملكوها لما خرج بردويل الافرنجى الذى تقدم ذكره سنة اثنتين وسبعين واربعمائة، واستوطنها الفرنج إلى الآن؛ وكان ملكها حينئذ رجار الفرنجى

---

(1) يجب ألا يغيب عن بالنا أنه قد حدث كثيراً أن هدد بعض أمراء العرب ورؤساؤهم بالالتجاء الي الروم اذا لم ينالوا كل ما كانوا يطلبونه . راجع ما ذكره ابن الأثير فى ذلك : «فسار من أهل صقلية جماعة الى المعز بن باديس وشكوا اليه ما حل بهم وقالوا نحب أن نكون فى طاعتك والا سلمنا البلاد الى الروم، وذلك سنة سبع وعشرين واربعمائة » («المكتبة العربية الصقلية» ص ٢٧٥).وفى الحق أن ابن الثمنة قد نفذ تهديده بعد بضع سنين .

(2) راجع أمارى « تاريخ مسلمى صقلية» جزء ٣ ص ٨٢

في جمع من الفرنج ، فوصل إليه ابن الثمنة وقال: أنا أملكك الجزيرة ، فقالوا إن فيها جنداً كثيراً ولا طاقة لنا به ، فقال إنهم مختلفون وأكثرهم يسمعون قولى ولا يخالفون أمرى [1] » وقد تردد رودچيرو فى تقديم مساعدته لابن الثمنة فى بادئ الأمر ، ولكن ابن الثمنة هوّن عليه الأمر ، لأنه كان على ثقة من ضعف العرب فى صقلية ، ومن الخلافات القائمة بينهم . وهنا يمكننا أن نعتقد أن ابن الثمنة كان قد فكر فى هذا الموضوع من قبل ، كما فكر فى ضرورة الاستعانة برودچيرو ، لأنه كان واثقاً كل الثقة من نفوذه على مسلمى صقلية. ويظهر ذلك جلياً من قوله : « أكثرهم يسمعون قولى ولا يخالفون أمرى » .

ولا يبعد أن تكون الخيانة قد تمت فى اللحظة التى كان فيها ابن حمديس ينظم أشعاره القوية ، التى كانت فى الحقيقة نداء حاراً إلى مواطنيه يدعوهم فيها الى مواجهة العدو:

وصُولوا بِبيضٍ فى العَجاج كأنّها
بُروقٌ بضَرْبِ الهام مُحْمَرَّةُ السَّجْمِ [2]

ولا يبعد أن يكون هذا الشاعر قد تنبأ باستحالة المقاومة ، ولذلك أخذ يندب حظه كما يتبين ذلك من هذا البيت :

تعَوّدتَ ارضى أنْ تعود لِقَوْمِها
فَساءَتْ ظُنُونى ثم أصْبَحْتُ يائساً [3]

ذهب ابن الثمنة لمقابلة رودچيرو فى مليطو (Mileto) . ولم تشر المصادر العربية إلى تفاصيل هذه المقابلة التاريخية، على حين أجمعت المصادر الايطالية عليها، وأسهبت فى الكلام عنها، وأضافت إلى ذلك أن ابن الثمنة قدم ابنه رهينة بين يدى

(١) « المكتبة العربية الصقلية » ص ٢٧٦ ؛ وتوجد هذه الاخبار أو ما يشابهها فى المراجع التاريخية الاخرى مثل « نهاية الارب » للنويرى « المكتبة العربية الصقلية » ص ٤٤٦ — ٤٤٧ و « كتاب العبر » لابن خلدون (ص ٤٨٤ — ٤٨٥) و « كتاب المونس فى أخبار افريقية وتونس » لابن أبى دينار القيروانى الذى قال فى تلك المناسبة أن ابن الثمنة استنصر بالفرنج من ما لطة وهون عليهم أمر المسلمين (المصدر نفسه ص ٥٣٣) وفى مصادر مختلفة أخرى .

(٢) راجع ديوان ابن حمديس طبعة E. Schiaparelli (روما ١٨٩٧) ص ٣٦٧ قصيدة رقم ٢٧٠ .

(٣) نفس الديوان ص ٢٤٠ قصيدة رقم ١٥٧

روبيرتو أخي رودچيرو الذى كان يحكم مدينة ريدچو (Reggio) فى جنوب إيطاليا ليطمئنه ويشجعه على الاستمرار فى هذا العمل [1].

وأما ماحدث بعد ذلك فمعلوم .. إذ اجتمع روبيرتو وروودچيرو وابن الثمنة وهزموا ابن الحواس تحت أسوار كاسترو چوفانى (Castrogiovanni). وبعد هذه الهزيمة لجأ كثير من العلماء والوطنيين إلى إفريقية حيث أقام فى بلاط المعز بن باديس، وكان من بين المهاجرين إلى بلاد الأندلس وإفريقية الشاعر المشهور ابن حمديس، الذى وصف في بعض أبياته حزنه الشديد لمغادرة وطنه.

وبعد أن تم الصلح بين المعز بن باديس وبين حماد سنة ٤٠٨ ﻫ (١٠١٧ م) ، أخذ فى إصلاح مدينتى القيروان وصبرة، اللتين كانتا أغنى وأعظم بلاد المغرب، واللتين أضبحتا على أثر هذا الصلح من نصيب بني زيرى. ولكن الغنى والترف والرفاهية لم تغن شيئاً، بل جعلته يثور على سلطة الفاطميين، فرفض المذهب الشيعى الذى لم يكن يرتضيه الشعب. وفى سنة ٤٤٤ ﻫ (١٠٥٢ م) غزا بنو هلال إفريقية بتدبير اليازورى وزير الخليفة المستنصر [2] الفاطمى الذى أراد الانتقام من بنى زيرى وتأديبهم لعصيانهم وتمردهم. عند ذلك لجأ المعز بن باديس إلى المهدية، وهي المدينة التى كان قد أسسها وحصنها عبيد الله المهدى الفاطمى [3] منذ نحو قرن ونصف قرن

---

(١) راجع أمارى «تاريخ مسلمي صقليه» ج ٣ ص. ٦٥٠.

(٢) راجع سياسة المستنصر والبلاد التى خرجت من سلطان الفاطميين فى : حسن ابراهيم حسن «تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى» القاهرة ١٩٤٦ جزء ٣ ص ٢٦٤ — ٢٦٦، ص ٣٥٧

(٣) راجع عن هذه الفترة من تاريخ بني زيرى : ابن خلدون «كتاب العبر» (طبعة De Slane جزء ١ ص ١٩٩ — ٢١٠) ، وابن عذارى «البيان المغرب» (طبعة Dozy جزء ١ ص ٢٣٧ والصفحات التالية، وابن الاثير «الكامل فى التاريخ» (طبعة Tornberg جزء ٨ ص ٤٥٦ والصفحات التالية، وصبح الاعشى للقلقشندى (طبعة دار الكتب) جزء ٥ ص ١٨٥ / ١٨٨

C. Diehl, et G. Marçais, *Histoire du Moyen Age*, t. III (Le Monde oriental de 395 à 1081), Paris 1936, pp. 589-592 ; G. Marçais, *Les Arabes en Berbérie, du XI au XIV sièèle* Costantine, Paris 1913 pp. ; S. Gsell, G. Marçais, G. Yver, *Histoire d'Algérie*, pp. 125 et suiv.

تقريباً . وإذن فإن المعز بن باديس قد ترك فى هذه المرة مدينة القيروان متجهاً نحو المهدية ، كما فعل من قبل عبيد الله الفاطمى الذى ترك مقره فى رقادة القريبة من القيروان وسار الى مدينته الجديدة .

عند ذلك سار بنو زيرى على سياسة جديدة وأصبح لهم نشاط جديد . فبعد أن مضى زمن طويل لم يبرحوا خلاله أرض إفريقية ، أخذوا يفكرون فى البحر وما وراءه . وكان ذلك فى عهد تميم بن المعز (٤٥٤ — ٥٠١ هـ/١٠٦٢ — ١١٠٨ م) . واستمر هذا النشاط البحرى حتى آخر ملوك بنى زيرى، فإن الأسرة الزيرية، كما يلاحظ أمارى [1]، فقدت البر، ولم يبق أمامها إلا البحر ، إذ كان أسطولهـا فى المهدية لا يزال تحت حوزتهم ، والى جانبه عدد كبير من العبيد وأموال كثيرة تكفى لقيامهم بأية حملة حربية . ويشبه هذا الموقف فى كثير من الوجوه موقف جمهورية بيزا (Pisa) التى غلبت على أمرها فى البر منذ النصف الثانى من القرن العاشر ، إلا أنها كانت حرة وجريئة فى البحر [2] . وكذلك كانت الحال فى المهدية التى أصبحت أعظم مركز للقرصنة التونسية بعد أن كانت حاضرة للدولة الفاطمية وملجأ للأمراء الزيريين الذين لم يقبلوا الخضوع لسلطة هذه الدولة .

لم تضعف عزيمة المعز ولم يفقد آماله بعد أن احتل بلاده بنو هلال ، وبعد أن أعلنت بعض المدن التى كانت خاضعة لحكمه استقلالهـا، فحاول أن يجد حظه فى جزيرة صقلية حيث كان خصوم ابن الثمنة ينتظرونه على أحر من الجمر للانتقام من ذلك الخائن . وسرعان ما أعد المعز حملة بحرية فى سنة ١٠٦١م . ولكن عند ما وصل أسطوله إلى جزيرة قوصرة (Pantelleria)، اضطر إلى العودة من حيث أتى بسبب هبوب عاصفة شديدة ذهبت بآمال مسلمى صقلية أدراج الرياح، ولكنهم مع ذلك قد اطمأنت نفوسهم عند ما قتل ابن الثمنة فى سنة ١٠٦٢م، إذ وقع فى كمين وضع له . على أن المعز بن باديس مات فى هذه السنة نفسها .

(١) « تاريخ مسلمى صقلية » جزء ٣ ص ٨٣

(٢) راجع المصدر نفسه جزء ٣ ص ٤

وبعد اختفاء هذين الشخصين من المسرح التاريخى ، كان مسلمو صقلية يأملون فى التفاهم مع بنى زيرى ، مفضلين ذلك على الخضوع للمسيحيين . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، كان تميم بن المعز بن باديس يحاول أن يستميل بنى هلال ويدعوهم للخضوع لبنى زيرى ، واستطاع أن ينجح فى بسط هيبته فى إفريقية . وهكذا أتاحت الفرصة لتميم القيام بالمشروع الذى لم يستطع أبوه إتمامه من قبل . وفى سنة ١٠٦٣ م نجح ولداه أيوب وعلىّ فى توطيد أقدامهما فى أراضى صقلية . وهنا وجدا ابن الحواس فى انتظارهما . وكان التفاهم تاما بينهما وبينه فى بادىء الأمر ، ولكن سرعان ما دب الخلاف بينهم ، إذ لاحظ ابن الحواس أن أيوب بن تميم قد عظم أمره وأحبه الناس فى صقلية ، ولذلك طرده من مدينة جرجنتى (Girgenti) . وقد أدى ذلك الى قيام الحرب بين الفريقين وذهب ضحيتها ابن الحواس .

وبعد هذه الحوادث قامت الحروب الأهلية فى جزيرة صقلية ، ذلك لأن مسلمى بالرمو (Palermo) لم يحتملوا الحياة مع العبيد الذين وصلوا إلى صقلية مع أيوب وعلى ابنى تميم . وانتهى الأمر بأن ترك أيوب وعلىّ الجزيرة وعادا أدراجهما إلى إفريقيه ، واتضح ثانية أن نكبة المسلمين إنما كان منشؤها عدم اتحادهم وتضافرهم . وكان لهذا كله نتيجة واحدة ، هى تشجيع النورمنديين على فتح مدينة بالرمو ، وتحقيق ذلك الحلم الجميل الذى كانوا يحلمونه منذ وضعوا أقدامهم فى جزيرة صقلية . وأخيرا عادت المدينة فى ١٠٧٢ م الى المسيحية مرة أخرى بعد أن استمرت مدى قرنين ونصف قرن من الزمان تحت حكم المسلمين من مختلف الأجناس [١] .

وفى هذه اللحظة بدأت حرب العصابات بين الفريقين أى بين جنود رودجيرو من ناحية وبين المسلمين من ناحية أخرى ، وكانت لا تزال تحت أيدى هؤلاء الأخيرين حصون كثيرة فى الجزيرة ، من بينها حصن تاورمينا (Taormina)

---

(١) لخص الأخبار الخاصة بعلاقات الفاطميين مع صقلية وذكر الحوادث التى سبق امتلاك رودجيرو النورمندى لجميع أرجاء الجزيرة الدكتور حسن ابراهيم حسن فى الجزء الثالث من كتاب تاريخ الاسلام السياسى ... الخ (ص ٤١٤ — ٤١٦) .

القوى، وحصن ترابانى (Trapani) ، وكانا مصدرين خطرين كبيرين على الأراضى التى كان يملكها رودچيرو . وكان يشجع المسلمين على مناوأة رودچيرو جنود بنى زيرى الذين كانوا يغيرون من وقت إلى آخر على سواحل إيطاليا الجنوبية. وقد حدث فى يونيه سنة ١٠٧٤ م أن اقترب جنود تميم من جزيرة صقلية ، ولكنهم تخطوها وانقضوا على مدينة نيكوتيرا (Nicotera) فى كالابريا (Calabria)، وأخذوا بعض الأسرى منها وعادوا إلى قواعدهم ، ثم خرجوا فى العام التالى نحو صقلية ، وبعبارة أدق ، إلى مدينة مزارا (Mazara) ، حيث أنزلوا جنودهم وحاصروا قلعتهم . ولكن هذا الحصار لم يدم سوى أربع وعشرين ساعة ، لأن رودچيرو لحق بهم فى اليوم التالى وطردهم من أماكنهم ، واضطرهم إلى ركوب البحر والعودة من حيث أتوا [١] .

لم يكن غرض رودچيرو الاقتصار على إعلان الحرب على بنى زيرى ، على الرغم من أن المصادر التاريخية لم توضح تفاصيل المعاهدات التى عقدت بين النورمنديين وبنى زيرى ، فاننا إذا دققنا فى بحث كل ماورد عن ذلك من الأخبار — ومن المعلوم أن أصغر الاشارات قد تكون لها فى التاريخ أهمية عظمى — استطعنا أن نقرر أنه كانت بين الفريقين علاقات ودية أيضاً ، وعلى الأخص فى السنوات الأخيرة من حياة رودچيرو ، بل يمكننا أن نقول إنه كان ثمة اتفاقات حقيقية ، وهذا ما نفهمه بوضوح مما حدث فى سنة ١٠٨٠م تقريبا [٢] ، إذ أنه عند ما رأى رودچيرو أثناء حصاره تاورمينا (Taormina) أربع عشرة سفينة إفريقية تقترب من صقلية ، أرسل إلى قائد هذه السفن رسالة يسأله فيها عن الغرض الذى كان يرمى إليه من وراء هذه الغزوة، فكان الجواب أنه ليست لديه أية أغراض حربية . وفى الواقع أن هذا الأسطول الصغير لم يلبث أن عاد أدراجه [٣] . وفضلا عن ذلك فاننا نعلم أن الملك رودچيرو لم يشترك

(١) لم تشر المصادر العربية الى هاتين الغزوتين اللتين ورد ذكرهما فى المصادر الاوروبية (راجع أمارى « تاريخ مسلمى صقلية » جزء ٣ ص ١٥٣) .
(٢) لم تذكر المصادر السنة التى وقعت فيها هذه الحادثة .
(٣) أمارى « تاريخ مسلمى صقلية » جزء ٣ ص ١٦٠

فى سنة ١٠٨٧ فى حركة إنزال الجنود فى زويلة والمهدية ، تلك الحركة التى اشتركت فيها كل من بيزا (Pisa) وجنوا (Genova) وأمالفى (Amalfi) ، والتى كانت تهدف الى إنزال ضربة قاضية بسفن المسلمين فى البحر المتوسط[١] ، وكذلك لم يشترك هذا الأمير النورمندى في أى عمل آخر من الأعمال الحربية التى قام بها ضد تميم ، فقد روى لنا ابن الأثير على سبيل التفكه :

«فلما كان سنة تسعين بعد الأربعمائة، خرجوا (أى الفرنج)، إلى بلاد الشام ، وكان سبب خروجهم أن ملكهم بردويل جمع جمعاً كثيراً من الفرنج، وكان نسيب رجار الفرنجى الذى ملك صقلية، فأرسل إلى رجار يقول له: قد جمعت جمعاً كثيراً، وأنا واصل إليك وسائر من عندك إلى إفريقية أفتحها وأكون مجاوراً لك. فجمع رجار أصحابه واستشارهم فى ذلك فقالوا: وحق الانجيل، هذا جيد لنا ولهم، وتصبح البلاد بلاد النصرانية. فرفع رجله وحبق حبقة عظيمة وقال: وحق دينى هذه أخير من كلامكم، قالوا: وكيف ذلك؟ قال : إذا وصلوا الىّ أحتاج إلى كلفة كثيرة ومراكب تحملهم إلى إفريقية وعسكر من عندى أيضاً ، فان فتحوا البلاد كانت لهم، وصارت المئونة لهم من صقلية ، وينقطع عنى إليهم ما يصل من المال من ثمن الغلات كل سنة ، وإن لم يفلحوا رجعوا إلى بلادى وتأذيت بهم، ويقول تميم: غدرتَ بى، ونقضتَ عهدى ، وتقطع الوصلة والأسفار بيننا. وبلاد إفريقية باقية لنا متى وجدنا قوة أخذناها . وأحضر رسوله وقال له: إذا عزمتم على جهاد المسلمين، فأفضل ذلك فتح بيت المقدس تخلصونه من أيديهم

(١) ولكن De Mas Latrie يلاحظ بحق عن النورمنديين فى المؤلف الذى سبق ذكره ما نصه (ص ٤٢) :

"Leurs traités avec les rois zirides les tinrent en dehors de la grande guerre d'El Mehadia en 1087, mais ne purent contenir indéfiniment des projets qu'encourageaient d'ailleurs la faiblesse du gouvernement des émirs et le désordre qui se perpétuait dans tout le Magreb oriental".

ويكون لكم الفخر، وأما إفريقية فبيني وبين أهلها إيمان وعهود، فتجهزوا وخرجوا إلى الشام »[1] .

وهذا يثبت لنا أن رودجيرو لم يكن يريد التعرض لأى خطر أو مجازفة، كما لم يكن فى مقدوره أن يقدم السفن اللازمة لأنها كانت ضرورية له لمواجهة أى خطر محتمل. كذلك لم يكن يستطيع أن يشغل الجيش الصقلى، لأن الحالة فى الجزيرة لم تكن لتسمح له بأن يكون مطمئناً كل الاطمئنان[2]. ولكنه كان قبل كل شىء رجلا عملياً يفكر فى هذا المشروع من الناحية الاقتصادية، لأنه إذا كان الافرنج قد أفلحوا فى مشروعهم، فان صقلية قد تفقد الاحتكار الذى تمتعت به فى إفريقية، إذ أنه فى حالة الانتصار تنتقل التجارة بأكملها من أيديهم الى أيدى المنتصرين. وفضلا عن ذلك كله، فانه كان قبل كل شىء يريد الاحتفاظ بصداقة تميم واحترام المعاهدة التى يحتمل أن يعقدها معه، ولم يرد أن يظهر أمامه بمظهر الرجل الذى لا يحترم وعوده.

ولما مات رودجيرو فى ١١٠١م كانت العلاقات بين بنى زيرى والنورمنديين يسودها الغموض، وكانت تتميز بأنها كثيراً ما تتقلب من حالة الصلح والمودة

---

(١) المكتبة العربية الصقلية ص ٢٧٩ ؛ وقد أضاف De Mas Latrie (ص٣٩) الى ذلك :

"Maîtres de la ville, les confédérés engagèrent Roger de Sicile à se joindre à eux afin de pouvoir conserver ou poursuivre leurs conquêtes. Roger s'y étant refusé pour rester fidèle au traité qu'il avait conclu avec Temim, les Chrétiens négocièrent et consentirent à se retirer moyennant une rançon de cent mille dinars d'or ...".

يتضح من كلامه أن دى ماس لاترى يعزو سبب انسحاب الافرنج ومفاوضاتهم الى رفض رودجيرو الاشتراك فى هذا العمل .

(٢) يجب أن نلاحظ هنا أن المكان المسمى Val di Noto — الذى كتب عنه ابن حمديس أبياتاً بديعة (راجع ديوانه ص ٣١٤ — ٤١٥ قصيدة رقم ٢٣٨) — لم يكن خاضعاً لسلطته، وانما تم خضوعه فى سنة ١٠٨٩ م بعد متاعب دامت ثلاث سنوات .

إلى حالة العداء والحرب [1] . وقد امتاز عهد رودجيرو الثانى — الذى لم يتسلم مقاليد الحكم إلا فى سنة ١١١٢م — بظهور شخصية جورج الأنطاكى « أحد الوزراء المغامرين سواء أكانوا يهوداً أم نصارى ، والذين كان ملوك العرب يعهدون إليهم فى كثير من الأحيان بادارة الشئون المالية ، لعدم توافر القادرين من المسلمين على القيام بهذه المهام على الوجه الأكمل » [2].

والحقيقة أن هذا الرجل وأبوه ميكيلى من نصارى أنطاكية كانا قد التحقا ببلاط تميم (٤٥٤ — ٥٠١ هـ/١٠٦٢ — ١١٠٨ م) أمير المهدية . ولما مات هذا الأمير انتقل جورج إلى بلاط الملك رودجيرو الثانى ، وربما كان ذلك خوفه من انتقام ابن تميم وخليفته يحيى (٥٠١ — ٥٠٩ هـ/١١٠٨ — ١١١٦ م). ولقد استقبله الملك النورمندى أحسن استقبال وأكرم وفادته ، ولم يكتف بذلك ، بل كان يعهد إليه بالقيام بكثير من المهام التجارية والحربية [3] . وإذا كانت المعاهدة التى انتهت بالجلاء عن مدينة المهدية قد قررت العلاقات بين بنى زيرى من ناحية ، وبين إيطاليا الشمالية من ناحية أخرى ، فان هذا السلم لم يدم طويلا. وبينما تشير المصادر إلى أن يحيى بن تميم كان طوال مدة حكمه (التى بلغت ثمانى سنوات) فى حروب متصلة مع جمهوريات البحر التطيرانى ومع إقليم

---

(١) يلاحظ دى ماس لاترى بحق فى مؤلفه المذكور (ص ٣٣) أن :

"A l'époque où nous sommes parvenus (1087-1147), l'histoire des relations des Arabes d'Afrique et des peuples d'Europe ne se compose encore que de notions éparses concernant des faits de guerre et de commerce, la plupart du temps isolés et entremêlés dans les chroniques, comme il l'étaient dans la realité, sans que l'on puisse connaître la cause de ces alternatives".

(٢) أمارى « تاريخ مسلمى صقلية » جزء ٣ ص ٣٦٨

(٣) عملا بنصيحة عبد الرحمن النصرانى بعث رودجيرو الثانى جورج الانطاكى الى مصر فى مهام ذات بال . وفى سنة ١١٢٣م صاحب عبد الرحمن فى مهاجمة الديماس الذى لم تكن نتيجتها الا الحاق الهزيمة الشنيعة به (راجع « تاريخ مسلمى صقلية » جزء ٣ ص ٣٧٠) .

فرنسا الجنوبية ، وأن سفنه كانت تهاجم بين الفينة والفينة سواحل سردينيا (Sardegna) وميناء جنوا (Genova) وبلاد پروڤانس (Provenza) ، فإنها لا تشير إلى أى هجوم من هذا النوع على صقلية على الرغم من أن ذلك كان ميسوراً لها . ويدلنا ذلك بكل جلاء على وجود معاهدة صداقة بين يحيى بن تميم وبين صقلية [1]. والذى يهمنا معرفته عن هذه الفترة التاريخية التى قلت أخبار المصادر التاريخية عنها ، أن رودجيرو الثانى اتبع سياسة كانت تختلف فى بعض الأحيان عن السياسة التى جرى عليها أبوه . وفى الواقع أنه كان يؤثر بنى حماد على بنى زيرى إذا قضت الضرورة بذلك . وكان بنو حماد هؤلاء قد اتخذوا فى بادىء الأمر القلعة مقراً لهم ثم انتقلوا منها الى بوجايه . وكان مسلكه هذا يبدو واضحاً فى بعض الأحيان، وعلى الأخص عند ما حصل رافع بن مكن بن كامل الزعيم العربى على موافقة يحيى بن تميم ومساعدته على القيام بحملة بحرية على السفن التى كانت تمخر البحر الأبيض .

ومع ذلك فان علىّ بن يحيى بن تميم (٥٠٩—٥١٥هـ/١١١٦—١١٢١م) — الذى كان أقل حزماً من أبيه — لما تولى الحكم عارضه فى هذا المشروع [2]، حتى إن رافعاً بن مكن بن كامل غضب غضباً شديداً من هذه المعارضة ولجأ إلى رودجيرو وطلب مساعدته .

ولنا أن نلاحظ هنا أن مسلك علىّ هذا كان غاية فى الغرابة ، فانه برغم اقتناعه بأن الأمير النورمندى كان قد أجاب رجاء رافع وقدم إليه فى سنة ٥١١ هـ (١١١٧ — ١١١٨ م) أسطولا صغيرا مكوناً من ٢٤ سفينة ، لم يزد مخاصمة رودجيرو . ولو أن المؤرخ التيجانى يؤكد أن الاصطدام قد وقع بين البحارة الزيريين وبحارة رودجيرو ، فان أمارى الذى كان دقيقاً كل الدقة

---

(١) راجع (De Mas Latrie) فى مؤلفه المذكور ص ٣٤

(٢) حال علىّ دون قيامه بهذا المشروع بهذا الكلام : « لايكون لأحد من أهل افريقية أن يناوئنى فى اجراء المراكب فى البحر بالتجار » (راجع ابن الاثير والتيجانى والنويرى وابن خلدون فى « المكتبه العربية الصقلية » ص ٢٨١ و٣٨٢ و٣٩٢ و ٤٥٤ و ٤٨٦) .

فى أحكامه وفى نقد المصادر التاريخية ، قد ذكر أن التيجانى لابد أن يكون الأمر قد التبس عليه ، وذكر خطأ أن معارك قد نشبت فى أوقات أخرى بين علىّ ورافع [1] .

ولما مات الأمير علىّ الزيرى فى سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) «لم يكن فى حالة حرب ولا فى حالة صلح مع صقلية » كما يقول أمارى [2] . ولكن الأحوال كانت تنبىء بأنه لو عاش لقام بحملة كبيرة على صقلية ، وإن هذا الفرض الذى نفترضه قد أوحت به إلينا المصادر التاريخية ، وعلى الأخص ابن الأثير الذى ذكر ما نصه : « كان رجار صاحب صقلية بينه وبين الأمير علىّ صاحب إفريقية مودة وكيدة ، إلى أن أعان رافعاً كما تقدم قبل . فاستوحش كل منهما من صاحبه ، ثم بعد ذلك خاطبه رجار بما لم تجر عادتهم به ، وتأكد الوحشة ، فأرسل رجار رسالة فيها خشونة ، فاحترز علىّ منه . وأمر بتجديد الأسطول وإعداد الأهبة للقاء العدو ، وكاتب المرابطين بمراكش فى الاجتماع معه على الدخول إلى صقلية ، فكف رجار عما كان يعتمده » [3] .

وتأكيداً لهذه الأخبار نرجع إلى ابن عذارى وابن خلدون والتيجانى وغيرهم [4] ، فنرى أنه فى سنة ٥١٦ (١١٢٢) انقض المرابطون على مدينة نيكوتيرا (Nicotera) فى كالابريا (Calabria) وسلبوا ما كان فيها من أموال ومتاع . وقد فكر رودچيرو نفسه أن هذه الحملة لا بد أنها كانت نتيجة اتفاق سابق بين علىّ والمرابطين فى أواخر أيام حياة الأمير الزيرى .

وبعد وفاة الأمير علىّ خلفه فى الحكم ولده حسن (٥١٥ — ٥٦٣ هـ / ١١٢١ — ١١٦٧م) . وقد تمت الاستعدادات من جانب رودچيرو لمهاجمة المهدية بأسطول ضخم بقيادة عبد الرحمن النصرانى وچورچ الأنطاكى . وقد قوبل هذا العمل من الجانب الآخر باستعدادات عظيمة وباعلان الجهاد العام . وكان نصيب حملة رودچيرو الثانى الاخفاق الذى صوره لنا الشاعر

---

(١) أمارى « تاريخ مسلمى صقلية » جزء ٣ ص ٣٧٧ و ٣٧٨ وحاشية (١) .

(٢) « تاريخ مسلمى صقليه » جزء ٣ ص ٣٧٩

(٣) « المكتبة العربية الصقلية » ص ٢٨١ — ٢٨٢

(٤) راجع أمارى « تاريخ مسلمى صقلية » جزء ٣ ص ٣٨٧ حاشية (١) و (٦) .

ابن حمديس فى قصيدته التى أشاد فيهـا بانتصارات جنود المسلمين وبالهزيمة التى مُنى بهـا أولئك الذين جرءوا على مهاجمة المهدية إذ قال[1] :

هناك شفى الاسلامُ منهم غليلهُ ... بطعنٍ له تبرٌ وضرب له هبرُ
وكانوا رأوا مهديتيك وفيهما ... لعزّ الهدى أمر فهالهم الأمرُ

وقال أيضاً :

فما للعلوج امتدّ فى الغىّ جهلُهم ... أما كان فيهم من لبيب له حجر
فكم قسموا فى الظن أميال أرضنا ... ولم يطئوا منها مكاناً هو الشبر

ولكن الحسن رأى أنه لا يستطيع أن يعيش فى نزاع دائم مع رودجيرو الثانى ، لأنه كان يخشى أولا شره وقوته ، وثانياً لأنه كان يعتمد على مساعدات النورمنديين لارهاب أمير بوجاية الذى كان ينتهز كل فرصة لمحاولة انتزاع بعض الأراضى من الأمير الزيرى .

وإذا كان رودجيرو قد قام فى بعض الأوقات بأعمال أغضبت بنى زيرى، فانه لم يتأخر عن تقـديم أسطوله لاخضاع الثائرين عليهم . وقد حدث فى سنة ١١٣٥ م أنه أرسل إجابة لطلب الأمير حسن أسطولا ، حاصر جزيرة جربة، وأعاد سلطة الأمير الزيرى عليها[2]. وقد أكد أنباء هذه الحاجة الملحة إلى مساعدة رودجيرو المؤرخ ابن أبى دينار ، الذى لخص فى كلمات قليلة موقف الحسن الحرج فى تلك الفترة ، إذ قال فى كتابه « المونس فى أخبار إفريقية وتونس»: « وفى أيام الحسن قصد صاحب بوجاية أخذ المهدية، لأنه سمع بالأمير الحسن أنه صالح رجار صاحب صقلية ، ووقعت بينهما مهادنة . وكان ذلك أن الحسن أرسل إليه بهدية وصالحه مخافة من شره، فتم الصلح وشرط اللعين عليه شروطاً قبلها »[3] .

---

(١) راجع ديوان ابن حمديس (نشره E. Schiaparelli) ص ٢٢٢ قصيدة رقم ١٤٣

(٢) راجع ابن الاثير وابن عذارى والتيجانى وأبى الفداء والنويرى وابن خلدون وابن أبى دينار فى « المكتبة العربية الصقليه » ص ٢٨٦ و ٣٧٢ و ٣٨٤ و ٤١٥ و ٤٥٦ و ٤٩٤ و ٤٩٨ و ٥٣٧، وعزا بعضهم وقوع هذا الحادث فى سنة ٥٢٩ وعزا البعض الآخر أنه وقع فى سنة ٥٣٠

(٣) المكتبة العربية الصقليه ص ٥٣٦

ومن هذه العبارة التى ذكرها مؤرخ القرن السابع عشر نرى أن الحسن لم يكن حراً فى مسلكه، لحاجته الى هذه المساعدة التى كان يجدها عند النورمنديين. وفضلا عن الضرورة التى كان يشعر بها الحسن لاعلاء مقام بنى زيرى، يجب ألا ننسى أن صقلية هى التى كانت تمد إفريقية بما تحتاجه من القوت، وهذا من أهم الأسباب التى جعلت رودجيرو يشترك فى كثير من الأوقات اشتراكا فعلياً فى حياة بنى زيرى بافريقية، ويتدخل تدخلا مباشراً فى شئونهم. ونستطيع أن نقرأ هذا فى كتاب مؤلف موثوق به كل الثقة، وهو تاريخ ابن الأثير الذى قال عند ما تحدث عن حوادث سنة ٥٣٦ هـ ما نصه: «ثم راسله الحسن وجدد الهدنة لأجل حمل الغلات من صقلية الى إفريقية، لأن الغلاء كان بها شديداً والموت كثيراً»[1].

وهذا — على ما يؤكده أمارى — كان ناشئاً من وجود: «دولة ضعيفة وأمير ضعيف يحيط بهما الأعداء من كل مكان، وأنهما كانا لا يجدان بداً من الالتجاء إلى البلاد البعيدة، التى كانت أقوى من غيرهم، والتى كان يبدو لبنى زيرى أنها أكثر استعداداً لتلبية هذه المساعدة[2].

وكل هذا كان يزيد فى جرأة رودجيرو الذى لم يدع فرصة تفلت من يده للحصول بأسطوله على ما كان يعجز عنه بالطرق السلمية.

---

(١) ابن الاثير «المكتبة العربية الصقليه» ص ٢٨٦

(٢) «تاريخ مسلمى صقلية» جزء ٣ ص ٤١١ وفضلاعن ذلك فان أمارى يقول ان رودجيرو كان يتمتع بمقام محترم فى افريقية وبمركز ممتاز. ويثبت ذلك وجود كنائس عدة وعدد كبير من المسيحيين فى المهديةفى سنة ١١٤٨م. وهذه الحالة لم تكن بلاشك وقت تأسيس هذه المدينة على يد عبيد الله المهدى فى سنة ٩١٥ م (راجع «تاريخ مسلمى صقلية» جزء ٣ ص ٤١٢). وللوقوف على تفاصيل عن حالة المسيحيين فى افريقية الشمالية فى القرنين الحادى عشر والثانىعشر راجع المؤلف المذكور De Mas Latrie ص٧و١١و٦٧ وما يليهمن الصفحات P. De Cenival, *Le prétendu évêché de la Kala, des Beni Hammad*, "Hespéris", t. XV, 2 trim., 1932 (Paris), pp. 1-10.

أما فيمايختص بمدينة المهدية فانه كان فيها عدد كبير من الرجال الذين كان يثق بهم رودجيرو. وقد ذكر ابن عذارى عند كلامه على جورج الانطاكى الذى كان الساعد الايمن للزعيم النورمندى ما نصه: «فكان هذا اللعين عارفا بعورات المسلمين بالمهدية وغيرها» (المكتبة العربية الصقلية ص ٣٧٣). وقد أكد لنا ذلك المؤرخ التيجانى اذ سمى جورج الانطاكى «العارف بالمهدية حاضرة وبادية» (نفس المؤلف ص ٣٦٩).

ونحن نقرأ فى كتب التاريخ[1] أنه عندما وقعت أزمة اقتصادية شديدة فى المهدية، فى سنة ٥٣٦ هـ (١١٤٢ م)، ولم يستطع الحسن رد بعض الأموال إلى ردوچيرو، بعث جورج الأنطاكى هذا على رأس أسطول مؤلف من ٢٥ سفينة إلى المهدية. ولذلك اضطر الحسن أمام هذه القوة إلى عقد اتفاق جديد مع النورمنديين.

وقد امتازت الفترة التى تقع بين سنتى ١١٤١ و ١١٤٦ م بنشاط عظيم من جانب أسطول صقلية، ولكن هذا النشاط لم يكن موجهاً فى هذه المرة إلى بنى زيرى، بل إلى مواليهم السابقين الذين ثاروا عليهم. ولا يعرف أحد إذا كان هذا راجعا الى طلب الحسن الذى لم يكن قادرا على إخضاع بنى مطروح بطرابلس الغرب وبنى حماد فى بوجايه وإبقائهم تحت سلطانه، أو إلى تفكير رودچيرو. ومهما يكن من شىء فان الجيش الصقلى قد تحرك بعد حملة المهدية، ونزل رجاله فى السفن وقصدوا طرابلس الغرب لاحتلالها. ولكن هذه الحملة باءت بالاخفاق لأن بنى مطروح كانوا قد أعدوا إثر هذا العدوان العدة للدفاع عن أنفسهم.

ولما عادت السفن النورمندية إلى صقلية لحمل بعض المؤن، اتجهت إلى جيجل التى كانت تحت سيطرة بنى حماد الذين آل اليهم حكم بوجايه. وبعد ذلك احتلت برشك وقرقنة على مقربة من المهدية. عندئذ غضب الحسن واحتج على هذا العدوان الجديد، ولكن رودچيرو أجابه إجابة مطمئنة، وقال له إن الأسطول الصقلى يريد فقط مهاجمة المدن المتمردة على حكم بنى زيرى، ولذلك سكت الحسن واقتنع بهذا العذر. وقد أشار إلى هذا الحادث ابن الأثير فى هذه العبارة فقال: « ... فأرسل الحسن صاحب إفريقية إلى رجار الفرنجى ملك صقلية يذكره العهود بينهم، فاعتذر بأنهم غير مطيعين له[2] ».

---

(١) لا يتفق كل المؤرخين الذين كتبوا عن هذه الحملة على جميع التفاصيل. ولكن مهما يكن الأمر فانه يكفى فى هذا الصدد التأكد من أمر واحد هو أن هذه الحملة قد حدثت دون أى شك، كما نقرأ ذلك فى جميع المصادر التاريخية فى سنة ٥٣٦ هـ.

(٢) «المكتبة العربية الصقلية» ص ٢٨٨ و ٢٨٩؛ راجع أيضاً ابن أبى دينار فى نفس المؤلف ص ٥٣٨

ولكن رودچيرو كان رجلا دؤوبا حازما لا يقبل التسامح مع الذين غلبوه على أمره ، وأراد الثأر للهزيمة التي نزلت بجنوده فى طرابلس الغرب . ولذلك قام بعد سنتين من محاولته الأولى بحملة ثانية على طرابلس الغرب بقوة بحرية صغيرة فى أول الأمر ، ولكن بعد سنتين أخريين أرسل مائتى سفينة أخرى . وقد أشار المؤرخون المسلمون إلى أحداث هذه الحرب . وعلى الرغم من أنهم اختلفوا فى بعض تفاصيلها ، أجمعوا كلهم على أن مدينة طرابلس كانت فى ذلك الوقت خاضعة لأمير من المرابطين كان البربر قد استقدموه ليحكم المدينة بعد أن طردوا منها بنى مطروح سادة البلاد حتى ذلك الحين ، بل إن ابن الأثير[1] وأبا الفداء[2] قد أكدا أن قيام هذا الصراع بين الفريقين قد ساعد جورج الأنطاكي قائد الحملة المسيحية التي تم تجهيزها فى سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) . ولكننا نستطيع أن نستخلص مما ذكره التيجانى[3] في هذا الصدد أن الغلاء الشديد الذى عم البلاد فى تلك السنة قد أوحى إلى رودچيرو بالقيام بمشروعه الخطير ، لأنه رأى فى ذلك الموقف تيسيراً له فى مهمته . والذى لا شك فيه أن رودچيرو لم يندم على قيامه بهذه المهمة ، كما أن الأهالى أنفسهم لم يغضبوا منها لأنهم استطاعوا أن يلاحظوا أن الملك النورمندى قد ترك فى البلاد نظاماً إداريا رشيداً بتولية الشيخ أبى يحيى بن مطروح التميمى حكمها ، كما ولى قضاء المدينة أبا الحجاج يوسف بن زيرى البربرى[4] . كذلك « استقامت أمور

---

(١) وهاك ماذكره ابن الاثير : « . . فلما كان فى اليوم الثالث سمع الفرنج فى البلد ضجة عظيمة وخلت الاسواق من المقاتلة ، وكان سبب ذلك أن أهل طرابلس كانوا قبل وصول الفرنج اليهم بايام يسيرة قد اختلفوا ، فأخرج طائفة منهم بنى مطروح ، وقدموا عليهم رجلا من الملثمين قديم يريد الحج ومعه جماعة ، فولوه أمرهم . فلما نازلهم الفرنج أعادت الطيفة الاخرى بنى مطروح ، فوقع الحرب بين الطائفتين وخلت الاسواق ، فانتهزت الفرنج الفرصة ونصبوا السلالم وصعدوا على السور ، فاشتد القتال ، فملكت المدينة عنوة بالسيف ، فسفكوا دماء أهلها وأخذوا نساءهم وأموالهم ، وهرب من قدر على الهرب ، والتجئوا الى البربر والعرب ، ثم نودى بالامان فى كافة الناس ... » راجع « المكتبة العربية الصقليه » ص ٢٨٩ .

(٢) « المكتبه العربيه الصقليه » ص ٤١٥ — ٤١٦

(٣) « المكتبة العربية الصقليه ص ٣٨٨ »

(٤) هو صاحب المؤلف المعروف بالكافى فى الوثائق (التيجانى فى « المكتبة العربية الصقلية » ص ٣٨٩) .

المدينة وألزم أهل صقلية والروم بالسفر إليها ، فانعمرت سريعاً وحسن حالها » [1] .

وكانت حالة الازدهار التى سادت مدينة طرابلس الغرب حالة استثنائية فى ذلك الوقت ، إذ أن سائر بلاد إفريقية كانت تشكو من حالة غلاء شديد ، وكان هذا الغلاء عنيفاً جداً حتى أكل الأهالى بعضهم بعضا كما يتضح ذلك مما ذكره ابن الأثير إذ يقول : « وفيها (أى فى سنة ٥٤٢) اشتد الغلاء بافريقية ودامت أيامه ، فان أوله كان سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ، وعظم الأمر على أهل البلاد حتى أكل بعضهم بعضاً ، وقصد أهل البوادى المدن من الجوع ، فأغلقها أهلها دونهم ، وتبعه وباء وموت كثير حتى خلت البلاد . وكان أهل البيت لا يبقى منهم أحد ، وسار كثير منهم إلى صقلية فى طلب القوت ولقوا أمراً عظيما » [2] .

وكان من أثر ازدهار الحياة فى طرابلس الغرب أن لجأ إليها عدد كبير من أهالى صقلية على حين كانت الشعوب الجائعة فى بلاد إفريقية الأخرى تهاجر إلى جزيرة صقلية طلبا للعيش الذى حرموه فى بلادهم .

وفى هذه الأثناء كان رودجيرو يدأب على تنفيذ مشروعاته فى إفريقية . وقد سقطت فى يده مدينة قابس ، التى ظلت بعد موت راشد [3] فى سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧—١١٤٨ م) فى يد مولاه يوسف ، الذى حكم البلاد باسم محمد بن راشد الأصغر بعد أن طرد منها معمر بن راشد الأكبر .

ولما أصبح يوسف مهدداً من ناحية بنى قرة بسبب اغتصابه امرأة من نسائهم [4] ، ومن ناحية الحسن الذى لم يرد الوقوف ساكنا أمام جرأته فى طرد

---

(١) المكتبة العربية الصقلية ص ٢٩٠ ، عن ابن الأثير .
(٢) المكتبة العربية الصقلية ص ٢٩٢
(٣) خلف راشد فى الحكم رافع بن مكن بن كامل الذى أشرنا اليه قبل .
(٤) لجأ بنو قرة الى الحسن الذى كان يظن أنه يستطيع أن تكون له كلمة وأن تكون له سلطة والذى أمر يوسف بأن يرد المرأة الى أهلها ، ولكن يوسف رفض طلبه . وكان من أثر هذا الرفض أن أخذ الحسن يستعد للحرب . وعندئذ أعد يوسف العدة لخيانة بلاده .

معمر ، على ما ذكره ابن الأثير : « إلى رجار الفرنجى صاحب صقلية وبذل له الطاعة، وقال له: أريد منك خلعة وعهداً بولاية قابس لأكون نائباً عنك كما فعلت مع بنى مطروح فى طرابلس ، فسير إليه رجار الخلع والعهد ، فلبسها ، وقرئ العهد بجمع من الناس » [1] .

وهنا نجد مرة أخرى مسلماً يلتجىء إلى طلب المساعدة من المسيحيين ليشبع رغبته فى التسلط والحكم ، ولو كان ذلك على حساب أبناء جلدته من المسلمين . وقد استهجن ابن أبى دينار المؤرخ التونسى الذى عاش فى القرن السابع عشر هذا المسلك الذى سلكه يوسف إذقال: «...أعوذ بالله من الخذلان، وإلا كيف تعد هذه الطائفة من حزب المسلمين، وإنما هى حزب الشياطين، ولكن حب الدنيا والرياسة ألجأهم إلى هذه الرذيلة وحب الدنيا يعمى ويصم » [2] .

ولما كان تاريخ كل شعب مليئاً بسير عظماء الرجال ، فانه لايخلو أيضاً من الضعفاء والخاملين . وهذا ماجعل فى تاريخ المسلمين الذى نرى فيه إلى جانب شخصيتى ابن الثمنة ويوسف الخائنين أمثلة للتضحية والنبل ، كأبى الحسن الحسين الفرايانى وابنه عمر اللذين سطرا صفحة من صفحات المجد فى تحرير مدينة سفاقس فى سنة ٥٥١ هـ (١١٥٦ م) [3] .

وإذا كان المسلمون لم يتمكنوا من الانتقام من يوسف الخائن نفسه، فانهم تمكنوا من صب لعنتهم وإظهار سخطهم على رسوله الذى رجمه الناس بالحجارة ، لأنه قد صدرت عنه بعض كلمات نابية فى حق الحبسن [4] .

وتدلنا هذه الحوادث على أن الشعب كان فى تلك البلاد لايزال محتفظاً بتقاليد الشرف، التى لاشك أن رؤساءهم قد تناسوها فى بعض الأحيان أوقدموا

---

(١) المكتبة العربية الصقلية ص ٢٩٠ — ٢٩١

(٢) المكتبة العربية الصقلية ص ٥٣٨

(٣) راجع ابن الاثير (المكتبة العربية الصقلية ٣٠١—٣٠٢) حيث نقرأ ماذكره عن الحادث الذى ظهرت فيه شجاعة الابن وروح التضحية من جانب الاب .

(٤) وهذه القصة كانت هامة فى نظر المؤرخ لدرجة أنه وصفها تحت هذا العنوان «ذكر حادثة ينبغى أن يحتاط العاقل من مثلها » (المكتبة العربية الصقلية ص ٢٩١—٢٩٢)

أطماعهم الشخصية عليها . ولكن إذا كان الجناة فى بعض الأحيان يستطيعون الهرب من العقاب والتخلص من غضب الشعب ، فإن ذلك لا يحدث دائما ، بل لابد من وقوع هؤلاء تحت طائلة العقاب : وهذا ماحدث ليوسف الذى مات ميتة شنيعة بأيدى بنى قرة الذين لم يكونوا قد نسوا مافعله باحدى نسائهم كما أشرنا إلى ذلك من قبل [1] .

وبينما كان أسطول روچيرو يتنقل من صقلية إلى إفريقية ، خطر بباله أن الوقت قد حان للانقضاض على مدينة المهدية واحتلالها [2] . وقد حدث فعلا أنه فى سنة ١١٤٨ م هاجم جورج الأنطاكى حاضرة بنى زيرى ، ووصل اليها دون أن يستطيع تحقيق الخطة التى كان قد رسمها للوصول إليها من غير أن يشعر به أحد . ولما بلغ المدينة أرسل إلى الحسن رسولا يقول له: « إنما جئت بهذا الاسطول طالبا بثأر محمد بن رشيد صاحب قابس ورده إليها ، وأما أنت ، فبيننا وبينك عهود وميثاق إلى مدة ، ونريد منك عسكراً يكون معنا » [3] .

عند ذلك اضطربت أحوال الحسن ، وجمع كبار العلماء والأعيان لاستشارتهم فى الأمر، فنصحه بعضهم بالدفاع عن المدينة . ولكن هذا الأمير كان يشعر بأن نجمه آخذ فى الأفول وأنه من العبث أن يلجأ الى القوة ، لأن عساكر الحسن كانت فوق قلة عددها تكاد لا تكفيها المؤن لأكثر من شهر . لذلك لم يأخذ برأى هؤلاء الذين أشاروا عليه بالقيام بمذبحة لا فائدة منها . وفى نفس الوقت لم يقبل اقتراح جورج الأنطاكي الذى كان يقضى بالانضمام إلى المسيحيين لمحاربة إخوة المسلمين . وقد أبدى رأيه هذا لكبار الفقهاء والأعيان فى كتاب ينطوى على التحذير عن موقف يشبه موقف

---

(١) للتوسع فى أخبار الميتة الشنيعة التى ماتها يوسف والعذاب الذى عذبوه اياه ، راجع ماذكره كل من ابن الاثير والتيجانى (« المكتبة العربية الصقلية ص ٢٩١و٣٨٤ ») .

(٢) يلاحظ فى المسلمين ميل خاص للاشارة الى أن رودجيرو قد قرر مهاجمة المدينة عندما اشتدت وطأة الغلاء فيها (راجع ابن الاثير فى « المكتبة العربية الصقلية » ص ٢٩٢) .

(٣) ابن الاثير فى « المكتبة العربية الصقلية » ص ٢٩٣

ابن الثمنة فى صقلية وموقف يوسف فى قابس اللذين كانا قد أصبحا آلة فى يد النورمنديين. وقد قال الحسن لأعيان المدينة حين كان أسطول جورج الأنطاكي رابضاً فى مينائها : « . . . وأنا أرى سلامة المسلمين من القتل والأسر خيراً من الملك، وقد طلب منى عسكرا إلى قابس. فان فعلت فما يحل لى معونة الكفار على المسلمين ، وإن امتنعت يقول انتقض ما بيننا من الصلح . وليس يريد إلا أن يثبطنا حتى يحول بيننا وبين البر، وليس لنا بقتاله طاقة. والرأى أن نخرج بالأهل والولد ونترك البلد ، فمن أراد أن يفعل كفعلنا فليبادر معنا » [1] .

لم يجد الحسن بداً من الهرب : وكانت الأسباب التى ذكرناها تبرر هذا المسلك الذى سلكه أمام رعاياه ، وفى طريقه تقابل مع ابنه علىّ الذى لحق به حين علم بهرب أبيه . وبعد مدة قصيرة سقطت مدينة سوسة التى كان يحكمها علىّ فى أيدى النورمنديين كما سقطت مدينة سفاقس من قبل ، ولكن بعد أن بذل هؤلاء النورمنديون جهد أكبيراً ، ودفعوا ثمن احتلالها غاليا .

عند ذلك توقفت فتوحات رودجيرو للمدن الساحلية الاسلامية ، التى كانت قد تمت فى فترة وجيزة ، والتى امتدت من مدينة طرابلس الغرب إلى رأس بونه . وقد يبدو غريبا أن ما حدث من قيام المسلمين من إفريقية بفتح صقلية قد حدث مرة أخرى . ولكن ذلك كان يختلف عما حدث فى المرة الاولى ، إذ عاد المسيحيون من صقلية وفتحوا المدن الاسلامية بنفس الطريقة التى تم بها الفتح الأول منذ ثلاثة قرون .

وهكذا نختتم هذا البحث كما بدأناه بملاحظة جديرة بالنظر لاحظها صديقنا الاستاذ فرانتشسكو جابريلى إذ يقول : « قد ارتبطت صقلية ببلاد المغرب (بلاد الأندلس وإفريقية الشمالية وبعض النواحى من مصر أيضاً) ، بسبب موقعها الطبيعى والجغرافى، وبسبب بعض التطورات التاريخية. فمن هذا المغرب جاء الغزو الاسلامى . كما اتجهت إليه حركة الهجرة من الجزيرة إثر الغزو النورمندى . ولقد اشتركت كل من صقلية وبلاد المغرب فى بعض الميزات

(1) ابن الاثير فى المكتبة العربية الصقلية ص ٢٩٤

الاجتماعية والثقافية . مثال ذلك وجود بعض العناصر العربية والبربرية المختلفة ، سواء أكان ذلك من ناحية الفاتحين أم المستعمرين . أضف إلى ذلك وجود المذهب المالكى الذى كان سائداً فيها وفى بلاد المغرب الاسلامى كلها . هذا فضلا عن الأساليب والأشكال الفنية التى يمكن فهمها من الفن العربى النورمندى أكثر مما يفهم من الأطلال القليلة التى بقيت من العهد الاسلامى فى الجزيرة »[1] .

ومهما يكن من شىء فان النظام الذى تركه النورمنديون فى مدن إفريقية الشمالية التى احتلوها ، كان مرضياً عنه تمام الرضا ، كما نقرأ ذلك فى تاريخ ابن أبى دينار بصدد كلامه على مشروعات رودجيرو الأخيرة إثر احتلال المهدية وسوسة وسفاقس[2] .

وبهذا تنتهى فترة الفتوحات الكبيرة التى قام بها رودجيرو فى إفريقية ، التى كرس لها سنى حياته الأخيرة قبل وفاته (١١٥٤ م) لتدعيم سلطة بنى حماد وبنى زيرى التى كانت قد بدأت تتحطم تحت قوة الموحدين . وقد عهد بهذا الأمر الى قائده فيليب من المهدية . ومن الصعب أن نحكم على أعمال رودجيرو الثانى . وليس على من يريد تحقيق ذلك إلا أن يقرأ الصفحات الأولى من كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » للادريسى الذى يطلق عليه اسم « المعتز بالله » و « المقتدر بقدرته » . وليس أدل على ما كان يتصف به رودجيرو من فضائل من تلك العبارات التى نختتم بها مقالنا ، والتى ذكرها الادريسي إذ يقول : « هو خير ملك الروم بسطاً وقبضاً ، وصرف الأمور على إرادته إبراماً ونقضاً ، ودان فى ملته بدين العدل ، واستمل عليهم بكنف التطول والفضل ، وقام بأسباب مملكته أحسن قيام ، وأجرى سنن دولته على أفضل نظام وأجمل قيام . . . »[3] .

---

(١) F. Gabrieli, *Ibn Ḥamdīs*, Mazara 1948, pp. 8-9.

(٢) « المكتبة العربية الصقلية » ٥٣٩ — ٥٤٠

(٣) F. Gabrieli *Ibn Ḥamdīs*. pp. 8-9.

(٤) « المكتبة العربية الصقلية » ص ١٥

تم طبع هذه المجلة فى عهد حضرة صاحب الجلالة
الملك "فاروق الأوّل" بمطبعة جامعة فؤاد الأول
فى ١٤ من شعبان سنة ١٣٦٨

محمد زكى خليل
مدير مطبعة جامعة فؤاد الأول

Fouad I University Press.
18-1949-560 ex.

was originally placed over them as a protection against the heat of the sun.

A conduit or drinking trough comes out at an angle from the smaller cistern towards the road. 5 or 6 yards of it are covered by the modern excavation, but the last 4 or 5 yards that abut on to the road can be clearly seen. It consists of a low stone base-wall about a yard wide, with the remains of a runnel 1 foot wide (inside measurement) built along the top of it.

The possible well-area, between the larger cistern and the road, is only 10–15 yards in diameter, scattered with excavated material (both ancient and new) highest around its edges. Lying on top of the first-excavated shaly stuff are larger pieces of Nubian Sandstone rock which may have been dug out of the well shaft at a level below the overlying shales.

In the little side wadi that finally emerges into W. Greiya and the Roman station there one would expect to find waggon tracks in plenty, but here unfortunalely they have been confused by the very large number of camel tracks, themselves of great age. One undoubted pair of wheel tracks was however seen, about 7 feet 6 inches in span, and followed clearly for 200 or 300 yards.

The long and steep descent into the W. Merkh drainage, though easy no doubt for waggons going down it in the Qena direction, would surely be avoided by those returning to the mountains. In a small tributary of W. Merkh (see map × 4) another, much smaller well was found. The shaft is rectangular, roughly 7 × 9 feet, and from the wadi level to a depth of about 3 feet it is built of Nubian Sandstone and igneous rocks which seem to be cemented with mud. Under this stonework, the sides of the shaft seem to be bare, down to the blown sand that fills its lower depths. There are no clear signs of buildings round the well, the tippings suggest it was not very deep, and until the pottery specimens that were collected are properly examined, one cannot be sure that the well was Roman.

At point × 5 on the map, adjoining the rough modern car tracks, there is another very small Roman station, only a few kilometres above Greiya itself. It consists of two cisterns, a small conduit, and a confused area of tippings and loose stones that may conceal the ancient well. The cisterns are sunk into the side of a low hill of Cretaceous shales. The larger one is almost completely obscured on the surface, but Arab treasure-hunters have dug down through the hill immediately behind it (they must have thought it was a grave) and pierced its inner wall at its base. This excavation shows the cistern to have been about 10 feet deep and about 6 feet wide and long. The pierced wall is 1 foot 6 ins. thick, well built with small stones and plenty of lime, with an outer row of burnt bricks to its full height on the side against the hill, and faced both inside and out with a well-preserved plaster of lime. The smaller cistern, 6 feet away on the S.W. (Greiya) side, is 4 × 5 feet at its top, which like that of the larger one is level with the ground outside. It has no cover, the interior being quite open to view to a depth of about 6 feet down to the sand that fills its bottom, and the lime facing its sides is also in excellent preservation. Reaching up above each of the cisterns a thin half-circle of lime is still embedded in the soft shale of the backward-sloping hill, suggesting that some sort of lean-to roof

the lines and drinking at the troughs, while the occupant of that little room in the centre sat on the doorstep and read his newly-arrived letters from home. I left them there, in their own silence, in that place of drifted sand that sparkled bare beneath the flashing, liquid blue of heaven, and walking down the wadi once again and admiring the delicate blue-green of the wormwood bushes that had colonised the winding seyl, I suddenly saw two pairs of waggon tracks, 7 feet 6 inches and 9 feet in their span! What route did the waggons follow? Did they go right down W. Abu Zawal into Wadi Faṭirî as far as the plain and then skirt the latter, keeping on its harder pre-Cambrian edges, to reach this new station? From now onwards at any rate there is proof that they crossed this Eastern end of the Negateir plain and dropped down into Wadi Merkh to reach Bir Greiya.

Crossing the Negateir plain southwestwards from here (see Map), one comes to the watershed and the steep descent into the W. Merkh drainage system. About a kilometre short of it, still in the Negateir plain, is a large, hitherto forgotten well (X 3 on Map). Originally a large depression 50–100 yards in diameter, it is now almost full of sand, being only 5–10 feet deep, but the original excavated material still forms a wide circle round it. There are scanty signs of walling and a little lime on the south side, almost completely covered by blown sand. The well-depression proper, inside the larger circle, seems to have been about 20–25 yards in diameter. Some pottery is lying about, but no doubt much more of it, with the plan of the site as a whole, is covered by the drifted sand.

During the walk across the plain what appeared to be wheel tracks of the necessary width were seen on little stretches of raised gravel, but they were so short and faint that one could not be sure they were Roman waggon tracks. But here, just short of the well two pairs were clearly seen, one 7 feet 6 inches wide and the other over 8 feet, and they seemed to be coming from a more northerely direction than I had followed, roughly from the point where W. Faṭîri enters the plain.

The aqueduct (*D*) runs for about 60 yards from the well area to the drinking troughs. It is obscured in places (at its southern end) by drifted sand and gravel tipped up from the well. It consists of a low base-wall of stone (about 2 feet wide), with the remains of burnt bricks and lime resting on it along most of its course. The water-channel cannot have been more than a foot wide (inside measurement), perhaps not more than 6 inches.

The troughs (*E*), about 60 yards long, and built of yellow and red burnt bricks and lime, are in a fairly good state of preservation. Differently coloured igneous pebbles are stuck into the white lime on top, forming a line right along the inside rim. Blown sand now fills parts of these troughs but divisions can be seen at intervals of 24, 12, 12, 6, and 4 yards from East to West. The west end is broken and abuts on to the seyl. The average height of the troughs is perhaps 2 feet, there being 5 or 6 rows of bricks visible on the outside, which in many places still has its original coating of lime clinging to it.

The animal lines (*F*) were low loosely-built walls a yard wide, now almost level with the ground. No great care was taken in their alignment as some begin to wind slightly from the straight towards the ends away from the troughs. There seem to be other animal lines (*G–J*) on the south side of the troughs, of which *H* and *J* show only very scanty remains.

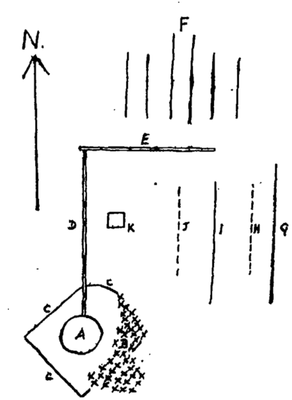
In the angle formed by the aqueduct and the troughs is the ground-plan of a rectangular structure which from the number of its fallen stones seems to have been high enough for a room—the only one apparently in the whole station.

The absence of any signs of ancient wheel-tracks between Abu Zawal and this attractive little hydreuma seemed to suggest it had never been a station for the waggons. Here, I said to myself, just inside the igneous hills, was the quiet resting-place of pack-animals carrying up provisions to the Claudianus quarries in Mitgâl. I could see the camels or mules (or both) eating in

the shaft, but on the East side the stone walling is still seen where the water-raising apparatus no doubt was. The top of the well-depression still has a line of stones showing round its circumference. The surrounding wall of the well area is mostly hidden on the East side by piled-up gravel, the result probably

INTERMEDIATE STATION BETWEEN ABU ZAWAL AND GREIYA

A. The well-depression.
B. Material later excavated from the well.
C. Walls enclosing well area.
D. Aqueduct.
E. Troughs.
F. & *G*.-*J*. Animal lines.
K. Remains of a room ?



0 10 20 30 40 50
YARDS

of a much later attempt to re-excavate the shaft. Two or three rows of stones are still standing all along the west side (*C*) and they show that the wall was about a yard wide. A stretch coming round from the East side to meet the aqueduct is a curve about 15 yards long.

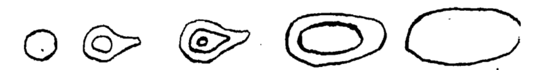
No washing tables or circular, rotatory mills, generally used in earlier times in the last stages of gold mining, were seen ; but only a very short time was spent in the wadi and the area would no doubt repay careful investigation.

Having crossed this part of W. Hadrabia, still moving roughly southwards, one follows the old camel tracks for about a mile up a branch wadi where they converge towards a watershed that seems impossibly steep for heavy waggons, whose tracks are nowhere visible. Crossing the divide, one descends with the camel tracks into a southward-running wadi that about half-a-dozen miles farther down leaves the last pre-Cambrian hills and flows out into the Eastern end of the Negateir plain and eventually joins W. Negateir itself. It is called, Mr. Murray tells me, Ṭal'et El-Zerqa. At a place just before it leaves the granite is an intermediate hydreuma or watering-station, and as no recognisable reference has ever been made to it by former writers a plan of it is given here. Barron and Hume do indeed give the following brief description of a station located vaguely in this area : " At the southwest extremity (of what area, is not very clear), near the El Nagateir plain, are ruins of stables (?) with a long cement-lined trough that appears to have been supplied with water from a now filled-up well, through earthenware pipes laid on a low stone wall. The pipes are of coarse-ribbed pottery and coned at each end..." (Geography and Geology of the Eastern Desert of Egypt, Central Portion, page 41). The only detail here described (a conduit of earthenware pipes) is absent in the station that I came to. Perhaps Barron and Hume are indicating a place more to the N.W. in the region where W. Faṭîri emerges into the plain, where one would expect to find a station, especially if a road to Greiya southwards branched off there from the road going westward to Sâqiya.

In this new station (see Plan), the well-depression (A) is about 15 yards in diameter and is still about 15 feet deep. The blown sand coming in from the North side has filled and covered

absent, or obscured, or only just beginning. The crushing side bulges slightly and is smooth but in places uneven, the kind of surface that a pounding action might produce. In the centre of the bulge there is a shallow, roughly circular, but pitted and quite uneven depression that even more strongly suggests some kind of percussive action at the main point of impact. Could this type have been used as a sort of double-handed flail or hammer for crushing larger pieces of rock placed on a stone table, and so producing material to be more finely comminuted later? If so, such a primitive tool would suggest that these workings are much older than the Roman period. (Before incorporating these stones into the walls of the Abu Zawal camp the later Roman builders usually knocked off their handles to make them more tractable as building material; unless inded they were mutilated by the early workers themselves when they abandoned the site, to prevent their subsequent use by others).

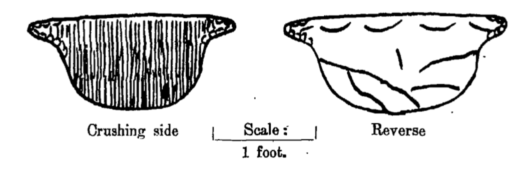
The examples seen in W. Hadrabia were mostly nether grindstones. The reverse side is less carefully shaped, the stones as a whole seemed larger, and the way some of them are embedded in the sand almost suggests they are still 'in situ', with the flattened upper surface very little above the level of the ground. The depression in this smoothed surface is seen in all stages of development and one wonders what kind of upper stone was used to produce it. It seems to start as a small, shallow, circular pit, which tends to elongate and deepen itself smoothly with use, the actual centre of the depression for some time sinking more steeply than its shelving upper sides. The different stages seem to be roughly as follows:—



The way in which the hollow grows suggests that greater force was used in one direction than in the other.

This pass is an impossible one for vehicles as deep passage ways have been worn down into the decomposing rock by the feet of camels throughout the centuries, but there are other low divides in the vicinity that the Roman waggons could no doubt have used if they came this way.

Crossing W. Hadrabia at an angle southwards one passes through the very ruined remains of ancient buildings which, if carefully examined, might furnish valuable evidence of the people who lived and worked there before Abu Zawal became a Roman road-station from the Claudianus quarries. The ground both inside and outside the buildings is strewn with the grindstones of the old rock-crushing activities. These stones seem to differ in some ways from the types used in ancient gold-mining described by former writers. Those seen in and around the Abu Zawal station are mostly of the 'upper' type and most of them are shaped thus:—



Crushing side — Scale: 1 foot. — Reverse

The crushing side is convex with a not very pronounced curve and the perpendicular lines or striations show that when gripped by the carefully prepared handles the stone was moved forwards and backwards in a straight line and not round in a circle. The reverse side is only roughly chipped into shape, and the average thickness of this type of stone through its centre is about 4–6 inches.

There seems to be a sub-variety of this type of stone, however, of similar size and outline and with the same kind of handles, in which the lines of a regular reciprocatory movement are either

NOTES ON A RECENT JOURNEY FROM ABU ZAWAL TO THE GREIYA STATION

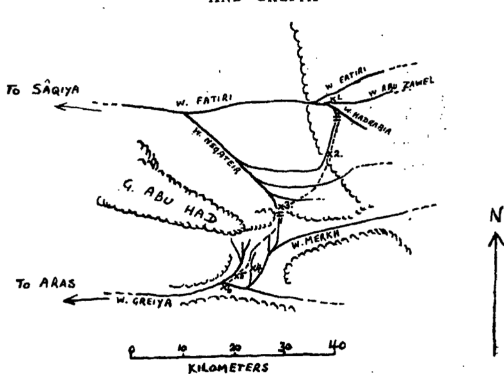
II

BY

L. A. TREGENZA

From the Abu Zawal station southwards, up the little side wadi immediately opposite, a 10 minutes walk brings one to a small watershed on the right that leads down into Wadi Hadrabia.

DISTRICT BETWEEN STATIONS OF ABU ZAWAL AND GREIYA



X 1. Abu Zawal Station. X 2. Intermediate Station.
X 3. Large Roman well. X 4. Small well Roman?
X 5. Roman cisterns, etc. X 6. Greiya Station.
. . . . Route followed.

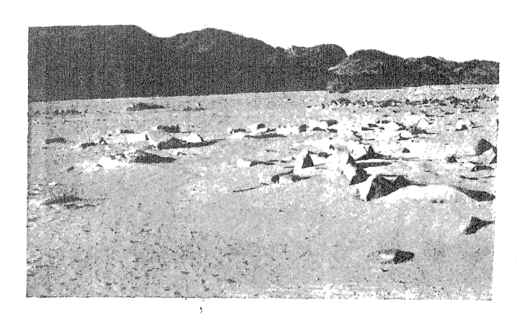


PLATE IX
Small station in W. Faṭiri el-Beiḍa near the pass into W. Abu Zawal.

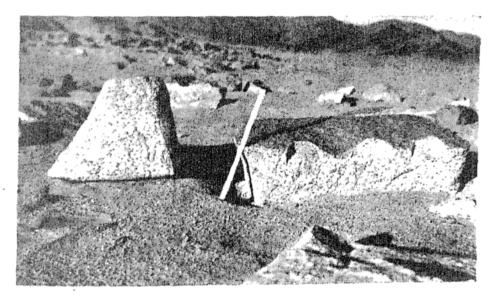


PLATE X
Small station in W. Faṭiri el-Beiḍa near the pass into W. Abu Zawal.

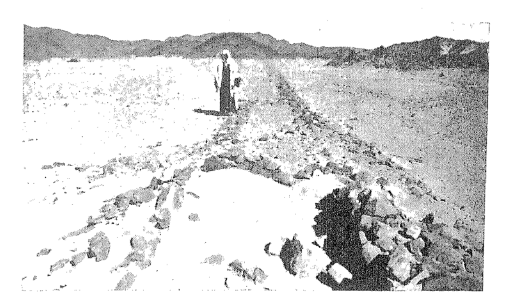


PLATE VII
Troughs at Abu Zawal Station.



PLATE VIII
The small branch wadi running down into W. Abu Zawal
from the W. Fatiri el Beida divide.

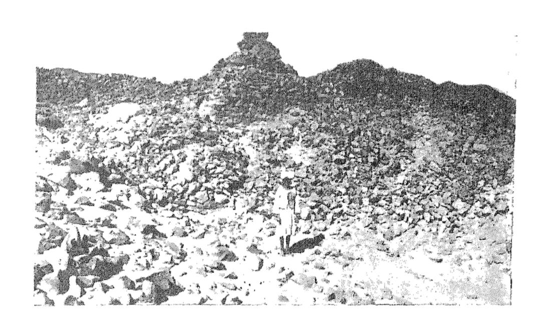


Plate V
'Shadouf wall' at Abu Zawal Station.



Plate VI
Cistern at Abu Zawal Station.



PLATE III
Waggon tracks in Nagateir Plain.

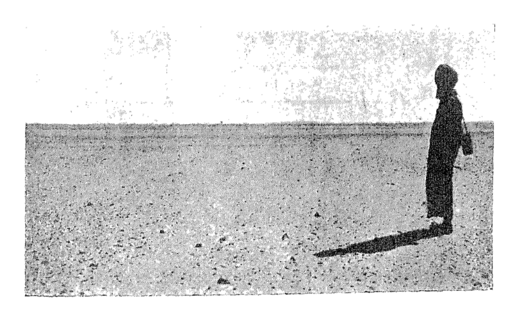


PLATE IV
Waggon tracks in Nagateir Plain.

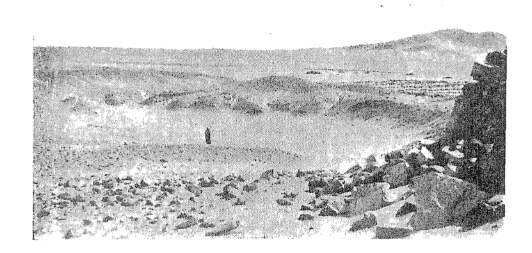


PLATE I
The second smaller depression with conduit on its far side, leading towards the animal lines on the right. El Sâqiya station.

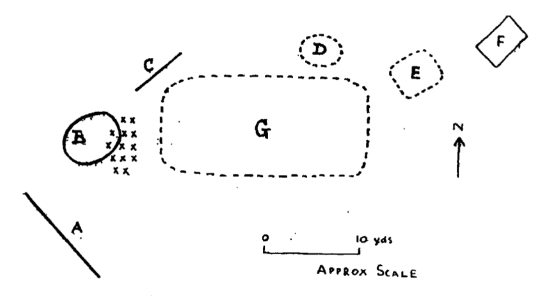


PLATE II
Abu Zawal: view of central station.

it appears likely that some rough blocks were carried away to be more carefully shaped later. The present spot, before the first of several uphill hauls, would be a likely one for this work to be done.

No support is given, either above or below the station in W. Abu Zawal, to the probability that the blocks were hauled that way. There is however, in this part little of the gravel surface in which, as we have already seen, ancient tracks are best preserved. It is possible that a careful search along a route roughly south from Abu Zawal to Qreiya, (across two furthe watersheds marked *D* and *E* on the sketch map given above) will provide evidence of an ancient waggon road. As the distance is too great to be without a hydreuma or one or more intermediate watering stations, some evidence of this kind may also be found. This part of the present study will be completed in another section.

The blocks lying about are rough-hewn and they present a slightly weathered surface, enough to indicate their antiquity. The vague remains on this curious little station seem to indicate a post where, faced with the first of a series of climbs over local water sheds, a final dressing of roughly carved blocks took place to



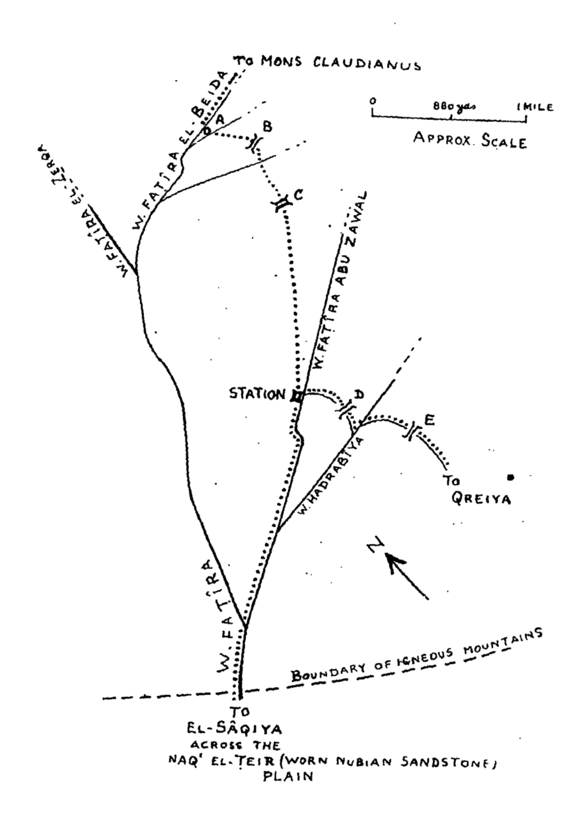
A. Ruins of a wall? (Length 12 yards; no height).
B. Ruins of a wall? (Diameter 6 yards).
C. Wall? (6 yards).
D. Confused group of stones.
E. Scanty alignment of stones.
F. Ruins of a room? (3×5 yards).
G. Area in which blocks of Claudianus rock are lying half buried in sand (length about 20 yards).
xxx Ground covered with small chippings of Claudianus rock.

reduce weight to the minimum. The little building marked *B* was apparently the spot where this work was done. The blocks scattered about the area *G* (see Plates IX and X) appear to follow no particular pattern. As they are relatively small and show typical wedge marks, it appears that what is here seen is the material cut off larger blocks, which would later be worked at the spot marked *B*, as the heaps of chippings indicate. Although ample evidence at Mons Claudianus shows that the stone was worked into practically finished works at the quarries themselves,

quarrying. This might apply also in the case of Abu Zawal, as many grind-stones are seen built into the enclosure walls, and the enclosure itself, at least in part, seems to be built on the fine-ground, pinkish-brown silt tippings (shown in Plan 1 on the downstream side of the enclosure). The precise dating of the activities referred to in this paragraph cannot be determined without further evidence and study on the spot.

The question that arises at once, on first coming upon the station is, "Why is it in W. Abu Zawal rather than in W. Fatîra el-Beiḍa which was the road down from Mons Claudianus?" The answer seems to be supplied by the presence of the silt mounds, grindstones and scoria described in the preceding paragraph. The well would thus seem to belong to a period of activity ealier than the opening of the quarries at Mons Claudianus and G. Dokhân. A road from the quarries would make for the well, either by following the great W. Faṭîra el-Beiḍa to its junction with W. Abu Zawal and following the latter up-stream to the well, or by crossing a low divide from one to the other at a point some three miles upstream from the station (Plate VIII). The sketch map given below shows roughly the relative distances and directions.

The site at *A*, where the track leaves W. Faṭîra el-Beiḍa will be described presently. Short stretches immediately before the two watersheds at *B* and *C* present, especially for waggons, rather steep rises, particularly at *C*. Most of the rest of this undulating road has, except when crossing the two wadi beds, a fairly hard surface. We have already seen earlier, at one spot in the narrows of Bâb el-Mukheiniq, that a rise across a hard road surface was used in preference to a level road on the soft sand of a wadi bed. The small site at A offers the first convincing proof of the use of this road for the haulage of Mons Claudianus rock. The following is a rough sketch of the spot.


To Mons Claudianus
0
880 yds
1 Mile
Approx. Scale
W. Fatîra el-Beida
W. Fatîra el-Zerqa
A
B
C
W. Fatîra Abu Zawal
Station
D
E
W. Hadrabiya
To Qreiya
N
W. Fatîra
Boundary of Igneous Mountains
To El-Sâqiya across the Naq' el-Teir (worn Nubian sandstone) plain

The areas left empty on the Plan between the rooms of the main enclosure are strewn here and there with stones, and on the east and north sides, where the space around the depression is narrow, the shelving is steeper. The sloping passage down to the floor of the depression is shown on the Plan. The ruined building marked *C* on the Plan (the highest in the fort) appears at first to be circular (diameter 7–8 yards). Further examination reveals that the original structure, largely covered by the stones that have fallen from its top, was a rectangle of smaller dimensions, and therefore still higher than it is now. Was it merely a look-out tower? This possibility is made stronger by the fact that the Abu Zawal enclosure, unlike other stations shows no clear signs of having a normal gateway, flanked on each side by a tall tower, with a staircase inside leading to an upper room. All the desert stations (except Myos Hormos) had one gateway only. It is hoped to obtain a clearer picture of this aspect of the Zawal station after a further examination on the site, particularly at the south-west gap (see Plan 2), which seems a likely place for the gateway.

A number of walls at the foot of the hills bounding the south side of the wadi (see Plan 1, at *C*) suggest the possibility of animal lines. There are, however, no indications of the interior dividing walls that are a normal feature of these structures elsewhere.

Across the wadi, on the north side, there is a circular wall built round the summit of a little hill, with ruined rooms inside (*B* on Plan 1). Further up-stream, still on the north side, there is about an acre of very low, worn hill, covered with gravel, which is everywhere pitted and strewn with slag and minute pieces of charcoal. This evidence of smelting is not clear. The analogy with similar remains in W. Ma'amil at G. Dokhân (near the lower well in the side wadi, north of the main fort) suggests Roman work. Certain indications at the Dokhân settlement suggest that the smelting of ore for metal was earlier than the

ABU ZAWAL LINE OF TROUGHS

WIDTH OF TROUGH 3' 6" – 4' 0"

END

TOTAL LENGTH DISCERNIBLE 150 YDS.

SINGLE STONES ONLY, GETTING FEWER AND FEWER

END

SEYL

REMAINS OF LOW WALL

ISLAND GRAVEL BANKS AND TIPPINGS

CISTERN

STATION

N.

0 10 20 30 40 50

YARDS APPROX. SCALE

PLAN 3

high rushing torrents. A similar wall is seen, facing up-stream, at the ruins, now called Deir Un Sidri (Wilkinson's "Dehr Umyessur") in the rising valley of that name that leads up to W. Ma'amil and the porphyry quarries at Dokhân.

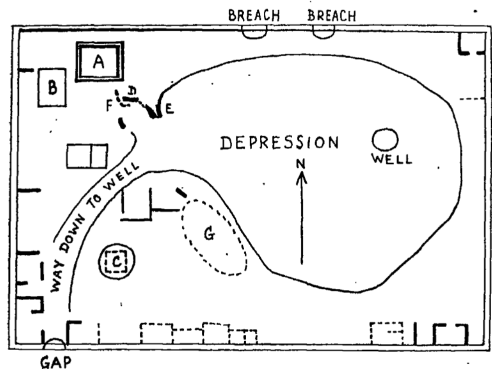
The long line of troughs follow the wadi flow on the north side of the main enclosure (Plan 3). They measure about 150 yards long and about 4 feet wide. They resemble those at Deir el-Aṭrash and elsewhere in being divided into compartments, but the partitions are not so well preserved as at El-Aṭrash, where the communication between compartments can be seen to consist of a hole (about the size of a clenched hand) at the bottom or an overflow channel across the top. The inside plaster is still visible at Abu Zawal, in the best preserved part (the down-stream end) of the line of troughs, to a height of a foot or more (Plate VII). In one respect these troughs resemble less the relatively short drinking troughs seen at El-Aṭrash, at El-Ḥêṭa and at the lower well of the G. Dokhân porphyry settlement, than the long, low 'aqueducts' seen at the small water-station in W. Um Diqâl (near Mons Claudianus) and at Qreiya, all on the Mons Claudianus road as given by Mr. Murray. Whether there is any essential difference between the two kinds is a matter that must be left until these structures are more closely examined. A careful measurement of gradient at the long 'aqueducts' may throw a light on their function. In the case of Abu Zawal it seems fairly clear that despite their great length, we are dealing with drinking troughs. Their down-stream extremity ends abruptly and there are no indications of buildings at this point or further down-stream. Their up-stream end, which approaches the north wall of the main enclosure, is still separated from it by an intervening space. This end of the troughs has been nearly washed away and it is possible that there was once a runnel (as, according to Prof. Scaife, at El-Ḥêṭa) from the fort, thus making clearer the function of the tower (*B* on Plan) near the cistern, as suggested earlier in this essay.

which he considered to be "intended to serve as a foundation to the houses above and support to the earth at the brink of the well". In other words, a containing wall. Although the wall is indicated on Wilkinson's map as ending some yards from the well-shaft, it is clear from the words just quoted that he considered that the wall continued as far as and behind the well. Prof. Scaife confirms this on p. 74 by saying that the containing wall continues behind and beyond the well. As Wilkinson's plan shows traces of a "channel" (or conduit) leading from the well round towards the cistern, there seems to be some basis for Wilkinson's belief that the conduit carried the water to the cistern (although Prof. Scaife does not think this possible and gives his objections in a paragraph on p. 74). Traces of Wilkinson's plastered conduit are still visible above the well. The resemblance to similar plaster remains on the wall at Abu Zawal appears strong. It seems likely that the wall in both cases was used as a 'shadoof wall'.

The similarity is given further point when it is seen that the plastered conduit in each case appears to lead round towards a large cistern, near which is a high tower. It is certain that had Wilkinson been giving the legenda for a plan of Abu Zawal, the tower (*B* in the plan) would be described as a "Tower, probably for raising the water by poles or buckets as at the present day in Egypt", these being the words he used to describe the similar tower at Deir el-Aṭrash. The tower in the station at El-Ḥêṭa, may, as suggested earlier in this article, have had a similar function in relation to the existing cistern and the well may yet be found inside the enclosure. The cistern at Abu Zawal, which is about 10 feet deep, has an interior staircase along one wall and shows some of the original plaster. Most of the plaster, which is brownish in colour, has peeled off the walls (Plate VI).

The east wall of the enclosure, facing up-stream, shows evidence of having been much thicker than the others. This is not an unusual feature in stations built in mid-stream. A substantial wall on this side would be able to resist the occasionally

In support of this last supposition, it may be useful to recall the arrangement at Deir el-Aṭrash. Wilkinson's plan of the well depression inside this station shows part of a circular wall



PLAN 2

A. Cistern, 6×6 yds. (inside) — 10 ft. deep.

B. Solid tower, 5-6 yds. square. Depression in middle on top. Height about 7-8 ft.

C. Circular ruin, diameter 7-8 yds. Highest part of all the inside ruins.

D. High 'shadouf wall', with plaster showing half-way down.

E. High, thick wall, its worn end abutting on to the depression

F. (. . . .) Signs of plaster leading round from shadouf wall to cistern.

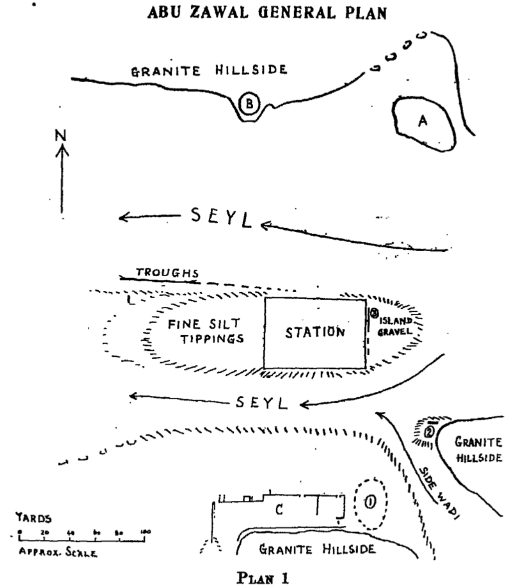
Depression, steep-sided, almost sheer on N. side, is about 20 ft. below the room level above.

Room walls are mostly ruined, breast high or more tumbled.

G. Confused area of ruined walls.

which there are signs of plaster leading round towards the cistern (plate IV). Was there some kind of shadoof or water-raising apparatus here? If so, there was probably a conduit leading to its foot from the well, and another leading from its top to the cistern.

ABU ZAWAL GENERAL PLAN



PLAN 1

A. Smelting area on low, pitted, rock-gravel mounds.
B. Circular ruins on low granite headland.
C. Animal lines?
(1) Confused stones area.
(2) Confused stones area near remains of a higher wall.
(3) Remains of thick, substantial wall.

Ch. 5) all suggest clearly that they travelled along W. Faṭîra el-Beiḍa from (in Lepsius's case, to) Mons Claudianus. Wilkinson (p. 32) describes briefly a "town to the left, consisting of about 25 houses" near a little worked quarry, but his timing from Mons Claudianus, in view of his slow progress to Qreiya, and his failure to report either a rectangular enclosure or a large depression make it virtually certain that he was describing, not Abu Zawal, but the small post at a "small, ancient quarry of fine, small-grained, grey granite" (Weigall, p.131), which can be seen in W. Faṭîra el-Beiḍa, about half-way between Abu Zawal and Mons Claudianus.

The only reference in the above works that can be reasonably assumed to be to Abu Zawal is that of Weigall (pp. 131 and 133) to a "Roman station differing very slightly from those already described". He considered it to be "the first night's halting place for express caravans on the road from that town Claudianus to Keneh".

If Mr. Murray's suggestion is correct and if the waggon tracks at El-Sâqiya give a true indication, it seems that the station at Abu Zawal may be the junction of two roads.

The main station at Abu Zawal (Plans 1 and 2) is a rectangle, 80–85 yards long and about 55 yards wide, built in the middle of the wadi on a raised gravel island. Quite a half of the interior is occupied by the great well depression and the dug-out path or lane leading down to it. Most of the rooms are built along the inside of the four bounding walls. The shaft of the well is a stone-built circle, about 4 yards in diameter, in excellent condition, with a good supply of water (slightly bitter) at a depth of 12–15 yards. The floor of the great depression in which the well-shaft is sunk must be about 20 feet below the floor level of the rooms above, and about 15 feet below the level of the *seyl* outside. At the bottom end of the lane leading down to the well, just before it enters the oval depression, there is a hollow on the left backed by a still fairly high wall (D in plan), half-way up

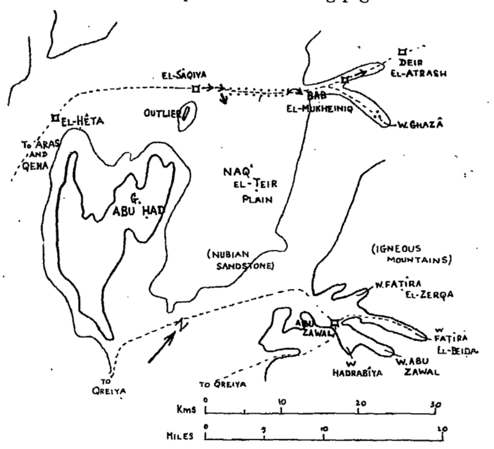
visible on the gravel surface. Within the first mile above the station it is impossible to say whether the tracks are from Dokhân or from Mons Claudianus. There are tracks about 9 feet wide. A clear view of the tracks rising over a raised gravel flat is seen in Plate II. The photograph is facing N.E. with Sâqiya a mile behind us. A little higher up the wadi and more to the East, there are plenty of tracks which lead straight to the east, up W. Naq' el-Ṭeir. In Plate III the parallel tracks are seen immediately in front of the guide, with others just visible on the left of the picture. The tracks here are rather over 7 feet wide. Other tracks are seen about 200 yards further up the wadi to the N.E. and still more are seen a few kms. higher up, leading to Bâb el-Mukheiniq.

Abu Zawal

As the ancient waggon tracks give clear indications of heavy traffic coming into the porphyry road from the east, it is as well to pass at this point across the Naq' el-Ṭeir plain to the station in W. Abu Zawal. It is a curious fact that whereas the stations in the W. Qena and its tributary W. el-Aṭrash have received a good deal of attention, their plans being published in some cases more than once, the station at Abu Zawal has been almost totally neglected and no plan or photograph has ever been published. Indeed, only one observer has ever mentioned it by name–this is Mr. Murray who named it "Abu Zawal, or Fatîrî" (1925 article, p. 148). He expressed the opinion that the road to Mons Claudianus followed the Albus Portus road as far as Qreiya, then branched northwards to Abu Zawal, this being the only station till Mons Claudianus was reached. He marked this road on his map of Roman roads, but did not indicate a road from Abu Zawal to El-Sâqiya.

Burton (Sept. 1823, MSS 25625 and 25628), Wilkinson (Jan. 1825, MS XXXVIII), Lepsius (1845, Letter XXXI), Floyer (1887 proceedings of the R.G.S.) and Weigall (1907, Travels,

than the other, has one great advantage in that it crosses no local watershed, but continues along a gentle gradient the whole way, whereas the more direct route (as a glance at Sheet 9 of the Egyptian Survey 1 : 500,000 maps will show) has a very steep drop from the W. Naq' el-Ṭeir into W. Merkh. This drop, especially for waggons making the return journey from Qena to Mons Claudianus, would present a very serious difficulty. It seems reasonable to suppose that the route followed on the downward journey was not necessarily the one used on the return to the mountains. Each route, however, has its special difficulties, which will be touched upon in the following pages.



The sketch shows the position of the Sâqiya station in relation to the Abu Ḥad outlier and the Naq' el-Ṭeir plain, which a road to Mons Claudianus would cross before turning into W. Faṭîra el-Beiḍa. The small arrows close to El-Sâqiya on the N.E. indicate the area where many ancient waggon tracks are

never do so for any distance and many of them together are always drawing closer to each other or further apart in a pleasantly irregular manner. A pair of wheel tracks shows no very sharp bends and of necessity keeps strictly parallel.

There are plenty of modern car tracks across this plain, for the road to Hurghada used to go up through the Bâb el-Mukheiniq pass, but the widest (and the oldest) of them are about a 6 ft. span, whereas the Roman waggon tracks range from 7 ft. 6 ins. to 9 feet, and pairs of even 11 feet or more can be seen. These waggons must have been specially made to transport the huge columns of stone that are known to have been brought down from these mountains. Ma'aza Arabs refer to these waggon tracks as "Roman". As little or no attention has been paid to them by past investigators, a study of them at this point may throw some new light on the Roman roads and so add to our understrnding of Roman activity in this part of the desert. One is fairly safe in assuming that these ancient tracks are Roman, as they represent a degree and kind of activity in these mountains that has not been known since Roman times. An expert on wheels and axles and their development through the ages may be able to pronounce with certainty on them.

Just above the station of El-Sâqiya their importance is obvious. Although the majority of them come down from the N.E., from the Bâb el-Mukheiniq pass, showing their starting point in the mountains to be the Imperial Porphyry quarries of G. Dokhân, another lot,equally clear, come in straight from the east, skirting the little limestone outlier of G. Abu Ḥad immediately on its north side. These latter come from the direction of Mons Claudianus and seem to prove that although a more direct road from that spot to Qena was south across the eastern end of the Naq' el-Ṭeir plain into W. Markh and so down W. Qreiya into W. Qena to join the porphyry road at Bîr 'Aras (as mentioned above), a second route came down from east to west along W. Naq' el-Ṭeir to join the porphyry road higher up, at El-Sâqiya. This second road, though longer

the stations had these depressions. At the Qaṭṭâr station, where the water is deep, there is none. It may be that the large excavations took place later, when the water-supply began to dry up. This would agree with Wilkinson's idea that the depressions were reservoirs to catch and store rain water. The question is obscure and will perhaps be better answered when other interior depressions have been cleared and examined, e.g. at Samût, Menîḥ, Didyme, and several other stations on the Quṣeir and Berenice roads.

Where El-Sâqiya differs from all the other stations is in having much larger depressions outside the fort enclosure. In other cases, including Deir el-Aṭrash and Abu Zawal, which come within the present study, the depressions are small and are inside the enclosure.

Ancient Waggon Tracks

The great upland plain of Naqʿel-Ṭeir is bounded from the North right round to the East by the low, outer edges of the Pre-Cambrian mountains showing up beyond, and slopes down with the gentlest of gradients to the long Abu Ḥad Eocene limestone ridge at its base. It is an almost completely worn Nubian Sandstone area, covered by varying depths of recent gravel. The two main drainage systems crossing it are, as stated above, W. el-Aṭrash, that comes down from the Dokhân and Qaṭṭâr mountains through the granite pass of Bâb el Mukheiniq from the N.E., and W. Naqʿ el-Ṭeir from the Faṭîra mountains to the east. Throughout the great expanse of this area are many gravel flats just above the level of the modern *seyl* and smaller rain courses, which have remain undisturbed for many centuries, and on many of them the old Roman waggon tracks can still be seen. Waggon and car tracks differ from camel tracks in several ways. (*a*) Wheel tracks tend to throw up a little line of pebbles on either side, whereas camels just press in the stones beneath their feet, leaving the adjacent gravel undisturbed. (*b*) Though camel tracks may by chance keep parallel for a few yards, they

What is not at all clear is the way the two cisterns were supplied. The conduit or trough from the inner (broken) cistern leads not down but up to the outer cistern; or rather, at the point where it reaches the outer cistern there is a short triangular slope, the base touching the cistern and the apex leading into the conduit. The slope is very gentle but enough to indicate which way the water ran. It is difficult to explain this curious arrangement, especially as both conduits or troughs are on the edge of the depression furthest away from the town. As there are two or three other stone structures marked by Wilkinson and reproduced by Prof. Scaife, that seem to stand on the edge of the depression, further examination may lead to an explanation of them all.

Directly north of the animal lines there is another smaller depression shown by Prof. Scaife in his Wilkinson plan. There seems to be no trace of a well, but as the whole depression is heavily sanded up, one cannot be sure of this. There is, however, a conduit, noted by Wilkinson as a trough (Plate I). Prof. Scaife divides it into two compartments. It is clear that both depressions were excavated, the earth removed being built up into the mounds that surround both areas.

It seems that where the wadi gravel is fine, a large depression was first scooped out in the shape of a huge saucer. Then a well-shaft was dug. Presumably, the deeper the water level, the deeper both depression and well had to be. Thus at El-Sâqiya, where the water must have been very deep (Mr. Murray on page 147 reports that a modern boring failed to reach water at 69 metres), the depressions are large and the well-shaft deep. At 'Aras, as we have seen, there is merely a small depression, the water there being near the surface. The suggestion made earlier, in discussing el-Ḥêṭa, that there may have been a well and possibly a depression even within the restricted space available in the small fort, becomes more tenable, as the water is at a depth of only 10–20 metres. On the other hand, not all

already hinted at in the case of the two preceding stations. It is the question of large interior well-depressions. Prof. Scaife makes an interesting suggestion with regard to the inclined tracks that run down into the Sâqiya depression. These inclined inlets or entrances are found more or less clearly marked wherever large depressions exist and are seen again in a small depression just north of El-Sâqiya, in the station of Deir el-Aṭrash and at the station of Abu Zawal.

The entrances are most clearly seen in El-Sâqiya. Prof. Scaife who uses Wilkinson's plan in this case, does not use his Legenda, where the N.W. and S.E. inclined entrances are described as, "Channels built of stone, apparently for the Water to run into the Well after the Rains". Prof. Scaife notes the "sides encased in masonry" and suggests that the entrances were "not collecting channels by which water ran down into the excavation, but inclined passages up which water was carried in containers from the well". "Well" in the sentence by Wilkinson quoted above means the large depression. Wilkinson does not in any of his three versions of his plan of Sâqiya give a well-shaft inside the large depression. This well (as Prof. Scaife shows in his plan) is at a point inside the depression, close under the inner of the two cisterns. This cistern is supplied by a runnel from another about 25 ft. back. In Wilkinson's plan, the inner cistern is given with its four sides intact. In the plan as given by Prof. Scaife, this is still the case, although in fact the side facing the depression is missing, having presumably fallen down the slope. Weigall's photograph (p. 104) shows the broken cistern clearly. To the right on the plan, less clear in Weigall's photograph, is a second conduit or trough. Prof. Scaife notes this on the plan with only two compartments, remarking (p. 70) that a third compartment, and possibly a tank at the end of it, may have fallen into the depression with the crumbling of the sides. As Wilkinson in 1823 drew three compartments, reaching to the extreme edge of the depression, Prof. Scaife's suggestion may be correct.

closely similar structures in other stations, notably at the station of El-Aṭrash. It is difficult, until further information is obtained about the missing well, whether inside or outside the fort, to be certain about this.

On page 77 of MS XXXVI (1823) Wilkinson writes, describing his journey *down* W. Qena, "one hour before we reached old Genneh (his name for El-Ḥêṭa), passed some ruins of 4 or 5 houses close to 2 of the Piers or road marks (which are all along this road), the ruins perhaps of a *diversorium*," an interesting though unlikely possibility at a point so near to El-Ḥêṭa. This must be the spot to which Prof. Scaife refers on p. 67 of his article. He places it at four miles from El-Ḥêṭa (roughly Wilkinson's trotting hour) aud describes it as "the remains of a small post which seems to have consisted of three or four rooms only, but it is hopelessly ruinous." Prof. Scaife notes cairns from this point to El-Sâqiya station.

To reach this station, one continues to round the Abu Ḥad barrier until, at the station, one is able to look behind the barrier eastwards. The long line of the great igneous mountain range is visible, running N.W.—S.E., in the far distance beyond the plain of Naq' el-Ṭeir, into the lower S.W. end of which we have now come. Mons Claudianus is about 70 kms. away in a direction N. of E. from here, and the dark outline of G. Dokhân is actually visible on the skyline to the N.E., about 80 kms. away. The station of El-Sâqiya is situated at a point in W. Aṭrash where the long west-flowing W. Naq' el-Ṭeir runs down into it from the east, W. Atrash itself flowing into the main *seyl* of W. Qena about 10 kms. lower down.

El-Sâqiya

The general lay-out of the station at El-Sâqiya and much of its detail have been well discussed by Prof. Scaife who gives Wilkinson's plan, with some additions of his own, to illustrate his remarks. This station poses in very clear form a problem

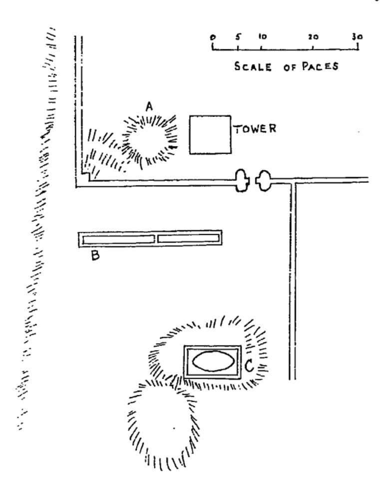
surrounding wall. In his Legenda, he says, "? a furnace. Burnt-brick work cemented; with ash and cinders lying about".

Of Wilkinson's square "Tower", Prof. Scaife shows only one corner and refers to it as "Ruins of ? a tower..." There is rather a similar structure in the interior of the fort at Deir el-Aṭrash". This is true and Wilkinson shows it in his plan of the Aṭrash station and refers to it as "a Tower of crude brick perhaps used for raising water from the large well E", the well referred to being the large depression found in several of the stations on this road. Although he does not say so in his text, it is probable that Wilkinson thought of the square tower at El-Ḥêṭa in the same way. As the area within the fort near the tower, to the N. or N.W., is a blank in both Wilkinson's and Scaife's plans and shows no ruined buildings to-day, it may well be that it also had an interior depression, with perhaps a well within it, as in the case of the interior depressions of both the Sâqiya and Aṭrash stations. This would agree to some extent with the guide's opinion, given above, that the well was within the enclosure, roughly N. of the cistern, to which a conduit carried the water.

Returning to the conduit outside the south wall of the enclosure, it is clear that Wilkinson underestimated its length. Its width is jüst under 3 ft. and its depth 1 ft. 6. ins. It now stands about breast high above the narrow modern road, on which its west end abuts and which fills the few yards between this end and the wadi *seyl*. As shown on Wilkinson's sketch, it is divided into two parts, but the west portion is far longer than usual in these outside conduits or troughs, being 20 yards from the road end. From the point where the runnel must have come out from the South corner of the cistern (as already stated above, Prof. Scaife actually records this connecting runnel on his plan), the trough continues for about 6 yards beyond and there seems to end. This outside 'conduit' seems almost certainly to represent divided drinking troughs, as it resembles

drew equally rough sketches actually during his trip (Envelope 48); (*b*) in the Journal (in this case MS XXXVI), where he wrote up his notes and drew careful plans; (*c*) final, carefully drawn plans (often no better than those in (*b*), which he evidently intended for publication—in the present case, "Plate 110" in MS XLV D. The corner in question appears thus in both (*b*) and (*c*).

At *C* in the sketch Prof. Scaife shows only one end of Wilkinson's complete "Cistern" and one corner only of the



Legenda:

A. May have been a Well.

B. Troughs.

C. Cistern inclosed in a room but very small and rather resembling a Bath than a Reservoir for the supply of the Troughs. The Walls of this chamber are of baked bricks.

the alignment of the trough that the old Roman well was in the wadi flow itself, and as the supply of water in the modern well is a mere trickle amounting only to a few gallons a day, they dug a series of pits in the *seyl*, hoping to strike the position of the ancient well. Still further efforts to locate the old well have been made in the last few years, but so far all attempts have been complete failures. When on one occasion some years ago, a Maʿaza guide, the better to scoop up water, actually descended the well shaft itself, he found that although the well is perhaps 20 metres deep, the water trickled into it from the side at a depth of only about 10 metres. This fact seemed to prove to him that the Roman well was, as they still suspect, in the wadi *seyl* outside. Weigall was probably repeating this common belief when he wrote (page 96) than the well was "in the plain".

An Ababda guide, however, in the course of a more recent trip said that he actually helped in the digging of the modern well and confirmed the fact that the water trickles in at a depth of about 10 metres—not, however, into the side of the shaft towards the modern *seyl*, outside, but on the inner side from the interior of the fort. He also asserted that at that time (about 15 years ago) there were still to be seen faint relics of trough ends at a point about 20 paces N.E. of the cistern inside the enclosure, and it is at that point, therefore, that he suspected the Roman well to have been. Excavation at that point should be able to prove or disprove his theory.

Prof. Scaife in Plan I which he gave to accompany his description of the station at El-Ḥêṭa did not, as usual, give Wilkinson's plan (MS XLV D and again in MS XXXVI) with additions of his own, but an entirely new one. As he does not discuss the well problem and does not refer in his text to the inside "tank" marked on his plan, it may be interesting to show this corner of the enclosure as given by Wilkinson. The plan occurs as usual, three times (all, of course, substantially the same): (*a*) in pencil on single sheets in which he wrote rough notes and

for another 3-4 feet, follwed by the modern cement work above the *seyl* level.

The water supply is permanent. Downstream from this well is another which is a mere pit in the sand. The distance between the two wells is 100-150 yards.

Prof. Scaife (Bulletin Dec. 1935, p. 64) notes the existence of a few ancient road cairns from 'Aras northwards along W. Qena. These Roman road cairns, each pair distant about a mile from the next, are a feature of this road all the way to the site of Myos Hormos and were everywhere carefully reported by Wilkinson. No trace of ancient tracks is visible at or near Bîr 'Aras, although further examination may reveal some on undisturbed gravel flats.

El-Ḥêṭa

Some 30 kms. up W. Qena from 'Aras, one comes to the Roman station at El-Ḥêṭa. Its substantial remains have, under various names, been well described, sketched and photographed by several observers, notably Wilkinson in 1823, Mr. Murray in 1925 and Prof. Scaife (Bulletin, Dec. 1935), who refers to the evidence of earlier travellers. The only reference to a well, however, is by Mr. Murray (p. 147 of his article) who says it is dry, but does not say where it is found. He notes also a large reservoir. The latter is presumably the same as the "Tank" marked by Scaife in his plan near the S.W. corner of the main lower fort. He connects it by a line which must have been a runnel, with the long trough outside the S. wall. He did not find and apparently did not search for a well-source of the water. The outside drinking trough or aqueduct abuts on to the *seyl* or wadi bed. A modern well was sunk at this fort some years ago, but the place chosen for it was, strangely enough, down through the floor of the tank or cistern inside the enclosure. This can be seen in a photograph given opposite p. 96 by Weigall in his "Travels in Upper Egyptian Deserts". The Ma'aza Arabs assumed from

interior depressions found in other stations on this road, this arrangement is normal and it is possible that if the sand were removed another interior well might be found.

A line of whiter, more frayed material roughly divides this area into two and may be the foundations of an interior wall. The large amount of broken pottery lying about shows that this well-area was a much frequented one. That it was clearly not so solidly built as other stations along this road may be explained by the fact that it was considered of less importance, due to its being the nearest hydreuma to Qena, or by the lack of suitable building stone at this spot and the abundance both of water and suitable silt for brick making. This hardly explains the unusual nature of the structure, however, and its position, at the junction of the road along W. Qena and that from W. Qreiya, would seem to merit a more solid construction. The whole site needs careful examination.

All the stations along the Coptos–Myos Hormos road are provided with 'animal lines' differing in this respect from those along the more ancient road to the south from Coptos to Leucos Limen (as Mr. Murray pointed out on page 140 of the article referred to above). Just E. of the main enclosure at 'Aras, on another gravel flat divided from it by a branch of the W. Qena *seyl*, is a thinly scattered, confused mass of larger stones that might have been the animal lines, as if all the stones available in the area just around had been used for that looser type of structure, rather than for the walls of the camp proper. This area, roughly an acre in extent (like the camp enclosure) is 50 yards N.E. of the camp, across a *seyl* course. The stones seem to be the remains of walls, of which only an aerial photograph could show any plan.

The upper well, despite its modern cement superstructure, is undoubtedly Roman. It is constructed of fairly large limestone boulders which form its circular base, reaching up to 3-5 feet from the water-level. Then come Roman burnt bricks

A careful examination of the ground adjoining the well at 'Aras reveals an old, raised gravel flat, about an acre in extent and thickly strewn with broken sherds, that has remained comparatively undisturbed by the rare floods that come down W. Qena along the modern *seyl*. Here, if former investigators had searched, they would have found the remains of a station.

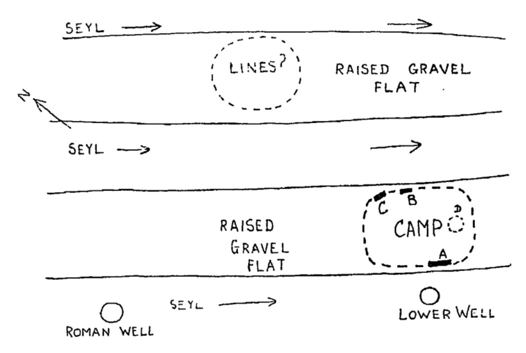
After scraping away the loose sand that slopes down from the edges of the gravel flat to the *seyl* level just below, there come into view unburnt bricks in situ in several places. Usually only the bottom layer of bricks is left, e.g. at A. But at what looks like an entrance, on the side opposite the well (at B) they are several feet in depth, laid in alternate courses of headers and stretchers. Their thickness suggests that the surrounding wall of the station was about 2 ft. 6 ins. thick.

Near the N.E. corner of the camp area (at C) there is a line of 6–10 unburnt bricks, much frayed, and above it, inside the enclosure, there appears to be a small area or floor of similar bricks. Inside this camp, scattered generally over it, there were a few burnt bricks, although none were seen in situ.

The plan in this structure seems to have been to build sun-dried brick walls on the fairly level gravel platform, just digging down a little for the foundations of the first layer of bricks. It is possible that if one went carefully round the circumference of this enclosure, scraping away the loose sand and silt slopes, one would find still other bricks in situ. Stone is singularly absent from this structure, except some rather small loose stones which suggest fallen rubble walls. The use of unburnt brick in surrounding walls is common in the stations on this Roman road, but not, as in this case, down to ground level. In all other cases, such brickwork stands on a stone wall base.

Inside the camp area, in the South (and lower) half, there is a circular depression (at D) measuring a few yards across, nearly filled with sand. Except that it is far smaller than

The possibility to which Prof. Scaife refers in this sentence is based on an idea that has caused some bold, perhaps false reasoning. It is that Strabo said that the journey from Coptos to Myos Hormos was divided into seven stages and that there must therefore have been six intermediate stations between the two terminal points. Mr. Murray on page 147 of his article. writes, "Strabo says that there were seven stages to Myos Hormos, so that an additional station must be assumed besides the five already found. I place this sixth station at 'Aras". Prof. Scaife had already, on page 115 of the May 1934 issue of the Bulletin, referred to this opinion of Mr. Murray.



But what Strabo says is, "It is a journey of 6 or 7 days" (ἡ δ'ὁδος ἐστιν ἑξ ἡ ἑπτα ἡμερων). It seems probable that the number of stations does not necessarily correspond to the number of days or stages, and although they are not likely to be fewer, they may well be greater in number. This possibility is made more probable by the great distance from Qena to the station at El-Hêṭa and the equally great distance (within which we are still without trace of a station) between one a little to the east of El-Badi' and Myos Hormos.

to N.N.W. to avoid the Abu Ḥad ridge. The water is very near the surface, at about 6 feet (a fact noted by Mr. Murray in 1925) and in plentiful supply. Rather strangely, although the well has been seen by many observers from Wilkinson (1823) to Mr. Murray, who reported seeing burnt bricks there in 1920, no one appears to have noticed traces of station buildings there. Wilkinson, although he notes the well on one of the fragments of his MS map of the area, was then suffering from the two misfortunes which beset most desert travellers, excessive haste to move forward and a fear of insufficient water, one being often the result of the other. He evidently did not examine the site and saw nothing.

Burton never came down W. Qena. Schweinfurth (on page 104 of Schneider's article on Imperial Porphyry, 1883) notes, what he calls "Ain el-Arradh" at a point 27½ km. south of El-Ḥêṭa station and adds, without any detail to support his supposition, that here there was "wahrscheinlich... noch eine Zwischenstation". Reporting his journey up W. Qena in the Proceedings of the Royal Geographical Society (p. 668, Nov. 1887), Floyer found "very little water... 12 feet below the surface". He explains that the water-course here swept round a "low bluff of pudding-stone" and notes the well on his map as "drinkable". He noticed no ancient remains, but thought it "probable that there was a station between Koft and Kasr el-Jin [= El-Ḥêṭa]". Bisson de la Roque, going up W. Qena in 1922, notes the well on the map of his itinerary, but gives no details of any kind. Prof. Scaife, writing in the Bulletin in December 1935, begins his excellent account of the W. Qena and W. Aṭrash stations with that of El-Ḥêṭa, having missed Bîr 'Aras (p. 64). On page 72, however, he writes, "Until the likelihood of a station at Bîr 'Aras has been turned into a certainty, this little establishment [he is referring to a small station within the narrows of the Bâb el-Mukheiniq] must rank in the list of stations between Kainopolis and Myos Hormos".

river there would seem to be nothing to recommend it. Although from evidence in Wilkinson, route (*b*) appears to have been undoubtedly a Roman road, probably for light loads to the porphyry settlement at Dokhan, there seems to be no evidence of its use as a way to join the Myos Hormos main road in W. el-Aṭrash.

As to routes (*c*) and (*d*), apart from the existence of the Abu Zawal Roman station and a small, apparently Roman quarrying site in W. Faṭîra el-Beiḍa, about half-way between Abu Zawal and Mons Claudianus, there has been no evidence to prove that heavy loads of grey granite (or more properly, quartz-diorite) were hauled down in this direction to join the main road to the river. Beyond the Abu Zawal station, either S.W. to Qreiya and 'Aras or W. to Sâqiya, there has been no recorded evidence of a Roman road. Mr. Murray, however, in his 1925 map in the J. E. A. article, gave as a Roman road the direction S.W. of Abu Zawal to Qreiya and 'Aras but did not give any evidence in support of his choice of this direction.

As either or both of the directions to S.W. or W. of Abu Zawal must have been the route from Mons Claudianus to the river, a careful search wherever possible was made for indications of an ancient track for heavy waggons. If both directions from Abu Zawal were used, it is likely that the deviation would take place at or very near the station. In this case, the evidence would be seen both at Abu Zawal and at each of the two junctions with the main Roman road down to W. Qena—that is, at 'Aras and Sâqiya—and perhaps at places in between.

'ARAS

Bîr 'Aras is the first Roman well on the outward journey from Qena to Gebel Dokhan. It is at a point 21 kms. into the desert northwards. It is at the beginning of a narrow 10 mile long belt of rather stunted tamarisk vegetation where, going upstream, one swerves round slowly with the wadi from N.N.E.

Dukhkhan". Writting in vol. 4 (1910) of the Cairo Scientific Journal, in his article on Gebel Dokhan, M. Villiers Stuart said (p. 64/5), "A track will be found leading [from W. Bali'] into W. Um Sidr. This track appears to have been used by wheeled vehicles, perhaps employed for the transport of large blocks of porphyry. Stones have been removed and placed at the side of the track and where it crosses a low ridge, at the mouth of W. Um Sidr, careful inspection shows that the pass has been made easy by an artificial causeway which now looks like a natural road".

Neither of these references gives any hint of similar evidence of roads to Mons Claudianus. How did the Romans transport their heavy loads from these quarries? A glance at the map suggests several possible roads. (*a*) N.E. via Bîr Um 'Anab and Bîr Um Ḏalfa. (*b*) N. along the rising plain of the upper reaches of W. Faṭîra el-Zerqa, across the low watershed into the twisting W. el-Ghazâ. (*c*) S.W. along W. Faṭîra el-Beiḍa to to the station in W. Abu Zawal, thence across the Naq' el-Ṭeir plain to the station at El-Sâqiya in W. el-Aṭrash. (*d*) Along the same route as (*c*) as far as the station Abu Zawal, thence S. and S.W across the higher levels of the Naq' el-Ṭeir plain to the station at El-Qreiya, thence W. to the vague remains of a station at Bîr 'Aras in W. Qena.

That (*a*) was an ancient road is beyond doubt. Mr. Murray in 1925 (p. 149) reported two Nabataean inscriptions at Bir Um Ḏalfa and Burton (MSS 25625 and 25626) found, in 1830, several Nabataean inscriptions at a site identifiable as Bîr Um 'Anab. Mr. Murray has also found red porphyry chips near Bir Um Ḏalfa. This road is unlikely, on account of its frequent undulations, to have been used for heavily loaded waggons. It may well have been used for light loads, probably on camels, to the porphyry quarries at Dokhan, and possibly to the station or ancient well at Myos Hormos. As a possible route for carrying heavy loads from Mons Claudianus to the main road to the

complete picture of the way the Romans lived and worked along the northern road between the river and Abu Sha'r on the Red Sea (the ancient Coptos-Myos Hormos road).

On the other hand, one of the points on which our knowledge is far less complete is the question of the road or roads which connected the Mons Claudianus quarry settlement with the Nile. The facts given in the following pages, gathered in the course of tours of the area, may help to fill in what is at present a comparative blank in the Roman picture of the Eastern Desert.

The Mons Claudianus settlement discovered by Wilkinson and Burton in 1823, is situated in a tributary valley flowing into the W. Faṭîra el Beiḍa. It is a large one and it offers ample evidence, in its many quarries, of extensive working, including columns weighing up to 200 tons or more. It is necessary to bear these huge weights in mind when we come to consider possible waggon routes, particularly in connection with road surface and gradients.

During the journeys which gave rise to the following notes, a special search was made for ancient waggon tracks. It is a very curious fact that although several travellers have paid attention to signs of Roman roads in the area—notably Wilkinson and Burton in their MS notes and especially Mr. Murray, who gave an excellent map of them in his article in the 1925 volume of the Journal of Egyptian Archaeology—hardly anyone has thought of searching for and studying ancient waggon tracks. They are found, as the present article will show, in many parts of the desert and are known to the Ma'aza Arabs. Mr. Murray, on page 140 of the article just referred to, wrote, "In the plain of Nag'eṭ-Ṭeir, the surface is so good that where the old Myos Hormos road diverges from the present camel-track to take advantage of the short-cut over the Bab el-Mukheinig pass, one sees a series of exactly paralled ruts (2·7 metres gauge) of the carts or sledges which brought the porphyry from Gebel

NOTES ON ROMAN ROADS AND STATIONS IN THE EASTERN DESERT

I

(*a*) From QENA to BAB el-MUKHEINIQ
(*b*) The ROMAN STATION in W. ABU ZAWAL

BY

D. MEREDITH and L. A. TREGENZA

The following notes deal with portions of the great triangle formed by the Imperial Porphyry quarries of Gebel Dokhan, the diorite quarries of Mons Claudianus, and the town of Qena which was the point in the Nile valley to which the Roman waggons brought down the stone and where the long and difficult land journey gave place to the easier one by the Nile. The quarry areas themselves were the chief centres of occupation; in and around them the Roman remains lie thickest, but at various stages between each of them and Qena there were hydreumata, or watering places,the chief of which have been known for a very long time and have been mentioned by writers as old as Pliny and Strabo. Later travellers, notably Wilkinson and Burton in the early part of thenineteenth century, followed half a century later by Schweinfurth and Floyer, and in recent years Mr..G. W. Murray and Prof. C. H. O. Scaife, have added greatly to our knowledge of these remains.

Much of the Eastern Desert area is still, so far as its Roman remains are concerned, relatively or totally unexplored. The general picture is patchy and incomplete. From the work of the investigators named above (both published and, in the case of Wilkinson and Burton, unpublished (1), we have a tolerably

(1) References to and quotations from the Wilkinson MSS are made by the kind permission of the Griffith Institute, Ashmolean Museum, on behalf of the owner, Mrs. Godfrey Mosley.

months, stinking outrageously and this stink made the air of the firmament poisonous from the vapour of the smell of so much carrion, which struck every hour of the day in the nostrils of the people and filled the vessels of their bodies with a poisonous unnatural air which threw them into hot choleric fevers which began first of all in their heads and took away the memory and senses and strength from the man within less than twenty four hours, so that he could not stand on his feet, and some died in three or four days in that way, some earlier, some later and this disease persisted among those who lived during the winter and the following spring.

Note: The sufferings of the army in front of Montreuil and especially the lack of beer, are amply confirmed in Norfolk's letters to the Privy Council. In general Gruffydd's account corresponds pretty accurately with the impression of the campaign derived from the relevant letters as catalogued in the State Papers Foreign and Domestic for 1544.

ERRATUM

Page 37. 'Boulogne which was retaken by the French in 1552' should read Boulogne which was handed back to the French in 1550.

To return to the two dukes of Suffolk and Norfolk and the Lord Privy Seal and the greater part of the captains who were staying in the town of Calais to see what would come from this expedition. After they saw how the Dauphin had to quit the field and go to France they realised that he was not able to muster the soldiers together again, with victuals and animals enough to pull the train while the winter season lasted. So after receiving permission from the king they appointed certain soldiers to keep Calais Guines Hams and the low land, of whom altogether there were of every sort horse and foot besides the 'ordinarei', more than twelve thousand fighting men with as many more in Boulogne. Afterwards the Duke of Norfolk and the Lord Privy Seal and the rest of the host went to England but the Duke of Suffolk stayed on in Calais from then till near Christmas when he went across the sea to England. There the soldiers coming from Calais and Boulogne were dying along the road from Dover to London, and along the roads from London to every quarter of the kingdom, while trying to go to their homes. After they had come home those who were well fell sick and those who were sick got got worse, and from this sickness and feebleness and pest they died in every part of England, mostly the people who had been in the camps by Montreuil among whom both before and after there was the greatest pest that ever was among people. The cause which nursed it in the people's bodies, whether the impurity of the victuals as this work explains before or the dirt and stink of the carrion in and around the camp is uncertain, but the camp was kept very filthy, both because of the guts of every kind of animals which the butchers killed in the confines of the camps and the animals which died daily within the camp and in the fields around and were left unburied. The horses and stallions that died were dragged to the field nearest to the place where they happened to die and left there in their skins to rot. This went on for two

the King to fight, but I saw that they would not allow anyone to go across the bridge except a number of light horsemen who went to look at their enemies and then came back again. Yet, in spite of this there were in Calais during this time more than thirty thousand healthy unwounded men, with whom such a buffet could have been given to the French that they would not have been able to come so near to Calais that year. But it is likely that God did not wish the men of England to do more than that at that time, or else they believed in the saying of the Emperor Caesar that the battle would be unlucky where the enemy that was in want and scarcity and who would leave the field willingly if left alone, was forced to fight against his will. Thus the Dauphin was forced to turn his back unvictorious leaving a number of his lords lifeless on the field at Boulogne, and many of his gentlemen and common soldiers on the field by Marquise and in the three places mentioned before. On this march along the road from Marquise to Tavarn there were many dead bodies on the field, and if one can believe the people from Flanders who were following the French host with victuals, their bodies were lying on the face of the earth on the roads and at the edge of the roads throughout the country everywhere from the land of Picardy from Calais to Montreuil and from there to Abbeville without anybody taking the trouble to bury a single one, though they took the trouble to strip the bodies of their apparel leaving them naked on the face of the earth for the dogs and the birds to devour. At this time the Dauphin left a large number of people at Tavarn from which place he rode to France to his father leaving Boulogne to the English. But there was no more shelter to keep them and their heads dry than there was in the land from there to Hesdin and Abbeville. Nevertheless they worked enough at building house and booths and tents to keep them sheltered through the winter, when they suffered not only from cold but also from lack of food for men and beasts.

midnight like people rising out of the water for there had not been a dry hour ever since they started on their march but a continual downpour of rain. So the French greatly cursed their expedition. Well, this was a wonderful day because I did not hear either the French or the men of England make any boast of their victory and indeed each of the two parties lost many people, the Dauphin many of his cockerels and the King of England many of his sheep. Indeed had not the ways of God been greater than the works of men, the French would not have left one man of them alive, but the wetness of the night and the darkness saved the life of many an Englishman though I did not hear many giving thanks to God. Within two days after the Dauphin had returned to his camp, the Duke took most of his horse and rode from the field to the Emperor at Cambrai. And the Dauphin kept the field where there was a pitiful look on people, some lying destitute languishing from sickness and pestilence, and others weak from lack of food for want of which they were dying fast night and day. There is no doubt that these matters were not unknown to the two dukes and to the King and his council, for the trumpets and heralds and spies brought word to Calais every hour of the day; sometimes through the French who were taken prisoners daily and through the farmers and men who were born in the upper land, among whom there were soldiers equal to those under any king in the whole world if their knowledge had been acted on, who everyday urged the dukes to make an attack on their enemies, showing that the Dauphin and all his people were not able to take the field against fifteen thousand and guaranteeing that if the dukes were to send ten thousand fresh men to offer battle to him on his own field the Dauphin would leave his artillery behind from lack of strength in men and animals to drag them away. I could not find out what was the cause whether cowardice and fear of their enemies, or lack of authority from

Therefore as soon as the French soldiers saw that they were not strong enough to break down the doors and the wall they made use of their tricks by calling on one of the Picards who knew how to speak English, and told him to talk with them in English and tell them that the French had overcome the whole town except for that house alone, and if they gave up the house to him and his captain he would guarantee them their lives to go to Calais unharmed for the French thought that there was great wealth inside. The English like ignorant fools were so credulous as to open the doors on this promise and the French then entered like lions among the sheep in a fold and slew them mercilessly to the last man. This therefore made the English the more pitiless. As the proverb says "Let sleeping dogs lie". It is certain that the Almayns had no desire to come to the town to rescue the French and though they heard clearly that the French were getting the worst of it, they did not move a foot towards the fighting. Nevertheless none of them found his station very comfortable for all the footmen were standing over their ankles in the water and mud and the rain was falling from the firmament as if it was being thrown on their heads from the sea. The weather was so bad throughout the night that no one fired a gun either large or small, or struck a blow on the drums which could be heard across a ditch. Nevertheless great effort was made in the upper town to keep the powder dry to load the big guns and shoot at the camp of the Dauphin, by which many of his people were killed. After all those who had entered the lower town and escaped alive had come to the east side of the town and shown the prince how they had had enough, there was no desire nor spirit left to either go towards the town or urge anyone to start a new assault for he (the Dauphin) saw that the English had made capons of his gentlemen cocks, and that it would be futile to send the chickens in their place. Therefore they turned to their camps by Marquise where they arrived about two o'clock after

after dressing took their arms in their hands and leapt into the streets where they found the French out of order, some having gone in to the houses to look for plunder. Then the Englishmen smote their enemies valiantly and killed them in the cruellest way, at which time the gate of Upper Boulogne was opened and a large number of soldiers dribbled out shouting loudly their war-cry "Kill, kill". These words the Dauphin heard and they abashed the pride of his heart which had been lifted up with the greatest joy while he heard the voice of the French shouting Tuwe tuwe tuwe. Then the French escaped from the town to the field and told the Dauphin that the French in the town were likely to perish one and all for the English were taking no prisoners of any sort whether they surrendered or not. So the Dauphin sent his herald to the captain of the upper town to ask him to send word to the lower town to order his soldiers to show mercy and take prisoners from which he and his people would get much more profit than from killing them, because there were there many noblemen of great honour in France. But in the meantime the English soldiers were furious against the French for an atrocious deed they had done on four hundred men who had just come from England to reinforce the town [1]. These happened to be lodged in a house of religion in the lower town without harness on their bodies or arms in their hands except for swords and daggers and, more's the pity, without one man of war among them for if there had been one man of experience there he could have given courage to them to keep the doors closed. But as is said before lest the English should be angry at this work, they were ignorant of the cunning and craft of men of war.

[1] This appears to be the incident related by Monluc who says "Je m'amusay un peu à combattre trois ou quatre maisons, où il y avoit force Anglois dedans, et les prins par force et la plupart sans armes... A la fin je cogneuz que tous ces vestuz de livrée estoyent pionniers, pour ce qu'ils n'avoyent point d'armes, comme ceux qui se deffendoient. Si y eust-il plus de deux cents hommes de morts en ces maisons".

of wind and rain so that it was hard for many men in England to stir from shelter on such a night. Still the truth is that the French never won anything but in the absence of the enemy, and when it was better by far for the welfare of men and beasts to keep the town than the field. Still all the French were urging and encouraging each other to put all their energy and spirit into achieving this venture. Especially the gentlemen, who were all in complete harness and took on themselves to enter the lower town from the side of the sea, while the Almains were in the hollow under the great town ready to enter with the rest of the French and everyone determined to destroy the Englishmen in the cruellest way to the last man. In this frenzy the gentlemen entered the town from the side aforesaid, and came within a stone's throw of the wall so great was the storm and the darkness that night. As soon as the watchmen saw them the drums beat the alarm in the greatest consternation and roused the English soldiers from their sleep, and those men who were valiant soldiers and were lying down came into the streets and to the wall like brave men. But those milk bellies who could not do without beds were too comfortable and took time to dress during which the French had time to fill the streets. Therefore the English had to fly back to their houses and defend the houses and lofts. When the English entered some of the houses there were many people in their beds from which they jumped to their feet some in their shirts and other stark naked who tried to fly to save their lives by hiding; some climbed up the chimneys and some onto the roofs. others to the garrrets, others to the gutters and some under the beds. Among these was a man called Master Brown whom the king had made captain of a hundred and chief officer of the Tower, who in this storm leapt out of bed in his shirt and climbed to the garret where he hid himself while the trouble lasted. But the rain dripped through the tiles on his body where he caught such a cold that together with shame at his cowardice he fell into a depression from which he died three weeks later. But others of the captains and soldiers were of better courage, and

people as were in this host at this time, and so they had no succour except a little that came from St. Omer and the west of Flanders which the English host had devastated during the previous harvest. Besides this there were many other causes which hindered provisions coming to the field even had there been plenty within the distance of eighty miles, because the weather was very wet, the roads muddy, the days short and the carts very slow and few because of the exhaustion of the previous summer. So the people were dying fast some from want, and others from plague in the same way as in the host of the King of England, God distributing his censure on both impartially so that neither side could say truly that the vengeance of God was falling more righteously on one than the other so there was no reason for either king to taunt the other. But still the word came to Calais that Henry, the eldest son of the French King and the prince or Dauphin of France had sworn a great oath to his father that he would never turn back to France until he had made Boulogne and Picardy French again which he was not able to fulfil till nearly six years later.

On his departure the King of England left the Lord Admiral of England Sir John Dudley as chief captain of Boulogne, and ten thousand fighting men, captains and soldiers under his command. The Dauphin and the greater number of the leaders of his host with more than thirty thousand men on horse and on foot of whom there were as many as ten thousand Almayns came to try to take Boulogne by assault and kill all inside for he supposed that the Englishmen had not repaired the breaches made by the King of England only a short time before and would not be able to stand four days against him, but the proverb is true "Haws yw dywedud mynnydd noi gerdd" (It is easier to say mountain than to cross it).

Nevertheless the Dauphin came with his people in the most secret and silent way possible and surrounded the town at dead of night when it was prodigiously dark with a violent storm

also the two churches, one of which, that of St. Nicholas was full of wool. But as soon as the sick men came to have a little warmth and ease they fell sicker than ever. Those who were sound also fell sick, some from the filthiness of the smell of the skins and wool, some from heart disease, some from ague and some from the pestilence, which I can show to be true by my cousin Ieuan Llwyd, son of Shion Kyffin who was born in Llanarmon, Dyffryn Ceiriog and whom I took into my house sick from heart disease where he died of the black pox and the pestilence. And the men of his country and his friends and companions were so inhuman that not one of them would stay an hour at his side by day or night. Others had fallen ill of hot fevers which were so fierce that they took away people's memory and senses. I myself suffered from this disease and I lay ill for more than three months and would have died or lost my senses if I had not had the advice of my physician and the help of the doctor to let blood.

The French followed very close on the tail of the English host from Montreuil to Boulogne and from Boulogne to Calais. The Sunday after the arrival of the English host in Calais the Dauphin and the Duke of Orleans, both sons of the French King came with a host of sixty thousand soldiers horse and foot, and pitched their tents in three places and in three large armies; one near Guines, the second by Beaulieu and Fiennes and the third by Marquise. From these places the French came in flocks on horse and on foot to the English country between Ardres and Guines and from there to the neighbourhood of Calais. These the inhabitants of the country killed like wolves killing sheep, for the greater part of them were soldiers from the common people of France, who wandered about the country in this way from want of food of which there was very great scarcity among the French. Indeed, on thinking it over it is no great wonder because the English had laid waste the whole of the territory from Calais to Abbeville. This was more than sixty miles which was a considerable march to cart food and drink for so many

night. After passing Marquise everyone marched or rode faster than before for they saw clearly that the two dukes intended to sleep that night in Calais. This was true for as soon as the two dukes got the King's ordnance to the place called the causeway by the bridge, they rode fast to the town the gate of which they reached towards midnight where Lord Cobham the deputy was waiting ready to let them in. But immediately the two dukes and three or four of their council had come in, the door was shut in the face of the rest. At this time of night the moon was shining brightly, and the wind sharp and slow and blowing from the north east and freezing fast. Indeed, those of the soldiers who were allowed to come inside the turnpike in Calais received plenty of succour, both food and drink and fire for there were plenty of boards from the King's stores on the edge of the water, which everyone plundered, and which saved the life of many men, but from want of fire and care more than half a hundred sick people died around the causeway and on the open field between the bridge and St. Peter and between there and Calais. The next morning on opening the Boulogne gate the corpses of as many as twelve men who had died of weakness and cold were found and buried in two pits where the bodies lay with no more respect than most of the common soldiers who died on this expedition, whom their companions flung into the nearest ditch they could find and with a little earth thrown on the backside when the dogs of Picardy would pull out the body before an hour had elapsed and eat the flesh in fulfilment of the prophecy which says 'They shall be dumped in ditches (1)'. Next day, Saturday, there was great crushing and jostling about coming into and going out of town, for the people inside wanted to go out and those outside wanted to come in. This lasted from the morning till midday by which time the two dukes and the council made an order to send the horsemen into the country with many of the footmen while the rest were allowed into the town. The dwelling houses, which were not enough to lodge half the people who were inside the town, were full, so the warehouses for skins and wool were thrown open and

(1) 'Ynna i kleddir o vewn kloddiau'.

was drawn to Boulogne. That afternoon the host and all the train came over the river and pitched their tents and booths on the hill to the north of Boulogne around the tower called the Old Man where they spent that night, Wednesday and all day Thursday enduring great affliction, hunger and cold, men as well as beasts, because of the freezing wind. The land was barren with no shelter and there was nothing to give the animals except a little pulse or beans from the King's store which had gone mouldy, so that the animals would not eat any of it, and no one dared go into the country 'to fetch hay or straw even if there had been any for fear of the French, so many of the animals died. So on Friday morning about six o'clock the order came for everyone to load his cart and move the camp to a place four miles away which was better supplied with provisions for men and beasts.

But as soon as the host was on its feet and everyone had turned his face towards Calais, every man sick and sound put his best foot forward without anyone keeping order or imagining that the French would dare to look at us, which we found the contrary before coming half the way between Boulogne and Marquise. At that time, from not knowing where the host was going to spend the night some of the light artillery and powder went on to the south of Wimille where the road went through a valley. On these there fell a flock of French horsemen who killed one or two of the gunners and took the animals from their traces and broke open the barrels of powder before the English horsemen could arrive to help them. Indeed if the animals had been able to pull the guns and munitions against the slope the French would certainly have gone off with the artillery and munitions to France in spite of anything the English host could have done to hinder them. At last the people with the train came to the ford of Marquise where the footmen had to wait more than three hours all of which could have been avoided if the men who were directing the march could have known where and when the two dukes and their council intended to settle that

French horsemen were attacking the wings of the host wherever anything fell out of order. Indeed in one place the French came near to doing great injury to the English. For they attacked the wing of the host which had come from Boulogne who, as soon as they saw the French coming on them so fiercely, turned to flee. It was said that a man from Ystrad Alun who was called Shion vab Davudd vab Gruffyth vab Llywelyn who was carrying the standard or banner of the Bishop of Winchester got stuck in a hedge, when Sir John Gage came with many captains of better courage and made them turn their faces to their enemies and keep their place on the field. Indeed this flight would have cost the English dear had the French, who thought that the English had retreated on purpose in order to lure them on between the footmen and horsemen, pressed on with the attack.

After this the English host marched forward between the train and the enemy across hill and dale followed by the enemy on the right hand until they came to the great field that lies to the south of the town of Boulogne where the Lord Privy Seal pitched his tents in a small hamlet about the church while the Duke's camp was pitched nearer to the sea shore in le Portel. The train and the artillery were conveyed to both spots through many difficult places more by the efforts of men than of animals. These two camps lie three long miles apart and they stayed there Saturday night and Sunday and the day and night of Monday. On Tuesday about nine o'clock in the morning a large number of French began to appear on a high hill on the south side of the two camps at a time when the two chiefs and many of the soldiers were in Boulogne. From there after the trumpets had sounded everyone hurriedly prepared himself for the field and advanced in two battles to the hill as if to welcome them. But as soon as they saw the Englishmen advancing so quickly the French turned back to take cover from the castle of Hardelow which the English had left empty when they heard that the French had come to the north of Montreuil. So both the hosts turned back to the two camps by which time all the baggage was on its train which

of time and opportunity to recover it, for the day was wearing on and the enemy drawing near both in front and behind, and some lost their lives from too much haste in going through the river at the wrong time, so that near Etaples both men and beasts were drowned. Nevertheless by the efforts of men and beasts, the artillery and the train were dragged across the river and through the mud of the marsh and were all pulled into the town of Etaples in and around which the men of England settled to spend that night.

The French King, as soon as he had concluded the peace, and the Emperor and his host had left the dominions of France, sent the Dauphin with the host on horse and on foot in the greatest haste to raise the siege around Montreuil, from which, as has been explained before, the Englishmen had to rise and cross the river and so, as God would have it, overcame the greatest danger except that of battle, before the coming of the Dauphin. Early next day the Englishmen struck camp and burnt their booths and set fire to the township and a house of religion whose brethren were inside the town. This was full of sick people who had come in from the field and who had been there since the winning of the town, with many poor cripples who had once been useful men, but during this time they were not able to raise their heads from the straw although the fire was burning the roofs of the houses above their heads or make any effort except to cry, to shout and too wail, some promising ten pounds to be saved from such an untimely death, some twenty pounds, others twenty florins, more or less as they were able. But the haste and fear and confusion were such that no one set price by gold or silver and men were too pitiless to bother about their fellows, all being bent on escaping alive to Boulogne, for by this time the word had gone round among the English that they were surrounded by more than forty thousand Frenchmen of which a large number on horse and on foot had already shown themselves nearby. For this reason they left the town to burn and marched forward in three battles with their train on the left hand between them and the sea, while the

safely in Calais, and shame the French, unless death hinder me" [1]. This the gentlemen took politely, but the Duke continued to fume. So he sent his herald hurriedly to the Duke of Suffolk at Boulogne to ask for succour some time the next day against the enemy. That night the baggage train was prepared and early next day everyone was ordered to set fire to the tents when many a gallant tent and pavilion was burnt, some of which had cost a hundred pounds. The mill stones were broken into small pieces and the wood and the troughs and the bakehouses burnt so as to reduce the baggage train and to have beasts available to draw the artillery. The pipes of wine designed by the King were also shattered, which were brought there in an evil hour for many a man died in trying to get some of them by force. As a matter of fact many men lost their lives from drinking too much of it and getting as drunk as pigs so that they were not able to leave their beds until the host had left and the French had come from the town. These killed all, both sick and sound, whom they could find there, among whom there were many feeble men pining from lack of warm food to heat their bowels which were full of the cold phlegm which bred in the vessels of their bodies from the diseased food which they had during the Summer. Nevertheless this morning a cry was raised to tell everybody who could carry wine to take as much as he saw fit without let or hindrance. So the pipes were broken to let it run into the ditch and there a man could stand over his knees in sack and the best malmsey ever a man drank. In this way greed and desire created two irreparable evils to destroy the people. One from not having had the wine in time and the other when overmuch of it led them to lose their lives as is said before. By morning, which was dark at eight o'clock because it was misty and the smoke helped the mist to darken the country around them, the English host on horse and on foot had left the camp on the west side of the town with the artillery in front and behind them. At this time the axle of one of the gun carriages broke and the gun was buried deep in that place for lack of engines to raise it on its carriage, as well as from lack

(1) See S.P.D. 1544 II. 307.

The news of this peace between the Emperor and the French King reached the camp of the Duke of Norfolk by Montreuil. The Duke sent it on immediately to the King and his council to whom it was not unknown, and also how the French King was gathering all his forces to try and destroy the host of the Duke of Norfolk by Montreuil, before the host at Boulogne had knowledge of their coming from the north side of the river Somme. But God was now looking more kindly on the King of England and his hosts, and the King discreetly ordered Lord Arundel and some men at arms on horse and on foot to convey and help to guard the artillery and the host at Montreuil to Boulogne. On the 3rd of October the news reached the Duke of Norfolk that the Emperor had left France and that the French host was advancing very rapidly against him and his company at Montreuil. The Duke accordingly sent for the captains among them the Earl de Buren or the Earl of Yssylstein whose territory was under the dominion of the Emperor in Brabant, to whom the Duke in rage and unreasoning anger, revealed how the Emperor his master had betrayed and sold the men of England, or at the very least those who were around Montreuil, to destroy whom the Dauphin was within a day's march with all the forces available in that part of France. To this stormy and tempestuous speech the earl answered like a wise and prudent duke, "I beg you to restrain yourself and listen to me with patience and forbearance. You must understand that I cannot hinder the Emperor from making treaties and covenants with whomever and whenever he thinks fit and proper any more than you can hinder the King of England from doing the same. But as for myself and the people here present under my command, I take my oath to God, that if the tales that you have related about the Emperor are true, I shall never bear arms again from this day onward as long as I live in any quarrel of his. And since we cannot stay here much longer, whenever you strike your tents to go away I shall be ready to ride with you, and maintain your quarrel in the name of the King of England until I see you

of the servants of the king of England who gave him instructions to leave on the 13th of September after the French captains had surrendered Boulogne. He rode from Hardilow to the camp of the Duke of Norfolk by Montreuil and from there as fast as he could go to the camp of the French king to whom he revealed all that he had heard and seen in the camp of the king of England before Boulogne. These reports decided the Emperor and the French king to ratify the peace they had agreed on some time before. The reason why the Emperor agreed on this peace is unknown to me at present, but everyone had his own tale. Some said it was from anger and envy because the King of England had broken his pledge to meet him in Paris at this work explains, and that the Emperor saw clearly that he would have to turn back unvictorious, while the King of England would go victorious to England. Therefore he was the more ready to agree with the desire of the French king in whose dominions he could not afford to pass the depth of winter which was beginning to appear. Others said that the chief lords of Burgundy and Artois whose patrimonies were in the Boulonnois and Picardy were always wheedling the council of the emperor to make peace with the French king so that he might turn the main body of his host to force the king of England and his people to leave Boulogne. Others said that the lords of Spain who were the majority of the council of the Emperor had received a large sum of gold from the French king, to turn back. But for whatever reason this treaty or truce was made it is certain that the Emperor repented of this parley, because I heard many people say that he heaved many heavy sighs and cursed the hour when he gave permission to make it. Nevertheless as soon as the terms were put down in writing the Emperor took his way towards Hainault till he came, with the youngest son of the French king, the Duke of Orleans, to Cambrai. There he stayed some time to arrange for his people to go home and to welcome tne Duke of Orleans all of which was kept as secret as possible from the king of England and his people.

an initial reverse won the victory, and killed thirty thousand of the French. Actually the battle which was fought on April II 1544 was a victory for the French and the carnage on which Elis Gruffidd expatiates was among the Imperialists. His statement that "the news which flew over the mountains plains and valleys from Italy to the Emperor and the King of England who were delighted but the French king was depressed as well he might be" probably shows that he had only heard about the initial defeat of the French left wing which was remedied by the destruction of the Imperialist centre.

There follows an account of the raid by Kharr el Din Barbarossa the Bey of Algiers on Nice in 1543 in which he was supported by the French. The citadel of Nice held out successfully and the upshot of the expedition was that Barbarossa probably did as much damage to the territories of France as to those of the Emperor].

The Emperor and his host were in the field in harness both horse and foot and had entered the kingdom of France at the begin ning of June. They made so much haste that in four days march they came to the town of Bray, from which many potbellied fat bottomed merchants fled towards Orleans as much for fear of the King of England as of the Emperor. The French king had also gathered a large number of men in harness on horse and foot with their arms in their hands as if ready to fight, who lay night and day in their tents on the field within four miles or less of the enemy with nothing to prevent them from meeting to attack and fight each other except the fear of the wpshot and a small river. Indeed the French king was bound to fear the fall if he joined battle with the Emperor, for he might lose both the field and his kingdom. He therefore felt the risk was too great above all because the king of England and his host were taking life lightly in Picardy and in the way of soldiers were destroying the country and plundering the inhabitants. During this time the French king's ambassador was staying in Hardilow castle in the custody

captured at that time which would have been much better for the realm in the long run.

To return to the three camps which had been pitched around the town of Montreuil, where nothing happened worth mentioning except the greed and rapacity of the captains. At the end of the harvest these made the soldiers collect and carry the corn and make piles and stacks of it in various places on the borders of the camp, while others seized farms in various places between Montreuil and Boulogne and filled them with corn which they threshed and kept the grain very thriftily. Others built houses and watertight chimneys of bricks and boards as if they intended to stay for the rest of the year or at any rate till the town was taken. For after the capture of Boulogne all the Cornishmen and pioneers had come there, and they daily expected a host of fifteen thousand horse and foot which the Ling had appointed to strengthen the blockade around Montreuil. A large number of Flemings were coming daily with victuals from Flanders and the south of Hainault to the camp of the Duke of Norfolk who, when they saw the building said among themselves. "What are the English intending to do, stay here always? You ought to know that they will have to retreat as soon as the Emperor turns back, since he cannot safely stay a moment longer where he is now, and then it is very sure that the French King will gather all his people to dislodge the English from here with the help of the weather and the cold and hunger which will follow".

You have not forgotten how the Emperor and the King of England were making war in France and how the Emperor had invaded the territory of the King of France. where he was waiting through the summer for the arrival of the King of England and his hosts across the river Somme in accordance with the agreements to meet with their hosts in Paris.

[There follows a very distorted account of the campaign in Italy and battle of Ceresole. Elis Gruffydd seems to have mixed up the French with the Imperialists and says that the latter after

weeks, which would have been a long time to wait because of the different events which had happened during this time. The Sunday after the 28th of this month an intolerable tempest blew from the north-west and made a great deal of damage and havoc among the ships and skiffs in the haven of Boulogne. Enough bread and cheese and drink to have served the host before Montreuil for three or four days and more was lost. I do not know why it was, whether because of this losss or because winter was coming or for other reasons, but the King gave authority to the Duke of Suffolk and the other chiefs of his council who were present, to put everything in order for the defence of the town, as they had been discussing before. Afterwards he took his way from his tents to the sea shore on St. Michael's day. He then made several knights with the sword and was rowed on board the ship which carried him across the sea to Dover the same afternoon.

A few days before this the King had sent the miners of Cornwall and Devonshire to Montreuil to try and destroy some places. Also a little after the King's departure there arose a great scarcity among the host of the King by Boulogne. The Duke, therefore, gave permission to many men of the army to go to England at every tide when the wind served, when the Duke sent strict orders to stop the sailings and to turn all the soldiers back except those to whom he had given permission to go to England. Many of them were very unwilling to turn back, and in the same way the people in the camp and most of the soldiers of the King's camp during this summer, though, none suffered the hardship or the dangers ef men of war on this expedition because most of them slept every night on beds between sheets just as if they had been in their houses in England, except for the nights when they were on guard. And as for complaints of any shortage of provisions the truth is that, praise be to God and the King, there was plenty of everything. The sight of his own presence there was the cause of the capture of the town, for in God's truth if he had not been there in person, no part of the town would have been

them to Etaples and on to Abbeville, who handled the men who came there with their carts very shabbily. On the following Wednesday the common people went from Etaples to Pont d'Authic, when there was a pitiful look on many sober men and women who were in great sadness, anger and affliction, conveying what goods they had with them and especially their children of whom there was a large number, some so young that their parents had to carry them in their arms and on their backs, others fainted while walking because it was so wet that there had not been one dry hour for ten days. I was looking at them going on their way along the road leading from Etaples to Abbeville which lies four miles to the west of the camp at Montreuil. We came here from the camp and watched them going each as best he could and they lay down for the night in the ruins of a church and village which we had burnt a short time before. Many both old and young died there of cold, and from there they went on to Abbeville where they had very little welcome, more especially the captains and soldiers.

After the French had left Boulogne and the council had established order, the King came in. A great deal of food, wheat, salt meat, butter and wine and so on was obtained, enough to feed fifteen thousand people in moderation from then till next Christmas. Among this the men of England made great ravages but the amount left showed clearly that the town had not been surrendered for lack of food, but for lack of powder and strong hearts to keep up their spirits. It is true that the English succeeded in breaching the wall as is explained before, but nevertheless the damage was not so great that it was not easy for a hundred men inside to stand against any force that was trying to take it by assault, however brave they might be. Indeed if they had defended the town three days longer, they would very likely have kept it always because of the amount of rain that fell during this time. This was so heavy that no one could drag his feet from the mud to drive his body to the assault for three

out to be true, he brought her before the Duke of Suffolk to whom she explained that the French intended to make an alarm in his quarter so as to cover the entry of some people into the town that night or the next at the latest. This was reported to the King and strict orders were given to the scouts and those who were on guard every night around the town to keep a good watch, on pain of death. Nevertheless, the French carried out their plan in the most cunning way they could, and made such a daring march that they passed through the scouts and the horsemen on watch and two of the posts of the footmen and came to the town gate before any of the watchmen had seen them. Then the horse and foot attacked them swiftly and some were killed, others escaped into the town, while the third part, all of whom lost their horses, were taken prisoners. After this the King set his engines at the town every hour of the day more fiercely than ever until Friday St. Matthew the Apostle's Day, in September. On that day the leaders in Boulogne began to parley with King's Council who ordered the work to stand over for that day. On Saturday morning Monsieur de Vervins and Monsieur Fouqessoles (1) came down from the upper to the lower town of Boulogne, where Lord St. John and some others of the council were ready to receive them courteously, because they were men of noble birth and of great esteem and wealth in the territories of Picardy and the Boulennois. After everything was ready these were escorted to the King's tents where they agreed to surrender the town to the King, and to leave it the next morning old and young, taking with them all they could carry of their clothes, furniture, and valuables.

This the Lords did the next morning, Sunday the day of St. Matthew the Apostle, the 21st of September 1544 in the thirty-fifth year of the reign of Henry VIII. The King sent wagons to transport some of the valuables of the chiefs from Boulogne to Abbeville with a number of horsemen to escort

(1) The original has 'ffockhol'.

had worked to press the siege hard so as to prevent any of the French going out or coming into the town they would not have heard one word at that time for in God's truth they had plenty of warning.

During this time there were some people of Picardy living like thieves and bandits in the woods and caves and valleys of the country round Boulogne who came daily disguised as Flemings or Burgundians to the camp of the Duke of Suffolk and the captain of the horse Sir Anthony Brown. These sent word every day to the Dauphin who was in the vicinity of Abbeville and Amiens to inform him how the King of England was working assiduously day and night around the town. The Dauphin told them to boast that the Dauphin was coming with a host on horse and foot to give the alarm to the King and his armies, to cover some people who were going to the town. The Picards passed the word on, which was kept secret. But it happened that some soldiers from the Duke of Suffolk's host went into the country in the wood near the town of Samer, where they found six or seven women, one of whom had been nurse to a man from Calais from which she had been expelled with many other men and women. She spoke English well and she told the Englishmen to beware of going any further into the wood or the country, because every bush and brake in that district was full of soldiers who had come there suddenly from the Dauphin. This news caused the Englishmen to turn back the camp when they happened to meet a young man from Calais called William Porter to whom they recounted all that had passed between them and the woman. He made some of them come with him to the place where they had met her. But as soon as she saw William Porter her old master, two of whose children she had nursed a short time before, she fell on her knees and lifted her hands to Heaven and implored him for the love of God to help her to get bread to keep her and her mothers and children from dying of hunger. When he heared her relating news which might turn

make a sudden assault here as well as in other parts of the town. For this, certain captains and their people were chosen and Sir John Dudley, Earl of Warwick, and Admiral of England laid a number of light guns to begin the assult, all of which were brought close to the castle where everything was ready except for firing the powder under the wall. This was done about six o'clock in the afternoon when the powder blew the wall of the castle on the side nearest the camp skyhigh. The stones as much as half a hundredweight fell among the people a bowshot away and in falling to the ground killed and maimed many strong healthy men so that in that place there was a sad and painful look on them.

This work caused a great deal of discomfort to the people of the town for they realised that the King of England had weakened the two strongest towers around the town, namely the Castle and the tower of St. Francis by making a large breach which was open on the side where the King was lying, apart from the trouble caused by the potguns which fell on the houses and split them from the roof to the threshold, and the shower of powder and shot. Therefore, the townsmen began to talk among themselves about giving up the town to the King of England before he and his people took it by assault. But the Picards who were the majority of the soldiers defending the town would not agree to this and said outright that they would prefer to spend their lives in fighting to keep the town under the King of France rather than give it up to the King of England and have to leave it and the country to beg and die of hunger.

Nevertheless, after the leaders had given the matter their full consideration and realised the danger they were in, not only because of the shower of powder and shot but because the King, from whom they had not had one word of comfort for three weeks and that only through one of the boldest ventures possible, had his hands full in guarding the roads so as to prevent the Emperor from coming further into French territory, they decided it was useless to expect help that way. And if the Englishmen

castle we saw a young and old people at two or three points along the road, who cried piteously in God's name for the help of a piece of bread to keep alive some of little ones who were dying for want of food. One of the men who was with me went towards one of the women who was able to stand on her feet and offered her money telling her to go with it to buy bread until God sent more, to which she replied "God in heaven what should I do with money or anything else but bread and only a little of that so that we can eat it now, because we do not dare to store it for fear of the wild men, who if any of them get any bread or money from any of us beat us and batter us so that it would be better for us to be buried alive than to bear this banishment and live in this wretchedness. Therefore, I pray God to take us from this world in time or for the earth to open and swallow us alive". After this we rode on to the township of Neufchatel passing two or three in the same state on the way who gave us the same answers. Their words and appearance whould have made the hardest heart melt into tears from pity at seeing as many as a hundred people, old and young, with not one healthy man among them, but all shivering with ague, and death in their faces from the scarcity and lack of bread to strengthen them.

From here we rode by Hardilow castle which at that time was in the hands of the King of England, where some of his gentlemen were in attendance on the ambassador of the French King who had come there three weeks before and had been two or three times with the King in Boulogne. He offered him in the name of his master Ardes and all its dependencies with a large sum of crowns to raise the siege of Boulogne, but the King would not listen. So we rode to the camp by Boulogne, against which there was heavy firing throughout the day, from the morning till three o'clock, the time when we arrived. The sappers had been digging under the foundations of the castle, wall, the strongest part of the town, for four days, in order to put powder under it to open a breach so that the men could

and brave. After this the trench was extended to pass the gate of Montreuil, at which time there was much more trouble to get soldiers to watch the workmen than the workmen themselves. Indeed, I never saw Welshmen and Englishmen so badhearted or so unventuresome as I saw at this time. Not a single one of them would dare to go near where the handguns were shooting at us. Indeed, it would take too long to recite all the discomfort I saw among the Welshmen. After we had extended the trench past the Abbeville gate, the Italians who had just come to the town began to come out on horse and foot to skirmish with the English once or twice every day when some of each side were left on the ground but most often the English, because the French would come to the field to offer battle, and then suddenly would turn back either to shelter of the town or of the hedges and ditches, of which were many to the west of the town from which they killed many Englishmen before they could come near. Because the captains before Montreuil realised how the French were every day going into the town, a great ditch was dug across the road which came from the north of the river and entered the town that way, to be guarded so that the French might have no chance to go in or out.

Some of the people of Earl Buren who were put to guard the trench were caught asleep by the French when they should have been awake and killed one morning early in September between Holy Cross Day and St. Matthew's Day. At this time Sir Francis Bryan and master Wyatt put a contingent of their people to lie in the place appointed for Earl Buren and his people as quickly as possible to the west of the town in which place there was a great deal of skirmishing between the English and the French, who came out of the town to the hedges and ditches between the it and the camp of Sir Francis Bryan two or three times while the siege lasted.

On the fifteenth day I asked my captain for leave to go to look at the King's host by Boulogne, where I came with my companions, but during the journey between Etaples and Hardilow

ordnance and his lieutenant were standing side by side looking at the people working, without any precautions, because they were standing under a buttress three yards thick through which came a bullet from a handgun shot from the town baily which flew through the cap of Master Skefftington, the lieutenant of artillery, from the nape of the neck to the crown without touching the skin, but he fell down, saying these words in English "God be merciful to me, for I am a dead man".

The master of the ordnance lifted him on his feet telling him not to be alarmed because his skin was not touched, which was true, and from there he was carried to his tent about a mile away, where he died the third day after, for no reason a man could give for the skin and bone were whole. But many men died there of no greater a hurt. After the soldiers of Montreuil realised that the English captains were not going to make assaults but were only knitting earth, a kind of cloth aroun them, they began to come out daily into the field on foot and on horse to bicker with the English. Sometimes they came into the trench where the English were keeping their watch and ward, and they were so valiant on Lord Poyning's men that they carried off his banner or ensign to Montreuil after killing some of the guard within the trench. But, indeed, if everyone there had done as much of his share as a man from Calais called George Rosham who was one of the cannoneers, they would not have gone off with the banner to the town. But in reward for his enterprise he was sent to prison for leaving the artillery where he was kept in irons for a night and a day. On another day they tried to catch the guard asleep, and came very quietly out of the town between twelve and one o'clock to the top of the trench. where the whole guard was sitting and lying in and on the edge of the ditch. One of the gunners who was dozing got to his feet and he shot among the Italians who were trying to enter the trench and hit one of them in the head and he fell into the trench among the guard and two or three of his companions with him which made the others turn back to the town though so bold

in truth I shall not open my mouth to order one of the ships to weigh anchor to go to guard you from here to Etaples, because I know that in the camp before Montreuil there is more victual than they can use while it is good", which was perfectly true because most of it was stinking before it came to the field. This answer had to satisfy the victuallers, one of whom called Thomas Lane was living in Calais and told me the story.

And from then onwards none of them came with victuals to Etaples unless they sailed along the side of the coast by night. For this reason the scarcity grew greater in the camps round Montreuil. The King, indeed, could have placed the host against the town of Ardres or some such place where they would have done better service, for indeed they could not have done any less service there than they did and could have done within forty days of their arrival, namely to plunder the country and take the town by assault which, had it been done the first week or the first fortnight could have been achieved with less loss than those who died or were killed around it from all causes. But the King did not intend to capture Montreuil but only set them to lie there so that he and his host might take their ease and sleep more easily in their beds in the camp round Boulogne.

Nevertheless, to put a good face on the matter and to make people believe that black was white, the soldiers were daily set to work to cut faggots in the wood and to carry them in the wagons to the trench near the Abbeville gate to make a high mound opposite the baily near the gate, as if to attack the town over the strongest part of the wall. From this place a great deal of damage was done in the town unknown to us. A number of the chief men in the town were sitting at dinner at the same table when one or two messengers were sent from the mound to the town, to tell them to make merry, which swept off the heads of all the people who happened to be sitting on that side of the table except one, which was unknown to most outside. And I saw a similar accident on the mound or the baily we were making outside the town. On that day the master of the

chance to capture two of the Flemish ships full of victuals outside the harbour, which stopped the Hollanders and Flemish coming to Etaples or Montreuil. When the captains of the host perceived the profit the common soldiers of the host were making on food and drink, each of them sent his own carts and wagons with as many as they could get from the King's baggage train, so that no one was able to get a penny apart from his wages except those who had a train to themselves to go between Boulogne and Montreuil to fetch food and drink which every captain put up for sale near his tents. Not one of them took any shame to see their servants selling the pint yes, and less than a pint for an English penny. But, indeed, this was no place for the poor soldiers who could not complain, and yet in spite of this it is certain that there was a great amount of victuals being unloaded for the hosts in Boulogne day after day, where there was a better price for bread and cheese and drink than in many parts of England. But many lost on bread and cheese and drink because they were not given it to consume while it was still fit to eat and drink. At this time some of the traffickers in food made a great suit to Mr. Polette the King's Chamberlain and to Steve Gardner Bishop of Winchester who controlled all the victuallers in the host and who were so learned in arithmetic and geometry and making accounts that they could show by signs and figures how many pieces of bread would suffice for all the people who were under the King on that side of the sea, to ask these two worshipful lords to get the King's command for one or two of the ships to raise anchor and put to sea from Beauvais in safety from the French until they entered the river of Etaples, so that they could supply the shortage and want among the soldiers before Montreuil, where there was great need. To these the ungodly, I mean godly bishop replied "If you wish to venture your bodies and your wealth to get more for your victuals to your own profit and advantage, it is better for you to arrange for one or two ships to guard you while going and coming from Etaples which is not far from here, but if you intend to go by yourselves, sail under God's protection because

afternoon. At this time a barrel of beer from St. Omer, although it was two or three gallons short, only a little better than beer at three farthings the gallon in London, fetched eleven shillings in English money and that at the first offer. But though it was sold at that price the tipplers or the tapster got almost as much again and in this way almost everyone who was trafficking in food and drink gained, except the King who lost on this expedition alone more than a thousand pounds, besides the lives of the people in the skirmish, in which more than four hundred were killed and wounded which happened because of the lack of prudent captains experienced in the ways of war. The blame was laid very much on Captain Hussey as it well might be. This was hardly right because the Duke of Norfolk would not hear anything to the blame of Hussey, the chief captain, or the captain Hussey. But to finish with this matter the Duke summoned the servant of the King before him and sent him to prison in the Marshalsea as a punishment for the words he had used against the captain's honour, as this work explains before. He was thirteen days in prison for telling the truth and God's truth had the Duke allowed the King's servant to bring proof that the words he had said to the captain were true, he could have had a hundred to swear to them, but nevertheless as the proverb says 'Many a true ord is wbad to utter', and, indeed, it is not fitting to say the truth in a place where it is not listened to nor believed, especially if it is about the leaders.

There was no more going out to fetch food and drink from St. Omer from this time, but on the order of the King the Duke sent some captains to hold a township on the river that flows from Montreuil to the sea, called Etaples. At this place there landed sailors from Flanders and Holland with victuals and occasionally some Englishmen. But because the King and his council neglected to order the soldiers to go and come from the haven of Etaples, and of their own will did nothing but keep the sea between Boulogne and Dover, and because of the laziness of the seamen in doing their work properly, the French had the

Tuesday morning to the noise and clamour of the trumpets, the host was warned to strike camp and take its way to Montreuil, during which time Monsieur Durus and a large company of horsemen rode to the field to the south of Lumbres where he placed the footmen in order of battle and the wagons in two lines three deep on either side, as strong as a city wall, the artillery in front and behind them, with the two wings directly opposite the two arms of the battle, everyone in his proper place, all of which was done on the line of march, before coming to the place where the work was on Saturday. If they had been in the same order then there is no doubt the French would not have been able to obtain this advantage over the English. They went forward in that order till they came across the brow, where the French had killed some of the victuallers who had gone on ahead. At this time a large company of horsemen appeared riding as if to meet us from a thicket of trees to the left of our host. This made the hearts of many cowardly men sink into their shoes thinking they were French horsemen from the company of Lord Burs which enabled the whole to take breath and rest for an hour. Afterwards the Burgundians took some of the baggage train with them, because it had to pass through a fairly narrow road which was canted to one side along the side of a hill. Here a great deal of the food and drink was lost because of the haste and hurry everybody running and trotting over everybody else in the hurry to go forward so that they upset their carts and held back the people who were marching in order. The haste to go forward made many of the more sensible people stay behind and the whole host had to wait until the wheels and axles were ready. After this the host and the baggage train went on until they came to a large field of wheat and corn which lies between Wingingam and Bourthes, where everybody took the opportunity to rest for three hours to let the animals graze and the moon rise. After the moon had risen to lighten the way, everybody took the road to the sound of trumpets and went on diligently until they reached their camp at two o'clock in the

you are so eager to go on with your journey you must turn your train round to face the village over there on the right side of the field (called Huwcklir), where I will accompany you and stay with you to-night and to-morrow until you get more help." So the captain finally agreed to turn back to Lumbres. After deciding to turn back, everyone who was there with his wagon went on and left the footmen on the field to load the dead and the wounded on the empty carts, and wait for those people, who had fled away with their horses and left loaded wagons, of which there were many on the field. Since none of the owners was there or anyone to look after them, the soldiers seized them as their own prey and dragged them off from there to Lumbres in the dusk after having been perishing their eyes and faces in the hot sun all day from eight in the morning till four in the afternoon. There was a better price on the bread and drink the soldiers brought and carried from the field than there was at St. Omer for they sold every sort of thing for less than half price. There I saw Dutch doctors taking a great deal of trouble over attending the wounded, most of whom had their wounds in their heads, where those men who died got their death wounds (1).

I do not know what ideas or notions came into the head of our captain, but he gave orders by trumpet that the whole host should arise from there early on Sunday. People struck camp unwillingly when they realised what place he had chosen for the camp. It was on the side of a high hill on a piece of waste land by the side of the road leading to St. Omer where there was no water or wood except what was brought from afar. Still we stayed in that place burning our faces in the sun from then till Tuesday morning, by which time more victuals had been got ready to make up for those which had been destroyed. So on

(1) There is an account of this episode in a dispatch from Norfolk and others to the Council in S.P.D. 1544 ii. p. 10 which puts the blame on the Burgundians who charged the French with only 400 men against 1400. There is no mention of the egregious Capt. Hussey probably for the reason given later.

bull to call the people to order, who indeed were out of all order as they had been from the morning up to that time. In truth, there was no old soldier there except a knight called Sir John St. John who was unable by himself to bring order out of disorder. At the time of this confusion Lord Durrus came to the field with a gallant company of horsemen and when he saw the bad shape there was on the baggage train as well as the bodies of the dead and wounded lying on the field he realised it was because the wing had been sent so far from the main body. He shook his head and said to the captain Hussey "Aha sir captain, to-day you have made a bad business of it, unfitting a captain of sense and learned in ways of war, and one of the chief things is your lack of patience to stay in Lumbres according to my advice and that of men who were more acquainted with the strength of the French than you and your council. To this master Hussey replied as best he could in French: "Indeed we have lost the day to-day". To which Lord Durrus replied: "In God's truth many brave men have been lost on the field to-day who would have been able to fill a great gap against the King's enemies if they had been under the command of a man of war, all of which is due to you and your impatience", giving Captian Hussey many hard words, if he had only understood them. After this the lord asked the captain what he intended to do, who said like a prudent captain that he would go forward on his journey without taking heed of the loss of victuals, when he could see before his eyes how the soldiers were devouring the bread and drink and making havoc of everything there, besides which he did not understand as Lord Durrus did at first glancethat more than a third of the wagonners and their animals had fled and left the road, and that half the victuals had been destroyed. Because of these rash words the Lord gave the rough edge of his tongue to Captain Hussey and told him to look round and decide in time whether he should turn back again to Lumbres or go forward which he could not do at that time because the French had closed the road so that he could not open it then.

likely to smite them in a quarter of an hour, than to be here at this time, as though you were intending to turn your back on your foes". To these words the captain answered without reason, threatening and making as if to do bodily harm to the man, who told him to turn back in time, or he would bring the weight of his stick so hard on his head that he would shit the seams of his hose and fall out of his saddle, upon which he turned back. At this moment the French burst on the English horsemen who turned their backs and as fast as their horses could carry them rode straight on the front of the battle, as if they intended to ride through the footmen. Indeed, there were few of the men of the host who thought otherwise, because the leaders of the cavalry were strangers who could understand better the advantage there would be in retreating from the danger of the fighting, and where the weaker party would have to fall back on the main body it was more skilled to lure their enemies on to fall into their hands. So as soon as the English horsemen turned they rode straight on to the front of the battle. But when they came within a stick's throw of the bowmen they turned their horses heads to the side of the line around the corner that was not covered against cavalry by the baggage train so as to lead the French within range of the bows and hand-guns which the English host let fly as soon as they saw the French, who, as soon as they heard the sound of arrows flying like a shower of snow, crippling some horses and killing others, turned their horses heads towards the side of a hill and a large stream to the west of the place where the host and the baggage train were standing, all except four or five French horsemen who followed the tail of the English horsemen around the host. At that time I saw one of the Frenchmen wound a wagonner from Calais with a sword thrust through his body above his breast and out at the back through the right shoulder while he was sitting on his pack saddle on the back of his mare. On this occasion six of the French horsemen were killed and made prisoners. After the storm was over Captain Hussey came to the field roaring like a

victuallers as came over the brow. From there some fled back to warn the rest to turn back to seek the safety of the main body, which the French light horse realised and followed them over the hill. There the flock of English horsemen struck them and forced them to recoil a little. During this time the captains were putting or trying to put the host in order, and above all, the wagons, to strengthen and support the two wings of the host, which was about as easy as pulling a hook through a block of wood. For as soon as they saw the French showing their heads above the hill and realised that the Englishmen could not withstand them, the Flemish wagoners started to pull back and unharnessed the horses from their traces and leaving the baggage on the field they turned and fled, as fast as the horses could go towards St. Omer. In this trouble and commotion Captain Hussey sent the artillery which was about two bow-shots in advance of the army to try to support the horsemen and the wing of the host, who were Flemings and Dutchmen. As soon as the French saw that the wings and the artillery were so far from the body of the army they turned suddenly on the flock of people on the wing, most of whom fled with their bellies up, and killed two or three of the gunners who were round the artillery, cut the traces and removed the horses. Indeed, they were sent so far from the main body and the cover of the English host that it was easier for them to fall into the hands of the French than to turn back to take shelter near the main body. During this time the captain was riding here and there whistling through his lips like a man helpless and senseless when he happened to come on his course to the end of the host the furthest away from the enemy, and started fussing the people who were pulling the carts themselves to strengthen that side of the footmen better than he could do himself, with what knowledge and sense there was in the cavities of the mind in his skull. At this point one of the King's servants said to him: "Sir captain, it would be far better for you to be standing in front of or in the middle of the host putting them in order and encouraging them to face their enemies who are

horsemen were intending to overthrow the train that night and destroy all the people. These tales Hussey the captain paid little heed to and hurried up everyone to go to the camp at Lumbres where he went himself on Friday afternoon. But shortly after Lord Durrus sent messengers to the captain Hussey to ask him to wait at Lumbres till he came there with all the garrison on horse and on foot which was under his command around St. Omer, who would be ready in the field with him by a certain hour on the following day, telling Captain Hussey that he and his people were not enough to stand in the field against the French. However, like a fool, he gave little credit to the advice of Lord Durrus. But on Saturday morning he caused the trumpets to sound, to warn everybody that they must be ready to strike camp quickly and take their journey early. The Flemish victuallers heard this and put their best foot forward like men going to a fair to take the best end of the read before the host came on with the main baggage train. Among them were some English victuallers and after them followed the captain and his people and the baggage train in four rows like geese going to the corn everyone out of order, the footmen as well as the baggage train. This should have been arranged in two rows three deep so as to surround the footmen on every side with the artillery in front and behind to secure and strengthen them against enemies, but according to many people this was unknown to the captain who was too conceited and too stubborn to learn from those who knew, of which there were many amongst the host both gentlemen and common soldiers. So he let the baggage train go on in front, although he knew perfectly well that the French were in ambush in all their strength on the road to obstruct them before the train was a mile from the camp at Lumbres. Still the captain made the whole train and the people walk and pull to the top of a hill more than two miles from Lumbres. There Captain Hussey saw the evidence of his folly, for from there he could see the French appearing on the top of the brow a mile and a half away, to the south of which the French killed as many of the

a mill but was beaten in a mortar with pestles and slipped through the fundaments of the people who ate it like filthy excrement, which with the coldness of the water which was the greatest part of the drink of the common soldiers, and the damp which chilled the bodies and hearts of the people, threw them into the sicknees called by physicians 'Lienttria', which means sluggishness and cold in the temper and lack of heat in the liver to effervesce the bowels so as to function naturally. For lack of this the nourishment ran through the body without changing colour, and threw the bodies of the people into feebleness and great lethargy, and especially those who were working all the time. During this time the chiefs of the rump of each army were sending part of their people and baggage train under a chief captain once a fortnight as has been said before to bring provisions across the country, the march being about thirty English miles. As chief captain of the horsemen and footmen the Duke of Norfolk appointed his treasurer Master Hussey a fat-bellied lump of a man, big in body and in authority, lacking in sense and a coward at heart to lead men of war in a place where there was danger of the enemy. Nevertheless, he was the captain on this expedition and under him there went some men from the land of Cleves and a few men from the north with a crowd of footmen, and in this fashion they took their way from the field camps near Montreuil on Thursday morning at the break of the day and made so much haste on their journey that they lighted at St. Omer in the evening before the gate was closed. There the captain sent orders by trumpet for everyone to do his marketing quickly and for the King's victuallers to load the victuals overnight so that they and the footmen could go six miles further on to Lumbres to wait in the field for the rest of the train, so that they could start on Saturday morning. At this time Lord Durrus (1) the Governor of Flanders was in St. Omer to whom a spy came with the news that seven companies of French soldiers had come to Therouanne the night before, and that seven hundred

(1) The Count de Roeulx a representative of the Emperor.

cherries and apples and green peas. Others were in the habit of eating such herbs from sheer greed to save their money, which was paid without question to everyone once a fortnight. Then there was the stink of the carrion of the mares and horses that died among the host, which were left to rot on the ground for want of anyone to bury them as the discipline of a host demands. This stench struck within and filled the vital senses and spirits with rotten air which made great havoc with the heart and the mind and for all these reasons as well as the displeasure of God there fell a great pestilence among the soldiers and especially among the poenwyr or pioneers, a name which they deserved on this expedition(1), because the Master of the Trench and the Master of the Ordnance forced them to work night and day, which was as profitless as rowing against the wind and the tide. During this time everybody was forbidden to go from the camp except with the scout that went every morning to the field to guard the men, who were keeping the people who were looking after the animals and others who were collecting fodder to bring to the camp. Among these some wandered off to look for orchards where some of them were found hanging after the French had crammed their jaws and bosoms with cherries. Which indeed women with relentless hearts could do, for I often saw a dozen able-bodied lusty men seven or eight miles from the camp in orchards and fields without three weapons among them to face their enemies with, and sometimes one could see forty men without even six weapons to protect them. After the cherries were finished the need and want was such that the men would go to the fields to pull the peas that were ripe with which they loaded themselves till they were doubled up like humpbacks beneath the loads, from which they made different concoctions. Because of this shortage a proclamation was made and a safe-conduct offered to the inhabitants of the lordship of Hesdin allowing all who brought either bread, cheese or drink to the camp to go and come without hindrance. From this place they brought much victual especially sour bread made from wheat which had never been put through

(1) A pun on the word 'poen', which in English means pain or troubir.

the victual coming from England. At the upper end of the town several of the big guns and mortars were planted to shoot at the town and shatter the houses. In the same way several places were prepared around the town to establish and fix such engines, with facilities for planting heavy artillery to shatter the fortress, and men were set to work to roll a bank of earth to fill the ditch of the town and to stop the mouths of the guns which scoured the ditch with hailshot, especially the gun called in English 'the Murderer' full of small stones which flew out of the gun when it was fired like a storm of hail among the people, the smallest stone of which killed or maimed the man struck by it. At this time the King sent to fetch the miners from Cornwall and Devonshire, who were in the camp of Lord Russell in front of Moutreuil and who had been set to dismantle a strong tower on the west corner of the gate called 'Port Montreuil'. At this time the men of England came so close to the town as Dorlann brid which was on the edge of a ditch and which was considered by the French to be one of the strongest outside the citadel at which time there was no sparing of powder, iron balls, and stones, and lead, all flying in the fastest and most deadly way that any one could desire.

To return to the camps that were laying a half siege to Montreuil for indeed sixty thousand fighting men were not enough to keep it so diligently that no one could either go out from inside to the country or come in from the country to the town, and no such diligence was shown during this siege, during which if the truth be told, there was no effort to perform one praiseworthy deed. This was partly because of the shortage of bread and drink which had all to be fetched from St. Omer which indeed was a terrific amount, nevertheless the men who went to fetch it consumed the third part of the food and drink, and a lot was lost on the way through the leaking of the barrels in the carts. Sometimes the wagons overturned and beer and barrels were lost so that it did not last four whole days in the camp. As well as this scarcity there was the greed of some of the people who had no restraint but scoured the country eating green berries such as

Montreuil sent word to the Duke of Norfolk of the King of England having landed in Calais and also the hour of his landing, but although the Duke was in the field he had no news of the arrival of the King at Calais till one o'clo k the following afternoon. During this time the King made such haste on his journey that he pitched his tents and camp on top of the hill to the north of Boulogne on the shore above the sea by the tower which Julius Caesar the first emperor is said to have built at the same time as Dover Castle in Kent which the French call 'Tour d'Ordre' and the English seamen 'The Old Man'. Most of the cavalry pitched their tents on the top of a high hill which is called in Flemish 'Boulogne Barg' or Boulogne hill which lies a long mile outside the town to the south-east by the shortest way or, as they say, as the crow flies.

In these places at this time there was a fine array of gallant people, in raiment of silk and velvet and gold cloth, and the harness also was very gallant, some carved and gilded, some painted with splendid figures, by gilt enamelling of the bridles, the body harness and the headpieces, with the bowmen and the javelin men, and the halberdiers as well. There were also new-fangled weapons made in Italy called pardisans which were gallantly carved and engraved, with gilded halberds so brittle that not one of them could stand up to a blow from the hand of a woman. The men were now set to work to make pits in which to plant the artillery with and fix gabions to protect the people serving them and to approach nearer the town. At this time the Duke of Suffolk raised a large mound on the side of the hill to the east from which a great deal of damage was done in the town, and which spat plums and apples among the host and killed many a shapely man and maimed others. But not all of the captains who were urging their soldiers to risk their lives in those places would risk their own. In the first three days the King won the Tour d'Ordre or the Old Man and the town on the shore of the sea which is called in French 'Bas Boulogne' or lower Boulogne where many of the host lodged, and there they received

their shoulders to the trench or ditch of Lord Russell's camp, where they killed some people in the trench and among the artillery before the English were ready. During this time there was a great shortage of bread and drink among the three hosts who were waiting for the people who had gone to get victuals from St. Omer. The lack of bread was very unnecessary because a large amount of wheat had been found in many houses in the country since the host had crossed the river, which the men of the host had sent to St. Thomas with the wagons that were going to fetch provisions. In them there was sent a great deal of leather which was found in a tannery near the camp of the Lord Privy Seal. These wagons were overtaken by men from the garrison of Therouanne far away from the army so that they had to give up the wheat and the leather to the French without getting a penny for them, and also to pay dearly for their food and drink and their release from prison. Indeed, if the wheat had been ground and baked, there would have been no shortage of bread and also there would have been no lack of wheat to grind, if the King's Purveyors had given sixpence and eightpence for every peck of wheat that the soldiers who were scouring the country brought to them. But they refused to do this because they set more store by their own advantage than by doing a haporth of good to the common soldiers. I shall leave this for the time being while I speak about other matters.

The Duke of Suffolk now landed in Calais haven and a great host of people with him on horse and on foot in liveries of red and yellow. He made the greatest haste on this expedition and came with his host to the field to the east of Boulogne, where he pitched his tents and camp and huts and remained there with his people while the siege lasted.

Within three or four days of the departure of the Duke and his host from Calais for Boulogne the King's host landed in the same liveries of red and yellow in the gallantest fashion could be. Afterwards, the King himself landed in person on the evening of the 25th of August. Before midnight that day the captain of

camp he planted four cannon to shoot at the town and the wall and with the artillery of Lord Russell shooting as well, did a good deal of damage in the town. The greatest haste was made in digging the trench and making gabions to protect the people and the artillery. The Duke of Norfolk now sent York herald to Lord de Biez the captain of Montreuil to command him in the name of the King of England to surrender it to the Duke of Norfolk on pain of the consequences. When he heard this the Lord De Biez took off his jacket of gold and silver thread and gave it as a gift to the herald for his message, and ordered venison and wine for him to take to the Duke to make merry as if to welcome him to the country. Then he gave his answer to the herald, and asked him to commend him to the Duke as to one of the greatest men whom he was bound to love and to praise, for he, in fact, was the cause of his rising to his present ascendancy and the esteem and the trust in which he stood with his King, and through him he hoped to stand even higher on account of rescuing the town. "Let it be known to him that I will keep this town as well as I kept the castle of Hesdin against him. Therefore he can take his pleasure in hunting with hawks and hounds about the country while the weather is fine and mild and by winter according to the old English custom you will go home to your kinsmen." And with this answer and these gifts the herald returned from the town to the camp to the Duke and the council to whom he recounted the conversation from beginning to end.

During this time Lord Russell had placed heavy artillery to shatter an old gate that had been one of the gates of the town before the Emperor's men had destroyed it a little before. In this both men's time and lives were wasted, which showed a great lack of sense because even if they had won the tower it is certain they would not have been a step nearer to winning the town. Also about sixty French came suddenly out of the old gate tower dressed like Burgundians with a red baldric round

three armies moved, when the council agreed that Earl Buren and his army should lie to the west of the town, but after they had gone forward two miles his baggage train turned back to the place they had been the night before which displeased the Duke very much. The Duke wanted to be the first to plant his artillery against the town and Lord Russell wanted the same. This made him decide to pitch his tents and his artillery in a great hollow to the east of the town, and on top of the hill to the north of the host men were set to work to make a place to plant three cannon to announce their arrival to the people of the city. The Duke heard this and ordered the Master of the Ordnance to send his heaviest artillery to the camp of the Lord of Privy Seal and place them on the breast of the hill to shoot first, which was done. But the Lord would not allow one of the guns which came from the Duke's camp to shoot, an acccount of which there was some dissension between them, and the Duke's artillery and the gunners and the men who were guarding or pulling them, among whom I was one, lay there for three nights.

The Duke pitched his tent and his camp in a place where there was a village in a deep valley which lay to the south-east of the town and into which whenever there was a heavy shower there soaked the overflow from all the fields within three or four miles. During the pitching of the two camps here I did not hear that the French artillery did any damage to either of the two hosts, beyond killing two mares which were pulling a wagon to the camp of Lord Russell. This morning the French burnt all the houses outside the gate of the town. That afternoon two or three houses inside the town of Montreuil by the castle and a street running from west to east across the town south of the great church caught fire and burnt for two or three days on Saturday and Sunday. During this time the pioneers were working night and day to make a trench from Lord Russell's camp towards the west to surround two-quarters of the town. As soon as the trench had come a little in front of the Duke's

three hosts was sent to guard the ford, while the pontoons were brought to the banks of the river and bridges made of them to carry the baggage trains across the river. During this time there was great scarcity of bread among the three armies so that a very small loaf cost sixpence. Indeed, if the leaders had been as kind to the common people as God commands there need have been no shortage of bread for there was plenty of wheat to be got in Bourthes which could have been ground and baked on the field, where there was plenty of provision to make everything, but the masters and controllers of the King's victuals were against it.

Much of the victual which had been prepared to go with the hosts on their expedition had been sent from the field near Beau Lieu to Guisnes and from there to St. Omer along the river, among which were the ovens to bake and brew the flour and malt which had been prepared in England to serve for this expedition. It was while waiting for the victuals to come here across the country from St. Omer towards Montreuil which was more than twenty miles march, not to mention the town of Terouanne on the brow of the road, to offset which it was very necessary to have a host on horse and on foot to protect and to look after the train and the victuallers, that there occurred the shortage aforesaid during which the leaders only allowed a penny loaf for every five men every twenty-four hours which was the smallest possible measure.

On Wednesday, the 9th, the three armies moved all their baggage across the river and pitched their tents on top of a great hill which lay above the river and stretched from there to the town which was about two miles away to the north-west and on this march the Lord of the Privy Seal put his host in front of the Duke. Nevertheless, on Thursday, around mid-day, all the leaders with some horsemen rode out to reconnoitre such places as were most suitable for establishing the three armies and the best place to plant the artillery to attack the town from which the French fired several shots at the English but by the grace of God they did no damage. On Saturday all the people of the

would have to suffer death for their trespass, so the Duke at the drumhead ([1]) hanged them from the branch of an oak tree growing on the side of the main road that leads from Bourthes to Tavarn in the afternoon.

Next day the Duke moved part of the host towards Montreuil leaving Lord Russell's contingent on the left, and that afternoon the Duke of Norfolk pitched his camp to the south-east of Lord Russell's near a township in the Emperor's dominions called Wackinghen, from which the inhabitants had fled leaving the houses and mansions empty. The morning after, on a wet stormy day, Lord Russell moved his contingent and settled it on the top of a high hill to the east of the Duke's camp between the camp of the Duke and the camp of Earl Buren, who was lying in a township with five hundred horsemen and three thousand footmen. There the three armies lay all Saturday and Sunday. Early on Monday, the 7th of July, the three hosts took their way towards Montreuil, when it was a fine sight to see the men and beasts and the baggage train which was in front and behind and on either side of the three armies. In this order they kept their way forward without hindrance except for the folly of some unhappy mischief-maker, who set fire to a house in a township through which the baggage train was passing at the very hour when the street was filled with the artillery train and especially the powder carts. For this reason there was great toil and trouble to keep them from the sparks and to hold them back till the fire flagged and the sparks, which the wind blew across the street leading from north to south, were got under. After the back of the fire was broken they went on, which was a long march, and that afternoon the three hosts reached the east bank of the river that flows from St. Pol to Hesdin and from there to Montreuil. On this march the Lord Russell pitched his tents in front of the Duke between him and the river and on that account there was some bad feeling between the two captains. Next morning some of the light artillery with men on horse and foot from each of the

---

([1]) W. yngwydd y drwm.

people to work to split the earth with all the force of men and powder and either open it on them so that it would be easy to drag them out to kill them or make it fall in and smother them which could be done easily within twenty-four hours, when it would be useless for them to ask or pray for mercy. To this the Frenchman replied: "You are in a great hurry! I promise you that you will not win any of it within the next ten days however hard your leaders work their wits".

With these words the parley ended. This was about ten o'oclock before mid-day. Nevertheless, they surrendered after six hours, on condition that the Duke would guarantee them their lives to go out unmolested, under which condition the Frenchmen came out and the English went in. They found there a good deal of food such as coarse bread and salt pork that had turned bad from the foulness of the air in the cave, a great deal of butter with plenty of clothes for night and day and a lot of copper and brass and pewter stuff. All this booty was taken to the camp of the Duke where most of it was given to the men of Cornwall and Devonshire, who were in the host of the Lord of the Privy Seal, because they were counted the most skilled miners in the Kingdom. The Frenchmen were all delivered up to the Duke of Norfolk. Of these there were fifteen pale-faced men and chief of them Pierre de Roy who had the worst shape on him of all his company. These were set free to go home but still two or three stayed with the English and were a great help in directing the host from there towards Montreuil. At this time a French trumpet came with some English soldiers, who had left the camp contrary to the Duke's order and the proclamation he had made shortly before and had been caught by the French in the Boulennois to ask for their ransom according to the old custom that is, for every common soldier, one month's wages. The Duke answered that none of these conditions had been made between him and the lords of Picardy at that time and further, as far as the men captured were concerned they had broken the King's law and

priest who begged Pierre de Roy in his name to throw himself on the Duke's mercy and come out to save his own life and those of his people since they could not stay there much longer. To this the captain replied by upbraiding and threatening the priest with cruel senseless words calling on him to do the worst he could to him with the men of England and swearing a great oath that if he had the priest in his keeping as he had been before, he would never leave the cave alive, for breaking his oath and for his falseness and his perjury.

Upon this the workmen started work again and worked very hard through that night. The next day the third since the work began, the Duke of Norfolk and Lord Russell and Earl Buren the captain-general of the Emperor's host which was coming to join the English, came to look on the work which was in progress by the marl pits. Then the leaders caused a trumpet to be sounded to call the French who were in the cave to come to parley with them. These came near to the door and asked the leaders what they wanted from them to which the messengers replied by telling them how the three leaders aforesaid had come there in person to hear what answer they would give to the Duke and what they intended to do, whether to hold the cave till he overpowered them, or to be dragged out like foxes from their lairs, when the herald said it would be waste of time to expect any mercy except threefold death.

At this moment Pierre de Roy interrupted him and said: "I ask you to tell me the truth, did the Duke burn the village or not"? The Duke and the two lords heard these words clearly and he told the pursuivant to ask him why he was asking after the town to which the Frenchman replied: "If it is not already burnt we will give a butt of wine as a gift to the Duke for leaving it unburnt". At this the herald asked him to consider "the peril you and your comrades are in for unless you and your companions surrender this cave and give yourselves up to the grace of the Duke", he in his indignation and rage will set

But as the proverb says 'No earthly secret lasts for ever', for as soon as the Duke had true knowledge of the secret of this cave he sent word to the Lord Privy Seal, who had placed his army on a field two miles to the south-east of Bourthes, and from there he came with some of the men of Devonshire and Cornwall, who are indeed the best miners in the Kingdom, to examine the place. After discussing the matter these swore to earth and heaven that if the lords wished it they would make the people, either come out of their own will and surrender, or flee in secret like the fox for fear of the hound and the hunter, otherwise they would dig and drag them out of their lairs like badgers, provided they were given time to send for rafters, and that within two or three days. These men were set to work and the first day they came to the second door which was within the closed passage or the vault, but they were still not a third of the way to the rock and could not make out which way the cave went. Therefore, the Duke sent for a sick crippled old man who was one of those who had made the vault. He was brought to the spot in a cart because he was sick with colic, what is called in Wales Bolwstyr, and he showed which way led to the cave. But they were no wiser from him as to the depth of the cave, for he told the Duke that the people of the township would not allow any one to go inside the cave who had not taken an oath to keep the extent of the work secret. After this the people dug as quickly as they could and made a great fire in one of the pits to try if the smoke and the heat of the fire would smoke or drive them out of the earth (this comes from the nature of the fire for wherever fire and smoke are confronted it will rise to the sky). On the second night of this work, the priest who was inside the cave came out among the soldiers and workmen and was taken to the Duke to whom he disclosed much of the strength of the cave, saying that within it there were twenty-one men with three arquebuses and hand-guns and halberds. Their captain was a man of the township called Pierre de Roy. The Duke came next day to the work with the

there after everything was ready the Duke went on with his host to Bourthes which lies six miles to the east of the town of Tavarn (otherwise Divernia in Roman times, modern Desures)

Here the Duke caused a proclamation to be made that no one should dare to leave the host to ravage or loot within the French land on pain of death. The night before, after the camp had been pitched, a Picard happened to steal some horses from the baggage train which the light cavalry discovered and followed him so fast that the Frenchman had to leave his prey and flee to a wooden hut on the side of the road. The English followed him there but they found only an old woman who told them after much trouble that he had gone to the cave, the opening to which they found at last. All this was reported to the Duke and the old woman brought before him who told him much of the story of the cave where a great deal of the valuables and goods of the township was hidden. She showed how pits had been dug under that field to quarry white marl forty or fifty years before. The cave was started on the edge of a hill or slope high enough for carts to come to the face of the cave till the tracks went in so far from the entrance to the cave that it was not worth while to drag the marl to the road. Therefore, they sank several pits like coal pits to lift it from the earth a bowshot from the door of the cave and also cut a way from each pit to go in and out through the door of the cave. They thought this place would be a stronghold to keep the wealth and goods of the parishes in time of war. Therefore, as soon as the people of this place heard definitely that there would be open war between the King of England and the French king in 1513, they went to the expense of making a vault from the door in the rock through the opening to the plain. On top of the vault they built a wretched house which led to the first door of the cave between which and the rock there were three strong doors, while they filled the opening with wood and branches and soil and earth and stones to hide the vault and make the opening look like level ground so that none of the passers by should think that there was any building of the kind there.

During this time the Lord Russell and his people had time to land and lodge in Calais and prepare themselves to take the field, which he did as soon as he could, and his host pitched their tents on the north-east side of the town of Fiennes. There was an agreement between the King of England to meet the Emperor, who in the meantime was in France with his host in fulfilment of his pledge, the King of England having promised to send a host on horse and foot to open the way to come to meet him in person near Paris this harvest time. Everyone said that the King had sent the Duke of Norfolk on in front to be the leader of the vaward of the army on this expedition. But in spite of this as soon as the Lord Russell and his host had alighted in the field near the castle of Fiennes word went round the people of the Duke's host that Lord Russell was to be the vaward and the Duke would be the rearward or tail of the army, and indeed although I was of the Duk's host and one of the men who happened to appoint the soldiers of Calais to lead and guide the ordnance and the munitions, and was acquainted with the Master of the Ordnance and with many of the gentlemen of the Duke's retinue, yet I could not get any certain knowledge on this matter. But I heard and saw much that showed clearly there was not much love lost between the two leaders during this expedition.

But whichever of them the King had appointed to be captain of the rearward, the Duke of Norfolk struck his tents and moved with all his host to the east and pitched his tents and his camp in a field near an old castle called Alembon. To the east of the camp there was a monastery called Licques. There the Duke stayed two whole days and on Friday, the 17th June, he moved towards the south-east as if he intended to go towards Terouanne and that day the host alightened before an old castle belonging to the King of France called Acquin and a township of the same name.

That afternoon Lord Russell and the King's host alighted in front of the monastery of Licques six miles from Acquin. From

"The Duke of Norfolk landed here to be captain general over the host both horse and foot, the men in jackets of the king's colour, blue with a red border. Here he stayed to place the artillery and the baggage train outside the town which he and his people had to leave in order to make room to receive Sir John Lord Russell the Lord Privy Seal, who was coming with a host of people on horse and on foot in liveries of the King's colour, blue and yellow. So the Duke and people went out of Calais with some of the artillery in front on Sunday, the 15th of June, and pitched his tents in a large field in the parish of Leubringhen which lies in the district of Boulogne twelve English miles from Calais. Next day, Monday, the rest of the artillery and the baggage train came from Calais to the field. The train was out of all reason for besides the munitions and artillery, there were mills, ovens, vessels for brewing ale and troughs to make bridges to cross rivers and streams, with a great deal of flour and malt, great herds of cows and bullocks and flocks of sheep and wethers to feed the host. Here the Duke and his host of nobles and commons waited. Under the Duke were two Earls, the Earl of Surrey, the Duke's eldest son, and the Earl of Oxford, among lords of note, Lord Ferris, Lord Mountjoy, Lord William Howard, Lord Thomas Howard second son to the Duke, Lord Wainford of Suffolk, Sir Thomas Cheyney Lord of the Cinque Ports who was chief of the cavalry with a great number of men of mark both knights and squires. The word went among the common people that there were fifteen or sixteen thousand men in harness under them, which seemed very unlikely to anyone who saw the men marching on the field in battle order, nevertheless a great camp was prepared which could hold twice as many people. The Duke stayed in the field at Leubringhen from Sunday to the following Thursday when he and all his host made a three-mile march eastwards to a large field between the township of Landrethun and a monastery called Beaulieu two miles from the township of Fiennes where the Duke and his host lay for seven days, during which time much of the baggage was sent to Calais and then to Guines.

sent with a small force to assist the imperial forces in Flanders. There had been the usual skirmishing around the borders of the English 'Pale' during which Gruffydd complains that of the fifty men under his command the majority have been drafted elsewhere.

Gruffydd was a stickler for things being done in the proper way. The only leader on the English side for whom he has any praise is Sir Thomas Poynings who was marshal of Calais and died at Boulogne in 1546. The others according to him were more concerned with swindling the men out of their pay, and carousing on dead men's wages than in doing deeds of note, and he draws an unfavourable comparison between the officers of 1544 and those who were concerned in such expeditions as that to Biscays in 1512 and that to Montdidier in 1523, though actually the account he gives of these campaigns does not suggest that there was any great difference. In short he shows the same kind of military pedantry as Fluellen, and finds that disinterestedness is not a virtue that blossoms during war.

The medical observations are typical of a man who has left a book in manuscript of 852 pages (Cwrtmawr I.) which contains translations into Welsh of such standard manuals of the time as The Compost of Ptolomeus, Elyot's Castle of Health, etc.

The following translation comes to an end with the return of the English expeditionary force. The war went on for another year and a half, and there is a very full account of the further but minor operations around Calais and Boulogne but I have thought it better to finish this article with the return of the original expedition.

The dates are given in the Old Style, and I have put the names of people and places in their modern spelling as far as I have been able to identify them. It is worth pointing out however that the Welsh version frequently gives useful indications as to the pronunciation of French current in the English army, e.g. 'Dowlffin' for 'Dauphin', 'Ewi' for 'Avthie', etc.

who found their way into the armies, apart from those who followed their lords was partly the fertility of the women and the barrenness of the soil, which meant a surplus of young men obliged to try their fortune abroad. The partly Welsh origin of the Tudors was also another stimulus to seeking fame and wealth in England.

I have found two cywyddau or poems written in Welsh about this time by members of the garrison of Calais. One of them by a certain Robert Leia (Cardiff MS 7) is a kind of panegyric on Calais and its men. He says that if a Welshman is lost he is sure to turn up in Calais, and that the sons follow their fathers in service there. He describes Calais as the key of England, a smaller Troy which shall never be taken so long as there are men to man its walls (1).

The extract which I have translated is a very full description of the operations which led up to the capture of Boulogne, of the abortive blockade, it could hardly be termed a siege, of Montreuil, and of the famous camisade or night attack on Boulogne by the Dauphin.

Gruffydd scrutinises the course of operations with the 'I told you so' scepticism of the old soldier. Before the landing of the main body of English troops in Calais Sir John Wallop had been

(1) Pan gollo Kymro plei Kais
Oni gwelir yn y galais

. . . . . .

Blaid gwyr y galais gynt
Sawdwyr ynghalais vdynt

. . . . . .

tref ar lwydd lle troir irlan
tref iachus troya fechan
Dref falch a dal Kwr afon
Klo lloegyr nis kel llygion
etc.

afternoon happy at having escaped so unscathed from the cruelty of the sea during the vagaries of the storm.

After I was installed in Calais I began to note the way of the world and especially the kingdom of England'.

With his final establishment in Calais the chronicle naturally becomes much more preoccupied with events on the Continent. Gruffydd still refers on occasion to events in Wales but he was obviously more interested in what was happening abroad. Calais owing to its position as England's sally port on the Continent and because all travellers to and from England passed through it, was humming with rumours. In addition there were the intrigues of the town itself and the scandals of the administration which according to Gruffydd were many and intricate. They centred of course around the Deputy. Until 1526 this post had been filled by Gruffydd's former master Sir Robert Wingfield but when he resigned he stayed on in Calais, which may explain Gruffydd's transfer there.

Gruffydd is particularly prolific in aspersions on the character of Arthur Plantagenet Lord Lisle who was deputy from 1533 to 1540 when he was called home on suspicion of treason, and with whom Wingfield had a quarrel. This may explain Gruffydd's virulence. But however prejudiced his attitude there is an actuality about his narrative, whether fact or gossip, which brings the Calais of his time to life again.

One of the most interesting features of this chronicle is the first hand evidence it gives as to the extent to which the Tudors drew on Wales for their soldiers. I have not been able to consult the muster rolls of the garrison of Calais but a large number of the professional soldiers appear to have been of Welsh origin.

England has always drawn generously for her foreign campaigns on the peoples of the Celtic fringe. In the 18th century it was the Highlands of Scotland, in the 16th it was Wales and the Marches. The reason for the number of Welshmen

consider the matter carefully and not to refrain from throwing overboard that part of the cargo in his charge in order to save the lives of him and his company which was eight or nine men in the flower of life. But not one of them would stand up and do anything except a young boy about eighteen years old who showed more courage than any two of his companions put together. During this time he was working like a man baling the water out of the ship sometimes at the pumps sometimes at the scoops, sometimes with a bowl or a pail. But after the chief carpenter had given his answer, the master called on all who were determined to stand and help the ship to preserve our lives with God's help, to use their hands in throwing some of the cargo overboard. Everyone of us worked willingly and we threw forty pounds worth of timber, bricks, tiles, salted fish, leather, beer, cheese, butter, barrels of nails, etc., overboard besides clothes and furniture sent by different people. I myself lost all my apparel which would have been worth more than twenty marks if I had sold it when I left London and which had been given to me by some gentlemen at different times. I was on the point of throwing overboard a long coffer full of carpenter's tools and twenty gold angels. I had taken it from under the head of the man who owned the money but he was so past caring that he could not utter a word to ask for it to be left till among the last. But as God willed the sky began to clear and the moon to appear which was a great joy to us and gave us hope that the back of the storm was broken. This was so and by two o'clock in the morning the weather was more reasonable. About eight o'clock on Friday morning we began to wear the ship and raise the yards and after raising the anchors we made some sail from there to the Downs, where we were riding at anchor till Sunday morning without anyone coming to us from the shore or being able to go ashore ourselves because we had let go our boat as did eight ships who went through the same storm. So on Sunday morning we weighed anchor. made sail and went across the sea the Calais where the ship dropped us between one and two o'clock in the

St. Winifred whenever God and the saints would allow me to set foot again in England. So we were all putting more faith in false pieces of wood, some of which were three hundred miles away from us, than in God and the timbers which by the grace of God were keeping us above water. In spite of this there was fear in the eyes of those of us who ventured to stand on their feet and look around for death appeared on every side of the ship, over which the water was pouring faster than the sailors could bale it out. This was one of the three greatest dangers. The second was a ship of more than 200 tons on which we were expecting to fall every hour which would have meant certain death because our ship would never have stood up to the sea if she had collided with the big ship. But as God willed it the ship was dragging her anchors and going to sea faster than we, so we were saved from that danger. The third was a large sandbank to the east called Goodwin Sands because of which we could not raise anchor, put ourselves in the hands of God and put out to sea, even if we could have set our sails which we had taken down and fastened on the hatches. So after much labour and after the ship had dragged her anchors more than 2 miles from the place where they were first cast, we crossed the deep between the mainland and the sandbank and as soon as they began to touch the side rising towards the sandbank they began to hold so firmly that they nearly pulled the ship under. So the master of the ship an Irishman called Philip Cray called on a man who owned much of the cargo of bricks, tiles, boards and timber which he was taking to Calais to repair a house belonging to the London Chamber, and urged him to get up and see for himself how necessary it was to throw everything possible overboard to lighten the ship of whatever cargo was in her to see if God would allow her to lift her head above water and take us safely to land with the rest of the cargo. And he swore that nothing of value would be thrown overboard except to save our lives and some of the cargo. This man, who was one of the master carpenters of London told him and those men who could stand on their feet to

"At the end of this year on the 27th January I went to serve in the retinue of Calais where I lived and spent most of my life from then onwards seeing many things suitable to be put down in writing.

Shortly after I had taken the oath in Calais I returned to London to fetch my clothing and to give up the custody of Wingfield House which had been in my charge for the previous seven years. After I had finished shipping the provisions I had with me, I followed the ship down the river in a boat and overtook her by Greenhythe where I went on board. This was the first Wednesday of Lent, a very windy day, the sky overcast and the wind blowing very strongly from the west. That day we made only a short passage because night was falling. The following day Thursday the sailors weighed anchor and because of the strength of the wind made a little sail to try and round the Isle of Thanet to the Downs in order to avoid the storm. But before we had rounded the head of the island from which the course lies south-west the wind turned suddenly against us and we had to anchor under the head of the island so that its shelter would break some of the force of the storm. (I heard from three or four honest men from Wales that there was a storm in Wales that year which did a great deal of damage to houses and mansions in many places in Flintshire where a gust of wind blew open the door of the Church of the Cross in Chester and blew a great bar of wood from the door on to the image of the Cross.) About seven at night the full force of the storm struck us so hard that our anchor slipped and the ship was blown out to sea. So we raised and let fall the anchors many times one after the other while crying on the saints every one according to his credulity, some on Mary of Walsingham, some on the Cross on the north door of Paul's Church, some on St. Saviour of Bermondsey, some on Mary of Barking, others on Mary of the Pew in Westminster. I was as weak in my faith as anyone else and I promised to myself that I would go on foot and offer to

in which the water is stronger than the milk. His face and nose were long, his eyes of a mixed colour with reddish spots in the whites. He had a three months growth of beard which was darker than the hair of his head. He carried his head well and the base of his neck was one of the broadest I have ever seen. Some people said it was the way his clothes had been fitted... His body from the knees up was very good, his thighs moderate but his legs were too thin for the rest of his body and he was bow-legged. His feet were slender about thirteen inches long and he was flat-footed. To conclude his voice was sweet and fluent, but in talking he frequently changed countenance by glancing up, and throwing up the whites of his eyes more often than was fitting or necessary".

Gruffydd accompanied Wingfield on the expedition of 1523 and in 1526 gives a vivid description of Wolsey in the Star Chamber on the occasion of a quarrel which had arisen in South Wales between Lord Ferrers and the grandson of Sir Rhys ap Thomas. 'But' says Gruffydd 'although the Cardinal censured them so severely I did not hear him say a word about the poor men whom they had oppressed'.

This feeling for the poor and the oppressed appears throughout the whole work and arises partly out of his own avowed sufferings at the hands of justice so-called which, he says, is unattainable except by those who can gild the hands of lawyers which he cannot afford to do, but partly out of a genuine sympathy. He had evidently seen the great of this world at sufficiently close quarters to be sceptical of their sincerity, and even in the earlier part of his account of the reign when there were people like Wolsey whom he admired, his praise is tempered by a certain wryness.

In 1527 he left Wingfield House of which he had been the custodian (major-domo?) since 1520 and 'entered into wages as one of the retinue at Calais'. The account of his voyage is worth quoting in full.

present at the siege and made brief notes about its progress but without any comment.

The other forms part of the History of England and Wales from William the Conqueror made by Elis Gruffudd 'a soldier of Calais', a translation of whose account of the disastrous expedition to Montdidier in 1523 was printed in this Bulletin for 1944.

This chronicle appears to have been compiled over a period of twenty five years. It comes to an end in 1551 but the author knew about the retaking of Boulogne and a good deal of the matter dealing with the reign of Henry VIII appears to have been amplified from Hall's Chronicle of the Reign of Henry VIII which was printed in 1550.

Whether the author survived to witness the surrender of Calais in 1558 we have at present no means of knowing. The tone of the last part of the chronicle suggests that he was getting old and he may well have died before the town was finally lost.

Elis Gruffydd came from Gronant in Flintshire. It appears from the extant portion of the preface that he was suffering from some obscure injustice which had been committed at his expense by a certain Pierce Mytton and he hopes that Pierce Mostyn will see the wrong righted since he Elis Gruffydd is unable to be present.

He seems to have established himself in London in the household of Sir Robert Wingfield which gave him uncommon opportunities for observation of which he made good use.

In 1520, for example, he was present in the train of his master at the Field of the Cloth of Gold where he saw Francis I when he received the English lords in undress and observed him "talking kindly and courteously with the chamberlain of the King of England, and walking up and down so that everyone could see his face, figure and behaviour. As far as one could judge he was about six feet high, his head in proportion and covered with fine auburn hair, the skin of his face bluish white like new milk

THE 'ENTERPRISES' OF PARIS AND BOULOGNE

(A CONTEMPORARY NARRATIVE)

BY

M. BRYN DAVIES

The war of 1543 with France was the last attempt made by a King of England to realise the claims made by Edward III and Henry V to the crown of France. It was the third time for Henry VIII to invade France; the first in 1513 achieved a certain specious military success at the Battle of the Spurs, the second in 1522-3 achieved nothing, and this last effort based on a magniloquent scheme to combine with the Emperor Charles V in the capture of Paris petered out in the acquisition of one single town Boulogne which was retaken by the French in 1552.

Holinshed writing about the siege laid by Henry in his Chronicles laments 'the negligence used in that season; for there is not one English writer to be found extant, that hath written anything effectually of the exploytes atchieved in that journey, so as we are driven to borowe of the adversaries that have written thereof (presumably he means Monluc and others) wanting the helpes of our own Nation to furnish our booke herein ...'

But apart from the Diary of the siege of Boulogne quoted by Sir Charles Oman in his History of the Art of War in the 16th Century there are extant two accounts of the siege written in Welsh by Welshmen serving with the English army.

One is part of a History beginning with Noah and coming down to 1557 written by a certain Howel ap Mathew who was

Why have you my dear old lady.
At the window silent been ?
Have you by the storm's long howling.
Friend of mine, made weary been ?
Or perhaps from spindles humming.
You your head do nod in sleep ?

* * *

Sing me song about the tomtit
That in peace abroad did live :
Sing me song about the maiden
That at dawn for water went.
Storm with mist the sky's enclosing.
Gusts of snowy drift it swirls.
Now like beast it will be howling :
Now be crying like a child.

his shoulders and Julius seized the lash and brandished it, then the Bashkir groaned in a weak beseeching voice and, nodding his head, opened his mouth in which instead of a tongue there moved a short stump.

When I remember that this happened in my life-time, and that I have now lived to see the gentle reign of the Emperor Alexander, I cannot but be suprised at the rapid progress of enlightment and diffusion of humane principles. Young man! If my memoirs fall into your hands, bear in mind that the best and most enduring changes are those which are the result of an improvement in manners without any violent upheavals.

Every one was shocked. "Well!" said the commandant, "it is evident we shall get no sense out of him. Julius, take the Bashkir off to the barn ... ...".

Pushkin's "Winter's Evening"

Pushkin as a boy was sent to live with a devoted old nurse in an old hut. It is said that his dark features embarrassed his mother. In this little poem he records one of his early impressions of that lonliness.

Storm with mist the sky's enclosing.
Gusts of snowy drift it swirls.
Now like beast it will be howling;
Now be crying like a child;
Now along the ragged roof-top.
Sudden roar of strawt'will make;
Now as traveller belated.
At our window it will knock.

* * *

Our dilapidated hovel.
Mournful stands and dark —

However, in our time no one—neither judges nor accused—doubted the necessity for torture; and so the commandant's order ded not surprise or trouble any of us. Ivan Ignatich sent for the Bashkir who was sitting in the barn locked in by the key of the commandant's wife, and after a few minutes the prisoner was brought into the front hall. The commandant ordered him to appear before him.

The Bashkir with difficulty stepped across the threshold—a wooden block was fixed to his legs—and, taking off his high cap, waited by the door. I looked at him and shuddered. Never shall I forget that man. He seemed about 70; he had neither nose nor ears; his head was shaven; in place of a beard there stuck out a few grey hairs: he was of short stature, thin and bent; but his narrow eyes still sparkled with fire. "Ah!" said the commandant, recognising by the old marks one of the rebels punished in 1741, "yes, an old wolf, clearly; you have been in our traps. It seems you are not a rebel for the first time, if your 'block' has been planed so evenly. Come closer. Tell me, who sent you?".

The old Bashkir was silent and looked at the commandant with an air of complete vacuity. "Why don't you speak?" continued Ivan Kyzmich, "Or, fool, don't you understand Russian? Julius, ask him in your own languvage who sent him into our fortress". Juluis repeated Ivan Kyzmich's question in Tatar. But the Bashkir looked at him with the same expression and made no answer.

"All right", said the eommandant, "I'll make you talk. My men, off with his silly striped gown and cross—stitch his back for him! And mind Juluis, thoroughly!".

Two reservists began to strip the Bashkir. The unfortunate man's face expressed anxiety. He kept looking on all sides like a little wild animal in the grip of children. When one reservist took his arms put them round his neck, lifted the old man on

POLITICAL WISDOM FROM OLD RUSSIA [1]

TRANSLATED BY

R. B. THOMPSON M. A. (Syd.)

This short extract is of some contemporary interest. Alex. Sergeysvich Pushkin, on his mother's side the descendant of an Ethiopian slave liberated by Peter the Great and raised to the nobility for his services, lived during the early part of the 19th century— a generation after the event described in the extract which deals with an incident in the great Pugachov rebellion 1773-75.

We can see here how far in advance of the present rulers of his country in political and social wisdom was this sensitive artist and deep student of Peasant Revolts.

The unfortunate Bashkir—a local tribesman—had been arrested while distributing leaflets to spread disaffection among the Cossaks in a small frontier garrison, whose commandant Capt. Ivan Kuzmich was a kindly man ruled by his equally humane wife. The speaker is a young junior officer of about 18 years of age at the time 1773. It is his memoirs that Pushkin was using for the story, written about 1835 after the author's "History of the Pugachov Rebellion".

" Torture in olden times was so rooted in the routine of legal procedure that the beneficent order abolishing it remained for a long time a dead letter. It was thought that a criminal's own confession was necessary for his full conviction,—an idea not only superficial but also completely at variance with sound legal sense; for if the accused's denial is not accepted as proof of his innocence, still less should his confession be proof of his guilt. Even in modern times I have happened to hear old judges complaining about the abolition of the barbarous custom.

[1] An extract from Pushkin's "The Captain's Daughter".

19) a-na pa-ni ilâni(meš) rabûti(meš) a-šu-nu ši-bu-du ša a-ma [-te an-na-te]

---

§ 10. 20) aṣ-ṣa-bat ma-mi-ta a-na-ku (!) la ú-maš-šar at-ta la [ta-qa-ap]

21) a-ma-te(meš) ša la kit-ti ša ta-aš-mu-ú i-pa[r-ra-ṣu]

22) ia-nu a-ma-du i-na libbi-šu a-mur ṭe₄-mu damqu [ša aḫu-ut-ti]

23) ù sa-la-mi ša a-na-ku i-na libbi-šu it-ti šarri rabî [šar (mât) ḫa-at-ti]

24) a-na-ku gán-na i-na libbi-šu a-di da-ri-ti [ù ṣa-a-ti (?)]

Übersetzung

Vorderseite:

1) Also (spricht) wašmuaria Šatib-na-Ria, der große König, [der König von Ägypten,]

2) der Sohn des Ria Ria-mašeša-mai-(d)Amana. Zu K [u . . .],

3) dem König Von Mira, sprich (also) : Siehe, mir [geht es gut,

4) meinen Söhnen geht es gut, meinen Fußtruppen geht es gut, [meinen] Wagenkämpfern (Pferden) [geht es gut],

5) meinen streit-Wagen geht es gut und im Innern aller meiner Länder seher, [gar sehr, geht es gut.]

---

6) Dir, dem König von Mira, möge es gut gehen, deinem Lande möge [es gut gehen] !

---

7) Siehe, der Großkönig, der König von Ägypten, hat alle Worte gehört, [die du geschrieben hast]

8) an mich darüber, (nämlich) wegen der Angelegenheit des Urḫi-Tešub. Es besteht kein Frohlo[cken] (?) über das [. . .]

9) was du an mich deswegen geschrieben hast. Siehe, zum zweiten Male (?) haben [die Götter]

[*Folgt*]

Rückseite

Zeilenangabe nach KUB. III, Nr. 84 zu ändern:

§ 6. 1) nur Spuren erhalten.

2) š u]-nu-ti a-na šarri rabî

3) a-ma-te an-na]-ti a-na pa-ni-šu a-na-ku aq-b [i]

---

§ 7. 4)] šu-ú i-du-ú um-ma-a a-di

5)] muḫḫi-šu-nu ar-ḫi-iš

6) 1] a-a mi-nu-ú-ia a-na-ku (m) ur-hi-(d)tešub

7)] a ul šarru rabû šàr (mât)ḫa-at-ti

8) i-di a-ma-te an-na-] te ù a-na-ku-ú aḫ-ta-sa-as-si [-na-ti]

9)] . ša amêlûti (meš) i-qa-bu-ni-ik-ku.

10) la-a kit-tu] a-na-ku aḫ-ḫa-ku ki ṭâbu ù sal [-ma-ku

11) it-ti šarri] rabî šàr (mât)ḫa-at-ti a-di ṣa-[a-ti

---

§ 8. 12) [um-ma-a mi-nu]-ú a-ma-tu an-na-du ša šarru rabû šar [(mât) ha-at-ti]

13) [i-š]ap-pa-ra a-na muḫḫi-ša ù ša at-ta ta-šap-pa [-ra]

14) muḫḫi-ši-na a-mur ši-ṭe₄-ir-du ša ma-mi-ti ša a-na-ku [e-pu-šu]

15) a-na šarri rabî šàr (mât)ḫa-at-ti aḫi-ia a-na šu-pa-al šêpê (meš) ša [(d)tešub]

16) ša-ki !-in a-na pa-ni ilâni(meš) rabûti(meš) a-su-nu ši-bu-du [ša a-ma-te an-na-te]

---

§ 9. 17) ù a-mur ši-ṭe₄-ir-du ša ma-mi-ti ša šarru rabû [šàr (mât) ḫa-at-ti]

18) i-pu-ša-an-ni i-na šu-pa-al šêppê(meš) ša (d)UD ša (âl) ! [a-rin-na ša-ki-in]

8) a-na ia-ši muḫḫi-ša aš-šum a-ma-te ša (m)ur-ḫi-(d)-teŝub ia-nu ul-ṣ[i (?) i-na muḫḫi]

9) ša at-ta tàš-pu-ra a-na ia-ši muḫḫi-ša a-nu-ma ša-nu-[ú-tam ilâni (meš)]

10) ṭe₄-ma damqa ša šarri rabî šàr (mât)mi-iṣ-ri-i i-pu-šu it-ti šarri r[abî šàr (mât)ḫa-at-ti]

11) aḫi-ia i-na aḫu-ut-ti damiqti(ti) i-na sa-la-mi damqi (qi) (d)ria ù [(d)tešub]

12) a-di da-ri-iš ša-ni-tam a-mur a-ma-ta ša (m)ur-ḫi-(d) tešub ša at-[ta tàš-pu-ra]

13) a-na ia-ši muḫḫi-sa i-te-pu-uš šarru rabû šàr (màt) ḫa-at-ti ki-ma ṣ[i-bu-ti-šu]

---

§ 4. 14) ú šu-ú il-ta-na-ap-pa-ra a-na ia-ši muḫḫi-šu um-ma-a 1 [i-id-din]

15) šarru rabû šàr (mât)mi-iṣ-ri-i a-na šu-nu-ḫi ṣâbê(meš) -šu ù li-id-din a-na-[ti-šu ?]

16) ú šu-ù li-id-din ḫurâṣa(mes)-šu ù šu-ú li-id-din kaspa-šu ù li-[id-din]

17) [sî] sê(meš)-šu ù i-din a-na na-da-ni erâ(meš)-šu ù i [-din] [

18) . . . . . ù li-il-qa-a (m)ur [-ḫi-(d)tešub]

19)] ù a-na-ku . [

20)] . šarru rabû šàr (mât) [

Lücke

23)] (meš) ma-ad

24)] [sî] sê (meš)

25)] gab-bi

26)] šarru rabû

27)] (mât)mi-iṣ[-ri-i gab]-bi

---

§ 5. 28) (mât) ḫa]-at-ti .

Rest abgebrochen.

Staatsverträge I, S. 95; daselbst S. 96 f. Literatur, s. auch Forrer, Forschungen, I, 1, S. 67 ff.).

Es geht aus dem Briefe hervor, daß der König von Mira versucht hatte, Ramses zur Unterstützung des Urḫi-Tešub, des Neffen und Gegners Ḫattušils, zu bewegen. Es ist wahrscheinlich, daß der ägyptische König mindestens mit dem Gedanken gespielt hat, diesem Ansinnen zu folgen; vielleicht hat er sogar mancherlei getan, was dem Ḫattikönig Anlaß zu Mißtrauen hatte geben können. Nach dem Abschluß des Vertrages mußte der ägyptische König loyalerweise alles tun, um etwaigen Verdacht zu zerstreuen. Er tut dies im Falle Mira, indem er dem Fürsten des Landes unter Berufung auf den Vertrag eine ausdrückliche Absage erteilt,—und ein Duplikat des Briefes zur gefälligen Kenntnisnahme an den hettitischen König schickt. Nur so ist es zu erklären (nach Ebeling), daß das Dokument ins Archiv des Hettiterkönigs gelangt ist.

I, 1 D) KBo. I, Nr. 24, ergänzt durch KUB. III, Nr. 84, S. 38

Vorderseite:

§ 1. 1) um-ma (m)wa-aš-mu-a-ri-a š[a]-te-ib-na-ri-a šarru rabû [šàr (mât)mi-iṣ-ri-i]

2) mâr (d)ria (m)ri-a-ma-še-ša ma-a-i (d)a-ma-na a-na ku . . .

3) šàr (mât) mi-ra-a qí-bí-ma a-nu-ma a-na ia-ši [šul-mu]

4) a-na mârê (meš)-ia šul-mu a-na ṣâbê (meš)-ia šul-mu a-na sîsê [(meš-ia šul-mu]

5) a-na (iṣ)narkabâti (meš)-ia šul-mu ù a-na libbi gab-bi mâtâti (meš)-ia dan-niš dan-[nis šul-mu]

---

§ 2. 6) a-na ka-a-ša šàr (mât)mi-ra-a lu-ú šul-mu a-na mâti-ka lu-[ú šul-mu]

---

§ 3. 7) a-nu-ma šarru rabû šàr (mât)mi-iṣ-ri-i il-te-mi gab-bi a-ma-t [e ša tàš-pu-ra]

10) . . . [um] die Feindschat in ein anderes Land zu bringen,
11) . . . . [was du] an mich [geschrieben hast], Ria und Tešub ·
12) werden dazu beitragen, [es gut zu machen].
13) deine [. . . .] wünsche ich
14) aus Silber, wovon mein Bruder geschrieben hat
15) großen Frieden ?

Rückseite:

1) . [zwi]ischen Ägypten
2) [und dem Lande Ḫat]ti

Z. 3–11) zumeist abgebrochen, lohnt eine Übersetzung nicht.

Anmerkungen

Vs. Z. 1 ff. Ähnlich KUB. III, Nr. 51, Z. 16 ff. (12 f.).

Z. 2. pa-nu-ti = banûti.

Z. 3. siriannu wohl Lederzeug für Pferde=siriani ? Vgl. dazu VAB II, Nr. 22, III 39 : 1-nu-tum sa-ri-am ša maški sa sise !

Z. 4. Ergänzung unsicher.

Z. 5. ušu = Holz, vielleicht "Ebenholz", vgl. Meissner, Babylonien und Assyrien I, S. 353.

Z. 6. Meluḫḫa = Äthiopien, also Neger gemeint.

Z. 10. Dieselbe Phrase im Vertrag Z. 10 ff. (vgl. Weidner, Pol. Doc. S. 114).

I, 1 b)

Es ist schon oben gesagt worden, daß der Brief des Ramses an einen König von Mira, der in Boghazköi im Archiv gefunden worden ist, mit dem Abschluß des Vertrages zwischen Ägypten und Ḫatti zusammenhängt. Das Land Mira gehört zu den Arzawa-Ländern, vgl. dazu vor allem den Vertrag Muršiliš, II. mit Kupanta-KAL (Inaraš) von Mira und Kuwalija (Friedrich,

Rückseite:

1) [. *b* [i]-ri-it mât mi-iṣ-[ri-i]
2) [ù mât ḫa-at-]ti

---

3)] gab-bi ṭe$_4$-ma . .
4)]-na i-na-an-te-nu
5) t] e(?)-pu-uš(?)
6) .] šu-nu
7) pa-] a-ni damqi
8) ka]-du (mât)ḫat-ti
9)]. -ti
10)] gán-na-ma

---

11)] ša mâti-ka

ÜBERSETZUNG

Vorderseite:

Anfang abgebrochen.

1) [Es werden kommen] jene [Boten ?] zu meinem Bruder mit Gold,
2) mit [. . .] aus Gold, mit schönen
3) [. . .] für Männer und mit Lederdecken (Sattelzeug) für Pferde
4) [mit. . . .] für einen Mann mit Leinwandkleidern für das Fest,
5) [mit] schönem [. . . .], mit guten Ušu-Hölzern,
6) [mit] Frauen aus dem Lande Meluḫḫa, Männern
7) [aus dem Lande Meluhha], Sklavinnen aus dem Lande Meluḫḫa,
8) [ich habe sie geschickt], damit sie zum großen König, dem König von Ḫatti, meinem Bruder, gehen.

---

9) . . . [Betereffs dessen, was] mein Bruder an mich geschrieben hat,

I, 1 c).

Der Text KUB. III, Nr. 52 ist wohl kurz vor oder kurz nach Abschluß des Vertrages entstanden. Nach der Mitteilung von der Zusendung kostbarer Geschenke, drückt der Briefschreiber Ramses seine Befriedigung über den Entschluß des Adressaten aus "die Feindschaft in ein anderes Land zu tun". Er ist überzeugt, daß die Götter dazu beitragen werden, diesen Entschluß "noch schöner zu machen". Auch in dem nächsten § bewegt sich Ramses in ähnlichen Phrasen, soweit aus dem zerstörten Text zu erkennen ist.

KUB. III, Nr. 52

Vorderseite:

Anfang abgebrochen.

1)] (meš) š [u]-nu a-na aḫi-ia i-na ḫurâṣi (?)
2)] (meš) ša ḫurâṣi (ḫi.a) i-na pa-nu-ti
3)] ša amêlûti(meš) ú (mašak)si-ri-ia-an-ni sîsê (meš)
4)] amêlu i-na kîtî. (lubušti) lu (!)-ba-ri-e (Rasur) ša mi-l [u-ul-ti]
5)] damiq-ti i-na iṣê (meš) (iṣ) uši (ḫi.a) damqu-ti
6)] [sinnišâ] ti(meš) ša mât me-luḫ-ḫa zi-ka-ru-du(meš)
7)] (sal)a-mi-la-du(meš) ša mât. al me-luḫ-ḫa
8)] a-na a-la-ki-šu-nu a-na šarri rabî šàr mât ḫa-t-ti aḫi-ia

---

9)] [ša aḫ] i-ia iš-pu-ra a-na ia-ši
10)] [a-na] e-pí-ši amêli nakri a-na mâti(ti) ša-ni-i-ti
11)] [ša tàš-pu-] ra a-na ia-ši (d)ria ù (d)tešub
12) [a-na du-um-mu-] qí-šu-nu i-na-an-te-na
13)]. ka ḫa-aš-ḫa-ku
14) š] a kaspi ša aḫi-ia iš-pu-ra
15) t] i ša(?)-lam-ma ra-ba-a

13) [dessen Klauen (?)] aus schwarzem Stein sind,
14) [. . . .] (aus) 3 šiqlu gutem Golde,
15) [. . . .] (aus) dünnem, gutem Faden, neu.

---

16) [1 Tu] nzu-Kleid, dünn, gut, neu,
17) [. . .] dessen beide Oberflächen [

Inhaltsübersicht

§ 1 und 2: Adresse.
§ 3 und 4: Grußformeln.
§ 5: Ausdruck der Freude über den empfangenen Brief.
§ 6: Glückwünsche.
§ 7: Versicherung der Bundestreue.
§ 8: Mitteilung von der Zusendung eines Begrüßungsgeschenkes.
§ 9 und 10: Aufzählung der Gegenstände des Geschenkes.

Anmerkungen

Z. 1. Die Ägyptologen haben zu entscheiden, ob šu-ta-ḫa-ap-ša-du oder šu-ta-ḫa-ap-ša-ab zu lesen ist. Auch die Erklärung des Namens muß ihnen überlassen werden. Der Ägypter ist offenbar ein Prinz. Er nennt höflich Ḫattušil seinen "Vater". Das bedeutet, daß er dem Range nach unter Ḫattušil steht.

Z. 2. Ob die Ergänzung maru "Sohn" richtig ist, können vielleicht ebenfalls die Ägyptologen feststellen.

Z. 10. Der ägyptische Gesandte Pa-ri-iḫ-na-a-wa auch sonst belegt in der Namensform Pí-ri-ḫ-na-wa, vgl. KUB. III, Nr. 51, 22, Rs. 4, 5.

Z. 11. Zu ergänzen ist ein Gefäßname.

Z. 15. GU ist = qû "Faden".

Z. 16. Zur Ergänzung [tu-] un-zu vgl. Ebeling, VAB II, S. 1532 (Decke?), Delitzsch HW 711, 716 (tunšu).

9) [den Söhnen (?)] des [gro]ßen kö[nigs, des königs] von Ägypten,
10) deines Bruders, geht es gut.

---

11) Siehe, der große König, der König von Ḫatti, mein Vater,
12) hat an mich geschrieben, um sich
13) nach dem Wohlbefinden seines Sohnes zu erkundigen und ich
14) habe mich sehr, gar sehr gefreut,
15) daß mein Vater an mich geschrieben hat,
16) um sich nach (meinem) Wohlbefinden zu erkundigen.

---

17) Ria und Tešub werden sich um das Wohlbefinden
18) des großen Königs, des Königs von Ḫatti, meines Vaters, bekümmern,
19) und sie werden gewähren die Verbesserung
20) des Friedens und der Bruderschaft des großen Königs,
21) des Königs von Ägypten mit dem großen König,
22) dem König von Ḫatti, seinem Bruder, bis in Ewigkeit.

Rückseite:

1) und sie werden gewähren die Ausdehnung
2) der Jahre des großen Königs, des Königs von Ägypten
3) sowie der Jahre des Ḫattušil,
4) des großen Königs, des Königs von Ḫatti, seines Bruders

---

5) und sie sind Freunde in gutem Frieden,
6) und sie sind Brüder
7) in guter Freundschaft bis in Ewigkeit.

---

8) Siehe, ich habe eine Sendung an meinen Vater geschickt
9) als Begrüßungsgeschenk für meinen Vater
10) durch die Hand des Pariḫḫawa,

---

11) [1 Gefäß] aus gutem Golde, besetzt, zum Trinken ;
12) [vorn] (ist) ein großer Stier, dessen Hörner aus weißem Stein sind,

Rückseite:

1) ù i-na-an-di-nu a-na ur-ru-ki
2) šanâti (meš) ša šarri rabî šàr mât mi-iṣ-ri-i
3) ka-du šanâti (meš) ša (m)ḫa-at-tu-ši-li
4) šarri rabî šàr mât ḫa-at-ti aḫi-šu

---

§ 7. 5) ù šu-nu sa-al-mu i-na sa-la-mi
6) ba-ni-i ù šu-nu aḫ-ḫu-ú
7) i-na aḫu-ut-ti ba-ni-ti a-di da-ri-ti

---

§ 8. 8) a-nu-ma ul-te-bi-la šu-bi-el-ta a-na a-bi-ia
9) a-na šu-ul-ma-an a-bi-ia
10) [i-] na qâti(ti) (m)pa-ri-iḫ-na-a-wâ

---

§ 9. 11) [1.] ša ḫurâṣi damqi tam-lu-ú ša še-te-e
12) [i-na pa-] ni GUD. MAḪ qarne (meš)-šu abnu pišu
13) . . . . ša abni ṣalmi (Rasur)
14) . . . . meš 3 šiqlu ḫurâṣu damqu

---

15) . . . . tim GU SIK damqu iš-šu

---

§10. 16) [1 tu?-] un-zu SIK damqu iš-šu
17) . . . . ša 2 pa-nu-šu

Übersetzung

1) [Also (spricht)] Šutaḫapšadu (?),
2) [Sohn ?] des großen Königs, des Königs von Ägypten,

---

3) [Zu] Ḫattušil, dem großen König,
4) [dem König] von Ḫatti, meinem Vater, sprich:

---

5) [Dir], dem großen König, dem König von Ḫatti,
6) meinem [Vater], möge es gut gehen,
7) deinen [Söhnen] möge es [gut gehen]!

---

8) [Mir, deinem Sohn] geht es gut,

Z. 1. Text hat Na-at !-te-ra

Z. 7. Beachte den Übergang aus der 2. Person (tašpuri Z. 6) in die 3. Person ši-i ta-šap-pa-ra.

Z. 12. "das Haupt erheben" im Sinne von "helfen, gnädig sein", "sich kümmern". Es entspricht ša'-âlu šulmi in KUB. III, Nr. 70, 17.

1 B) KUB. III, NR. 70

§ 1. 1) [um-ma-a] (m)šu-ta-ḫa-ap-ša-du (?) ab (?)
2) [mâru ?] ša šarri rabî šàr mât mi-iṣ-ri-i

---

§ 2. 3) [a-na (m)] ḫa-at-tu-ši-li šarri rabî
4) [šár mâ] t ḫa-at-ti a-bu-ia qí-bí-ma

---

§ 3. 5) [a-na k] a-a-ša šarri rabî šàr mât ḫa-at-ti
6) [a-bu-] ia lu-ú šu-ul-mu ù a-na
7) [mârê] (meš)-ka lu-ú [šu-u] 1-m [u]

---

§ 4. 8) [a-na ia-a-ši mâri-ka] šu-ul-mu
9) [mârê ?] (meš) ša (!) ša [rri ? rabî šàr] mât mi-iṣ-ri-i
10) [a] ḫi-ka ša-al-ma

---

§ 5. 11) a-nu-ma šarru rabû šàr mât ḫa-at-ti a-bu-ia
12) il-tap-ra a-na ia-ši a-na ša-a-li
13) šu-ul-ma ša mári-šu ù a-na-ku
14) aḫ-da-di dan-niš dan-niš
15) ki-i a-bu-ia il-tap-ra a-na ia-ši
16) a-na ša-a-li šu-ul-ma

---

§ 6. 17) (d)ria ù (d)tešub i-ša-a-lu šu-ul-ma
18) ša šarri rabî šàr mât ḫa-at-ti a-bi-ia
19) ù i-na-an-di-nu a-na du-um-mu-qí
20) sa-la-ma ù aḫu-ut-ti ša šarri rabî
21) šàr mát mi-iṣ-ri-i it-ti šàrri rabî
22) šàr mât ḫa-at-ti aḫi-šu a-di da-ri-ti

Übersetzung

1) Also (spricht) (f.) Naptera, die Großkönigin von Ägypten:
2) Zu Puduḫepa, der Großkönigin von Ḫatti, meiner Schwester, sprich:

---

3) Mir, deiner Schwester, geht es gut, meinem Lande geht es gut.

---

4) Dir, meiner Schwester, möge es gut gehen!
5) Deinem Lande möge es gut gehen! Siehe! Ich habe gehört,
6) daß du, meine Schwester, geschrieben hast an mich, um dich zu erkundigen
7) nach meinem Befinden, und sie schreibt an mich
8) wegen des Verhältnisses des schönen Friedens (und) wegen des Verhältnisses
9) der schönen Bruderschaft, in welchen der Großkönig,
10) der König von Ägypten mit
11) dem Großkönig, dem König von ḫatti, seinem Bruder, (steht),

---

12) Ria und Tešub warden dein Haupt erheben
13) u.14) und Ria wird gewähren die Verbesserung des Friedens, und er wird geben gute Bruderschaft
15) des Großkönigs, des Königs von Ägypten,
16) mit dem Großkönig, dem König von Ḫatti, seinem Bruder,
17) bis in Ewigkeit. Und ich bin in Frieden
18) und in Bruderschaft mit der G[roßkönigin, meiner Schwester]
19) Und ich hier . . . .

---

20) Siehe [. . .

Literatur:

Meissner ZDMG LXXII s. 59 f.; Jahresbericht der schles. Gesellschaft für vaterländische Kultur, 1917, IV. Abs. S. 23 f.; Weidner MDOG, Nr. 58, S. 78.

Zwei der Antwortschreiben sind uns bis jetzt zugänglich. Eins ist von Naptera an Puduḫepa gerichtet, ein zweites von einem ägyptischen Prinzen Šutaḫapšadu (oder Šutaḫapšab) an Ḫattušil.

I, 1 A). KBo. I, Nr. 29

1) um-ma (sal)na-ap!-te-ra šarratu rabîtu ša (mât)mi-iṣ-ri-i
2) a-na (sal)pu-du-ḫe-pa šarrati rabîti ša (mât)ḫa-at-ti aḫati-ia qi-bí-ma

---

3) a-na ia-ši a-ḫa-ti-ki šu-ul-mu a-na mâti-ia šul-mu

---

4) a-na ka-a-ši a-ḫa-ti-ia lu-ú šu-ul-mu
5) a-na mâti (ti)-ki lu-ú šu-ul-mu a-nu-ma al-te-mi
6) ki a-ḫa-ti ta-aš-pu-ri a-na ia-ši a-na ša-a-li
7) šu-ul-mi ù ši-i ta-šap-pa-ra a-na ia-ši
8) muḫḫi ṭe₄-mi ša sa-la-mi damqi muḫḫi ṭe₄-mi
9) ša aḫu-ut-ti ta-mi-iq-ti ša šarru rabû
10) šàr (mât)mi-iṣ-ri-i i-na libbi-šu it-ti
11) šarri rabî šàr (mât)ḫa-at-ti aḫi-šu

---

12) (d)ria ù (d)tešub i-na-aš-šu-ú ri-iš-ki
13) ù (d)ria i-na-an-din a-na du-um-mu-qí
14) sa-la-ma ù i-na-an-din aḫu-ut-ta
15) ta-me-iq-ta ša šarri rabi šàr (mât)mi-iṣ-ri-i
16) it-ti šarri rabî šàr (mât)ḫa-at-ti aḫi-šu
17) a-di da-ri-ti ù sa-al-ma-a-ku
18) ù ah-ha-a-ku it-ti š [arrati rabîti a-ḫa-ti-ia]
19) ù a-na-ku gán (an)-na

---

20) a-nu-ma[

Rest abgebrochen.

Das sind (1) der Abschluß des Bündnisses zwischen Ramses und Ḫattušil, (2) 1. Eheschließung des ägyptischen Königs mit einer hettitischen Prinzessin, und Reise des hettitischen Königspaares, (3) 2. Eheschließung und Reise der hettitischen Prinzessin. Zu (2) und (3) gehören als Anhang die Aufzählungen von Gaben für die Prinzessinnen, (4) Geburt einer ägyptischen Prinzessin, (5) Beschwerden des Hettiterkönigs über mangelnde Bundestreue des Ägypters und Erwiderung des Ägypters. Damit steht in Zusammenhang der Plan einer Reise des ägyptischen Königspaares zu Ḫattušil, (6) Pest in Ḫatti, (7) Hilfsaktionen für Ḫatti, (8) Reglung des diplomatischen und kulturellen Verkehrs zwischen Ägypten und Ḫatti. Was hier nicht eingeordnet werden kann, muß als Anhang Platz finden (9).

I, 1. Abschluss des Vertrages zwischen Ḫatti und Ägypten

Im 21. Jahre des ägyptischen Königs Ramses II. schlössen Ḫatti und Ägypten nach langem Kriege einen Friedens- und Bündnisvertrag. Durch einen glücklichen Zufall ist sowohl die ägyptische wie die hettitische Ausfertigung, letztere in babylonischer Schrift und Sprache verfaßt, gefunden worden. Übersetzungen findet man bei Roeder AO 2o, S. 37 ff., Langdon-Gardiner, Journal of Egyptian archaeology VI, S. 186 ff., Weidner, Politische Dokumente aus Kleinasien, S. 122 ff.

Gemäß den damaligen diplomatischen Gepflogenheiten, die schon recht hoch entwickelt waren, fand aus Anlaß des großen Ereignisses ein Glückwunschwechsel zwischen beiden Höfen statt. Ḫattušil und Puduḫepa haben anscheinend damit den Anfang gemacht und nicht nur den Pharao selbst, sondern auch seine Gemahlin Naptera und die Prinzen des ägyptischen Hofes mit Schreiben bedacht. Natürlich erhielten sie eine höfliche Antwort.

21. und 22. Kap.; G. Roeder, Ägypter und Hettiter, Alter Orient 20; A. Goetze, Das Hettiter-Reich, Alter Orient 27,2; Fr. Bilabel, Geschichte Vorderasiens und Ägyptens[1]; E. Meyer, Geschichte des Altertums II[1]; A. Goetze, Kleinasien, in Kulturgeschichte des Alten Orients III. Abschnitt, 1. Lieferung; J. H. Breasted, Ancient Records of Egypt (=AR).

Für die Abkürzungen vgl. im allgemeinen die Zusammenstellung des Archivs für Orientforschung (Herausgegeben von Weidner).

I. Briefwechsel Ḫatti-Ägypten

Der Zahl nach stellen die zwischen Ägypten und Ḫatti gewechselten Briefe das größte Kontingent der Sammlung dar. Leider sind viele Texte nur Bruchstücke, die schwer zu ergänzen und deshalb auch sehr schwer zu verstehen sind.

Die Briefschreiber sind z.T. schon genannt. Ramses II. und Naptera, seine Gemahlin, schreiben häufig an Ḫattušil III. und dessen Gattin Puduḫepa. Außerdem ist ein Brief eines ägyptischen Prinzen, nemens Šutaḫapšadu (oder Šutaḫapšab), vorhanden.

Briefe vom hettitischen Hofe sind selten. Das ist verständlich, da man wahrscheinlich nur in besonderen Fällen Kopien von abgesandten Briefen genommen hat, wie z.B. von dem Glückwunschbrief aus Anlaß der Geburt einer ägyptischen Prinzessin.

Zu der Korrespondenz Ḫatti-Ägypten gehört auch der Brief des Ramses an den König von Mira (s. unten) und zwei (?) Briefe Ḫattušils (?) an seinen Gesandten in Ägypten, von denen eine Abschrift zurückbehalten worden ist. Die *Anordnung* der Briefe stößt auf Schwierigkeiten. Am besten wäre natürlich eine chronologische; sie ist aber nach Lage der Dinge unmöglich. Als Aushilfe ergibt sich für sehr viele Briefbruchstücke eine Gruppierung um wichtige Ereignisse und Probleme des ägyptisch-hettitischen Bundesverhältnisses.

Der gleichen Periode wird man wohl auch—a priori—die Brieffragmente zuweisen müssen, aus denen—wenigstens vorläufig—sich ein Anhalt für Zeitbestimmung nicht entnehmen läßt.

In Zahlen ausgedrückt, wird die Entstehungszeit der akkadischen Briefe etwa die Jahre 1295–1240 v. Chr. umfassen.

Zwecks bequemer Übersicht wird die Masse der Briefe hier nach den Korrespondenzpartnern in vier Gruppen geteilt:

I. Briefwechsel Ḫatti-Ägypten;

II. Briefwechsel Ḫatti-Babylonien;

III. Briefwechsel Ḫatti-Assur;

IV. Vereinzelte Briefe verschiedener Herkunft.

Allgemeine Literatur

Texte: KBo. = Keilschrifttexte aus Boghazköi, herausgegeben von Figulla, Forrer, Weidner, Lpz. 1923.

KUB. III = Keilschrifturkunden aus Boghazköi, Heft III, herausgegeben von Weidner, Berlin 1922.

Für die Sprache: R. Labat, L'akkadien de Boghaz-köi, Bordeaux 1932, insbesondere für Schreibung S.7 ff. und Phonetik S.21 ff. Ein Eingehen auf die besonderen Eigentümlichkeiten der Briefe in Schreibung und Phonetik ist dank der ausführlichen Zusammenstellungen Labats nicht erforderlich.

Bearbeitungen sind bei den einzelnen Texten, soweit vorhanden, angegeben. Außerdem vgl. Luckenbill, AJSL XXXVII, der KBo. 1, 10, 14, 15, 19, 20, 23, 24, 25, 29 studiert hat. Diese Arbeit ist, weil überholt, nicht benutzt worden.

Geschichte und Kulturgeschichte: J. Friedrich, Staatsverträge des Ḫatti-Reiches in hettitischer Sprache, MVAeG 31,2, 34,1; A. Goetze, Ḫattušiliš, MVAeG 29,3, Neue Bruchstücke zum großen Text des Ḫattušiliš, MVAeG 34,2; E. F. Weidner, Politische Dokumente aus Kleinasien, Boghazköi-Studien 8; J. H. Breasted-H. Ranke, Geschichte Ägyptens, insbesondere

heute vorhandene Briefmaterial geordnet und philologisch vorbereitet benutzen zu können. Manche Lücken, die jetzt noch leer bleiben mußten, werden dann vielleicht bequem ausgefüllt werden können Andererseits wird man auch für die neuen Texte von dem hier gesammelten Material Nutzen haben.

Herr Professor Ebeling in Berlin war so freundlich, mich mit seinen hochgeschätzten Ratschlägen zu unterstützen. Außerdem war ich im wesentlichen darauf angewiesen, die Literatur, die sich in der Bibliothek des Herrn Professor Ebeling befindet, zu benutzen, was er in Anbetracht der Schwierigkeiten bei der Benutzung der öffentlichen Bibliotheken in heutiger Zeit, entgegenkommenderweise gewährte. Hierfür gebührt ihm mein aufrichtiger Dank.

Möglich ist aber, daß dadurch das eine oder das andere, für die Erklärung der Texte in betracht kommende Ergebnis anderer Forschungen bei Seite gelassen worden ist. Die Not de Zeit muß diesen Mangel entschuldigen. Vielleicht ist es später möglich, etwaige Versäumnisse nachzuholen.

Abfassungszeit der Briefe

Die in KBo. I und KUB. III veröffentlichten akkadischen Briefe sindsoweit sich das überhaupt erkennen läßt-in einem verhältnismäßig engen Zeitraum entstanden,. nämlich der Regierungszeit des hettitischen Königspaares Ḫattušil III. und Puduḫepa und Ḫattušils Sohnes Tudḫalia. (1).

Als Zeitgenossen ergeben sich für Ḫattušil in Ägypten Ramses II. und seine Gattin Naptera, in Babylonien Kadašman-Turgu und Kadašman-Enlil. Von den assyrischen gleichzeitigen Herrschern wird Adadnarâri I. genannt, außerdem kommen wohl noch Salmanassar I. und Tukulti-Ninutra I in betracht.

(1) Diesem Herrscher ist wohl auch das hier nicht behandelte Stück KUB. I:3 (nur Teile der Adresse und Grußformel sind erhalten) zugesandt worden. Man hat wohl anstatt des Kopierten] ib-li-a [tu-ud-ḫa-] al (!)-li a zu ergänzen.

AKKADISCHE BRIEFE DES ARCHIVS

VON

BOGHAZKÖI

VON

Dr. ʿABD ELHALÎM EL NAGGÂR

VORWORT

Die Aufgabe, die der vorligenden Arbeit gestellt ist, ergibt sich im wesentlichen aus dem Titel. Es sollen akkadische Briefe des Archivs von Boghazköi in philologischer Bearbeitung vorgelegt werden.

Es sind also zunächst einmal die hettitischen Briefe, die zum Teil shr wichtige und schwierige Dokumente darstellen, vollkommen ausgeschlossen.

Damit entfällt auch eine genaue historische Darstellung der durch die akkadischen Briefe berührten Zeitumstände. Diese werden nur soweit besprochen, wie es für das Verständnis der Texte notwending ist.

Ferner beschränkt sich die Abhandlung auf die veröffentlichten Texte. die durch die Ausgaben von KBo. I und KUB. III dargeboten werden (1).

Es sind in der Vorderasiatischen Abteilung der Berliner Museen noch unveröffentlichte akkadische Briefe des Archivs von Boghazköi vorhanden. Die Kriegszustände der letzten Yahre machten es unmöglich, sich mit ihnen zu beschäftigen Bearbeiter der noch nicht veröffentlichten Stücke angenehm sein, das bis

---

(1) Ausgeschlossen sind Fragmente, die entweder nur schon bekannte Einleitungsformeln bieten oder solche, die hoffenungslos zerstört sind. Die beiden Nummern KUB. III, Nr. 54/55 sind keine Briefe, sondern gehören nach Ebeling zu einer Anfrage an eine Göttin.

En 1437 ou 1438, sur les instances des commerçants de Barcelone, le roi Alphonse V se décida à désigner de nouveau un consul pour le poste d'Alexandrie, et à le charger d'entamer de nouvelles négociations avec le sultan [1]. Mais ce consul n'arriva pas en Egypte du vivant de Barsbey, lequel mourut en juin 1438. Il fut reçu par le sultan Djakmak, successeur de Barsbey [2] ; et le trafic entre Barcelone et Alexandrie peut reprendre enfin dans des conditions favorables.

---

(1) HEYD, *ibid.*, citant CAPMANY y DE MONTPALAU, *Memorias historicas* ... II, 233-236.

(2) HEYD, *ibid.*, citant les mêmes, *ibid.*, t. IV (*Coleccion diplomatica* 229-230, n° CXIX.

tous les arrivages et à les revendre avec d'énormes bénéfices. Les droits exorbitants qu'il préleva sur les épices à Alexandrie en firent monter le prix de plus de la moitié, dit Piloti (1). Barsbey monopolisa aussi la fabrication du sucre, et on lui en voulut d'autant plus du renchérissement de ce produit, qu'on l'employait comme médicament contre la peste (2). Il interdit enfin aux particuliers la vente des produits manufacturés syriens, du bois et des céréales, et entrava le libre trafic du bétail (3). C'était paralyser tout le commerce.

"Quant le souldain se délibéra de faire la marchandise par son pays et lever l'utilité et le gain de crestiens et de poyens que anciennement tousjours ilz solloyent gaudir, ainsi vrayement a principié la ruyne et destruction de son estat", écrit Piloti (4). Le pays connut la famine, et il fut par surcroît dépeuplé par la peste.

Cependant, ce sont encore une fois des corsaires qui devaient provoquer la suspension totale du commerce avec la Catalogne. En 1432, des corsaires catalans envoyés dans les eaux égyptiennes par le roi d'Aragon en représailles des restrictions mises par Barsbey au commerce, capturèrent cinq vaisseaux sarrasins du port de Beyrouth et dix-huit autres de divers ports de la Syrie (5). Barsbey se vengea en faisant arrêter tous les Catalans qui se trouvaient alors en Syrie, et en interdisant aux Catalans de mettre à l'avenir le pied dans ses états. C'était le renouvellement de la situation de 1415, et Barsbey maintint cette interdiction jusqu'à sa mort.

---

(1) "Les grans gabelles et esforssement qu'il fait sur lez espices costent plus la moitié qu'elles ne costeroyent" (fol. 42 v°).

(2) Sobernheim, dans l'*Encyclopédie de l'Islam*, au mot *Barsbey*.

(3) *Ibid.* On lira aussi Heyd, II, 475-477.

(4) *Ms.*, fol. 64 r°.

(5) Heyd, II, 477, citant G. Weil, *Geschichte der Chalifen*, Stuttgart, J. B. Meissler, 1862, 5 vol. in-8°, t. V, p. 184.

Catalans et Sarrasins à l'époque dont nous parlons [1] ; mais sans doute n'y en a-t-il pas eu. Piloti, qui est resté en Egypte jusqu'à la mort de Barsbey en 1438, n'a pas vu renouer les relations diplomatiques rompues en 1412 ; et les Catalans n'ont plus eu de consul en Egypte avant l'avènement de Djakmak, successeur de Barsbey en 1438.

Capmany et de Montpalau, historiens du commerce de Barcelone, ont signalé toutefois une lettre du sultan "Zayed Jamod" (c'est-à-dire d'Al-Muayyad Shaikh Al-Mahmûdi), qui, d'après Heyd, doit avoir été adressée à la ville de Barcelone en 1414. L'auteur de la lettre rappelle les hostilités (*injuries*) des dernières années et contate le rétablissement des anciennes relations pacifiques [2].

Mais les choses devaient se gâter de plus belle sous Barsbey, car ce sultan inaugura une politique commerciale et financière qui indisposa tout le monde, à commencer par ses propres sujets. Au témoignage de tous ses contemporains, il fut à la fois prodigue et rapace. Piloti l'appelle "le sultan mauvais", et le chroniqueur arabe Makrîzi ne lui porte pas plus d'estime. Toujours à court d'argent, Barsbey commença par une réforme monétaire : à la fin de 1425, il fit proclamer le retrait et la refonte des pièces d'or étrangères, ducats, florins ou besans, comme aussi des anciens dinars égyptiens, pour en fabriquer des dinars nouveaux, appelés dinars "ashrafi", de son nom : Al-Malik Barsbey Al-Ashraf Saif Al-Dîn [3]. Il voulut ensuite monopoliser dans ses états l'important commerce des épices : il interdit l'importation des épices de l'Inde par les particuliers, de manière à pouvoir acheter lui-même

---

(1) Heyd, II, 472-473.

(2) Capmany y De Montpalau, *Memorias historicas sobre la marina, comercio y artes de la antigua ciudad de Barcelona.* Madrid, D. Antonio Sancha, 1779-1792, 4 vol. in-8°, t. II, pp. 210 sq.

(3) A. Raugé Van Gennep, *Le Ducat vénitien en Egypte, son influence sur le monnayage de l'or dans ce pays au commencement du XVème siècle. Revue numismatique* dirigée par A. de Barthélemy... Paris, Rollin et Feuardent, 4ème série, t. I, 1897. in-8°, p. 501.

que nesune aultres nations de crestiens. Et nonobstant que les galées de Cathelains, comme corsaires, voisent en coursse contre Sarrasins, et prendent leurs naves et leur merchandises et leurs persones, et par mer et par terre, les merchans ne les leurs merchandises qui viegne au port d'Alexandrie ne sont de riens obligé ne tenus de respondre de chose nesune, mais vendent et achatent saulf et seurs : par quoy le soldan ne se sent pas puissant contre Cathalains, pour le grant travaille que Cathelains li ont fait de pou en çà. Et si est content en ceste manière, et dist que lez merchans soyent despaichié et traitié comme marchans, et coursaires comme coursaires ; qui est une trèsbelle graice et souveraine par dessus toutes les aultres nation de crestiens : disant que une seulle nation comme celle de Cathalains, que la moitié d'eulx voise au pays du souldan pour faire leur marchandise, et l'aultre moitié voise pour coursaires ; là que par antiquité lez patz de la paix de toute nation crestiene qui use soubz le pays du souldan veult que chescune nation doyent tenir ung de leur consoul, et avecque ce, que se aulcun crestien fera dompmage à aulcun Sarrasin, et subbitement le souldan veult que les marchans de la leur nation qui se trouvera en terre et pays desoubz le souldan doyent respondre et poyer tous les dopmages fais aulxdis Sarrasins : et ainsi s'est tousjours observé contre toutes les nations (fol. 69 r°) crestiennes, jusques au jour présent. Mais certainement pour l'amour dez grans inconvéniens et divisions entrevenus entre lez Cathalains et le souldain, de temps en temps, comme j'ay notéz en cestui livre, la bonne guerre que Cathalains ont fais contre la réputation du souldain l'a conduisse à décliner, à contenter soy à chose qui est à son trèsgrant dishonnour et charge : que, non ayant Cathalains consoul en son pays, la moytié de eulx gaudissent en son pays comme marchans, et l'aultre moytié se gaudissent comme coursaires".

Dans son *Histoire du commerce du Levant au moyen-âge*, Heyd remarque que nous n'avons conservé aucun traité entre

terre, et nesun ne se retournoit à regarder darrier eulx. Et partout fust abandonée la terre, et nesun ne demoura dedens.

"Et si Cathalains eussent su faire, et seguist, ilz eussent eu victoire et eussent eu la terre, et si l'eussent peu mettre à sacqueman, seulement qu'ilz eussent sarée lez portes devers la terre: pourquoy le peuple estoit allé dehors, ne en tout celluy jour ne se asseurarent d'entrer dedens la terre, jusques à heure tarde. Touteffois Cathalains estoyent montés en nave. Et subitement, en celuy jour meismes, Cathalains prindrent une nave de Turcz, laquelle estoit audit port d'Alexandrie, toute chargie de marchandise de grant valeur, et de Turcz et de Sarrasins. Et estoit ladicte nave en point de se partir, et ne attendoit que le temps pour aller en Turquie. Et en ceste façon finirent la leur aventure.

"Lesdictes naves demorarent audit (fol. 68 v°) port. Depuis ce fait, par espace de .iiij. jours s'en allarent en Rode, et certaines merchandises qui leur estoit avensée à vendre deschargiarent en Rode. Et le soldan, qui seust ce, fist faire un commandement que se aulcuns portoient merchandise de Cathalains ou de Barseloine en son pays, qu'elle fust prinse et perdue, comme biens du souldan. Par telle manière que celluy commandement fist trèsgrant dompmage au Cathalains: pourquoy lez merchandises qui naysent en Barseloine et en Cathelogne ne se peuvent pas despachier en nesuns lieux senon en Alexandrie.

"De quoy, veant Cathalains ne se povoir valoir par aultre chemin, ilz se misdrent avecques naves, avecques gallées et avecques galiottes, à vouloir courrir contre Sarrasins et Turcz; lesquels, de temps en temps, leur ont fais de grans dopmages et de leurs personnes et de les leurs merchandises. Et tant les ont travaillé et conduis que le souldan se est contenté que les galées grosses de Cathalains voisent au port d'Alexandrie, et deschargent et vendent et achatent saulvement et seurement et de leurs persones et de leurs biens. Et ainsi vont de temps en temps avecques naves et avecques galées, et ils sont bien venuz et bien traitiés, et mieulx

"Et depuis, ung jour vint que la feste dez Sarrasins vint ; et le consoul qui estoit retenus se acosta de la muraille de la terre qui respondoit envers la mer, et entra au port, et si se avalla avecque une corde : et là, de large, estoyent .ij. barques armées prestement. Elles se acostarent de la muraille, et si levarent ledit consoul, et si le portarent en nave, là où estoyent lez ambassadeurs. Par tel manière qu'il en fust un pou de noise et de parlement dubiose ; mais toutes choses cessarent, et demorarent en paix à vendre et à achecter comme par devant.

"Puis, passé .xv. jours, ung jour devant dîner, Cathalains mandarent alla porte de la doane deux barques avecques aulcuns sacz de noisectes, démostrant que ilz lez volsissent déchargier ; et deux aultres barques en la place au lieu là où se chargent lez espices ; (fol. 68 r°) et deux aultres barques à la rive là que lez marchans et mariniers desmontent en terre pour aller en cité ; dezquelx barques nesuns ne prendoyent suspis. De quoy lezdittes barques estoyent trèsbien en ordre de toutes manières et raison d'armes. Entre lez barques et en terre estoyent environ .ij.C. personnes.

"De quoy, environ trois heures de jour, ceulx de la nave levarent lez enseignes et bandières ordonée : de quoy subbitement tous, avecques lez leurs espées et armes de toutes raison, saillirent de barques et coururent dedans la doane et par toute la place, qui estoit plain de gens, de hommes et de femmes, et en aulcuns hostelz plain de gens et de familles : et à tous tailloyent lez piez et lez mains et lez visaiges, et lez laissoyent ainsi gastés, saulf lez jousnes femmes et jousnes hommes, lesquelx portarent vie avecques eulx en leur nave. Et lez gens des deux barques de la doane courroyent par dedens ; et sentant lez seigneurs et lez offitiaulx de la doane que tousjours pesoyent et tiroyent la marchandise dehors, subbitement ilz montarent à cheval et courroyent le plus prest qu'il porroyent hors de la terre, et aussi tout le peuple de la terre : par tel manière que l'ung cheyoit sur l'aultre, et tous yssoient hors par la porte qui s'en va hors de la

demeurs en mon pays ? Et le consoul respondist : Seigneur, pour soubstenir et consoler lez marchans de ma nation, et aussi de eulx donner occasion qu'ilz viengnent par deçà pour faire bon le vostre pays. Et oyant le souldain sez paroles, il li bailla sa lettre, et si luy dist : Lisés ceste lettre fort, affin que chescun l'entende. Et ainsi la leu ; et leue qu'il eust, le souldain li dist : Et comment tu fais tout le contraire de ce que tu me dis que tu scriveroye au marchans à Damasque ? Car tu escripz que ilz se deussent fuyr et s'en aller avecque la leur marchandise ! Et (fol. 67 v°) incontinent le souldain commanda que ledit consoul et ledit marchant[1] fussent despolliés et extendus sus la terre et batus. Par telle manière furent batus, et si crudelment, que le merchant renoya et se fist sarrasin. Et ledit consoul fust en mains de mèges par espace de .vj. mois et plus, infin à tant qu'il guarist. Et en ce temps pendent, tous lez marchans cathalains se levarent et s'en allarent hors du pays du souldain. Et puis celluy consoul domanda de grâce au souldain que il peust aller en Alexandrie et là estre et demorer ; par quoy le souldain consenti que il y allaist, estant retenus au portes, et que il ne se peut partir hors de la terre. Et ainsi s'en alla, et demoura avecque grant poverte et travaille, seul en la leur fondigue.

"Par tel manière que, depuis environ trois ans, vinrent au port d'Alexandrie .iij. naves de Cathalains chargié de marchandise, avecque trois imbassadeurs : lezquelx donnoyent vois de volloir aller au Caire et pratiquer acort et paix avecque le souldain. Et lez Sarrasins creoyent que il feust ainsi, et avecque ceste créance et foy ilz commensarent à vendre les leurs marchandises, et achectoyent espices, et tousjours avecque seurité. Et premiers ilz chargioyent lez espices, et depuis ilz déchargioyent lez leurs marchandises ; et aussi le faisoyent par moyen de aulcuns Venitians qui leur faisoyent seurté.

---

[1] Un marchand catalan qui accompagnait son consul, comme c'était la règle.

marchans sarrasins allarent devant ledit califa et pape, et demandarent la leur raison. Et le consoul de Cathalains faisoit tousjours sa défention ainsi comme il faisoit au premier souldain. Enfin le califfa détermina que la nation de Cathalains deusse poyer pour le dompmage de ladicte nave fais aulxdis Sarrasins .xxx. M. ducas, payant la moytié lez marchans qui se trouvoyent en Alexandrie, et l'aultre moytié lez marchans cathalains qui se trouvoyent à Damasque.

"Par tel manière que subbitement le consoul si manda à Damasque et si avisa lezdis marchans cathalains de cestui cas, et que ilz deussent payer la moitié desdis .xxx. M. ducas ; et que ce seroit meilleur que ilz se levassent du pays avecques lez leurs marchandises. Par telle manière que, depuis pou de jours en là, alla message du souldain à Damasque ; et, soy veullant payer dez Cathalains, lezdis marchans cathalains misrent en ung sachet .v.M. ducas, et si lez donnarent au messaige du souldain et dirent : Nous ne sommes en défault de riens, mais nous mandons au souldain pour ung présent cez dis .v.M. ducas ; et en après li mandons ceste lettre che nostre consoul nous a mandé, et que devions fuyr. Et ainsi ledit messaige receu lezdis ducas et la lectre, et s'en retourna au Cayre, et si présenta au souldain lezdis ducas et la lettre.

"Incontinent le souldain manda per ledit consoul, et si luy dist : Consoul, pour quel raison a-tu eu ma provision [1] et

---

[1] Les consuls étrangers recevaient annullement une allocation de 200 ducats payés par la caisse de la douane et appelée par les traités *djâmikiya* (= entretien de l'habillement). On connaît à ce sujet des traités de 1422 en faveur des consuls de Florence, de Catalogne, et de Venise à Alexandrie, et du consul de Rhodes à Damiette (W. HEYD II, 455, note).

"Cette rémunération, dit HEYD, attribuée par le sultan aux représentants des puissances commerciales de l'Occident, était la preuve palpable du prix qu'il attachait au maintien de ses relations avec elles, d'ailleurs si avantageuses pour lui. Mais en compensation il considérait jusqu'à un certain point les consuls comme des ôtages auxquels il pouvait faire supporter la responsabilité et la peine de tout acte d'hostilité commis par sa nation contre l'Egypte".

au Caire en la présence du souldain Melequenasar ([1]), qui estoit filz du souldain Barquoco. Et si mandarent en Alexandrie pour le consoul de Chattalains qui là estoit, et que luy et la nation catalaine deust poyer la valeur dezdictes marchandises et aussi dez marchans sarrasins qui avoyent esté vendus, et avecque beaucop d'aultres paroles, disant la leur raison. Et le consoul de Cathalains respondist que le souldain non avoit à soy empachier ne faire raison aulx marchans qui estoyent de Barbarie et soubgectz au roy de Tunis de Barbarie, et avecques d'aultres paroles. Adonques le souldain respondist et dist aulx Sarrasins : Vous n'estes pas mes soubgectz, ne je ne veulx pas prendre noise pour vous avecques Cathalains, pource que ce seroit contre Dieu. Et pour tant allés-vous en à vostre roy, qui est vostre seigneur, et il proveyra à vostres besoignes et à voz affaires. Et en ceste manière la chose prinst fin.

"Par quoy depuis, que fust en l'an mille .CCCC. et xj. ([2]), ledit souldain morust à Damasque, et en son lieu fust eslu ung souldain, lequel estoit armirail, lequel s'appelloit Zie ([3]). Par telle manière que, quant il fust confermé souldain, les Sarrasins parens desdis marchans de ladicte nave, et aussi ceulx à qui la marchandise apertenoit, lezquelx estoyent de Barbarie, se aprésentarent en présence du souldain, et si demandarent la raison de ladicte nave.

(Fol. 67 r°) "Et incontinent ledit souldain manda pour le consoul dez Cathalains avecque ung de sez marchans, et lez fist venir au Cayre. Et oyant la caison, ledit souldain commanda que son calipha ([4]) fusse juge de cette occasion. De quoy lezdis

---

([1]) Al-Malik Nasir Nasir Al-Dîn, connu sous le nom de Faradj, fils de Barkûk.

([2]) Erreur de Piloti. Faradj fut assassiné à Damas en mai 1412 (la nuit du vendredi au samedi 7 Safar 815).

([3]) Shaikh. C'est le sultan Al-Malik Al-Muayyad Shaikh Al-Mahmûdi (1412-1421).

([4]) Ce calife était Mu'tadid bi'Llah, frère du calife précédent, Al-Mostaïn, déposé par Shaikh Al-Mahmûdi.

Alors le sultan interdit tout commerce avec Barcelone et décréta la confiscation de toute marchandise catalane qui se trouverait introduite dans ses états.

Mais ce commandement ne fut pas observé longtemps, car les Catalans, avec naves, galères et galiotes, firent aux Sarrasins une telle guerre et leur infligèrent à l'aventure de tels dommages, que le sultan finit par laisser de nouveau les grosses galères catalanes fréquenter à Alexandrie et y faire librement le commerce, *bien que la nation catalane n'y eût plus de consul.* Le sultan admettait par là un *modus vivendi* qui sauvegardait les intérêts du commerce et faisait traiter les marchands en marchands sans les tenir pour responsables des méfaits des corsaires. Traitement de faveur, dit Piloti, réservé à la nation catalane, et dont ne jouit aucune autre nation chrétienne : car, si quelque corsaire se rend coupable de piraterie à l'égard des sujets du sultan, le consul et les marchands de sa nation sont aussitôt tenus de compenser les dommages—et cette coutume a toujours été observée.

Voici le texte de Piloti concernant tous ces faits :

(Fol. 66 v°) "Environ l'an .M.CCCC. et. viij., une nave de Cathalains chargia au port d'Alexandrie marchandise de une trèsgrant valeur et aussi beaucop de marchans sarrasins et de Barbarie, lesquelx Sarrasins estoyent seigneurs dezdictes marchandises ; par tel convention et acort que ladicte nave devoit aller au port de Tunis de Barbarie, et là devoit deschargier ladicte marchandise et aussi lezdis marchans ; et ilz se devoyent poyer de leur noli. Par telle manière que, quant ladite nave fust partie d'Alexandrie, lez Cathalains menarent tout droit en Cathalogne, et là deschargiarent lezdittes marchandises. Et ycelles marchandises, le patron de ladicte nave lez vendist, et en receust l'argent et mist en bource. Et depuis vendist tous lez marchans sarrasins pour esclaves, et en fist une trèsgrande somme de ducas.

"Pour laquel raison, lez parens dezdis marchans sarrasins, et aussi ceulx de qui estoyent lezdictes marchandises, s'en allairent

communiquant la lettre de leur consul. Ducats et lettre furent remis au sultan qui manda sur-le-champ le consul de la nation catalane, et, après l'avoir confondu devant sa cour, lui fit donner la bastonnade de si cruelle manière, dit Piloti, qu'il fut pendant plus de six mois entre les mains des médecins.

En ce temps-là, dit Piloti, tous les marchands catalans quittèrent le pays du sultan. Quant au consul, il obtint la permission de se retirer à Alexandrie, mais il lui fut interdit de sortir de la ville, et il demeura en grande pauvreté, seul dans son fundûk désert.

Il s'échappa toutefois lui-même, selon Piloti, trois ans plus tard, à la faveur d'une fête sarrasine, en se laissant dévaler de la muraille du port au moyen d'une corde : il fut recueilli par les barques de trois naves catalanes venues dans la rade sous couleur de négocier la paix avec le sultan. Ceci se passait en 1415.

Mais les Catalans ne s'en tinrent pas là. A quinze jours de cette fuite, continue Piloti, par une matinée, les naves que l'on croyait venues pour négocier détachèrent plusieurs barques au port : deux à la Porte de la Douane, prétendûment pour y décharger des sacs de noisettes, deux autres à la plage des épices, et deux autres encore à l'endroit où les marchands et les marins accostaient pour se rendre en ville. Personne ne se méfiait, car depuis l'arrivée des naves un certain va-et-vient s'était opéré paisiblement dans le port, les Catalans déchargeant des marchandises et achetant des épices sous la garantie de marchands vénitiens. Mais, ce jour-là, les barques catalanes étaient armées secrètement et, sur un signal des naves, leurs occupants envahirent la douane et les lieux avoisinants, taillant de leurs épées et malmenant tout le monde, en n'épargnant que les jeunes femmes et les jeunes hommes, qu'ils emmenèrent avec eux sur leurs naves. Ils s'emparèrent d'ailleurs par la même occasion d'une nave turque qui attendait dans le port le moment d'appareiller avec des passagers sarrasins et des marchandises pour la Turquie. Peu de jours après, ils vendaient une partie de leur butin à Rhodes.

Vers l'an 1408, nous dit-il (¹), une nave catalane chargea dans le port d'Alexandrie un groupe de marchands sarrasins des pays barbaresques avec leurs marchandises pour une très grande valeur. Il était convenu que la nave les conduirait à Tunis. Mais les Catalans menèrent tout droit jusqu'à Barcelone, où le patron de la nave vendit les marchandises pour son propre compte. Il vendit aussi, dans la suite, tous les marchands sarrasins comme esclaves, et il retira de ces opérations une très grosse somme de ducats.

Les parents des marchands portèrent plainte au Caire devant le sultan Faradj, réclamant des dommages-intérêts à payer par la nation catalane. Le consul catalan fut mandé d'Alexandrie au Caire, mais il se récusa devant le sultan, en arguant que celui-ci n'avait pas à se charger des intérêts de marchands barbaresques, sujets du roi de Tunis. Le sultan Faradj, qui tenait au maintien des bonnes relations avec la puissance catalane, admit ce point de vue, "pour ne pas prendre noise avecques Cathelains", dit Piloti, "pource que ce seroit contre Dieu". Il renvoya donc les plaignants au roi de Tunis, et l'affaire en resta là momentanément.

Elle ne fut réglée qu'après la mort de Faradj, en 1412, par son successeur Al-Muayyad ou Shaikh Al-Mahmûdi. Celui-ci, sur les instances renouvelées des plaignants et sur l'avis du calife, exigea du consul catalan d'Alexandrie le payement de 30.000 ducats de dommages-intérêts, à payer, moitié par les marchands catalans d'Alexandrie, moitié par ceux de Damas.

Le consul catalan commit alors une maladresse. Devançant les mesures du sultan, il écrivit à ses compatriotes de Damas pour les avertir qu'une saisie les attendait et pour leur conseiller en toutes lettres de fuir le pays avec leurs biens. Mais, quand l'envoyé du sultan arriva, quelques jours après, à Damas, les Catalans de la ville se tirèrent d'affaire en lui offrant en présent pour son maître 5.000 ducats "en ung sachet", et en lui

(¹) *Ms.*, fol. 66 v°-69 r°.

Un marchand vénitien de l'époque nous a parlé de ces difficultés. C'est Emmanuel Piloti. Dans un traité commencé en 1420 [1], il décrit en détail l'importance économique et militaire de l'Egypte ; il nous dit ce qu'il a pu observer lui-même durant les longues années de son activité commerciale dans le pays, et il nous rapporte ce qui, sans doute, occupait les conversations dans le milieu d'importateurs auquel il appartenait. Né en Crète, il était venu en Egypte vers 1398, à l'âge de vingt-cinq ans, et il avait fait de longs séjours à Alexandrie et au Caire sous les sultans tcherkesses Faradj, Al-Muayyad et Barsbey, c'est-à-dire pendant près de quarante ans de la période qui nous occupe.

C'est d'après le traité de Piloti que le savant historien du commerce du Levant au moyen-âge, Wilhelm Heyd, a résumé l'histoire des démêlés entre Catalans et Sarrasins à cette époque [2].

Une crise, dont l'origine remonte au règne de Faradj en 1408, éclata sous Al-Muayyad en 1412, amenant une rupture qui, en dépit d'une accalmie vers 1415, allait se prolonger sous le règne entier de Barsbey et jusqu'à l'avènement de Djakmak en 1438. Voici, selon Piloti, l'origine de cette rupture.

---

[1] Achevé en 1438, lors de la retraite de l'auteur en Italie, et traduit par lui-même en français en 1441.

Nous n'avons conservé que cette traduction. C'est le ms. 15701 de la Bibliothèque Royale de Belgique. Longtemps ignoré, ce manuscrit a été publié en 1846 par le baron de Reiffenberg, sous le titre de *Traité d'Emmanuel Piloti sur le passage dans la Terre Sainte, 1420*, dans les *Monuments pour servir à l'histoire des provinces de Namur, de Hainaut et de Luxembourg* (Publication de l'Académie des Sciences, des Lettres et des Beaux-Arts de Belgique, Commission d'Histoire), Bruxelles, M. Hayez, in-4°, tome IV, pp. 312-419. Publication très défectueuse. Reiffenberg n'a pas toujours bien lu le texte, et les maigres notes qu'il y a mises sont souvent erronées. Nous préparons une édition critique du manuscrit.

[2] *Histoire du commerce du Levant au moyen-âge*, par W. HEYD.... *Edition française refondue et considérablement augmentée par l'auteur, publiée sous le patronage de la Société de l'Orient latin, par* FURCY-RAYNAUD. Dessau, 1885-1886. Réimpression anastatique : Leipzig, Otto Harrassowitz, 1923, 2 vol. in-8°, tome II, pp. 472-473.

LES RELATIONS EGYPTO-CATALANES ET LES CORSAIRES AU COMMENCEMENT DU QUINZIÈME SIÈCLE

PAR

P. H. DOPP

Entre tous les corsaires de nationalités diverses qui, au moyen-âge, infestaient les mers du Levant, les Catalans passaient pour les plus entreprenants et les plus redoutables. Leur apparition en mer terrorisait les navires marchands de toutes les nations, même chrétiennes, à destination ou en provenance des pays sarrasins. Leur audace était si grande qu'ils venaient fréquemment surprendre des navires jusque dans les ports. Alexandrie elle-même, en dépit de ses défenses et de la chaîne qui, la nuit, fermait son bassin principal, reçut si souvent leur visite que les sultans excédés durent, à plusieurs reprises, user de représailles et mettre à l'amende collective les marchands catalans qui séjournaient dans leurs territoires d'Egypte et de Syrie.

Les méfaits de ces corsaires nuisaient donc grandement au commerce régulier qui, depuis longtemps, se faisait entre la Catalogne et les états sarrasins, notamment à Alexandrie. Or ce commerce était considérable. Barcelone, qui partageait alors avec Venise et Gênes l'empire commercial de la Méditerranée, avait depuis 1272 un consul et un fundûk à Alexandrie. Elle fournissait à l'Egypte de grandes quantités de draps de laine, de miel et de corail. Mais les sultans rompirent plusieurs fois les relations commerciales et diplomatiques avec Barcelone, et il y eut de longues périodes, par exemple sous Al-Muayyad Shaikh, de 1412 à 1422, et sous le règne entier de Barsbey, de 1422 à 1408, où l'Egypte se trouva sans représentant officiel de la nation catalane.

CONTENTS

European Section:

Arabic Section:

BULLETIN

OF

THE FACULTY OF ARTS



VOL. XI—PART I

MAY 1949

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year, in May and December. All requests for copies should be made to the Fouad I University Librarian, Giza. Communications regarding contributions should be addressed to **Dr. Fu'âd Hasanein 'Ali**, Editor of the Bulletin, Faculty of Arts, Giza, Egypt.

Fouad I Univ. Press, CAIRO
1949





المجلد الحادى عشر — الجزء الثانى

ديسمبر ١٩٤٩

تصدر هذه المجلة مرتين فى السنة . فى مايو وديسمبر . وتطلب من مكتبة جامعة فؤاد الأول بالجيزة . وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية إلى المشرف على تحريرها الدكتور فؤاد حسنين على بكلية الآداب بالجيزة

مطبعة جامعة فؤاد الأول
١٩٤٩

٥٣ — التسجيل ونظرية سوء النية (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة العاشرة ، ١٩٤٠ ، ص ٤٧ — ٧٠) .

(هـ) شرح القانون المدنى الجديد

٥٤ — الحقوق العينية التبعية ، أو التأمينات العينية ، ١٩٤٨ ، فى ٥٨٢ صفحة .

"وأنت يا قاضى القضاة ، إن الجامعة ترجو على يديك ، أن يؤدى كل جامعى رسالته" فشعارها شعارك ، وأهدافها أهدافك .

التحرير

فهرس

القسم العربي :

حضرة صاحب المعالى

الدكتور ابراهيم شوقى باشا

ولد فى ١٧ / ٥ / ١٨٩٠ وتخرج فى مدرسة الطب المصرية عام ١٩١٣ وأوفدته الحكومة إلى انجلترا للتخصص فى أمراض الأطفال . ولما عاد إلى مصر أنشأ أول مركز لرعاية الطفل بها ، وقد أخذ بهذا النظام وعمم فى سائر أنحاء المملكة المصرية كما أدخل فى مدرسة الطب مادة علم أمراض الأطفال وتولى هو تدريسها ونجح فى إعداد جيل جديد للتخصص فيها .

وفى عام ١٩٢٨ تقدم إلى المؤتمر الطبى الدولى ببحث فى مرض الكساح وأمراض الدوسنتاريا فى مصر واعترافا بفضله منحته كلية الطب الملكية بلندن عام ١٩٣٥ لقب عضو M.R.C.P. London .

ولم يقف نشاط معاليه عند هذا بل أنشأ أكبر وأتم مستشفى للأطفال يتسع لحوالى مائتى سرير ، ويشترك فى إدارته سائر أعضاء هيئة تدريس أمراض الأطفال بكلية الطب ، فضلا عن غيرهم من المختصين فى الأمراض المتنوعة .

وفى عام ١٩٤٠ رشح بأغلبية الأصوات لعمادة كلية الطب وأعيد ترشيحه ثانية فى ديسمبر عام ١٩٤٥ وعين وقتذاك عميداً للكلية فكان ثالث عميد مصرى تولى شئون هذه الكلية فدب عليها ، ونهض بها ، وترك فيها كثيراً من الاصلاحات ، ولم يتركها إلا بعد أن أتم إجراءات إنشاء كلية طب العباسية .

وفى ديسمبر عام ١٩٤٧ وقع عليه الاختيار مديراً لجامعة فؤاد الأول وظل فى هذا المركز حتى اختير وزيراً للصحة العمومية فى ٣ نوفمبر ١٩٤٩

ويتمتع معاليه بشهرة علمية عالمية فهو علاوة على أنه انتخب نقيباً للاطباء مرتين فهو منظم نقابة المهن الطبية وواضع القانون الذى تسير عليه وهو الذى منحته كلية الطب الملكية بلندن عام ١٩٤٨ أكبر لقب لديها ألا وهو زميل F.R.C.P. London .

وقد عنى معاليه بتنظيم الالتحاق بالجامعة وتيسير الدراسة لغير القادرين من الطلبة الممتازين ، كما تم فى عهده أول مبنى من مبانى مدينة فاروق الجامعية وهو يتسع لحوالى ثلثمائة طالب . واحتضن مشروع إنشاء مستشفى خاص لطلبة الجامعة .

ومن حسناته التى يذكرها له الجامعيون أنه استصدر قراراً من مجلس الوزراء بجعل الاجازات الدراسية والمهمات العلمية للخارج من اختصاص مجلس الجامعة فأتيح لجامعة فؤاد الأول التوسع فى إرسال بعض أعضاء هيئة التدريس بها إلى الخارج ، وهذا فضلا عن البعثات المعتادة للجامعة التى توفد عن طريق لجنة البعثات .

كما دأب معاليه على توثيق الروابط العامة بين جامعة فؤاد الأول والجامعات الأجنبية فعاون فى استدعاء الأساتذة الزائرين والسماح لبعض أساتذة جامعتنا بالقيام بالمهمات العلمية والتدريس فى الجامعات الأوربية

ومعاليه عضو فى الهيئات الآتية :

الجمعية الخيرية الاسلامية .

الجمعية الطبية الملكية المصرية .

جمعية ذكرى كتشنر .

جمعية الاسعاف الأهلية بالقاهرة .

جمعية فؤاد الأول للهلال الأحمر .

جمعية يوم المستشفيات .

جمعية الرفق بالحيوان .

نقابات المهن الطبية .

القسم الطبى بوزارة الأوقاف .

مستشار طبى جمعية مبرة محمد على الكبير .

رئيس مجلس إدارة الجمعية التعاونية لانتاج وتوريد الأدوية .

وهو :

عضو فى نادى محمد على .

وفى نادى سليمان باشا .

وفى نادى السيارات الملكى .

بعض مؤلفاته

1. *Treatment of Lamblia Intestinalis*:
   in collaboration with Prof. Khalil.
   Brit. Journ. Trop. Med. & Hyg. 1923.

2. *Dysentries in Egypt*:
   Compt. Rendu Congr. Intern. de Hyg. & Med. Trop. 1928

3. *Rickets in Egypt*:
   Compt. Rendu Congr. Intern. de Hyg. & Med. Trop. 1928.

4. *Par-Enteric Fevers in Egypt*:
   In collaboration with Dr. Zaki Khalid.
   Journ. of Egypt. Med. Assoc. & by Z. K. in the Journal of Hygiene 1922 Cambridge.

بعض البحوث التى أشرف عليها

1. *Experimental Study of the Anti-rachitic Factor etc.*:
   By Drs. I. Sabri & Fikri.
   Archives of Diseases in Childhood. London 1932.

2. *Incidence of Sugars in the Urine of Children*:
   By Dr. M. El Sayed & Dr. Fikri.
   Archives of Dis. in Childhood. London 1932.

3. *Anaemia in Children*:
   Thesis for the M.D. by Dr. M. Diwani.
   Journal of Egypt. Med. Assoc. 1933.

4. *The Significance of Albuminuria in Children :*
By Dr. M. Aboud
Ibid.

5. *The Mantoux Test in Infants :*
By Dr. T. Abdel Barr.
Ibid.

6. *The Acidity of Castro Contents in Egyptian Children :*
By Drs. A. Shorbagi & A. Kirsha.
Ibid.

7. *The Average Composition of Breast Milk in Egyptian Mothers :*
By Dr. Souefi.
Ibid.

* * *

فيا كبير الأطباء شفيت المريض وقومت المعوج ، وحرصت على أن تحمل الأمانة أصحابها ، فقد أيقنت أن الأمانة العلمية هى الرسالة الأولى للجامعة .

فأثابك الله فيما صنعت ، وعلى هدى الله فيما قصدت ، أجزل لك عطاءك ، وشرح لك صدرك .

التحرير

حضرة صاحب المعالى

الدكتور محمد كامل مرسى باشا

ولد معاليه فى ١٩ يناير ١٨٨٩ بمدينة طهطا التابعة لمديرية جرجا، وتلقى تعليمه الابتدائى فى أسيوط، والثانوى فى الخديوية بالقاهرة، ومن ثم التحق بمدرسة الحقوق المصرية وتخرج فيها عام ١٩١٠

ثم سافر إلى فرنسا لمواصلة دراسته القانونية فتوجها عام ١٩١٤ باجازة الدكتوراه ، وعاد إلى مصر فاشتغل بالمحاماة حتى عين وكيلا للنائب العام فى ديسمبر ١٩١٥

وظل فى وظيفته هذه حتى وقع عليه الاختيار عام ١٩١٩ ليكون مديراً لقسم الادارة بالأوقاف الملكية، ولم يلبث بها طويلا حتى عين مدرساً فى مدرسة الحقوق عام ١٩٢٠ ، ولم يترك عمله هذا حتى وقع عليه الاختيار للعمل بالسلك السياسى فعين سكرتيراً للمفوضية المصرية بلندن فى ديسمبر ١٩٢٣ ثم انتقل عام ١٩٢٥ إلى لاهاى .

وفى يناير ١٩٢٧ استدعته جامعة فؤاد الأول ليكون أستاذاً للقانون المدنى كما اختير وكيلا لكلية الحقوق ، ولم يأت أكتوبر ١٩٢٨ إلا واختاره أساتذة الكلية عميداً لهم .

وظل مهيمنا على دراسة القانون بجامعة فؤاد الأول حتى اختير فى يناير ١٩٤٠ مستشاراً لمحكمة النقض التى أصبح وكيلا لها عام ١٩٤٥

وفى فبراير ١٩٤٦ أصبح وزيراً للعدل كما صدر مرسوم فى مارس بتعيينه عضواً فى مجلس الشيوخ .

وفى سبتمبر ١٩٤٦ عين رئيساً لمجلس الدولة .

وفى ٢٨ نوفبر سنة ١٩٤٩ مديراً لجامعة فؤاد الأول .

ومعاليه مؤسس مجلة القانون والاقتصاد التى يصدرها أساتذة كلية الحقوق منذ عام ١٩٣١ .

وهو سكرتير عام جمعية الاقتصاد والاحصاء والتشريع .

وهو مدير مجلة مصر العصرية L'Egypte Contemporaine .

وهو عضو مجلس الادارة فى جمعية القانون الدولى .

واعترافاً بفضله وتقديراً لجهوده العلمية داخل مصر وخارجها أنعم عليه بالالقاب الآتية :

رتبة البكوية عام ١٩١٩

نيشان النيل الرابع عام ١٩٢٥

رتبة الباشوية عام ١٩٤٦

نيشان المعارف العمومية الفرنسية برتبة ضابط عام ١٩٢٨

Officier de L'instruction Publique Française en 1928.

كومندير نيشان تاج إيطاليا عام ١٩٣١

Commandeur de l'Ordre de la Couronne d'Italie en 1931.

كومندير نيشان تاج إيطاليا بلقب ضابط عظيم ١٩٣٤

Grand Officier de l'Ordre de la couronne d'Italie en 1934.

نيشان اللجيون دونير برتبة ضابط عام ١٩٣٥

Officier de l'Ordre National de la Legion d'Honneur en 1935.

المؤلفات

(ا) كتب باللغة العربية

١ — شرح قانون العقوبات (القسم العام) الطبعة الأولى ١٩٢١ فى ٤٤٠ صفحة . الطبعة الثانية ١٩٢٣ فى ٤٤٠ صفحة .

٢ — أصول القوانين (بالاشتراك مع سيد مصطفى باشا) ، ١٩٢٣ فى ٦٨٨ صفحة .

٣ — العقود المدنية الصغيرة ، الطبعة الأولى ١٩٢٣ فى ٣٥٩ صفحة ، الطبعة الثانية ١٩٣٨ فى ٦١٠ صفحة ، الطبعة الثالثة ١٩٤٢ فى ٧٥٨ صفحة .

٤ — عارية الاستعمال وعارية الاستهلاك والايرادات وأحكام الفوائد على العموم (بالاشتراك مع سيد مصطفى باشا) ، ١٩٢٢ فى ٤٨٢ صفحة .

٥ — الملكية والحقوق العينية ، الطبعة الأولى ١٩٢٣ فى ٤٥٩ صفحة ، الطبعة الثانية ١٩٢٨ فى ٥٩٦ صفحة ، الطبعة الثالثة : الجزء الأول (الأموال ، الحقوق ، حق الملكية ، حق الانتفاع) ، ١٩٣٣ فى ٥٢٤ صفحة . الجزء الثانى (حقوق الارتفاق ، الهبة) ، ١٩٣٤ فى ٥٠٠ صفحة . الجزء الثالث (المواريث والوصية : لم ينشر) . الجزء الرابع (الشفعة) ، ١٩٣٦ فى ٤٨٣ صفحة ، ١٩٤٧ الجزء الخامس (التقادم أو مضى المدة) ، ١٩٤٢ فى ٥٥٢ صفحة .

٦ — الشفعة وحق استرداد الحصة المبيعة قبل القسمة ، الطبعة الأولى ١٩٢٣ فى ١٥٧ صفحة ، الطبعة الثانية ١٩٣٦ فى ٤٨٣ صفحة ، الطبعة الثالثة ١٩٤٧ فى ٥٣٤ صفحة .

٧ — التقادم أو مضى المدة ، ١٩٤٢ فى ٥٥٢ صفحة .

٨ — الأموال ، الطبعة الأولى ١٩٣٥ فى ٦٠٥ صفحة ، الطبعة الثانية ١٩٣٧ فى ٥٩٨ صفحة ، الطبعة الثالثة ١٩٤٣ فى ٥١١ صفحة .

٩ — الملكية العقارية فى مصر وتطورها التاريخى من عهد الفراعنة حتى الآن ، ١٩٣٦ فى ٢٥٦ صفحة .

١٠ — التأمينات الشخصية والعينية ، الطبعة الأولى ١٩٢٧ فى ٤١٤ صفحة ، الطبعة الثانية ١٩٣٠ فى ٦٥٧ صفحة ، الطبعة الثالثة ١٩٣٨ فى ٨١٢ صفحة .

١١ — الموجز فى التأمينات ، الطبعة الأولى ١٩٣٩ فى ٣٩١ صفحة ، الطبعة الثانية ١٩٤١ فى ٣٨٣ صفحة .

١٢ — شهر التصرفات العقارية (التسجيل ، القيد) ، ١٩٣٩ فى ٥٠٠ صفحة .

١٣ — شرح قانون العقوبات المصرى الجديد (بالاشتراك مع الدكتور السعيد مصطفى السعيد) ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ١٩٣٩ فى ٥١٣ صفحة ، الطبعة الثانية ١٩٤٣ فى ٥٤٢ صفحة ، الطبعة الثالثة ١٩٤٦ فى ٥٣٨ صفحة .

١٤ — قوانين المحاكم المختلطة والقوانين المكملة لها (ترجمة) ، ١٩٢٦ فى ٤٩٥ صفحة .

١٥ — المجموعة المدنية المصرية ، ١٩٤٠ فى ٤٤٦ صفحة ، ١٩٤٢ فى ٦٧٢ صفحة .

١٦ — المجموعة المدنية المصرية : الجزء الثانى (القوانين المكملة للقانون المدنى) ، ١٩٤٨ فى ٦٩٤ صفحة .

(ب) باللغة الفرنسية

١٧ — نطاق حق الملكية العقارية فى مصر : دراسة قانونية تاريخية مقارنة ، باريس ، ١٩١٤ فى ٤٦٦ صفحة .

(ج) مقالات باللغة العربية

١٨ — الأموال الثابتة بطريق التخصيص (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الأولى ، ١٩٣١ ، ص ٦٤ — ٩٣) .

١٩ — تملك واضع اليد الثمار (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الأولى ، ١٩٣١ ، ص ٢٦٣ — ٢٨٤) .

٢٠ — الشفعاء ومراتبهم فى الشريعة الاسلامية وفى القانون الأهلى والمختلط (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الثانية ١٩٣٢ ، ص ٥٦٥ — ٦٠٤ ، السنة الثالثة ، ١٩٣٣ ، ص ٥ — ٥٠ وص ١٤٧ — ١٧٤) .

٢١ — اشهار التصرفات العقارية (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الثالثة ، ١٩٣٣ ، ص ٤٣٩ — ٤٦٠ و ص ٥٨٩ — ٦٤٢ ، السنة الرابعة ، ١٩٣٤ ، ص ٦٩ — ٨٦ وص ١٤٩ — ١٨٠) .

٢٢ — فتح المطلات والمناور (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الرابعة ، ١٩٣٤ ، ص ٢٣٥ — ٢٦٥) .

٢٣ — العقود التى تجيز الشفعة والتى لا تجيزها (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الخامسة ، ١٩٣٥ ، ص ٣٤٥ — ٣٩٤) .

٢٤ — قاعدة «الحيازة فى المنقول سند الملكية» (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة السابعة ، ١٩٣٧ ، ص ٨٩٣ — ٩٥٢) .

٢٥ — مركز الأجانب فى التشريع الجنائى المصرى (بالاشتراك مع الدكتور السعيد مصطفى السعيد) ، مجلة القانون والاقتصاد ، السنة السابعة ، ١٩٣٧ ، ص ١٠٤٧ — ١٠٩٢

٢٦ — الكفالة الجنائية أو ضمان الافراج ، مجلة مصر القضائية عدد ١٣ فبراير ١٩٣٨

٢٧ — المحل أو الموطن (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الثامنة ، ١٩٣٨ ، ص ٣ — ٥٦) .

٢٨ — كابية الحقوق ، نشرت فى الكتاب الذهبي للمحاكم الأهلية ، الجزء الأول ، ١٩٣٣ ، ص ٤٠٩ — ٤٣٤

٢٩ — بحوث فى الوصية : الوصية واشتباهها بغيرها من العقود والتصرفات (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الثامنة ، ١٩٣٨ ، ص ٨٩ — ١٣٥) .

٣٠ — تصرفات المريض مرض الموت (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الثامنه ، ١٩٣٨ ص ٢٧١ — ٣٨٩) .

٣١ — البناء أو الغراس فى أرض الغير أو بأدوات الغير (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الثامنة ، ١٩٣٨ ، ص ٣٩١ — ٤٧٠) .

٣٢ — تعليقات على الأحكام المدنية : (١) هل يعتبر معدل القسمة ثمنا ويأخذ أحكامه ؟ (٢) هل يشترط القيد أم التسجيل فى رهن الحيازة العقارى ؟ (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الثامنة ، ١٩٣٨ ، ص ٨٢١ — ٨٢٤) .

٣٣ — أجرة الوكيل (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الثامنة ، ١٩٣٨ ، ص ٨٦٥ — ٨٨٤) .

٣٤ — تسجيل الدعاوى (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة التاسعة ، ١٩٣٩ ، ص ٣ — ٢٢) .

٣٥ — تسجيل دعوى صحة التعاقد والفرق بين هذه الدعوى ودعوى صحة التوقيع (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة التاسعة ، ١٩٣٩ ، ص ٢٠٧ — ٢١٥) .

٣٦ — قيود البناء الاتفاقية ، هل تعتبر حقوق ارتفاق أم التزامات شخصية ؟ (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة التاسعة ، ١٩٣٩ ، ص ٣٣١ — ٣٥٢) .

٣٧ — قطع التقادم (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة التاسعة ، ١٩٣٩ ، ص ٤٤٧ — ٥٣٢) .

٣٨ — السبب الصحيح وحسن النية فى التقادم المكسب (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة التاسعة ، ١٩٣٩ ، ص ٥٧٧ — ٦٢٠) .

٣٩ — الأموال الخاصة والعامة فى القانون المصرى (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة التاسعة ، ١٩٣٩ ، ص ٦٧٣ — ٨١٢) .

(د) مقالات باللغة الفرنسية

٤٠ — تطور حق الملكية العقارية فى مصر ، مجلة مصر العصرية ، السنة السادسة والعشرون ، ١٩٣٥ ، فى الكتاب الذى وضع خصيصا لحضرة صاحب السمو الملكى أمير الصعيد ص ٢٨٧ — ٣٠٣

٤١ — قيود البناء الاتفاقية (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة السابعة ، ١٩٣٧ ، ص ٣١١ — ٣٢١) .

٤٢ — الشفعة والبيع غير المسجل (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة السابعة ، ١٩٣٧ ، ص ٤٣١ — ٤٤٢) .

٤٣ — الصفة العينية أو الشخصية لحق الشفعة وانتقاله الى الورثة (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الثامنة ، ١٩٣٨ ، ص ٣ — ١١) .

٤٤ — الحكر وحق الشفعة (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الثامنة ، ١٩٣٨ ، ص ١٢ — ١٩) .

٤٥ — عدم تجزئة حق الشفعة (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الثامنة ، ١٩٣٨ ، ص ٢٠ — ٢٦) .

٤٦ — عرض الثمن وملحقاته فى موضوع الشفعة (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الثامنة ، ١٩٣٨ ، ص ٢٧ — ٣٥) .

٤٧ — وقت امتلاك الشفيع العقار المشفوع (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الثامنة ، ١٩٣٨ ، ص ٣٦ — ٤١) .

٤٨ — مقارنة حق استرداد الحصة المبيعة قبل القسمة بالشفعة (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الثامنة ، ١٩٣٨ ، ص ٤٢ — ٥٧) .

٤٩ — بيع المشترى العين قبل طلبها بالشفعة (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الثامنة ، ١٩٣٨ ، ص ٥٨ — ٦٧) .

٥٠ — العمرى والرقبى (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الثامنة ، ١٩٣٨ ، ص ٨٥ — ٩٤) .

٥١ — بحوث فى الهبة (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الثامنة ، ١٩٣٨ ، ص ١٧٥ — ٢٢١ ، وص ٢٣١ — ٢٦٣) .

٥٢ — آثار الكفالة فى حالة تعدد المدينين أو الكفلاء (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الثامنة ، ١٩٣٨ ، ص ٣٤٥ — ٣٤٩) .



حضرة صاحب المعالى
الدكتور محمد كامل مرسى باشا



حضرة صاحب المعـالى
الدكتور ابراهيم شـــوقى باشا

الدخيل فى اللغـــة العربية

للدكتور فؤاد حسنين على

(ع)

(عالَم) الخلق كله .

الآرامية : علمـا .

(عبرانى) يهودى أو لسان اليهود .

نسبة الى العبرية (עֵבֶר) : عبر .

(عجّور) قثاء .

اليونانية (ἄγγουριον) : ا — ن — جوريون : > .

(عجّة) طعام يتخذ من البيض والدقيق أوالفول والسمن أو الزيت .

العبرية (עֻגָּה) عجة : طعام من الدقيق يسوى على الفحم وهو قد يشبه الكعكة .

(عربون) ما تعقد به المبايعة من ثمن .

اليونانية (ἀρραβών) : اربون : > العبرية (עֵרָבוֹן) : عربون : > العربية .

(عرزال) عريسة الأسد .

الآرامية : عرزلا .

(عرمة) كدس من الطعام يداس ثم يذرى .

الآرامية : عرمثا .

(عزبة) ضيعة أو مساكن الفلاحين التى بها أو بجوارها .

صقلبية (izba) : ازبا : > التركية .

(عفارم) كلمة تعبر عن الاعجاب .
التركية : (âfarim) > العربية .

(عَفش) أساس المنزل أو حقائب .
التركية (evišï) .

(عكروت) مأبون .
اليونانية (κερατᾶς) : كرتس > العربية .

(عنبر) قاعة كبرى .
اليونانية (ἐμπόριον) : امبوريون : > التركية (anbar) :
> العربية .

(عيبة) زبيل من ادم .
الآرامية : عيبا > العربية .

(غ)

(غجر) رعاع أو رُحَّل .
التركية (qagar) > العربية .

(غليون) قصبة تدخين .
الفارسية التركية (qaliûn) : > العربية .

(غنداق) عقد الملكية .
اليونانية (χοντάχιον) : كنتكيون : > التركية (qundâq)
أو (ghundâq) (غونداق) > العربية .

(ف)

(فابريكة) مصنع .
الايطالية (fabrica) : فبريكا > العربية .

(فاتورة) قائمة بالأشياء أو المبالغ المطلوبة .
الايطالية (fattura) : فَتُّورا > العربية .

(فاثور) خوان من رخام وقيل فضة أو ذهب .
الآرامية : فثورا > العربية .

(فاز) إناء لوضع الزهور .
الفرنسية (vase) : فاز > العربية .

(فأس) آلة ذات هراوة قصيرة يقطع بها الخشب وغيره .
الآرامية : فوستا > العربية .

(فالج) داء يحدث فى أحد شقى البدن طولا فيبطل إحساسه .
الآرامية : فلجا > العربية .

(فاميليا) أسرة .
الايطالية (famiglia) > العربية .

(فانوس) مصباح .
يونانية (φανος) فانوس .

(فتكر) شدة أو داهية .
الفارسية : پتكر > الآرامية فتكرا .

(فخ) آلة يصاد بها .
الآرامية : فخار > العربية .

(فخار) خزف وقيل طين مطبوخ .
الآرامية : فخرا > العربية .

(فدان) الثور أو ثوران يقرن للحرث بينهما .
الآرامية : فدنا > العربية .

(فدن) قصر مشيد .

الآرامية : افدنا > العربية .

(فُرُتّا) فاكهة .

الايطالية (frutta) : فُرُتّا > العربية .

(فرجار) آلة هندسية للرسم .

الفارسية (پرجار) .

وفي العربية الحديثه : پرجل : من التركية .

(فرجله) في العربية المصرية : سوط .

اليونانية (φραγέλλιον) : فرجليون > العربية .

(فرد) سلة كما في قولنا : فرد عجوة .

الايطالية (fardo) : فردو > العربية المستعملة في الواحات ومنها الى وادى النيل .

(فردوس) جنة .

اختلفت الآراء حول أصل هذه الكلمة فمن العلماء من قال إنها الفارسية القديمة (pairidaeza) : پيريديزا : الواردة في الأفستا ، ومن العلماء من يعتقد أنها من اليونانية (παράδεισος) : پاراديسوس : وليس هؤلاء أو أولئك على حق والصواب أنها كلمة سامية الأصل ، وردت في الأشورية : فرديسو ومنها إلى سائر اللغات .

(فرزل) قيد أو مقراض .

الآرامية : فرْزَلا . > العربية .

(فرزوم) خشبة مدورة يحذو عليها الحذاء ، أو نوع من الثياب يقال له المرط أو المئزر .

اليونانية (Περιζωμα) : پريزوما : > الآرامية : فرزوما : أى منطقة أو مئزر : > العربية .

(فرسخ) الحد بين الأملاك ، أو الحد الفاصل بين الأميال .

الفارسية (فرسنگ) : > السريانية : فرسخا : > العربية .

(فِرسق) خوخ ، أو ضرب منه أجرد أحمر .

اليونانية (περσιχη') : پرسيكه : > الآرامية : فرسيقا : ضرب من الموالح > العربية .

(فرشة) آلة لازالة التراب .

التركية : فرچه (fürçe) .

(فستان) ثوب الأنثى .

لهذا اللفظ تاريخ عجيب فأصلا كان يطلق على نوع من النسيج كان يصنع في الفسطاط كما يقال اليوم : محلاوى : و : سكوتش : وانتقل هذا اللفظ فى العصور الوسطى الى أسبانيا : فستان : > الايطالية (fustagno) > : الفرنسية (futaine) > : الانجليزية (fustian) ثم عن طريق الايطالية الى اليونانية والتركية : فستان : > العربية .

(فرصة) قوة .

الفرنسية (force) : فرص : > العربية .

(فِرْمة) توقيع .

الايطالية (firma) : > العربية .

(فرن) مكان معد لأن يخبز فيه غير التنور .

اليونانية (φοῦρνος) : فورنوس : > الآرامية : فورنا .

(فرنك) قطعة من النقود مستخدمة في كثير من البلاد الأوربية ولو أننا فى مصر غالباً ما نعنى الفرنك الفرنسى .

الفرنسية (franc) : > العربية .

(فرعون) لقب كل من جلس على عرش مصر القديمة .
المصرية القديمة : پرو . أي:البيت الكبير:أي:الملك : ＞ العبرية (פַּרְעֹה) پرعـ (ـه) : ＞ العربية .

(فرّوج) فرخ الدجاجة خاصة .
الآرامية : فروجا .

(فستق) شجر كالحبة الخضراء وثمره نقل معروف .
اليونانية (πιστάχια) : پستكيا : ＞ الآرامية : فستقا ＞ العربية .

(فسطاط) بيت من شعر ، وقيل ضرب من الأبنية في السفر .
اليونانية (φοσσάτον) : فُسّاتون : خندق أو قلعة أو جيش : ＞ الآرامية : فوساطون : أو : فوسطون ＞ العربية .

(فسقية) حوض .
لاتينية (fascia) : فسقيا : ＞ السريانية : فسقيثا ＞ العربية .

(فسيفساء) قطع صغيرة ملونة من الرخام وغيره .
اليونانية (ψηφις) : پسفيس : ＞ الآرامية : فسفسا ＞ العربية .

(فص) حجر كريم يزين به الخاتم .
اليونانية (πεσσος) : پسّوس : أو (ψῆφος) : پفوص : ＞ العربية .

(فصح) عيد تذكار قيامة المسيح من الموت .
الآرامية : فصحا .

(فصح) عيد يهودي .
العبرية (פֶּסַח) : پسح .

(فصوليا) نوع من الخضر .
اليونانية (φασούλιον) : فسوليون : ＞ العربية .

(فطيس) مطرقة عظيمة .
الآرامية : فطشا : > العربية .

(ڤُلت) وحدة القوة الكهربائية .
نسبة الى العالم الايطالى الكونت اسكندر ڤولتا (Alessandro Volta) الذى عاش من سنة ١٧٤٥ — ١٨٢٧ ، وعن الايطالية الى سائر اللغات الأوربية : > العربية .

(فِلتّو) شرائح من اللحم .
الايطالية (filetto) : > العربية .

(فلج) مكيال .
السريانية : فلجا : > العربية .

(فلّح) شق ، يقال فلح الرجل الأرض أي شقها .
الآرامية : فلح .

(فلز) نحاس .
الآرامية : فلزا : > العربية .

(فلس) قطعة مضروبة من النحاس يتعامل بها .
اليونانية (φoλλις) : فلّس : > الآرامية : فلس : > العربية .

(ڤَلس) رقصة سريعة يرقصها عادة كسائر الرقص الغربى ، رجل وامرأة.
الألمانية (Walzer) : فلتزر: > الفرنسية(Valse) : ڤلس: > العربية.

(فلصو) مزيف .
الايطالية (falso) > العربية .

(فلفل) حب هندى شديد الحراقة يطيب به الطعام .
سنسكريتى : پلا : > الآرامية : فلفلا : > العربية .

(فلفوص) لبق . ماهر .
صيغة شعبية لكلمة فيلسوف .

(فُلك) سفينة .
اليونانية (εφόλχιον) : افلكيون : أو : (έφολκις) : افلكيس.
ويعتقد آخرون أنها العربية : حَرّاقة : > الاسبانية (haloque) > (faloque) > الايطالية (feluca) > العربية .
وعن الاسبانية كما يرى الأخيرون انتشرت فى سائر اللغات الرومانية .

(فلين) قشر شجر يعرف بهذا الاسم .
اليونانية (φέλλινος) : فلينوس :

(فنجان) أو (فنجال) إناء يغلب استعماله فى شرب المنبهات كالقهوة والشاى.
الفارسية : پنگان : أى صحن خاصة الذى فى قعره ثقب صغير > العربية.

(فندق) مكان للمبيت .
اليونانية (πανδοχεῖον) : پندوخيون : الفارسية : فندقا : > التركية : فندق : > العربية .

(فندقلى) قطعة نقود ذهبية تركية .
أصلها (Venedik) أو (Venedig) مع النسبة التركية (لى) .

(فنطازيا) وهم أو خيال أو سرور .
الايطالية (fantasia) > العربية .

(فنِّله) نوع من القماش يستخدم فى الملابس الداخلية أو الخارجية .
الايطالية (flanella) : فلنلاً > العربية .

(فهرس) قائمة محتويات الكتاب .
اليونانية (ποριστής) : پوريستيس : > التركية فهرست : > العربية .

(فهلوى) نشيط . لبق .
الفارسية (pehlevi) پهلوى > العربية .

(فوتوغرافية) آلة للتصوير .
الايطالية (fotografia) : > العربية .

(فوده) خرقة تستخدم لتنظيف الفرن .
صيغة أخرى من : فوطه .

(فورمه) شكل أو مظهر .
الايطالية (forma) > العربية .

(فوطه) قطعة من نسيج يستخدم لتجفيف اليدين . والجسم .
الهندية (paṭa) > العربية

(فول) باقلا .
العبرية (פּוֹל) : پول > العربية .

(فونوغراف) حاكى .
الايطالية (fonografo) > العربية .

(ڤيتو) الامتناع .
اللاتينية (vito) > سائر اللغات الهندية الأوربية > العربية .

(فيج) رسول السلطان الذى يسعى على رجليه .
الآرامية : فيجا : > العربية .

(فيروز) حجر كريم .
الفارسية : پيروزه .

(فيروزج) حجر كريم وهو المعروف بالفيروز
الآرامية : فيروزج .

(فيلسوف) حكيم .
اليونانية (φιλόσοφος) : فيلوسوفوس : > الآرامية : فيلوسوفا :
> العربية .

(فينو) الخبز المصنوع من الدقيق الأبيض النقى .
الايطالية (fino) أى جيد أو مصفى : > العربية .

(ق)

(قادوس) جرة لحفظ الماء .
الاكادية : كندو : > اليونانية (καδος) : كادوس : > العربية : قادوس : فى صيغتها اليونانية .

(قار) أو (قير) مادة سوداء تطلى بها السفن والابل ، وقيل الزفت وتستخدم أيضاً فى المبانى ورصف الطرق وما اليها .
الآرامية : قيرا : > العربية .

(القارب) السفينة الصغيرة .
اليونانية (καράβιον) : كريبون : > الآرامية : قربين : > العربية .

(القارسطون والقرسطون) ميزان الدراهم .
اليونانية(χαριστίων): خرستيون: > الآرامية: كرسطيونا: > العربية

(القارورة) ما قر فيه الشراب .
الآرامية : قرورا : > العربية .

(القازوزة) شراب به بعض الأملاح الخاصة .
الفرنسية (gazeuse) : قازوز : > العربية .

(القازوزة والقاقوزة والقاقزة) مشربة يشرب بها الخمر ، وقيل القدح .
الآرامية : قزقزا : ثم صيغت على فاعولة قياسا على قارورة فى العربية .

(قافور) كافور الطيب .
الآرامية : قافور : > العربية .

(قالب) الشىء الذى يفرغ فيه الجواهر وغيرها ليكون مثالا لما يصاغ منها .

اليونانية (καλοπόδιον) : كالوبوديون : > :
الآرامية : قالب : > العربية .

(قانون) أصل أو مقياس كل شيء .
الآرامية : قنونا : أو قانون : > العربية انظر مادة (قَنا) .

(قاون) فاكهة فى حجم البطيخ ومن غير فصيلته ، وهى تنتمى الى النوع المعروف باسم (cucumis melo).
التركية (qavun) > العربية .

(قايش) حزام من الجلد يستخدمه الجندى .
التركية (qâîš) > العربية .

(القُبَّاط والقُبَّيْط والقُبَّيْطىَ والقبيطاء) نوع من الحلوى .
الآرامية : قوفيطا ، أو قوفطا > العربية .

(قَبَّان) نوع من الموازين .
اليونانية (καμπανος) كمپانوس : أو (καμπανον) : كمپانون > الفارسية : كپان : > العربية .

(قبط) سكان مصر ثم خصص فيما بعد بالمسيحيين من أبناء الوادى .
اليونانية (Αἰγύπτος) : ايجپتوس : > العربية .

(قبطان) فى العربية تشير الى وظيفة من وظائف ضباط البحرية > الايطالية (capitano) كپيتانو : وهى تستخدم فى البر والبحر > العربية .

(القبعة) خرقة تخاط كالبرنس يلبسها الناس .
الآرامية : قوبعا : > العربية .

(قُبَّة) بناء سقف مستدير مقعر معقود بالحجارة أو الآجر .
اختلفت الآراء حول هذا اللفظ وإصالته وإصالة مضمونه فى اللغة العربية وذلك لاشتراك الأسرتين اللغويتين السامية والهندية الأوروبية فيه

لذلك رأيت أن أعرض له كاشفاً القناع عنه مبيناً ساميته وإصالته عند الساميين وإن كان دخيلا فى العربية .

لم يعالج الخفاجى هذا اللفظ كدخيل بل ذكره عندما تحدث عن (ابورياح) فقال عنه بمعنى طائش تشبيها له بتمثال من نحاس على عمود من حديد فوق قبة .

ولفظ (قبة) هذا دخيل فى العربية وهو سريانى أصله (قوبا) أو (قوبثا) واستعارته بعض اللغات السامية فهو فى العبرية (קבת) (قبث) وفى المندعية (קומבא) (قومبا) أو (קומבתא) (قومبثا) .

وقد نقل العرب هذا الفن من البناء ومدلوله الى أسبانيا حيث نجد (alkoven) (الكوفين) . ولم يقف انتشار هذا الفن عند شبه جزيرة ايبريا بل سرعان ما نجده ينتشر فى سائر أنحاء أوربا من جديد بعد أن سبق لها أن عرفته عن طريق اليونان . ومع هذا الفن غزا مدلوله اللغات الأوربية فى اللاتينية (cupa) (كوپا) ، والايطالية (cupola) (كوپولا) والألمانية (Kuppel) (كوپل) ، والفرنسية (coupole) (كوبول) والانجليزية (cupola) (كوبولا) .

وهل كان يخطر ببالنا يوما ما أن هذا اللفظ السامى القديم يترك هذا الأثر العظيم فيتعدى ما وضع له ، ويفرض نفسه على كل شيء جمعته به رابطة ما ولو كانت رابطة الشكل فقط فنجده فى (cup) (كپ) الانجليزية و(coupe) (كوپ) الفرنسية و (coppa) (كپا) الايطالية بمعنى : فنجان : ثم تأتى العربية وتستعير عن الايطالية أو الفرنسية أو عنهما معا لفظ (كوب) أو (كوبة) أو (كباية) فى المعنى المتداول بيننا ؟

ولم يقف أثر هذا اللفظ عند هذا الحد بل نراه يبسط نفوذه على اللغة الألمانية فيحتل منطقة واسعة من مناطقها اللغوية فنجد (Koppchen) (كوبشن) (شن : علامة تصغير) بمعنى : فنجان و (Koppe) (كبّا)

قمة الجبل و(Kopf) (كُبْف) (رأس) . وغير هذه المعانى نجد الشيء الكثير عند فحص كل مادة على حدة فى اللغات المختلفة.

(القدر) إناء يطبخ فيه .
الآرامية : قدرا : > العربية .

(القرام) الستر الأحمر وقيل ثوب ملون من صوف فيه رقم ونقوش .
الآرامية : قرما : > العربية .

(القَرْبُوس) : حنو السرج .
اليونانية (κρηπις) : كريبس .

(قرش) قطعة من النقود فى مصر والجمع : قروش .
الألمانية (Groschen) : جروشن : > التركية (gurûš) : > العربية : قروش : > : قرش : فصيغة المفرد في العربية أحدث من صيغة الجمع هنا .

(القَرْصعْنَة) شويكة ابراهيم .
الآرامية : قرصعنا : > العربية .

(القرْط) نوع من الكراث .
الآرامية : كرثا : > العربية .

(القرطاس) الصحيفة التى يكتب فيها .
اليونانية (χάρτης) : خرتيس : الآرامية : كرطيسا : أو كرطاسا > العربية .

(القرطق) قباء ذو طاق واحد .
الآرامية : قورطا : > العربية .

(القرْطَلَّة) عدل حمار .
اليونانية (καρταλλος) : كرتلّوس : > الآرامية : قرطلا : أى : سلة : > العربية .

(القرظ) ورق السلم يدبغ به أو ثمر السنط .
اليونانية (κερατιον) : كرتيون : > الآرامية : قرطا : > العربية .

(القرع) نوع من اليقطين طويل الى نحو شبر دقيق .
الآرامية : قرعا : أو : قراا : > العربية .

(القرعة) الجراب يلقى فيه الطعام .
الآرامية : قورعا : > العربية .

(القرقل) قميص للنساء أو ثوب لا كُمَّىْ له .
اللاتينية (caracalla) : كَرَكَلاً : > الآرامية : قرقيلون : > العربية .

(القرلىّ) طائر حزوم لا يرى إلا فرقا على وجه المـاء .
الآرامية : قورلا : > العربية .

(القرمز) صبغ أرمنى أحمر .
الآرامية : قرمز : > العربية .

(قرمة) كتلة من الخشب يستخدمها القصاب .
اليونانية (κορμός) : كورموس : > العربية .

(القرميد) الآجر .
اليونانية (κεραμίδιον) : كراميديون : >
الآرامية : قرميدا : > العربية .

(القرناس) شبه الأنف يتقدم من الجبل .
الآرامية : قورنسا : مطرقة : > العربية .

(قرنبيط) نوع من الخضر .
اليونانية (κραμβίδιον) : كرمبيديون : > العربية .

(قرنفل) نبات يستخرج منـــه الزيت المعروف باسمه ، ويستخدم فى العطور وغيرها .

اليونانية (καρυόφυλλον) : كروفلون : > . الآرامية : قرفلن : > العربية .

(قز) ابريسم وقيل ضرب منه أو ما يسوى منه الابريسم .
الآرامية : قز : أى شَعْر > العربية .

(قزان) صهريج للبخار .
التركية (qazân) : قزان : > العربية .

(قزدير) معدن يلحم ويُطلى به .
اليونانية (κασσίτερος) : كسيتروس : > الآرامية : قسطيرين :
> العربية .

(قزمه) وتنطق في لهجة القاهرة (أزمة) : فأس .
التركية (qazmah) قزمه .

(قس) أو (قسيس) من كان بين الأسقف والشماس .
الآرامية : قشيشا : أى شيخ الكنيسة : > العربية .

(قسب) تمر يابس يتفتت فى الفم صلب النواة .
الآرامية: قشْبا : > العربية .

(قسط) كوز عند أهل الامصار أو مكيال نصف صاع .
اليونانية (ζέστης) : كستس : > الآرامية : قسطا : > العربية .

(قسطاس) ميزان ، وأقوم الموازين ، وقيل هو ميزان العدل .
اليونانية (κόστος) : كستوس : > الآرامية : قسطوس : أى حارس: >
العربية .

(قسطر أو قسطار أو قسطرى) منتقد الدراهم .
الآرامية : قسطرا أو قوسطرا : > العربية .

(قشلا) مستشفى .
التركية : قشلا : مكان الشتاء أو المعسكر .

(قشلاق) معسكر الجند .
التركية : > العربية .

(قشلان) تعس . بائس . معدم .
التركية :

(قصاب) جزار .
الآرامية : قصبا : > العربية .

(قصّار) محوّر الثياب .
الآرامية : قصرا : > العربية .

(قصر) منزل كبير .
لاتيني (castrum) : كستروم : معسكر أو (castellum) : كستلوم
مكان حصين : > الآرامية : قصراً : > العربية .

(قصرية) إناء غالباً ما يصنع من الفخار للزرع وخلافه .
اليونانية (γαστρίον) : جستريون .

(قط) سنور .
الآرامية : قطا : > العربية .

(قط) النصيب والصك بالجائزة وكتاب المحاسبة .
الآرامية : جطا : وصية أو عهد : > العربية .

(قطنية) حبوب الأرض أو ما سوى الحنطة والشعير والزبيب والتمر وقيل هي الحبوب التي تطبخ كالعدس والفول واللوبياء والحمص .
العبرية (קטנית) : قطنيث : > العربية .

(قفة) سلة .

اضطربت الآراء حول هذا اللفظ أيضاً ومصدر هذا الاضطراب مجيئه في الأسرتين السامية والهندية الأوربية ، لكن هذا لاينفي سامية اللفظ وإصالته في الأسرة السامية فهو في الأكادية : قفُ : بمعنى : صندوق : أو : قفص > اليهودية الآرامية (קופתא) : قوفثا : > العربية .

وقد انتقل هذا اللفظ الى الغرب عن طريقين : طريق شرق أوربا فنجده في اليونانية (κόφινος) : كوفينوس : > اللاتينية (cophinus) : كوفينوس وعن طريق أسبانيا حيث العرب بالأندلس فنحن نجد اللفظ فى الاسبانية (cofe) : قفه أو (cofa) : قُفَّه : والايطالية (coffa) قفَّه .

أما كلمة (couffe) : قوفه : فى الفرنسية فيرجح أنها دخيلة من العربية .

ولم يقف هذا اللفظ عند هذه اللغات بل نجده في الانجليزية والألمانية أيضاً وقد تفننت كل لغة من هذه اللغات فى الكلمة فصاغت منها مختلف الصيغ التي نجدها مدونة فى معاجم اللغات الهندية الأوربية .

(قفل) الحديد الذى يغلق به الباب .

الآرامية : قوفلا : > العربية .

(قفيز) مكيال أو مقياس .

اليونانية (καπιδη) : كپيذ : > الآرامية : قفيزا : > العربية .

(قلاوز) مسمار أو شيء حلزونى الشكل .

التركية (qulâguz) أو (qulâvus) : > العربية .

(قلاية) صومعة الراهب .

اليونانية (κελλίον) : كليون : > الآرامية : قليثا : أى غرفة > العربية .

(قُلب) سوار للمرأة .

الآرامية : قولبا > العربية .

(قلس) حبل للسفينة .

اليونانية (κάλως) : كلوس : > الآرامية : قلسا : > العربية .

(قلَّس) القوم استقبلوا الولاة عند قدومهم بضرب الدف والغناء وأصناف اللهو .

الآرامية : قلس : > العربية .

(قلقاس) نوع من الخضر .
اليونانية (κολοκάσιον) : كولوكاسيون : > العربية .

(قلقطار) صبغ للاساكفة .
اليونانية (χαλκητάριον) : خلكتريون : > الآرامية : كلقيطرين
أو قلقطرين : > العربية .

(قلقنت أو قلقند) صبغ للأساكفة .
اليونانية (χαλκανδος) : خلكندوس : > الآرامية : قلقنتوس .
أو قلقند : > العربية .

(قلة) جرة .
الآرامية : قولثا : > العربية .

(قليس) النحل أو العسل .
الآرامية : قلاسيس : أى خلية النحل .

(قماش) نوع من النسيج ثم النسيج عامة أحياناً .
التركية (qumâš) : > العربية .

(قمح) حب يطحن ويتخذ منه الخبز .
الآرامية : قمحا : أى دقيق : > العربية .

(قُمُّص) رتبة دينية مسيحية .
اليونانية : (κόμης) : كوميس : > العربية .

(قمصانجى) صانع الأقمصة .
صيغة تركية : (انظر مادة قميص) .

(قمطر) مايصان فيه الكتب .
اليونانية (κάμπτριον): كمبتريون : > الآرامية : قمطرين : > العربية

(قمقم) جرة .
اللاتينية (cucumis) : كوكوميس : > الآرامية : قوقما : > العربية .

(قميص) ثوب .

ذكره صاحب شفاء الغليل عرضا عند ما تحدث عن (احذايد القميص) ولفظ القميص هذا تسرب إلى العربية فى عصرين مختلفين وعن طريق شعبين قريبين فلفظ : قميص : قديم فى العربية وورد فى القرآن الكريم ، وكان قد دخلها عن طريق اتصال العرب بالرومان فى بلاد الشام وأصل اللفظ (camisia) : قميسيا : وفى الايطالية الحديثة (camicia): قميسيا : وفى الفرنسية (chemise) (شميز) وعن الفرنسية استعارته الانجليزية فقصرته على ثوب السيدة .

أما العصر الثانى الذى دخل فيه هذا اللفظ لغتنا فهو العصر الحديث ، وهذه المرة ليس عن طريق الشعب الرومانى بل عن طريق الفرنسيين . فى العربية كثيراً ما نقرأ أو نسمع لفظ (chemisette) (شميزيت) للدلالة على القطعة العليا من ثوب السيدة المكون من قطعتين ، فهذا اللفظ ما هو إلا تصغير كلمة (chemise) : شميز : ولم يتغلغل فى لغتنا فحسب بل غزا سائر اللغات الحديثة .

(قمين) أتون الحمَّام .

اليونانية (καμινος) : كمينوس : > الآرامية : قمينا : > العربية .

(قَنا) قصبة .

وهذا لفظ آخر ضرب فى مشارق الأرض ومغاربها فادعاه لنفسه كل شعب سواء كان ذلك الشعب سامياً أو هنديا أوربيا . وإذا عرضت له هنا وجب على أن أرجع به إلى أقدم مصدر ذكره لأتعرف إلى معناه الأصلى ولأستطيع تتبع الأدوار التى مر بها فى أسرتنا اللغوية السامية الحامية أولا والهندية الأوربية ثانيا .

لفظنا سامى نجده فى اللغة البابلية الأشورية أو كما تسمى أحيانا والأكادية (قنو) بمعنى : قَنا : أى : قصبة :ثم نراه مستعملا للدلالة على : العصا : التى هى من القصب ، والتى تستعمل للضرب . ثم استعمل للدلالة على المقياس الذى ما زال مستعملا إلى اليوم وهو القصبة وطولها ست أذرع أو سبع

وهو يدل فى الأكادية أيضاً على معنى خشب العود المستعمل فى البخور واستعملته مركبا للتعبير عن قلم الكتابة .

ولكون : القنا : أجوف استعمل كوسيلة من وسائل توصيل السوائل أو حفظها فأصبح اللفظ يدل على معنى : وعاء : أو : قدر : وقد اتفقت سائر اللغات السامية الأخرى مع الأكادية تقريباً فى استعمال هذا اللفظ فى تلك المعانى ففى العبرية (קנא) والآرامية (قنيا) .

أما اللغة العربية فقد توسعت فى استعماله توسعاً عظيما يتفق وحيويتها ورسالتها الثقافية العالمية . فالقناة كل عصا مستوية أو معوجة ، وكل خشبة عند العرب قناة وعصا ، والرمح عصا .

وقالوا شريس قلت يكفى شريسكم   سنان كنبراس النهامى مفتق
نمته العصا ثم استمر كأنه   شهاب بكفى قابس يتحرق

وقال أبو منصور : القناة من الرماح ماكان أجوف كالقصبة ، ولذلك قيل للكظائم التى تجرى تحت الأرض : قنوات : واحدتها : قناة : ويقال لمجارى مائها : قصب : تشبيها بالقصب الأجوف ، وفى الحديث : فيما سقت السماء والقنى العشور : القنى جمع قناة وهى الآبار التى تحفر في الأرض متتابعة ليستخرج ماؤها ويسيح على وجه الارض (اللسان مادة قنا) .

وشاركت العربية في استعمال : قنا : أو : قناة : بمعنى الرمح اللغات السامية الأخرى ففى العبرية (קין) بمعنى : رمح : وفى الحبشية ቀነተ: قَنَتَ: بمعنى تدجج بالسلاح .

ولم يقف الأمر فى اللغة العربية عند هذا الحد بل نجدها تطلق هذا اللفظ على المحترف صناعة الحراب فالقين الحداد ، ويقال للحداد ماكان قينا ولقد قان وقان الحديدة قيناً عملها وسواها ، وقان الاناء يقينه قيناً : أصلحه . وأنشد الكلابى أبو الغمر لرجل من أهل الحجاز :

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا   ظباء بذى الخصحاص نجل عيونها
ولى كبد مجروحة قد بدت بها   صدوع الهوى لو أن قينا يقينها

ثم عممت اللغة استعمال لفظ : قين : فأطلقته بعد أن كان خاصاً بالحداد على كل صانع ، ولو أن بعض الرواة زعم أنه لايقال للصائغ : قين : ولاللنجار: قين : وإن كانت بعض اللغات السامية عممته كما ستزى ذلك فيما بعد . وأطلق لفظ : قينة : على المرأة الصانعة فالمغنية : قينة : والمرأة التى تزين النساء : قينة : والماشطة : قينة : و : التقين : التزين بألوان الزينة وتقين أى تزين لزفافها وفى الحديث : أنا قينت عائشة : واقتانت الروضة إذا ازدانت بألوان زهرتها وأخذت زخرفها .

ولما كان احتراف الصناعات مقصوراً على الاماء دون الحرائر والعبيد دون الاحرار أطلقت كلمة : القينة : على الجارية و: القين : على العبد . ثم إذا بحثنا فى مادة : قين : لانعدم وجود بقايا الاستعمال الأصلى فالقان شجر من شجر الجبال زاد الازهرى: ينبت فى جبال تهامة تتخذمنه القسى قال ساعدة بن جؤية:

يأوى الى مشمخرات مصعدة   شم بهن فروع القان والنشم

وتتفق مع العربية في معظم هذه المعانى سائر الكلمات السامية . فنى الآرامية مثلا نجد : قينايا : فمعنى : حداد : أو : صائغ : أو : صراف : و : قينا : أو : قينثا : بمعنى : أغنية : أو : نغمة : أو : لحن : و : قنقن : بمعنى : غنى : و : קינה قينا : فى العبرية : المرثية : وفى الحبشية : ቀኔ : قنه (ـه) أى غناء : و : ተነወ : قنو : بمعنى : غنى : و : ቀነየ : و : قانى : يعزف و : ቀንየ : قنى أى : خدمة : أو : عمل . و : ቀንየት : قنيت : أمة : و : ተነተ : و: قنت : أى : تمنطق .

ويتصل بالغناء والمغنية الآلات الموسيقية فالقنين طنبور الحبشة عن الزجاجى والتقنين الضرب بالقنين ، والقانون الآلة الموسيقية الوترية المعروف لنا الآن . ويذكر صاحب اللسان فى مادة : قنن : لفظ قانون ، ويقول فيه : وقانون كل شىء طريقه ومقياسه — نلاحظ هنا : قنا : معنى قصبة كمقياس — قال ابن سيده وأراها دخيلة . والقوانين الأصول الواحد قانون وليس بعربى .

هذه هى خلاصة حياة هذا اللفظ فى اللغات السامية المختلفة وقد رأينا من هذا العرض كيف إنه تقلب فى معان متعددة فدل على القصبة والعصا والأوعية ومجارى المياه والرمح والحداد وأصحاب الحرف والصناعات والمغنية والاماء والعبيد والموسيقى والآلات الموسيقية إلى المعانى الأخرى الثانوية التى تتصل بهذه عن قرب أو بعد كالقلم والقانون. فهذان لفظان ساميان جوهراً وربما يونانيان عرضا فالقلم من القنا بمعنى القصبة والقانون من القنا بمعنى العصا المستقيمة .

والآن ننتقل إلى الأسرة اللغوية الأخرى ألا وهى الأسرة الهندية الأوربية لنضرب مثلا آخر :

من أمثلة أثر الأسرة العربية في غيرها كما يعترف رجال اللغات الأوربية قديمها وحديثها أن لفظنا السامى شق طريقه اليها واحتل منها مكانا هاماً ولنبدأ باللغة اليونانية التى كانت حلقة الاتصال بين لفظنا وبين اللغات الأخرى فهى أول لغة تعرفت اليه ومن ثم استعارته منها سائر أخواتها كاللاتينية وما اليها والألمانية والانجليزية وغيرها فاذا تصفحنا المعاجم اللغوية اليونانية التى اهتمت بأصول المفردات واشتقاقاتها وجدناها مجمعة على أن لفظ (κανvα) : كنّا : المستعمل بمعنى : قنا : فى العربيـة دخيل وأنه سامى . واذا تتبعنا المعانى المختلفة التى استعمل فيها هو ومشتقاته لوجدناها تتفق مع تلك التى رأيناها في اللغات السامية ، وأكثر من ذلك فقد صاغت منه (κάλαμος) : كلموس : بمعنى : قلم و (κανών) : كنون : من المعنى الخاص بالعصا المستقيمة ، وعن اليونانية انتقل هذا اللفظ ومشتقاته الى اللاتينية حيث نجد (canna) : كنا : أى قصبة . أو : قنا : و (canalis) كناليس : في معنى قصبه أو قناة . كما نجد (cano) : كانو : يغنى و (canon) : كانون : أى : قانون : ومنها الى اللغات الأوربية الأخرى (راجع المـادة في المعاجم اللغوية المختلفة) حيث عمم وأطلق على كل شىء له فوهة كالقنا فالمدفع (cannon) كنون : لأن له فوهة تخرج منها القذائف .

(قنب) شراع عظيم .

الآرامية : قونبا : > العربية .

(قنبلة) قذيفة المدفع .

التركية (qumbara) : قمبرة : > العربية .

(قنديد) خمر .

اليونانية (κονδιτον) : كونديتون : > الآرامية : قونديطون : > العربية .

(قنديل) مصباح .

اليونانية (κανδήλα) : كنديلا : > الآرامية : قندلا : > العربية .

(قنصل) أحد ممثلي الدولة في الخارج .

يرجح أنه من الايطالية (console) : > العربية .

(قنطار) مائة رطل .

اليونانية (κεντηνάριον) : كنتناريون : > الآرامية : قنطينرا : > العربية .

(قنطرة) ما يبنى على الماء للعبور وكذلك ما ارتفع من البنيان .

اليونانية (κοντάριον) : كونتاريون : > الآرامية : قونطرا : أى العمود : > العربية .

(قنقل) مكيال ضخم .

اللاتينية (cancelli) : كنكلي : > الآرامية : قنقلا : بمعنى سور أو حاجز .

(قنينة) إناء من زجاج للشراب .

اليونانية (κανίον) : كنيون : > الآرامية : قنينثا : > العربية .

(قوزى) وفى لهجة القاهرة (أوزى) أى ضأن صغير .
التركية (quzu) .
(قوقع) صدف .
اليونانية (κόγχη) : كوجخه : > العربية .
(قولنج) مرض معدى يعسر معه خروج الثفل والريح .
الآرامية : قولنج : > العربية .
(قيتار أو قيثار) آلة للطرب ذات أوتار .
اليونانية (κιδαρα) : كيثارا : > الآرامية : قيثرا : > العربية .
(القيراط) نصف دانق .
اليونانية (κεράτιον) : كيراتيون : > الآرامية: قيراطا أى ثقل حبة الخروب أى خروبة .
(قيسارية) الشارع التجارى فى بعض المدن .
اليونانية (Καισάρειον) : قيساريون : > العربية.
(قيصر) لقب كل ملك من ملوك الروم .
اللاتينية (Caesar) : كيزر : اسم علم (يوليوس قيصر) صار فيما بعد لقباً لملوك الروم > الآرامية : قسر : > العربية .
(قيلة) نفخة فى الخصية .
الآرامية : قيلثا : > العربية .

(ك)

(كابل) موصل كهربائى يشبه الحبل السميك .
الفرنسية (câble) : كبل : > العربية .
(كابون) بطاقة للتبادل ، أو فضلة من فضلات القماش .
الفرنسية (coupon) : كوبون : > العربية .

(كاثوليك) فرقة مسيحية على رأسها البابا .
الايطالية (cattolico) : كَتّولِيكو : > العربية .

(كار) حرفة أو مهنة .
فارسية : كار : > العربية .

(كارتّه) عربة للركوب تجرى على عجلتين يجرها فرس أو حصان .
الايطالية (carretta) : كَرّتّه : > العربية .

(كارخانة) مكان للبغاء .
التركية .

(كاردينال) لقب دينى كاثوليكى .
اللاتينية (cardinalis) : كرديناليس : > الايطالية (cardinal) : كاردينال : > العربية .

(كارنتينة) حجز صحى تجنباً للعدوى .
الفرنسية (quarantine) : كارنتين .

(كاره) مكان للبغاء .
مختصر كارخانة (راجع مادة كارخانة) .

(كازينو) ملهى .
الفرنسية (casino) : كازينو : > العربية .

(كأس) إناء يشرب فيه .
الآرامية : كسا : > العربية .

(كاش) نقداً .
الانجليزية (cash) : (كاش) أى نوع من النقود : > العربية .

(كاغد) ورق .
الفارسية : كاغد .

(كافور) نبت طيب .
الآرامية : كافور : > العربية .

(كاكاو) مسحوق بذور الشجرة المسماة بهذا الاسم .
الايطالية (cacao) : كاكاو : > العربية .

(كانون الأول وكانون الثانى) شهرا ديسمبر ويناير .
الآرامية : كنونا : > العربية .

(كباب) لحم يؤكل مشويا .
فارسية .

(كباريه) مكان للهو :
الفرنسية (cabaret) : كباريه : > العربية .

(كُبَّايه) كوب .
(انظر مادة قبة) .

(كبريت) مادة يوقد بها .
الآرامية : كبريثا : > العربية .

(كبتن) رتبة فى الجيش .
الفرنسية (capitaine) : كاپيتن : > الانجليزية (captain) كبتن :
> العربية .

(كبسول) أو (كبسون) : مادة مفرقعة أو الموضع من القذيفة مثلا الذى يحدث فيه الانفجار .
الايطالية (capsul) : كپسول : > العربية .

(كبل) قيد .
الآرامية : كبلا > : العربية .

(كُبن) خبز .

الآرامية : كبونا . أى كعكة .

(كَبود) معطف به غطاء للرأس .

الايطالية (cappotto) كبوتو ، > العربية .

(كبينا) مكان المبيت بالسفن أو على الشواطىء أو للمحادثات التليفونية .

الايطالية (cabina) > العربية .

(كَتّان) نبات يصنع منه نوع خاص من الأقمشة .

فى الأكادية : كتو أو كتنو . وهو لفظ يطلق على هذا النوع من القماش الذى يصنع من هذا النبات المعروف لدينا . ومن ثم نجده فى الآرامية : كتنا . والعبرية (כתן) . والحبشية : (ከታን) كتان : والعربية .

ومن اللغات السامية انتقل الى الأرمنية واليونانية ، وفى اللاتينية (tunica): تنكا — مع تقديم بعض الحروف وتأخير الأخرى — بمعنى هذا الثوب المصنوع من الكتان ، وعن اللاتينية انتقل إلى سائر اللغات الهندية الأوربية .

وهناك نفر من العلماء يعتقد أن لفظ : قطن : مشتق من مادة : كتن أو : لغة أخرى . وإلى اللفظين ترجع هذه المجموعة من المفردات المنتشرة فى معظم القارات والتى تتفق جميعها فى لام الكلمة بينما تكتب عينها : تاء : أو : طاء : وفاؤها : قافا : أو : كافا .

(كتينه) سلسلة للساعة .

الايطالية (catena) : كتينه : > العربية .

(كر) مكيال بالعراق .

اليونانية (κόρος) : كوروس : > الآرامية : كور : > العربية .

(كراث) بقل .

الآرامية : كرثا .

(كراخة) شقة من البوارى .
الآرامية : كركا : أى مكان أو مدينة .

(كرار) مخزن بالبيت تحفظ فيه مواد التموين وغيرها .
اليونانية κελλάριον : كلاريون: > التركية kellâr (كلّار) > العربية .

(كراز) قارورة .
الآرامية : كرزا : > العربية .

(كراس أو كراسة) جزء من كتاب أو دفتر .
الآرامية : كورسا : > العربية .

(كرافته) رباط الرقبة .
الفرنسية (cravate) : كرافت : > العربية .

(كرّاكة) آلة للحفر ونقل الرمال والأتربة وما اليها .
الاسبانية (carraca) : أو الايطالية (caracca) > العربية .

(كرباج) سوط .
التركية .

(كرباس) ثوب من القطن الأبيض .
اليونانية (κάρπασος): كرباسوس : > الآرامية: كربسا : > العربية.

(كربال) مندف القطن .
الآرامية : كربلثا : > العربية .

(كرت) بطاقة .
الفرنسية (carte) : كرت : > العربية .

(كرح) بيت الراهب .
الآرامية : كورحا : > العربية .

(كردون) حاجز من الجند . ومعزل المرضى : فى الصعيد ، وقد صاغ القوم منه فعلا لسكن الدال > تاء فيقال : كرتنوهم : أى وضعوهم فى معزل المرضى .

(كَرَّز) وعظ .
اليونانية (κηρύσσειν) : كريسين .

(كَرَّس) خصَّص . قدَّس .
اليونانية (Χρῖσμα) : خريسما .

(كرفس) بقلة .
الآرامية : كرفسا : > العربية .

(كرك) ثوب من الفراء .
التركية (kürk) : كورك .

(كركى) طائر .
الآرامية : كوركيا : > العربية .

(كرمَّله) نوع من أنواع الحلوى التى تصنع من السكر .
الايطالية (caramella) : كرمله : > العربية .

(كرنب) نوع من الخضر .
اليونانية (κράμβη): كرمبه : > العربية .

(كرنيه) بطاقة شخصية .
الفرنسية (carnet) : كرنيه : > العربية .

(كرُّو) عربة نقل يجرها حيوان .
الايطالية (carro) : كرو : > العربية .

(كروكى) رسم .
الفرنسية (croquis) : كروكوى : > العربية .

(كرويته) ألواح من الخشب توضع عليها المرتبة .
اليونانية (κράββατος) : كرباتوس : > العربية .

(كريب) نوع من القماش .
الفرنسية (crépe) : كريب : > العربية .

(كرز) فاكهة معروفة .
اللاتينية (cerasus) : كرازوس : > الايطالية (cerasa) : كرزا :
> العربية .

(كرزنتين) زهرة .
اللاتينية (chrysanthemum): كرزنتمم: > الايطالية (crisantemo):
كرزنتيمو : > العربية .

(كريستال) بللور .
الفرنسية (cristal) : كريستال : > العربية .

(كريك) آلة رافعة للأثقال .
التركية (kürek) كوريك .

(كريكيت) لعبة تلعب بكرة ومضارب .
الفرنسية (criquet) : كريكيت : > الانجليزية (cricket) : كريكيت :
> العربية .

(كزبرة أو كسبرة) نبات من الابازير .
الآرامية : كوسبرثا : > العربية .

(كزمير) نسيج من صوف .
الفرنسية (casimir) : كزمير : > العربية .

(كس) فرج المرأة .
اليونانية (κυσός) : كسوس : > العربية .

(كستانيا) أبو فروة .
اللاتينية (castanea) : كستانيا : > الايطالية (castagna) : كستانيا : > العربيـــة .

(كستنائى) نسبة إلى كستانيا .
(انظر مادة كستانيا) .

(كسرولة) إناء .
الفرنسية (casserole) : كسرول : > العربية .

(كسرى) ملك الفرس .
الفارسية : خسرو : > العربية .

(كسم) منظر . شكل . هندام .
التركية (kesim) > العربية .

(كِشك) طعام يعد من لبن وقمح أو مواد أخرى .
التركية (kešk) كِشك أى لبن حامض .

(كُشك) بناء خشبى صغير يقام عادة فى الحدائق .
التركية (küšk) كشك .

(كشمير) نوع من القماش الثمين منسوب إلى بلاد كشمير بالهند .
هندى : كشمير .

(كعك) خبز يعمل مستديراً من الدقيق والسمن والسكر .
المصرية القديمة (k k) > الآرامية : كعكا : > العربية .
ويلاحظ أن هذه الكلمة انتقلت من الآرامية إلى الفارسية : كاك : والى سائر اللغات الهندية الأوربية الأخرى .

(كفته) لحم يشوى أو يطبخ بعد أن يعد إعداداً خاصاً .
الفارسية .

(كفر) قرية .
الآرامية : كفرا : > العربية .

(كُفْر) قير تطلى به السفن .
الآرامية : كوفرا . > العربية .

(كلس) صاروج يبنى به .
اليونانية(χαλιζ) : خلكس : > الآرامية : كلشا : > العربية .

(كلسون) سروال .
الايطالية (calzoni) : كالسونى : > العربية .

(كلسيوم) مادة إذا اختلطت بالأوكسيجين صارت جيراً .
اللاتينية (calx) : كلس : أى جير > الانجليزية (calcium) : كلسيوم :
> العربية .

(كلك) مركب تجرى فى أنهر العراق .
الآرامية : كلكا : > العربية .

(كللو) مرض جلدى .
الايطالية (callo) : كللو : > العربية .

(كلة) ستر رقيق .
الآرامية : كلثا > العربية .

(كليم) بساط .
الفارسية : كليم > العربية .

(كمبيالة) حوالة مالية .
الايطالية (cambiale) : كمبيالة > العربية .

(كمبيو) التبادل المالى أو التجارى .
اللاتينية (cambium): كمبيوم > الايطالية (cambio) : كمبيو > العربية.

(كمثرى) فاكهة .
الآرامية : كومثرا : > العربية .

(كمر) جزام من الجلد .
الايطالية camarra : كمر : > العربية .

(كمرا) آلة للتصوير .
الايطالية camera : كمرا : أى : غرفة : > العربية .

(كمريرة) مربية أو خادمة .
الايطالية cameriere : كمريرا : > العربية .

(كمنجة) آلة وترية للعزف عليها .
الفارسية .

(كمون) حب من الحبوب التي تستخدم كتوابل .
اليونانية κύμινον : كيمينون : > الآرامية : كمونا : > العربية .

(كنار) حافة القماش أو الثوب .
فارسى .

(كنبه) أريكة .
الفرنسية canapé : كنبه : > العربية .

(كنتراتو) عقد .
الايطالية contratto : كنترتو .

(كنتين) مقصف أو مكان لبيع المأكولات أيضا .
الايطالية cantin كنتين .

(كندرة) حذاء للنساء .
اليونانية κουντούρα : كونتورا : > التركية : كندرة kundura :
> العربية .

(كندوز) الضأن الصغير .
راجع مادة قندوز .

(كنس) كنس البيت كسحه .
الآرامية : كنش : > العربية .

(كنيسة) معبد اليهود أو النصارى .
الآرامية : كنوشتا : > العربية .

(كهرباء) تيار يسبب الاضاءة أو الحرارة .
الفارسية : كاهربا : أى جاذب القش .

(كهرمان) حجر كريم .
(راجع مادة كهرباء) .

(كوارة) شيء يتخذ للنحل من القضبان أو الطين .
الآرامية : كورا : > العربية .

(كوب) إناء صغير يشرب به .
(انظر مادة قبة) .

(كوبانية) شركة .
الايطالية compagnia : كومبانيا : > العربية .

(كوبرى) قنطرة .
التركية köprü > العربية .

(كوثل) ذنب السفينة أو مؤخرها .
الآرامية : كوثلا : > العربية .

(كودن) بغل .
الآرامية : كودنثا : > العربية .

(كور) مجمرة الحداد .
الآرامية : كورا : > العربية .

(كورنيش) طرف الفستان أو القماش أو الافريز البارز من البناء أو الشارع المطل على البحر أو النهر

الفرنسية corniche : كورنيش : > العربية .

(كورة) قسم أو : حى : أو : إقليم .

اليونانية χώρα : خورا : > العربية .

(كوز) كوب .

الفارسية كوزة .

(كوكاكولا) شراب مرطب يصنع من مادتى الكوكا والكولا .

الانجليزية coca cola : > العربية .

(كوليرا) أو : كوريرا : وباء .

الفرنسية choléra : كوليرا : > العربية .

(كوم) قرية صغيرة .

اليونانية κώμη : كومه : > العربية .

(كومبينزون) بعض قطع الملابس الداخلية للسيدات .

الفرنسية combinaison كومبينزون : > : العربية .

(كومسارى) موظف المواصلات الذى يصرف التذاكر أو يتحقق من صرفها .

الايطالية commissario : كوميساريو : > العربية .

(كونياك) شراب مسكر .

الفرنسية cognac : كونياك : > العربية .

(كوة) خرق فى الحائط .

الآرامية : كوثا : > العربية .

(كيب) بُرنس .

الفرنسية cape : كيب : > العربية .

(كيس) خزينة أو ما تحرز فيه الدراهم .

الفرنسية caisse كيس : > العربية .

(كيلو) ألف جرام أو ألف متر .

الفرنسية kilo : كيلو : > العربية .

(كيلوت) سروال قصير .

الفرنسية culotte : كيلوت : > العربية .

(كيميا) أو (كيمياء) .

المصرية القديمة : كيم : أسود : السحر : > اليونانية χυμεια .

خيميا : > العربية : كيميا .

الحافة الغربيــــة لدلتا النيـــــل

والتكوينات الجيولوجية الممثلة فيها

للدكتور محمد محمود الصياد

تبين الخريطة المرفقة بهذا البحث تكوينات العصور الجيولوجية المختلفة في غرب الدلتا كما تظهر على السطح ، ولكن مثل هذه الخريطة لا تعطى صورة كافية الوضوح لجيولوجية المنطقة التي لا يكفي في دراستها معرفة توزيع الصخور على السطح بل لا بد من أن نعرف إلى أي مدى كانت تلك الطبقات الجيولوجية تمتد حينما أرسبت من قبل ، في قاع البحار أو خلجانها أو بحيراتها في العصور المختلفة. ولكي نصل إلى هذه الحقيقة يجب ألا نكتفي بدراسة التوزيع السطحي لها على الخرائط الجغرافية بل نحاول أن نقدر قبل كل شيء المدى الذي تبلغه الطبقات المنتمية لكل عصر ثم إلى أي حد تأثرت تلك الطبقات بعوامل التعرية في العصور التي تلت عصر تكونها . وهذه مشكلة عسيرة في الواقع لا يمكن أن نصل فيها إلى حلول ثابتة دقيقة [1]، وتزداد الصعوبة كلما أوغلنا في العصور الجيولوجية القديمة .

ما قبل البلايوسين

وأقدم الطبقات الموجودة في غرب الدلتا تنتمي إلى العصر الكريتاسي الأوسط [2] وقد تكونت هذه الصخور تحت مياه البحر الأبيض المتوسط القديم والمعروف باسم بحر تيثس ، والتاريخ التالي للدلتا بعد ذلك هو تاريخ تقلص ذلك

---

(1) بول (١٩٣٩) ص ١٣

(2) ساندفورد وآركل (١٩٣٩) ص ١

البحر باستمرار نحو الشمال حتى وصل إلى الحدود الحالية للبحر الأبيض المتوسط وسنحاول تتبع ذلك التاريخ في بحث آخر .

تحف بالأراضي الزراعية من وادي النيل في منطقة غرب القاهرة هضبة متموجة قليلا مكونة من طبقات أيوسينة وأوليجوسينية تغطيها كميات عظيمة من الحصى المستدير ، وترتفع هذه الهضبة لتكون جبل « ابو رواش» الذي حدث نتيجة فلق وانثناء حاد في الطبقات أدى إلى ارتفاع طبقات الحجر الجيري الكريتاسي وطبقات الحجر الرملي النوبي وظهورها فوق الطبقات الأحدث منها [1] . ولذا يختلف جبل « أبو رواش » عن الهضبة في أنه كتلة طباشيرية ترجع الى الكريتاسي الأوسط والأعلى تكسوها بقرب حافاتها الصخور الأيوسينة [2] . وتكون محدبا يمتد محوره من الشرق إلى الغرب مع ميل قليل إلى الشمال [3] .

وأهم ما يلاحظ في كتلة « أبورواش » [4] أن الطبقات الكريتاسية تعلوها مباشرة طبقات الأيوسين الأعلى ، أي أن الأيوسيني الأسفل والأوسط لاوجود لها بالمرة [5] وتظهر هذه الظاهرة أيضاً في التلال المجاورة لجبل « أبورواش » [6] . وفي الشمال والغرب من جبل أبو رواش تسود الحصباء الأوليجوسينية بينما توجد في جنوبه مباشرة طبقات من الحجر الجيري تنتمي الى الأيوسين الأعلى . ويمثل حدها الشمالي آخر امتداد تصل اليه التكوينات الأيوسينية على الجانب الغربي للنيل أو في الصحراء الغربية ، تلك التكوينات التي تأخذ

---

(١) أطلس القطر المصري — الترجمة العربية ص ٣٤

(٢) بيونل (١٩٠٢) ص ٩ ، هيوم (١٩٢٥) ج ١ ص ٦٤

(٣) هيوم في أعمال المؤتمر الجغرافي الدولي بالقاهرة (١٩٢٥) ص ١٠٥ — ١٠٦ ، عوض (١٩٣٠) ص ١٢٩

(٤) التزمنا استعمال هذه الكلمة بشكلها « أبورواش » لأنها ليست مركبة من « ابو » و « رواش » بل هي كلمة مفردة ولهذا لا تجرى عليها قواعد الاضافة .

(٥) يذهب الأستاذ ل . بيكارد إلى وجود استمرار في الطبقات أي أن الأيوسيني الأسفل والأوسط موجودان أيضاً . راجع مقاله في المجلة الجيولوجية العبرية (١٩٤٣) .

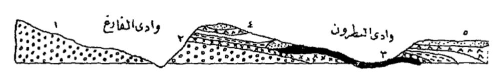
(٦) ساندفورد وآركل (١٩٣٩) ص ١

طبقاتها فى الرقة كلما اتجهنا من الجنوب الى الشمال حتى لا يتجاوز سمكها فى منطقة ابو رواش بضعة أقدام فى حين أنها تبلغ سمكا عظيما فى الهضاب الواقعة إلى الشمال من بركة قارون [1] .

وإلى الشمال الغربى من جبل ابورواش تمتد سهول (رتيبة) [2] من الحصى الأوليجوسينى والميوسينى والبلايوسينى والبليستوسينى حتى ساحل البحر الأبيض المتوسط ولا يقطعها إلا تلال بسيطة قريبة من النيل ثم منخفض وادى النطرون ومنخفض وادى الفارغ الذى يقع إلى الجنوب منه . وكلا المنخفضين يقع تحت سطح البحر . وقد حفر الاول فى صلصال البلايوسين الأسفل بينما تعمق الآخر فوصل الى ما تحت الكنجلومريت الموجودة عند اتصال الأوليجوسين بالبلايوسين . وتمثل الحافة الجنوبية لوادى الفارغ الحد الشمالى للتكوينات الأوليجوسينية بينما تتكون حافته الشمالية من صخور البلايوسين التى تكون الحافة الجنوبية لمنخفض وادى النطرون ويوضح القطاع التالى هذه الحقائق .

قطاع فى وادى الفارغ ووادى النطرون

عن ساندفورد وآركل (١٩٣٩)



٥ — رمال وحصى جيرى من البلايو بليستوسين .
٤ — حصى وحجر جيرى صوانى . . . الخ .
٣ — طين من البلايوسين الأسفل .
٢ — كونجلومريت يكون أساس طبقات البلايوسين .
١ — حصباء ورمال وحجر رملى من الاوليجوسين .

وفى النهاية الغربية لوادى النطرون يظهر الحجر الجيرى الذى يرجع الى الميوسين الأوسط [3] ويمتد لمسافة بعيدة نحو الغرب ويختفى فى الشرق.

(١) المرجع السابق ص ٩٢ والترجمة العربية لأطلس القطر المصرى ص ٢٥
(٢) أى على وتيرة واحدة .
(٣) ساندفورد وآركل (١٩٣٩) ص ٣ ، ص ٩٢

ولكنه يظهر مرة أخرى فى شرق الدلتا حيث يكون تلالا كثيرة العيوب تمتد حتى رأس خليج السويس .

البلايوسين

ويتمثل صلصال البلايوسين فى قاع وادى النطرون حيث عثر على كثير من حفريات الحيوانات الفقرية البرية والبحرية كانت موضوع عدة دراسات [1] . ويمر هذا الصلصال رأسياً وأفقياً فى حجر جيرى صوانى يوجد فوق طبقات من الأوليجوسين والميوسين الأوسط . ويرى ساندفورد وآركل [2] أن طبقات البلايوسين الأسفل ربما كان من المحتمل وجودها فى مجرى قناة السويس ولكنها لا تظهر على السطح إطلاقاً فى أى مكان آخر ، ويريان أن الحد الأعلى لهذه التكوينات على جانبي الدلتا يقرب من مستوى سطح البحر الحالى . وكان هيوم [3] يرى أنها تظهر فى قارة الملوك فى وادى النطرون .

أما فى البلايوسين الأوسط والأعلى فقد طغى البحر الأبيض المتوسط على وادى النيل الذى حفر إلى عمق عظيم فى الميوبلايوسين Mio-Pliocene وبالقرب من مدخل الخليج الذى تكون نتيجة لذلك الطغيان توجد حفريات بحرية أو حفريات الماء (الحرش) مع طبقات Pecten ، Cordium تنسب إلى البلايوسين الأوسط ، ويربطون هذه الطبقات الآن بالطبقات المحتوية على Clypeaster الموجودة فى منطقة كوم الشلول جنوب أهرام الجيزة [4]. وقد كانت تربط قديماً بالميوسين . وتوجد رواسب هامة من عصر البلايوسين فى وادى النطرون تحتوى على بقايا فرس النهر ، والفيل ، والزرافة ، والحصان ذى الحوافر الثلاثة ، وحيوانات من آكلة اللحوم ، والسلاحف ، والتماسيح والأسماك مما يدل على وجود مجرى هام للماء فى ذلك العهد على مقربة من موضع النيل الحالى [5] .

---

(١) المصدر السابق ص ٥ ، ص ٩٣ ؛ بول (١٩٣٩) ص ٢٧ ؛ الترجمة العربية لأطلس القطر المصرى ص ٢٧ ؛ بلانكنهورن (١٩٠١) ص ٣٥٤ وما بعدها .

(٢) ساندفورد وآركل (١٩٣٩) ص ٩٣

(٣) هيوم (١٩١٢) ص ١٦

(٤) ساندفورد وآركل (١٩٣٩) ص ١٣ ، ص ٩٣

(٥) بول (١٩٣٩) ص ٢٧ والترجمة العربية لأطلس القطر المصرى ص ٢٧

ومما تجدر ملاحظته وجود فجوة بين طبقات البلايوسين الاوسط والأعلى وخاصة فى الجنوب تشغلها طبقة كاذبة سميكة من رمل الكوارتز. أما طبقات البلايوسينى الأعلى فمظاهرها خليجية أو من الماء العذب وتوجد بها حفريات Mekanopsis فى الشمال كما تتميز بوجود طبقات «التراڤرتين» السميكة والمجمعات فى الجنوب، ويصل ارتفاع طبقات البلايوسين الأعلى إلى ارتفاع ٥٥ — ٦٠ متراً فوق سطح البحر.

بعد أن انتهت ذروة الطغيان البلايوسينى يظهر أن بعض عوامل التعرية أخذت تنشط فأرسبت طبقات رملية كاذبة فى منخفضات طبقات البلايوسين الأوسط والأعلى. وهذا الرمل يختلف تماماً عن رمال البلايوسين الأخرى إذ توجد به كميات من بلورات الفلسبار الوردى وحصى من الصخور المتدخلة والمتحولة جلبت من تلال البحر الأحمر ومن مصر العليا [١] .. هذه الطبقات الرملية الكاذبة سميكة فى بعض الجهات وتظهر كأنما أرسبت فى منطقة مائية ولما كان سمكها يقل من الجنوب إلى الشمال فانه يظن أنها قد أرسبت بواسطة تعرية شبه هوائية أثناء فترة طغيان تالية [٢] .

وبامتلاء خليج وادى النيل وتراجع البحر أخذ المظهر النهرى فى الظهور ونقلت كميات هائلة من الحصى إلى الشمال وقد جلب النهر أو الروافد المتعددة الكثير من ذلك الحصى الذى يتكون غالبا من الصوان والكوارتز. كذلك يوجد حصى مجلوب من مرتفعات البحر الأحمر.

البليستوسين وما بعده

تكون منذ البلايوسين الأعلى وفى البليستوسين عدد من المدرجات مغطاة بالحصى. هذه المدرجات تظهر فى إقليم غرب الدلتا ويوجد بعضها على ارتفاع أعلى من رواسب الخليج البلايوسين (+ ١٨٠ م) فيوجد الحصى فى جبل الخشاب على ارتفاع ٢٥٠ متراً فوق سطح البحر وفى الشمال من ذلك على جبل الحدادين يوجد على ارتفاع ٢٣٠ متراً ، وعلى هذا تكون المدرجات أعلى

(١) ساندفورد وآركل (١٩٠٩) ص ٩٤
(٢) المصدر السابق ص ٣٨

من أي مدرج عرف في وادي النيل جنوب القاهرة . ويرى ساندفورد وآركل[1] أن هذه المدرجات المرتفعة يمكن تعليل وجودها تعليلا محلياً لعدم وجود دليل على تكونها في الجنوب . ولكنهما لايذكران هذا التعليل المحلي .

أما المدرجات التي تقل عن هذا الارتفاع فواضحة يمكن تتبعها بدون توقف من سقارة بل ومن جنوب سقارة حتى خط عرض وادي النطرون . ولا يظهر فيها ما يدل على حدوث حركات أدت إلى التوائها أو طيها وتمتد متسعة في غرب الدلتا كما تظهر أيضاً في شرقها ويمكن ملاحظتها وهي تتخذ الشكل الدلتاوي ويمكن بواسطتها أن نعين بالتقريب حدود الدلتا من مرحلة إلى أخرى .

وقد أمكن تتبع مدرجين يحتويان على آلات العصر الحجري القديم الأسفل : المدرج الأعلى أو مدرج ٣٠م ، ويرجع إلى فترة (شل) ، وإن يكن حصاه يحتوي على خليط من نماذج يمكن الرجوع بها إلى فترة (آشل)[2] . ويوجد حصى هذا المدرج في شمال ابورواش ويمكن تتبعه لعدة كيلو مترات على طول الحافة الغربية للدلتا . وأما المدرج الأسفل أو مدرج ١٧ — ١٥ م فيحتوي على نماذج آشلية بعضها من النوع الراقي مما يدل على أن هذه المرحلة من مراحل الثقافات الحجرية كانت في نهايتها تقريباً[3] ولكن لم يبق من آثار هذا المدرج في شمال القاهرة إلا أجزاء بسيطة تتمثل في غرب الدلتا شمال الخطاطبة[4] كما تتمثل في الشرق في الطرف الغربي لوادي الطميلات .

أما رواسب الحجري القديم الأوسط فتتكون في الغالب من طمي النيل والحصى الدقيق ولكنها توجد مختفية تحت الرواسب الحديثة[5] . ولم يعثر

---

(١) المصدر السابق ص ٩٤

(٢) المصدر السابق ص ٤٩

(٣) يمكن تتبع هذا المدرج من الشلال الثاني حتى مغاغة ولكن من الصعب التعرف عليه في شمالها .

(٤) ساندفورد وآركل (١٩٣٩) ص ٩٦

(٥) ساندفورد وآركل (١٩٢٩) ص ٦٨ ؛ (١٩٣٣) ص ٢٥ — ٣٨ ؛ (١٩٣٩) ص ٩٦

في غرب الدلتا فى داخل الطبقات (in situ) على آلات حجرية تنتمى إلى هذا العصر وما بعده [1] .

ويمكن القول بصفة عامة أن التكوينات البليستوسينية فى غرب الدلتا تتمثل فى الحجر الجيرى الحبيبى وفى الرواسب النهرية المكونة من الحصى والرمال وطمى النيل [2]. ويكون الحجر الجيرى الحبيبى (Oelitic limestone) حافات قد يتجاوز ارتفاعها أحياناً العشرين متراً . وتمتد فى غرب مدينة الاسكندرية موازية لساحل البحر الأبيض المتوسط . وتتكون فى الغالب من حافة متاخمة للبحر وأخرى موازية لهـا وعلى بعد بضعة كيلو مترات منها وقد توجد حافة ثالثة تمتد بين الاخيرة وهضبة ليبيا [3]. وتحتل المنطقة المحصورة بين السلسلتين الأولى والثانية فى بعض الجهات بحيرات ملحة ومناقع . وفى جهات أخرى تتغطى بطبقة طفلية نشا هدها ثانية في المنخفض الممتد بين السلسلتين الثانية والثالثة.

ويذهب هيوم [4] الى أن حافات الحجر الجيرى الحبيبى هذه تمثل مرتفعات حلت كربونات الجير فيها محل الـكوارتز وأنها تكونت نتيجة فعل الرياح مضافا اليها فعل الأمطار إذ أن المطر عند ما يسقط يذيب جزءًا من كربونات الجير ثم بعد انتهاء فصل المطر تزداد عملية التبخر وفى الوقت نفسه تتصاعد المواد الذائبة بواسطة الخاصة الشعرية الى السطح فتفقد بيكربونات الجير المذابة غاز ثانى أكسيد الكربون وتبقى بذلك كربونات الجير التى تتحول الى مادة صلبة تؤدى الى تمـاسك الذرات التي تكون التلال المشرفة على البحر فى هذه المنطقة .

أما « شبرات »[5] فيذهب إلى أن هذه الحافات مكونة من رمال بحرية أى من تفتت الأصداف المختلفة وهذه تتحلل فى الحامض الذى يطلق عليـه

(١) بول (١٩٣٩) ص ٤٥
(٢) المصدر السابق ص ٢٩ والترجمة العربية لأطلس القطر المصرى ص ٢٨
(٣) بول (١٩٣٩) ص ٣٠ — ٣١ ؛ هيوم وهيوز (١٩٢١) ص ١
(٤) هيوم (١٩٢٥) ج ١ ص ٥٧
(٥) شبرات ص ٥

(The Muriatic Acid) والذى يوجد بكثرة فى مياه البحار وبذلك تتحول إلى حجر جيرى مختلط برمال من الصحراء مكونة ما يسميه بالحجر الجيرى الرملى .

والخلاصة أن الطبقات الجيولوجية المعروفة فى غرب الدلتا تتتابع على النحو التـالى :

١ — الكريتاسى الأوسط والأعلى فى كتلة جبل أبو رواش ، وقد ارتفعت هذه الطبقات فوق الطبقات الأحدث منها نتيجة كسر .

٢ — الأيوسين فى جبل أبو رواش والتلال المحيطة به وترتكز طبقات الأيوسين الأعلى على الكريتاسى مباشرة ، أى أن الأيوسين الأسفل والأوسط لا وجود لها .

٣ — الأوليجوسين وتمتد تكويناته على شكل هضبة متموجة يغطيها الحصى المستدير فى شمال وغرب أبو رواش .

٤ — الميوسين فى جنوب وادى النطرون ومعظمه من الميوسين الأوسط .

٥ — البلايوسين فى وادى النطرون وتدل تكويناته على امتداد ذراع من البحر نحو الجنوب .

٦ — البليستوسين وتتمثل تكويناته فى الحجر الجيرى فى المكس وفى تكوينات الصحراء الحافة بأراضى الدلتا الزراعية .

مراجع البحث

(١) الترجمة العربية لأطلس القطر المصرى .

(٢) محمد عوض محمد : نهر النيل (١٩٣٠) .

(3) BALL, JOHN: (1939)—"Contributions to the Geography of Egpyt". Ministry of Finance, Egpyt. Gov. Press. Bulaq.

(4) BEADNEL, H. J. L.: (1902)—"The Cretaceous Region of Abu Roach near the Pyramids of Giza".

(5) BLANKENHORN, M.: (1901)—"Geologie Aegyptens".

(6) HUME, W. H.: (1912)—"Explanatory Notes to account the geological map of Egypt".

(7) HUME, W. H.: (1925)—"Geology of Egypt". Cairo.

(8) HUME & HUGHES: (1921)—"The soils and water supply of the Maryut District west of Alexandria".

(9) PICARD, L.: (1943)—"The structure and evolution of Palastine". Bull. of the Geological Department of the Hebrew University, 1943.

(10) SANDFORD K. S. & ARKELL W. J.: (1929)—"On the relations of Paleolithic man to the history and geology of the Nile Valley in Egypt". Man, Vol. 29. No. 50, 1929.

(11) SANDFORD & ARKELL: (1933)—"Poleolithic man and the Nile Valley in Nubia and Upper Egpyt.: A study of the region during Pliocene and Pleistocene times". Preh. Sur .of Egy. and W. Asia Vol. II. or Ins. Pub., Vol. XVII Chicago. 1933.

(12) SANDFORD & ARKELL: (1939)—"Paleolithic man and the Nile Valley in Lower Egypt with some notes upon a part of the Red Sea Littoral".
Preh. Sur. of Egy. and W. Asia Vol. IV. or Ins. Pub. Vol. XLVI, Lhicago.

(13) SPRATT: "Delta of the Nile: An investigation of the effect of the prevailing waves influence on the Nile's deposits".

فارينـــاتا دلى أوبرتى [1]
وكاڤالكانتى دى كاڤالكانتى [2]
فى جحـــيم دانتى

بقـلم

حسن عثمان

يترك الجيل السابق ذكريات تظل ماثلة فى أذهان الجيل اللاحق ، يردد الكبار أخبارها فى أذهان الصغار وهم بعد أيفاع ، فيشيدون بأثار المعاصرين والسابقين ، ويضفون عليها عواطفهم وإحساساتهم ، فتؤثر فى قلوب الصغار المتفتحة للحياة ، كالزهرات النضيرة اليانعة . ويكون ذلك أول شعر وأول تاريخ ينفذ إلى قلوب النشء الجديد . هكذا تأدت أنباء الثورة الفرنسية الكبرى ، فى أواخر القرن الثامن عشر ، إلى أذهان الجيل التالى . عرف الأبناء فى طفولتهم الباكرة ، أخبار ميرابو ، ودانتون وروبسبيير ، قبل أن يتلقوا عنها شيئاً فى المدرسة ، فألهبت نفوسهم ، وفتحت أمامهم آفاقا مليئة بالحركة ، فياضة بالحيوية .

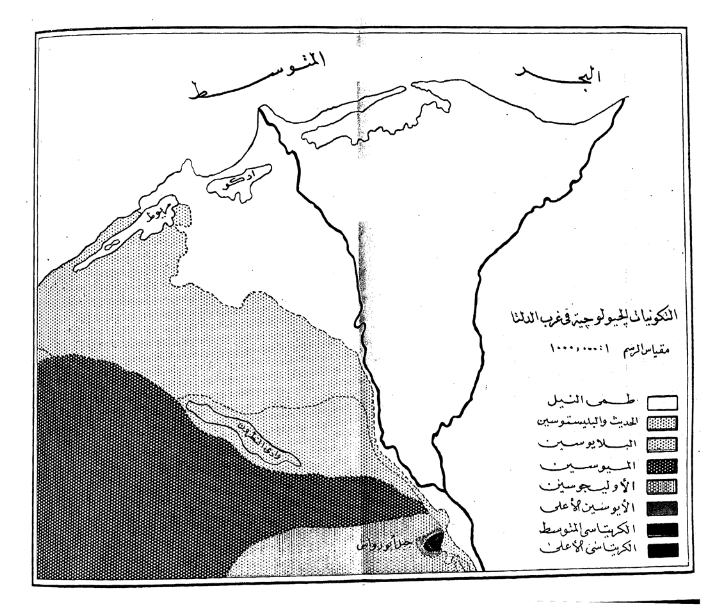
على ذلك النحو سبق ميلاد دانتى عهد ملىء بالأحداث ، سادته تيارات متنوعة ، ظهرت آثاره فى شتى مرافق الحياة . فبدأت تنمو بذور روح جديدة فى الفكر والفلسفة والدين والسياسة والأدب والفن ، وأخذت تعبر كلها ، رويداً وبالتدريج ، عن انبثاق عصر جديد . وشهدت إيطاليا دوراً عنيفا من الكفاح ، الذى حركته عوامل سياسية ووطنية واقتصادية . فظهر الصراع بين الجلف [3] والجبلين [4] . ونهضت الكومونات الايطالية ، تسندها ذكريات روما القديمة ، ويؤيدها أصحاب الثروة من التجار ورجال الأعمال ، لحماية الشعب من سلالة اللاتين ضد النبلاء من سلالة الغزاة البرابرة ، وضد البابوية والامبراطورية على السواء : طبقاً لتغير الظروف . وعملت فلورنسا

على أن تبسط بالتدريج سلطانها السياسى والاقتصادى فى تسكانا . ونهض الكومون الفلورنسى وانتصر بعد كفاح مرير على معارضيه ، وقرر حقوق المواطن ، وأنشأ الطبقة الثالثة ، وأقام دستور حكومة جمهورية ديموقراطية كما فهمت الديموقراطية في ذلك العصر . وأعلنت حكومة فلورنسا تصميمها على الدفاع عن الحرية فى أرضها ، مع العمل على نشر لوائها فيما وراء الحدود . وكان على الثورة الفرنسية الكبرى أن تكمل فيما بعد ، وعلى نطاق أوسع ، مابدأته الكومونات الايطالية من قبل . وبذلك يبدأ التاريخ الحديث في إيطاليا عامة وفى فلورنسا خاصة ، بمقوماته الروحية والسياسية ، منذ القرن الثانى عشر للميلاد ، وقبل أن يبدأ فى سائر أنحاء أوروبا بوقت طويل .

ظهر فى أثناء ذلك الكفاح فى فلورنسا وتسكانا بعض الشخصيات البارزة مثل كافالكانتى وتيجيايو [٥] ورستيكوتشي [٦] وموسكا [٧] . وأعظم هؤلاء جميعاً هو فاريناتا دِليّ أوبرتى . امتاز هؤلاء الابطال بقوة الروح والاعتزاز بالنفس وبالشدة والصرامة والوطنية . وتسللت أخبارهم إلى دانتى وهو فى طفولته الباكرة ، فأذكى ذلك فى نفسه قوة الروح وحب الكفاح وتقدير البطولة ومعنى الوطنية . ويذكر دانتى هؤلاء الابطال فى القصيدة السادسة من الجحيم ، ويسأل عن مقرهم [٨] فهو متطلع إليهم ، حريص على أن تتغذى نفسه من قلوبهم ، وأن تستمد روحه من بطولتهم .

استوحى دانتى شخصية فاريناتا من نفسه ومن الصفات المشتركة بينهما . امتاز كل منهما بقوة الروح والاعتزاز بالنفس والوطنية . وأبدى فاريناتا من قوة الروح والبطولة ماأثار إعجاب دانتى ، عندما ضحى بمصلحته الحزبية في سبيل فلورنسا ، الوطن النبيل . أظهر دانتى ذاته فى حياته وآثاره من قوة الروح والبطولة والوطنية ما جعله نموذجا للبشر ، على الرغم من الويلات والمحن التى انصبت عليه .

أبدى دانتى قوة الروح عندما وقف فى وجه المطامع البابوية الجامحة في فلورنسا . وقف دانتى أمام بونيفاتشو الثامن معتزاً بقوة روحه ، غير عابىء بما للبابا من سلطان تحنو أمامه الرقاب . وأظهر دانتى قوة الروح عندما لم يعترف


البحر المتوسط
ادكو
مريوط
وادي النطرون
جبل أبو رواش
التكوينات الجيولوجية في غرب الدلتا
مقياس الرسم ١ : ١٠٠٠،٠٠٠
طمي النيل
الحديث والبليستوسين
البلايوسين
الميوسين
الأوليجوسين
الأيوسين الأعلى
الكريتاسي المتوسط
الكريتاسي الأعلى

بالتهم الباطلة التي وجهتها إليه حكومة فلورنسا ، وآثر حياة المنفى على الخضوع والذل . وأبدى قوة الروح عندما أتيحت أمامه فرصة العودة إلى وطنه بشرط أن يعود كتائب يطلب الصفح والغفران . رفض دانتى ذلك العرض : وقال إنه لن يعود إلى فلورنسا أبداً ، وإنه سيرى الشمس والقمر والكواكب خارج جدرانها !

أبدى دانتى قوة الروح والاعتزاز بالنفس عندما ارتفع إلى المستوى الذى جعله لايرى في البشر ما يحسدهم عليه . وكل رجال الفن الذين أهينوا وجرحت نفوسهم ، عملوا بقوة روحهم لتأكيد مامنع عنهم ، وكسبوا ثقة هائلة بنفوسهم ، واعتزوا بملكاتهم ، وأعلنوا عنها بالقول والعمل والابداع . وعندما أخذ دانتى يكتب الكوميديا أحس بعدم التناسب الهائل بين عبقريته وبين حياته الواقعة . فأخذ يمدح نفسه بنفسه : وإن كان قد اعترف بأن ذلك لايرضيه كل الرضا [٩] . قال دانتي إنه نابغة [١٠] ، وإن كلماته ستصبح غذاء للناس [١١] ، وإنه صلب لايعبأ بالمصاعب [١٢] ، وإنه يتشرف بحياة المنفى [١٣] ، ونعت الكوميديا بالمقدسة [١٤] ، وسمى نفسه بالحمل وسط الثعالب [١٥] . أحس دانتى أنه أعلى من الملوك والبابوات ، الذين عجزوا عن أداء واجبهم : وأصبحوا لا يصلحون للمهام الخطيرة التى ألقيت على كواهلهم المتداعية . تكلم دانتى كامبراطور وبابا ، ولعن الملوك والبابوات . وتكلم باسم إيطاليا والعالم . فعل ذلك بقوة روحه ، ولثقته الهائلة بنفسه ، ولايمانه المطلق بعبقريته .

وامتاز دانتى بالوطنية الصادقة . لم يحب دانتى مكاناً فى الأرض كما أحب إيطاليا وفلورنسا . فايطاليا عنده حديقة الامبراطورية . وفلورنسا هى الوطن النبيل [١٦] ، وهى المدينة الجميلة على الأرنو الجميل [١٧] . وقد نُفى وأُبعد عنها ظلماً وعدواناً لأنه أحبها حباً عظيماً [١٨] . ومع ذلك فلم يتكلم دانتى بقساوة وعنف كما تكلم عن فلورنسا وإيطاليا . قال عن فلورنسا إنها غابة حزينة بائسة [١٩] ، وإنها مليئة بالكبرياء والبخل والجشع [٢٠] ، وشعبها ناكر للجميل [٢١] . وكذلك لعن دانتى سائر أنحاء إيطاليا . فلا يكاد يوجد بها مكان إلا ويثير غضبه ، ويفتح فى جسمه جرحاً قديماً . وهى الأرض الخائنة

الخبيثة الحسود العاصية . قال إن بولونيا مليئة بالبخلاء والوصوليين [٢٢]، وأهل بيزا ذئاب [٢٣]، وأهل جنوا خلو من كل كياسة ويستحقون الاذلال [٢٤]. ولكن لا تدل اللعنات والسباب دائما على السفه والبذاءة بقدر ما تدل على الحب والحرص على المصلحة. كان حب دانتي لوطنه أعظم من أن يحمله على الوقوف أمام أخطائه موقف المتفرج المحايد . استمد دانتي من ويلات إيطاليا وحياً لشعوره الوطني الصميم . وصدرت عنه روح وطنية عالية في سبابه ولعناته . خاطب دانتي إيطاليا بلفظ إيطاليا . وربما كان أول من أدرك قيمة وحدتها السياسية قال « يا إيطاليا ! أيتها العبدة الذليلة ، ياسفينة بغير شراع وبغير ملاح وسط العاصفة الهوجاء ... انظرى إلى سواحلك وأطرافك واجمعها إلى صدرك ... أيعرف أى جزء من جسدك معنى السلام والهدوء ؟» [٢٥]. وخاطب الله طالباً الصفح والمغفرة . وسأله هل أدار نظره عن إيطاليا ، وماذا يخبىء لها في طيات المستقبل من الأحداث ؟ بهذا أصبح دانتي نبي إيطاليا ، وأعطى وطنه حلماً سياسياً مستمداً من الواقع ومن غير الواقع ، من الماضي والحاضر والمستقبل ، من الدموع والأسى والزفرات الممتزجة بالأمل والرجاء . وظلت صيحاته تجرى فى دماء الايطاليين ، وأصبحت كلماته بمثابة إنجيل الوطنية الايطالية فى القرن التاسع عشر .

هذه هى معانى القوة والاعتزاز بالنفس والوطنية التى جاشت فى صدر دانتى ، والتى تجاوبت فى نفس فاريناتا دلى أوبرتى ، فاتخذها جميعاً أساساً فى خلق هذه الشخصية العظيمة .

وهناك شخصية كافالكانتى دى كافالكانتى الذى سيشغل، إلى جانب فاريناتا، جزءاً من هذه القصيدة العاشرة من الجحيم . استمد دانتى شخصية كافالكانتى من ذكرى صلته بابنه جويدو كافالكانتى الذى كان صديقه ، والذى لم تمنعه صداقته من أن يشترك فى قرار نفيه من فلورنسا ، فى مطلع القرن الرابع عشر للميلاد ، تخفيفاً من حدة النزاع الحزبى بين جدرانها . تألم دانتى لمصير صديقه جويدو ، الذى مرض فى أثناء المنفى ، ومات عقب عودته إلى وطنه بأيام

فلاثل . ولم يصور لنا شخصية جويدو ذاته ، ولكن صور أباه ، ربما لأنه لم تطاوعه نفسه على ذلك ، وقد كان سبباً فى نفيه وموته . واستمد دانتى شخصية كاثالكانتى الأب العطوف من ظروف حياته هو . عاش دانتى يتيماً منذ حداثته الباكرة . فقد أمه حوالى الخامسة من عمره . ومات أبوه وقد تجاوز العاشرة بقليل . ولم يوله أبوه فى حياته شيئاً يذكر من الحنان والعطف . أحس دانتى بالألم لأنه فقد حنان الأم والأب . وشعر دائماً أنه فى حاجة إلى أن ينطق بلفظ « أبى وأمى » ، وإلى أن يسمع نداء الأم العزيز « يابنى ». وفضلا عن ذلك فقد تزوج دانتى وأنجب أولاداً ، وخبر بنفسه شعور الأبوّة ، وعرف فى حياة المنفى معنى الحرمان من الأهل والولد . فأراد أن يعوض عن ذلك الحرمان والألم بالخيال والخلق فى آثاره الرائعة . ينادى برونتو لاتينى دانتى « بأى بنىّ [٢٦] » . وكذلك يفعل كانشاجويدا [٢٧] ، وآدم [٢٨] ، والقديس بطرس [٢٩] . وقد عوّض فرجيليو شطراً كبيراً من الحنان الأبوى الذى فقده دانتى فى أثناء حياته . يناديه فرجيليو « بيا ابنى » [٣٠] ، و « بيا بنىّ الصغير » [٣١] ، و « بيا إبنى الحلو » [٣٢] . وينادى دانتى فرجيليو « بيا أبتى » [٣٣] ، و « بيا أبى الحبيب » [٣٤] ، و « بالأب الحلو العزيز » [٣٥] ، و « بيا من أنت أكثر من أب [٣٦] ». وهو يحنو عليه دائماً ، ويقبله ويحميه من الاخطار [٣٧] . بل واعتبر فرجيليو بمثابة الأم ، عندما فزع على صوت النيران وهرب به بعيداً عن اللهب المشتعل [٣٨] .

تلك هى مشاعر الأبوّة العزيزة والبنوّة الغالية ، التى افتقدها دانتى منذ حداثته ، وأحسها فى صميمه ، وتلمسها فى حياة المنفى ، فأراد أن يعوض عنها شيئاً فى خلق شخصية كاڤالكانتى دى كاڤالكانتى .

هذه القصيدة العاشرة من الجحيم من أكثر قصائد الكوميديا ارتباطاً بفلورنسا . هى قصيدة فلورنسية فى الصميم ، وهى تشبه الجزء الخاص بتشاكو المواطن الفلورنسى ، الذى تحدث عن الصراع بين حزبى البيض والسود فى فلورنسا ، وقد سأله دانتى عن بعض مواطنى فلورنسا الأبطال [٩] . وتشبه فى ارتباطها بفلورنسا الجزء الخاص بفيليب أرجنتى عدو دانتى ، الذى عرف بسرعة

الغضب[٤٠]. كما تشارك فى صفحتها الفلورنسية ذلك الجزء الخاص ببرونتو لاتيني ، الذى تنبأ بنفى دانتى[٤١]، أو مشهد الكونت أوجولينو الذى حاول السيطرة على بيزا ، ولكن الجبليين استطاعوا هزيمته وأسره ، ومات جوعاً[٤٢].

هبط دانتى وڤرجيليو حلقات الجحيم ، وشهدا أنواع العذاب الذى لقيه الآثمون ، ثم وصلا إلى مدينة ديس أو مدينة الشيطان ، معقل الخطايا وموئل الآثمين . أغلق الشياطين باب مدينة ديس فى وجه الشاعرين ، فساور ڤرجيليو الاضطراب وشحب لون دانتى . ولكن ڤرجيليو تجلد وصبر ، وشجع دانتى فى هذا الموقف ، وشمله بعطفه وحماه من الخطر[٤٣]. وتدخلت العناية الالهية فى هذا الجحيم ، فهبط إليهما ملاك من الفردوس ، أبعد عنهما الشياطين ، وفتح لهما باب مدينة ديس[٤٤].

اجتاز الشاعران أسوار مدينة ديس ، وشهدا قبور المعذبين من الأبيقوريين ، الذين اعتقدوا أن الروح تموت مع الجسد . رأى الشاعران تلك القبور تخرج منها ألسنة اللهب ممتزجة بصراخ الآثمين ، وكل قبر يعلوه قوس من النار يصب جحيمه على مرتكبي الخطايا ، الذين يبقون فى النار خالدين فيها أبداً . أخذ دانتى هذا الهيكل العام وخطوطه ومادته من تراث الكنيسة ومن تقاليد العصور الوسطى ، عندما عاقب على ذلك النحو ، أولئك الذين لم يؤمنوا بخلود الروح الانسانى . ولكن دانتى رسم ولوّن ونحت فى هذا الهيكل التقليدى كرجل حديث مبتدع ، هادم للقديم وثائر على التقاليد . صور دانتى مدينة ديس الملعونة وخلق الشخصيات ، مثل فاريناتا ، كتمثال شاهق ، على طريقة ميكلانجلو[٤٥]، أو كلحن ثائر عنيف ، على طريقة بيتهوڤن[٤٦]. ونحت شخصية كاڤالكانتى إلى جانبه ، كحفر بارز ، على طريقة جوتو[٤٧].

سار الشاعران رويداً فى طريق خفى ، بين القبور وأسوار مدينة ديس . تقدم ڤرجيليو ، وسار دانتى فى إثره ، فهو وراء أستاذه وفى رحابه دائماً . ولا يكادان يبدآن السير حتى ينادى أستاذه بالفضيلة العليا ، الذى يدور به فى الجحيم كما يروق له ، وسأله أن يحدثه ويشبع رغبته فى المعرفة . يطلب دانتى إلى ڤرجيليو أن يخبره هل يستطيع أن يرى من فى القبور ،

وخاصة أنه قد رفعت أغطيتها ، وليس هناك من يقوم بحراستها ، ويحول دون رؤية من فيها . وكان دانتى بذلك يذكر محاولة الشياطين منع الشاعرين عن دخول مدينة ديس منذ قليل . وخامره هنا احتمال تجدد تلك المحاولة ، التى لم يخلصهما منها سوى تدخل السماء . كان فاريناتا دلى أوبرتى يعيش فى خيال دانتى منذ زمن . وسبق أن استفسر عنه وعن غيره من أبطال فلورنسا ؛ وعند ماوصل إلى منطقة المعذبين من الهراطقة ؛ توقع أن يرى فاريناتا ، لأنه كان من أتباع أبيقور ، الذى شاع مذهبه بين الجبلين ؛ وعلى رأسهم الأمبراطور فردريك الثانى . وأصبح مذهب الأبيقورية صفة عامة للجبلين أنصار الأمبراطور وأعداء البابا . ساور دانتى الشك والقلق ، عندما افتقد فاريناتا فلم يجده لأول وهلة . وما أرهف إحساس الانسان عندما يتطلع إلى لقاء عزيز لديه !

أجابه فرجيليو بأنه سوف يحبس الجميع هنا ، عندما يعودون من وادى يوسافاط بأجسامهم ، فى يوم الحشر ، على الرغم من أبيقور وأتباعه . وقال إنه سوف يعرف كل شىء . سيعرف ما استوضحه إياه ، كما سيعرف الرغبة التى لم يفصح عنها . وكم من رغبة لا يقوى اللسان على التعبير عنها ! ولكن صاحب الاحساس المرهف يدرك تلك الرغبة الخبيئة فى نفوس الناس . هكذا فهم فرجيليو رغبة دانتى فى معرفة كل شىء وفى لقاء فاريناتا . وحاول أن يطمئنه ويهدئه ، ويحمله على السكوت والصبر والتريث . وكأنه يقول له إن المعرفة لا تأتى دفعة واحدة ، ولكنها تأتى تباعاً وبالتجربة والتأمل .

قال دانتى للقائد الحكيم إنه لايحجب عنه قلبه ، وإن صدره مفتوح أمامه ، حتى ولو كانت كلماته قليلة . فالكلام القليل ؛ وربما السكوت ، لايخفى رغبة الانسان . وليست العبرة بايجاز الكلام أو إطنابه . فما بالنا بالموقف بين هذين الشاعرين ! أحدهما يرغب ، ولا يستطيع الآخر سوى أن يفهم ما يرغب ! اعترف دانتى بأن أستاذه سبق أن حمله على السكوت والتريث أكثر من مرة ، حتى يرى ويعرف كل شىء [٤٨]. هذه كلمات تلميذ لأستاذه يتبادلان التقدير

والاعزاز . إنها كلمات متواضعة مليئة بالحب والطاعة والاحترام والخشوع ، الذى يقرب من التدين .

إن ما يقوله الشاعران وهما يسيران وئيداً ، يسمعه فارينانا دلى أوبرتى وكاﭬالكانتى دى كاﭬالكانتى فى قبرهما . وبأى قلب يسمعان هذه اللغة الفلورنسية الصميمة ! وبأى روح ينصتان إلى هذا الكلام الصادق الأمين ! أحسا أن أحدهما ليس روحاً ، ولكنه إنسان حى جاء لزيارة الجحيم ، يقوده رمز الفضيلة العليا . سمع فارينانا هذا الكلام الفلورنسى ، فتجمعت فى خاطره ذكريات فلورنسا العزيزة ، وألان ذلك من طبعه ، وخفف من صرامته ، وأنطقه عما قليل ، بعد عنف وشدة ، بكلام رقيق ملىء بالرجاء ، وجعله يحس بالأسف لما ارتكبه فى حق وطنه النبيل . وسمع كاﭬالكانتى صوت مواطن فلورنسى اجتاز أبواب الجحيم ، فقال لنفسه من أجدر بهذا من ابنى جويدو .

خرج هذان الاثنان من القبر ، الواحد بعد الآخر ، وقد جذبتهما نبرات ذلك الصوت الفلورنسى العزيز . وماموسيقى الصوت ! أليست جزءاً من شخصية الانسان ! كان ظهور فارينانا وكاﭬالكانتى المؤقت من القبر ، استثناء لروحيهما المعذبتين . ويشبه ذلك سكوت الريح قليلا لفرنتشسكا وپاولو ، عند رؤيتهما دانتى من قبل [٤٩] .

سمع دانتى صوتاً ينبعث من أحد القبور ، يناديه بالتسكانى الذى جاء لزيارة مدينة النيران ، ومع ذلك فانه يتكلم صادقاً مخلصاً أميناً . أثار اهتمام فارينانا أن يسمع الكلام الصادق المخلص فى الجحيم ، حيث لا صدق ولا إخلاص . وكم يفرح المواطن الصادق بلقاء المواطن الصادق ! لم يستطع فارينانا إلا أن ينجذب إلى هذا الصدق والاخلاص . وهرع إلى دانتى يناديه ، شغوفاً ومعتزاً بوطنه وبالمواطن الصادق الأمين . وسأله فى رفق ولين أن يقف قليلا فى ذلك المكان ، وربما خشى أن يرفض سؤله . وقال إن كلماته تدل على أنه ولد فى ذلك الوطن النبيل الذى ربما قد عانى منه شراً كثيراً . نطق فارينانا باسم «الوطن النبيل» . أى حب وأى زهو واعتزاز بالوطن وبالمواطن الصادق

فى هذه الكلمة القصيرة ! إن فلورنسا عنده وطن نبيل عظيم بكل ما احتوته من جلف وجبلين . لم يكن عنده فى تلك اللحظة أحزاب وأهواء . أصبح الوطن عنده فى تلك الكلمات ، فوق الأحزاب والمصالح والأهواء . وهو ينسى الجزيئية أمام الوطن النبيل . ومع ذلك فلم يكن يستطيع أن ينسى دائماً الصراع الحزبى وآثاره العنيفة فى فلورنسا . وعندما قال إنه « ربما أساء الى الوطن » ، أعاده ذلك القول إلى ذكرى الصراع الحزبى الذى لاينسى. وقوله «ربما» يدل على أنه لا يريد أن ينكر قسوته على فلورنسا ، ولكنه أراد بذلك أن يخفف من أثر هذه القسوة التى ارتكبها . وكم يقسو الوطنى على الوطن ، ثم يأسف ويتألم ! أحس فاريناتا أنه قد أساء إلى وطنه، فتحرك قلبه، وكشف عن نفسه، وعبر عن خطيئته. وفى ذلك شعور بالندم على ما فعل . هذا كلام مؤثر، هادىء، رقيق ، يبدو فى ثناياه الأسى والندم ، على ما لقيه الوطن على أيدى الجبلين .

دوى رنين هذه الكلمات صادراً من أحد القبور ، ولم يتبين دانتى صاحبه لأول وهلة ، فأنصت ، وأُخذ ، واضطرب ، وتولته قشعريرة الخوف ، فاقترب من قائده طلباً للأمان . وما أضعف الانسان عندما يخاف ! عاجله ڤرجيليو ، الحارس الأمين ، بقوله ماذا تفعل ؟ أنظر هاك فاريناتا ، الذى تحدثت عنه من قبل ، منتصب القامة ، إنك ستراه كله ، من وسطه حتى رأسه. ظهر فاريناتا ظهوراً مفاجئاً ، أعد بطريقة تناسب الشخص العظيم. وتدل كلمة « كله » على القوة والعظمة . يستعين دانتى هنا بالمادة والشكل لتعزيز فكرة القوة والعظمة . أضفت المادة على المعنى قوة وعظمة ، وأكسبت القوة المعنوية ضخامة الجسم لفاريناتا ، حتى جعلته أشبه بعملاق .

لم يستطع دانتى سوى أن ينظر إلى فاريناتا العملاق بكل عينيه. جذب فاريناتا دانتى فالتقت أعينهما . والعين مرآة النفس الصادقة . والعين تتكلم الصدق ، وتعبر عما يعجز عنه اللسان . وبالتقاء الأعين تلتقى النفوس أكثر من التقائها بالكلام . ومع أنه لم يظهر من فاريناتا خارج القبر سوى الصدر والرأس ، فإنه وقف منتصباً شامخاً ، غاية فى القوة والعظمة ، وبدا كأنه يحتقر الجحيم

من حوله . ونحن قد نرى رجلا ضخما يمشى مرفوع الرأس زهواً وخيلاء ، وهو مقطب الجبين مكفهر الوجه ، وعليه علائم الجد المصطنع ، ومظاهر الكبرياء الفارغ ، ويلعلع بصوته الأجوف ، ومع ذلك فانه لا يشعرنا بأية قوة حقيقية بل إنه قد يثير السخرية ، ويبعث على الرثاء . على حين قد نرى رجلا ضئيلا خجولا كاسر النظر ، لا يكاد يتكلم . ولا نتبين فيه أية قوة لأول وهلة ، ولكن لا تلبث أن تنكشف لنا حقيقته ، فنشعر بقوته الهائلة وعظمته الكامنة ، التى يتبخر أمامها ذلك الزهو والخيلاء . وليست القوة الحقيقية قوة الجسم أو المادة ، أو التظاهر المصطنع ، ولكنها قوة الروح الأصيلة . توفرت في فاريناتا قوة الروح ، وبذلك ارتفع على الجحيم كله ، حيث أراد دانتى أن يحرقه بنيرانه . وهكذا نجد أن دانتى قد صنع ، بضربة واحدة ، تمثالا ضخما ، وأخرج بطلا عظيما ، يشعرنا بالقوة اللامتناهية . ولا يجوز لنا أن نفهم الجحيم هنا بمعناه الخلقى أو المسيحى ، لأن ما يعنينا الآن ، وما أراده دانتى ، ليس فاريناتا الآثم الهرطيق ، ولكن فاريناتا البطل العظيم . وتصبح الأرواح الأخرى ثانوية أمام قوة فاريناتا ، ويساعد الجحيم ذاته على إبراز قوته وعظمته . وليس أمامنا الجحيم الآن ، ولكن أمامنا فاريناتا الانسان البطل . وكذلك نجد أمامنا دانتى الرجل الحىّ من لحم وعظم . إن دانتى مواطن فلورنسى يمجد مواطناً فلورنسياً . وقد وجد نفسه أمام الرجل الذى أراد أن يلاقيه ، وبحث عنه فى غير مكان . عندما رآه فجأة أُخذ بعظمته . فحملق فيه ، وشُدِه ، ولم يتكلم .

ولكن السكوت لا يطول . تدخل ڤرجيليو ، وقطع ذلك السكوت ، ودفع دانتى بيديه المليئتين بالحياة والحركة ، إلى ما بين القبور . عبرت يدا ڤرجيليو عن حرصه على أن يدفع دانتى إلى لقاء فاريناتا والتحدث اليه . وتتكلم اليد وتعبر كالعين واللسان . تتجاوب كل هذه الأعضاء وتتعاون فى التعبير عن نفس الانسان . دفع ڤرجيليو بيديه دانتى الساكت المضطرب إلى أسفل القبر ، لكى يصبح أقدر على سماع حديث فاريناتا ، حيث وقف وهو لا يعرف ماذا يفعل . عرف ڤرجيليو أن فاريناتا سيوجه إلى دانتى كلاماً

قاسياً ، فنصحه بأن تكون كلماته متزنة ومناسبة للمقام . ولا ريب فانه كان شديد الحدب عليه دائماً ، حريصاً على أن يجنبه مواطن الزلل .

وقف دانتى فى أسفل القبر ، ورفع وجهه إلى أعلى ، بينما كان فاريناتا ينظر إلى دانتى من أعلى إلى أسفل . لم يستمر كلام فاريناتا الهادئ الرقيق إلى هذا التسكانى الصادق الأمين ، الذى قدم من الوطن النبيل . لم يكف ذلك لأن يظل رقيقاً في حديثه ، معبراً عن الرجاء والأسف . صحيح أن فاريناتا وجد أمامه مواطناً فلورنسياً ، بعث في نفسه ذكريات فلورنسا العزيزة . ولكن كان ذلك المواطن الفلورنسى مجهولاً لديه . وسرعان ما ساوره الشك فى أن يكون من الأعداء . عاود فاريناتا الشعور الحزبى ، وما خلفه فى النفس من ذكريات مريرة . وقد صحّ ما كان يتوقعه . حدج فاريناتا دانتى بنظرة متكبرة تنم عن الازدراء . وكم تعبر العين عن معنى الازدراء ! سلّط فاريناتا على دانتى نظرة الاحتقار وسكت قليلا . ثم تكلم . وعندما أراد أن يعرف هذا الزائر المجهول لم يسأله عن شخصه ، بل سأله عن أصله وأجداده . عنده الأصل أهم من الشخص ذاته . آمن فاريناتا النبيل بأن الأصل يورث الانسان كثيراً من صفاته ونوازعه التى تبقى معه دواماً . وعنده أنه إذا عُرف أصل الرجل عُرفت حقيقته .

كان دانتى مطيعاً ، فأجاب سؤال فاريناتا ، على الرغم من احتقاره إياه ، وحرص على أن تكون كلماته متزنة مناسبة ، كما أشار عليه ڤرجيليو من قبل . ولم يخف عن فاريناتا شيئاً ، وأفصح عن كل ما فى نفسه . فتح دانتى الصارم العنيف قلبه لفاريناتا الصارم العنيف ، وأخبره عن أصله وأسرته .

وأحياناً يلقى إنسان إنساناً ، فينجذب إليه ، ويفتح له نفسه . فما بالنا إذا كان دانتى متطلعاً لرؤية فاريناتا البطل الفلورنسى ، وإذا كان فاريناتا ذاته متلهفاً على سماع صوت مواطن فلورنسى أمين ! عندما عرف فاريناتا أن دانتى من أسرة أليجييرى ، ومن الحلف أعداء الجبليين الألداء ، أدرك أنه يحادث أحد الأعداء ، فتألم وغضب ، ورفع حاجبيه مقطباً ، كمن يتذكر الماضى

الأليم . إن فارينا تا هنا أشبه بتمثال صارم عنيف ، بدأت تدب الحياة في أوصاله . تكلم فارينا تا بعنف وقسوة ، كجبليني أمام عدوه الجلفي . قال فارينا تا إن أجداد دانتي كانوا أعداء لأجداده ولحزبه ، ومع ذلك فقد انتصر الجبليين في الحرب مرتين[٥٠] . تكلم فارينا تا وهو فخور معتز بذلك النصر ، وهو لا يعرف الحرب بغير النصر . وعندما قال إنه هزم الأعداء وفرق شملهم مرتين ، بدت كلماته كضربات سيف قاطع .

تألم دانتي لكلام فارينا تا القاسي العنيف . وما أقسى على الوطني أن يهزم ويطرد من وطنه ، كأن الوطن لأولئك دون هؤلاء ، وليس لأبنائه جميعاً ! لم يسكت دانتي عن كلمات فارينا تا العنيفة القاسية ، وبادله عنفاً بعنف . وهو في ذلك يطيع أستاذه في أن يكون كلامه متزناً ومناسباً للمقام . قال دانتي إن الجلف وإن كانوا قد هزموا وطردوا مرتين إلا أنهم عادوا من كل صوب إلى فلورنسا ، وأعفوا بذلك أثر الهزيمة ، على حين أن الجبليين عندما هزموا وطردوا من فلورنسا ، لم يتعلموا فن الرجوع إلى الوطن . هكذا ألقى دانتي إلى فارينا تا بسهم عنيف ، وطعنه في قلبه بضربة حاسمة ، ولم يستطع فارينا تا سوى أن يضم هذا السهم المستقر بين جوانحه . وكان دانتي كمن يبسم ابتسامة ساخرة ، بهذه الكلمات الثقيلة القاسية ، المليئة بالسخرية . والسخرية فن رفيع يظهر الإنسان على خبايا النفس البشرية . لعل دانتي قصد أن الجبليين المتكبرين المتعجرفين لم يتعلموا فن الرجوع إلى الوطن ، بعكس الجلف الشعبيين المتواضعين ، الذين حذقوا فن الرجوع إلى الوطن . هنا دانتي الجلفي المتواضع يهزأ بفارينا تا الجبليني المتكبر . ومع ذلك فإن دانتي يحترم فارينا تا ويحبه ويناديه بضمير الجمع ، على حين ينادى فارينا تا دانتي بضمير المفرد . أليست القسوة والسخرية أحياناً دليل التقدير والاعزاز والحب ؟ !

وسط هذا التراشق المتلاحق بين دانتي وفارينا تا ، وقع حادث مفاجئ ، قطع هذا الموقف العنيف كضرب المطارق . وكان حادثاً قطع ذلك الموقف ، لكي يجعله أكثر عمقاً بعد قليل . وكان حادثاً مفاجئاً مليئاً بالعاطفة ، ولكنها

عاطفة وإحساس أب قلق متألم لمصير ابنه . وإذا كان اسم دانتى أليجييرى قد أثار سخط فاريناتا ، ودفعه إلى توجيه تلك الكلمات القاسية إلى دانتى ، فان ذلك الاسم نفسه قد أثار فى نفس كاڤالكانتى شعور الأبوة . كان ابنه جويدو صـديقاً لدانتى ، ولذلك فانه توقع أن يرى ابنه معه فى هذه الزيارة إلى الجحيم . خرج كاڤالكانتى من نفس القبر ، وبدا إلى جانب فاريناتا المنتصب القامة ، كأنه قائم على ركبتيه ، إذ لم يظهر منه سوى وجهه . لم يعنه أن يقف كاملا ، ليرى كل شىء ، ولكن عناه أن يرفع رأسه وحدها خارج القبر ، ونظر فى قلق حول دانتى متطلعاً لرؤية ابنه . وكم يتلهّف الأب على رؤية ابنه ، ويتلفّـت إلى مكانه من قريب ومن بعيد ، هنا وهناك ! هنا امتزجت رغبة كاڤالكانتى فى رؤية ابنه بالشـــك فى وجوده . وهذا إحساس دقيق مرهف . دارت عيناه فى لهفة وشوق وتوجس ، ولكنه لم يجد شيئاً . انتهى شكه فى لحظة ، عندما لم ير أثراً لابنه ، كما ينتهى شعاع أضاء لحظة مخترقاً حجب الظلام الكثيف ، وأيقن بما كان يتوجس منه خيفة . عندئذٍ تكلم كاڤالكانتى وهو يبكى . وما أقسى البكاء مع الكلام ! قال كاڤالكانتى إذا كنت قد اجتزت هذا السجن المظلم بفضل عبقريتك ، فلماذا لم يأت معك ابنى جويدو ، الذى يمتاز مثلك بالعبقرية ؟ قال : «أين ابنى ، ولمـاذا هو ليس معك ؟ » .

أجاب دانتى كاڤالكانتى إجابة رقيقة ، تخالف ذلك التراشق العنيف الذى حدث بينه وبين فاريناتا منذ هنيهة . قال إنه لم يحضر هنا من تلقاء نفسه ولا بفضل عبقريته وحدها ، ولكن قاده ذلك المنتظر — أى ڤرجيليو — الذى ربمـا كان ابنك يحتقره ، وربمـا رفض أن يطيعه ويتبعه كما تبعه هو . ولعل دانتى أراد بذلك أن يقول إن جويدو لم يكن محباً للثقافة اللاتينية ولا لڤرجيليو .

لم يفهم كاڤالكانتى الأب إجابة دانتى على حقيقتها ، ولم يدرك الكلمات التى تخاطب العقل . ولكنه فهم الكلمة الأليمة التى تطعن القلب . وتلك كلمة

واحدة تشير إلى الماضي لا إلى الحاضر . وذلك عند ما قال إنه ربما « كان يحتقره » فى الماضى وليس الآن . ظن كاڤالكانتى عندئذ أن ابنه قد مات ، وأخذ من كلام دانتى ما وافق شكه وتوجسه . نهض كاڤا لكانتي على قدميه ، هلعاً متلهفاً على مصير ابنه . وصدرت صرخة أليمة من أعماقه . وما الصرخة التى تنبعث من أعماق نفس مطعونة ! صرخ كاڤالكانتى ، ودوى صراخه كآلة موسيقية يظل طنينها عميقاً فى الآذان . صرخ متسائلاً : ماذا يقول ؟ ألا يعيش ابنه بعد ؟ ألم تعد عيناه تكتحلان بأشعة الشمس ؟ قال ذلك لأن عيون الموتى تتطلع إلى الضوء ، وتتعلق بأهداب الأمل ، حتى آخر لحظة .

سكت دانتى عن الجواب قليلاً ، لأن الألم عقل لسانه ، لتصوره موت صديقه جويدو . ثم أخذ يفكر فى هؤلاء المعذبين الذين لايرون الحاضر . تساءل كاڤالكانتى عن ابنه أهوحى أوميت ، على حين أنه لم يكن قد مات بعد ، فى التاريخ الذى حدده دانتى لهذا الموقف من رحلته إلى الجحيم . عندما سكت دانتى قليلاً عن الجواب ، وهو مشغول بهذا الفكر ، فسر كاڤالكانتى ذلك السكوت بأن دانتى لم يشأ أن يخبره بالحقيقة الأليمة ، وفهم أن سكوته معناه موت ابنه . تحول الخوف والشك عنده إلى يقين . فى أول الأمر أطل كاڤالكانتى من القبر برأسه باحثاً عن ابنه ، عندما سمع صوت دانتى الفلورنسى . ثم نهض على قدميه عند ما شك فى مصيره . والآن عندما اعتقد أنه مات ، لم يفعل شيئاً سوى أن هبط فى القبر بغير كلام ، ولم يعد للظهور مرة أخرى . وكم من آلام ومشاعر تتجمع فى نفس إنسان فى لحظة ، فلا يقوى اللسان على النطق ، ولا العين على البكاء ! وأى شيء أقوى تعبيراً عن الألم ، أكثر من سقوط كاڤالكانتى فى القبر دون كلام ، كجسم ميت لاحراك به ! عبر دانتى بذلك الشعور الأبوى عن بعض دقائق القلب الانسانى . وبأى روح وبأيّة مشاعر كتب دانتى هذه السطور ، عند ما كان جويدو قد مات فعلاً بعد عودته من المنفى بقليل ، ثم اصبح دانتى نفسه منفياً !

وضع دانتى فاريناتا الجبلينى إلى جانب كاڤالكانتى الجلفى . أيّة مفارقة هذه فى العواطف والأهواء والأهداف ، وأى ماض يحمل فى طياته صراعاً

عنيفاً بين البابا والامبراطور ! لا يجعل دانتى منهما رمزاً مجرداً ، ولكنه رمز عملي تدعمه الذكريات ، وتسنده الوقائع الحية . إن فارينااتا الجبليني الأبيقورى بين أقرانه من الهراطقة ، فى بيئته وأرضه ، ومن ورائه دماء مونتأبرتى ، وتهديد فلورنسا بالدمار ، وانتقام الجلف المنتظر . وقف فاريناتا الجبليني ودانتى الجافى وجهاً لوجه ، وتبادلا الكلام الصارم القاطع العنيف . على حين نجد كافالكانتى الأبيقورى الجلفى رجلاً وديعاً رقيقاً متألماً باكياً . فهو لا يعنيه الآن السياسة ولا الجاف ، بل يعنيه ابنه وأخبار ابنه . ولم تكن له هنا سوى صفة الأب البار العطوف .

فى تلك الفترة ظل فاريناتا واقفاً فى مكانه منتصباً كالتمثال لا يتحرك . لم يغير وضعه ولم يحرك رأسه ولم يثن جنبه . وعلى الرغم من صلة النسب بين فاريناتا وكافالكانتى ، فان فاريناتا لم تعنه دموع كافالكانتى الأب المتلهف على رؤية ابنه . واستمر يفكر فى قول دانتى السابق ، وفى حياة المنفى ، وفى الصراع الحزبى . صرفه ذلك عن كل ما حوله ، حتى عن احتمال موت جويدو زوج ابنته . ولم يفهم فاريناتا الجبليني سوى سخرية دانتى الجلفى ، عندما عرّض بالجبليين ذاكراً أنهم لم يعرفوا فن الرجوع إلى الوطن . وكم من مواقف تستغرق تفكير الانسان فينسى كل ما حوله ! إن عدم اهتمام فاريناتا بمصير جويدو ، وعدم إنصاته وتأثره بشعور كافالكانتى الأب ، كل ذلك من مقوّمات شخصية فاريناتا الوطنى القاسى العنيف ، الذى لا يفكر فى غير وطنه ، ولا تشغله عنه المشاغل العائلية . لم يخف فاريناتا شيئاً من نفسه . ولم التظاهر والمداراة والاخفاء؟ إنه صريح صادق واضح طبيعى ، تعبر كلماته وحركاته عن نفسه تماماً . استطرد فاريناتا فى الكلام حيث وقف من قبل . قال إن عجز الجبليين عن تعلم فن الرجوع إلى الوطن ، جحيم أشد من الجحيم الذى يصطلى بنيرانه . جحيم النفس عنده يتضاءل إلى جانب جحيم الآخرة . وهذا عنده هو الجحيم . الألم النفسى من أجل الوطن ، أقوى عنده من نيران الجحيم . خلق دانتى بذلك من فاريناتا ثائراً على الله وخارجاً على تقاليد العصور الوسطى . يشبه فاريناتا تمثال موسى الذى خلقه ميكلانجلو يوشك أن ينهض ثائراً على شعبه

لما ارتكبه من الخطايا [٥١]. صرخ ميكلانجلو بوسنى وهو يطرقه بالإزميل : أن انطق ! فنطق بتعبيره الرائع عن معانى الألم والغضب والثورة ، التى جاشت بين جوانحه . وأنطق دانتى فاريناتا كبطل غاضب ثائر ، لا يتحول عن مبدئه .

لم يسكت فاريناتا عن سخرية دانتى به وبقومه . ورد إليه ضربة بضربة وبادله سهماً بسهم . عاد الموقف مرة أخرى إلى العنف السابق بين فاريناتا ودانتى . قال فاريناتا إنه لن يمضى خمسون شهراً حتى يعرف دانتى أن فن الرجوع إلى الوطن فن صعب ثقيل ، ولن يتعلمه عندئذ كما لم يتعلم هو تماماً . أُخذ دانتى بهذه النبوءة الأليمة . وهذا هو أوج المقابلة وخاتمة ذلك الشعور العنيف المتدفق بين فاريناتا ودانتى ، الذى ظلت خلاله صورة الوطن ماثلة دائماً .

ولكن لا الثائر يظل ثائراً ولا العنيف عنيفاً ، ولا الهادىء يبقى هادئاً دواماً . انتهت ثورة فاريناتا ووقف غضبه ، واعتدل وتحول إلى الهدوء . قال : يا من تعيش فى هذا العالم الجميل ، أخبرنى لماذا عمدت فلورنسا التى هى وطننا نحن كذلك ، إلى أن تتعقب رجالنا بروح العداء على الدوام ؟ ولماذا صدرت قوانين فلورنسا كلها ضدنا ؟ ويحدثنا التاريخ أنه عقب موقعة بنيفنتو التى انتصر فيها الجلف على الجبلين فى ١٢٦٦ ، حاول الجلف توطيد السلام وإعادة الصفاء بينهم وبين خصومهم . فصدر عفو عام عن الجبلين ، باستثناء آل أوبرتى ، لشدتهم فى خصومة الجلف . وهدمت قصورهم ، ودُكت بيوتهم ، وحُولت إلى ميادين عامة ، ومنها ميدان السنيوريا أمام القصر القديم فى فلورنسا فى الوقت الحاضر . فكم حمل ميدان السنيوريا ، الذى يخطر فوقه الناس غير آبهين ، من ذكريات عميقة منقوشة على صفحاته ، لم يقو على محوها لا الانسان ولا الزمان الغادر !

أجاب دانتى إجابة متزنة مناسبة . قال : إن الدم الفلورنسى المراق ، الذى صبغ مياه نهر أربيا ، هو الذى أوغر على الجبلين شعب فلورنسا . وعند ذكر الدم الفلورنسى المراق ، تحرك التمثال الصلد ، وتحول فاريناتا

إلى إنسان رقيق متألم . ومع أن فارينانا لم يبك مثل كافالكانتي ، إلا أنه تنهد ، وخفض رأسه ، حزناً وألماً . وربّ تنهد أبلغ من بكاء ! قال فاريناتا إنه لم يكن بمفرده في تلك المعركة ، ولم يستطع أن يفعل غير ذلك ، وإن كل أهله وحزبه فعلوا مثله . أراد بذلك أن يقول إنه لم يهاجم فلورنسا ذاتها ، ولكنه هاجم خصومه السياسيين . ثم قال فاريناتا إنه كان الرجل الوحيد الذي امتشق حسامه لحماية فلورنسا من أعدائها .

يحدثنا التاريخ أن الحرب كانت سجالاً بين الجبلين والجلف في سبيل السيطرة على تسكانا ، في النصف الثاني من القرن الثالث عشر للميلاد ، وأن فاريناتا لعب دوراً هاماً في قضية الجبلين ، وأنه أعد الجند وأثار الفتن والدسائس داخل فلورنسا . وعندما انتصر الجبلين على الجلف في موقعة مونتأبرتي في ١٢٦٠ ، بعد قتال مرير ، أمر فاريناتا الجند بالكف عن قتل الجند الفلورنسي الجلفي بعد النصر . وأصبح الجبلين سادة فلورنسا . وفكر الجبلين المجتمعون في إمبولي في هدم فلورنسا ، وتحويلها إلى قرية صغيرة . ولكن فاريناتا عارض ذلك بشدة . قال للكونت جوردانو وغيره من زعماء الجبلين إنه قاتل لاسترجاع وطنه لا ليفقده ، وإنه سيدافع عنه ضد كل من تسوّل له نفسه هدمه أو تحطيمه ، وإنه سيفعل ذلك بعزم وتصميم أكثر مما فعل من قبل . قال ذلك ويده على مقبض سيفه . وأنقذ تصميم فاريناتا فلورنسا من الدمار .

وهذه هي وطنية فاريناتا . لم يتصور كيف يرى وطنه أطلالاً ، ولم يعمه الصراع الحزبي عن مصلحة الوطن . وعندما تعارضت مصلحة الوطن مع مصلحة حزبه ، آثر الوطن . وما الوطنية سوى هذا ؟ وأي درس في الوطنية أعطاه فاريناتا للأجيال التالية ؟ وكم من الناس استطاع أن يستلهم هذا الدرس الرفيع ؟

قدّر دانتي الوطني هذه الوطنية العالية فكفّ عن كلماته العنيفة الساخرة ، وأجاب فاريناتا بكلمات رقيقة مؤاسية . دعا دانتي لفاريناتا وسلالته

بالسلام الذى حُرم إياه ، وهو جدير به . وما أثمن الدعاء بالسلام لنفس حرمت السلام ، وهى تتلظى فى نيران الجحيم !

وسأله دانتى أن يحل له لغز الموتى : كيف يعرف الموتى المستقبل ولا يدركون الحاضر ؟ وكيف لا يعرف كاڤالكانتى أن ابنه حى ، ويدخل فى روعه أنه قد ولى ومات ! قال ڤاريناتا إن نظر أرواح الموتى أشبه بمديدى البصر ، الذين يرون البعيد ولا يرون القريب . يترك الله لهؤلاء المعذبين ذلك الضياء ، فيرون البعيد والمستقبل ، ولكنهم لا يرون القريب والحاضر ، ولا يعرفون عنه شيئاً ، إلا إذا حمل أخباره إليهم أحد الأحياء . وعند نهاية العالم لن يكون هناك مستقبل ، وعندئذ لن يعرفوا الحاضر ولا المستقبل . وستصبح نفوس هؤلاء الآثمين نفوساً بغير فكر . وهذا هو عذاب المهرطقين . .

أدرك دانتى الخطأ الذى ارتكبه بابطائه فى الاجابة عن سؤال كاڤالكانتى عن ابنه ، وأراد أن يصحح خطأه سريعاً . وليس كل الناس يدركون أخطاءهم بسهولة . وكم من باغ أعماه الجشع أو السلطان عن الحق والصواب ! لم يكن دانتى من أولئك الناس . سأل ڤاريناتا أن يخبر كاڤالكانتى فى أسفل القبر ، أن ابنه جويدو لا يزال بين الأحياء ، وأنه أبطأ فى إجابته ، لأنه كان يفكر فى لغز الموتى ، الذى فهمه الآن . أراد دانتى بذلك أن يطمئن كاڤالكانتى على مصير ابنه ، وأن يعتذر عن إبطائه فى الكلام . ودانتى الشاعر الفنان لا يرضى بإيذاء شعور إنسان ، وناهيك بكاڤالكانتى أب جويدو ، رفيق صباه .

نادى ڤرجيليو دانتى لمتابعة المسير ، وكان منتظراً بمعزل ذلك الوقت كله . ولم يعد هناك وقت للكلام . وأوشك نداء ڤرجيليو على إنهاء هذا الموقف . ولكنه لم ينته فجأة ، بل استمر فترة أخرى قصيرة . سأل دانتى ڤاريناتا بسرعة ، وكأنه لا يريد أن يتركه ، عمن معه بداخل القبر . قال إن هناك أكثر من ألف ، ومن بينهم الامبراطور فردريك الثانى ، والكردينال أوتاڤيانو دلى أوبالدينى . أحس ڤاريناتا أن دانتى يريد أن يعرف جميع

من بداخل القبر ، ولكنه سكت عن الآخرين ، لأنه سمع نداء ڤرجيليو ، فلم يتسع الوقت للكلام . وآن للموقف أن ينتهى .

اختفى ڤاريناتا فى قبره بغير سلام أو كلام . واحترمه دانتى فلم يشأ أن يصف هبوطه التدريجى الذى لا يناسب شخصه العظيم . وكانت آخر كلماته أنه يسكت عن ذكر الآخرين . السكوت تعبير عن الألم ، لما أثاره هذا الموقف فى نفسه من ذكريات مريرة عزيزة ، ولأن دانتى المواطن الفلورنسى قد أوشك على الرحيل . وما أقسى الفراق والرحيل !

اتجه دانتى إلى ڤرجيليو ، الواقف منعزلاً ، فى انتظار ابنه وتلميذه ، وقد شاركه عواطفه عن كثب . لم يستطع دانتى أن يبعد عن ڤرجيليو أكثر مما فعل . واتجهت قدماه إليه ، وهو يفكر فى كلمات ڤاريناتا التى تنبأ له فيها بحياة المنفى . سار ڤرجيليو ، وسأل دانتى ، وهو يسير إلى جانبه ، عما يشغله . فهو لا يستطيع أن يراه مشغول الخاطر دون أن يستوضحه الأمر ويزيل عنه شواغله . أجاب دانتى وأفصح عن خوفه من حياة المنفى المرتقب . فطلب ڤرجيليو إلى دانتى أن يحفظ فى ذهنه تنبؤات المنفى التى سمعها من تشاكو وبرونتو وڤاريناتا . ثم رفع يده إلى أعلى ونبهه لكى ينصت لما يقول : قال ڤرجيليو إنه عندما يصبح أمام الضوء الحبيب ، الذى تشعه تلك التى ترى عينها الجميلة كل شىء ، سيعرف منها رحلة حياته . سترى بياتريتشى بعينها الجميلة الأشياء واضحة ، وتفسر له ما غمض عليه ، وتقوده إلى السماء . وكأنه يقول إنه على الرغم مما سمعه عن حياة المنفى التى سيتعرض لها ، فانه لا يجوز له أن يقنط ، وسيأتيه الفرج عما قريب ، وستعوضه بياتريتشى عن كل شىء . هذا شعور دينى متصوف ، بعد مشهد الهراطقة المعذبين . وهذا توازن وتعادل بين نقيضين ، ومزج وتوافق بين عالمين متباعدين .

اتجه ڤرجيليو صوب اليسار ، وابتعد الشاعران عن أسوار مدينة ديس ، إلى وسط الحلقة السادسة ، فى طريق يؤدى إلى وادٍ ، انبعثت منه روائح كريهة ، تصاعدت إلى أعلى حيث يسير الشاعران .

هذه هى القصيدة العاشرة من الجحيم ، التى صوّر دانتى فيها كافالكانتى وفارينا تا . إن كافالكانتى إنسان هادئ رقيق وديع ، وأب بار عطوف . لا تهمه السياسة ولا الحزبية ولا الوطن ، ولكن يعنيه مصير ابنه الحبيب . وهو يعبّر بحركاته وأقواله عن الأبوّة البارة الرحيمة . ولا يخفى شيئاً من نفسه . وهو واضح صريح ، متلهف على رؤية ابنه جويدو . ويمتزج فيه الرجاء والأمل ، باليأس والأسى والزفرات . وما أبزع دانتى عند مايصوّر كل هذه العواطف الجيّاشة فى سهولة ويسر ، وهو بذلك يعمل على هدم تقاليد العصور الوسطى ، ويبنى أسس العصر الحديث . ومع ذلك فان شخصية كافالكانتى الهادئ الرقيق ، شخصية ثانوية أو جانبية بازاء فارينا تا . وهى أشبه بلحن هادئ رقيق ، يسير إلى جانب فارينا تا الثائر العنيف تارة ، والشاعر بالأسى والأسف طوراً ، والهابط الساكت فى قبره ، تارة أخرى . اقترب دانتى بذلك من موسيقى بيتهوفن الخالدة .

أما فارينا تا البطل الفلورنسى ، فهو محور هذه القصيدة العاشرة من الجحيم ، وتميزه قوته الجبارة . لم تكن قوة فارينا تا — ولا قوة دانتى — قوة وحشية متغطرسة خاوية . ولم يشبه أحدهما المردة فى أساطير القدماء ، الذين حاولوا الصعود إلى السماء دون جدوى ، غافلين عن أصلهم فى الأرض ! إن قوة فارينا تا — ودانتى — قوة روحية باطنة عبقرية . وشتان بين القوة الروحية العبقرية ، وبين القوة الغاشمة الوحشية ! جعل دانتى من فارينا تا رجلا لا يكاد يحس أن له قوة يفخر بها على أحد . وهو لا يفكر فى إشباع نزواته وتحقيق رغباته بالقوة الغاشمة المتغطرسة العمياء . هو يعرف أنه يحب وطنه وحزبه بكل قلبه . وهو يضحى بالمصالح الحزبية والشخصية ، فى سبيل الوطن النبيل . ويتحوّل هجومه الحار الصادق على أعدائه فى وطنه ، إلى دفاع حار صادق عن وطنه بأعدائه وأصدقائه جميعاً ، إذا تعرضت مصلحة الوطن للخطر . القوة عند فارينا تا قوة ممتزجة بالأفكار والأهداف النبيلة التى يسعى إلى تحقيقها . إن مثل هذه القوة العظيمة قد تظهر فى شخص يبدو ضعيفاً خجولاً ، لا يكاد يفطن إلى جوهره إنسان . إنها القوة التى تجعل الجسم الضئيل يبدو كالعملاق . وإن شخصية

الإنسان ليست فى هذا الجزء أو ذاك ، ولكنها الإنسان كله ، بروحه ومادته. وهى ليست قوة وإرادة مجردة . ولكنها قوة حيَّة ، تظهر فى كل شىء : فى الأفكار والعواطف والأقوال والأفعال . وهذا ما يسميه دانتى بالكائن الحىّ الحر .

هكذا يخرج الإنسان الحديث من عالم الرمز والتجريد ، رويداً وبالتدريج. إن قارينانا مرحلة فى ظهور الإنسان الحديث . إنه يمثل بداية لعصر جديد . وأيّة بداية هائلة تلك ؟ ومن أحسها من الناس ؟ وهل أدركها أهل العصر أنفسهم ؟ وأى ميلاد عظيم لذلك العالم الملىء بالحرية ، الذى عاش فيه دانتى ، لا كمشاهد فحسب ، بل كمشترك متحمس للحوادث والأفكار والعواطف الجديدة ! هكذا ظهرت الأفكار والعواطف الأصيلة فى ذلك العصر العظيم . وهكذا خرج دانتى على تقاليد العصور الوسطى ، وضرب معولاً فى تراث الماضى ، ووضع إحدى دعامات العصر الحديث .

أثارت كل هذه الذكريات الشجن فى نفس دانتى ، فسجلها على هذا النحو بفنه الرائع . وكثيراً ما تسقط مثل هذه الذكريات من سجل التاريخ . وعند ما يكتب بعض الباحثين فى التاريخ ، يهملون تسجيل دقائق النفس الإنسانية ، وكأنه لا يعنيهم سوى المظاهر الخارجية ، وكأن عواطف الإنسان لم تكن وراء تلك الأحداث والمظاهر ! وما التاريخ بغير إحساس وفن ؟ ! إنه يصبح كلاماً فارغاً ، لا يزيد عن جمع أوراق وحشد معلومات وسرد إحصاءات . إن مثل هؤلاء الباحثين يقتلون الروح الإنسانى ويمسخون التاريخ ، وويل للتاريخ من أيديهم .

لا بد من الفن والإحساس فى التاريخ . إن ما لا يمسه الفن من الأحداث يموت فى زوايا النسيان . أما ما يمسه الفن بريشته العبقرية ، فإنه يلمع ويضىء ويخلد على مر الزمان .

فارينـــــاتا دلىّ أوبرتى
وكاڤالكانتى دى كاڤالكانتى

دانتى أليجيرى : الكوميديا الإلهية : الجحيم ١٠ : ١ — ١٣٦

١ الآن يسير أستاذى وأنا فى إثره ،
في طريق خفى [٥٢] ،
بين أسوار المدينة [٥٣] وقبور المعذبين .

٤ بدأتُ قائلاً : « أيتها الفضيلة العليا [٥٤] ،
يا من تدور بى خلال الجحيم كما يروق لك [٥٥] ،
حدّثنى ، وأشبع رغباتى [٥٦] .

٧ أيمكن رؤية أولئك الذين
أُلقوا فى القبور ؟ وها قد رُفعت
كل أغطيتها ، وليس هناك من يحرسها » .

١٠ أجابنى : « إنها سوف تغلق جميعاً ،
عند ما يعودون من وادى يوسافاط [٥٧] ،
بأجسادهم التى تركوها هناك [٥٨] .

١٣ فى هذا الجانب قبور أبيقور [٥٩]
وكل أتباعه [٦٠] ،
الذين يعتبرون أن النفس تموت مع الجسد وتفنى .

١٦ إنك ستنال ما يرضيك سريعاً [٦١]
عن سؤالك الذى ألقيته علىّ ،
وعن الرغبة التى لم تفصح عنها » [٦٢] .

١٩ قلت : « أيها القائد الحكيم ، إنى لا أحجب
قلبى عنك ، ولاشىء هناك سوى أن كلماتى قليلة .
وذلك هو ماسبق أن طلبته إلىّ غير مرة » [٦٣] .

FARINATA DEGLI UBERTI
E CAVALCANTE DEI CAVALCANTI

Dante Alighieri: La Divina Commedia. Inferno, X. 1-136.

1. Ora sen va per un secreto calle,
 tra 'l muro de la terra e li martìri,
 lo mio maestro, e io dopo le spalle.

4. "O virtù somma, che per li empî giri
 mi volvi" cominciai, "com' a te piace,
 parlami e sodisfammi a' miei disiri.

7. La gente che per li sepolcri giace
 potrebbesi veder? già son levati
 tutt' i coperchi, e nessun guardia face".

10. Ed elli a me: "Tutti saran serrati
 quando di Iosafàt qui torneranno
 coi corpi che là su hanno lasciati.

13. Suo cimitero da questa parte hanno
 con Epicuro tutt' i suoi seguaci,
 che l' anima col corpo morta fanno.

16. Però a la dimanda che mi faci
 quinc' entro satisfatto sarà tosto,
 e al disio ancor che tu mi taci".

19. E io: "Buon duca, non tegno riposto
 a te mio cuor se non per dicer poco,
 e tu m' hai non pur mo a ciò disposto".

٢٢ « أيها التسكانى [٦٤] ، يا من تسير حياً
في مدينة النيران ، متكلما بكل إخلاص [٦٥] ،
هلاّ وقفت قليلاً في هذا المكان [٦٦] !

٢٥ إن كلماتك [٦٧] تدل على أنك
ولدت في ذلك الوطن النبيل [٦٨] ،
الذي ربما كنتُ شديد القسوة عليه » [٦٩] .

٢٨ خرج هذا الصوت فجأةً
من أحد القبور . وعندئذ اعترانى
الخوف ، فاقتربت قليلاً من قائدى [٧٠] .

٣١ فقال لى : « استدر : ماذا تفعل ؟
أنظر هاك فاريناتا وقد انتصبت قامته :
إنك ستراه كله من وسطه حتى رأسه » [٧١] .

٣٤ وكنت قد حملقتُ في وجهه [٧٢] ،
عندما وقف منتصب الصدر مرفوع الرأس ،
كمن يشعر نحو الجحيم باحتقار شديد .

٣٧ عندئذٍ دفعتنى إليه بين القبور [٧٣] ،
يدا قائدى الجريئتان السريعتان [٧٤] ،
وهو يقول : « لتكن كلماتك متزنة » [٧٥] .

٤٠ وعندما وقفتُ في أسفل قبره ،
حدجنى بعينيه قليلاً ، ثم سألنى
بلهجة تنم عن الاحتقار [٧٦] : من هم أجدادك ؟ » [٧٧] .

٤٣ وأنا الحريص على طاعته : لم أُخفِ
عنه من كان أجدادى ، بل عن كل شىء أفصحت [٧٨] .
عندئذٍ رفع حاجبيه قليلاً [٧٩] ،

22. " O Tòsco che per la città del foco
vivo ten vai così parlando onesto.
piacciati di restare in questo loco.

25. La tua loquela ti fa manifesto
di quella nobil patria natio.
a la qual forse fui troppo molesto".

28. Subitamente questo suono uscìo
d' una de l' arche ; però m' accostai,
temendo, un poco più al duca mio.

31. Ed el mi disse : " Volgiti : che fai ?
vedi là Farinata che s' è dritto :
da la cintola in su tutto 'l vedrai".

34. I' avea già il mio viso nel suo fitto ;
ed el s' ergea col petto e con la fronte
com' avesse l' inferno in gran dispitto.

37. E l' animose man del duca e pronte
mi pinser tra le sepulture a lui,
dicendo : " Le parole tue sien conte".

40. Com' io al piè de la sua tomba fui,
guardommi un poco, e poi, quasi sdegnoso,
mi dimandò : " Chi fuor li maggior tui ?"

43. Io ch' era d' ubidir disideroso,
non gliel celai, ma tutto gliel' apersi ;
ond' ei levò le ciglia un poco in soso ;

٤٦ ثم قال : « إنهم كانوا أعداءً ألداءً
لى ولأجدادى ولحزبى ،
ومع ذلك فقد هزمتهم مرتين »[٨٠] .

٤٩ أجبته قائلاً [٨١] : « إن قومى ولو أنهم طردوا ،
فانهم عادوا من كل صوب [٨٢] فى كل مرة [٨٣] .
ولكن رجالك لم يتعلموا جيداً فن الرجوع إلى الوطن »[٨٤] .

٥٢ ومن القبر المفتوح خرج إلى
جانبه شبح[٨٥] ، لم يظهر منه سوى رأسه ،
وأعتقد أنه على ركبتيه وقف .

٥٥ نظر حوالىّ ، وكله رغبة
فى أن يرى هل هناك مَن يصحبنى من البشر[٨٦] .
ولكن عندما زال الشك كله ،

٥٨ قال وهو يبكى [٨٧] : « إذا كنت تزور هذا الجحيم
المظلم بفضل عبقريتك ،
فأين ابنى [٨٨] ؟ ولماذا لم يأت معك ؟ » [٨٩] .

٦١ أجبته قائلاً : « أنا لم آت من تلقاء نفسى هنا .
إن من ينتظر هناك[٩٠] ، جاء بى هنا ،
والذى ربما كان ابنك جويدو يحتقره »[٩١] .

٦٤ إن كلماته وطريقة عذابه
جعلتنى أعرف اسمه [٩٢] ،
ولذلك كانت إجابتى وافية [٩٣] .

٦٧ فنهض على قدميه وهو يصرخ [٩٤]
صائحاً « كيف تقول كان يحتقره[٩٥] ؟ ألا يعيش بعد ؟
ألا تكتحل عيناه بنور الشمس الحبيب ؟ » .

46. poi disse: "Fieramente furo avversi
a me e a miei primi e a mia parte,
sì che per due fiate li dispersi".

49. "S' ei fur cacciati, ei tornar d' ogni parte"
rispuosi lui "l' una e l' altra fiata;
ma i vostri non appreser ben quell' arte".

52. Allor surse a la vista scoperchiata
un' ombra lungo questa infino al mento:
credo che s' era in ginocchie levata.

55. Dintorno mi guardò, come talento
avesse di veder s' altri era meco;
e poi che il sospecciar fu tutto spento,

58. piangendo disse: "Se per questo cieco
carcere vai per altezza d' ingegno,
mio figlio ov' è? perchè non è ei teco?"

61. E io a lui: "Da me stesso non vegno:
colui ch' attende là, per qui mi mena
forse cui Guido vostro ebbe a disdegno".

64. Le sue parole e 'l modo de la pena
m' avean di costui già letto il nome;
però fu la risposta così piena.

67. Di subito drizzato gridò: "Come
dicesti? elli ebbe? non viv' elli ancora?
non fiere li occhi suoi il dolce lome?"

٧٠ وعندما أدرك بعض إبطائى
في إجابة سُؤْله ،
هبط فى القبر سريعاً ، ولم يظهر أبداً [٩٦] .

٧٣ ولكن ذلك الروح العظيم الذى
أوقفنى هنا ، لم يغيّر وقفته
ولم يحرّك رأسه ولم يثن جنبه [٩٧] .

٧٦ واستأنف كلامه قائلاً [٩٨] :
« إذا كان قومى لم يتعلموا فن الرجوع إلى الوطن [٩٩]
فان ذلك يؤلمنى أكثر من هذا الجحيم [١٠٠] .

٧٩ ولكن لن يضىء خمسين مرة
وجه المرأة التى تحكم هنا [١٠١] ،
حتى تعرف كم هو ثقيل ذلك الفن [١٠٢] .

٨٢ يا من تعيش فى ذلك العالم الحبيب [١٠٣] ،
أخبرنى : لم كان ذلك الشعب [١٠٤] شديد القسوة
على عشيرتى فى كل قوانينه ؟ » [١٠٥] .

٨٥ وعندئذٍ أجبته : « الدمار والدماء
التى خضبت مياه أرْبيا [١٠٦] ،
جعلت تلك الصلوات تتجاوب فى معبدنا » [١٠٧] .

٨٨ فتنهّد وهزّ رأسه قائلاً [١٠٨] :
« لم أكن في ذلك وحدى ،
ولم يكن بغير سبب مع الآخرين نهوضى [١٠٩] .

٩١ ولكنى كنت الوحيد ،
الذى دافع عن فلورنسا بكل تصميم ،
عند ما أراد هدمها الجميع » [١١٠] .

70. Quando s' accorse d' alcuna dimora
ch' io facea dinanzi a la risposta,
supin ricadde e più non parve fòra.

73. Ma quell' altro magnanimo a cui posta
restato m' era, non mutò aspetto,
nè mosse collo, nè piegò sua costa;

76. e sè continuando al primo detto.
"S' egli han quell' arte" disse "male appresa,
ciò mi tormenta più che questo letto.

79. Ma non cinquanta volte fia raccesa
la faccia de la donna che qui regge,
che tu saprai quanto quell' arte pesa.

82. E se tu mai nel dolce mondo regge,
dimmi: perchè quel popolo è sì empio
incontr' a' miei in ciascuna sua legge?"

85. Ond' io a lui; "Lo strazio e 'l grande scempio
che fece l'Arbia colorata in rosso,
tali orazion fa far nel nostro tempio".

88. Poi ch' ebbe sospirato e 'l capo scosso,
"A ciò non fu' io sol" disse, "nè certo
sanza cagion con li altri sarei mosso.

91. Ma fu' io solo, là dove sofferto
fu per ciascun di tòrre via Fiorenza,
colui che la difesi a viso aperto".

٩٤ فرجوته قائلاً : « آه، انعش سلالتك
إذاً فى سلام [١١١]، ولكن هلاّ فسرت لى تلك العقدة :
التى لا أجد لهـا حلاً .

٩٧ يبدو لى ، إذا كنت أحسنتُ الفهم ،
أنكم تتنبأون بمـا يحمله المستقبل فى طياته ؛
أما الحاضر فانكم لاتبصرونه » [١١٢] .

١٠٠ قال : « نحن كمديدى البصر [١١٣] ،
نرى الأشياء البعيدة ،
بمـا لا يزال يضيئه لنـا القائد الأعظم [١١٤] .

١٠٣ ولكن عندما تقترب أو تصبح معنا ،
تزول من مخيلتنا ؛ وإذا لم يحمل أحد إلينا
أخباركم ، فانا لانعرف شيئاً عن مصيركم [١١٥].

١٠٦ وهكذا يمكنك أن تدرك أن معرفتنا
ستنتهى تمـاماً ، عندما
يوصد أمامنا باب المستقبل » [١١٦].

١٠٩ وعندما تبينت خطأى [١١٧]،
قلت : « أرجو إذاً أن تخبر ذلك الهابط
فى قبره ، أن ابنه لا يزال فى عداد الأحياء .

١١٢ وإذا كنت قد سكتُ عن جوابه لحظة ،
فعرّفه أن ذلك حدث لأنى كنت أفكر
فى الخطأ الذى حررتنى من قيده » [١١٨]

١١٥ . وبينما كان أستاذى ينادينى :
سألت مسرعاً ذلك الروح ،
أن يخبرنى عن رفاقه فى قبره [١١٩] .

94. “Deh, se riposi mai vostra semenza”
prega' io lui, “solvetemi quel nodo
che qui ha inviluppata mia sentenza.

97. El par che voi veggiate, se ben odo,
dinanzi quel che 'l tempo seco adduce,
e nel presente tenete altro modo”.

100. “Noi veggiam, come quei c' ha mala luce,
le cose” disse “che ne son lontano;
cotanto ancor ne splende il sommo duce.

103. Quando s' appressano, o son, tutto è vano
nostro intelletto; e s' altri non ci apporta,
nulla sapem di vostro stato umano.

106. Però comprender puoi che tutta morta
fia nostra conoscenza da quel punto
che del futuro fia chiusa la porta”.

109. Allor, come di mia colpa compunto,
dissi: “Or direte dunque a quel caduto
che 'l suo nato è co' vivi ancor congiunto;

112. e s' i' fui, dianzi, a la risposta muto,
fate i saper che 'l feci che pensava
già nell' error che m' avete soluto”.

115. E già il maestro mio mi richiamava;
per ch' i' pregai lo spirito più avaccio
che mi dicesse chi con lu' istava.

١١٨ فقال لى : « إنى هنا مع أكثر من ألف :
هناك فى الداخل فردريك الثانى ،[١٢٠]
والكردينال[١٢١]. أما عن الآخرين فانى أسكت»[١٢٢].

١٢١ وعندئذ اختفى[١٢٣] : واتجهتْ خطواتى
إلى الشاعر القديم ، مفكراً
فى ذلك الكلام الذى بدا لى معادياً[١٢٤] .

١٢٤ تحرك إلى الأمام ، ثم قال لى
وهو يسير : « لماذا أنت مضطرب هكذا ؟ » .
فأجبته وأرضيت سُؤْله[١٢٥] .

١٢٧ فأمرنى ذلك الحكيم قائلاً :
« لتحفظ ما سمعته ضد شخصك »[١٢٦].
ثم رفع أصبعه[١٢٧] وهو يقول : « انتبه لما أنطق به .

١٣٠ عندما تصبح أمام الضوء الحبيب ؛
لتالك[١٢٨] التى ترى عينها الجميلة كل شىء[١٢٩] ،
ستعرف منها قصة حياتك »[١٣٠] .

١٣٣ بعدئذٍ تحركت قدماه إلى اليسار :
وابتعدنا عن السور واتجهنا إلى الوسط
فى ممر يؤدى إلى وادٍ ،

١٣٦ تصاعدت رائحته الكريهة إلينا[١٣١].

118. Dissemi: "Qui con più di mille giaccio:
qua dentro è 'l secondo Federico,
e 'l Cardinale; e de li altri mi taccio".

121. Indi s' ascose; ed io inver l' antico
poeta volsi i passi, ripensando
a quel parlar che mi parea nemico.

124. Elli si mosse; e poi, così andando,
mi disse: "Perchè se' tu sì smarrito?"
E io li sodisfeci al suo dimando.

127. "La mente tua conservi quel che udito
hai contra te" mi comandò quel saggio.
"E ora attendi qui" e drizzò 'l dito:

130. "quando sarai dinanzi al dolce raggio
di quella il cui bell' occhio tutto vede,
da lei saprai di tua vita il viaggio".

133. Appresso volse a man sinistra il piede:
lasciammo il muro e gimmo inver lo mezzo
per un sentier ch' a una valle fiede,

136. che 'nfin là su facea spiacer suo lezzo.

الحواشي

(١) فاريناتا دلي آوبرتي يكتب بالايطالية هكذا : Farinata degli Uberti . وكتابة لفظ « دلي » على هذا النحو هي أقرب ما تكون إلى النطق الايطالي ، وإن كانت لا تساويه تماماً . وترجع أسرة أوبرتي إلى العنصر الجرماني . وكان لهم نصيب الأسد في الحكم في فلورنسا منذ القرن ١٢م ، وقاموا بكفاح عنيف ضد ثورة الشعب الفلورنسي على سلطانهم . وولد فاريناتا في فلورنسا في أوائل القرن ١٣م ونشأ في أثناء انشقاق فلورنسا إلى حزبي الجلف والجبلين في ١٢١٥ . وأصبح زعيم الجبلين ، ونجح في طرد الجلف من فلورنسا في ١٢٤٨ . ولكن الجلف استعادوا مراكزهم وطردوا الجبلين في ١٢٥٨ ، فلجأوا إلى سينيا ، ونظم الجبلين قواتهم ، وهاجموا قوات الجلف الفلورنسية بمساعدة قوات مانفريد ، وانتصروا في مونتأبرتي في ١٢٦٠ . وأراد الجبلين المنتصرون أن يهدموا فلورنسا ، ولكن فاريناتا حال دون ذلك . وعاد إلى فلورنسا حيث مات في ١٢٦٤ قبل ميلاد دانتي بسنة واحدة . وكان من اتباع أبيقور .

(٢) كاڤالكانتي دي كاڤالكانتي Cavalcante dei Cavalcanti هو أب جويدو كاڤالكانتي صديق دانتي . كان مثل فاريناتا من اتباع أبيقور ، ولكنه خالفه في السياسة فكان من حزب الجلف ، وأصبح عمدة جوبيو في ١٢٥٧ . وبعد موقعة مونتأبرتي نكل الجبلين المنتصرون بحزب الجلف ، ومن بينهم كاڤالكانتي .

(٣) يمثل الجلف الشعب والطبقة الوسطى . ومنهم أنصار الحرية الذين يدافعون عن حقوق الشعب ضد طغيان النبلاء . وكانوا أقوياء بالتجارة والثروة . ولم تمنع المصلحة أية مدينة أو ولاية جمهورية من أن تنضم إلى الجبلين إذا كانت جارتها جلفية ، ووجد بينهما من المصالح المتعارضة ما يؤدي إلى هذا التحول . والجلف أنصار البابا .

(٤) يعتبر الجبلين أنفسهم حماة القانون ودعاة السلطة ، ويتميزون بالنبالة والامارة . ولا يحفلون بحقوق الشعب ، وإن كانوا لا يهملون مصلحته . وهم أنصار الامبراطور . وقد جرى نزاع عنيف بين أنصار هذين الحزبين في وقت الكفاح بين البابوية والامبراطورية .

(٥) تيجيايو ألدوبراندي دلي أديماري Tegghiaio Aldobrandi degli Adimari جندي وفارس شجاع ، أصبح عمدة أريتزو بعد منتصف القرن ١٣م . نصح لحكومة فلورنسا بعدم الخروج لقتال سينيا ، ولكن فلورنسا لم تستمع لرأيه ، فهزمت في موقعة مونتأبرتي .

Inf. XVI. 40-41.

(٦) ياكوبو روستيكوتشي Jacopo Rusticucci فارس فلورنسى شجاع ، هدم الجبلين منزله بعد موقعة مونتأبرتى ، ويحادثه دانتى فى القصيدة ١٦ من الجحيم .
Inf. xvi. 28-89.

(٧) موسكا دى لامبرتى Mosca dei Lamberti مواطن فلورنسى شغل منصب العمدة فى مدينة ريدجو فى النصف الأول من القرن ١٣ م . أشار على أسرة أميدى بالانتقام من أسرة بوندلمونتى بسبب مسألة زواج ، وبذلك نشأ الانقسام بين الجلف والجبلين فى فلورنسا واشتد الصراع بينهما . وضعه دانتى فى القصيدة ٢٨ من الجحيم .
Inf. xxviii. 106.

(٨) يسأل دانتى عن هؤلاء الأبطال فى القصيدة ٦ من الجحيم حيث يقول :

Farinata e il Tegghiaio, che fuor sì degni,
  Jacopo Rusticucci, Arrigo e 'l Mosca
  e li altri ch'a ben far puoser li'ngegni,
dimmi ove sono e fa ch'io li conosca ;
Inf. vi. 79-82.

(٩) V. Nuova, xxviii. 2.

(١٠) Inf. ii. 7. x. 58-59.

(١١) Par. xvii. 130-132.

(١٢) Par. xvii. 24.

(١٣) Inf. xv. 92.

(١٤) Par. xxiii. 62. xxv. 1.

(١٥) Par. xxv. 5.

(١٦) Inf. x. 26.

(١٧) Inf. xxiii. 95.

(١٨) De Vol. El. I. vi. 3.

(١٩) Purg. xiv. 64.

(٢٠) Inf. vi. 74-75. xv. 68.

(٢١) Inf. xv. 61.

(٢٢) Inf. xviii. 58-63.

(٢٣) Purg. xiv. 53-54

(٢٤) Inf. xxxiii. 151-153.

(٢٥) Purg. vi. 76-86.

(٢٦) برونتو لاتينى Brunetto Latini مواطن فلورنسى عاش خلال القرن ١٣ م . وكان من حزب الجلف ، وتأثر دانتى بثقافته . ونفى بعد موقعة مونتأبرتى ثم عاد إلى فلورنسا بعد موقعة بنفنتو . ويناديه دانتى بلفظ البنوة .
Inf. xv. 31.

(٢٧) كاتشاجويدا Cacciaguida degli Eliseii عاصر القرنين ١١ ، ١٢ م ، وهو من أسلاف

دانتى . واشترك فى الحرب الصليبية الثانية ، حيث مات . وهو ينادى دانتى بلفظ البنوة.
Par. xv. 52.

(٢٨) Par. xxvi. 115.
(٢٩) Par. xxvii. 64.
(٣٠) Inf. vii. 115. Purg. xxvii. 35.
(٣١) Inf. vii. 61. Purg. viii. 88.
(٣٢) Purg. iii. 36.
(٣٣) Purg. xiii. 34.
(٣٤) Inf. viii. 110.
(٣٥) Purg. xviii. 13.
(٣٦) Purg. xxiii. 4.
(٣٧) Inf. viii. 44.
(٣٨) Inf. xxiii. 37-40.
(٣٩) Inf. vi. 34-99.
(٤٠) Inf. viii. 31-63.
(٤١) Inf. xv. 22-99.
(٤٢) Inf. xxxiii. 1-90.
(٤٣) Inf. viii. 1-3.
(٤٤) Inf. ix. 88-90.

(٤٥) ميكلانجلو بوناروتى Michelangelo Buonarroti (١٤٧٥ — ١٥٦٤)
من أعظم رجال الفن فى العالم . مزج فى فنه بين الفن القديم وروح المسيحية وروح العصر . وكل الأفكار والآلام والمحن التى انصبت عليه وعلى وطنه جملته فى حالة عصبية عنيفة ، وأعطت آثاره طابعاً من العنف والقوة والجمال الرائع . وتظهر طريقته القوية العنيفة فى تمثال موسى فى روما أو تمثال داود المارد الشاهق فى فلورنسا ، وكذلك فى صوره ، مثل الحكم الأخير فى قبة سستو بالفاتيكان التى يسودها الغضب والعنف والثورة والرعب .

(٤٦) لودفيج فان بيتهوفن Ludwig Van Beethoven (١٧٧٠—١٨٢٧) .
عاش فى النمسا وهو من أعظم رجال الموسيقى فى العالم . عاش حياة ملؤها الألم والحرمان وتغلب على الأسى والشجن بالصبر على الأسى والشجن . وعمل على أن يغزو العالم بموسيقاه التى عبرت عن الطبيعة وعن الانسان بما فى نفسه من العنف والسخط والثورة . ووصل بموسيقاه إلى مستوى شاهق فى الفن والفلسفة . وهناك تقارب بين العمالقة الثلاثة دانتى وميكلانجلو وبيتهوفن الذين تحدوا العالم ، وسادهم العنف والثورة ، وحلقوا فى آفاق لم يصل إليها أحد.

(٤٧) أمبروجيوتو دى بوندونى Ambrogiotto de Bondone (١٢٦٦—١٣٣٧)
الذى عرف باسم جوتو . هو زعيم الفن فى عصره وتتلمذ على تشيمابوى أب الفن الحديث . كان من أصدقاء دانتى بدأت آثاره تعبر عن نفس الانسان ، وإن لم يصل إلى ما وصل إليه

خلفاؤه . ولمدرسته آثار فى الحفر البارز اتخذت موضوعات دينية اتجهت الى التعبير عن المعانى الانسانية ، كما يشاهد فى أبواب المعمدان بفلورنسا .

(٤٨) Inf. III. 76... IX. 86-87.

(٤٩) Inf. V. 96.

(٥٠) انتصر الجلبين فى الحرب مرتين ، فى ١٢٤٨ و ١٢٦٠

(٥١) تمثال موسى فى كنيسة سان بيترو دى ڤنكولى فى روما من أروع آثار ميكلانجلو. ينظر موسى وهو جالس وفى عينيه ولفتة رأسه غضب شديد لما ارتكبه شعبه من الخطايا. وفى يده اليمنى حركة عصبية ، وقد أسند ذراعه فوق وصايا الله ، وأمسك بأصابعه خصلة من لحيته المرسلة . وتدل حركة ساقه اليسرى مع رأسه الغاضب على أنه أوشك أن ينهض . عبر ذلك كله عن الأسى والشجن الذى عاناه ميكلانجلو ، وعن توافه المجتمع التى حاولت أن تتطاول إلى عبقريته الهائلة . إن موسى الغاضب يشبه فاريناتا الغاضب الثائر على الجحيم وعلى أعدائه فى فلورنسا .

(٥٢) يسير دانتى وراء ڤرجيليو لأن الطريق خفى ضيق ويشبه ذلك قول ڤرجيليو فى الانيادة :

"convectant calle angusto" Virg. Æn. IV. 405.

(٥٣) يقول بالايطالية terra أى أرض ، ويقصد مدينة ديس أو مدينة الشيطان .

(٥٤) يقصد ڤرجيليو .

(٥٥) يرى بعض الشراح أن دانتى أراد أن يحدثه ڤرجيليو ، إذا كان راضياً بذلك . ولا يريده أن يفعل ما لا يحب .

(٥٦) لا تقف رغبة دانتى فى المعرفة عند حد . وقد غيرت وضع هذه الأبيات مراعاة الأسلوب العربى .

(٥٧) وادى قريب من أورشليم حيث يجرى الحكم الأخير ، يوم القيامة عند المسيحيين.

(٥٨) يقصد الأرض الملتهبة المشتعلة بالنيران .

(٥٩) أبيقور فيلسوف يونانى (٣٤٢ — ٢٧٠ ق . م) مؤسس المذهب الأبيقورى الذى يعتبر أن النفس تموت مع الجسد ، وبذلك يدعو إلى التمتع واللذة قبل فوات الوقت ، ومع أن أبيقور عاش قبل المسيح إلا أن مذهبه امتد فى العصور الوسطى وقد عارض أنصاره الفكرة المسيحية .

(٦٠) نسبت هذه العقيدة إلى الجبليين أعداء البابا والجلف . وقد بولغ فيها على سبيل السياسة . ووجد من الجلف من أخذ بهذا المذهب .

(٦١) يطمئنه ڤرجيليو بأنه سيعرف كل شىء سريعاً .

(٦٢) أى أن دانتى لم يفصح بعد عن رغبته فى رؤية فاريناتا . ولكن ڤرجيليو يعرف مايدور فى نفسه . وكان دانتى قد استفسر عن مواطنى فلورنسا من قبل .

Inf. VI. 79.

(٦٣) يشير دانتى إلى أن ڤرجيليو سبق أن عبر له عن ضرورة الايجاز والسكوت .

Inf. III. 76-81. IX 86-87.

(٦٤) سمع دانتى ذلك الصوت ينبعث فجأة من القبر أمامه ، وكان ذلك صوت فاريناتا .

(٦٥) أحس فاريناتا أن دانتى يتكلم باخلاص ، وهذا شىء غريب على الجحيم .

(٦٦) سمع فاريناتا مواطنا فلورنسياً يتكلم باخلاص ، فدعاه فى رفق ولين لأن يقف قليلا فى ذلك المكان .

(٦٧) دلت ألفاظ دانتى وطريقة نطقها على أنه مواطن فلورنسى .

(٦٨) يقصد فلورنسا . وهذا دليل على حب فاريناتا ودانتى لوطنهما .

(٦٩) هذا اعتراف بالتقصير والاساءة إلى الوطن ، وإعلان للأسف على ما فعل .

(٧٠) سمع دانتى صوت فاريناتا ، ولكنه لم يره أولا ، فاضطرب وفزع ، واقترب من ڤرجيليو يطلب الأمان .

(٧١) يدل ظهور فاريناتا المفاجىء على أنه شخص عظيم ، ونحس بعظمته قبل رؤيته .

(٧٢) أى تركزت عيناه عليه ، وعبرت عيناه عما فى نفسه من الدهشة والاعجاب .

(٧٣) تدخل ڤرجيليو ودفعه بيديه بين القبور لكى يسمع كلام فاريناتا .

(٧٤) مهد دانتى فى مجال الشعر ، لفنانى العصر من رجال التصوير والنحت ، سبيل الكشف بالتدريج عن قيمة أعضاء الانسان ، وما تبديه من المعانى . واليد من الأعضاء المعبرة ، وهى تساعد العين والوجه فى التعبير عن نفس الانسان .

(٧٥) هناك خلاف حول تفسير كلمة conte بمعنى صريحة ، واضحة ، قصيرة ، موجزة ، معدودة ، متزنة ، مناسبة .

(٧٦) عبر فاريناتا بعينيه وكلامه عن معنى الاحتقار .

(٧٧) أول كلمة نادى فاريناتا بها دانتى هى : أيها التسكانى . وثانى كلمة يبدأ بها حديثه التالى هى من أم أجدادك . أى أن كل فكره كان يدور حول الوطن النبيل ورجاله ، وأراد أن يعرف أجداده لكى يعرف من هو . وسادت فكرة الأصل والنسب عند النبلاء فى أوربا وعند شعوب الشرق . وذلك على عكس الفكرة الحديثة التى تعنى بقيمة الشخص ذاته ، بغض النظر عن أصله . وإن لم يمنع ذلك تسرب الملكات والصفات عن طريق الوراثة .

(٧٨) أى حدثه عن أجداده وأسرته من حزب الجلف ، الأعداء الألداء لآل أوبرتى الجبليين .

(٧٩) عندما أدرك فاريناتا أنه من الأعداء قطب جبينه ورفع حاجبيه .

(٨٠) كانوا أعداء ألداء ، حتى أنه بذل كل وسعه فى هزيمتهم فى ١٢٤٨و١٢٦٠

(٨١) أجاب دانتى بكلمات جافة مماثلة .

(٨٢) أى من كل أنحاء تسكانا التى لجأ اليها الجلف المنفيون .

(٨٣) عقب الهزيمة الأولى عاد الجلف إلى فلورنسا فى ١٢٥٨ عند ما استدعاهم الشعب الذى ثار على حكم الجبليين ، ثم عادوا عقب الهزيمة الثانية بعد هزيمة الجبليين فى بنفنتو .

(٨٤) لم يعرف آل أوبرتى فن الرجوع إلى الوطن . وقد استثنت حوالى ٦٠ أسرة عند العفو العام على الجبليين ومن بينها آل أوبرتى .

(٨٥) هذا شبح كافالكانتى دى كافالكانتى الذى استفسر عنه دانتى وعن غيره من أبطال فلورنسا فى القصيدة السادسة من الجحيم .

(٨٦) نظر الأب حوله فى قلق ، لكى يرى ابنه .

(٨٧) عند ما لم يجده زال شكه فى رؤيته . فتكلم وهو يبكى . وفرنتشسكا تبكى وتتكلم فى الجحيم . وأوجولينو يتكلم ويبكى فى المطهر .

Inf. v. 126.
Purg. xiv. 125.

(٨٨) يقصد ابنه جويدو كافالكانتى . ولد حوالى ١٢٥١ وتزوج بياتريتشى ابنة فاريناتا ، وكان زواجاً سياسياً للتقريب بين الجلف والجبليين . اشترك فى الكومون الفلورنسى ، وأصبح من حزب البيض عند ما انقسم الجلف إلى البيض والسود . وكان من أصدقاء دانتى ، وامتاز بالثقافة والاطلاع . وله شعر رقيق بالايطالية . اشترك دانتى فى قرار نفيه من فلورنسا إلى سارتزانا فى ١٣٠٠ لتخفيف حدة النزاع بين البيض والسود . ومرض بالحمى فى المنفى . وعاد إلى فلورنسا حيث مات بعد قليل .

(٨٩) أى أنه إذا كان دانتى يزور الجحيم بفضل عبقريته ، فلماذا لم يأت معه ابنه جويدو وهو عبقرى مثله .

(٩٠) أى ڤرجيليو .

(٩١) هناك خلاف فى تفسير التنافر بين جويدو وڤرجيليو . ربما لم يقدر جويدو ڤرجيليو لأنه أحب الفلسفة ولم يحفل بالشعر القديم ، أو لأن ڤرجيليو يمثل الامبراطور على حين كان هو من حزب الجلف .

(٩٢) دل كلامه وطريقة عذاب الأبيقوريين على شخصيته .

(٩٣) ظن دانتى أن إجابته كانت وافية .

(٩٤) نهض على قدميه وهو يصرخ من فرط الألم عند ما اعتقد أن ابنه قد مات .

(٩٥) عند ما قال دانتى أن جويدو ربما «كان يحتقر» ڤرجيليو ، بصيغة الماضى ، اعتقد أن ابنه قد مات . فأرسل تلك الأسئلة المتلاحقة فى حزن وألم .

(٩٦) هبط فى القبر بغير كلام ، ولم يعد للظهور من فرط الألم .

(٩٧) ظل فاريناتا طول الوقت ساكتاً بغير حركة ، مشغولا بفن الرجوع إلى الوطن.

(٩٨) عاد فاريناتا مسرعاً إلى الحديث السابق .

(٩٩) أى أن الجبليين لم يتعلموا فن الرجوع إلى الوطن .

(١٠٠) جحيمه الحقيق مشاغل الوطن لا عذاب الآخرة . وهذه ثورة فاريناتا على الجحيم وهناك ثائر آخر على الله فى الجحيم وهو كاپانيو .

Inf. XIV. 43-75.

(١٠١) المرأة التى تحكم الجحيم هى Prosperina زوجة Plutone . والمقصود بذلك القمر . أى أنه لن يظهر البدر ٥٠ مرة أى مدة ٤ سنوات وشهرين، من أبريل ١٣٠٠ زمن هذه المقابلة فى الجحيم ، إلى يونيو ١٣٠٤ عند ما حاول دانتى الرجوع إلى وطنه بالقوة مع حزب البيض ولكنه أخفق .

(١٠٢) تنبأ فاريناتا بنفى دانتى وقال إنه سيبلو ما بلاه هو .

(١٠٣) يلقب وطنه بالعالم الحبيب .

(١٠٤) يقصد شعب فلورنسا ، ولكنه لا يذكرهم بالاسم لأنهم أعداءه .

(١٠٥) اتخذ الجلف اجراءات شديدة ضد آل أوبرتى خاصة .

(١٠٦) امتلأت مياه أربيا بالدماء فى موقعة مونتاپرتى . ووصف بعض المعاصرين أنهار الدم التى سالت فى المعركة .

(١٠٧) أى جعلت شعور أهل فلورنسا عدائياً نحو آل أوبرتى ، فكانت صلواتهم فى الكنائس ضدهم ، وبذلك صدرت قوانين فلورنسا فى غير مصلحتهم .

(١٠٨) عند ما تذكر فاريناتا ضحايا الوطن فى الحرب تحول إلى الأنين وهز رأسه ألماً وأسى .

(١٠٩) أى أنه اشترك فى الحرب مع الجبليين ضد الجلف .

(١١٠) أى أن فاريناتا دافع عن فلورنسا عند ما أراد الجبليين هدمها .

(١١١) يدعو له ولسلالته بالسلام جزاء وطنيته ، ويرجوه أن يوضح ما غمض عليه . وبذلك تحول العنف إلى رقة ولين .

(١١٢) أى أن كافالكانتى تنبأ بحوادث المستقبل ولم يعرف أن ابنه لم يمت بعد .

(١١٣) تأثر دانتى فى ذلك بمذهب توماس أكويناس الذى يعتبر أن النفس تعرف الماضى وتفهم المستقبل ولكنها تجهل المحسوس . وتأثر دانتى فى ذلك أيضاً بذكريات اللاتين ومعتقدات العامة التى احتوت نفس الفكرة . ولذلك أعطى دانتى لهؤلاء المذنبين القدرة على رؤية المستقبل دون الحاضر .

(١١٤) يقصد الله .

(١١٥) أى لا بد من أن يحمل أخباركم إلينا أحد الأحياء .

(١١٦) سينتهى المستقبل يوم القيامة ، ويحل مكانه الخلود . ولذلك ستفقد هذه النفوس القدرة على رؤية المستقبل التى تتمتع بها الآن .

(١١٧) أى عندما لم يجب دانتى فوراً عن سؤال كافالكانتى عن ابنه .

(١١٨) يعبر دانتى عن أسفه للألم الذى سببه لكافالكانتى ، عند ما جهل لغز الموتى .

(١١٩) سأل دانتى فاريناتا مسرعاً لأنه لم يعد وقت للكلام .

(١٢٠) الأمبراطور فردريك الثانى (١١٩٤ — ١٢٥٠م) يعتبر أول رجل فى العصر الحديث . عاش فى جنوبى إيطاليا وعرف بالثقافة واحترام الأديان وحبه للشرق . وتعتبر سياسته مع الملك الكامل نقطة تحول فى العلاقة بين الشرق والغرب ، وفى الانتقال من العصور الوسطى إلى العصر الحديث . قال عنه دانتى فى موضع آخر من الجحيم إنه رجل جدير بكل تشريف . Inf. xii. 75 ، وإنه أمير وإنسان وله عواطف نبيلة D. Vol. Eloq. I. xii. 4. ويسميه بالمنطق العالم . Conv. iv. x. 3 .

(١٢١) هو الكردينال أوتاڤيانو دلى أوبالدينى Ottaviano degli Ubaldini . عاش فى القرن ١٣م . وهو من أسرة جبلينية ، سيطرت طويلا على الموجلو ورومانيا التسكانية وأصبح أسقف بولونيا فكاردينالا .

(١٢٢) يسكت فاريناتا عن الآخرين ، فليس هناك متسع من الوقت للكلام .

(١٢٣) عبر دانتى عن اختفاء فاريناتا بكلمة واحدة ، ولم يشأ أن يصف هبوطه التدريجى حتى لا يمس شخصه العظيم .

(١٢٤) أى كلام فاريناتا عن المنفى .

(١٢٥) كان دانتى مشغولا بما سمعه عن المنفى .

(١٢٦) أى التنبؤ بالمنفى الذى سمعه من برونتولاتينى Inf. xv. 64. ، ومن تشاكو Inf. vi. 64-75. ، ثم من فاريناتا .

(١٢٧) رفع ڤرجيليو أصبعه للدلالة على أمر هام سينطق به .

(١٢٨) أى بياتريتشى التى ستقود دانتى فى الفردوس . وستجعله يسأل كاتشاجويدا عن مستقبل حياته .

Par. xvii. 7-30.

(١٢٩) ترى العين الجميلة الحساسة كل شىء وتقرأ مالا يقرأه الأميون من الناس .

(١٣٠) أى أن دانتى بفضل بياتريتشى سيهدأ ويستقر ويعرف كل شىء .

(١٣١) هى الروائح الكريهة التى انبعثت من الحلقة السابعة الى الحلقة السادسة .

وإنى أشكر زميلى الدكتور جمال الدين الشيال مدرس التاريخ الاسلامى بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول لتفضله هذه المرة أيضاً بمراجعة هذا البحث وإبدائه ملاحظاته القيمة .

مكتبة البحث

أولاً — مؤلفات دانتي :

Dante Alighieri : La Divina Commedia

— commentata da L. Pietrobono. Torino, 1932.

— „ „ V. Rossi. Città di Castello, 1923.

— con il commento di T. Casini. Firenze, 1932.

— nel testo critico della Società Dantesea Italiana, esposta e commentata da E. Mestica. Firenze, 1921.

— nella Figurazione Artistica e nel Secolare Commento, a cura di G. Biagi. Torino, 1924.

— Il Poema Sacro. Riassunti e Schemi per lo studio della D. C. fatti da A. Gustarelli. Milano, 1934.

— La D. C. Schemi, riassunti, analisi dei singolî canti di E. Bigami. Milano, 1948.

— The Divine Comedy. Eng. Trans. by H. Cary. Florence ?

— „ „ „ „ „ by M. Anderson. U.S.A. ?

— „ „ „ „ „ by L. G. White. New York, 1948.

— La Divine Comédie. Trad. Franç. par P. A. Fiorentino. Paris, 1872.

— „ „ „ „ „ par A. de Montor. Paris ?

— „ „ „ „ „ par H. Longnon. Paris, 1938.

— „ „ „ „ „ par A. Masseron. Paris, 1947-49.

— جحيم دانتي ، ترجمة أمين أبو شعر . القدس ، ١٨٣٨

Dante Alighieri : Opere Minori. Firenze, 1935.

ثانياً — مراجع خاصة وعامة :

De Sanctis, F.: Storia della Letteratura Italiana. 2 vol. Milano, 1934.

" " ": Saggi Critici. 3 vol. Milano, 1936.

Essays in Commemoration of Dante. London, 1921.

Gillet, L.: Dante. Rio de Janeiro, 1941.

Leigh, G.: New Light on the Youth of Dante. London?

Lungo, I. del: Dal secolo e dal poema di Dante, Ritratti e Studi. Bologna, 1898.

Lungo, I. del: Il Canto x dell'Inferno. Firenze, 1931.

Papini, G.: Dante Vivo. Firenze, 1933.

Renier, R.: Liriche di Fazio degli Uberti, Firenze, 1883.

Villani, F.: Vite d'uomini illustri fiorentini. Firenze, 1883.

Villari, P.: The Two First Centuries of Florentine History. Eng. Trans. by L. Villari. London, 1901.

حسن عثمان : دانتى أليجيرى : حياته وشخصيته . مجلة الكاتب المصرى مجلد ٨ عدد ٣١ القاهرة ، أبريل ١٩٤٨ .

« : فرنتشسكا دا ريمينى عند دانتى أليجيرى . مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول مجلد ١١ جزء ١ ، القاهرة ، مايو ١٩٤٨

"الثغر الأعلى" الأندلسى

فى عصر المرابطين

وسقوط سرقسطة فى يد النصارى سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م

مع أربع وثائق جديدة

للدكتور حسين مؤنس

مصدر الوثائق

عثرت على الوثائق التى أنشرها فى ذيل هذا البحث فى مخطوطين عربيين دلنى عليهما زميلى وصديقى عبد العزيز الأهوانى فى مكتبة « دير سان لورنزو » بالأسكوريال ، يحمل أولهما رقم ٤٨٨ والثانى رقم ٤٨٩ مخطوطات عربية . وراجعت ما كتب عنهما فى فهرس المخطوطات العربية الذى وضعه الراهب الأوغسطينى اللبنانى « ميخائيل الغزيرى » بين سنتى ١٧٦٠ ، ١٧٧٠ باسم :

Casiri: *Bibliotheca Arabico-Hispana Escurialensis.* Madrid, 1760-1770, 2 vols.

والفهرس الحديث الذى وضعه « ديرنبورج » فلم أجد فيهما إلا أن هذين المخطوطين يضمان نماذج من النثر الفنى الأندلسى فى عهدى المرابطين والموحدين [1] .

وعندما أخذت فى دراسة هذه « النماذج » ، تبينت أنها تضم عدداً طيباً من « صور » وثائق هامة تتصل بتاريخ « المرابطين » و « الموحدين » فى الأندلس ، وتبينت بعد قليل أن المادة التاريخية فى الكثير منها جيدة جديرة بالتحقيق والنشر والدراسة ، إذ أنها تضيف الى معلوماتنا طائفة طيبة

(١) راجع فهرس الغزيرى المشار إليه تحت رقمى DXVI (ص ١٥١) ورقم DXXXV بعد ذلك بقليل وفهرس ديرنبورج تحت الرقمين المذكورين أعلاه .

من الحقائق الجديدة القيمة عن أعمال هاتين الأسرتين المغربيتين المجيدتين اللتين لانجد بين أيدينا من المعلومات المفصلة ما يعيننا على معرفة تاريخهما في الأندلس معرفة صحيحة .

وليس إلى الشك سبيل في أن هذه «الصور» إنما نقلت عن الوثائق الأصلية نقلا صحيحاً أمينا ، لأننا نجد في صفحة ١٢٠ من المخطوط الأول شهادة بصحة هذه الصور صادرة عن عالمين أندلسيين موثوق فيهما هما محمد بن يحيي ابن سيد الناس وعمر بن محمد الأزدي المعروف بابن الشلوبين أو الشلوبيني . ونص العبارة هو :

« قرأت أبعاض جميع ما تقيد فوق هذا ، ومنها ما أكملته ، وسمعت أبعاض ذلك ، ومنها ما كمل سماعه على الشيخ الفقيه الأستاذ أبي على عمر بن محمد ابن عمر بن عبد الله الأزدي الشهير بابن الشلوبين ، رضي الله عنه ، وأجاز لي ما فاتني منها في روايته ، وناولني السفر بكليته ، وأباح لي ما في روايته منه ، والاسناد اليه فيه ، والله ينفعه بذلك » .

« قاله وكتبه عبيد الله الفقير إليه محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيي ابن أبي القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن سيد الناس اليعمري ، وفقه الله حامداً ربه ومستغفراً ذنبه ومصلياً على نبيه الكريم وعلى آله » .

« وذلك كله في عقب شهر ذي قعدة سنة ثلاث وأربعين وستمائة » .

« المكتوب فوق هذا صحيح : قاله عمر بن محمد الأزدي في التاريخ » .

ومما يدل على أن النسخة التي بين أيدينا هي التي راجعها « ابن الشلوبين » بنفسه أن اسمه وارد في السطر الأخير منها على هيئة توقيع ، وذلك في ذاته أمر عظيم القيمة [1] .

ثم إننا سنلاحظ أن معلوماتنا التاريخية تؤيد كل ما تشير إليه الوثائق تأييداً تاماً .

(١) ظاهر من هذه العبارة أن مخطوطتنا أصلية وأنها ترجع إلى سنة ٦٤٣ هـ . مما يزيد في قيمتها . وهي مكتوبة بخط مغربي عسير القراءة في مواضع كثيرة ، ولكنها في حالة جيدة .

لهذا عمدت إلى ترتيب وثائق هذين المخطوطين ودراستها تمهيداً لنشرها ، ولما كانت تتناول مواضيع مختلفة تتفاوت أهمية فكل وثيقة منها تحتاج إلى دراسة خاصة مفصلة . وقد أخذت في الصفحات التالية أربع وثائق تتعلق بموضوعين اثنين : (الأول) موقعة أقليش التي انتصر فيها المرابطون على جيوش الفونس السادس صاحب ليون وقشتالة في شوال سنة ٥٠١هـ/٣٠مايو ١١٠٨م و (الثاني) وقوع سرقسطة في أيدي ألفونس الأول ملك أرغون وقشتالة وليون في ٥١٢ هـ /١١١٨ م . واستغاثة أهلها بالمرابطين .

ولما كانت الوثائق أدبية الطابع ، تغلب على أسلوبها المحسنات البديعية ، فان استخراج الحقائق التاريخية منها كان أمراً عسيراً ، وكان لابد من مقدمة تاريخية عن المرابطين في الأندلس وتاريخ « الثغر الأعلى » الأندلسي في عصرهم حتى تتضح الاشارات التاريخية الواردة في الوثائق ، وحتى يكون من الممكن الاستفادة منها فائدة صحيحة .

هذا ولا يفوتني كذلك التنبيه على القيمة الأدبية لهذه الوثائق من حيث هي نماذج للنثر الأندلسي في صورة من أزهى صوره ، ولا غرابة في ذلك ، فكتابها ، وهم ابن شرف وابن خلصة وابن أبي الخصال يعينون ذروة من ذرى البلاغة العربية ، ولم يصل إلى شأوهم في هذا الباب إلا قلائل في المشرق والمغرب .

* * *

المرابطون في الأندلس

يعتبر القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) عصر اليقظة الأخيرة في تاريخ الأندلس الاسلامي ، عصر الصحوة الذي سبق عصور الاضمحلال المتصل التي تبدأ من أول القرن السابع الهجري ؛ وهي صحوة قصيرة عنيفة سبقتها إرهاصات أنبأت عن عود الاسلام الأندلسي إلى النصر والعزة بعد ذلك الانكماش المستمر الذي عاناه طوال القرن الخامس الهجري عقب زوال الخلافة الأموية الأندلسية .

ومن هذه الارهاصات وأظهرها دلالة انتصار « الزلاقة» الذي أحرزته القوات المرابطية الأندلسية في سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م ، بعد عام واحد من سقوط طليطلة في يد ألفونس السادس ملك قشتالة (٤٧٨ هـ /١٠٨٥م) ،

فكان ظفر الاسلام بهذا النصر الفريد بعد تلك الكارثة القاصمة إيذانا بتحول حاسم في مجرى تاريخ الغرب الاسلامي كله، فقد وقف تيار الغزو النصراني، وبدأت فترة استرداد إسلامية، استعادت فيها جيوش المرابطين كثيراً مما فقده المسلمون خلال السنوات الأخيرة الماضية، وارتفعت الجبهة الاسلامية من مجرى « الوادي الكبير » إلى مجرى « تاجه » في ناحية الغرب، واقتربت جيوش الاسلام من طليطلة وأخذت تنوشها وتحاول استعادتها، وبدا بوضوح أن جبهة الاسلام في «شرق الأندلس» لن تلبث أن تعود إلى ما كانت عليه قبل أن يستولي السيِّد القَمبيطور على بلنسية (٢٨ جمادى الأولى سنة ٤٨٧ هـ/ ١٥ يونيه ١٠٩٤)[١] ويهدد نواحي سرقسطة ومُرسية وبلاد الشرق كلها.

وعندما توفي يوسف بن تاشفين في أول المحرم سنة ٥٠٠ هـ (٢ سبتمبر سنة ١١٠٦ م) ترك لابنه عليّ بن يوسف دولة واسعة الأطراف يصفها ابن أبي زرع بقوله: « وملك جميع بلاد القِبلة من سجلماسة إلى جبل الذهب في بلاد السودان، وملَك جميع بلاد الأندلس شرقا وغربا، وملَك الجزائر الشرقية وميورقة ومنورقة ويابسة؛ وخُطب له على ألفي منبر ونيف وثلاثمائة منبر، وملك من البلاد ما لم يملكه والده، لأنه وجد البلاد هادئة والأموال وافرة، والملكَ قد توطد والأمور قد استقامت »[٢].

وقد أساء « دوزي » الحكم على عليّ بن يوسف كما أساء الحكم على المرابطين عامة، واعتمد في حكمه هذا على إشارات يشوبها الهوى أوردها عبد الواحد المراكشي في « المعجب »[٣] وما زال يلح في تشويه صورته حتى جعل حكمه من أظلم وأسوأ ما عرفه المغرب الاسلامي: لا علم ولا أدب ولا رفاهية

---

(١) تحدد الروايات الاسلامية تواريخ مختلفة لسقوط هذا البلد؛ ولكن تحديد ابن الأبار الذي أخذنا به هنا هو أدقها: الحلة السيراء، ص ١٨٩؛ وانظر مناقشة دوزي للتواريخ: Dozy, *Recherches*, II. pp. LX VIII sqq

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس (طبعة تورنبرج ١٨٤٣) ص ١٠٢

(٣) راجع رأي عبد الواحد المراكشي في « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » (طبعة القاهرة ١٩١٤) صفحات: ٧٧، ٩٥، ٩٦

ولا رخاء[1] . مع أن الواقع يخالف ذلك كله ، فقد كان الرجل أندلسى الروح متفتح النفس ، أحاط نفسه بطائفة من أعظم من عرف الأندلس من أهل الفكر والأدب ؛ ويكفى أن نذكر منهم أبا بكر المعروف بابن القصيرة وأبا القاسم بن الجد ، وابن القبطورنة ، وأبا محمد عبد المجيد بن عبدون[2] ، ومروان بن أبى الخصال الذى يكاد يكون أعظم ناثر عرفه الأندلس قبل لسان الدين بن الخطيب ، وأخيل بن أدريس الرندى[3] ، ويكفى أن نذكر كذلك أن الفيلسوفين الأندلسيين أبا الوليد بن رشد[4] ، وأبا العلا بن زهر[5] ، كانا من أصحاب علىّ وجلسائه وقد أشرف الثانى منهما على تربية ابنه تميم، وكان أشبه بالوصى عليه أثناء إقامته فى قرطبة نائباً عن أبيه فى حكم الأندلس[6] .

وكانت أحوال الأندلس على رأس هذه المائة السادسة على حال من السوء كادت تضيع معها آثار انتصار « الزلاقة » وثمرات ما بذله يوسف ابن تاشفين من الجهد فى استنقاذها من آثار الفوضى التى شاعت فيها بعد سقوط الخلافة الأموية . ولم يلبث هذا الأمير اللمتونى الكبير أن استبان أن تركه ملوك الطوائف فى إماراتهم حرى بأن يذهب بآثار كل جهد يبذله فى استنقاذ البلاد ، فعول على خلعهم عن إماراتهم وتركيز السلطان كله فى يده وأيدى رجال من المرابطين[7] . فجاز إلى الأندلس جوازه الثالث سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠م ، واستفتى الفقهاء فى أمر هؤلاء الأمراء ، فأفتوه بضرورة

---

(١) Dozy : *Musulmans d'Espagne* (2e éd.) p. 155

(٢) المراكشى ، المعجب ، ص ٩٤

(٣) ابن الأبار ، الحلة السيراء (طبعة دوزى) ص ٢٢٢

(٤) انظر : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، لمؤلف مجهول (طبعة علوش ١٩٣٦) . ص ٧٥ — ٧٦

(٥) المراكشى ، المعجب ، ص ٧٥ ، والمقرى ، نفح الطيب (طبعة أوروبا) ج١ ص ٢٨٧ وانظر المناقشات الطويلة التى يوردها صاحب الحلل الموشية حول هذا الموضوع ص ٣٠ وما بعدها .

(٦) لدينا وثيقة هامة فى المخطوط الذى أخذت منه الوثائق التى أنشرها هنا ؛ ص ١٧٤ من المخطوط رقم ٤٨٩

(٧) المقرى ، نفح الطيب ، ج ٢ ص ٦٨٩

خلعهم [١] بل يذهب ابن خلكان وابن خلدون إلى أنه كتب إلى فقهاء المشرق — وفي مقدمتهم الغزالي — يستشيرهم في هذا الأمر، فأفتوه بضرورة تخليص الأندلس من أمرائها هؤلاء . ويفهم من بعض الروايات الأندلسية أن يوسف ابن تاشفين إنما أتى إلى الأندلس طامعاً فيها من أول الأمر [٢] ، ولكن الغالب أن فكرة خلع هؤلاء الأمراء والاستيلاء على البلاد جملة إنما نبتت في ذهنه بعد موقعة الزلاقة وما رأى من فساد أمر الكثير منهم وسوء تصرفهم في أمور رعيتهم وتقصيرهم في معاونة جيوشه أثناء النضال مع النصارى ، بل إنه استيقن أن بعضهم كان يتآمر مع أمراء النصارى على المرابطين في هذه اللحظة الحاسمة [٣] ، وعلى أي الأحوال فقد تصرف يوسف بن تاشفين في هذا الأمر بحكمة وحذر ، وبدأ بالأمير عبد الله آخر أمراء بني زيري أصحاب غرناطة ، فعزله وأخذ البلد منه وأرسله إلى إفريقية . ثم عاد يوسف إلى إفريقية تاركا قائده «سير بن أبي بكر» ليكمل عزل بقية الأمراء والاستيلاء على ما بيدهم من البلاد والحصون ، وقد أتم سير هذه المهمة خلال بضعة شهور ، فلم ينته عام ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م حتى كانت إمارات الطوائف كلها — عدا سرقسطة — قد زالت من الوجود [٤] ، وعاد ما بقي من الأندلس الاسلامي موحداً من جديد بيد الامير المرابطي سير بن أبي بكر الذي اتخذ قرطبة مركز أعماله [٥] ، وهكذا عاد هذا البلد إلى مركزه الممتاز بين البلاد بعد أن فقده طوال عصر ملوك الطوائف .

---

(١) ابن خلدون ، العبر (طبعة بولاق) ج ٦ ص ١٨٧

(٢) انظر : المراكشي ، المعجب ، ص ٧٤

(٣) ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ١٨٧ ، Dozy. *Musulmans d'Espagne* : III, 139 وراجع التفاصيل التي يوردها ليفي بروفنسال عن علاقات المعتمد بن عباد مع الفونس السادس ملك ليون وقشتالة في مقال :

La "Mora Zaida" fille d'Alfonse VI et leur fils l'Infant Don Sancho, ds : Hespéris XVIII, 1934, pp. 1-8.

(٤) المراكشي ، المعجب ، ص ٧٥ وما يليها . وابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ١٨٧

(٥) الحلل الموشية ، ص ٥٩

ولا يتسع المقام هنا لتفصيل أمر النظام الذى وضعه يوسف بن تاشفين لحكومة الأندلس ، والمعلومات التى لدينا عن ذلك قليلة جداً على كل حال ، وكل ما نستطيع قوله هو أن المرابطين تركوا الشئون المدنية بيد الأندلسيين كما كان الحال عليه ، واحتفظوا لأنفسهم بشئون الحرب والدفاع [1] ، وكان النائب عن يوسف بن تاشفين فى حكومة الأندلس قائد عسكرى هو سير بن أبى بكر، ثم استبدل به بعد قليل ابنه أبا الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين [2] ، وكان التفاته كله موجهاً الى الحرب وحدها ، وكانت تعاونه هيئة كبيرة من القواد معظمهم من أهل بيته أو من كبار رجال القبائل اللمتونية ، وسيكون لبعضهم من أمثال أبى عبد الله بن الحاج وأبى زكريا بن واسينو وجرور الحشمى ، وأبى عبد الله مزدلى شأن عظيم فى الحروب مع النصارى فى الأندلس . ولم تكن القوة العسكرية التى وضعها يوسف تحت تصرف نائبه بالكبيرة ، فقد قدرها صاحب « الحلل الموشية » بسبعة عشر ألف فارس « موزعة على أقطار معلومة ، يكون منها بأشبيلية سبعة آلاف وبقرطبة ألف فارس ، وفى المشرق أربعة آلاف فارس ، وباقى العدد على ثغور المسلمين للذب والمرابطة فى الحصون المصاقبة للعدو » [3] وليس من المعقول أن تكون هذه هى عدة الجيش المرابطى المقيم فى الأندلس ، لأننا نرى عشرات الألوف من جنودهم فى كل ناحية ، والمنطق أن هذا هو عدد الفرسان فقط ، وأنه كان إلى جانب هؤلاء الفرسان أعداد عظيمة من الرجالة . وقد كسب المرابطون برجالتهم المنظمة القوية كل انتصاراتهم الكبرى فى الأندلس [4] . ولسنا نفهم السر فى أن يوسف اختص ناحية إشبيلية بسبعة آلاف مع أن الخطر عليها

---

(1) ليس لدينا عن هذا الموضوع غير بضعة سطور متفرقة يوردها صاحب الحلل الموشية ، انظر صفحات : ٦٣ ، ٦٧ — ٦٩

(2) الحلل الموشية ، ص ٦٧

(3) الحلل الموشية ، ص ٦٥ ، وفى النص أخطاء كثيرة أصلحتها هنا .

(4) راجع تفاصيل موقعة الزلاقة مثلا فى : الروض المعطار فى خبر الأقطار لابن عبد المنعم الحميرى (طبعة ليفى بروفنسال ، القاهرة) مادة زلاقة ، وهو الأصل الذى أخذ عنه المقرى وعبد الواحد المراكشى . وانظر التفاصيل الواردة عن واقعة أقليش فى وثيقة رقم ١ المرفقة بهذا البحث

لم يكن جسيما ؛ أما الخطر الحقيقى فكان على قرطبة وإقليمها ؛ أى ناحية الوسط ، ومع ذلك فحصتها من الحامية لم تزد على ألف فارس ، وكان الشرق فى ذلك الحين أكثر النواحى استهدافا للهجوم من ناحية نصارى الشمال ، وكانت حامية المرابطين فيه رغم ذلك أربعة آلاف فارس فحسب ، ويبدو أن هذه كانت أعداد القوات الثابتة المقيمة ، ولا شك فى أنه كانت ترسل اليها عند اللزوم قوات أخرى تؤيدها ، وسنرى مصاديق ذلك فيما يلى من الحديث .

وقد لاحظنا أن نائب يوسف بن تاشفين استنزل أمراء الأندلس أجمعين عدا صاحب سرقسطة أبى جعفر أحمد بن هود الملقب بالمستعين بالله ، فما الذى حدا به إلى اختصاص هذا الأمير بالرعاية ، وهو لم يخرج عن أن يكون أميراً من أمراء الطوائف ، لا يفترق عن المعتمد صاحب إشبيلية أو المتوكل صاحب بطليوس فى كثير ؟ لكى نجيب على هذا السؤال ينبغى أن نلقى نظرة على الحالة العامة فى هذا القطر الكبير من أقطار إسبانيا الاسلامية الذى كان يعرف « بالثغر الأعلى » .

الثغر الأعلى وسرقسطة فى عصر المرابطين

عند ما انفرط عقد الخلافة الأموية على رأس المائة الخامسة للهجرة ، كان يحكم هذه الناحية رجل من أنصار المنصور بن أبى عامر يسمى أبو الحكم المنذر بن يحيى ، وكان فارساً جلداً ذا خبرة ودراية بأمور هذا الثغر المتطرف من بلاد المسلمين[1] ، وكانت بينه وبين جيرانه ملوك أرغون من النصارى علاقات ودٍ موصولة ، وكان هو يعتبر نفسه من أنصار ملك أرغون وأتباعه ، وكان فى نفس الوقت سيداً متبوعا للكثيرين من أشراف النصارى الذين كانوا يملكون الأراضى والحصون بهذه النواحى الجبلية الوعرة[2] ؛ فلما مات فى سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م خلفه ابنه يحيى بن المنذر ، ومضى يسوس الأمر على سنن أبيه ، وابتعد بنفسه

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، الجزء الثالث (طبعة ليفى بروفنسال) ص ١٧٥ — ١٧٦ ، ابن الأبار ، أعمال الأعلام (طبعة ليفى بروفنسال سنة ١٩٣٤) ص ٢٢٦ — ٢٢٧ ؛ وانظر الخريطة المرفقة لتعرف حدود الثغر الأعلى .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٧٦

وبناحيته عن الاضطراب العنيف الذى ساد الأندلس كلها فى تلك السنوات ، فسلمت له بلاده ، وأقام فى دعة لا يكاد ملوك أرغون يدبرون له شرا حتى مات سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م[1] ، وخلفه ابنه المنذر فأقام فى الامارة ثلاث عشرة سنة إنتهت سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٣٩م ، فبدأ سلطان المسلمين فى هذا الركن القصى يتزعزع ، وبدأت أطماع أمراء أرغون وأكناد برشلونة تتجه نحو سرقسطة وأقليمها ، وكان هذا الإقليم يضم حوض «إبرُه» الأعلى كله ، وفيه من الحصون وكبار المدائن — عدا سرقسطة — «قلعة أيوب» و«دَرُوقة» و«وشقة» «وربشتر» و «مدينة سالم» و «لوجرونيو Logroño» و «صورية Soria» و «ترويل Teruel» و «إفراغة Fraga»[2] وكان بهذا من أوسع إمارات الطوائف امتداداً ، وكان أهل هذا الاقليم الواسع — مسلمين ونصارى — يعيشون فى ظل هذه الأسرة فى رخاء وأمن .

وكان من بين أتباع «بنى يحيى» هؤلاء أسرة عربية ترجع فى أصلها البعيد إلى قبيلة جذام اليمنية ، هى أسرة «بنى هود» وكانت تملك مدينتى «لاردة» و«تُطيلة Tudela» ، وكان يمثلها فى ذلك الحين سليمان بن محمد بن هود ، فلم يكد يلمح خلل الاضطراب تنوش سرقسطة حتى وثب من حصنه ودخلها بأتباعه وحاز الاقليم كله ، وتلقب «بالمستعين بالله» على نحو ما كان يفعل معاصروه من ملوك الطوائف (٤٣١ هـ / ١٠٤٠ م)[3] ، وأصبحت «دولة بنى هود» فى سرقسطة والثغر الأعلى كله من أوسع إمارات الطوائف رقعة وأقواها وأعزها جانبا ، واستطاعت أن تحول بين الامارات النصرانية فى هذا الركن الشمالى الشرقى وبين الانسياح إلى بلاد المسلمين كما حدث فى «الموسطة» (إقليم طليطلة) و «الغرب» (إقليم بطليوس وماردة) .

(١) انظر التفاصيل التى يقدمها ابن حيان وابن خلدون عن سياسة المنذر وابنه يحيى مع جيرانهما من النصارى والمسلمين ، ذيل ١٣ ، ١٤ فى :
Dozy : *Recherches*, I. pp. XXXIV sqq.

(٢) الحلل الموشية ، ص ٦٠ وقد أكملت هذه القائمة من كتاب :
Prieto Vives, *Los Reyes de Tayfas* (Madrid. 1926), p. 46.

(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٢٢ ، ابن الأبار ، أعمال الأعلام ، ص ١٩٧

بنو هود

ولم يكن الخطر النصرانى على الأندلس الاسلامى من هذه الناحية بعيداً ولا قليلا في ذلك الحين ، فقد كانت حدود إمارة سرقسطة تتصل مباشرة بحدود ممالك وإمارات إسبانيا النصرانية جميعا، وقد أرادت المقادير أن يكون على رأس كل منها في تلك الحقبة من تاريخ الأندلس أمير قوى طامع فى زيادة بلاده على حساب الخلافة الأموية الذاهبة، فكانت تصاقبها من الشمال أربع إمارات نصرانية هى : كونتية « قطلونية » يحكمها أمير واسع المطامع متصل النشاط هو رامون بيرنجير الثانى (١٠٣٥ — ١٠٧٦م) ومملكة أرغون وكان يحكمها راميرو الأول (١٠٣٥ — ١٠٦٣م) وكان لايكف عن اجتياح حدود سرقسطة وانتهاب مايصل اليه من أرضها ، وبين هاتين المملكتين الكبيرتين نجد إمارتين صغيرتين هما باليارس (Pallars) وشرطانية (Cerdaña) وسيقف صاحباها إرمنجول الثالث (Ermengol III) ورامن (Ramon) الى جوار قطلونية وأرغون فيما يلى من الاحداث . أما فى الشرق فكانت حدود سرقسطة تتصل بحدود مملكة نَبَرّة (Navarra) وكان ملكها غرسية الثانى (Garcia II) (١٠٣٥—١٠٥٤م) من أشدالطامعين في بلاد المسلمين ،ثم مملكة ليون (Leon) أكبر ممالك إسبانيا النصرانية وأشدها خطراً على المسلمين فى ذلك الحين ، وسيكون لملكها إذ ذاك فرناندو الأول (١٠٣٥ — ١٠٦٥ م) وأولاده من بعده حصة الأسد فى تراث الأندلس الاسلامي ، وكان من حسن حظ إمارة سرقسطة وبلاد شرق الأندلس كلها أن كل جهود ملوك ليون ستتجه نحو إمارتى بطليوس وطليطلة فترة طويلة من الزمان[1].

ومن ثم كان العبء الملقى على أكتاف بني هود ثقيلا لا يكاد ينهض به إلا الجهد المتصل ، ولم يكونوا ليستطيعوا أن يقفوا من جيرانهم النصارى موقف العدو المناجز ، بل كان لابد لهم من المصانعة والمداورة حتى يخلصوا بلادهم من الشر المحيق . بل سنراهم يقفون موقف الحياد عند ما يستولى ألفونس السادس ملك ليون على مملكة طليطلة (سنة ٤٧٥ هـ/١٠٨٥ م)

(1) BALLESTEROS : *Historia de España* (1920), II, pp. 295 sqq.

وسيقفون الى جانب « السيد القنبيطور » عند ما يهاجم بلنسية ويستولى عليها ويذيق أهلها العذاب بعد ذلك بقليل .

وعند ما توفى أبو أيوب سليمان المستعين في سنة ٤٤١ هـ/ ١٠٥٠م استهدفت إمارة سرقسطة لخطر جسيم ؛ إذ تقاسم بلادها أبناؤه الأربعة ، وجعل كل منهم ناحيته إمارة مستقلة ، فانفرد أبو جعفر أحمد بسرقسطة وتلقب بعماد الدولة المقتدر بالله ؛ واستقل أبو عمر يوسف بلاردة وتلقب بعماد الدولة المظفر ؛ وأخذ محمد قلعة أيوب وتلقب بعضد الدولة ؛ أما الرابع ، المنذر ، فقد اكتفى بلقب الحاجب وفاز بتطيلة وتسميه المراجع لب[1] . وهى كلمة أندلسية معربة عن « لوبو » (lobo) الاسبانية ومعناها الذئب . ومضى الاخوة يحتربون فيما بينهم ، واستمروا على ذلك سنتين استطاع خلالها أحمد المقتدر بالله أن يستولى على ما كان بيد أخويه محمد والمنذر ؛ واستمر يساجل أخاه يوسف حتى غلبه على بلاده فى أواخر أيامه حوالى سنة ٤٧٤ هـ/١٠٨١ م . فعادت وحدة الامارة على يديه ، بل استطاع أن يضيف اليها أراضى جديدة انتزعها من جيرانه النصارى والمسلمين على السواء . فاستولى على طرطوشة (٤٥٣ هـ/١٠٦٢م) ودانية (سنة ٤٨٦ هـ/١٠٧٥م) . وحاز جزءاً من كورة طركونة (Tarragona) وأطرافا من بنبلونة (Pamplona) ونواحى من لقنت (Alicante) وبلنسية وكان أصحابها فى حالة بالغة من الضعف والعجز عن ضبط إمارتهم[3] .

وأحمد المقتدر بالله هذا هو أقوى أمراء بنى هود وأوسعهم فى تاريخ فترة الطوائف ذكراً بعد المعتمد بن عباد ، وليس الى الشك سبيل فى أنه كان أقدرهم على مغالبة شدائد هذه الفترة القاسية ، وأمهرهم فى النجاة ببلده وعرشه ، وأجرأهم على مناجزة جيرانه من ملوك النصارى وفرسانهم ؛ وكانت سرقسطة

---

(١) ابن حيان برواية ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ص ٢٢٤ ، وابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ١٩٧

(٢) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ١٩٨

(٣) استخرج بريتو ييبس هذه التواريخ من النميات ، راجع بحثه القيم عن ملوك الطوائف : PRIETO VIVES : *Los Reyes de Taifas*, pp. 47 sqq.

فى أيامه درة الاندلس الاسلامى ، فقد ابتنى فيها « قصر الجعفرية » الباقى الى اليوم وقصر الذهب الذى قال فيه شعراء الطوائف شعراً كثيراً .

وتوفى أحمد المقتدر بين سنتي ٤٧٤ و٤٧٥ هـ / ١٠٨١ و١٠٨٢ م فانقسمت إمارة سرقسطة من جديد، واقتسمها ابناه يوسف والمنذر؛ فأما يوسف فقد تلقب بالحاجب المؤتمن ؛ واستقل بمدينة سرقسطة وغربى الامارة كله ، وانفرد الثانى — المنذر — بطرطوشة ودانية والجزء الساحلى من الامارة ، وتلقب بالحاجب عماد الدولة [1] ، واستمرت الحرب بين الأخوين ، ولم يخمد أوارها حتى بعد وفاة يوسف المؤتمن سنة ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م ، فقد نهض بأوزارها من بعده ابنه أحمد بن يوسف بن هود ، ومضى يحارب عمه المنذر ، وجعل كلاهما يستعين على خصمه بمن استطاع الاستعانة به من ملوك النصارى .

وفي عهد يوسف هذا أقبل السيد القنبيطور إلى سرقسطة لاجئاً الى أميرها بعد أن نفاه الفونس السادس ملك ليون من بلاطه ، وقد انضم السيد الى جيوش يوسف المؤتمن ومضى يحارب أعداءه ، واستطاع أن ينزل بالكونت رامون بيرنجير الثانى صاحب قطلونية هزيمة قاسية عند «المنارة» (Almenara) وقد وقع الكونت فى أسر ابن هود فى هـــذه الموقعة ، وكان لهـا أثر بعيد فى تاريخ « السيّـد » وشرق الأندلس كله بعد ذلك . وقد أقام السيد فى سرقسطة حتى سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م ، وكانت هذه السنوات بعيدة الأثر فى نفسه وتكوينه [2] ، ويبدو أن لقب « السيّـد » الذى لـزمه بعد ذلك طول حياته كان من آثار هذه الفترة ، لأنه كان يقود جنداً من المسلمين ، فكانوا ينادونه « بياسيدى » ، فلما عاد الى خدمة الفونس السادس لزمته هذه التسمية ، وصار جنده النصارى ينادونه بلفظى (mio Cid) .

وفى هذه السنوات كان ألفونس السادس صـاحب قشتالة دائم الطمع فى سرقسطة وبلادها ، ولولا يقظة يوسف وأخيـه وأهبتهما للدفاع عن بلادهما فى كل لحظة لضاعت الامارة قسمة بين قطلونية وأرغون

(١) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ١٩٩

(٢) Lévi Provençal, *Le Cid de l'histoire* dans *L'Islam d'Occident* (Paris 1948), pp. 170 sqq.

وقشتالة، ويكفى أن نذكر حادثا صغيراً يدلنا على مقدار ما كانت هذه الامارة الاسلامية تتعرض له من الاخطار : فقد كان أبو جعفر أحمد — الذى تحدثنا عنه — قد سجن يوسف المظفر أخاه بعد أن تغلب عليه ، وأودعه أحد حصون روطة (Rueda). وأقام الرجل سجينا فى ذلك الحصن بعد وفاة أخيه، فلما كانت أيام ابنى أخيه هذا — يوسف وأحمد — فر من سجنه فى أوائل سنة ٤٧٧ هـ ١٠٨٤ م ، وذهب يحتمى بألفونس السادس ملك قشتالة، ومات عنده بعد قليل ، فزعم ألفونس أن المظفر نزل له قبل موته عن نصيبه الذى غُلب عليه ، وأسرع بالفعل مع نفر من رجاله فيهم ابن عمه راميرو نحو روطة، وكاد البلد يقع فى أيديهم ، لولا أن يوسف المؤتمن وحليفه القنبيطور وضعا لألفونس ورجاله كمينا فى خانق ضيق على الطريق ، فلم يكادوا يتوسطونه حتى انهالت عليهم الحجارة فهلك منهم نفر ولم ينج ألفونس نفسه إلا بصعوبة [1] ، وأراد « السيد » أن يبرئ نفسه من تهمة الاشتراك فى هذه المؤامرة : فرجع إلى ألفونس واعتذر إليه وصالحه وعاد إلى خدمته . وهذا الحادث يدلنا على مقدار يقظة ألفونس وتطلعه لما فى أيدى المسلمين ، ويدلنا على يقظة يوسف المؤتمن وشدة حذره ، ويدلنا كذلك على أن الصراع بين الجانبين لم يكن صراع حروب ومواقع فحسب ، بل كان كفاح مؤامرات وحيل، ولو قد غفت عين أحد أمراء سرقسطة لحظة لابتلعها ألفونس كما ابتلع طليطلة سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ، دون كبير مشقة .

وتوفى يوسف المؤتمن فى ذلك العام ، وصار الأمر فى سرقسطة لابنه أحمد على ما قلناه ، فتلقب بالمستعين ، وضاعف الهمة فى الحفاظ على ما بيده ، ذلك أن أطماع ألفونس السادس صاحب ليون وقشتالة فيما جاوره من بلاد المسلمين زادت بعد استيلائه على طليطلة : فعول على الاستيلاء على سرقسطة وأقبل يحاصرها، واستعد أحمد المستعين لهذا الحصار وتحالف مع حميه مروان بن عبد العزيز صاحب «بلنسية» ، واستمر الحصار حيناً . وتحرج مركز البلد ومن فيه ،

(1) Prieto Vives. *Los Reyes de Taifas*, p. 48.
R. Menéndez Pidal : *La España del Cid* (1928), II, p. 571.

ولم ينقذهم إلا نزول المرابطين الأندلس [١] فى ذلك الحين ، فرفع ألفونس الحصار وأسرع الى بلده لتحصينها . ثم كانت وقعة « الزلاقة Sacrajas » فى رجب ٤٧٩ هـ / سبتمبر ١٠٨٦ م وانهزم ألفونس تلك الهزيمة القاصمة التى أبعدت خطره عن البلاد الاسلامية الأندلسية كلها الى حين [٢].

فلما استقر يوسف بن تاشفين فى الأندلس وأقبل ملوك الطوائف يسترضونه ويقدمون له المساعدات والألطاف، كان أحمد المستعين أكثرهم تقربا اليه. وعرف يوسفُ حرجَ مركز المستعين وصعوبةَ موقفه أمام ملوك النصارى ، وانعقدت بينهما أواصر صداقة سيكون لهما أثر بعيد فى مستقبل «سرقسطة » ، وحينما ساءت العلاقات بين يوسف وملوك الطوائف ، ومضى ينزعهم عن إماراتهم واحداً بعد واحد ، أسرع المستعين فأرسل ابنه عبد الملك عماد الدولة ، ليؤكد لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين ولاءه وإخلاصه لقضية الاسلام فى الجزيرة ، وليبين له أنه برىء من تهمة التآمر مع النصارى على جيوش المرابطين، وكتب اليه كتابا ، وردّ عليه يوسف بن تاشفين بكتاب حفظت لنا المراجع صورته ، يؤكد له فيه حسن ظنه فيه وثقته من إخلاصه للمسلمين ، ويؤمنه على بلاده ويعده بالمعونة [٣]. ولا نزاع فى أن يوسف بن تاشفين قدّر خطورة الدور الذى كان أمراء « سرقسطة » يقومون به فى تلك الفترة الحافلة بالمخاطر ، فقد كانوا يقفون كالحائل بين إمارات النصارى وما يليها من بلاد المسلمين فى شرق الأندلس [٤]، ثم إنهم على رغم اتصالاتهم الكثيرة بالنصارى

(١) أخبار الثغر الأعلى فى هذه الفترة موجزة إيجازاً شديداً عند مؤرخينا المسلمين ، فلم يكن هناك بد من الاعتماد على المراجع النصرانية القديمة : راجع عن أحداث سرقسطة فى ذلك الحين :

Primera Crónica General (éd. M. PIDAL, 1906) p. 538 à sqq. *Annales Toledanos Primeros* (*España Sagrada*. XXIII, p. 385 sqq. *Historia Roderici* apud : M. PIDAL : *España del Cid*. op. p. 558.

(٢) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٠٠

Annales Complutenses en España Sagrada XXIII. p. 314.

(٣) ورد نص هذين الكتابين فى صورتين لا تختلف إحداهما عن الأخرى إلا فى ألفاظ قليلة : ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٠٠ — ٢٠١ ، الحلل الموشية ، ص ٦٠

(٤) هكذا قال المستعين بن هود فى كتابه إلى يوسف بن تاشفين ، ولم يصلنا نص كتابه وإنما وردت خلاصته فقط فى المرجعين المشار إليهما فى الهامش السابق .

وعلاقات الولاء التى كانت تربطهم بهم بين الحين والحين ، لم يحالفوا أحداً منهم على المسلمين ، ولم يقفوا من جيوش المرابطين موقف الخيانة والتقاعس الذى وقفته إشبيلية وغرناطة ومالقة أثناء الصراع العنيف الذى دار بينهم وبين النصارى على حصن « لبيط Aledo » بعد موقعة الزلاقة بقليل [1].

وفى أثناء اشتغال المرابطين بأمراء الطوائف انتهز شانجة راميرذ (Sancho Ramirez) الفرصة وهاجم إمارة سرقسطة هجوما عنيفاً وانتزع منها منشون (Monson) سنة ٤٨١ أو ٤٨٢ هـ / ١٠٨٩م ، ثم تقدم لحاصر وشقة (Huesca) ومات محاصراً لها ، فمضى ابنه «بدرو» الأول يلح عليها بالحصار حتى استولى عليها فى ذى حجة سنة ٤٨٩ هـ / نوفمبر سنة ١٠٩٦ وقد دافع أحمد المستعين عن « وشقة » دفاعاً مجيداً دون جدوى [2] ، وقد وصف لنا ابن الخطيب معركة الكراز (Alcoraz) التى انتهت بسقوط المدينة تصويراً يعطينا فكرة عن عنف الصراع الذى كان محتدماً خلال هذه السنوات كلها بين المسلمين والنصارى حول مدائن سرقسطة والثغر الأعلى ، قال : « وفى سنة ٤٨٩ نازل العدو مدينة وشقة من عمالة المستعين وضيقوا بها ، وحشد المستعين جيوشاً من المسلمين وحمل إليها الميرة ، والتقى الفريقان ووقعت الحروب من لدن طلوع الشمس الى غروبها حتى كادت تأتى على الفريقين . وترك ابن هود المصاف على حاله وقصد مضربه لما ساء ظنه بيوم الكريهة ، فرفع ما كان به من المال ثم كر الى مقامه ، وأبلى الى أن كانت الهزيمة على المسلمين فى أخريات ذى القعدة من العام . ففُقد من الناس مايناهز اثنى عشر ألفاً ، والتمس أهل « وشقة » الأمان لثلاثة أيام من يوم الهزيمة » [3] وقد استنصر المستعين أثناء هذا الصراع بحليفه ألفونس السادس صاحب ليون ، فأرسل إليه بعثاً قوياً شد أزره ، وتمكن المسلمون

---

(١) الحلل الموشية ، ص ٥٤ — ٥٦

(٢) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ١٩٩

Ballesteros : *Historia de España* : II. p. 323

(٣) أعمال الأعلام ، ص ١٩٩

من أسر فارس من أكبر فوارس النصارى فى ذلك الحين وهو غرسية أوردونييذ (*García Ordoñez*) صاحب « نخرة *Najera* »[1] .

واستشهد أحمد المستعين بعد ذلك بأربع سنوات فى معركة حاسمة دارت بينه وبين أرغون أيضاً [2] وهى معركة فالتييرا (*Valtierra*) (رجب ٥٠٣ / يناير ١١١٠)، وبوفاته فقدت سرقسطة آخر أمرائها الكبار الذين استطاعوا النجاة بها من الأخطار التى أحدقت بالأندلس الاسلامى كله فى ذلك الحين ؛ ذلك أن ابنه الذى خلفه وهو عماد الدولة عبد الملك لم يكن من طرازه ولا من طراز جده المقتدر، وكان اعتماده على النصارى أشد وأظهر من اعتماد أبيه ، فنفرت رعيته منه ، وتحرج مركزه داخل بلاده . ومما زاد فى حرج مركزه اقتراب المرابطين من بلاده وميل أهل سرقسطة الى الدخول فى طاعتهم أملا فى أن يقوموا بحمايتهم من جيرانهم النصارى[3] .

وقد استطردنا عن تتبع أعمال المرابطين العسكرية أثناء إمارة على بن يوسف ، واستقصينا أخبار سرقسطة حتى اقترابهم منها ؛ فلنعد الآن إليهم لنتتبع جهودهم حتى نصل إلى تدخلهم الصريح فى شئون سرقسطة . قلنا إن على بن يوسف لم يكد يستقر على عرش الدولة المرابطية حتى عبر الى الأندلس فى نفس العام الذى تولى فيه (٥٠٠ هـ/١١٠٦م) . وكانت ظروف الممالك والامارات النصرانية قد تغيرت تغيراً عظيما خلال السنوات الأولى من القرن الثانى عشر الميلادى (السادس الهجرى) : توفى ألفونس السادس ملك ليون وقشتالة بعد موقعة الزلاقة بعام واحد، وخلفته ابنته الدونيا أوراكا (Dª Urraca) فانحسر الخطر المستمر الذى كان يتهدد المسلمين من هذه الناحية ، وتوفى كذلك الكونت هنرى البرغونى (Enrique de Borgona) صاحب كونتية البرتغال ، الذى كان يهدد غرب الأندلس كله وخلفته ابنته الدونيا تيريزا (Dª Teresa) ؛ ولم يعد الخطر ليتهدد بلاد المسلمين إلا من الناحية الشمالية الشرقية حيث ظلت الحرب

(١) PRIETO VIVES : *Los Reyes de Taifas*. p. 49

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٢٠٢ P. VIVES. *Los Reyes de Taifas*. p. 49

(٣) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٠٢

مستعرة يقودها أميران نصرانيان على جانب عظيم من النشاط : هما ألفونسو الأول المعروف « بالمحارب » (Alfonso el Batallador) صاحب أرغون ورامون بيرنجير الثالث (Ramon Berenger III)صاحب قطلونية[1] ؛ وإزاء هذا التغير الظاهر استطاع المرابطون أن يتركوا الجبهة الشمالية الغربية التى شغلتهم إلى ذلك الحين ، ليتوجهوا بكل قواهم إلى شرق الأندلس الذى كانت الاخطار تهدده كما رأينا .

أقام علىّ بن يوسف أخاه « أبا الطاهر تميما » حاكما للأندلس . وجعل مركزه غرناطة [2] ، ولا نستطيع القول بأنه نقل عاصمة الأندلس إلى هذا البلد ، لأن قرطبة ظلت على حالها واسطة عقد البلاد ، وإنما كانت غرناطة أوفق للمرابطين ، لان معظم أهلها كانوا من بربر إفريقية ، ثم إنها كانت أقرب إلى شرق الأندلس وإلى إفريقية مصدر الأمداد .

موقعة أقليش [3]

وعجل « تميم » بالمسير لحرب قشتالة ، وكان عليه قبل أن يدخل أرضها أن يقضى على الحامية النصرانية التى كانت تحتل حصن أقليش (أو أقليج Uclés) شرقى طليطلة ، وكانت على طريق المسلمين الى بلنسية وسرقسطة تحول بينهم وبين القيام بعمل حاسم فى هذه

---

(1) Francisco Codera : La Decadencia y Desaparición de los Almorávides en España (Madrid 1899), p. 7.

(2) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٣

(3) هذه الواقعة هى موضوع الوثيقة الأولى التى ننشرها هنا ، وهذه هى المراجع غير العربية التى تتحدث عنها :

Cronicon de Burgos en *Esp. Sagr.* XXIII p. 310.
Annales Toledanos en *Esp. Sagr.* XIII. p. 327
Codera : *Decadencia...*, 10-11
Ballesteros : *Hist. de Esp.* II. pp. 232-233

ولم يذكرها من المراجع العربية المنشورة بالتفصيل إلا روض القرطاس : ص ١٠٣ — ١٠٤ والوثيقة التى ننشرها تعطينا عنها تفاصيل وافية . وقد ذكر عبدالمنعم الحميرى عن أقليش أنها قاعدة كُوَرِ شَنْتَبَرِيَّةَ وذكر أن فيها جامع كبير . (الروض المعطار : ص ٢٨) وهى الآن فى مديرية قونقة *Cuenca* وتابعة لمركز تارانكون Tarancón .

cf : Lévi-Provençal *La Peninsule Ibérique au moyen-âge d'aprés Kitab ar-Rauḍ al-miʿṭār* (Leiden 1938) p. 35

الناحية: فحاصرها المرابطون ، وكان ألفونسو السادس يعلق عليها أهمية كبرى ، فأخذ الأهبة للمسير لدفاع المرابطين عنها ، وكانوا قد قضوا على الكثير من جندها وألجأوا البقية الى التحصن بقصبة البلد « فأشارت عليه زوجته أن يوجه ولده عوضاً منه ، فيكون مواجها لتميم ، لأن تميم ابن ملك المسلمين وشانجة ابن ملك الروم ، فسمع منها ، فبعث ولده شانجة فى جيوش كثيرة من زعماء الروم وأنجادهم » كما يقول ابن أبى زرع ؛ وكانت الوقعة حامية يذهب رواة المسلمين إلى أنه هلك فيها من النصارى ثلاثة وعشرون ألفاً ، وتقرر الروايات النصرانية أن سبعة من أكبر فرسان النصارى هلكوا فيها، ولهذا يسمونها « موقعة الأكناد السبعة (Batalla de los Siete Condes) ؛ وقد هلك فيها من المسلمين عدد عظيم كذلك ؛ وأراد تميم ترك البلد للنصارى والانصراف عنه لولا أن قواد لمتونة من المرابطين أصروا على الاستمرار فى القتال ، وقد مضوا فيه حتى انهزم القشتاليون انهزاما تاما (١٧ شوال ٥٠١ هـ / ٣٠ مايو ١١٠٨م) ، وقد قتل فى هذه المعركة « شانُجة » بن ألفونس وولى عهده ، وقد هاضت هذه الكارثة نفسه ، فتوفى بعدها بنيف وعام (٣ يونيو ١١٠٩/ ٢٩ شوال ٥٠٢ هـ)[1] .

وقد تشجع المرابطون بعد هذا النصر ، وأقبلوا فى سنة ٥٠٣ هـ/١١٠٩ — ١١١٠ م ، يقودهم على بن يوسف نفسه ، ووُجهتهم طليطلة ، وإقليمها ، فشنوا عليها غارات عنيفة ، واسترجعوا من كبار مدائنها « مجريط » ووادى الحجارة (Guadalajara) ، وحاصروا طليطلة شهرا دون أن يصلوا الى نتيجة ، وعادوا الى قرطبة بعد أن ألقوا الرعب فى نفوس أهل قشتالة وأمنوا خطرهم ، فانتهز على بن يوسف فرصة الهدوء فى هذه الجهة ، وأرسل قائده الأمير « سير بن أبى بكر » فى حملة عنيفة الى غرب الأندلس استعادت مدائن شنترين (Santarén) وبطليوس (Badajóz) وبرتقال (Oporto) ويابُرة

(١) وقد ذكر ابن أبى زرع خطأ أنه توفى بعد المعركة بعشرين يوما. روض القرطاس ، ص ١٠٣

Codera, *op. cit.*, p. 10, 239-242
Ballesteros: *Hist. de Esp.* II. p 232-233

(Evora) وأشبونة (Lisboa) (٥٠٤ هـ / ١١١٠م)[1]، وقد والى المرابطون الحملات على طليطلة خلال السنوات التالية كلها دون أن يصلوا الى نتيجة .

وكان مركز الاسلام فى شرق الأندلس قد تحسن تحسناً كبيراً بعد أن استعاد المرابطون بلنسية من النصارى فى سنة ١١٠٢ م . بعد أن أقامت هى وإقليمها تحت سلطان رودريجو دياذ دِ بيڤار المعروف بالسيد القمبيطور (El Cid Campeador) قرابة السنوات العشر (٤٨٦ هـ/١٠٩٣م — ٤٩٥ هـ ١١٠٢م) وقد استخلصها من أيدى رجال هذا المغامر القشتالى القائد المرابطى أبو عبد الله محمد بن مزدلى ، بعد كفاح طويل مرير مع زوج السيد «شمانة» (Chimena)وألفونس السادس، ولم يغادر النصارى بلنسية إلا بعد أن أشعلوا فيها النار ، وجعلوها كومة رماد[2] ، ولكن عودتها قوّمت الجبهة الاسلامية فى شرق الأندلس ، وفتحت الطريق أمام المرابطين لتأمين سرقسطة والثغر الأعلى ، وأمنت ما يليها إلى الجنوب من البلاد مثل مرسية ومالقة .

وكانت أحوال « سرقسطة » تسير فى ذلك الحين من سيء إلى أسوأ ، وكان أهلها قد سكنوا خلال المدة الماضية لما كان من همة أميرهم «المستعين» واقتداره على مصانعة «السيد» و«الفونسو السادس» والنجاة ببلاده من شرها. وقد أخذ المؤرخون عليه صداقته مع « السيد » وإيواءه إياه واستخدامه له في حروبه ، وأخذوا عليه كذلك وقوفه مكتوف اليد أمام ما كان « السيد » ينزله بأهل بلنسية من الويلات[3] ، ولكن الرجل لم يكن ليستطيع فعل شيء

---

(١) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٥

(٢) لا يتسع المقام هنا للكلام عن « السيد القمبيطور » وعلاقته بالمسلمين وفظائعه فى بلنسية . وقد انجابت الآن كثير من الشكوك التى كانت تحيط بحياة هذا الفارس القشتالى الذى جعلته أشعار الملاحم الاسبانية أعظم رجال عصره ، ثم جاء منندث بيدال فجعله أعظم أبطال التاريخ الاسبانى إطلاقاً فى كتابه المعروف La España del Cid وقد قرر فيه آراء تستدعى من جانبنا استدراكا شاملا .

(٣) راجع ما يقوله « ابن عذارى » فى القطعة التى نشرها ليفى بروفنسال من الجزء الرابع من « البيان المغرب » فى مجلة الأندلس :

LÉVI PROVENÇAL: *La Toma de Valencia por el Cid.* Al-Andalus. Vol. XIII, 1948, fasc. 1 p 123

لأنه كان بين المطرقة والسندان ، ولو اتفق «السيد» و«ألفونسو السادس» عليه لضاعت سرقسطة من ذلك الحين . ثم إن قوات المرابطين كانت بعيدة عنه فى مرسية ، ولم يكن فى استطاعتها الوصول الى بلاده . فلما توفى السيد فى سنة ٤٩٢ هـ/١٠٩٩ م ، أمن المرابطون بعض الشيء ، وبدأت آمالهم تعود فى الاستيلاء على شرق الأندلس كله ، وحمايته من أذى المغامرين من فرسان النصارى وملوكهم .

وتدل الدلائل كلها على أن المرابطين وجهوا معظم همهم فى ذلك الحين الى شرق الأندلس، فأقام على بن يوسف أخاه أبا الطاهر تميما عاملا على الاندلس ، وندب هذا أكبر قواده « محمد بن الحاج » قائداً لجيوشه فى الشرق وجعل مركزه مرسية ، وجعل معه نفراً من أكبر قواد « لمتونة » تذكر المراجع منهم محمد بن عائشة ومحمد بن فاطمة وأبا بكر ابراهيم بن تافلوت أو « تافلويت » وجعل مع كل منهم قطعة كبيرة من الجند يخرج بها للغزو فى نواحى سرقسطة وبرشلونة وما يليهما من أراضى النصارى ،وكان أبو بكر إبراهيم ابن تافلوت حاكما مدنيا لمرسية وإقليمها [١] .

وهلك المستعين بن هود — على ما مر — فى سنة ٥٠١ هـ ، وخلفه ابنه عبدالملك عماد الدولة ، ولم يكن من نسيج أبيه ، فبدأت مخاوف أهل سرقسطة تتزايد ، وكان عبد الملك شديد الخوف من أن يسير « المرابطون » من مرسية ويستولوا على بلاده ، فجعل يميل الى جيرانه النصارى ميلا قويا ، وخشى السرقسطيون مغبة ذلك ، فشرطوا عليه « ألا يستخدم الروم ولا يلابسهم ، فنقض بعد أيام يسيرة ذلك ، لما استشعر من ميل الناس الى الملثمين » [٢] .

وكانت الجبهة النصرانية قد جد عليها عامل جديد سيكون بعيد الأثر فى مصير الأندلس الاسلامى ، ذلك هو صعود « ألفونسو الأول » الملقب « بالمحارب » (Alfonso el Batallador) عرش أرغون سنة ٤٩٨ هـ/سنة ١١٠٥م، فقد كان فارساً جلداً متجدد الهمة شديد الطمع فيما

---

(١) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ١٠٤

(٢) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ص ٢٢٥

جاوره من بلاد المسلمين . وكان الى نشاطه وذكائه سعيد الحظ ، إذ أنه تزوج « أوراكا Urraca » ابنة ألفونس السادس الوحيدة ووارثة ملكه ، فلما توفى هذا انضمت ليون وقشتالة الى أرغون ودخلت فى طاعته كذلك إمارتا « جليقية » و « البرتغال » وكانتا تؤديان اليه الجزية ، فأصبح « ألفونسو المحارب » بهذا يملك معظم شبه الجزيرة ، لا يخرج عن سلطانه إلا قطلونية فى الشرق وبلاد المسلمين ، وكان قد ورث عن سلفه وأخيه « بدرو » الحماس المسيحى والرغبة فى الاستيلاء على ما بيد المسلمين من بلاد ، وكان « بدرو » قد حوّل الكفاح بين الاسلام والنصرانية فى شبه الجزيرة الى حرب صليبية ، لأنه « لما أسفرت الحرب الصليبية عن النجاح ، وفاز الصليبيون بافتتاح بيت المقدس ، أعلن البابا بسكال الثانى الحرب الصليبية فى إسبانيا ضد المسلمين ، وإذ كان النصارى الاسبان قد مُنعوا من مرافقة الصليبيين الى بيت المقدس ، فقـــد رأى بدرو ورعاياه أن يشهروا الحرب الصليبية فى إسبانيا ذاتها ضد (أعداء الدين) »[1]. بهذه الروح الجديدة سار ألفونسو المحارب فى حربه مع المسلمين ، وكانت وجهته من أول الأمر « سرقسطة » إذ كانت أعظم مدائن الشمال الشرقى ، وكانت تتراءى أمامه فريسة سهلة لا يكاد يعصمها منه غير « المرابطين » . وزاد طمعه فيها وفاةُ المستعين وقيام ابنه عبد الملك عماد الدولة بالأمر من بعده ، ولولم يُشغل ألفونس عن « سرقسطة » بما نشب من الحروب بينه وبين زوجته أوراكا وأنصارها ، لتقدم سقوط سرقسطة فى يده بضع سنوات .

ولم يكن لعبد الملك بن هود بد من مداراته . ويبدو أن عبد الملك أسرف فى المداراة والانكماش أمام الفونس المحارب ، فخشى المرابطون أن ينتهى الأمر بضياع « سرقسطة » ، فسير محمد بن الحاج قائده محمد بن فاطمة فى جيش صغير نحوها ، فلما اقترب منها خشى أهلها أن يسرع أميرهم بالاستنجاد بالنصارى ، فأشاروا عليه « بأن ينصرف عنهم . ولا يبدأ بالفتنة ، ويجنى عليهم

(١) اشباخ : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين (تعريب الأستاذ محمد عبد الله عنان) : ج ١ ص ١٤٦

استغاثة أميرهم بالروم ، فانصرف عنهم »[1]. وزادت مخاوف عبدالملك من ناحية المرابطين ، وعول على الاستنجاد بالروم رغم ما كان أهل البلد قد شرطوا عليه من عدم الاستعانة بهم أو محالفتهم ، وبلغ الخبر محمداً بن الحاج قائد المرابطين ، فأسرع بالسير نحو سرقسطة سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م ، وعجل عبدالملك بالاستعانة بألفونس ، فأسرع محمد بن الحاج وتمكن من دخول البلد واحتلاله ، وخرج عبدالملك بن هود إلى الشمال واستقر بحصن روطة (Rueda) تحت حماية الفونس الأول المحارب ملك أرغون ، وبذلك انتهى الدور الأول من تاريخ بني هود في سرقسطة ، وسيتجدد لهم الأمر في نواح أخرى من الأندلس في أواخر أيام الموحدين ، ويبدأ بذلك الدور الثاني من تاريخهم .

فلما تمكن الأمر للمرابطين في سرقسطة تجردوا لحرب رامون بيرنجير الثالث كونت برشلونة ، وكان من ألد أعداء المسلمين ، لا يزال يناجزهم ويعتدي على بلادهم ما أمكنته الفرصة ، فخرج محمد بن الحاج في حملة قوية نحو برشلونة في سنة ٥٠٨ هـ/١١١٤ م . وصاحبه القائد محمد بن عائشة ، ومر الجيش في طريقه إلى برشلونة بحصن ثرفيرا (Cervera)[1] فخربه ، ثم وصل إلى أحواز عاصمة قطلونية ، واجتهد المرابطون في تخريب أرباضها وزروعها ، وعجزوا عن الاستيلاء على البلد لحصانته ، وعادوا محملين بالمغنم الوافر ، ويبدو أن الغنائم كانت كثيرة جداً ، لأن محمداً بن الحاج أرسلها مع معظم الجيش على الطريق الكبير (الروماني ؟) ، أما هو ففضل أن يختصر الطريق مع ثلة مختارة من جنده فيهم محمد بن عائشة ، فسار في مفاوز وعرة ومضايق مليئة بالمخاطر ، فانتهز جند برجلونة الفرصة ، وكمنوا له عند ضائق وعر قريب من حصن كونجست دل مارتوريل (Congost del Martorell) وهاجموه « فقاتلهم قتال من أيقن بالموت ، واغتنم الشهادة ، إذ لم يجد منفذاً

---

(١) أخذت الاسم الصحيح لهذا الحصن من الرواية النصرانية ، وقد ذكر ابن أبي زرع في وصفه لهذه الحملة حصناً باسم « البرية » وربما كان هذا اللفظ تحريفاً من الناسخ لاسم الحصن .

انظر :

Codera : *Decadencia*... p. 21

وابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ١٠٤

(٢) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٠٢

يخلص منه ، فاستشهد رحمه الله . واستشهد معهم جماعة من المطوعة . وتخلص منهم القائد محمد بن عائشة نفر بالخيلة إلى بلاد المسلمين »[1] (٥٠٨ هـ / ١١١٤م)
فكانت لهذه الكارثة رجة كبرى فى بلاد الأندلس . وعجل الأمير على بن يوسف فأقام الامير أبا بكر بن ابراهيم بن تافلوت المسوفى[2] حاكم مرسية إلى ذلك الحين ، حاكما على شرق الأندلس . وقد أصيب محمد بن عائشة فى هذه المعركة اصابة لم يلبث أن فقد بصره بسببها فيما بعد[3].

وتجرد أبو بكر ابراهيم بن تافلوت لحرب برشلونة للأخذ بثأر هذه الهزيمة ، فجمع جنداً كثيرين وسار بهم الى بلنسية ثم الى سرقسطة ، وجمع من نواحيها من استطاع من الجند ، وسار فنزل ببرشلونة وضيق عليها وأنزل بمزارعها خرابا شاملا[4].

وكان الأمير علىّ بن يوسف قد عزل أخاه تميما عن ولاية الأندلس واستبدل به الأمير سير بن أبى بكر ، فأقام فى الولاية حتى وفاته سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م فولىّ حكم الأندلس مكانه الأمير محمد بن فاطمة ، فأقام حاكما الى أن توفى سنة ٥١٠ هـ / ١١١٦ م فخلفه فى هذا المنصب الكبير الأمير عبدالله مزدلى ، وكان من كبار قواد المرابطين ، فأبدى نشاطاً عظيما فى حرب النصارى ، ولم يقتصر جهوده على إقليمى طليطلة وغرب الأندلس كما كان سابقوه يفعلون ، بل اتجه بهمته الى الثغر الأعلى ، وكان الضغط النصرانى قد اشتد عليه من كل ناحية : كان الكونت رودريجو نونيث Rodrigo Nuñez (يسميه ابن أبى زرع « ابن الزند غرسيس ») صاحب « وادى الحجارة » قد سار الى « مدينة سالم » فحصرها ، فسار اليه عبدالله مزدلى واضطره الى الفرار تاركا عسكره وأثقاله ،

(١) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٤
(٢) يرد اسم هذا القائد عادة دون نسبه ، وقد عثرت على نسبته تلك عند ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ص ١٨٨
(٣) اختص ابن الأبار ابراهيم بن تافلوت بمادة من مواد « المعجم فى أخبار أبى على الصدفى » (ص ٥٥) منها نعرف أنه ابن يوسف بن تاشفين ، وأنه كان يعرف بابن تيفشت . ويسمى ابن الأبار هذه الوقعة « بوقيعة البورت » .
(٤) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٥

ثم توجه الى أقليم سرقسطة ليدفع عنه هجوماً عنيفاً قام به ألفونس الأول المحارب صاحب أرغون ، واشتبك أبو عبد الله مزدلى معه فى قتال عنيف استشهد فيه سنة ٥٠٨هـ / ١١١٥م[1] ولم تحدد لنا المراجع مكان ذلك اللقاء .
وفى هذه الأثناء كانت الحرب بين أبى بكر بن تافلويت قائد المرابطين فى سرقسطة وبين رامون برنجير صاحب برشلونة مستمرة على أشدها ، وانكسر المرابطون كسرة شديدة فى سهل برشلونة فى أواخر سنة ٥٠٨ هـ / ١١١٥ م . وبعد ذلك بسنتين توفى ابن تافلويت آخر كبار حماة شرق الأندلس من المرابطين[2] ، واشتد الضغط على سرقسطة وبدا بوضوح أن مصيرها الى النصارى (٥١٠ هـ / ١١١٧ م).

وفى أوائل سنة ٥١١هـ / ١١١٧م تحرج أمر المرابطين فى شرق الأندلس بل فى الأندلس عامة بعد أن تخطف الموت كبار قوادهم على ما رأينا ، وبعد أن استشهدت زهرة رجالهم فى ميادين الجهاد جماعة بعد جماعة ، فاضطر على بن تاشفين إلى الجواز بنفسه ، فأقبل إلى قرطبة فى صفر من ذلك العام ، وأقام محمداً بن عبدالله مزدلى على قيادة جيوش المرابطين فى سرقسطة وزوده بحشود من الجند والمطوعة . وكان « ألفونس المحارب » قد أقبل يحاصر سرقسطة وأذاق أهلها بلاء شديداً ، فلم يزل محمد بن مزدلى يدافعه عنها حتى ألجأه إلى رفع الحصار . وبعد عام من الصراع العنيف توفى محمد بن مزدلى ولم يتسع المجال أمام المرابطين لتولية خلف له ، فبقى البلد أعزل لا يكاد يحميه أحد . فانتهز ألفونس الفرصة وأقبل يحاصر البلد من جديد[3] (٥١٢هـ/١١١٨م).

وزاد طمع ألفونس حينما وجد إقليم سرقسطة خالياً من جند المرابطين ؛ فحاصر «لاردة» وكاد يستولى عليها ؛ فأرسل أهلها يستنجدون بعلى بن يوسف فبعث أخاه تميما وأقامه عاملا على شرق الأندلس ، فسار تميم فى جيش كبير

(١) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٥
CODERA : *Almorávides*... p. 249
(٢) ابن الخطيب ، الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) ورقة ٩٨
(٣) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٥
CODERA. *Almorávides*. p. 250

وسارمعه عمه يحيى بن تاشفين صاحب قرطبة ، وثبتوا لألفونس حتى أجبروه على رفع الحصار عن « لاردة » بعد أن فقد نحو عشرة آلاف من جنده[1] ومضوا يتعقبونه فى بلاده . ولم يستطع تميم الاستمرار فى القتال ، لأن أمور المرابطين اضطربت فى مراكش ، فاضطر إلى العودة إلى بلنسية ، ومنها رجع إلى مراكش ، وكان يقوم بأمر مرسية لعلى بن يوسف أخوه أبو إسحاق إبراهيم ، فأسرع إلى سرقسطة ليرقب أمورها بعد انصراف تميم . ولم يطل مقامه فيها ، وعاد إلى مرسية[2] وخلا الجو بذلك أمام « ألفونس المحارب » فعاد هذه المرة « فى أمم كالنمل والجراد ، فنزلوا معه بها ، وشرعوا فى قتالها ، وصنعوا أبراجا من خشب تجرى على بكرات . وقربوه منها ، ونصبوا عليها عشرين منجنيقا ، ووقع طمعهم فيها ، فاستمر الحصار عليها حتى فنيت الأقوات وفنى أكثر الناس جوعا . فراسلوا ابن ردمير (ألفونس الأول المحارب) على أن يدفع عنهم القتال إلى أجل ، فان لم يأتهم من ينصرهم خلفوا له البلد وأسلموها له ، فعاهدهم على ذلك ، فتم له الأجل ، ودفعوا إليه المدينة ، وخرجوا عنها إلى مرسية وبلنسية ، وذلك فى سنة اثنتى عشرة وخمسمائة ، وبعد دخولها وتملك النصارى إياها وصل من العدوة جيش من عشرة آلاف فارس لاستنقاذها ، فوجدها قد فرغ منها وملكها العدو ونفذ حكم الله فيها »[3] .

هكذا سقطت سرقسطة قاعدة الاسلام الكبرى فى شرق الأندلس ، وعجز المرابطون عن استردادها ، لأن أمور دولتهم كلها كانت قد اضطربت بسبب ظهور الموحدين واشتداد القتال بينهم وبين المرابطين فى افريقية .

وعلى رغم المصاعب التى أحاطت بعلى بن يوسف فقد عبر إلى الأندلس سنة ٥١٣هـ/١١١٩م ليغيث أهلها من ضغط أمراء النصارى فى كل ناحية ، وقد بذل على بن يوسف جهده ، وأقام أخاه تميما حاكما عاما على الأندلس من جديد ، فمضى هذا يشن الغارات على إقليم طليطلة ، ولم تعنه الظروف على الالتفات

(١) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٦

(٢) ابن الخطيب ، الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) ص ٩٨

(٣) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٦

إلى ناحية الشرق . وأقام أهل شرق الأندلس يلحون فى طلب النجدات حتى استمع اليهم تميم وبعث اليهم قوة مرابطية صغيرة يقودها الأمير أبو اسحاق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين ، وتحمس أهل شرق الأندلس حماساً عظيما وخرج كل من استطاع الخروج منهم حتى العلماء من أمثال أبى على الصدفى وأبى بكر بن العربى لم يترددوا فى اغتنام الشهادة . وكان ألفونس محاصراً «لقلعة أيوب» : فساروا نحوه : والتقوا معه عند بلدة (كتندة) على مقربة منها، وهناك دارت رحى معركة عنيفة انهزم فيها المسلمون هزيمة فادحة ، ومات من المطوعة بضعة آلاف فيهم أبو على الصدفى ، ويؤكد المقرى أن أحداً من جند المرابطين لم يهلك فيها . لأنهم تركوا المطوعة يصلون نيران المعركة وحدهم. (ربيع الأول أو الثانى سنة ٥١٤ هـ/ يونيو أو يوليو سنة ١١٢٠)[1].

ويكفى للدلالة على الصدى البعيد الذى كان لهذه الهزيمة فى بلاد المسلمين أن نذكر أن علياً بن يوسف جاز الى الأندلس بنفسه فى العام التالى (٥١٥ هـ ١١٢١ م) لكى يأخذ بثأر هذه الهزيمة : ولم يستطع التقدم نحو سرقسطة ، لأن الطريق اليها كان قد أقفل كما ذكرنا ، فاكتفى بمغازاة نواحى طليطلة والبرتغال وأثخن فيها واستولى على قلعة قلمرية Coimbra [2] على شاطىء المحيط الأطلسى . ثم عاد الى افريقية بعد ذلك تاركا أمور الاندلس لاخيه تميم وسنرى أن تميما سيحاول بعد ذلك الالتفات الى سرقسطة لاستنقاذها، ولكن محاولته ستكون هزيلة ، لأنه لم يجرؤ على الثبات للنصارى وانهزم أمامهم عند مكان يعرف بالقلعة أو القلاعة لم نستطع تحديد موقعه بالضبط (انظر مقدمة الوثيقة الثانية) .

(١) راجع عن معركة كتندة : ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٦ — ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٤ : — ابن الأبار : المعجم فى أخبار أبى على الصدفى . ص ٧ — المقرى ، نفح الطيب ، ج ٣ ص ٧٥٩ (طبعة القاهرة).
San Juan de la Peña, *Cronicon*, p. 68.
Zurita, *Annales*. Lib I Cap. XLIV.
Annales Compostelani Esp. Sagr. XXIII. p. 321.

(٢) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٦
أشباخ ، تاريخ الأندلس . . . . ص ١٥٣

وكانت لهزيمة كتندة القاسية نتائج بعيدة المدى في مصير « الثغر الأعلى » الأندلسي كله ؛ إذ أن استيلاء « الفونس » على هذا الحصن المنيع المجاور « لدروقة » قد سهل له الاستيلاء على هذا البلد الأخير وعلى حصن « قلعة أيوب » المجاور له ؛ وبهذا أصبح يسيطر سيطرة تامة على سهل الإبرو الأعلى ، ولم يعد من الميسور لجيوش المسلمين أن تتقدم لانقاذ سرقسطة ؛ وسترينا الوثيقة الثانية كيف أن المرابطين لم يجرؤوا بعد ذلك على مجرد الاقتراب من سرقسطة ، لأن « كتندة » « وقلعة أيوب » كانتا في يد هذا المحارب الأرغوني الذي لا يكل ، وكان يتظاً لا تغفل له عين عن حراسة بلاده ، كلما استولى على معقل من معاقل المسلمين اتجهت به الهمة الى الذي يليه .

وكانت تلك آخر محاولة جدية قام بها المرابطون لاستنقاذ سرقسطة ، ولم يحاول أحد من أمراء المسلمين استعادتها بعد ذلك على رغم ما بذل المرابطون والموحدون بعد ذلك من محاولات : لم يتسع الوقت أمام المرابطين لاعداد العدة لاستعادة هذا البلد الكبير ، لأن المعركة الطويلة بينهم وبين الموحدين كانت تشتد يوما بعد يوم ، فلم يعودوا يستطيعون إرسال جيوش كبيرة إلى الأندلس ؛ ولم يكن من المستطاع استعادتها إلا بجيش كبير ، لأن الفونس المقاتل صاحب أرجون أرصد قوته كلها للمحافظة على تلك الغنيمة العظيمة التي سقطت بين يديه ، وقد رأينا إصراره على أخذها وتركيز قواته كلها للفوز بها طوال نيف وعشر سنوات . ثم إن أهل الأندلس جميعاً ضاقت نفوسهم بالمرابطين ؛ وعما قريب تبدأ الثورة عليهم في كل بلد أندلسي ، ولن يدع هؤلاء الأندلسيون فرصة يسيئون فيها إلى المرابطين إلا ابتدروها ، وسيقف المرابطون في الأندلس موقف المدافع عن نفسه أمام مسلمي الأندلس . فكيف كان يتاح لهم التفكير في استنقاذ هذا المعقل الاسلامي الذي ضاع الى الأبد ؟

هكذا سقطت « سرقسطة البيضاء » درة « الثغر الأعلى » وطليعة حصون الاسلام في معركته الطويلة مع النصرانية في إسبانيا ، أضاعها الأندلسيون بما أسرفوا فيه من عداء المرابطين وأضاعتها المصادفة السيئة ؛ مصادفة ظهور الموحدين في ذلك الحين .

ولقد رأينا ما بذله المرابطون فى سبيل سرقسطة وشرق الأندلس: كم من جيش لهم هلك مناجزاً عن حومة الاسلام، وكم من قائد لهم سقط في سبيل سرقسطة ولاردة وبلنسية وغيرها من حصون الاسلام! ولكن شيئا من ذلك لم يُجْد؛ فقد كان قضاء الله قد سبق ولم تعد تنفع فى درئه حيلة.

أجل؛ ولم يفقد هؤلاء المرابطون المجاهدون رغم ذلك كله الأمل فى استنقاذ ما يمكنهم إنقاذه من حواضر الاسلام الأندلسى ونواحيه، ولم تكد تسنح لهم الفرصة حتى ابتدروها وأعانهم الحظ هذه المرة: ففي شعبان سنة ٥٢٤ هـ يوليو ١١٣٠ م. توفى عماد الدولة عبدالملك بن هود أمير سرقسطة الذى ذكرنا كيف ترك البلد عند استيلاء المرابطين عليه ولجأ الى حصن «روطة» المعقل الوحيد الذى بقى للاسلام من إمارة سرقسطة؛ وهناك أقام فى حماية «ألفونسو المحارب» صاحب أرغون، وخلفه ابنه أبو جعفر أحمد سيف الدولة[1]، الذى أبى — رغم سوء حاله وانضوائه تحت لواء ملك نصرانى — إلا أن يتخذ لنفسه لقباً خلافياً هو «المستنصر بالله» وهو لقب حالف الحظ السيء كلاً من اتخذه من خلفاء الاسلام! ويبدو أنه ضاق بسلطان «الفونس المحارب» عليه، فتركه ودخل فى تبعية خصمه الفونس ريموند يذ Alfonso Raymondez ملك قشتالة الذى تسميه المراجع العربية السليطين[2]، وكان المرابطون قد استولوا أثناء حملاتهم المتوالية على الثغر الأعلى على طرطوشة ولاردة وافراغة Fraga ومكناسة Mequinez[3]، ولم يستطيعوا الاستيلاء على «روطة» أكبر حصون هذه الناحية، لأن «المستنصر» نزل عنها لملك قشتالة الذى منحه عوضاً عنها «نصف طليطلة» كما تقول مراجعنا الاسلامية؛ والواقع أنه لم يعطه إلا بعض الأراضى المجاورة لطليطلة بصفة اقطاع.

وفيما بين سنتى ٥٢٥، ٥٢٦ هـ (١١٣٠، ١١٣١ م) استطاع «ألفونس المحارب» أن يستولى على طرطوشة ومكناسة بعد كفاح طويل. ثم توجه بقواته نحو

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ١١ ص ١٣

(٢) أشباخ: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين (ترجمة الأستاذ محمد عبد الله عنان) ج ١ ص ١٧٢

(٣) CODERA. *Almoravides*, p. 12-13

« إفراغة » وكانت كَوَكَبْر العقاب تشرف على نهر « أنجا » فحاصرها حصاراً شديداً ، وأسرع لنجدتها أمير مرابطي من قبيلة « مسوفة » سيكون له أثر عظيم في تاريخ الأندلس خلال عصر الموحدين وهو يحيى بن غانية جد بني غانية أصحاب الجزائر الشرقية ، وكان يلي بلنسية ومرسية لعلي بن يوسف ، وسار لنجدتها كذلك عبد الله بن عياض عامل المرابطين على « لاردة » . وانضمت الى قواتهما قوة كبيرة من المرابطين أقبلت من جنوب الأندلس ، وكان ألفونس قد عول على الموت أو الاستيلاء على « إفراغة » وأقسم على ذلك هو وعشرة من خيرة رجاله ، مما يدلنا على مقدار الحماس والتفاني الذي كان يعمر نفوس هؤلاء الأسبان في هذا الدور من صراعهم مع المسلمين . وبلغ من رغبته في استنفار قومه أن أمر برفات القديسين فأتى بها الى الميدان إذكاء لروح الحماس الديني في قلوب الرجال ، وجعل الأساقفة والرهبان يقودون بعض الصفوف ، حتى التهبت نفوس جنوده حمية ، وأقبلت قوات المرابطين واشتبكت معهم مرتين لم توفق في كليهما ، فوقع اليأس في قلوب أهل البلد وعولوا على التسليم ، ولكن ألفونس رفض وصمم على أن يفتح البلد بحد السيف .

وهنا ثارت نفوس أهل البلد المجاهدين ، واندفعوا يقاتلون قتال المستيئس ، وكر المرابطون على البلد مرة أخرى في عزمات قوية ، واستدرجوا الجيش الأرغوني الى كمين وضعوه في الطريق ، ثم انقضوا عليه من كل ناحية ، وامتلكوا زمام المعركة ومزقوا الجيش الأرغوني شر ممزق . وسقط من حماة النصارى وقوادهم وأساقفتهم في هذه المعركة نفر كبير في مقدمتهم « ألفونس المحارب » نفسه ، سقط تحت سيوف المرابطين[1] في ختام هذا الصراع الرهيب الذي احتدم بينهم وبينه عشرات السنين (٢٣ رمضان ٥٢٨ هـ - ١٧ يوليه ١١٣٤م).

(١) راجع عن موقعة إفراغة : الضبي : بغية الملتمس ، ج ١ ص ٩٥ ، ٤٠٦ — ابن الأثير، الكامل : ج ١١ ص ٢١ — ابن الخطيب ، الاحاطة (مخطوط الاسكوريال) ص ٢٨ — ابن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار ، ص ٢٤ — ٢٥

Cronica de Alfonso VII en *España Sagrada*, XXI pp. 339 sqq
Codera, *op. cit.* pp. 267-272

أشباخ ، نفس المصدر ، ص ١٢٢

هكذا فشل ملك أرغون فى الاستيلاء على إفراغة ولاردة ؛ وارتفعت الروح المعنوية للمرابطين وتجدد نشاطهم ، وبدوا كأنهم مبادرون الى الاقتراب من سرقسطة التى كانت قد أصبحت عاصمة أرغون ، ولكن الظروف لم تسعفهم ، ذلك أن الحظ عوض الجبهة النصرانية بملك آخر لا يقل نشاطاً ولا رغبة فى مغالبة المسلمين عن ألفونسو المحارب ، ذلك هو ألفونسو السابع ملك قشتالة وليون ابن الملكة أوراكا — التى ألممنا بطرف من أخبارها — من زوجها ريموند البرغونى . كان قد تولى عرش قشتالة سنة ٥٢٠ هـ/١١٢٦ م . بعد أن توفيت أمه الطموح التى قضت فى ميادين القتال معظم عمرها [١] ، ومن غرائب المصادفات أن عام ولايته كان عام وفاة أبى الطاهر تميم الذى ظل يقوم بأمر الأندلس خلال العشرين سنة الأخيرة ، خلا بعض فترات قصيرة ؛ وبوفاته أخذ أمر المرابطين فى الأندلس يهوى فى سرعة .

وليس هذا مقام ذكر ما تلا ذلك من أعمال المرابطين العسكرية فى الأندلس ، لأنهم سيظلون بعد ذلك قرابة السنوات العشر يحاربون النصارى ويغازون بلادهم دون أن يوفقوا إلا إلى قليل ، لأن شئون دولتهم فى افريقية كانت قد اضطربت اضطرابا زائداً ، ولأن أهل الأندلس المسلمين انقلبوا عليهم فى كل ناحية ، وقاموا عليهم يقتلونهم حيث وجدوهم ، وانتهى أمرهم فى الأندلس وفى المغرب كذلك نهاية محزنة : أبادهم النصارى والأندلسيون فى الأندلس ، وقضى على قواتهم الموحدون فى المغرب ، ولم يبق منهم إلا فرع بنى غانية المسوفيين الذين اعتصموا بالجزائر الشرقية وظلوا يناوئون الموحدين حتى أيام الناصر الموحدى .

ويهمنا من ذلك كله أن دولة الاسلام فقدت سرقسطة الى الأبد ، وسنرى فى الوثيقة الثالثة أن علياً بن يوسف كان مهموماً بأمرها يفكر فى استعادتها ، ولكن محاولاته كلها لم تسفر عن شيء .

وكان الفونس المحارب قد نقل عاصمة ملكه إلى سرقسطة بعد استيلائه عليها مباشرة وحول مسجدها الجامع الى كنيسة ، وأنزل فيها أعداداً عظيمة

[1] Ballesteros. *Historia de España*, II p. 137

من جنده و أهل أرغونة ؛ ومنحهم حقوقاً وامتيازات ، وتمكن خلال السنوات الثلاث التى تلت استيلاءه على سرقسطة من احتلال طركونة *Tarragona* عاصمة أسبانيا الرومانية ، وأعاد إليها أسقفيتها القديمة ؛ واستولى كذلك على « قلعة أيوب » ودروقة وتجرد للاستيلاء على بقية حصون « الثغر الأعلى » مثل تَوشْقَة وروطة ومكناسة فاستولى عليها ؛ كما ذكرنا . واستولى خلفاؤه على افراغه [1]. وبهذا انتهى الثغر الأعلى كله وأصبحت أقصى حدود الاسلام فى شرق الأندلس بلنسية ومرسية ، وستكونان مسرحاً لأحداث عظيمة وحروب طويلة بين النصرانية والاسلام فى عصر الموحدين .

(1) BALLESTEROS: *Hist. de Espana*, II pp. 327 sqq.

الوثائق

الوثيقة الأولى :

موقعة « أُقليش » من المواقع الكبرى فى عهد المرابطين ، وهى أحد الانتصارات الكبرى التى أحرزها هؤلاء اللمتونيون المتحمسون الذين خرجوا من مواطنهم فى إفريقية للذياد عن مصير الاسلام فى الأندلس . ويقول المؤرخ « يوسف أشباخ » فى « تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين » فى تقدير هذه الموقعة « ويمكن أن نعتبر انتصار المرابطين فى أقليش فى ٢٩ مايو سنة ١١٠٨ م (١٧ شوال سنة ٥٠١ هـ) ذروة سلطانهم فى إسبانيا : ومن ذلك التاريخ تنحدر قوتهم فى اسبانيا عاماً بعد عام ، وتعصف روح الخروج والثورة بسلطانهم فى إفريقية والأندلس . ويغدو سقوطهم فى القريب أمراً محتوما » (ج ١ ص ١٢٤ من ترجمة الاستاذ محمد عبد الله عنان) . ولدينا عنها تفاصيل كثيرة أوردتُها فى الفصل التاريخى السابق ، ولا نحتاج لجهد كبير لنستبين أن هذه الوثيقة تضيف الى معلوماتنا عن تفاصيل هذه الموقعة شيئا كثيراً جديداً .

والغالب أن « ابن شرف » كاتب الرسالة هو أبو الفضل جعفر ابن أديب إفريقية أبى عبد الله محمد بن شرف الجذامى من بلدة « بَرْجة » بالاندلس ، وكان من شعراء المعتصم بن صمادح صاحب المرية ، وقد أورد المقرى له فى « النفح » شعراً كثيراً وأخباراً متفرقة . والظاهر أنه دخل فى خدمة المرابطين بعد استيلائهم على « المرية » .

وقد أفرد ابن عبد المنعم الحميرى فصلا لأقليش فى « الروض المعطار » جاء فيه : « مدينة لها حصن فى ثغر الاندلس . وهى قاعدة كور شنتبرية وهى محدثة ، بناها الفتح بن موسى بن ذى النون ، وفيها كانت ثورته وظهوره فى سنة ١٦٠ هـ ثم اختار أقليش داراً وقراراً ، فبناها ومدنها ، وهى على نهر منبعث من عين عالية على رأس المدينة ، فيعم جميعها ، ومنه ماء حمّاماتها ، ومن العجائب البلاطُ الأوسط من مسجد جامع أقليش ، فان طول كل جائزة

من جوانبه مائة شبر وإحدى عشر شبرا ، وهى مربعة منحوتة مستوية الاطراف (ص ٢٨) .

وتقع أقليش Uclés اليوم فى مديرية قونقة Cuenca فى ناحية Tarancón فى إسبانيا كما ذكرنا .

cf. Levé Provençal: *La Péninsule Ibérique*.... p. 35 et n. 3

وقد أورد كثير من المؤرخين أوصافاً مختلفة للمعركة التى نحن بصددها ولكن الوصف الذى تقدمه هذه الوثيقة دقيق يعطينا صورة واضحة جداً عنها : فهو يصور لنا ترتيب الجنود فيها ثم يتتبع تطورها فى تفصيل عظيم القيمة من الناحية التاريخية .

رسالة

كتب بها الوزير الكاتب ابن شرف عن بعض
رؤساء الغرب (١) إلى أمير المسلمين (٢)
رحمه الله فى فتح أقليش أعادها الله (٣) بقدرته

أطال الله بقاء « أمير المسلمين وناصر الدين » (٤) : عماد الأنام وعتاد الاسلام ، السعيد الأيام ؛ الحميد المقام ، كبيرى بالقدر وظهيرى على الدهر . الذى أجله بحقه وأقر له بسبقه : وأدام خلوده مؤيد الارادة مؤيد السعادة مجدد النمو والزياده . والحمد لله الجبار القهار الذى شد الأزر وأمد النصر ، وأعطى الفلج عن قسر ؛ ففلق عنه يد الباطل، وفرق بين الحق والباطل ،

(١) كذا فى الأصل . ويراد به « المغرب » وكان هذا اللفظ يطلق على الأندلس أيضاً فى ذلك الحين .

(٢) على بن يوسف بن تاشفين .

(٣) لم يتم فتح « أقليش » فى هذه الحملة ، إذ بقيت قصبة البلد فى يد النصارى ، كما نرى ، ولهذا يقول : أعادها الله .

(٤) ما بين الشولات هو اللقب الرسمى الكامل لأمراء المرابطين

(٥) الكتاب صدر عن الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين حاكم الأندلس وقائد هذه الحملة .

والحمد لله الذى أسعد بدولة أمير المسلمين الأيام ، ونصر بسيفه الاسلام ، وغاظ به الكفار ، وجعل عليهم الكرة فولوا الأدبار . والله تعالى يُشفع سعوده ويضمن مزيده ، وينصر جنوده بمنه .

ولما أن وضعنى أمير المسلمين أدام الله نصره حيث شاء من آلة التشريف والعز المنيف ، وألحفنى من النعماء وأسحبنى أذيالها ، وصرف إلىّ من عدده وبلده ما أولانى نعمه ووالانى كرمه ، حفظتُ تلك الحرمة ، وشكرت لأستزيد من تلك النعمة ، وأخذت فى الاجتهاد فى الجهاد (ق ٥٤) تالقاً بسببه ، آخذاً بمذهبه ، وهيأت من ماله عندى جيشه الموضوع بيدى ، وأجبت داعي الله بأعظم نية على أكرم طية ، لعزمة بيمناء رأسها وعلى تقواه أساسها وأصلها . وسرت عن حاضرة أغرناطة حرسها الله فى العشر الأواخر من شهر رمضان المعظم [1] بجيش تصم صواهله وتطم كواهله ، راياته خافقة وعزماته صادقة ، ونبراته على ألسنة السعد ناطقة .

ومررنا من طاعة أمير المسلمين وناصر الدين على جهات سمعت منادينا ، وتبعت هادينا . وانقادت وراءنا أعدادٌ وأمداد ، برزواً من كمون ، وتحركوا عن سكون ، وأنخنا بناحية بَيَّاسة ، وقد توافد الجمعُ ومُلىء البصر والسمع .

وأخذت فى الرأى اخمَّرُه والعزم أضمره والذيل أشمره ، وجددت الاستخارة لله تعالى والاستجارة به ، وابتهلت إليه داعياً ضارعاً ، وعولت فى كل أمورى على حكمه خاضعاً متواضعاً .

ولحقنا بطرف بلاد العدو أبادها الله ، فوطئناها من هنالك ، وقد بان عنوان الأهبة ، والتأم بنيان الرتبة ، وسرنا بجيش يفيض فيضاً على أرض تغيض غيضاً ، ولسيول الخيل إغراق ، ولبروق البواتر إشراق ، وقد نطقت ألسنة الأعنة بقُدُمٍ قدمٍ ، وأشرقت كواكب الاسنة فى عتام القتام وسدت المَشْوَةُ كل نهج(١٥٥) وسبيل ، واستقلت الرايات عن كل قبيل بقبيل وأفضت

---

(١) سنة ٥٠١ هـ ١ مايو سنة ١١٠٨ م .

بنا الخيرة إلى المدينة الحصينة « أقيش » قاعدة القطر وواسطة الصدر، ذات العدد العديد والسور المشيد، فبدر السابق وشفع اللاحق.

وغدونا يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من شوال، فدرنا بها دور الحلقة بنقطتها، واكتنفناها اكتناف الشيخة لسبطتها، وبهت القوم، واتسع البحر عن العوم، وحاروا وخاموا، حين راموا، وجئنا بكل ضرب من الحرب، نخسف عاليها وننسف هاويها. ونلزها بالرماح، ونهزها هز الغصن في أيدي الرياح، حتى فض الختام وعض منه الإبهام، وعجل الله بالنصر وفتحها بالقسر، ونفخ في صورهم، ودارت دائرة السوء بدورهم، ومحقتهم السيوف محق الرباء، وأذرتهم ريح النصر فصاروا هباء، وبطحوا بطح زرع الحصيد، وبسطوا بسط كلب الوصيد، وأخذتهم فجأتنا أخذة، ونبذت بهم سطوتنا نبذة، فخروا إلى الأذقان، وسيقوا إلى الموت والإذعان، فما كدنا ننزل حتى كدنا ذلك المنزل، وما أنخنا حتى رضخنا، ولا وصلنا إليه حتى حصلنا عليه، فوردنا ما أردنا.

ولما استحر فيهم القتل، واجتث منهم الأصل، وضاق بهم المزدحم، وغص ذلك الملتحم، قصر الوقت المبغت وشغل الأخيذ (ف ٥٥) عن المفلت، وألهى الكثير عمن قل، ونام الجم الغفير عن الفل، وعاذت[1] بقاياهم بقصبة المدينة فولجوها كما يلج العصفور، ويقوم العثور، قد غلقوا الأبواب، وأسدلوا الحجاب. ونحن نصل الجد ونوحر [ ][2] لأفل غرب، ولأمكث حرب، تجتث الجرائم، ونحتز الغلاصم، ونخرب الديار وبنيانها، ونهدم البيع وصلبانها، ونتتاحف بهدايا السبايا، ونتكاشف عن بقايا الخبايا، ونصرح[3] بنيانا صدعته الحتوف وغلبته السيوف، فلا طلاله هدم وعلى رسومه ردم، حتى علا على الشرك الإيمان، وبدل الناقوس بالأذان، وزحزحت الهياكل عن موضعها، وطرحت

---

(١) في الأصل « عادت ».

(٢) كذا في الأصل من غير نقط يعقبه بياض بقدر كلمة.

(٣) في الأصل: ونتتحفوا وتتكاشفوا، نصرحوا، وهي أخطاء وقع فيها الناسخ نتيجة للإملاء، وهذه الظاهرة تدل على أن أهل الأندلس كانوا يضغطون على أواخر الكلمات، وتلك حقيقة نطقية (مونيتيكية) جديرة بالملاحظة.

النواقيس عن بيعها ، ولاذ بنا من هنالك من المسلمين عائذين بنا مستسلمين لنا، فناشدونا بالملة وحرمتها ، وكشفوا لنا عن الخلة وسدتها ، وفروا من الحملة إلى الحملة ، فأوينا شاردهم ، وأقمنا قاعدهم ، فانجابت كربتهم ، وعادت بعد البوار ومجاورة الكفار بشر دارملتهم ، وأنار لهم الاسلام على منار الايمان المجدد ، واشتهر فيهم التوحيد اشتهار الحسام المجرد ، وكشف الدين عن مضمره ، وخطب الحق المبين على منبره .

وأقمنا بقية يومنا على ذلك إلى أن خام النهار ، وحان من الشمس الاصفرار ، فعند ذلك أرحنا البواتر ، وغيضت تلك الدماء الهوامر (٥٦ ا) وغدا الخميس فى الخميس ، مبنياً على ذلك التأسيس ، يجر أذيال الظفر فى العدد الأوفر ، يشفع الأولى بالتوالى ، ويشترى العولى بالعوالى ، فأصبحنا فى عز وأنس ، وأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم كأن لم يغنوا بالأمس .

وتضامت تلك العصبة إلى تلك القصبة ، والقوم فى السجن ، والحصن فى الحصر ، كالواحد فى العالم ، والاصبع فى الخاتم ، « والحصور مأسور وصاحب الحائط مقهور»[1] ، ولم تزل نوسعهم قتالا ونوسعهم ضرباً ونكالا مسافة اليوم إلى أن جزر النهار مده ، وبث الليل جنده ، فعدنا إلى محلنا وقد أمل الكال أينه ، وغلبت الساهر عينه ، وكنت لم آل احتراساً للمحلة بطلائع تحرس جهاتها وتدرأ آفاتها ، وفى القدر ما يسبق النذر ويفوت الحذر ، ولكن كفاية الله خير من توقينا .

وكان الطاغية [2] زاده الله ذلا قد حشد أقطاره وحشر أنصاره . وأبعد فى الاستصراخ مضماره ، وعبأ جيشاً قد أسرا إلى ذمر [3] ، وانطوى على غمر ، فأقدم وصمم ، وبئس ما تيمم ، فاستسلمت جماعتهم على ابن الطاغية

(١) يبدو أن هذا كان من الأمثال الأندلسية .
(٢) يريد ألفونس السادس صاحب قشتاله وليون .
(٣) كلمة لم أستطع قراءتها والذمر زأر الأسد .

اذفونش[1] وصاحب شوكتهم ألبرهانس[2] والقمط بقبدرة[3] وقواد بلاد طليطلة وصاحب « قلعة النسور » و « قلعة عبد السلام » ؛ وكل قاص ودان ، (٥٦ ف) وعاجل وأخزى الله جميعهم، وطل نجيعهم ولا أقام صريعهم .

وهذا دعاء لو سكت كفيته   لأنى سألت الله ربى وقد فعل

وطرقوا من طرف مجتمعهم يريدون الغرة ، ويظهرون صلعاً تحت الغرة ؛ وتقدموا فتندموا ، ودنوا فهووا . ووصلوا فحملوا ، وأرسل الله تعالى من جنده فتى كانوا قد سبوه صغيراً واقتنوه أسيراً ، ولله تعالى فيه خبأة أعدها من عنده وبعثها لجنده ، ونزع[4] الفتى إلينا من معسكرهم منبئاً بهم دالا عليهم . وكاشفا بهم عن النبأ العظيم . ومطلعاً منهم على المقعد المقيم ، فعند ذلك ثارت ثائرتنا ، ودارت على مركز التوفيق دائرتنا ، وقام القاعد وأشار البنان والساعد ، وتضام القريب والمتباعد ، والليل قد هدأ ، والصبح

---

(١) الاشارة هنا إلى « سانشو » وحيد أنفونس السادس الذى قتل فى هذه المعركة .

(٢) البرهانس هى الصيغة العربية للفارس القشتالى المعروف Álvar Hañes ابن عم السيد القمبيطور وعدوه اللدود فيما بعد ، ونصير أنفونس السادس صاحب قشتالة وليون فى كل حروبه ، وقد اشترك فى جميع المواقع التى وقعت بين أنفونس والمرابطين ، وقد كان من كبار فرسان قشتالة فى معركة « أقليش » وانهزم مع من انهزم ، وخسر اقطاعيته فى قرية توريتا Zorita حينما استولى المرابطون على قونقة Cuenca بعد انتصارهم فى أقليش ، وقد أقامه الفونس بعد ذلك حاكما لطليطلة ، فقام بالدفاع عنها حينما حاصرها «المرابطون» فى سنة ٥٠٢ هـ/ ١١٠٩م . وقد توفى سنة ١١١٤م على يد أهل شقوبية Segovia فى الحروب التى استعرت بين الفونسو المقاتل صاحب أرغون والملكة « أوروكا » صاحبة ليون وقشتالة .

cf: MENÉNDEZ PIDAL: *La España del Cid*. II p. 626

(٣) الاشارة هنا إلى الكونت « جارثيا ردكبرا » Garcia de Cabra مؤدب الأمير « سانشو » الذى قتل فى المعركة .

cf: BALLESTEROS: *Hist. de España* II. p. 323.

(٤) لفظ « نزع » هنا مستعمل استعمالا خاصاً ، لأن « النازع » فى الاصطلاح الأندلسى هو الجندى الذى يندس فى جيش الأعداء أو يدخل معهم حصنهم متنكراً فى زيهم حتى يتعرف أخبارهم أو يثبط هممهم ، ثم ينزح إلى قومه ساعة الحاجة إليه أو بعد سقوط الحصن ، وكان فى الأنظمة الحربية الأندلسية ديوان خاص لهؤلاء يعرف «بديوان النزاع » .

قد بدأ . والدياجير ممدودة السرادق ، مجموعة الغيالق . ولا جار إلا الفاسق [1] ولا مار إلا السما والطارق ، وكنت قد استدنيت القائدين المجربين ذوى النصيحة والآراء الصحيحة « أبا عبد الله محمد بن عائشة » وأبا محمد عبد الله ابن فاطمة [2] وليّي أعزهما الله . فجلا فى مضمار وساع واضطلاع ، بذرع وذراع ، فاجتمعنا على كلمة الله متعاقدين ، وخضعنا إلى حكمه مستسلمين ، فعند ذلك حل يده المحتبى ، وقيل ياخيل الله اركبى ، فعادت الآراء بالرايات ، وحكمت النهى فى النهايات (١٥٧) والأسنة تجول [3] فى آمادها ، والنصول تصول فى أغمادها . وثرنا كما ثار الشهم بفرصته ، وطار السهم لفرضته [4] ، وأمرت رجالا بلزوم المحلة فسدوا فرج أبوابها ، ولاذوا بأوتادها وأسبابها ، فداروا بها دور السوار ، وانتظموها انتظام الأسوار ، قد شرعوا الأسنة من أطرافها ، وأجالوا البواتر فى أكنافها وأضاقوا الأفنية ، وقاربوا بين الأخبية . وعبأنا الجيش يمناه ويسراه ، وصدره ولهاه ، وساقته وأولاه .

ونهضنا بجملتنا من محلتنا ، والصبر يفرغ علينا لامه ، والنصر يبلغ إلينا سلامه ، وتوجهنا إلى الله نقتفى سبيله ، ونبتغى دليله ، فما رفع الفجر من حجابه ، ولا كشر الصبح عن نابه ، حتى ارتفعت ألوية الدين سامية الأعلام ، واتسعت أقضية المسلمين ماضية الأحكام ، وقيض الليل خمسه ، وفضح الصبح نفسه ، ولسن السنان لمعان ، ولشباب العراك ريعان ، ولاخفاق الأعلام ضراب أو طعان .

---

(١) أى العدو .

(٢) لم نعلم إلا من هذه الوثيقة أن هذين القائدين المرابطين الكبيرين حضرا هذه المعركة .

(٣) فى الأصل : وإلا يحول .

(٤) فى الأصل من غير نقط ، وقد جاء فى لسان العرب : « وفرضة النهر ثلمته التى منها يستقى ، وفى حديث موسى عليه السلام : « حتى أرفأ به عند فرضة النهر أى مشرعته . وجمع الفرضة فرض ، وفى حديث ابن الزبير : واجعلوا السيوف للمنايا فرضا أى اجعلوها مشارع للمنايا وتعرضوا للشهادة » (ج ٩ ص ٧١) ولهذا قرأتها : فرضة .

وعند ذلك نجم « العجم » فى سواد الليل وإزباد السيل ، يهطعون إلى داعيهم ، ويهرعون إلى ناعيهم ، فى دروع كالبوارى ، ورماح كالصوارى كأنما شجروا باللديد ، وسجنوا فى الحديد ، يزحفون والحين يعجلهم ، ويركبون [والموت] يؤجلهم ، يتلمظون تلمظ الحيات (٥٧ ب) قد تحالفوا أن لا يتخالفوا ، وتبايعوا أن يتشايعوا ، ووصلوا إلى مقدمتنا ، وكان هنالك القائد « أبو عبد الله محمد بن أبى زَنْـبِقى »[1] مع جماعة ، فصدمهم العدو بصدور نَمِـرة وقلوب أشرة ، فأنحوا بكلاكل أورموا بجندل ، وشدوا فاردوا ، وصادروا فما صدوا ، وتقهقر القائد « أبو عبد الله » غير مُوَلٍّ وتراجع غير مخل إلى أن اشتد منا بطود ، وزحم من جيشنا بعَوْد .

فتراءى الجمعان ، وتدانى العسكران ، وأمسكنا ولا جُبْن ، ووقفنا والأناة يمن ، فعند ذلك ثار النصر فمدَّ بمناه ، وأتى الصبر فأشرق محياه ، ونزلت السكينة ، وأخلصت القلوب المستكنة ، واهتزت الفيالق مائجة ، وهدرت الشقاشق هائجة ، وجحظت العيون غضباً ، وطلبت البواتر سبباً ، وأذن الحديد بالجلاد ، وبرزت السيوف عن الأغماد ، وتساهلت الخيول وتطاولت القبول ، فعند ذلك تواقف القوم كوقفة النفر ، بين الورد والصدر ، فبرز فارس من العرب[2] . فطعن فارساً منهم فأذراه من مركبه ، ورماه بين يدى موكبه ، فانتهج ، ما ارتج ، وانفتح المبهم وأفصح المعجم ، فعند ذلك اختلطت الخيل ، بل سال السيل ، وأظلم الليل ، واعتنقت الفرسان ، واندقت الخرصان[3] ودَجَا ليل القتام ، وضاق مجال الجيش اللهام ، واختلط الحسام بالأجسام ، والأرماح (٥٨ ا) بالأشباح ، ودارت رحى الحرب تَعْثُر بنكالها ، وثارت ثائرة الطعن والضرب تفتك بأبطالها ، فثغر الصدور ابتراد ، ولجزم القلوب

(١) هذه هى المرة الأولى التى يرد فيها ذكر هذا القائد المرابطى .

(٢) للمرة الأولى يرد ذكر « العرب » فى القتال فى الأندلس فى ذلك العصر ، والغالب أنه نفراً من العرب الهلاليين ، الذين كانوا فى المغرب إذ ذاك ، عبروا مع المرابطين إلى الأندلس للاشتراك فى الحروب مع النصارى ، وسيشترك هؤلاء العرب فى تلك الحروب بشكل ظاهر أيام الموحدين .

(٣) جاء فى اللسان (ج ٨ ص ٢٨٧) خرصان : جمع خرص سنان الرمح ، أو هو الرمح نفسه .

انتهاء ، ؟ فلا وضَحَ النهارُ ، ولا مسخ الغبارُ ، حتى خضعت منهم الرقاب ، وقبلت رؤوسهم التراب ، واتصل الهلاك بالشرك ، وعادت الضالة إلى المالك ، وقُلِم ظفر الكفر ، وطالت أيمان الإيمان ، وفر الصليب سليباً ، وعجم عود الإسلام فكان طيباً [1] ، وغمرهم الحتف فهمدوا ، وأطفأهم الحَين فخمدوا ، ومات جاهم بل كلهم ، وما نجا إلا أقلهم ، وحانوا فبانوا ، وقيل كانوا ، وكشفت الهبوات . وانجلت تلك الهنات ، عن رسوم جسوم قد قصفتها البواتر ، ووطئتها الحوافر ، خاضعة الخدود عاثرة الجدود ، وأخذت ساقتنا فى الطلب وضم السلب إلى السلب . وملئت الأيدى بنيل وافى الكيل ، خيلا وبغالا وسلاحاً ومالا ، ودروعاً أكلّهم حملها ، وأثقلهم جملها ، فساءت ملبساً وصارت محبساً ، فطرحوها كأنهم منحوها ، وألقوها كأنهم أعطوها احتزناها نهباً ، وأخذناها كأن لم تكن غصباً ، لقطة ولا نكر ، وعطية ولغيرهم شكر ، ثم أمرت بجمع الرؤوس ، فاحتيزت الدانية وزُهد فى جمع النائية ، فكان مبلغها نيفاً على ثلاثة آلاف منهم غرسية أوردونش [2] والقومط (٥٨ب) وقواد بلاد طليطلة ، وأكابر منهم لم يكمل الآن البحث عنهم [3] ، فكانت كالهضب الجسم ، بل الطود العظيم ، وأذن عليها المؤذنون ، يوحدون الله ويكبرون ، فلما جاء نصر الله ، ووهب لنا فتح الله ، شكرنا مولى النعم ومسديها ، ومعيد المنن ومهديها ، وصدرتُ غانماً وأبت سالماً ، وبقى القائدان محاصرين لحصن أقليش آخذين بمخنقهم ، مستولين على رمقهم .

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعلها « صليباً » .

(٢) هو الكونت Garcia Ardoñez قائد قشتالى آخر من كبار من قتلوا فى هذه المعركة ، وكان من فرسان « سانشو الثانى » ملك ليون ثم أصبح من أتباع الفونس السادس صاحب ليون وقشتاله ، وحارب مع السيد حينا وضده حينا ، واشترك فى معارك كثيرة ضد المرابطين ، فكان من المدافعين عن حصن ليبط Aledo ، وانهزم أمامهم فى موقعة « الكراز » Alcoraz ، واشترك فى الهجوم على سرقسطة بعد ذلك ، ثم لقى مصرعه فى موقعة « أقليش » هذه .

cf : Menendez Pidal : *La España del Cid*, index

(٣) هذه العبارة تدل على أن هذا الكتاب كتب فى غد الموقعة مباشرة .

نخاطبت أمير المسلمين أدام الله سروره ووصل حبوره ، معلما بالأمر ، مهنيا بالنصر ، فلنحمد الله عز وجل على ما وهب ، ونشكره على ما سنى وسبب والله يتكفل بالمزيد ويشفع القديم بالجديد ، ويمن بالظفر والتأييد ، فهو ولى الامتنان والملى بالفضل والإحسان ، لارب غيره ولا معبود سواه .

الوثيقة الثانية :

واضح من عنوان هذه الرسالة أنها كتبت بعد سقوط سرقسطة فى يد ألفونس المقاتل بسنوات ، وعند مقارنتها بالوثيقتين التاليتين يتضح أنهما نتيجة لهـا ، ولمـا كان تاريخهما هو سنة ٥٢٣ هـ/١١٢٩ م . فاننا نستطيع أن نقرر أنها كتبت فى ذلك العام نفسه . ولاشك فى أن أهل سرقسطة كتبوا استغاثات كثيرة مثل هذه ، ولكن شيئاً منها لم يصل إلينا ، ومن هنا كانت قيمتها التاريخية ، إذ أنها صوت الجماعة الاسلامية فى سرقسطة بعد أن صارت فى أيدى النصارى بسنوات . وعلى الرغم من إسراف كاتب الرسالة فى المحسنات البديعية وتضييعه علينا بذلك أهم ما كنا ننتظره منه ، وهو وصف حال البلد فى ذلك الحين وصفاً واقعياً ماديا ، كما فعل محمد بن علقمة عندما وصف لنا حال أهل بلنسيه فى يد السيد القمبيطور فى كتابه « البيان الواضح عن الملم الفادح » بالرغم من ذلك لم تخل الرسالة من إشارات على أعظم جانب من الأهمية ، وهى علاوة على ذلك تصور لنا حالة اليأس الشامل الذى وقع فيه أهل هذا البلد بعد أن انقطعت الصلة تماما بنهم وبين إخوانهم المسلمين فى كل ناحية ، ولهذا كله فهى جديرة بالدراسة ، وقيمتها التاريخية عظيمة ، أما قيمتها كنص أدبى فلا تحتاج إلى بيان .

وقد حاولت أن أتعرف على شخصية ثابت بن عبد الله كاتب هذه الرسالة ، فلم أجد له ذكراً فى مراجعنا الأندلسية ، وهذا هو المنتظر ، لأنه كان من هذه الجماعة الاسلامية السرقسطية التى قدرلهـا أن تنفصل عن العالم الاسلامى انفصالا تاما ، وتختفى فى العالم النصرانى شيئاً فشيئا .

رسالة *

كتب بها قاضي سرقسطة والجمهور فيها إلى
الأمير أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين [١]
حين حاصرها ابن رذ رمير[٢] واستغلبها [٣] أعادها الله

من ملتزمي طاعة سلطانه ومستنجديه على أعداء الله ثابت بن عبد الله [٤] وجماعة سرقسطة من (الجمهور)[٥] فيها من عباد الله .

أطال الله بقاء الأمير الأجل ، الرفيع القدر والمحل ( ) [٦] لحرم الاسلام بمنعه (١٥٩) ( ) [٧] من كرب عظيم على المسلمين يزيحه عنهم ويدفعه .

(كتـ) ابنا أيدك الله بتقواه ، ووفقك لاشتراء دار حسناه بمجاهدة عداه ، يوم الثلاثاء السابع عشر من الشهر المبارك شعبان [٨] ، عن حال قد عظم بلاؤها ، وأدلهمت ضراؤها ، فنحن في كرب عظيم وجهد أليم ، قد جل العزا (ء وعظم) الخطب ، وأظلنا الهلاك والعطب ، فيا عوثاه ! ثم ياغوثاه ! الى الله دعوة ( )تن

* صفحة ٥٨ ب مخطوط رقم ٤٨٩

(١) عامل الأندلس لعلي بن يوسف بن تاشفين في ذلك الحين .

(٢) ويكتب في بعض النصوص : « ابن ردمير » و « ابن رذمير » وهي صيغة أقرب إلى الصحة ، لأن الصيغة الأصلية لهذا الاسم Rudumir وهو من أسماء الجرمان ، وقد حرفه الاسبان إلى Ramiro ، فالصيغة العربية هي هذا أقرب إلى الأصل الجرماني من الصيغة الاسبانية . والمراد بابن « رذمير » هنا الفونسو الأول ملك أرغون وليون وقشتالة الملقب « بالمقاتل » *El Batallador* .

(٣) أي « واستولى عليها » مما يدل على أن هذا الكتاب كتب بعد سقوط البلد في يد النصارى سنة ٥٠٢ هـ .

(٤) ليست لدينا أي معلومات عن هذه الشخصية ، وواضح أنه قاضي البلد ، مما يدل أن على قاضي البلد كان لا يزال معتبراً رئيس جماعتها كما كان الحال في المدن الاندلسية .

(٥) في الأصل : « الجل » .

(٦) هنا كلمة ناقصة في معنى « حماية » .

(٧) بياض في الأصل ، الكلمة الناقصة في معنى : « ودرعا » .

(٨) لم يحدد لنا الكتاب السنة التي كتب فيها ، والغالب أنه صدر بين سنتي ٥٢٠ — ٥٢٣ هـ ، لأن الرد عليه تاريخه سنة ٥٢٣ هـ .

دعاه [1] وأمله لدفع الضرر ورجاه ، سبحانه المرجوّ عند الشدائد ، الجميل الكرم والعوائد ، ويا لله ! ويالِلاسلام ! لقد انتهك حماه ، وفضت عراه ! وبلغ المأمولَ من بيضته عداه ، ويا حسرتاه على حضرة قد أشفت على شفى الهلاك ! طالما عمرت بالايمان وازدهت باقامة الصلوات وتلاوة القرآن ، ترجع مراتع للصلبان ومشاهد ذميمة لعبدة الأوثان . ويا ويلاه على مسجد جامعها المكرم ! وقد كان مأنوساً بتلاوة القرآن المعظم ، تطؤه الكفرة الفساق بذميم أقدامها ، ويؤملون أن يدنسوه بقبيح آثامها ، ويعمروه بعبادة أصنامها ، ويتخذوه معاطن لخنازيرها ومواطن لخماراتها ومواخيرها [2] . ثم يا حسرتاه ! على نسوة مكنونات عذارى ، يُعدن فى أوثاق الأسارى ، وعلى رجال أصبحوا حيارى بل هم سكارى وما هم بسكارى ، ولكنّ الكرب الذى دهمهم شديد والضر (٥٩ ب) الذى مسهم عظيم جهيد ، من حذَرهم على بنيات — كن من الستر نجار الوجوه [3] — أن يروا فيهن السوء والمكروه ، وقد كن لا يبدون للنظار ، فالآن حان أن يبرزن إلى الكفار ، وعلى صبية أطفال قد كانوا نشئوا فى حجور الايمان ، يصيرون فى عبيد الأوثان أهل الكفر وأصحاب الشيطان .

فما ظنك أيها الأمير [4] بمن يلوذ به بعد الله الجمهور بأمة هى هى وقايد هذه العظائم الفادحة والنوائب الكالحة ؟ هو المطالَب بدمائها إذ أسلمها

---

(١) كذا فى الأصل ، والغالب أن صحة اللفظ الناقص : «مؤمن» .

(٢) هذا يدل على أن مسجد سرقسطة الجامع كان قد تم تحويله إلى كنيسة قبل تاريخ الخطاب ، أى قبل سنة ٥٢٣ هـ . مما يدل على أن الفونسو المقاتل لم يكد يدخل البلد حتى خالف الشروط التى كان قد عاهد المسلمين عليها .

(٣) كذا فى الأصل ، ولعل صحتها : « نجيبات » أو « مخدرات » .

(٤) هنا يبدأ الجزء الثانى من الخطاب : جزء مهاجمة المرابطين ولومهم وتحميلهم مسئولية كل ما يصيب الاسلام فى الأندلس من المصائب . وقد كانت للأندلسيين على المرابطين جرأة بلغت حد الاهانة فى كثير من الأحيان . وواضح أن الأندلسيين لم يكونوا يحترمون المرابطين ، بل كانوا يكرهونهم ، ولم يكونوا يتوجهون اليهم فى طلب العون إلا تحت ضغط الحاجة .

فى آخر ذمائها، و تركها أغراضاً لأعدائها ، حين أحجم عن لقائها [١]،
فالى الله بك المشتكى ثم إلى رسوله المصطفى ثم إلى ولى عهده أمير المسلمين المرتضى،
حين ابتعثك بأجناده وأمدك بالجم الغفير من أعداده نادباً لك إلى مقارعة العدو
المحاصر لهـا وجهاده ، والذب عن أوليائه المعتصمين بحبل طاعته والمتجملين
السبعة الأشهر الشدائد الهائلة فى جنب موالاته ومشايعته، من أمة قد نهكهم
ألم الجوع وبلغ المدى بهم من الضراء حيع، قد برح بهم الحصار، وقعدت عن نصرتهم
الأنصار ، فترى الأطفال بل الرجال جوعاً يخرون، يلوذون برحمة الله ويستغيثون،
ويدمنون مقدمك بل يتضرعون، حتى كأنك قلت اخسأوا فيها ولا تكلمون!
وما كان إلا أن وصلت وصل الله ركك بتقراء على مقربة من هذه الحضرة،
ونحن (١٦٠) نأمل منك بحول الله أسباب النصرة بتلك العساكر التى أقر الله
بهاؤها وسر النفوس زهاؤها ، فسرعان ما انثنيت وما انتهيت! وارعويت
وما أدنيت! خايباً عن اللقاء ناكصاً على عقبيك عن الأعداء؛ فما أوليتنا غناءً
بل أوليتنا بلاءً وعلى الداء داء بل أدواء، وتناهت بنا الحال جهداً والتواء
بل أذللت الاسلام والمسلمين واجترحت فصيحة الدنيا والدين!

فيا لله ويا للاسلام! لقد اهتضم حرمه وحماه أشد الاهتضام! إذ أحجمت
أنصاره عن إعزازه أقبح الاحجام، ونكصت عن لقاء عدوه وهو فى فئة
قليلة وأمة رذيلة، وطائفة قليلة يستنصر بالصلبان والأصنام، وأنتم تستنصرون
بشعائر الاسلام، وكلمة الله هى العليا ويده الطولى، وكلمة الذين كفروا
السفلى، وإن من وهن الإيمان وأشد الضعف الفرار عن الضعف، فكيف
عن أقل من النصف [٢]؟ فما [٣] قبح من رضى بالصغار وسيم [٤] خطة

---

(١) هنا يدعى أهل سرقسطة على المرابطين تهمة لا أساس لها : تهمة الاحجام عن لقاء النصارى ، وقد أثبتنا فى المقال أن المرابطين بذلوا فى سبيل الاسلام الأندلسى ما لم يبذله غيرهم ، وقد كانت الحرب بينهم وبين الموحدين إذ ذاك على أشدها ، وقعودهم عن عون سرقسطة إنما كان سببه سوء ظروفهم ، لا الاحجام عن لقاء النصارى . وسنرى من بقية الخطاب ، أنهم حاولوا انقاذ البلد رغم ذلك .

(٢) ربما أعانتنا هذه الاشارة على تحديد تاريخ هذا الخطاب .

(٣) كذا فى الأصل ، والغالب أن صحتها : « فيا » .

(٤) فى الأصل « وسيما » وهى غلطة وقع فيها الناسخ نتيجة الاملاء ، وهى تؤيد ما أشرنا إليه من ضغط الأندلسيين على أواخر الكلمات .

الخسف، فما هذا الجبن والفزع ؟ وما هذا الهلع والجزع ؟ بل ما هذا العار والضبع ؟ أتحسبون [1] يامعشر المرابطين، وإخواننا فى ذات الله المؤمنين، إنْ سبق على سرقسطة القدَر بما يتوقع منه المكروه والحذر، أنكم تبلعون بعدها ريقاً، وتجدون فى سائر بلاد الأندلس — عصمها الله — مسلكا من النجاة أو طريقاً ؟ كلا ! والله ليسومنكم الكفار عنها جلاء وفراراً (٦٠ ب) ! وليخرجنكم منها داراً فداراً ! فسرقسطة حرسها الله هي السد الذى إن فُتق، فتقت بعده أسداد، والبلد الذى إن استبيح لأعداء الله استبيحت له أقطار وبلاد !

فالآن [2] أيها الأمير الأجل ! هذه أبواب الجنة قد فتحت، وأعلام الفتح قد طلعت، فالمنية ولا الدنيه ! والنار ولا العار ! فأين النفوس الأبية ؟ وأين الأنفة والحمية ؟ وأين الهمم المرابطية [3]، فلتقدح عن زنادها بانتضاء حدها، وامتطاء جدها واجتهادها، وملاقاة أعداء الله وجهادها، فإن حزب الله هم الغالبون، وقد ضمن تعالى لمن يجاهد فى سبيله أن ينصره، ولمن حامى عن دينه أن يؤيده ويظهره، فما هذا أيها الأمير الأجل ؟ ألا ترغب فى رضوانه واشتراء جناته بمقارعة حزب شيطانه، والدفاع عن أهل إيمانه ؟ فاستعن بالله على عدوه وحربه، وأعمد ببصيرة فى ذات الله إلى إخوان الشيطان وحزبه، فإنهم أغراض للمنايا والحتوف، ونهز للرماح والسيوف، ولا ترض بخطة العار، وسوء الذكر والصيت فى جميع الأمصار، ولا تكن كمن قيل فيه :

يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ولا يرزا من العدو فتيلا

ولن يسعك عند الله ولا عند مؤمن عذر فى التأخر والارعواء، عن مناجزة الكفار والأعداء، وكتابنا هذا أيها الأمير اعتذار تقوم لنا به الحجة

(١) هنا يلجأ أهل سرقسطة إلى تهديد المرابطين وتخويفهم، وهى خطوة بعد اللوم والتأنيب.

(٢) هنا يعود السرقسطيون إلى الرجاء والاستعطاف. وواضح أن كاتب الخطاب كان رجلا ماهراً لبقاً، يعرف كيف يجمع فى كتابه كل ما عساه أن يستنهض الهمم ويثير النفوس.

(٣) لاحظ هذه العبارة وما بعدها.

فى جميع البلاد ، وعند سائر العباد ، فى إسلامكم إيانا إلى أهل الكفر و الالحاد . ونحن مؤمنون بل موقنون من إجابتكم إلى نصرتنا ، وإغذاذك إلى الدفاع عن حضرتنا ، وأنك لاتتأخر عن تلبية ندائنا ودعائنا ، إلى استنقاذنا من أيدى أعدائنا ، فدفاعك إنما هو فى ذات الله وعن كلمة (الدين وربه) [1] ، وحماياتك عن الاسلام وحزبه ، فذلك الفخر الأنبل لك فى الأخرى والدنيا ، وموروث لك عند الله المنزلة العليا . فكم تحيى من أمم ، وتجلى من كروب وغمم !

وإن تكن منك الأخرى ، وهى الأبعد عن متانة دينك وصحة يقينك ، فأقبل بعسكرك على مقربة من سرقسطة — عصمها الله — ليخرج الجميع عنها ، ويبرأ إلى العدو وقمه الله منها [2] . ولا تتأخر — كيفما كان — طرفة عين ، فالأمر أضيق ، والحال أزهق ، فعدّ بنا [3] عن المطل والتسويف ، قبل وقوع المكروه والمخوف ، وإلا فأنتم المطالبون عند الله بدمائنا و أموالنا ، والمسئولون عن صبيتنا وأطفالنا ، لاحجامكم عن أعدائنا [4] وتثبطكم عن إجابة ندائنا ، وهذه حال نعيذك أيها الأمير الأجل عنها ، فانها تحمّلك من العار مالم تحمله أحداً ، وتورثك وجميعَ المرابطين الخزى أبداً ، فالله الله ! اتقوه وأيدوا دينه (٦١ ب) وانصروه ، فقد تعين عليكم جهاد الكفار ، والذب عن الحريم والديار . قال الله : « ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ... » الآية ، وقد برئتم باسلامنا للاعداء من نصر الاسلام ، وعند الله لنا لطف خفى ، ومن رحمته ينزل (الصنع) الحفى ، ويغنينا الله عنكم ، وهو الحميد الغنى !

(١) أضفت هذه العبارة ليستقيم السياق .

(٢) هذه إشارة مهمة ، فقد كان الخروج من المدينة يباح لمن أراد من المسلمين ، من هؤلاء كانوا يخشون أن يتخطفهم اللصوص جند النصارى فى الطريق ، وقد حدث ذلك كثيراً وهم لهذا يرجون أن يقترب من البلد جيش مرابطى ليخرجوا من البلد ويسيروا إلى بلاد الاسلام فى حماية .

(٣) فى الأصل : فعدينا .

(٤) فى الأصل : إعدادتنا .

ومن متحملى كتابنا هذا ، وهم ثقاتنا ، تقف من كنه حالنا على مالم يتضمنه الخطاب ولا استوعبه الاطناب بمنه [1] وله أتم الطول فى الاصغاء إليهم ، واقتضاء مالديهم إن شاء الله تعالى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته [2].

الوثيقة الثالثة :

من الواضح أن هذا الخطاب إنما أمر على بن يوسف بكتابته بعد أن وصله خطاب أهل سرقسطة السابق ، وبعد أن كتب إليه القائد أبو محمد بن أبى بكر ابن سير يصف له لقاءه مع النصارى عند « القلعة » ويعتذر عن هزيمته أمامهم على النحو الذى بينته فى مقدمة الوثيقة السابقة .

والكتاب من إنشاء الكاتب الأندلسى المعروف مروان بن أبى الخصال أعظم الناثرين الأندلسيين فى ذلك الحين ، وواحد ممن انتهت اليهم زعامة النثر الفني فى تاريخ الأدب الأندلسى كله ، وقد وصفه المقرى فى « نفح الطيب » بقوله : « رئيس كتاب الأندلس » وذكر أن له مؤلفاً يسمى « كتاب سراج الأدب » ، صنفه على منزع كتاب « النوادر » لأبى على (القالى) وزهرالآداب للحصرى (القيروانى) (انظر ، نفح الطيب ، ج ٢ ص١٢٤) ووصفه مرتين « بالوزير » مما يدل على أنه كان على الأقل من كبار رجال بلاطات الأندلس فى عهدى « أمراء الطوائف» والمرابطين ، وذكره« ابن حزم» فى « رسالته» مفاخراً المشارقة بترسيلة (المقرى ج ٢ ص ١٣٠) .

وربما استطعنا أن نستنتج من هذه الوثيقة نتيجة هامة لم تشر إليها المراجع ، وهى أن ابن أبى الخصال كان فى ديوان الانشاء المرابطى ، وكان يقيم فى مراكش فى بلاط « على بن يوسف » ولم يشر واحد ممن ترجموا للرجل إلى ذلك .

---

(١) هنا كلة لم أستطع قراءتها ، ورسمها هكذا : بمنه . والغالب أن الناسخ أسقط هنا عبارة فى معنى : ورجاؤنا أن يتفضل الأمير علينا بمنه .

(٢) هنا يقف الخطاب ، وكان يودنا لو عرفنا من حملة « متحملو » الخطاب وصف أحوال أهل سرقسطة فى ذلك الحين بشىء من التفصيل .

وصدور الكتاب عن « أمير المسلمين » نفسه يدل على أنه كان مشرفا إشرافا مباشراً على أمور الأندلس فى ذلك الحين ، وأن الكتب التى كانت تصل إلى أخيه أبى الطاهر تميم عامل الاندلس كانت تحوّل إلى رئيس الدولة المرابطية لينظر فيها بنفسه .

ونص الكتاب يدل على اهتمام « على بن يوسف » بشئون الأندلس رغم الظروف العصيبة التى كانت تحيط به وبدولته فى ذلك الحين . وتلك حقيقة هامة تؤيد ما قلناه في هذا الامير المرابطى العظيم ، وتدحض ما ذهب إليه دوزى وسيمونيت وكوديرا ومننديث بيدال فى حقه ، وتؤيد كذلك ماقررناه من أن المرابطين ، كالاتراك العثمانيين ، كانوا يعتقدون أن مهمتهم الأولى هى الدفاع عن حرمة الاسلام .

أما هزيمة المرابطين وقائدهم فى هذه الجبهة الشرقية محمد بن أبى بكر بن سير عند « القلعة » أو « القلاعة » — وهى لغة أندلسية فى نطق هذا اللفظ — فحقيقة جديدة لم نعرفها إلا عن طريق هذه الوثيقة والتى تليها ، ولا بد أنها كانت إحدى المواقع الكثيرة التى وقعت بين « المرابطين » والنصارى فى طول الاندلس بعد استيلاء الفونس المقاتل على سرقسطة ، إذ أن المرابطين لم يكفوا عن محاولة استعادة سرقسطة ، وكانوا لا يتوقفون عاما واحداً عن إرسال البعوث إلى ناحيتها ، وليس لدينا مع الأسف الشديد أى تفاصيل دقيقة عن هذه الاشتباكات ، لأن شبه الجزيرة كله تحول الى ميدان حرب رهيب يقتتل المرابطين مع النصارى فى كل ناحية من نواحيه ، وكانت أعداد المرابطين كبيرة نوعا ما ولكن حالتهم المعنوية كانت قد ساءت بسبب اضطراب أمور دولتهم فى افريقية وإنقلاب الاندلسيين المسلمين عليهم ، فكانوا يرتدون عن اللقاء في كثير من الأحيان . وهذه الوثيقة تعين لنا تاريخ إحدى المحاولات لانقاذ الأندلس ، وتحدد لنا تاريخها وتصفها لناوصفاً لابأس به . ولم يستعيد المرابطون ثباتهم فى الأندلس إلا فى سنة ٥٢٤ هـ حينما عبر على بن يوسف بنفسه عبوره الرابع الأخير لكى يتلافى أمر ممتلكاته الأندلسية بعد أن أشرفت على الضياع .

رسالة*

كتب بها أمير المسلمين إلى الأمير الأجل
أبي محمد ابن أبي بكر بهزيمة « القلعة » رحمهما الله [1]

كتابنا وفق الله رأيك وحسن هديك ، ولا أمال عن الهدى والرشد سعيك ، من حضرة مراكش حرسها الله في السابع من شعبان المكرم سنة ثلاث وعشرين وخمس مائة . وقبله وافي [2] كتابك تذكر فيه الميئة التي كانت للعدو — دمره الله — عليك في اليوم الذي واجهتموه فيه [3] ، بعد أن كان لكم صدره وأتيح لكم نصره ، فأواخر الأمور [4] أبداً أوكد وأهم ، والعواقب هي التي تحمد أو تذم ، وإذا حسنت خواتم الأعمال فالصنع أبهى وأتم ، وإن لسان العذر بتلك الحال لقصير ، وإن الله على ذلك المشهد المضيّع لمطلع بصير : تواقفتم مع عدوكم ، وأنتم أوفر منه عدة وأكثر (١٧٢) جمعاً ، وأحرى أن تكونوا أشد عن حريمكم منعاً ، وأقوى دونه دفعاً ، فثبت وزللتم ، وجدّ ونكلتم ، وشد عقد عزيمته وحللتم ، وكنتم في تلك الوقعة قرة عين الحاسد وشماتة العدو الراصد ، وقد كانت نصبة [5] توليكم بين يديه بشيعة [6] هائلة ، ودعامتكم لولا انثناؤه عنكم مائلة ، فشغله عنكم من غررتموه من الرَّجْل [7] الذي أسلمتموه للقتل ، وفررتم ، ونصبتموهم دريئة للرماح ثم طرتم ، ولولا مكان من أوردتموه من المسلمين ولم تصدروه ، وخذلتموه

* صفحة ٧١ ب مخطوط رقم ٨٩ ؛

(١) ورد في الهامش الأيسر من النص : كتاب الكاتب الأحفل . . . مروان ابن أبي الخصال [رحمـ] ـة الله عليه . صح .

(٢) وفي الأصل : وافا .

(٣) إشارة إلى هزيمة « القلعة » التي ذكرناها .

(٤) وردت كلمة « أواخر » في آخر السطر مبتور أولها ، وقد أضفت كلمة « الأمور » ليستقيم النسق .

(٥) كذا في الأصل ، ولعل صحتها : « قصة » .

(٦) كذا في الأصل .

(٧) هذه الاشارة هامة . إذ من الثابت أن المرابطين تخلوا عن المطوعة وتركوهم يصلون منيران العدو وحدهم في بعض المواقع .

من المجاهدين ولم تنصروه ، لانكشف دون ذلك الرماح جنتكم ووقاؤكم ، وأصيبت بها ظهوركم وأقفاؤكم ، عاقبكم الله بما أنتم أهله ، فأنتم أشجع الناس أقفاء وظهوراً ، وأجبنهم وجوها ونحوراً ، ليس منكم من تدفع به كريهة ، ولا عندكم في الرشد روية ولا بديهة ، فمتى وأي وقت تفلحون ؟ ولأى شيء بعد ذلك تصلحون [1] ؟ ونحمد الله عز وجهه كثيراً ، فقد دفع بفضله الأمر الأكبر ، وأجرى بأكثر السلامة القدر : فاكشفوا بعدُ أغطية أبصاركم ، وقصروا حل اغترارکم ، والبسوا منه [2] جنة حذاركم ، واعلموا أن وراء مجازاتنا إياكم جزاءً توفونه ويوما عصيباً تلقونه ، فكونوا بعد هذه الهناة لداعى الرشد بين مطيع وسامع ، ومن كلمة الاتفاق والتآلف (ب ٧٢) على أمر جامع [3] ، فإنكم لو [خلصت غيوبكم] [4] حسنت سريرتكم ، واطمأنت على التقوى قلوبكم ، لظهر أمركم وعلا حدكم ، ولما ذهب ريحكم ولا أخل [5] جدكم ، فتوخوا في سبيل الله وطاعته أخلص النيات وأصدق العزمات، واثبتوا أحسن الثبات، وكونوا من الحذر والتقوى على مثل ليلة البيات .

وقد ذُكر أن للعدو دمره الله مدد يأتيه من خلفه ، والله يقطع به ، فلتضعوا على مسالكه عيونا تكلاً ، ولتكن آذانكم مصيخة لما يطرأ ، فإن كان له مدد كما ذكر قطعتم به السبيل دون لحاقه ، وأقمتم الحزم على ساقه ، والله تعالى يفتح لكم فيهم الأبواب ، ويأخذ بأزمتكم إلى الصواب ، إنه الحميد المجيد ، لا إله غيره .

---

(١) هذه العبارة تذكرنا .

(٢) في الهامش : منا ، صح .

(٣) هذه الاشارة تدل على أنه حدث في جيش المسلمين شقاق قبل هذه الواقعة أو اثناءها ، والغالب أن يكون هذا الشقاق قد وقع بين الأندلسيين والمرابطين ، وهذه ظاهرة تتكرر كثيراً في تاريخ الجهاد في الأندلس ، وقد ظهرت بشكل واضح في عجز المسلمين عن الاستيلاء على حصن « ابيط » وتظهر في أسوأ صورها في هزيمة المسلمين الكبرى يوم « العقاب » في عصر الموحدين .

(٤) بياض في الأصل ، وقد أضفت هذه العبارة ليستقيم السياق .

(٥) في الأصل : ولأخل .

الوثيقة الرابعة :

صدر هذا الخطاب عن علي بن يوسف بعد كتابه السابق بأربعة أيام فحسب ، وهو يتعلق بهزيمة « القلعة » التي دارت عليها الوثيقة السابقة ، ومن أسف أن الخطاب الذي تشير إليه ، وهو الذي يصف فيه أبو الطاهر تميم ما جرى في يوم « القلعة » قد ضاع ، ولكننا نستطيع أن نستنتج أن القائد المرابطي أقر بالهزيمة وحاول تبريرها في خطابه إلى أميره ، ولكن عليّ بن يوسف لم يأخذ بمعاذيره وكتب إليه يلومه في أسلوب عنيف قاس ويفهم من نص الخطاب أيضاً أن صدر اليوم كان للمرابطين ، وأن الهزيمة دارت عليها في نصفه الثاني ، وهذه ظاهرة كثيرة التوارد في مواقع المرابطين ، وتعليلها بسيط : وهو أن المرابطين كانوا يهجمون بحماس شديد فيزيلون العدو عن مواقعه لأول وهلة ، ولما كانوا يحاربون من غير دروع ثقيلة في حين أن خصومهم كانوا لا يدخلون المعركة إلا مدرعين تدريعاً كاملا فقد كان من الطبيعي أن تكون نسبة قتلاهم خلال الساعات الأولى عالية جداً ، ومن ثم كانت صفوفهم تتخلخل ولا يستطيعون الثبات في نصف المعركة الثاني .

وهذه الرسالة على صغرها عظيمة الدلالة ، نستطيع أن نستنتج منها نتائج هامة فيما يتصل بموقف علي بن يوسف من الأندلس واهتمامه بمصيره في ذلك العام . والوقائع التاريخية كلها تؤيد ذلك ، وفيما يتصل كذلك بأسلوب التخاطب الذي كان يجري عليه ديوان الأنشاء المرابطي في مخاطبة القواد .

وكاتب الخطاب هو أبو الخصال ، ونلاحظ أنه بالغ في إهانة المرابطين على عهد الأندلسيين في الكتابة عنهم ، وعند عبد الواحد المراكشي خطابات تشبه هذا من ناحية الروح والأسلوب ، بل يلغ من قوة أسلوب الخطاب ذات مرة أن غضب علي بن يوسف على الكاتب ... وربما فهمنا من ذلك أن « علياً » لم يكن يقرأ هذه الكتب قبل إرسالها . وطبيعي كذلك أنه لم يكن ليفهم هذا التكلف اللغوي الذي كان كتاب الأندلس في ذلك العصر يسرفون فيه .

رسالة *

وله إلى المذكورين [١] مجاوبا لهم بهزيمة
ابن ردمير إياهم فى « القلاعة » [٢].

كتابنا أبقاكم الله وأكرمكم بتقواه وكنفكم بعصمته وجعلكم فى حماه وأسبغ عليكم عوارفه ونعماه ، من حضرة مراكش حرسها الله فى الحادى عشر من شعبان المكرم من سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، غب ما وافانا كتابكم الأثير ، مضمنا وصف اليوم الذى جرت به خزية المقادير ، فاستعرضناه وتقرر لدينا جميع ما حواه [٣] ، وفى علمه سبحانه موقع ذلك لدينا وعزازة شأنه علينا ، لكن لا مخرج عن القضاء وحكمه ، ولا محيد عن القدر وحتمه ، ولن يرد حول محتال ماسبق فى علمه ، وما ألونا — وهو عز وجهه أعدل الشاهدين — جداً وعزما وكدحا لاعلاء كلمة الاسلام ، وحزما ببذل الأموال وتخير الرجال واعتيام الأسلحة والأفراس ، والجميع بين الايحاش والايناس فى الوعد والوعيد والتخصيص والتأكيد ، وعرض الآراء المتخيل فيها السداد وبلوغ مد (   ) ـة جهاد فى كل نحو والاجتهاد لو كان العون موجوداً ولم يكن التعذير (   ) صير [٤] حاضراً عتيداً ، والله يخزى كل خاين ماين باسخاطه تعالى دان جزاه ، ويرديه بُرد مضمره ورداه ، ويوشك مقارضته وإرداه بحوله وطوله ؛ وبالله القسم الأعظم لو أمكننا أن نكون لديكم حاضرين لأسرعنا بذلك مبادرين (١٧٤) ولما ثنانا عن حمايتكم بنفسنا ثان ، ولا قعد

---

* صفحة ٧٣ ب مخطوط ٤٨٩

(١) أهل سرقسطة الذين كتبوا اليه (الوثيقة الثانية) .

(٢) كذا فى الأصل ، وهى صينة فى « القلعة » . و« القلعة » على مقربة من غرناطة .

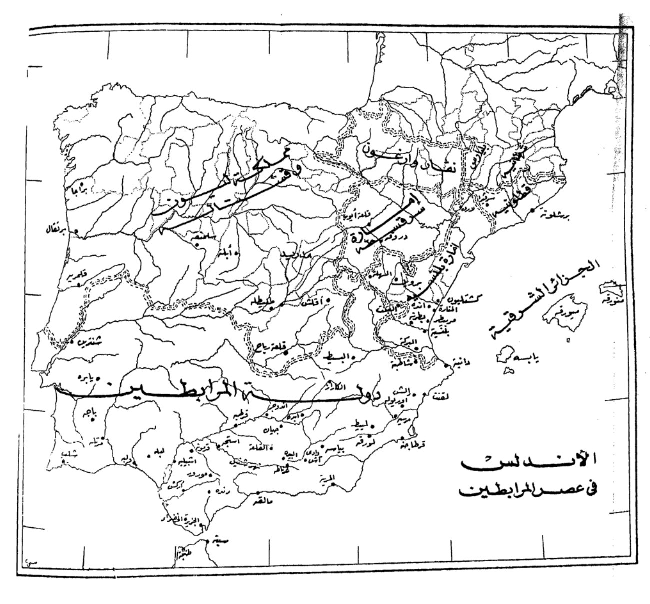
(٣) فى الأصل : نواه .

(٤) خرم فى المخطوط .

بنا عن معاجلة نصركم تراخ ولا توان . وقد جددنا الآن أحثَّ نظر ونحن نردفه بما يكون عليكم أتمَّ [1] وأرد وأسرع منتظر ، فلتهدأ ضلوعكم ويسكن مروعكم ، فما لنا والله يشهد هم سوى الذياد عنكم والدفاع ، والانفراد لذلك والاستجاع ، والاجتهاد ، والتوفر عليه بأتم الاضطلاع ، والله عز وجل المعين المنجد ، فلم يزل يعضد على ما يرضيه ويؤيد ، لا إله إلا هو .

---

(1) في الأصل : ألم .



الأندلس
فى عصر المرابطين
دولة المرابطين
الجزائر الشرقية
نفارا وارغون
امارة سرقسطة
امارة بلنسية

باحثة البادية

١٨٨٩ – ١٧ أكتوبر ١٩١٨

هكذا عرفت عندما كانت تنشر أغانيها الشعرية من منزل الزوجية بصحراء الفيوم، وعرفها قراء العربية من قبل باسم ملك، وهى كريمة أحد أساطين الحركة الأدبية المصرية حفنى بك ناصف. وقد أطلق عليها هذا الاسم تيمنا باسم السلطانة ملك التى كانت تزف فى نفس اليوم إلى المغفور له السلطان حسين كامل.

وقد عنى بها والدها فنشأها تنشأة علمية صادقة واستمرت في الدرس والتحصيل حتى نالت الشهادة الابتدائية عام ١٩٠٠ وكانت تبلغ من العمر إذ ذاك ثلاثة عشر عاما. ولم تترك هذه المناسبة تمر، خاصة وكان تقدمها لهذه الشهادة السابقة الأولى فى تاريخ تعليم الفتيات في مصر، دون أن تسجلها فى شعرها فقالت قصيدتها المشهورة التى مطلعها:

بشرى لمصر فقد نالت أمانيها　　　وأنجز الله بالحسنى مساعيها

ولم تقف عند هذا الحد بل واصلت الدرس حتى نالت إجازة التدريس عام ١٩٠٥ وزاولت هذه المهنة حتى عام ١٩٠٧ إذ اعتزلت العمل ولحقت بزوجها فى صحراء الفيوم.

وقد ظلت شاعرتنا تغذى النهضة النسائية بمقالاتها وقصائدها وتدعم أسس الحياة الادبية المصرية بفنها وأدبها حتى انها لما توفيت تركت فراغا فى حياتنا المصرية ما زال الى يومنا شاغراً.

وفى ١٧ أكتوبر عام ١٩١٨ اختارها الله الى جواره فرثاها النثر ونعاها الشعر وقال فيها حافظ مرثيته الشهيرة التى جاء فيها:

سادت على أهل القصور　　　وسودت أهل الوبر

وقد رأيت ونحن في صدد تاريخ حياتنا الادبية المصرية أن أضع بعض شعر الباحثة بين يدى القراء على أن أعاود الحديث عنها وفاء لمصر وتقديراً لأدبها.

فؤاد حسنين على

من شعر باحثة البادية

بين الشاعرة ووالدها

جراحة وسعال

كانت تعمل لحفنى بك ناصف عملية فى عينيه بدون تخدير فكتب لابنته ملك (باحثة البادية) :

ولقد ذكرتك والطبيب بجانبى والجسم فوق فراشه مطروح
وجفون عينى باللاقط فتحت وبها المباضع تغتدى وتروح
والخيط يجذب فى الجفون بأبرة جذباً تكاد تغيض منه الروح
فطربتُ من وخز الحديد كأنه قول برفض العذل فيك صريح

فكتبت له (وكانت فى السادسة عشرة من عمرها) وكانت مريضة بالسعال :

من مبلغ عنى طبيبك أنه يفرى بمبضعه حشاى وأضلعى
يخبرك صدرى بالحقيقة إذ بدا من إثر طعنته السعال مشايعى
فلئن سكتُّ فمن ضرورات الأسى ولئن سعلتُ فزفرة المتفجع
ولئن بكيت فإنما لتذكرى عينيك تفتح بالسنان المشرع
محياً جفونك دائماً مغموضة وأبيت محصية النجوم الطلع
ما زلت أرقبها تروح وتغتدى بالليل حتى قد جفانى مضجعى
فاسلم أبى وانظر إلىَّ برأفة عينى فداؤك كى أقر ومسمعى

نصيحة قالتها فى سن الخامسة عشرة

قومى عليكم بتقوى الله إنكمو رزئتمو بصروف الدهر والغِيَرْ

ماتت جدود لكم لكن ذكرهمو باق لنا فى جبين الدهر كالغرر

قد خلّفوا الفضل والأزمان شاهدة بمجدهم ودليل القول فى الأثر

وأنتمو فى الشباب الغض ليس لكم سوى المساوىء فى ألف من الصور

تركتمو الدين والشرع الشريف فوا خوفى عليكم من التفريق واحذرى

تفرق الشمل منكم دون نيل مُنىً ولو جُمعتم لصرتم زينة البشر

. . . .

رثاء "باحثة البادية"

للشيخ محمد عبده

ليبكك العلم والاسلام ما سلما وليذرفا الدمع أو فليمزجاه دما

وليبعث الفضل فى منعاك روح أسى كما بعثت إلى تحصيله الأمم

غالتك غائلة الموت التى صدعت من الهدى علماً تعشو له العلما

مددت للعلم فى مصر جداوله فلم تدع فى نفوس الواردين ظما

والدين طهرته من بدعة عرضت عليه فى سالف العصر الذى انصرم

والعلم والدين للجنسين مطلب فليس يختص جنس منهما بهما

فنحن فى الحزن شاطرنا الرجال كما فى الاستفادة شاطرنا هم قدما

لهفى على طرق الاصلاح قد تركت بلا مناد وأمسى نورها ظلما

ياحجة الدين من يبنى دعائمه للمسلمين إذا بنيانه انهدم

عدت عليك عوادى الدهر فاقلعت من بيننا برداك العلم والكرم

واحسرتاه على العافين من لهم يسد إعوازهم إن حادث دهم

إذا شكا معدم يوما خصاصته … بسطت كفا له بالمكرمات همى

نشرت فى الأزهر الاصلاح منتصراً … للحق معتضاً بالله معتصما

رددت (ها نوتو) والقوم الذين نحوا … منحاه فى فرية في ديننا زعم

حملت من خطط الأعمال أصعبها … إن العظائم فى الدنيا لمن عظم

عاجلت يا موت مولانا وسيدنا … تبت يداك لقد أورثتنا العدم

كلامه الدر إلا أنه حكم … فهل سمعت بدر ينتج الحكم

لو لم يدبج سوى التفسير منطقه … لجل قدراً كما تهوى العلا وسما

اذا على منبراً فاضت بلاغته … بالموعظات نسيت العرب والعجم

لاغرو أن كان بالاصلاح مضطلعاً … فانه عاشق الاصلاح مذ فطم

من للمحاكم والفتيا ينظمها … ومن لمجلس شورانا إذا التأم

ومن لجمعية العافين يسعفهم … إذا الزمان بهم لم يبق غير ذما

محمد ضاعت الآمال وارتجعت … الى الوراء أمانىٌّ سرت أمما

غاض الوفاء كما فاض الشقاق وقد … زاد النفاق فاما الحق فاهتضم

والدهر آلى فلا حول ولا حيل … أن لا يراعى لنا إلا ولا ذمما

وقد قضى الله أن نبقى بمنخفض … نرى على هامنا من غيرنا قدما

ياأيها الحاسدوه ضل سعيكم … أما نهاكم ضمير عن أذاه أما

كفاكم ما رميتم قبل مصرعه … شلت يمين فتى بعد الممات رمى

إن المنايا لأقوام الورى شرع … من رام فى دهره خلداً فقد وهما

راقت شعوب من العليا ذؤابتها … فاستأصلتها فبات المجد منفصما

إن السحاب يصيب الأرض ماطره … ويسلم الكل فيها ما خلا القمم

وفى الكواكب لا يعرو الكسوف سوى … شمس وأحسن ما فى الروض ما رجم

كفاك من هذه الدنيا متاعبها … لا يدرك النور من فى مقلتيه عمى

ولا يلذ بأنغام توقعها … ذو عاهة يشتكي في أذنه صمما

أحلك الله دار الخلد دانية … قطوفها وسقاك الدائم الديما



باحثة البادية

رأى فى الحجاب

أعملت أقلامي وحيناً منطق ... فى النصح والمأمول لم يتحقق
وظننت إخلاصى يفيد وهمتى ... تفضى بمن أشقى لهن إلى الرقى
أكبرت نفسى أن يقال تملقت ... لا كان عيش يرتجى بتملق
وإذا تسلق بالخديعة كاتب ... يبغى بها العلياء لم أتملق
تخذوا مناطيد الدهان ذرائعاً ... للمجد لكني بجدى أرتقي
سيان بعد رضى ضميرى من غدا ... لى مادحا أو قادحا لم أفرق
إن الحقيقة كيف يخفى ضوءها ... مدح المحب وترهات المحنق
والرأى يجلوه التباين مثلما ... يجلو المحك العسجد الحر النقى
أيردنى عما رأيت معاند ... ومقال حاسدة وكذب ملفق
لعدمت آدابى وحسن تجلدى ... إن صدنى قول البغيض الأحمق
أيسوءكم منا قيام نذيرة ... تحمى حماكم من بلاء محدق
أيسركم أن تستمر بناتكم ... رهن الأسار، ورهن جهل مطبق
هل تطلبون من الفتاة سفورها ... حسن . ولكن أين بينكم التقى ؟
تخشى الفتاة حبائلا منصوبة ... غشيتموها فى الكلام برونق
لا تتقى الفتيات كشف وجوهها ... لكن فساد الطبع منكم تتقى
لا تطفروا بل أصلحوا فتياتكم ... وبناتكم وتسابقوا للأليق
أرضيتمو عن كل شيء عندنا ... وخشيتمو أمر القناع إذا بقى
هل قمتمو بفروض نسوتكم وهل ... هذبتمو من طبعهن الأخرق
أسبقتمونا للفضيلة والتقى ... وخشيتمو الهلكات إن لم نلحق
تتنقلون لمنتدى من قهوة ... ونساؤكم فى ألف باب مغلق
إن الزواج على خطورة شأنه ... آلت روابطه لشر ممزق
اليوم عرس باهظ نفقاته ... وغداً تقام قضية لمطلق
أتعاقدون على الحياة شريكة ... غيباً أيمقت عاقل من يتقى

من سار أعزل للقتال فإنه ... لا يشتكى طعن العدو الأزرق
من يطلب العلياء دون تدبر ... لا تعجبن لسعيه أن يخفق
هلا صرفتم بعض وقتكمو على ... رأب الصدوع ورتق ما لم يرتق
لا تدخلون الدور إلا برهة ... تردونها لضرورة كالفندق
لا تصدر الآراء ينقض بعضها ... بعضاً فتمسى في مجال ضيق
ياليت شعرى والمشارب أمرُها ... متعاكس من أى ورد نستقى
فدَعُوا النساءَ وشأنهن فإنما ... يدرى الخلاص من الشقاوة من شقى
وأمامكم غير القناع مآزقٌ ... أولى بها التفكير من ذا المأزق
ليس السفور مع العفاف بضائر ... وبدونه فرط التحجب لا يقى

لمناسبة إصـــدار قانون المطبوعات

فى ٢٥ مارس سنة ١٩٠٩

يا أمة نثرت منظومها الغِيَرُ ... حتّام صبر ونار الشر تستعر
ماذا تقولون فى ضيم يراد بكم ... حتى كأنكمو الأوتاد والحجر[١]
ستسلبون غداً أغلى نفائسكم ... حرية ضاع فى تحصيلها العمر
حرية طالما منوا بها كذبا ... على بنى النيل فى الآفاق وافتخروا
أتصبرون وهذا بدء بطشهم ... (وأول الغيث قطر ثم ينهمر)
كيف اصطبار وسيل الظلم مكتسح ... عرائس الخير لا يُبقى ولا يذر
أبوا على مصر ما هنوا العراق به ... ونالت الصرب والبلغار والتتر
وكم يقولون فى ذا المنع مصلحة ... تالله ما صدقوا لكنهم قدروا
كموا الصحافة حتى لا تشير بما ... تملى على طرسها الآلام والضجر
إن الشكاة بخار جائش فإذا ... سددت مرجله لا شك ينفجر

(١) إشارة الى البيت المشهور :

ولا يقيم على ضيم يراد به ... إلا الأذلان عير الحى والوتد

كارلو كونتى روسينى

CARLO CONTI ROSSINI

٢٥ أبريل ١٨٧٢ — ٢١ أغسطس ١٩٤٩

للدكتور مراد كامل

لقيته في مؤتمر المستشرقين فى باريس صيف عام ١٩٤٨ وكان المرض قد أنهك جسمه فبدا نحيلا مهزولا ، ولكن السنين فى تواليها زادت إلى صفاء ذهنه صفاء ، وفى حلاوة حديثه حلاوة وأغزرت مادته وأفادته وفره في المادة . وإن الناظر إلى يديه الضامرتين لايكاد يصدق أن عناءها جرت بهذه البحوث العريضة التى أربت على المائتين[1] .

عمر حياته بالدرس والجهاد شأن الأوربيين الذين وقفوا حياتهم لدراسة الشرق وما أقلهم ، ودونهم قلة هؤلاء الذين عنوا بالدراسات الحبشية .

عاش فى أريتريا مابين سنتى ١٨٩٩ و ١٩٠٣ فأتيحت له فرصة مواتية للدرس وانتفع به حاكم أريتريا حينذاك فوكل إليه — على صغر سنه — إنهاض أريتريا وتوثيق الصلة بينها وبين إتيوبيا والبعد بها عن سياسة إيطاليا العامة وهكذا عاشت البلاد « لايتحدث عنها أحد فى إيطاليا » .

(١)

بدأ كونتى روسينى حياته العلمية بدرس تاريخ الحبشة ، كانت هذه الدراسات قد منيت بالخمول وكادت تنفض منها الأيدى فأنعشها بعد ركود وأنهضها من كبوتها بعد أن قدر لها أن تنفض عنها الغبار على يد ديلمان فى القرن التاسع عشر .

(١) انظر ثبت الكتبه نشرته Maria Nallino فى مجلة Oriente Moderno عدد ٩/٧ يونيه — سبتمبر سنة ١٩٤٩ من صفحة ١٠٣ — ١١٢

ثم كان جويدى بعدُ على رأس المدرسة الايطالية يوجه دفة الدراسات الحبشية وجهة تاريخية سليمة بنشر الدعوة لنشر النصوص التاريخية الحبشية لتكون أساساً صالحاً للدراسة . وترسم كونتى روسينى خط أستاذه جويدى واستجاب لدعوته فقام بنشر أخبار نفر من ملوك الحبشة وسير القديسين الأحباش مثل تكلا هيمانوت وفيلبس ويوحنس من دير بيزان ومرقوريوس ويارد وبانطليون وبصلوت ميكائيل وأنوريوس وولت بطرس ونأكوتولأب. كما نشر نصوصاً تاريخية ذات بال عن أكسوم .

وكان اعتماد من سبقه من العلماء فى دراسة تاريخ الحبشة على النصوص التى عثر عليها فى الحبشة وحملت منها إلى أوربة . أما كونتى روسينى فقد ضم إلى هذا ما لقنه عن الناس أيام إقامته بأريتريا فنقل عن أفواههم الكثير ، وجعل من تلك الثروة التى كان هو أول من اتجه إليها شيئاً آخر مع النصوص يستخلص منها جميعاً موازناً معارضاً تاريخاً أقرب إلى الصحة والدقة فأخرج للناس من هذا وذاك تاريخ قبائل المنسع وبنى عامر وسبدرات . ثم بحثاً مستفيضاً عن الشعب الأثيوبى .

وخرج على العالم سنة ١٩٢٨ بمجلد تاريخى قيم ضخم فيه الكثير الممتع النافع عن تاريخ الحبشة . والجزء الأول منه فى تاريخ الحبشة منذ نشأتها حتى عصر الأسرة السليمانية وهو عهد ضنين بنصوصه ووثائقه الحبشية ، وهذا يدلك على الجهد الموفق الذى بذله فى الاستعانة بتاريخ البلاد الشرقية المجاورة للحبشة والبلاد الأوربيه ليكشف من صلاتها بالحبشة عن تاريخ الحبشة ، وأمكنه أن يدرس الحضارة الحبشية بين حضارات البحر الأبيض المتوسط ، وأن يعرف بفضل المسيحية على الحبشة فى الميادين الثلاثة : السياسة والدين والثقافة ، كما رأى أن الطبيعة خصت الحبشة بمركز جغرافى جعلها على مر الدهور ملجأ القاصد ومأمن الفزع أو وجهة النازحين طلباً للأمن ، كل هذا وغيره بدا فى مؤلفه فعرف كيف يؤرخ للحبشة تاريخاً صحيحاً ولاسيما ماعرفه للحبشة من أثر فى حوض البحر الأبيض المتوسط .

وإليك طرفاً ممـا نشره عن هذا :

1. Di un nuovo codice della cronica etiopica pubblicata da R. Basset في Rend. R. Acc. Lincei. cl. sc. mor., ser. V, vol. II (1893), pp. 668—683.
2. Due squarci ineditti di cronaca etiopica في Rend. R. A. Lincei. ser. V. vol. II (1893) pp. 804-818.
3. Appunti ed ossservazione sui re Zague e Takla Haymanot في Rend R. A. Lincei, ser. V, vol. IV (1895) pp. 341-359, 444-468.
4. Note etiopiche: I Una guerra fra la Nubia e l'Etiopia nel secolo VII, في Giom. Soc. Asiat. Ital. X (1897). pp. 141-156.
5. Sulla dinastia Zague في L'Oriente, vol. II (1897) pp. 144-159.
6. Les listes des rois d'Aksoum في J. A. ser. X, vol. XIV. (1909) pp. 263-320.
7. Notes sur l'Abyssinie avant les Sémites في Florilegium de Vogüé. Paris 1909, pp. 137-149.
8. Liber Aksumae في Corpus Script. Christ. Or., Script. Aeth., t. VIII, النص pp. 1-86 (1909) والترجمة 1-104, (1910).
9. Schizzo etnico e storico delle popolazioni eritree في L'Eritrea economica, Novara 1913. pp. 61-90.
10. Fonti storiche etiopiche per il secolo XIX في Rend. R. A. Lincei ser. V. vol. XXV (1916) pp. 425-550.
11. La cronaca reale abissina dell'anno 1800 all'anno 1840 في Rend. R. A. Lincei, ser. V. vol. XXV (1916) pp. 779-922.
12. Il popolo sudanese—etiopico detto "Tikma" o "Bukma" في Riv. Studi Orient IX. (1921) pp. 36-57.
13. Egitto ed Etiopia nei tempi antichi e nell'età di mezzo في Aegyptus. III (1922) pp. 3-18.

14. La guerra turco—abissina del 1578 في Oriente Moderno. I (1921-22). pp. 634-636, 684-691 ; II (1922-23) pp. 48-57.

15. Commenti e notizie di geografi classici sovra il Sudan egiziano e l'Etiopia في Aegyptus VI (1925) pp. 1-26.

16. Storia d'Etiopia, Milano 1928 ويقع في ٣٤٣ صفحة

17. Gli Abissini al Nilo Bianco في Rivista delle colonie XIII (1939) pp. 476-476.

18. Portogallo ed Etiopia في Relazioni storiche fra l'Italia e il Portogallo, Roma 1940 pp. 323-359.

19. La situazione etnica del nord-ouest dell'Abissinia veduta da uno storico في Rassegna sociale delle'Africa Italiana V (1942) pp. 643-654.

20. Geographica : I L'Africa Orientali in carte arabe dei secoli XII and XIII, 2. Carte abissine, 3. Gli itinerari di alessandro Zorzi في Rassegna di studi Etiopici III (1943) pp. 167-199.

21. Postille al, « فتوح الحبشة » في La Muséon LIX (1946) pp. 173-182.

22. Nuovi documenti per la storia d'Abissinia nel secolo XIX في Rend. Q.A. Lincei ser VIII, vol II (1947) pp. 358-416

23. Storia di Lebna Dengel re di Etiopia في Rend. R. A. Lincei ser. V, vol. III (1894) pp. 617-640.

24. Hestoria regis Sarsa Dengel في Corpus script. Chist. Or. t. III (1907), النص pp. 1-220 الترجمة 1-191.

25. I Yasu I re d'Etiopia e martire في Riv. studi Orient XX. (1942) pp. 65-128.

26. Tradizione storica dei Mensa في Giom. Soc. Orient Ital. XIV (1901) pp. 41-99.

27. Ricordi di un soggiorno in Eritrea...6. Tradizioni Beni Amer. Alghedén e Sabderiat, Asmara 1903.
ويقع في ٨٤ صفحة منها ٦ صفحات مقدمة .

28. Il gadla Takla Haymanot في Rend. R.A. Lin. ser. V, vol. II part. I pp. 97-173.

29. Il Gadla Filpos ed il Gadla Yohannes di Dabra Bizau في Memorie R. Acc. Lincei, VIII, pp. 61-170.

30. Gadla Marqorewos seu Acta Sancti Mercurii في Corp. Script. Ch. er. t. XXII (1904) pp. النص 1 - 51, والترجمة 1 - 64.

31. Acta Yared et Pantalewon في Corp. scripr. Chr. Or. t. XXII (1904) نص pp. 1 - 60 والترجمة 1 - 56.

32. Acta S. Basalota Mikael et S. Anorewos في Corp. Script. Ch. Or. t. XX (1905) نص 1 - 110 ترجمة 1 - 98.

33. Acta Sanctae Petros... في Corp. script. ch. Or. XXV (1912) نص IX - 144, 217 - 247.

34. Gli Attli del re Na'akueto La'ab في Annali dell'Ist. Orient di Napoli vol. II. pp. 105 - 232.

(٢)

وكما دان كونتي روسيني لمدرسة جويدى بتوجيهه التاريخي فلم ينس لها الفضل في توجيهه اللغوى فرأيناه معنياً باللغات السامية الحية في الحبشة وبخاصة التجرنيا فأمكنه ذلك من دراسة أدبها الشعبي ونشر شيء من أغانيها الشعبية والامثال والنصوص . ثم نشط بعد ذلك فطلع على الناس بكتاب في قواعد تلك اللغة وهو يعد بحق المرجع الأول لدراسة هذه اللغة .

وإليه يرجع الفضل في الكشف عن بعض اللغات الكوشية فقد عني بدراسة لغة الساهو التي تتفاهم بها قبيلة الأسورتا وكذلك لسان الأجو .

وعني أيضاً بدراسة ماجمع « دابادى » في رحلاته جنوبي الحبشة وغربها . ومن قبله لم يعرف الباحثون عنها غير اسمها . وعلق على دراسة هذه اللغات دراسة علمية أعانته على أن يضع مقدمة في دراسة الأجناس والتاريخ ذات قيمة كبيرة .

وهو الذى عرفنا بلغة الجبير اوالارورو او الشيناشيا أو الجونجا والسورو أوالميقان والجونزا وكذلك لغة قيانت ثم لغة النمبالا ولغات بحيرتى رودلف واسطفان ولغة الماجى .

وحسبه أنه إذا ذكر اسمه ذكرت معه تلك الدراسات الجمة المستفيضة فى لغات الحبشة .

ثم أننسى أنه هو الذى نقض على «رينش» نظريته القائلة بربط اللغات النيلية بالكوشية وذلك حين تمكن من درس لغة الكوناما والسورو .

وهو وإن كان أخذ برأى «ماينهوف» فى ربط النيلية بالسودانية إلا أنه أثبت للغات النيلية استقلالا داخلياً .

وهو أول من دلل على وجود لغات نيلية فى الحبشة الجنوبية .

وأهم ما أخرجه فى هذه الدراسات :

1. Di due nuove pubblicazioni sulla lingua tigré فى L'Oriente. vol. I 1894, pp. 102 - 114.
2. Introduzioni e indice italiano—tigrigna ai *Vocabolaria della lingua tigrigna* di Ludovico De Vito, Roma 1896.
3. Canti popolari tigrai فى Z A, XVIII (1903), pp. 23 - 52; XVIII (1904) pp. 321 - 386: XIX (1906), pp. 288 - 341.
4. Documenti per lo studio della lingua tigré فى Giorn. Soc. Asiat. Ital. XVI (1903) pp. 1 - 32.
5. Uno sguardo all'Etiopia settentrionale e alle regioni limitrofe nei rispetti linguistici فى Rivista Coloniale, VII (1912) pp. 349 - 363.
6. La Langue des Kemant en Abyssinie, فى K. A. der W. Bd. IV, Vienna 1912, 316 وما يلى
7. Schizzo del dialetto saho dell'Alta Assaorta in Eritrea فى Rend. R. A. Lincei. ser. V. vol. XXII (1913) pp. 151 - 246.
8. Sui liguaggi dei Naa e dei ghimira nell'Etiopia meridionale فى Rend. R. A. Lincei, Ser VI, vol. I (1925) pp. 612 - 636.
9. Lingue nilotiche فى Riv. Studi Orient. XI (1926) pp. 69 - 102. 121 - 162.

10. Sui linguaggi parlati a nord dei Laghi Rodolfo e Stefania في Festschrift Meinhof, 1927 pp. 247 - 255.

11. Contributi per la conoscenza della lingna haruro (Isole del Lago Margherita) في Rend. R. A. Lincei ser. VI, vol. XII (1936) pp. 621 - 679.

12. Stato attuale delle ricerche filologiche nell'Africa Orientale italiana في Atti III Congresso di Studi coloniali, VI (1937) pp. 98 - 108.

13. Il poplo dei Magi nell'Etiopia meridionale e il suo linguaggio في atti III Congresso di St. Col. VI (1937) pp. 108 - 118.

14. Lingua tigrina, Roma 1940 ويقع فى ٢٧٨ صفحة

15. Proverbi, tradizioni e canzioni tigrine, Verbania 1941. ويقع فى ٣٢٣ صفحة

16. I Mekan o Suro nell'Etiopia del sud-ouest e il loro linguaggio في Rend. R. A. Lincei, ser. V, vol. XXII 1913 pp. 397 - 463.

17. Per la conoscenza della lingna cunama في gion. soc. asiat. Ital., XVI (1903) pp. 187 - 227.

18. Studi su populazioni dell'Etiopia في Riv. Studi Orient. III (1910) pp. 849 - 900 ; IV (1912) pp. 599 - 651 ; VI (1913) pp. 365 - 425.

19. Popili d'Etiopia occidentale في Rend. R. A. Lincei, ser. V. vol. XXX (1919) pp. 251 - 285.

(٣)

وكذلك كانت إقامته فى أريتريا باعثاً له على دراسة القوانين التقليدية المعمول بها بين قبائل أرتريا وكتابه — principi di diritto Eitrea, tudinaria dell'Eritrea, Roma 1916 ويقع فى ٨٠٢ صفحة جمع فيه بين غزارة المعلومات وبين التحليل التاريخى الدقيق والاحساس الانسانى العميق .

وإلى جانب هذه الدراسات سطع اسم كونتى روسينى فى دراسة بلاد العرب الجنوبية القديمة فعنى بتاريخها ولغتها ودينها وفنها ونقودها .

وإن مقتطفاته التى نشرها للنقوش العربية الجنوبية والتى ذيلها بقاموس صغير تعد أساساً لدارس هذه النقوش .

وله فى هذا الباب بحوث كثيرة نذكر منها :

1. Un documento sul cristianesimo nello Iemen ai tempi del re Sharahbil yakkuf فى Rend. R. A Lencei, ser. V, vol XIX (1910) pp. 705–750.
2. Sabaica فى Riv. Studi Orient. IX (1921 pp. 27–31.
3. Expéditions et possessions des Habasat en Arabie فى J. A., ser. XI, vol. XVIII (1921) pp. 5–36.
4. Monete sud—arabiche فى Rend. R. A. Lincei, ser. V vol XXX (1921), pp. 239 - 255.
5. Iscrizioni sabee فى Rend. R. A. Lincei, ser. VI, vol. I (1295) pp. 169 - 193.
6. G W L in sud - arabico فى Riv. Studi Orient. XII (1929) pp. 113 - 120.
7. Chrestomathia arabica meridionalis epigraphica, Roma 1931 ويقع فى ٢٦٤ صفحة .

وكما كان جويدى على رأس المدرسة التى تخرج فيها فذ كونتى روسينى هو عميد مدرسة حديثة لعلماء ظهر نشاطهم العلمى للدراسات الحبشية فى الأوساط المختلفة ولم يدخر كونتى روسينى وسعاً فى النهوض بهذه الدراسات فأنشأ منذ سنة ١٩٤١ المجلة الوحيدة فى العالم الآن للدراسات الحبشية وأشرف على إخراجها .

وإذا كنا قد فقدنا بفقده رجلا له الباع الطويل والفكر الناضج والجهد المتصل فى تلك الدراسات فحسبنا أنه خلف جيلا من تلاميذه على مثل نهجه وطريقته .



کارلو کونتی روسینی

حديث الكتب

للدكتور فؤاد حسنين على

تاريخ الأدب السريانى من نشأته الى الفتح الاسلامى، بقلم الدكتور مراد كامل والدكتور محمد حمدى البكرى. طبع بمطبعة المقتطف والمقطم بالقاهرة عام ١٩٤٩ وعدد صفحاته ٢٠١

* * *

تحققت أمانى الزميلين الفاضلين وأخرجا فى العربية كتابا يكاد يكون الأول من نوعه فى تاريخ الأدب السريانى، وإنى كغيرى من المعنيين بمثل هذا النوع من الدراسات أقدر الجهد الصادق الذى بذله الزميلان الفاضلان وأرجو صادقا أن يواصلا النشر فى هذه الناحية المتصلة لا بتاريخ الثقافة السامية فحسب بل بالثقافة الاسلامية أيضاً، وذلك لأن تعاون السريان مع المسلمين فى سبيل خلق حركة الترجمة من اليونانية الى العربية عظيم جداً يدركه كل ملم بنشأة الثقافة الاسلامية وازدهارها فضلا عن التزاوج المقصود أو غير المقصود بين العقليتين العربية البدوية والسريانية المتحضرة.

وما كدت أتناول من الزميلين هذه الهدية حتى فكرت فى تقديمها الى قراء المجلة: لكن ما كدت أمضى فى قراءتها حتى تحولت الفكرة الى عزمة فالكتاب بالرغم من النواحى الثقافية القيمة التى يشتمل عليها بدت لى عليه

ملاحظات رأيت عرضها لعل الزميلين الفاضلين يتفقان معى فى الأخذ بها وتخليص الكتاب منها :

(أولا) أن المؤلفين اعتمدا اعتمادا كلياً على كتاب المستشرق بومشتارك [1] وحسبنا دليلا على هذا ما يأتى :

	النص العربى	الأصل الألمانى
قصة احيقار	ص ٣٣ — ٣٥	١١ — ١٢
ترجمة الكتاب المقدس	٤٩ — ٥٣	١٨ — ٢١
ابن ديصان	٥٧ — ٦٦	١٢ — ١٧
أسونا	٦٧	٢٩
فافا بن عجى	٦٧ — ٦٨	٢٩ — ٣٠
افرهاط	٦٩ — ٧٠	٣٠ — ٣١
أفريم	٧٠	٣١ — ٣٧
ماروثا	٨٥ — ٨٦	٥٣ — ٥٤
آحى الجاثليق	٨٧	٥٤
سير شهداء الفرس	٨٧	٥٥
جريجوريوس الراهب	٨٧ — ٨٨	٥٧ — ٥٨
أوسابيوس القيصرى	٨٨	٥٨ — ٦٠
طيطوس	٨٩	٦٠
أوسابيوس	٨٩	٦٠
. . . الخ .		

ومن ذلك ما ذكره المؤلفان فى هذا الكتاب (ص ٦٦) : ونحن نتبين فيه أثر المانوية التى كان لها فى ذلك الوقت قصص مستقل مستمد من الرحلات والعجائب التى يفعلها الرسل .

والواقع أن هذا هو رأى المستشرق بومشتارك كما يتبين من ص ١٥ السطر ٨ — ١١ وهو :

In der Tat ist denn auch auf Spuren vielmehr manichäischer Bearbeitung hingewiesen worden, die ehemals selbständige Einzelerzählungen über Wanderfahrten und Wundertaten des Apostels erfahren hätten.

(1) A. Baumstark, Geschichte der syrischen Literatur mit Ausschluss der christlich-palästinensischen Texte. Bonn 1922.

وترجمته : والواقع فقد اهتدى إلى الآثار التى تثبت أنهـا تأليف مانوى إذ كان (للمانـاويين) فى ذلك الوقت بعض القصص المستقل الخاص بأسفار ومعجزات الرسول .

وجاء فى ص ٧١ س ٧ — ٩ ما نصه :

« ولا نظن أنه رافق الاسقف يعقوب عند سفره إلى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ . وقد طعمت سيرته بالشىء الكثير من الأساطير منها أنه أنقذ مدينته نصيبين بصلاته من الحصار الذى ضربه الفرس عليها سنة ٣٣٨ » .

والأصل الألمـانى كما جاء فى ص ٣٤ س ١٦ — ٢٠ :

Dass er seinen B Ja'qôb (h), den er selbst als den Lehrer seiner Jugend bezeichnet, schon 325 zum Konzil nach Nikaia begleitet habe, ist dagegen weniger glaubhaft. Sagenumwoben ist auch die Rolle, die er an dessen Seite während einer Belagerung von Nisibis durch die Perser im J338 gespielt haben soll.

« أما القول بأنه رافق أسقفه يعقوب الذى يصفه نفسه بأنه كان معلمه وقت الشباب إلى مجمع نيقية عام ٣٢٥ فلا يحتمل التصديق كما أن الدور الذى قام به إلى جانبه إبان حصار الفرس لنصيبين عام ٣٣٨ مختلط بكثير من القصص » .

ولست أنكر انتفاع أمثالنا بجهود من سبقونا إلى تلك الأبحاث الطريفة ولكنى خشيت أن تطغى جهودهم علينا فتفقدنا مانحاول من إصالة فى الدرس وتجديد فى البحث .

(ثانياً) لـما قارنت بين الأصل الألمـاني الذى اعتمد عليه وحده غالباً وبين الترجمة العربية وجدت اختلافاً يغير المعنى .

جاء فى الكتاب العربى ص ٦٧ ما نصه :

أسـونا

ومن كتاب القرن الرابع أسونا عاش راهبا فى الرها والظاهر أن شعره كان محببا الى قلوب العامة لأن الناس كانت تنشده حتى أوائل القرن السادس . وكان معروفا فى ذلك الوقت أنه مات من جراء سقوطه من فوق الجبل عند ما أراد ركوب المركبة التى تعرج به إلى السماء وكان به مس جعله يفكر فى تقليد اليشع ويقال إنه كان أستاذاً لافريم وينسب اليه شعر ذو مقاطع ستة فيه كثير من الحوار ويبدأ كله بالألف .

فمن هذا النص العربي نخرج بنتيجتين :

الأولى : أن (أسونا) سقط من فوق الجبل عند ما أراد ركوب المركبة التي تعرج به إلى السماء وكان به مس جعله يفكر في تقليد اليشع .

الثانية : له شعر يبدأ كله بالألف .

وإذا رجعنا إلى النص الألماني الوارد في ص ٢٩ (بومشتارك) وجدناه كالآتي :

Aswana lebte als Mönch in Edessa, wo seine Dichtungen in den ersten Jahrzehnten des 6. Jhs noch gesungen wurden. Auch wusste man damals, dass er den Tod durch einen Sturz im Gebirge gefunden habe. als er den Himmelfahrtswagen besteigen wollte, den der an Halluzinationen Leidende sich wie einst dem Propheten Elias bereit stehend wähnte. Nicht über das 9.Jh hinauf lässt sich dagegen eine Tradition verfolgen, welche ihn zum Lehrer Aphrems macht, unter dessen Namen Stücke seines Nachlasses in liturgischer Überlieferung geraten sind. Ein die Feststellung dieser Sachlage gestattendes Zitat eines in sechssilbigem Metrum gehaltenen Liedes mit alphabetischer Akrostichis und dialogischem Inhalt geht auf ein Korpus von Totengesängen des alten Meisters zurück.

وترجمته : أسونا عاش كراهب في الرها حيث ظلت أشعاره ترتل حتى في النصف الأول من القرن السادس . كما كان معروفا في ذلك الوقت أنه لقي حتفه من جراء سقوطه من فوق جبل حيث حاول ركوب المركبة التي صورها له مرض الوهم المتسلط عليه لتعرج به إلى السماء كما حدث للنبي الياس . أما الرواية القائلة انه كان معلم افريم فلن تتعدى القرن التاسع ، وقد جاءتنا بعض قطع تحت اسم افريم هي من مخلفات أسونا ، وقد وصلت عن طريق الرواية المتواترة للعبادات . ومما يؤيد هذه الواقعة هذه القصيدة ذات العروض ذي المقاطع الستة وموضوعها تعليمي وحواري ومرتبة ترتيبا أبجديا وهي من مجموعة مراثي وضعها المعلم القديم .

وهكذا يتبين لنا أن المؤلفين لم يراعيا كل الدقة اللازمة في الترجمة ، فأن القارئ لهذا النص الألماني يخرج بنتيجتين أخريين هما :

الأولى : أن النبي الذى حاول (أسونا) تقليده هو (الياس) وليس (اليشع) والفرق بعيد بين النبيين ، ولاشك أن الزميلين الفاضلين يعرفان أن النبي الذي أسرى به قبل الميلاد هو (اليا) أو (الياس) وليس (اليشع) .

الثانية : أن القصيدة كانت مرتبة ترتيباً أبجديا أعنى أن أبياتها جاءت على ترتيب أبجد هوز حطى كلمن . . .

فهل نقلا عن أصل آخر غير كتاب بومشتارك ؟ واذا كان فما هو ؟ وإذا لم يكن فالمفروض أن يشيرا إلى هذا المصدر دائماً ليكون أمام القراء .

وجاء فى ص ٧٨ مانصه .

وأما الميامر فهى شعر يقرأ ولا ينشد وقد يدخل فيها بعض فقرات تنشد وهى تعليمية أو قصصية للكتابات الآرامية الشرقية . . . . .

والأصل الألمانى كما جاء فى ص ٤٠ كما يلى :

Der Mêmrâ ist dem allem gegenüber entsprechend dem Wortsinne seines ihn als gesprochene, nicht gesungene " Rede " bezeichnenden Namens wesenhaft das, sei es nun didaktische, sei es erzählende Epos des ostaramäischen Schrifttums...

وترجمته :

والممرا مقارنة بما سبق وطبقاً لمدلول الكلمة عبارة عن كلام ينطق ولا يتغنى به سواء أكان تعليمياً أم ملحمة اخبارية من الأدب الآرامى الشرقى ولا يشترط فيه تجرده من نظام الأدوار وإن تجرد من القرار (رفرين Refrain) الذى لابد منه عند الحاجة الماسة إلى الغناء . . . .

أما بقية الحديث عن (الميامر) الذى أورده المؤلفان ص ٧٨ فقد ترجماه عن ص ٤٢ وما بعدها الأصل الألمانى إلا أن المطابقة بين الأصل الألمانى والنص العربى لم تتوافر فتغير المعنى المقصود هنا أيضاً .

وجاء فى ص ٨٧ ما نصه :

جريجوريوس الراهب

تذكر المصادر النسطورية المتأخرة أن جريجوريوس كان من رهبان الطبقة الأولى للسريان الشرقيين وهو فارسى من نستير من أعمال مدينة سوسة ويقال إنه ذهب إلى نصيبين على أثر رؤية راها وانتقل منها إلى الرها ليدرس فى مدرسة الفرس هناك ودخل دير طور عابدين فى جبل الأزل . . .

والأصل الألمانى ص ٥٧ ونصه :

Gregorios "der Mönch" (dairajâ), wird von der späteren nestorianischen Klosterlegende in die Zeit der ersten Anfänge ostsyrischen Mönchtums versetzt. Ein Perser aus Nastir, einer stadt der Susiana, soll er infolge eines Traumgesichtes nach Nisibis und von hier nach Edessa gekommen sein, um nach Studien an der dortigen (Perser) schule sich den Einsiedlern des Jzlá-Gebirges (Ṭûr 'Ab (h) din) anzuschliessen...

وترجمته :

جريجوريوس ديريا (الراهب) عاش كما تنص الأسطورة الديرية النسطورية المتأخرة فى بداية الرهبنة السريانية الشرقية . وهو فارسى من نستر مدينة بخوزستاز . قد استجاب إلى رؤية رآها فانتقل إلى نصيبين ومنها إلى الرها ليتمكن بعد الدراسة بمدرسة الفرس الكائنة بها من اللحاق بنساك جبل (يزلا) (طور عبدين) .

ويلاحظ القارئ هنا أن الأستاذين الفاضلين ظنا أن لفظ (سوسيانا) هو (سوسة) والفرق بعيد جداً بين اللفظين ومدلولهما ، و (سوسة) هى العاصمة القديمة لبلاد الفرس فى حين أن (سوسيانا) هى التى يعبر عنها فى المصادر العربية (السوس) أو أحياناً (خوزستان) فالصواب إذن (نستر) مدينة بخوزستان أو بالسوس .

وجاء فى ص ٨٩ مانصه :

الأسقف أوسابيوس الحمصى

ولد فى الرها وقد نصبه مجمع انطاكية الذى اجتمع عام ٣٤٠ بطرقا على الإسكندرية بدلا من اثناسيوس . كتب ميمرا عن الصوم بالسريانية وصلت الينا منه مقطوعة ويظهر أن كثيراً من كتاباته قد ترجمت إلى السريانية ولكنها ضاعت . وله ميمر عن الشهيد اسطفانوس وكثير من المواعظ .

والأصل الألمانى ص ٦٠ كالآتى :

B. Eusabios v Emesa +spätestens 359, einem geborenen Edessener. den die antiochenische Synode des Js 340 an Stelle des Athanasios zum P von Alexandreia hatte erheben wollen, liegt in direkter Überlieferung syrisch nur das Bruchstück einer Homilie über des Fasten vor. Der allerdings dürftige Splitter erhärtet immerhin eine tatsächliche Übs. von Schriften des E., deren Umfang kein geringer gewesen wäre. falls sie sich auf das auch von....

وترجمة النص :

أويسبيوس الحمصى توفى على أبعد تقدير عام ٣٥٩ وهو من مواليد الرها وقد حاول مجمع أنطاكية المقدس عام ٣٤٠ ترقيته عوضاً عن (اثنسيوس) بطركا للاسكندرية . ولم يصلنا (من مؤلفاته)مباشرة فى اللغة السريانية إلا جزء من موعظة له حول الصيام . والقليل الذى جاءنا يقوى الاعتقاد فى أن كثيراً من مؤلفات اويسبيوس ترجم ويزداد كم هذه المؤلفات لو أضيفت . . . .

فمن هنا يتبين لنا أن اويسبيوس هذا لم ينصب بطركا على الاسكندرية بل كل ما فعله المجمع كان مجرد محاولة فقط وتاريخ كنيسة الآباء البطاركة يؤيد هذا ولا شك أن لقبه يدل على أنه كان بطركا لحمص وليس للاسكندرية .

أما ترجمة كلمة (Homilie) بلفظ (ميمرا) فلا تستقيم من ناحيتين :

الأولى : أن ميمرا لفظ يطلق على فن أدبى خاص .

الثانية : أن مدلول الكلمة هو فى الواقع موعظة والفرق بعيد بين المعنيين .

وهنا أتساءل كيف يقرر المؤلفان أن كثيراً من كتاباته قد ترجمت إلى السريانية هل فاتهما أن المترجم له سرياني يكتب في السريانية ، ولعل مصدر ذلك الانحراف هو ما جاء في النص الألماني فيما بعد (syrischer Übersetzer) ومعنى هذه العبارة (المترجمون السريان) .

وجاء في ص ٨٩ أيضاً ما نصه :

قوريللونا

ويسمى أيضاً كيريلينوس وهو شاعر لا نعرف عن حياته شيئا وقد وصلتنا منه بعض قصائد ومقطوعات ومقدمة لمدراش وميمر على وزن المقاطع الأربعة عن هجوم الجراد وآخر عن غارة التتار التي وقعت في يوليه سنة ٣٩٦ ؛ وقد كتبت هذه القصيدة بعد الغارة بعام أي سنة ٣٩٧ إذ يقول فيها (لما تم سنة بعدمنذحرب التتار سوريا) وله ميمر عن العشاء الرباني وصلب المسيح وسوغيثا عن عيد الفصح وقصيدة عن عيد الميلاد وتنسب اليه مقطوعة عن زكي العشار وميمر عن القمح على وزن المقاطع السبعة ولكن عبارتهما تدل على أنهما ليسا لشاعر ممتاز وهما فيما يظهر لشاعر آخر ظهر في النصف الأول من القرن الخامس يسمى (قوري) .

وجاء الأصل الألماني في ص ٦٧ وهو :

Qûrillôna (Kyrillinos) ist der Name eines sonst unbekannten Dichters,, von dessen offenbar recht vielgestaltigem Nachlass sich einige Stücke erhalten haben. Von d[illegible]selben lassen sich die Einleitungsstrophen eines Mad (h) rašâ u[illegible] ein in viersilbigem Metrum gehaltener Mêmrâ über eine Heuschr[illegible]-enplage und einen Hunneneinfall auf das J 396 datieren. Ausdrücklich für ihn bezeugt ist ferner ein erster Mêmrâ über das letzte Abendmahl, mit welchem ein zweiter anonym überlieferter und ungenau als ein solcher über die Kreuzigung bezeichneter die seltene Erscheinung eines Wechsels des Versmasses teilt. Eine Sôg (h) ît (h) â von entsprechendem Inhalt schliesst sich an diesen letzteren an. Auch das Bruchstück einer solchen über den Oberzöllner Zachäus und ein

Mêmrâ in siebensilbigem Metrum über den Weizen scheinen trotz unmittelbar anonymer Erhaltung demselben, eigenartig und nicht gering begabten Dichter zugesprochen werden zu dürfen. Diesen auf Grund einer scheinbaren Namensähnlichkeit in einem für die erste Hälfte des 5. Jhs als Haupt der Perserschule bezeugten QIJORE (Kyros) wiedererkennen zu wollen, geht schlechterdings nicht an.

وترجمته :

قورلونا (كيريللينوس) اسم شاعر غير معروف وصلنا من بين تراثه الذى كان فيما يظهر متنوعا بعض القطع ومنها الأدوار الافتتاحية لمدراش وممرا عروضها يتكون من مقاطع أربعة وهى ترجع إلى عام ٣٩٦ ، وقد جاء فيها ذكر غارة جراد وهجوم التتار ومن الثابت له أيضاً ممرا تناولت الحديث عن آخر عشاء ربانى ، كما وصلتنا ممرا أخرى لا نعرف مؤلفها وهى تتحدث عن الصلب حديثاً بعيداً عن الحقيقة وتتفق الممرتان فى استخدامهما البحور المختلفة وسوغيثا تعالج نفس المواضيع وقد جاءت في آخر الممرا الثانية وجزء من سوغيثا أخرى فيه ذكر لزكى العشار وممرا عروضها من سبعة مقاطع تتحدث عن القمح وجميع هذه القطع رغماً من عدم ذكر مؤلفها قد تنسب إلى شاعر بعينه حظه من الشاعرية ليس بالقليل وقد اختلط الأمر بين مؤلفها هذا وبين شخص آخر كان فى النصف الأول من القرن الخامس الميلادى على رأس المدرسة الفارسية واسمه قيورى (كيروس) فظن أنه هو الشاعر لكن تشابه الأسماء لن يكفى لاقامة الدليل .

فمن مقارنة الترجمتين يتبين لنا أن الزميلين تجاوزا الأصل عند ما ذكرا :

١ — أن الشاعر تحدث فى ميمرا عن هجوم الجراد وفي ميمرا أخرى عن غارة التتار .

٢ — (ولكن عبارتهما تدل على أنهما ليسا لشاعر ممتاز) والصواب أن الشاعر كان موهوبا .

٣ — تصرفا فى الترجمة تصرفا أخل بالمعنى كما يتبين لنا ذلك من مقارنة النصين.

وجاء فى ص ٩٠ س ٢٠ ما نصه :

وكذلك الأسفار المحذوفة من أدب الانجيل وأهمها بالسريانية أعمال بيلاطس . . .

ماذا يعنى الزميلان بعبارة (الاسفار المحذوفة من أدب الانجيل) ؟ إن الذى يتبادر إلى ذهن القارىء أن هناك موسوعة كبيرة تعرف باسم أدب الانجيل وقد حذفت منها عدة أسفار وأقرر هنا أن كتابا بهذا الاسم غير معروف وكل ما فى الأمر ان العبارة الواردة فى النص الألمانى ص ٦٩ وهى (Die Apokryphe Evangelienliteratur) تؤدى معنى آخر غير ما أورداه . فلفظ (أبو كريف) يطلق عادة على الأسفار والكتابات التى تلحق بالكتاب المقدس وليست منه ، أما اللفظ الآخر فمدلوله مصادر الانجيل ، فمعنى العبارة الأسفار والكتابات الملحقة بمصادر الانجيل وليست الأسفار المحذوفة من أدب الانجيل .

ولا أحب أن أترك هذه الملاحظة قبل أن أشير إلى المؤلفين بالرجوع إلى الأصل الألمانى مرة أخرى ص ٦٩ — ٧٠ ليتبينا مدى الفرق بين تلخيصهما وبين ما يذكره الأستاذ بومشتارك .

وجاء فى ص ١١٨ ما يأتى :

نرسى

هو نرسيس المعلى أيضاً ولد فى عين الدالية من قرى (معلثا) فى الشمال الشرقى من الموصل فلما بلغ السابعة من عمره التحق بمدرسة قريته وبقى بها حتى توفى أبواه وهو فى سن التاسعة فانتقل مع عمه عمنوئيل راعى دير كفر مارى فى بيت زبدى وأمضى فيها الشتاء يتلقى العلم فى الدير فلما بلغ العاشرة ذهب إلى الرها والتحق بالمدرسة الفارسية وبقى بها عشر سنوات ....

وبينما نقرأ هنا هذه المعلومات التى تغاير الحقيقة إذ بالنص الألمانى الأصلى ص ١٠٩ كما يأتى :

Narsai, mit dem Beinamen "des Aussätzige", geb. zu 'Ain Dulbá im Gebiete von Me'altá, hatte eine als Knabe von 7 J. J begonnene neunjährige Schulbildung in seiner Heimat erhalten, als er nach dem Tode seiner Eltern bei seinem Oheim Emmanuel, dem Abte des Klosters von Kep (h) ar Marî in Bêt (h) Zab (h) dai Aufnahme fand, wo er einen Winter hindurch selbst den Mönchen Unterricht erteilte. Zweimal soll er dann je ein Jahrzehnt an der Perserschule ......

وترجمته :

نرسى ويلقب بالأبرص ولد في عين دلبا فى إقليم معلثا ولما كان فى سن السابعة بدأ الدراسة التى تتطلب تسعة أعوام بمدرسة بلدته وأتمها ، وتوفى والداه فانتقل إلى منزل عمه عمانوئيل رئيس دير كفر مارى فى بيت زبداى حيث مضى فصل الشتاء يعلم الرهبان ، وقد انتقل مرتين إلى المدرسة الفارسية بالرها أقام في كل مرة عشرة أعوام ....

فنتبين من النص الأصلى أن المؤلفين لم يوفقا فى فهم العبارة التى تنص على المدة التى بتها دراسته التى بدأها لما كان عمره سبع سنوات وأتمها بعد تسع فظنا أن عمره تسع سنوات وكان فى الواقع ست عشرة سنة . وترتب على هذا أمر آخر وهو أنه تلقى العلم فى الدير والعكس هو الصحيح .

وجاء فى ص ١٧٠ :

وقد دون أبا الكشكرى كتاباته فى البلاط الفارسى إذ كان له نفوذ شخصى عند كسرى الثانى (٥٩٠ — ٦٨٢ م) . الذى سفره عند القيصر موريق (٥٨٢ — ٦٠٢ م) .

والواقع أن شاه الفرس فى ذلك الوقت (٥٩٠ — ٦٨٢م) اسمه خسرو الثانى وليس كسرى . ومصدر الخلاف هنا أيضاً هو قراءة اللفظ قراءة غير صحيحة فكما أن يونس : Joannes . قرأت يوحنا كذلك : خسرو K (h) osrau قرأت كسرى :

(ثالثا) ضعف التحقيق التاريخي وأكتفى هنا بالاشارة إلى الأمثلة الآتية:

يذكر المؤلفان في ص ٤ س ١٥ — ١٦ ما نصه :

ولما استولى البابليون على مملكة دمشق فى القرن الثامن ق . م . نقلوا إلى بلادهم عدداً كبيراً من مهرة الآراميين للاستعانة بهم وقد عبر القدماء عن ذلك بعبارة (السبي البابلي) .

فللمرة الأولى وأرجو أن تكون الأخيرة أقرأ ويقرأ من يقع هذا الكتاب فى يده أن (السبي البابلي) حل بالآراميين وفى القرن الثامن ق . م . والواقع أن (السبي البابلي) وقع على اليهود فى عامي ٥٩٧ و ٥٨٦ ق . م . كما سبقه سبي أشوري حل بالاسرائيليين عام ٧٢٢ ق . م .

يذكر المؤلفان فى ص ٢٣ :

ونستطيع أن نحدد العصر الذى أقيم فيه النقش إذا رجعنا إلى ماورد فى تاريخ الرها عن سنة ٢٠٦ : أن أبجر بنى قلعة بمدينته : والراجح أن المقصود بهذه القلعة قلعة الرها . أما أبجر المذكور فهو أبجر الثامن ابن معن الذى حكم فيما بين سنتى ١٧٦ و ٢١٣ وربما كانت إقامة العمودين بعد بناء القلعة أى بعد سنة ٢٠٦ م . إما فى عصر أبجر وإما فى عصر ابنه معن التاسع آخر أمراء الرها أى بين سنتى ٢٠٦ و ٢١٦ م .

وفى ص ٢٤ جاء :

وكان من بين ما سجل وحفظ فى دار المحفوظات خبر فيضان نهر ديصان الذى اجتاح مدينة الرها فى شهر تشرين الثانى سنة ٢٠١ م . فى عهد ابجر التاسع (١٧٩ — ٢١٦ م) .

وفى ص ٤٧ جاء :

وتريد الأساطير أيضا أن تجعل المسيحية الديانة الرسمية فى الرها باعتناق الملك أبجر التاسع (١٧٩—٢١٤ م) لهذا الدين ، كيف نوفق بين هذه التواريخ المضطربة ؟ !

وجاء فى ص ٣٣ ما نصه :

والذى يبدو محققاً أن هناك تداخلا بين قصة أحيقار و بين بعض أسفار العهد القديم وهى كتب الحكمة بوجه عام، فقد لاحظ الباحثون المتقدمون الشبه العام بين أخلاقيات أحيقار وبين أسفار الأمثال والجامعة وابن سيراخ .

والواقع أنه ليس بين أسفار العهد القديم أو الحديث ما يسمى (ابن سيراخ) أما أمثاله فقد قسمها جامعها إلى سبعة أبواب وهى تتحدث عن أصل الحكمة وطبيعتها فمصدرها الله وهى ملازمة له إلى الأبد وقد جمعت فى القرن الثانى قبل الميلاد .

وفى ص ٤٩ جاء :

والأمر الذى لاشك فيه أن يهود بيت المقدس كانت عندهم ترجمة باللهجة الآرامية لأسفار موسى الخمسة على الأقل والراجح أيضاً أن نسخة من هذه الترجمة قد وجدت طريقها إلى حذيب أيام هؤلاء الملوك اليهود وأنها ترجمت إلى لهجة حذيب وكتبت بالأبجدية السريانية فالمعروف أنه كانت فى حذيب جماعة من اليهود الذين هاجروا اليها من فلسطين واستقروا فيها سنوات وكانوا من غير شك قادرين على القيام بمهمة الترجمة فى غير مشقة . . .

هذه الترجمة اليهودية لبعض أسفار العهد القديم هى التى أخذتها الكنيسة المسيحية .

ماذا يقصد المؤلفان الفاضلان بهذه العبارة الاخيرة ؟ إننا نعلم أن معظم أسفار العهد القديم ألفت باللغة العبرية أو كما تسمى أيضاً اليهودية ، فلفظ يهودى مرادف لعبرى فما معنى هذه العبارة إذاً ؟ .

وليست هذه هى الملاحظة الوحيدة على هذا الفصل الخاص بترجمة الكتاب المقدس فالفصل فى حاجة قصوى إلى إعادة كتابته ويكفى أن أشير على عجل إلى قول الزميلين فى ص ٥٠ و ٥٢ أن طاطيان وضع الدياتسارون

فى اللغة السريانية فهذا غير صحيح مصدره الانحراف فى فهم العبارة الألمانية الواردة فى ص ١٩ — ٢٠ وهى :

Das ist nur verständlich, wenn dieses ihnen als eine Übersetzung aus dem Griechischen entgegentrat, nicht etwa von Tatianos selbst ursprünglich syrisch redigiert wurde. Auch ein bedeutsamer Einfluss, den das Diatessaron auf die griechische und die altlateinische Textüberlieferung der Evangelien gewonnen hat, ist weit eher unter der Voraussetzung eines griechischen als unter derjenigen eines syrischen Originals zu begreifen.

ومعناها أن هذه (أى التسمية دياتساون) مفهومة فقط اذا ماعرضت عليهم (السريان) كترجمة من اليونانية ولم يؤلفها طاطيان فى الأصل فى اللغة السريانية .

وقد تركت الدياتسارون أثراً بليغاً فى نص الانجيل فى اليونانية واللاتينية القديمة وهذا يتطلب التسليم مقدما بأن الأصل وضع فى اللغة اليونانية لا السريانية .

وانى زعيم للمؤلفين الكريمين أن هذا الرأى مازال قائمـا حتى اليوم .

وجاء فى ص ١٢٢ :

كما ترجموا كتابات الرهبنة لعدد من الكتاب أمثال أنطونيوس وأمونيوس ومكاريوس وأواجريس ويوحنا الأسيوطى ونيلوس وماركوس:

والحقيقة أنه لا يوجد شخص يدعى : يوحنا الأسيوطى . والصواب : يونّس Joannes . كما أنه لم يكن بلقب فى ذلك الوقت بالأسيوطى وأسيوط كانت تعرف وقتذاك باسم : ليكوبوليس Lykopolis . وبهذا الاسم وردت .

وإنى أحيل المؤلفين بخصوص هذه الملاحظة وغيرها خاصاً بهذه الأسماء إلى كتاب بومشتارك ص ٨٤

هذه بعض الأمثلة سقتها للاستدلال بهـا على ما فى هذا الكتاب من مآخذ وسأعود الى الكتاب مرة أخرى معلقا على بعض النصوص والأخبار التى أحال بومشتارك القارىء اليها وتناول المؤلفان بعضها فتغيرت على أيديهما كما تغيّر معنى ترجمة ما نقلاه عنه .

رد على نقد

للدكتور محمد حمدى البكرى

كنت حمدت للزميل الفاضل الدكتور فؤاد حسنين نقده لكتابنا « تاريخ الأدب السريانى ، من نشأته إلى الفتح الاسلامى » الذى اعتزم نشره فى مجلة كلية الآداب . ولكنى ما كدت أطلع على الكلمة التى كتبها حضرة الناقد المحترم حتى دهشت حقاً . فان حضرة الناقد لم يعمد فى نقده إلى البحث عن الحقيقة ، ومناقشة ما فى الكتاب من الآراء ، وإنما عمد إلى أسلوب فيه كثير من التهكم والمغالطة كنت أحب أن أنزه عنه مجلة من أكبر المجلات العلمية فى مصر . وأرجو أن يسمح لى حضرة الناقد الفاضل بمناقشة ما جاء فى كلمته .

أما الهنات التى يطفح بها الكتاب كما جاء فى تعبير حضرة الناقد الفاضل ، فمنها السكوت على فضل العلماء السابقين : وليس من شك أن الناقد لم يقرأ تقدمة الكتاب (ص ١٧ — ١٩) ولو أنه فعل لتبين له بوضوح أننا عرضنا الكتب التى وضعها المستشرقون فى تاريخ الأدب السريانى ومنها كتاب بومشتارك ، وبيّنا طريقة كل منهم فى التأليف ، ووضحنا الطريقة التى اتبعناها فى تأليف هذا الكتاب ، وهى تختلف فى أساسها عن طريقة بومشتارك ، فقد استشهدنا ببعض كتابات المؤلفين الذين أرخنا لهم وقد ترجمنا هذه القطع التى استشهدنا بها عن السريانية مما لم يسبقنا إليه أحد ممن أرخوا الأدب السريانى ، كما خالفناه فى بعض الآراء الجديدة التى ظهرت بعد تأليفه لكتابه سنة ١٩٢٢ وكنت أرجو مخلصا أن يشير حضرة الناقد إلى هذه المواضع .

أما الجدول الذى أورده الناقد فهو مغالطة صريحة أراد بها أن أن يوهم القارئ أنها مقابلات صحيحة ، وأننا نقلنا نصوصاً عن بومشتارك ؟ ولكن

أحب أن أنبه حضرة الناقد المحترم الى أنه قد سبق بومشتارك فى الكتابة فى الأدب السريانى كثير من المؤلفين الذين نقل عنهم بومشتارك ومنهم رايت ودڤال وبخاصة كتاب تاريخ النساطرة الذى نشره أدى شِر (Addai Scherr,) الذى نشر (Histoire Nestorienne inédite. Chronique de Seert فى مجموعة (Patr. Orient) . وقد كنا دائماً نرجع الى النصوص الأصلية التى أخذ عنها كل هؤلاء . وأحب أن أعرض لبعض الأمثلة التى ذكرها حضرة الناقد فى هذا الجدول .

فقصة أحيقار لا يكاد يبلغ ما كتبه عنها بومشتارك نصف صفحة بينما بلغ ما كتبناه عنها فى كتابنا سبع صفحات (٣٣ — ٤٠) . وقد تعمد حضرة الناقد أن يذكر أننا تناولناها فى ثلاث صفحات ٣٣ — ٣٥

وكذلك يذكر الناقد أننا ترجمنا ما أورده بومشتارك فى سبع صفحات (٣١ — ٣٧) فى صفحة واحدة من كتابنا (٧٠) وهو كلام واضح البطلان .

أما ما ذكره الناقد من ترجمتنا لما رواه بومشتارك عن أسبونا وأننا لم نراع الدقة فى هذه الترجمة . فالذى يظهر من مقابلة النصين أننا لم نعتمد على بومشتارك وإنما اعتمدنا على المصدر الذى اعتمد عليه بومشتارك .

Ig. Ephrem Il-Rahmani, Studia Syriace seu collectio documen torum hactenus ineditorum, Char fah, 1904.

أما عدم الدقة فى تاريخ العصر الذى حكم فيه أبجر التاسع فالواقع أن التاريخ الصحيح هو الذى ورد فى ص ٢٣ (١٧٦ — ٢١٣) ولم نتعرض لذكر تاريخ حكم معن التاسع . وإنما الذى ذكرناه أن العمود (المبني فى قلعة الرها) أقيم إما فى عصر أبجر التاسع وإما فى عصر ابنه معن التاسع آخر أمراء الرها . أى بين سنتى ٢٠٦ و ٢١٦ أى أن بناء العمود هو الذى حدث بين العامين المذكورين وليس حكم معن ؛ وأما سنة ١٧٩ فهى خطأ مطبعى لسنة ١٧٦ وقد وقع الناقد فى مثله حينما ذكر سنة ٢١٢ بدل ٢١٣

وقد فهم الناقد خطأً أيضاً أننا أضفنا ابن سيراخ إلى كتب العهد القديم والواقع أنه قُرن فقط بكتابي الأخلاقيات : الأمثال والجامعة لأنه يشتمل مثلها على الأمثال . وأوجه الشبه التي سقناها بين أمثال بن سيراخ واحيقار توضح أنه من كتب الحكمة .

أما اعتراض حضرة الدكتور فؤاد حسنين على ما جاء في صفحة ٤٩ وتساؤله في لهجة تهكمية عما يريده الدكتوران من الترجمة اليهودية لبعض أسفار العهد القديم التي أخذتها الكنيسة المسيحية فاني أكتفي بأن أطلب اليه أن يقرأ الصفحة كلها وأن لا يكتفي بقراءة سطر واحد فان هذا هو السبيل لمن أراد أن يبحث وراء الحقيقة عند النقد .

وأحب أخيراً أن أقول من المؤسف حقاً أن يتعرض الناقد لدياطسرون طاطيان فيقول أننا ذكرنا في صفحتي ٥٠ و ٥٢ أنه وضع في اللغة السريانية ، والواقع أن ما كتبناه عن الدياطسرون جاء في الصفحات ٥٢ — ٥٦ ، وأحب أن أذكر أيضاً أننا لم نقع في خطأ شنيع مصدره سوء فهم عبارة الـمانية أوردها الناقد من كتاب بومشتارك الذي نشر سنة ١٩٢٢ ، وقد سقنا أدلتنا في هذه الصفحات الطويلة على أن طاطيان إنما ألّف الدياطسرون بالسريانية فالواقع أنه قد ظهرت أبحاث بعد سنة ١٩٢٢ تنقض الرأي القديم الذي يتعلق به حضرة الناقد أسوق منها على سبيل المثال :

P.E. Kahle, The Cairo Genizia, Biblical Archaeology,
A.S. Marmardji, Le Diatessaron de Tatien, Beirut, 1935.
Sondon, 1947.

ولعل الأستاذ بعد ذلك يغير رأيه فيما يتعلق بالآراء القديمة التي كانت معروفة عن الترجمة السريانية للكتاب المقدس وكتاب طاطيان .

تم طبع هذه المجلة فى عهد حضرة صاحب الجلالة
الملك " فاروق الأول " بمطبعة جامعة فؤاد الأول
فى ٢٢ من ربيع الثانى سنة ١٣٦٩ هـ

محمد زكى خليل
مدير مطبعة جامعة فؤاد الأول

([illegible] ٧٨١—١٩٤٩—٥٥٠)

تقرير

عن مؤتمر المستشرقين الألمان

توبنجن ٣٠ سبتمبر إلى ١ أكتوبر ١٩٤٩

تقرير

عن مؤتمر المستشرقين الألمان

توبنجن ٣٠ سبتمبر إلى ١ أكتوبر ١٩٤٩

فى مايو ١٩٤٥ اضطرت جمعية المستشرقين الألمان إلى وقف نشاطها بسبب الظروف الحربية التى مرت بها البلاد ، واضطر مجلس إدارتها المكون من (ريتشارد هرتمان وهلموت شيل و ف . ا . بروكهوس) إلى نقل مركز إدارتها من دار الأكاديمية البروسية ببرلين إلى (مينز) .

وبعد محاولات كثيرة سمح رجال الاحتلال فى غرب المانيا للجمعية بمعاودة نشاطها فعقدت أول مؤتمر لها فى (مينز) فى الفترة الواقعة بين ٤ و ٦ يونيه ١٩٤٨ وقد اشترك فيه نحو مائة مستشرق المانى وأجنبى كما القيت عدة بحوث واختتمت الجلسات باتخاذ قرار ينص على إعادة تأسيس جمعية المستشرقين الألمان .

وفى ٢٩ سبتمبر /١ أكتوبر سنة ١٩٤٩ اجتمع المؤتمر فى توبنجن تحت إشراف الأستاذين أنوليتمان وهلموت شيل وعاونت فى أعمال سكرتارية المؤتمر الآنسة كريمة فون بابن سفير المانيا السابق فى تركيا .

وقد اعتذر عن الحضور حضرة صاحب الفخامة الدكتور (هويس) رئيس الجمهورية الألمانية الغربية كما شارك فى هذا المؤتمر كثيرون من الخارج خاصة النمسا وسويسرا والدانمارك وهولنده ومصر .

أعمـال المؤتمر

شعبة الدراسات الهندية

الجمعة ٣٠ سبتمبر :

جناب رئيس البعثة العسكرية الهندية ببرلين (خوب شند) .

التعاون الألمـانى الهندى الثقافى .

الأستاذ الدكتور ارنست فلدشمت الثقافة الهندية فى ضوء الأبحاث الحديثة

السبت ١ أكتوبر :

الأستاذ الدكتور يوحنا أوفهوزر (ميونخ) .

العوامل التى تساعد على انتشار المسيحية فى الشرق الأقصى (احياء لذكرى مرور ٤٠٠ عام على وصول فرنس كسافرز فى ١٥ أغسطس ١٥٤٩ إلى كاجزشيما) .

الدكتور ك . رمبس (توبنجن) .

من مؤلف زراتشت نامة ؟

شعبة الدراسات السامية

جمعة ٣٠ سبتمبر :

الأستاذ الدكتور (لوش) .

حول ورق بردى جديد عثر عليه فى مصر (يرجع إلى الفترة الواقعة فيما بين القرن الثالث حتى أوائل القرن الرابع الميلادى) .

الأستاذ الدكتور هلموت ريتر (فرنكفورت) .

التظلم على الله عند متصوفة الفرس .

الدكتور شنيتسلر (فريبورج) .

خصائص التصوير فى بلاد ما بين النهرين قديما .

الأستاذ البارون فون بيسنج .

الشكل الأهرام رمز خاص ؟

الأستاذ الدكتور كوينل (برلين)

أبحاث جديدة فى الفن الاسلامى .

الدكتور هونرباخ (بون) .

جديد حول ابن قزمان .

الأستاذ الدكتور شاده (همبورج) .

حول دائرة المعارف الاسلامية .

الأستاذ الدكتور فؤاد حسنين على .

حول تعاون مصر مع الغرب .

وقد رأيت اتماما للفائدة نشر بعض البحوث التى ألقيت هناك والتى تتصل اتصالا مباشراً بدراساتنا فى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول .

ENZYKLOPÄDIE DES ISLÀM

VON

Pro. Dr. SCHAADE

HAMBURG

Prof. Schaade berichtete auf Grund privater Informationen aus Holland über den gegenwärtigen Stand der Vorbereitungen zur Herausgabe einer 2. Auflage der "Enzyklopädie des Islâm". Diese 2. Auflage soll in einer englischen Ausgabe, zunächst zu 1500 Exemplaren, und einer französischer Ausgabe, zunächst zu 1000 Exemplaren, herausgebracht werden, jedoch soll durch Anfertigung von Klischees die Möglichkeit offen gehalten werden, erforderlichenfalls weitere Exemplare nach zuliefern. Die Titel der Artikel bleiben ARABISCH. Um ihr Auffinden (soweit es sich nicht um Eigennamen handelt) zu erleichtern, soll ein englischer bezw. französischer Index beigegeben werden. Ausserdem soll der Inhalt des Werkes nach verschiedenen Richtungen bereichert werden, z.B. hinsichtlich Kunstgeschichte und Philosophie. Auch hofft man, aus der türkischen und der arabischen Bearbeitung der 1. Auflage der EI wertvolle Berichtigungen und Zusätze zu gewinnen.

Pro. Schaade berichtete ferner über ein ausserhalb des Sowjet-Union wenig bekanntes arabisch-russisches Wörterbuch der modernen arabischen Schriftsprache von Baranov, dessen erste, etwa in den Jahren 1941-1945 gedruckte Auflage vergriffen ist und für dessen Neudruck sich der bedeutendste Arabist Russlands, Prof Kratschkowskij, Mitglied der Leningrader Akademie, einsetzt.

eingeltende sprachliche Textstellungen zu Ibn Quzmân aus dem ʿÂṭil des Ḥillî entnommen, die für die Skizze des hispanoarabischen Dialektes von Bedeutung sein werden. Von den gefundenen Zagal-Fragmente waren 38 bisher unbekannt, weil sie wohl dem grossen Dîwân entnommen. Sie sind ein willkommener Beitrag zu einer späteren wissenschaftlichen Neuausgabe der Iṣâba. Vor allem bereite ich eine Ausgabe des ʿÂṭil al-Ḥâlî von Ḥillî vor, welche hoffentlich in Kairo wird erscheinen können.

NEUES ZUR IBN QUZMÂN

VON

Dr. W. HOENERBACH

BONN

Neben der Klassischen Poesie existieren Strophenlieder, hierunter in Spanien spätestens seit der frühen Almohadenzeit das Strophenlied in vulgärer Form genant Zagal. Die Erforschung des Zagal ist deshalb sehr wichtig und wird auch seit 50 Jahren deshalb ernsthaft betrieben, weil seine Ähnlichkeit mit der romanischen Minnedichtung auffallend ist. Der bedeutendste Vertreter des Zagal ist Ibn Quzmân (gest. 555 H), dessen Dîwân: Iṣâbat al-aġrâd von Nykl 1933 in Transkription provisorisch ediert wurde. H. Ritter fand in der "Safîna" betitelten Anthologie des 'Alî b. Mubârakšâh (um 850 H)—Tayzullah—Hschr. 1609 und im 'Âṭil al-ḥâlî des Ḥillî (Umumi-Hschr. 5542) 50 Fragmente aus zagals des Ibn Quzmân. Er schickte mir das Material aus Istanbul zu, und ich übersetzte und bearbeitete es für den "Oriens".

Dabei erzielte ich neue Resultate: Neben der Iṣâba existiert ein 2 ter Dîwân von Ibn Quzmân, der sog. Dîwân al-Kabîr, von dem man bisher nichts gewusst hat. Interessant ist, wie Ibn Quzmân in Kreisen seiner Nachfolger und Nachahmer bis in das 8. Jahrhundert hinein diskutiert wurde und dass in seinem Namen eine Reihe von Zagal gesetzen aufgestellt wurde, die in Wirklichkeit von den späteren erst erfunden wurde. Ibn Quzmân selbst richtet sich nach keinen einzigen seiner angeblichen Verbote, sodass als die ersten, die gegen die Schulregeln verstossen, die Begründer der Gattung selbst erscheinen. Vielleicht ist es auch, in der alten Poesie nicht anders gewesen. Vor allem habe ich sehr

Anmerkungen

(¹) Die klassischen Angaben über die Pyramiden. sind ausser in Wiedemanns Herodotkommentar zum 11 ten Buch. in meiner Schrift "der Bericht des Diodor üuber die Pyramiden (Bibl. I 63, 2-64)" Berlin 1991. zu finden, dort sind auch die verschiedenen antiken Maszangaben behandelt.

(²) *Jomard* in der Description de l'Égypte, seconde édition par Panckoucke 1822 VII S. 29 ff hat sich vor allem bemüht, den Gebrauch bestimmter den Aegyptern eigner Masse nachzuweisen, die Deutung der Pyramiden als Gräber lehnt er nicht ab. Ueber Pyramidenweisheit im Ganzen s. *Wiedemanns* Aufsätze im Globus 1893, LXIII S. 217 ff. 242 ff, im Anthropos 1921/2 "die relig‥se Bedeutung der ägyptischen Pyramiden" und in der "Völkerkunde 1927, die ägyptischen Königsgräber und ibre religiöse Bedeutung".

(³) Auf keinen Fall kann Pyramis von dem nur ganz selten genannten Kuchen Pyramis abgeleitet werden: vielmehr wurde der spitzige Kuchen von den Griechen nach der Pyramide benannt. Ob bei der Transkription von PMR das griechische Wort Pyra, der Scheiterhaufen, mitgesprochen hat, lasse ich dahingestellt.

(⁴) Vergl. *Sethe* Pyramidentexte Kommentar II S. 280 ff.

(⁵) Nach v. *Bissing-Borchardt* Das Re-Heiligtum des Königs Ne-Woser-Re (Rathures) I S. 33 ff, Blatt 1, 3, 4, 6 oft abgebildet. Der Obelisk galt immer als dem Sonnengott geweiht.

(⁶) Ann. Serv. Ant. d'Egypte III S. 206 ff, Pyramidion Amenemes' III; XXX, 1930 S. 106 f Pyramidion des Chenzer, beide aus dem mittleren Reich. Eine Sammlung aller auf den Pyramiden angebrachter Texte wäre lohnend.

(⁷) Studi in memoria di Ippolito Rosellini I (Pisa 1949) S. 152 Abb. 9; ebendort Taf. A der von meiner Frau und mir entworfene Wiederherstellungsversuch des grossen Stufentempels von Deir el Bahri auf Grund der Ergebnisse der amerikanischen Ausgrabungen.

(⁸) Ich habe persönlich festgestellt, dasz keine Rede davon sein kann dasz eine dieser Pyramiden eine Nachbildung der Knickpyramide von Daschur Ist.

(⁹) *E. Jomard* a. Anm. 2 a.O.VS. 597 f hat dem lebendigen Ausdruck gegeben.

des Königs (oder Königinnen) Grabs seit dem Beginn des Neuen Reichs. Kamuria-Hatschepsowet lehnte sich im ersten Entwurf ihres Totentempels zu Deir el Bahri noch an das Vorbild des nächst gelegenen Tempels der Könige der XIten Dynastie mit seiner in den Hof gesetzen Pyramide an (7) : aber beim erweiterten Umbau gab sie die Pyramidenform völlig auf, und keiner der reichen und baulustigen Könige der XVIIIten bis XXten Dynastie hat sich eine Pyramide errichtet, vielmehr haben sie in z.T. sehr umfangreichen Felsgräbern die letzte Ruhe gefunden, dort wo sie wohl hofften vor Grabräubern sicher zu sein. Die Sorge um die Sicherheit der Leiche mag zusammen mit dem Wunsch die Königliche Grabstätte über die der anderen Sterblichen hinauszuheben zum Uebergang von der Mastaba über die Stufenmastaba zur Pyramide geführt haben, in so mancher Anordnung der Innenräume der Pyramiden äussert sich diese Sorge. Während nun die Herrscher die Pyramidenform aufgaben, nahmen die Privaten sie an-ein in Aegypten nicht ungewöhnlicher Vorgang, der aber undenkbar wäre, wenn sie sich dadurch eine religiöse Sicherung angeeignet hätten, die den Herrschern verloren gegangen wäre. Die äthiopischen Könige in Napata und Meroë sind wieder zur Pyramidenform zurückgekehrt, diese war aber nicht der Typus der Pyramiden das Alten und Mittleren Reichs, sondern der spitzige Typus Privatpyramiden des späten Mittleren und Neuen Reichs (8). Trotzdem mag die Wiederaufnahme mit der Tendenz der äthiopischen Könige an Altertümliches anzuknüpfen zusammenhängen. Ebenso folgen die pyramidalen Bauten später Grabstätten im Mittelmeerbereich, auf die einzugehen hier zu weit führen würde, diesem spitzigen Vorbild, darunter auch die Pyramide des Cestius in Rom und die leider nicht mehr erhaltene nahe der späteren Peterskirche. Bei Cestius und Seinesgleichen handelt es sich nicht um Männer ägyptischen Glaubens, sondern sie empfanden wohl, und mit Recht, die Pyramide als unerhörte künstlerische Leistung, die an Monumentalität wohl nie übertroffen worden ist (9) und wünschten ihr Grab so auszuzeichnen.

eine Pyramide auf einer hohen Basis, die zum Schaft geworden sei. Die pyramidenförmige Spitze, das BENBEN, sei das wesentliche, das Obelisk und Pyramide verbände. Merkwürdig nur, dasz die Aegypter der Vten Dynastie, als sie dem Sonnengott in unmittelbarer Nähe der Pyramiden, ein Heiligtum errichteten, nicht eine Pyramide als sein Symbol in den Hof des Heiligtums gestellt haben, sondern einen aus grossen Blöcken errichteten, über einer stattlichen Basis sich erhebenden Obelisken (5). In keinem Texte heisst die Grabpyramide BENBEN, nie wird sie als Sitz oder Sinnbild des Sonnengottes angesprochen. Die Inschriften auf den von *Schaefer* ÄZ XLI 1904 S. 84 f. zuerst als Spitzen von Pyramiden erkannten Pyramidia (6) setzen den König in Beziehung zu verschiedenen Gottheiten, nach den vier Weltgegenden verteilt, zu Imiut, Harmachis, Ptah-Sokaris-Osiris, Orion, alles mit dem Totenkult oder der Sonnenbarke verbundenen Gottheiten. König Amenemes soll die Schönheit der Sonne schauen, sein Gesicht ist geöffnet, und er schaut den Herren des Horizontes (Harmachis) wie er den Himmel durchfährt. Die Seele Amenemes' ist höher als die Höhe des Orion und vereinigt sich mit der Unterwelt. Re-Hor festigt seinen Sohn über dem Sternenheere der heiligen Stätte der Isis (?), die über ihr untergeht. Es handelt sich offenbar um die Teilnahme des toten Königs an der Sonnenfahrt über den Tages- und Unterweltshimmel. Dasz auf den Sonnenkult bezogene Formeln auf der Spitze königlicher Grabmäler angebracht sind, kann bei dem innigen Verhältnis des Königs zum Sonnengott und der Universalität des Sonnengottes nicht Wunder nehmen. Dasz mit der Pyramidenform, deren frühesten Vorläufer wir in dem Stufenbau des Nebetka zu Saqqara in der Isten Dynastie vielleicht erkennen dürfen, keine Symbolik verbunden war, geht schon aus diesem Bau hervor. der durch Ummauerung der Stufen den pyramidalen Charakter verloren hat und die Gestalt eines der üblichen monumentalen Gräber, der Vorgänger der Mastaba, erhalten hat. Noch mehr aber wird es bewiesen durch die Aufgabe der Pyramide als Form

Pyramiden kennen, was unerklärlich wäre, [illegible] Maszen der Kammern und Gänge, der Höhe und Breite Geheimnisse mathematischer Art verborgen hielten. Kein ägyptischer Text sagt von einer Pyramide etwas andres aus, als [illegible] Grabstätten sein. Ihr Name MR hängt wahrscheinlich mit dem Wort MR "Leid, Trauer, [illegible] auch Leichenhaufen" zusammen, deutet also auf den Zweck des Baus hin. Ihn, wie, freilich mit Vorbehalt, Mister Edwards, in seinem hübschen Buch the Pyramids of Egypt (Pelican books 1947) S. 2 6 tut, "Ort des Aufsteigens" zu deuten, ist philologisch unmöglich: kann niemals ein oder gar einschliessen; bezeichnet nie den "Ort" sondern nur "in", "gleich". Dazu kommt dass . die Treppe oder mit determiniert "aufsteigen", erst vom mittleren Reich ab bezeugt sind, das Wort für Pyramide nie mit diesen Lauten geschrieben wird. Leider kennen wir seine Aussprache weder aus dem Koptischen noch aus sicheren griechischen Transkriptionen: man könnte Pyramis als den männlichen Artikel P und ein mit griechischer Endung IS versehenes Wort auffassen, das, um der leichteren Aussprache willen RAM statt MAR geworden wäre (3). Eines noch: das Aufsteigen zum Himmel dachte sich der Aegypter nicht über Stufen, sondern mit Hilfe einer Strickleiter wie es in den Pyramiden § 472–4 heisst: die Leiter wird durch Re angesichts des Osiris geknüpft, sie wird durch Horos angesichts seines Vaters Osiris geknüpft, wenn er zu seiner verklärten Gestalt hingeht: der eine von ihnen ist auf dieser Seite, der andere von ihnen ist auf jener Seite, während der Tote zwischen ihnen ist. Die verklärte Gestalt zum Himmel, den Leichnam zur Erde (4).

Breasted in seinem Development of religion and thought in Ancient Egypt S. 320 (vergl. S. 70) nennt 1912 den Obelisken

HAT DIE PYRAMIDENFORM SYMBOLISHE BEDEUTUNG?

Prof. Frh. von BISSING

Das klassische Altertum, angefangen von Herodot bis zu Horaz letzter Ode in seinem dritten Buch, und zu Strabo's kundiger Beschreibung Aegyptens, hat die Pyramiden, man darf sagen einhellig, für Gräber gehalten (¹); wenn der an sich achtungswerte Philologe und Platokenner Proklos im Vten Jahrh. n. Chr. in seinem Timaioskommentar die Pyramiden zu Sternwarten machen wollte, so kann das nur auf Unkenntnis der Bauwerke beruhen: zur Spitze der Pyramiden zu gelangen hätte es ungeheurer Gerüste bedurft, oder einer selbst für geübte Bergsteiger gefährlichen Kletterei durch die glatten Steinmäntel. Wenn christliche Schriftsteller in den Pyramiden die Speicher Josefs vermuten, so kann es sich nur um den Glauben handeln, Josef habe sich die alten Bauten zu Nutze gemacht; diese sind ja mindestens ein Jahrtausend äkter als Josef. Seit Napoleons ägyptischer Expedition und der anschliessenden Entzifferung der Hieroglyphen sind solche Zuschreibungen unentschuldbar, auch sind in zu vielen Pyramiden die Sarkophage der Herrscher noch gefunden worden. Die unzureichenden Grundlagen für alle Zahlenspekulationen mit den Maszen der Pyramiden, von denen selbst das bedeutende Mitglied der Napoleonischen Kommission, der Ingenieur E. Jomard, nicht ganz frei geblieben ist (²), hat *Ludwig Borchardt* 1922 in seinem Vortrag "Gegen die Zahlenmystik der grossen Pyramide bei Gise" aufgezeigt: unsere Messungen sind vielfach viel zu ungenau. Mit Nutzen wird man seine Abhandlung "Längen und Richtungen der vier Grundkanten der grossen Pyramide bei Gise" (1926) hinzuziehen. Mit Borchardt ist zu betonen, dasz schon die vielen Umbauten und Planänderungen bei den einzelnen Pyramiden gegen solche Zahlenmystik sprechen, ebenso, dasz wir nicht zwei identische

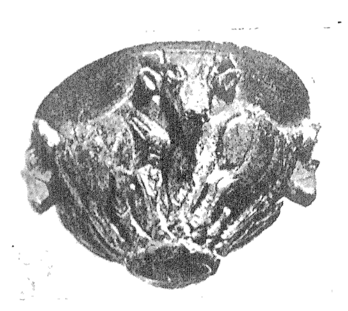


Abb. 1.—Berlin, Staatl. Museum



Abb. 2.—London, Brit. Museum





Abb. 3.—Bagdad, Iraq Museum

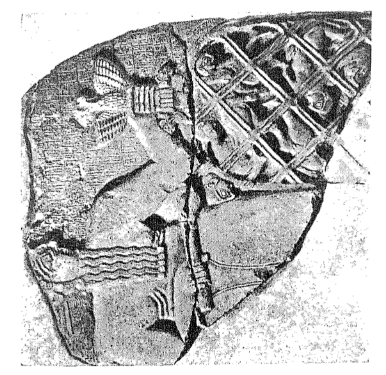


Abb. 4.—Paris, Louvre

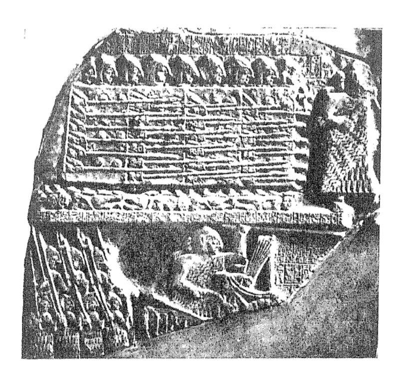


Abb. 5.—Paris, Louvre



Abb. 6.—Paris, Louvre

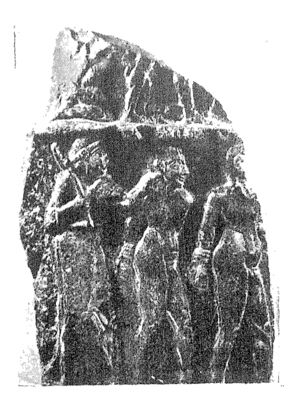


Abb. 7.—Paris, Louvre



Abb. 8.—Paris, Louvre

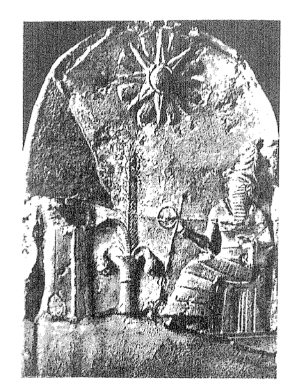
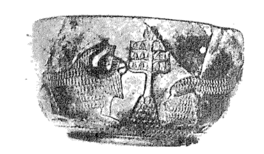


Abb. 9.—Paris, Louvre



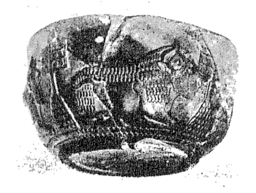


Abb. 10.—Paris, Louvre

war in gleicher Weise wie das Ende der kretischmykenischen oder der antiken Kunst ein geschichtliches Ereignis allerersten Ranges. Mit ihr stürzte ein gewaltiger, durch Jahrhunderte gewachsener Komplex künstlerischer Werte ein. Doch sind von diesem Gebäude gleichsam nur die aufgehenden Mauern abgerissen worden. Die Fundamente wurden zwar heftig erschüttert, sind aber weniger von der Zerstörung betroffen worden. Auf diesem, von den Sumerern gelegten Grundstock hat die gesamte Bildkunst des Alten Orients weitergebaut. Und gerade das immer wieder zur Geltung kommende Hochrelief mit seinen halbrund vor die Fläche gestellten Figuren wurde als unverwüstliches sumerisches Erbe zu einer typischen Eigenart der orientalischen Reliefbildnerei im gesamten Altertum.

Zeit dominiert, sucht man vergeblich unter den Werken der Gudea- Zeit, der III. Dynastie von Ur und der Ära des Hammurabi-Herrscherhauses. Die von der Akkadkunst geübte Wiedergabe der Menschengestalt ging restlos unter. Klobig und klotzig tritt sie auf (Abb 9) ([1]), von schweren Gewändern eingehüllt, die nur wenig ihren somatischen Bau durchscheinen lassen. Das Moment der Bewegung und des Lebhaft-Natürlichen, das bisher die altmesopotamischen Reliefs zum größten Teil in recht anschaulicher Weise erfüllte, ist geschwunden. Sein widersacher, die statische Ruhe beherrscht nun die Darstellung. Wo eine Bewegung gezeigt wird, steht sie unter dem Gesetz des Formelhaften, die Ungezwungenheit fehlt. Die Lösung der Spannung zwischen der rundhaft angelegten Skulptur und der planen Reliefflächе, die in der Akkadkunst sich einstellte, wurde schon von den neusumerischen Meistern nicht mehr beibehalten. Eine radikale Abwendung der Figur von der Reliefebene erfolgte. Der Hintergrund gilt nur mehr als nackte, tote Folie.

Trotz des Dominierens körperhafter Formen treten Schwankungen in der Struktur der Skulptur auf, die plötzlich zu einer Verflachung führen, wie es unter anderem auf der Gudeastele in Berlin ([2]) beobachtet werden kann. Aber auch eine grundsätzlich flachige Konzeption kann durch eine mehr plastische Anlegung eines Teiles der Figur, vornehmlich des Kopfes unterbrochen werden (Abb. 10) ([3]).

Die sich darin verratende Vermengung der beiden bisher nebeneinanderlaufenden Formneigungen der altmesopotamischen Reliefkunst beruht nicht auf künstlerischen Regungen, vielmehr weist sie mit anderen Erscheinungen eindringlich auf das Erlahmen der produktiven Gestaltungskraft hin. Ihr Niedergang

([1]) Ebenso: Stele Ur-Nammus, Contenau a.O. Abb. 544 ff., Zervos a.O. 228., Christian a.O. Taf. 424; Bildsteine des Hammurabis Enc. I 258-53; C.Bezold, Ninive und Babylon, 4. Aufl., 1926, Abb. 37.

([2]) Christian a.O. Taf. 425. Zervos a.O. 204.

([3]) Louvre, nach Zervos a.O. 226-27. Enc. I. 255 A.

daß der altsumerische "Rundstil" eine glanzvolle Regeneration erlebte, die nicht eine unveränderte Wiederholung bedeutete, sondern eine sehr ansprechende Wandlung seines Wesen zur Folge hatte (1).

Die Reliefkunst von Ende des Akkad-Dynastie bis zum Kassiteneinfall stellt in struktureller und stiltischer Hinsicht eine Einheit dar. Doch entstand sie nicht durch ein an ihrem Beginn stehende überragende Stilform, deren Auswirkung so nachhaltig war, daß die Folgeszeit unter ihren Bann geriet und von ihrer ausstrahlenden Kraft in einer bestimmten Richtung gehalten wurde. Die stilistisch kaum mehr wandlungsfähige Kunst der nachakkadischen Abschnitte steht unter einem negativen Vorzeichen (2). Die Ursache dafür war, daß kein künstlerischer Impuls dem lebensschwach gewordenen Sumerertum mehr innewohnte, als es nochmals zur politischen Herrschaft gelangte und die ihm noch verbliebene Kraft in erster Linie für seine staatliche Behauptung einsetzen mußte. Dieser für die altmesopotamische Kunst schicksalhafte Ausfall des sumerischen Schöpfertums fand durch die neu auftretenden Völker keinen Ersatz.

Das unter den Akkadern gewonnene neue Aussehen des "Rundstils", der auch in neusumerischer -und altbabylonischer

(1) Mit aller Vorsicht darf hier die Frage aufgeworfen werden nach der volksmässigen Zusammensetzung der unter den akkadischen Herrschern tätigen Künstlern. Ließen entwicklungsgeschichtliche Erwägungen nicht die Vermutung zu, daß die Träger der Akkadkunst wenigstens zum Teil Sumerer waren, die von den kraftvollen Persönlichkeiten der Akkad-Dynastie zur bildlichen Verherrlichung ihrer Macht gedungen wurden und die als Angehörige des noch immer kulturell führenden Volkes in den akkadischen Werkstätten lehrend und richtungsweisend wirkten? Entsprächen solche Überlegungen den historischen Tatsachen, dann hätten die Könige von Akkad als erste in der langen Reihe orientalischer Herrscher eine eigene "Hofkunst" durch Verpflichtung von nicht ihrem Volkstum angehörenden Künstlern ins Leben gerufen.

(2) Hierzu die trefflichen Bemerkungen A. Moortgats in "Vorderasiatische Rollsiegel" 27 und 31.

Kenntnis dreidimensionaler Gestaltungsweise vortäuscht, ein Phänomen, das noch stärker auf neusumerischen und altbabylonischen Reliefs (1) auftreten kann.

Die wenigen erhaltenen Monumente bezeugen, daß auch im Zweistromland durch die hohe Kunst am akkadischen Hofe die Schaffung eines idealen Flächenstils unter Ausnützung aller Mittel, die die unperspektivische Darstellungsart bietet, in die Wege geleitet wurde und damit eine sinnvolle Verflechtung der beiden konträren Stilneigungen der sumerischen Reliefbildnerei hätte herbeigeführt werden können. Leider kam diese Entwicklung nicht zum Abschluß. Vielleicht wäre der akkadischen Periode bei längerer Lebensdauer die gleiche Mission zugefallen, die der des Alten Reiches in Ägypten beschieden war, nämlich richtungsweisend für die nachfolgende Bildkunst im Zweistromland zu werden. Was tatsächlich erreicht wurde, ist die synoptische Verbindung von Figur und Fläche bei der die erstere zwar an Körperlichkeit abgibt, doch in ihrem plastischen Gewicht stark genug bleibt, um ein effektives Aufgehen in der Reliefebene zu vermeiden. Dem Reliefgrund fällt zum ersten Male eine positive Aufgabe zu. Seine negative, gegenüber der Skulptur direkt abweisende Haltung wandelt sich ins Gegenteil ; er nimmt aktiv am Bildaufbau teil. Weiters muß auf die Einführung des dramatischen (2) und drastischen Elements hingewiesen werden, das in so wirkungsvoller Stärke bisher unbekannt war. Schließlich ist der akkadischen Kunst noch ein äußerst bedeutungsvoller Schritt gelungen. " Sie hat "—um H. Schäfers Worte (3) für die ägyptische zu gebrauchen—" den Adel im Bau der menschlichen Gestalt gefühlt und dem in der Kunstform Ausdruck verliehen". Alle diese Sonderleistungen aber vollzogen sich unter Umstand,

(1) Abb. 9 nach Zervos a.O. 231, Enc. I. 247 : Gesetzesstele des Hammurabi, Enc. I, 258-59 ; über die Augendarstellung auf diesen Denkmälern s. L. Schnitzler a.O.

(2) A. Scharff, Wesensunterschiede ägyptischer und vorderasiatischer Kunst (AO. 42, 1943), 20.

(3) a.O. 19.

verschmelzende Bindung mit ihm augenfällig macht. Dagegen gibt es in der künstlerischen Durchführung Wandlungen gegenüber dem Vorhergegangenen, die als Merkmale akkadischer Art zu bewerten sind. Trotz der Massigkeit sind die Gestalten leichten Wuchses. Wie in der Djemdet Nasr-Kunst wurde in dem harten Gestein etwas von der sinnlichen Wärme von der Weichheit und dem Schimmer der Leiber eingefangen, doch ruhiger und gedämpfter in die plastische Form übertragen, deren Ausarbeitung ein hohes Gefühl für echte Flachbildnerei leitet. Die enge Kopplung mit der Vollplastik ist geschwunden. Die Akkadkunst hatte eine Gestaltung für das Relief gefunden, die seiner Stellung zwischen Freiplastik und Zeichnung gerecht wurde.

Was sie zu leisten vermochte, stellen die Stelen des Naram-Sin aus Susa (Abb. 8) (1) und Diarbekr (2) unter Beweis. Bestechend ist die bis in assyrische Zeit wohl einmalige Reliefbehandlung. Bei aller plastischer Freiheit der Figuren entsteht eine echte Flächenkomposition. Der Hintergrund wird, was bisher nie geschah, aktiv zur Bildgestaltung und zur Unterbauung des davor sich abwickelnden Geschehens herangezogen. Obwohl eine Bezugnahme der Figuren auf die Fläche erfolgte, kann man auch diese Werke nicht als Flachreliefs bezeichnen. Dazu ist die rundliche und schwellende Modellierung aller dargestellten Dinge viel zu lebhaft. Trotz der fühlbaren Reduzierung ihres natürlichen Umfangs behielten menschliche und vegetabile Geschöpfe alle ihre hervorstechendsten Eigenschaften, die sie als körperliche Wesen kennzeichnen. Die Umriße sind abgeschliffen und nicht gekantet. Köpfe, Fäuste und Arme sind erhaben gebildet, sodaß im Gesichtsprofil das Auge nicht streng frontal, sondern leicht eingesenkt wird, und dadurch die scheinbare

(1) Louvre, nach Enc. I. 214, Zervos a.O. 165-67.

(2) Zervos a.O. 164; V. Christian, Altertumskunde des Zweistromlandes Taf. 365; Unger a.O. Abb. 38.

Von sehr merkwürdigem Charakter ist eine in Tell Asmar gefundene Alabastergruppe[1]. Sie kann nicht in eine bestimmte plastische Ordnung eingereiht werden. Sie ist ein Zwitterding von Voll- und Reliefplastik. Nicht allein wegen der sehr stark vor die Fläche tretenden Figuren, sondern auch deshalb, weil der Reliefgrund durch die nahezu vollplastische Fassung der Skulpturen teilweise abgetragen wurde: eine Art der Herrichtung, die in der Kunst des Alten Orients bisher einmalig geblieben ist[2].

Der Vergleich des Bildsteins aus Senkereh mit dem Bruchstück der Stele Sargons I. (Abb. 7) macht ersichtlich, daß die unter den Akkadern gepflegte Reliefkunst in der langen Tradition der Vergangenheit wurzelt. Der von den Sumerern schon früh geschaffene "Rundstil" und die damals angestrebte Naturhaftigkeit kommen wieder—in sublimer und gefälliger Weise angewandt—vollends zur Geltung und bestimmen schlechthin das Aussehen der akkadischen Kunst.

Die Reliefs der Sargonstele[3] kennzeichnet die gleiche Leiblichkeit mit der betonten Herauswölbung der einzelnen Körperpartien, die auch nach der Djemdet Nasr-Zeit trotz des starken Hervortretens des "Flachstils" sich als besondere Stilrichtung behauptet. Ferner ist das Verhältnis der Figuren zum Hintergrund gleichgeblieben. Zwar sind sie mehr der Fläche angepaßt, wie die Stiere auf der anfangs gesehenen Steatitschale (Abb. 1), haben aber wie diese die bestimmte Abrundung gegen den Grund, die ihre Körperlichkeit und zugleich ihre wenig

(1) Orient. Inst. Comm. 17, Abb. 44-45: Archiv f. Orientforshung 9, 1933/34, 222, Abb. 9-10.

(2) Eine Parallele dafür gibt es erst in der späthellenistischen Kunst bei in Pergamon gefundenen, mit hoher Wahrscheinlichkeit von Mithradates VI., Eupator, 88 v. Chr. geweihten Reliefs (Altertümer v. Pergamon VII, Taf. 37, Text 2, 175 ff.: G. Krahmer, JdI 4°, 1925, 183 ff.).

(3) E. Unger, Sumerische u. akkadische Kunst, Abb. 33-34: G. Contenau, Manuel d'Arch. Orientale II, Abb. 462-64.

Das Relief steigt dort nur wenig vom Hintergrund empor und läuft in mustergültiger Weise ebenmässig um das Gefäß, einen wahrhaft idealen Vordergrund einhaltend. Die Figuren sind geradezu mit kalter Exaktheit gleich Schablonen vom Grund kontrastiert. Lebensnahe Wärme beseelt sie wenig. Stilistische Eigenarten, wie die ein wenig amorphe Anlegung der nackten Körper, die klobigen Schädel, die massigen Schultern, die spitzwinkeligen Ellenbogen, die erhebliche Einkrümmung des Rückens und das feste Überhängen des Bauches über dem Geschlecht, kehren Zug um Zug in der Mesilim- und Ur I-Zeit wieder.

So läßt sich unmittelbar an das Denkmal der Djemdet Nasr-Zeit die erheblich jüngere Geierstele Eannatums (Abb. 4–5) (1) anschließen. Dieselbe Formneigung ist auch hier ausschlaggebend und gegenüber den älteren Vertretern noch gesteigert worden. Den Umriß bestimmt eine eisige Starre ; die Körper sind grobschlächtig, die Innenzeichnung wird durch hart gezogene Striche markiert. Rigoros ist die Flächenbreitung durchgeführt, die selbst bei einer engen Seiten- und Hochstaffelung (Abb. 5) nicht schwindet.

Der in der "Mesilim"-Zeit entstandene Kudurru aus Senkereh (Abb. 6) (2), dessen Darstellungen in struktureller Hinsicht noch sehr der Djemdet Nasr-Kunst verhaftet sind, ist eine Zeuge für die Fortführung des "Rundstils" in den ihr folgenden Stufen. Die dicklichen, an manchen Stellen wulstigen Figuren kehren erst auf der Stele Sargons I. (Abb. 7) (3) wieder, wo sich auch eine erhebliche Ähnlichkeit im Schnitt des Profils und der Augen findet. Hingegen besteht durch die befangene Stellung der voreinandergesetzten Beine sowie im allgemeinen Habitus eine Verbindung mit der Geierstele und den stilistisch ihr verwandten "Weiheplatten".

(1) Louvre, nach Enc. I. 193–94. Zervos a.O. 106–112.

(2) A. Parrot, Archiv f. Orientforschung 12. 1939. 319 ff., nach Abb. 3-4.

(3) Louvre. Zervos a.O. 159, nach Enc. I. 212.

mächtiger Plastizität sind, daß der Hintergrund weitgehend abgedeckt wird. Die Figuren wurden in so füllige Formen gegossen, daß sie hart an die Grenze der Vollplastik kommen. Eine gleichsam im letzten Moment erfolgte Anpassung an die Fläche, bewirkt eine kaum merkliche Abflachung der Skulptur und damit ihr Verbleiben in der Reliefform, wenn auch an ihrer äußersten Peripherie.

Eine Steigerung des Gedankens der plastischen Selbständigkeit der Skulptur gegenüber dem Reliefgrund führte zu jenen in Uruk gefundenen Tierbildern, die an eine Wand gestückt waren (1). Trotz ihrer scheinbar rundplastischen Gestalt wurden nicht Freiplastiken der Länge nach halbiert, sondern es trat eine leichte Verminderung des Körperumfangs der Tiere ein. Um zur Wirkung zu kommen, müssen sie vor eine Fläche gestellt werden.

Auch auf der Löwenjagd-Stele aus Uruk (Abb. 3) (2) heben sich die Figuren deutlich vom Grund ab, dennoch bleiben sie flächig. Trotz der Wölbung des Steines ist die Parallelität von Reliefbasis und -vorderebene erhalten geblieben. Die Gestalten sind bedeutend sparsamer durchmodelliert als die soeben besprochenen auf den Reliefgefässen. Die Gliederung beschränkt sich auf die Hervorhebung der anatomisch wichtigsten Teile. Nur gelegentlich, und da bezeichnender Weise am Tierkörper, kommt die fleischige Beschaffenheit der Lebewesen durch eine weichere Anlegung der Formen zum Ausdruck,

Jene nüchterne, nur mit Strichen, nicht mit faßbaren Bildungen arbeitende Schöpfungsweise findet in der berühmten Alabastervase aus Uruk (3) ihren anschaulichsten Niederschlag.

(1) H. Lenzen, 7, 9. und 11. Vorläufiger Bericht, 20, Taf. 24 1 : 13, Taf. 27 a ; 21, Taf. 33 a-c.

(2) Bagdad, nach Propyläen-Kunstgesch. II, 4. Aufl. 1942, 471.

(3) E. Heinrich, Kleinfunde aus den archaischen Tempelschichten in Uruk, Taf. 2, 3, 38, Prop. Kunstgesch. II, 472. Zervos a.O. 62-63.

Skulptur eine verhältnismäßig starke Erhöhung besitzt. Die Figuren sind markant konturiert und bar ihrer naturgegebenen Leiblichkeit, dafür in die Fläche gebreitet und nur mäßig durchmodelliert. Jener "Flachstil" ist seit der Djemdet Nasr-Zeit ebenso vollkommen ausgebildet, wie sein Gegenspieler, der "Rundstil".

Vorerst sind nur aus dem Bereich der Kleinkunst der Djemdet-Nasr-Stufe die hervorragendsten Beispiele des "Rundstils" erhalten. Das Relief auf der 6 cm. hohen Rinderschale aus Steatit in Berlin (Abb. 1) (1) ist kräftig vom Grund abgesetzt. Die Tiere sind in plastischer Weise äußerst füllig und lebensvoll modelliert. Das Streben nach möglichst unmittelbarer Übertragung der körperlichen Erscheinung auf die bildliche Wiedergabe geht so weit, daß die Beine stark vom Grund gelöst sind, Wamme und Kopf freiplastisch hervortreten. Bereits an diesem Relief finden sich leichte Unterschneidungen, so am Ohr und an den Beinen; eine technische Besonderheit, die zwar selten auftritt, aber immer wiederkehrt (2), sogar in der jungassyrischen (3) und in der an den Höfen kleinhethitischer Fürsten (4) gepflegten Kunst getätigt wurde. Die Figuren werden gegenüber dem Hintergrund so sehr verselbständigt, daß man beinahe glauben könnte, sie seien der Gefäßwand aufgeheftet worden. Skulptur und Reliefbasis stehen sich wie zwei mechanisch zusammengefügte Dinge gegenüber, denen jedes ästhetisch-künstlerische Übereingehen fehlt: eine Eigentümlichkeit, die in gleicher Art auch Werken zu eigen sein kann, die der "Flachstil"-Gruppe angehören. Es gibt Gefässe (Abb. 2) (5), deren Reliefs von so

(1) Nach H. Lenzen, Die Sumerer, Abb. 8.

(2) Wie Abb. 9 (am Mantel des Adoranten), Louvre, Encyclopédie photographique de l'art I. 247: nach Chr. Zervos, L'art de la Mésopotamie, 231.

(3) Z. B. London, Brit. Mus., Ars asiatica XI, 1928, Taf. 57 oben.

(4) L. Delaporte, Malatya I, Taf. 39, Th. Bossert, Altanatolien, 883.

(5) London, Brit. Mus., nach Zervos a.O. 69.

Sie ist so expansiv nach außen gerichtet, daß die Figuren Vollplastiken ähnlich werden können. Es gibt innerhalb der altmesopotamischen Reliefs nicht wenige Beispiele, die als "halbe Rundbilder" zu bezeichnen sind. Aber in anderem Sinne, wie H. Schäfter diesen Begriff für ägyptische Erscheinungen prägte(1). Hier handelt es sich nicht um Gestalten, die aus der Fläche dem Beschauer en face entgegentreten, sondern parallel zu ihr stehend oder sich bewegend, im Profil zu sehen sind. Dieser Hang der Reliefbildnerei zu direkt rundplastischen Formen, der ein Ineinandergreifen von flach- und vollplastischer Bildung zuläßt, ist schon in der Djemdet Nasr-Zeit dominierendes Stilelement und blieb außer in den zwischen ihr und der akkadischen Periode liegenden Abschnitten stets vorherrschend. Der von dieser Formneigung bestimmte Zweig der altmesopotamischen Reliefbildnerei steht von seinem Ursprung an nicht der strengen Flächenkunst, also der Zeichnung und der Malerei nahe, wie es in Ägypten vorliegt, nimmt auch keine Mittlerstellung zwischen ihr und der Rundplastik ein, die das griechische Relief besitzt, sondern geht weitgehend mit der Vollplastik überein. Gleich jener will man Mensch und Tier möglichst unmittelbar im Stein verleiblichen. Eine wesentliche Reduzierung des natürlichen Körperumfangs, um eine Abstimmung von Plastik und Reliefebene zu erreichen, erfolgt in nur bescheidenem Ausmaß. Deshalb kann man bei nicht wenigen derartig gearbeiteten Werken ihre Anerkennung als Reliefs im üblichen Sinne nur bedingt aussprechen (2).

Dieser Gestaltungsart steht eine andere, ihr diametral gerichtete gegenüber. Sie läßt ein kantiges, stufenartig vom Hintergrund abgesetztes Relief mit gleichmäßig gerader Oberfläche entstehen (Abb. 3–5, 10). Die Formung bedient sich mehr zeichnerisch-graphischer, als plastischer Mittel. Die Ebenmäßigkeit der Vorderfläche wird auch dann bewahrt, wenn die

(1) Von ägyptische Kunst, 3. Aufl., 1930, 76.

(2) Siehe dazu L. Schnitzler in Classical Studies presented to David M. Robinson (im Druck).

der abendländischen Kunst, die ja ohne den Nährboden der antiken undenkbar wäre. Die Sumerer haben auf dem Gebiete der bildenden Kunst die gleiche Mission erfüllt, wie die Griechen: eine Parallele, die in allgemeiner Art bereits von E. Kornemann(1) gezogen wurde.

Es bedarf noch der Erklärung, warum gerade das Relief Objekt unserer Untersuchung ist. Die Tatsache, daß die erhaltenen Denkmäler der Reliefplastik die der Vollplastik zahlenmäßig weit überwiegen, wäre schon Rechtfertigung genug. Es muß noch vorgebracht werden, daß das eindeutige Überwiegen der Flachskulptur bestimmt nicht auf einem Zufall der Überlieferung beruht, vielmehr die historische Gegebenheit von der führenden Rolle der flächengebundenen Plastik gegenüber der Vollplastik dokumentiert. Die große und bleibende Bedeutung des Siegelbildes sowie die absolute Vorrangstellung des Reliefs als wirkungsvollste und gehaltvollste Aussageform künstlerischer Ideen der altorientalischen Völker bis zum Arabersturm sind weitere Beweggründe zu einer derartigen Auslegung des archäologischen Befundes. Ferner geben sie die Berechtigung zur vorrangigen Beschäftigung mit den ältesten Zeugen der Flachbildnerei auf zwistromländischen Boden.

Der altmesopotamischen Reliefkunst fehlt jene Art konstanter Formensprache, die in so vorbildlicher Weise die ägyptische seit der Konsolidierung des Alten Reiches eingehalten hat. Dafür herrscht eine Doppelherrschaft zweier Formungsprinzipien vor, die bereits bei frühsumerischen Gestaltungen sich eindeutig feststellen läßt, und nicht erst im Laufe der künstlerischen Tätigkeit der Sumerer aufkam. Ebensowenig kann man—so naheliegend eine solche Annahme auch erscheinen mag—das eine als sumerisches, das andere als semitisches Spezimen ansprechen.

Die eine Richtung pflegt ein stark vorgewölbtes Relief (Abb. 1, 2, 6–9) mit ausgesprochen voluminös-rundlicher Struktur.

(1) Römische Geschichte I, 26.

EIGENARTEN DER ALTMESOPOTAMISCHEN RELIEFBILDNEREI

VON

Dr. LUDWIG SCHNITZLER

Freiburg i./Brg.

Unter dem Begriff "altmesopotamische Reliefbildnerei" fassen wir die Werke jener Reliefkunst zusammen, die wahrscheinlich schon während der Uruk IV-Periode anhebt, in der Djemdet Nasr-ihren ersten, in der Akkad-Zeit ihren zweiten Gipfelpunkt erreicht, in der neusumerischen- und altbabylonischen Ära nur mehr mit überkommenen und hieratischen Formen zu arbeiten vermag, um endlich durch den Kassiteneinfall ([1]) ihren Abschluß zu finden.

Es soll nun versucht werden, den entwicklungsgeschichtlichen Zusammenhang ihrer diversen Abschnitte aufzuzeigen. Das bindende Element, das ihre Einzelstufen trotz aller eigenständigen Unterschiede zu einer unverbrüchlichen Einheit zusammenschweißt, ist anderer Art als die Kräfte, die der Kunst des Nillandes oder der hellenischen einen stetig ebenmässigen, zugleich organischen Ablauf sicherten und somit die genetische Geschlossenheit aller ihrer Perioden sofort erkennbar machen. Im Zweistromland—und dies gilt unter Berücksichtigung des Eigengutes der einzelnen Völkerschaften für ganz Vorderasien—ist es die von den Sumerern geschaffene Form in struktureller und ästhetischer Hinsicht, die allem künstlerischen Schaffen zu Grunde liegt und die Einheit der altmesopotamischen Kunst herstellt. Es liegen also hier ähnliche Verhältnisse vor, wie in

([1]) Zu seiner epochalen Bedeutung für die mesopotamische Kunst: E. Unger, Assyrische und babylonische Kunst, 17; K. Bittel, Orient. Lit. Zeitung 1935, 370; A. Moortgat, Die bildende Kunst des Alten Orients und die Bergvölker, 9.

BERICHT ÜBER DEN DEUTSCHEN ORIENTALISTENTAG

Tübingen 1949

(vom 30. September bis 1. Oktober)

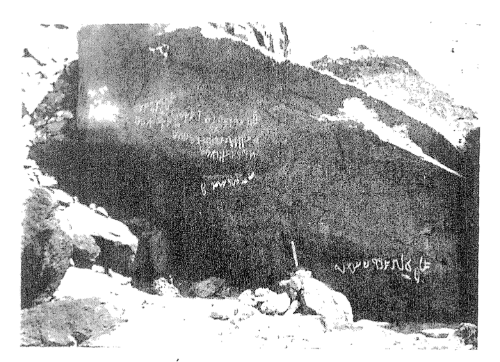


Plate I.—Nabataean Inscriptions in Wadi um'Anab. Rock A.

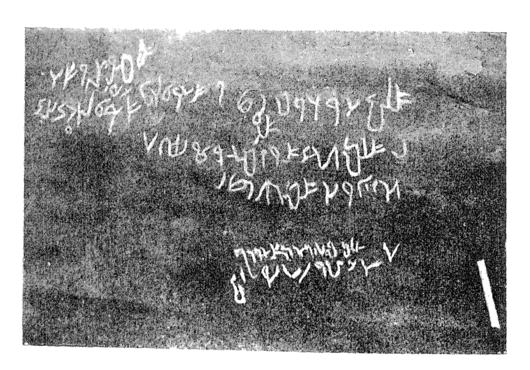


Plate II.—Nabataean Inscriptions in Wadi um'Anab. Rock A central group.



PLATE III.—Nabataean Inscriptions in Wadi umʿAnab. Rock E.

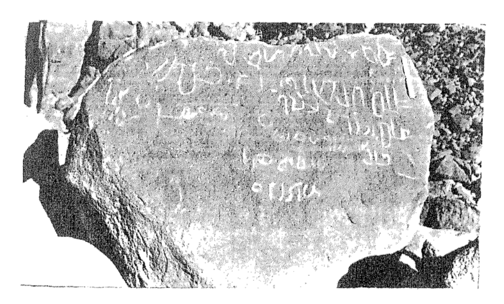


PLATE IV.—Um Delfa Nabataean Inscriptions.

Inscriptions on opposite (south) side of wadi.

שלם תבניא בר	Peace ! Tabnia (?) son of
פרפ(?)	Faraf (?)

The final name is uncertain.

UMM DALFA

Rock 25 yards below the well

שלם ... בר חנאלו	Peace ! ...... (?) ...... son of Hann'el !
שלם	Peace ! ...... (?) ... son of ... (?) ......
שלם זבדו בר עבדו	Peace ! Zabūd (or Zaid) son of 'Abd !
	(rest uncertain)

חנאלו a favourite name. See Littman No. 9 etc.

'Abbūd just as זבדו may be for זבודו. On the other hand, the name may be intended for Zaid, in which case it would be in all respects the same as C.I.S. 761 (= زيد بن عبد) . 'Abd as a proper name is rare but not unknown.

I am greatly indebted to Dr. F. Hasanein Ali for revising and correcting the Hebrew script.

L. A. TREGENZA

בשלם For this form see Littman's *Semitic Inscriptions*, Div. IV. No. 100.

On the other hand, the initial letter may be merely the opening symbol that occurs often in these inscriptions. The same symbol is also written at the end of the line.

תנוחו See Littman, *op. cit.* No. 41.

שמרח is of frequent occurrence. Se C.I.S. 545 (= شمراخ)

רוינו is unknown.

שעודו cf. Littman No. 25.

עצרו See C.I.S. 609 (عصر or عصر)

ובוד a very common proper name. See Littman No. 1 etc. No. 3.

שלם אלהשפו בר עמרו Peace ! Al-Ḥušaf son of 'Amr !

Both names are known, especially the latter (C.I.S. 543) (= عمرو)

אלחשפו might also be read as Al-Ḥuššaf (as in C.I.S. 800), *Rock E.*

שלם (בשלם (or עמני	Peace ! 'Omān
בר עבדאהיו	son of 'Abdallāhi
שלם קימו בר עבי	peace ! Ḳaiyam son of 'Abdū
ד	d...

'Omān or 'Amin. For 'Omān see Littman 79. For 'Amin see C.I.S. 1098.

עבדאהי defectively written for עבדאלהי Kaiyam (See C.I.S. 822).

עבוד if correctly interpreted, would appear to be new.

The two inscriptions have distinct differences in epigraphy. In the second one the hook of the *waw* in closed, which would indicate a later date. At the beginning of the first line there is either a letter (beth ?) or else the opening symbol that commonly appears in these inscriptions.

UMM ʿANAB

Rock A:

No. 1.

שלם אושו	Peace ! ʾAus
בר חנטלו	son of Ḥanṭal

ʾAus is an extremely common name in Nabataean inscriptions. For Ḥanṭal see *Corpus inscriptionum Semiticarum* 504 (= حنظل colocynth)

No. 2.

שלם פציו שבר עהר (?)	Peace ! Faṣiy son of ʿĀhir (?)
ושעדאלהי שעדאלהי ברי	And Šaʿdallāhi Šaʿdallāhi son of (?)

פציו may also be read as Fusai (فصى). See C.I.S. 758. The third last letter of the first line would appear to be an intruder.

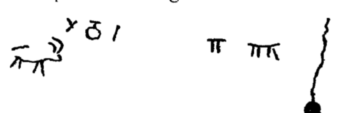
עהר is by no means certain. As a proper name it is known in Thamudic. See Ryckman's: *Les Noms Propres Sud-sémitiques*. I. p. 159).

שעדאלהי is of common occurrence (= سعد الله). See C.I.S. 490. It has been written twice here. The inscription is apparently incomplete, unless the last word is for ברה " his son ".

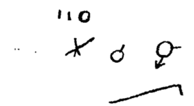
שלם עודו בר שלאמ (?)	Peace ! ʿAwad son of Šalāṭ
בשלם חרישו והגויו ברה (?)	Peace ! Ḥarīš and Haguy his son (?)
תנחו בר שמרח בטב	Tanūkh son of Šimrāḥ ! Good luck !
שלם רוינו ברת שעודו	Peace ! Ruwain daughter of Saʿūd
בר עצרו בר זבוד (?) בטב	son of ʿAṣar (or ʿAṣr) son of Zabūd (?) ! Good luck !..

עודו	See C.I.S. 459.	שלאמ	uncertain.
חריש	See C.I.S. 499.	הגוין	uncertain.

2. *On same rock-face as 1.* Signs :—



3. *On rock in seyl.* Signs :—



UMM DALFA INSCRIPTIONS.

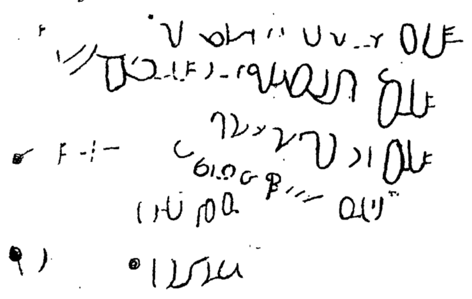
1. *Boulder by the well (the lower water).*

Two (perhaps three) lines, now illegible, beginning :—

OV.]

(Each line was about one yard long).

2. *Rock 25 yds below the well :—* Plate IV.



(Last 3 lines almost obliterated).

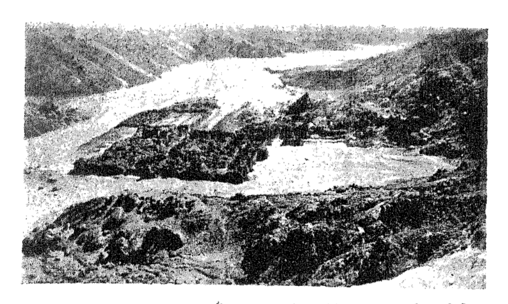


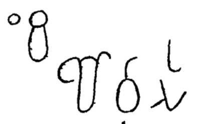
Plate I.—The Castellum of Mons Claudianus, viewed from the hillside to the east, with the low 'cemetery' headland abutting on to the seyl below it.



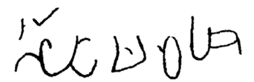
Plate II.—The Gravestone at Mons Claudianus.

Rock C (4 yds up-wadi)

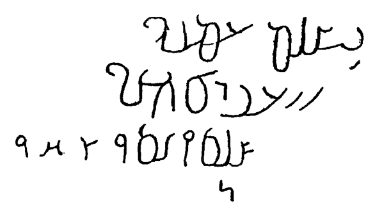
1. Downstream side:— 2. Upstream side:—



Rock D (Boulder 8 yds out from Rock A, in the seyl) Very faint:—

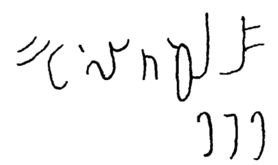


Rock E (Below Rock A. Quite clear). Plate III.



South Side of Wadi, opposite Rock A group.

1. Base of hillside:— (Very faint)



of having seen any Nabataean inscriptions. In his map of the area, published with his article in the Journal of the Royal Geographical Society, Vol. 2 (1832), he marks "Amoone Masser", but in a position well to the south of Umm 'Anab".

* * *

UMM 'ANAB INSCRIPTIONS

North Side of Wadi.

Rock A. Three groups :—

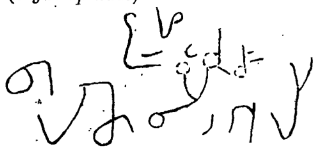
Plate I.

1.

2. Plate II.

3.

Rock B (*3 yds up-wadi*)



in the Wadi Tūmīlat (E. Delta), was published by Clermont-Ganneau in the Receuil de l'Archéologie orientale, t. viii (1924). Mr. G. W. Murray, in his article in the Journal of Egyptian Archaeology, vol. xi, (1925), mentioned having seen two Nabataean inscriptions at Umm Dalfa, but did not give them ([1]). In the course of his travels in the Eastern Desert between 1822 and 1830, James Burton found several Nabataean inscriptions. These are given in the unpublished field-notes and journals, now in the British Museum. He divides them into two lots. One set is marked "Om Namasser 1830" and a study of his rough sketch-maps and notes in his journals made it reasonably certain that "Om Namasser" (also spelt in various other ways) was the spot now called Umm 'Anab. It is still sometimes called 'Umm En Namas', 'the mother of reeds' by the Arabs. Burton, however, made no attempt to interpret the graffiti or, indeed, to say exactly how or where he found them. Mr Tregenza has now found some of Burton's inscriptions at Umm 'Anab. At the same time, some of those found by Mr Tregenza are not in Burton. Burton's other set are more numerous, rougher in shape and more clearly given. Some of them are actually squeezes, subsequently inked in. He gives no hint of the place where he found these inscriptions, either on the sheets themselves or in his travel notes. Not one of them coincides with those gives below and we must therefore conclude that Burton found them in a different part of the Eastern Desert. This impression is confirmed by their position in the MS, and if (which is doubtful) this is any indication as to where the graffiti were found, they may be considerably further north than Umm 'Anab or Umm Dalfa, probably in the Howashiya area. Sir J. Gardner wilkinson, who visited the Umm 'Anab district more than once (once, in 1823, in company with Burton) makes no mention (in his MS. journals, 1823-1826)

([1]) He found them on the gravel banks outside the Umm Dalfa gorge on the South side: they are not therefore the ones recorded belo (L. A. T.)

NABATAEAN INSCRIPTIONS FROM THE E. DESERT OF EGYPT(*)

BY

L. A. TREGENZA and Dr. JOHN WALKER

PART I

All the inscriptions except the last are roughly Lat 26° 54′ N, Long. 33° 31′ E, just on the East side of the main Nile Valley—Red Sea watershed, between G. Shayib and G. Umm' Anab at the point where the two topmost branches of W. Umm' Anab unite, about 1 km below the well. They are cut on the granite hillsides and on large, more or less detached boulders, bordering the Umm'Anab seyl, which is here an old caravan route to the Red Sea.

The last inscription is on a granite boulder in the Umm Dalfa gorge, just below the water, about 8 miles N. E. by N. from the Umm'Anab site, at Lat. 27° N, Long 33° 35′ E.

Mr. D. Meredith has very kindly furnished me with the following notes.

" Only two Nabataean inscriptions found in Egypt outside Sinai seem to have been published. One, found by Percy Newberry in 1896 in the " Wady Gadammeh " (Wadi Gidami), was published and discussed by Stanley A. Cook in Vol. 26 (1904) of the Proceedings of the Society of Biblical Archaeology. The other, found on a limestone block in the Tell el-Shughāfīya

(*) Part I. Some Nabataean at Umm 'Anab and Umm Dalfa, visited and recorded by L.A. Tregenza in July, 1494, with an introductory note by D. Meredith.

Part II. Some translations and notes thereon by Dr. John Walker, M.A., D. Litt., F.S.A., Deputy Director, Dept. of Coins and Medals, British Museum.

a re-examination of the inscription is needed. Maximianopolis is presumably one of the towns of the Thebaid (1).

(1) I am indebted to M. James Drescher for pointing out a difficulty in the translation of καθολικην ἐκκλησιαν. 'Catholic', applied to the Christian church in the first few centuries of its expansion, had the meaning of 'universal', but by the end of the 4th century it was used rather more pointedly to distinguish it from the schisins that had sprung up and were particularly strong in North Africa. Later, however, the word was applied to the main church of a parish merely to distinguish it from other, rather more private places of worship in the same locality. For this later period, 'parish church' is, Mr. Drescher tells me, a common translation of 'καθολικη ἐκκλησια'.

As it is difficult (though perhaps not impossible) to think of our little gorge as part of a parish, and as the date of the building is as yet undetermined, 'public church' is perhaps the safest translation. See Cabrol et Leclercq: Dictionnaire d'archéologie chrétienne et *de liturgie*, *Vol. 2*, under 'catholique'.

of reeds, several wild fig-trees and a small clump of shaggy, untrimmed date-palms, all appearing very much dwarfed in their sun-struck, rocky surroundings. The atmosphere of the place strongly suggests a haunt of the god Pan rather than the site of a Christian church. There is evidence however that tends to support the theory that the little, well-built house by which the inscription lies was in fact a church. For at varying distances just above in the gorge there are about half-a-dozen less carefully built hermit's cells and a natural cave with a man-made doorway, most of them built against one side or the other of the gorge. The Arabs seem to have the idea that these rooms were old hunting-boxes, for the wild mountain-goats come down from above to drink here and the eagle and the Lammergeier vulture circle overhead, but it seems far more probable that they were the retreats of early Christian anchorites.

To go back to the inscription and the difficulties presented by the last two lines, Wilkinson's conjecture of ἐπισκο[πο]υ seems the obvious one. His reading of ἐπι . . . ητος however is rather surprising, for whether or not a letter is missing in the area where the break encroaches on the pit, there are certainly two letters visible before the -ητος which he must have been too doubtful about to record and which I have written as τρ. If my reading is correct we therefore have ἐπι τρητος, either as one word or as two. To try to find a meaning on the assumption that -ος is a nominative ending seems to yield no results. Taking -ητος therefore as a third declension genitive, we have two possibilities :—

a) ἐπι Τρητος ἐπισκοπου, 'when Tres was the bishop'; and

b) 'Επιτρητος ἐπισκοπου as a genitive absolute, 'when Epitres was the bishop'.

Neither Τρης nor 'Επιτρης, with or without one or two additional letters before the Τ, seems to be known as a name and

little porticoed building becomes the church, and a site more strange than this for such a house would be difficult to conceive. The gorge begins from the central, almost level floor of the hollow mid-mountain slopes above, the wide amphitheatre and the rising-ground of the surrounding peaks, and it winds downwards in a roughly northerly direction, slowly deepening its course in a series of irregularly sloping platforms and broad, smoothed steps or dry waterfalls which roughly correspond with the division planes in the granite, whose thick beds are thus here exposed crossing the gorge at a descending angle from East to West. As a result of this westerly dip in the rock structure the walls of the gorge are sloping backwards on the east side and are sheer or with a shadowed overhang on the west. Nowhere very deep and only a few hundred yards in its total length, it finally ends at the foot of the 'church' eminence in an almost vertical drop into the permanent pool at the head of Wadi Nagat, which here in its upper reaches is a wider and far deeper gorge, strewn with a multitude of granite boulders, and lower down becomes a gravel strand running between the basal mountain ridges into Wadi Qattar. Wadi Qattar, emerging into the more open desert outside, unites with the great drainage system of Wadi El Atrash, which after crossing first the region of more isolated hills and then the wide upland plains finally reaches Wadi Qena itself and flows down with it into the Nile Valley more than a hundred kilometres away to the south west.

The little gorge above Bir Nagat is therefore far removed from civilisation and the ways of men. In several places water seeps in minute and apparently motionless trickles out of the jointing in the rock and collects in shallow, overflowing troughs on the west side, finally finding its way down into Bir Nagat below. In addition to a few typical mountain plants, it has some maidenhair fern and moss in the shaded drip of the pools, a bed

immediately above Bir Nagat. Now broken around most of its circumference, it was originally over 20 ins. long, and about 12 ins. high and 9 ins. thick, of a rather fine-grained granite. It was found by Wilkinson in 1823 and revisited in 1825. Its existence, Mr. G. W. Hurray tells me, was recorded by a traveller hunting ibex there about 50 years ago, since when several attempts to locate it have failed. I found it again in August 1949, lying with the inscription face downwards among the tumbled stones outside the building.

In his 1832 Royal Geographical Society article Wilkinson published the text (without a translation) as follows :—

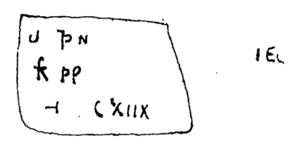
φλαυιος Ἰουλιος ὁ διασημοτατος ἡγεμων Θηβαΐδος ὁ κατασκευασας ------ καθολικην ἐκκλησιάν. Ἐπι . . . . ητος ἐπισκοπου Μαξιμιανοπολεως (1).

The inscription as a whole is quite well cut with a narrow, sharp chisel, but Wilkinson obviously felt doubtful about two places, namely, the end of line four with the beginning of line five (EN + TAYΘA), and the end of line seven with the beginning of line eight (επι + [TP] HTOC.) His doubt about the first point is obviously caused by the fact that TAYΘA does not start at the beginning of the line but about two letters to the right of it, and he must have thought something was missing. The pit however seemed to me not to be an erasure at all and, judged by its colour and weathering, to be quite as old as the inscription itself. If this is so, then the T of TAYΘA may have started a little to the right to avoid contact with the pit. If one takes ἐνταῦθα as one word, then the inscription reads :—

" Flavius Julius, the most eminent leader of the Thebaid, the man who built here a public church ", etc. In other words, that

---

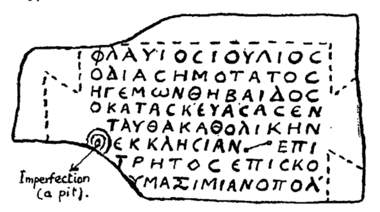
(1) I am indebted to Mr. D. Meredith for this information and for other points of historical interest throughout the article.



I am quite in the dark as to the possible meanings of many of these signs. The + is always the upright shape of a cross from the natural angle of looking at it, never an ×. Numerals, though absent apparently from the Lycabettus quarries, are common in the Claudianus ones; but here some of them are so large as to make it unlikely that they mark numbered stones. Some of the C signs, as Mr. D. Crawford has pointed out to me, are out of place if C = 100 and so C is probably not numerical at all([1]). There are certain similarities between these signs and those at Mons Claudianus (e.g. CLb , CP , CLP and LCb , Cb and it is possible that an expert may be able to extract some information from them.

III.—*The 'Flavius Julius' stone in Wadi Qattar.*

My copy is as follows:—



The stone is lying outside a little porticoed building built on the bare granite, on the East side of the sidd or dry waterfall

([1]) Mr. D. Crawford has suggested to me that N C might possibly mean Nero Caesar (or Neronis Caesaris), and the quarry dates certainly admit of such a possibility. Or perhaps N = Nerva.

3.—On the east ridge above the town and temple of Serapis in W. Abu Ma'amel:—

CEPAΠIC

(It is on one side of the deep rock-lane leading into the large southernmost quarry).

Mr· Brochi : M. A. G.
1823

(In one of the central quarries. Is this G. B. Brocchi, who travelled in Egypt in 1823 and published his 'giornale delle osservazioni fatte nei viaggi in Egitto ...' (Bassano 1841.) ?

4.—*The N.W. Quarries* (Bracketed signs are on the same block):—

T / N VIII } + (eleven times, on different blocks)

MCIV NUIK / T } NIXI XΦ

NLCb } NCLV / T } } NXXCVICP + / XIIII }

NXCII CP NIXII. CV C.P

NUICb } M CXXV / T } T / NCXII } NXXCIIY CP } T / NCXXIII } NIC II CP }

T / NXXIII } NCXI / CP } } NCVICP NCXV T NCXIII

NVIICE NαLVCC

Ɛ NαLVICP + T NCXLVIICP

Perhaps therefore 'Ανωκαν was the name of the overseer.

The following are lists of chiselled quarry marks that I found on Gebel Dokhan :—

1.—In the Lycabettus quarries :—

a) *In the main quarry area immediately above the quarry village :—*

Βεορ· Β´C´ CΑΛ´

b) *In the quarries on S.W. or S. side of Lycabettus :—*

ΤΡΦ

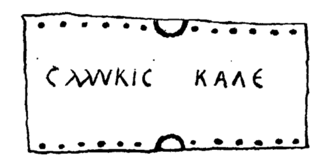
This occurs eight times, on different blocks. Prof. Scaife records it twice from the quarries on the N.E. face.

ΤΡ (once) Τ (twice) ΤΦ (once)

φ (large, once) ΠΕ (once)

Prof. Scaife records ΠΕ from the N.E. face.

2.—In the Lycabettus quarry-village, on a stone in the wall of an inner room in a workman's house :—



My reading is:—

ΑΜΜΩΝΙϹ ΤΥΡΑϹ
Κ
Ω
Ν

i.e. 'Αμμωνις τυρασκων, a possible name, though a rather strange one.

In V, Prof. Scaife discusses the dedicatory inscription to Isis of the Myriad Names. For the main inscription he gives two versions of Wilkinson, and his own.

The first three lines are fairly clear and run as follows:—

ΕΙϹΕΙΔΙΜΥΡΙΩ
·ΝΥΜΩΦΑΝ
ΙΟϹϹΕΥΗΡΟ
Ϲ ΑΝΕΘΗΚΕ

My attempt to copy the doubtful fourth (and last) line is as follows:—

LK ΒΑΑΡΕΙΑΝΟΥΤΟΥ ΚΥΡΙΟΥ ΕΠΙΕΙΦ?

Obviously the last word is Mr. Jones' suggestion 'Επεἰφ. The letter or letters after it have become almost completely obscured. This inscription is on a small drum lying at the mouth of the side wadi or gorge just above the temple of Isis Myrionome. The drum has a single line of extremely faint lettering on one of its flat surfaces also. Professor Scaife gives Wilkinson's version of this as:—

ΕΟ.ΛΑΝΩΚΑΝΟϹΩΕΒΓΙ

My attempt to read it produced this:—

ΕΠΓΑΝΩΚΑΝΟΤΩΕΠΙΤ ΙΤΟΠΩ

Two of my colleagues, independently of each other, have suggested that this might be:—

"Επι 'Ανωκανῳ (or-ι) τῳ ἐπιτροπῳ

IV and V. In IV, 1, on the 'Herculanus' stone, he gives the suggestions and final interpretation of Mr. A. H. M. Jones as follows :—

a) Εὐτυ [χεῖ]	*b*) Σωκ-	*c*) Ἀπολλ-
Ἡρκ-	ρατης	[ω]νιο-
ουλα-		[s Θ]εων.
νος		
Κοῦρ		

My reading of this inscription is as follows :—

a) ЄΥΤV broken surface ΗΡΚ ΟΥΛΑ ΝΟ ΚΟΥΡ

b) CΩΚ ΡΑΤΗC

c) ΑΠΟΛΛ ΩΝΙΟC ΘЄΩΝ

I had previously read Prof. Scaife's article and knew therefore what the doubtful points were. The χ of εὐτυχεῖ is still partly showing on the left of the chip in the stone in (*a*). In (*c*) both the ω and ς of Ἀπολλωνιος are very faintly visible, as is the Θ of Θεων in the third line, but the ς of Apollonios is at the end of the second line, not at the beginning of the third. One wonders what significance (if any) the curved and the straight line have before and after Κουρ. (*a*), (*b*) and (*c*) are all graffiti in the strict sense of that word and it is amazing that, lying in the open as they are, they are decipherable after such a long time.

In IV, 2, Prof. Scaife gives :—

ΑΜΜ ΩΝΙC ΤΥΡΑΝ

ΚЄΝ

4.	? C. CIOU	200–300 yards up-stream, N. side
5.	ΠΟ>Ο ?	Just above 4, in a short ravine
6.	C f	
7.	CAESARIS N T̄NVII	Outside the town
8.	XXXIII and LXIV	Outside the town

9. *From the two highest, adjacent quarries above the town to the N.:—*

On separate stones: XIX, XX, XVII, XXII, XI, XXIIII,

On adjacent stones: XXXVI and XXXVII, of which the former has also: ?ACLP and the latter: IV.

On one stone: KΛCP.

XL IX

On another: RA.C (SURFACE BROKEN) D

On another: R'ΛCLB with VII on its other side.

On separate stones:—

XXIIII, XXXIII, XV, XIII

All the above are more or less well chiselled records on blocks of stone, most of which (to judge by the numbers on them) must have been quarried in accordance with the specifications of the overseers.

II.—*Mons Porphyrites* (*Gebel Dokhan*).

In the Bulletin issue of 1934, Vol. II, Professor C. H. O. Scaife discussed some G. Dokhan inscriptions under six different headings, and I would like to refer briefly to those numbered

The inscription has no name and may therefore be unfinished. It is on a block about 2 feet long and just under a foot wide, and is cut by an unskilled hand, the second half of the fourth line being illegible. It is difficult to say whether the two upright strokes there represent one letter or two, and the irregular line after them is unlike any capital letter in the Greek alphabet. It may be only the beginning of a letter, or possibly an ω of greatly reduced size. There seems to be no serious imperfection in the surface of the stone to account for the difficulty. The first letter of the last line was probably at first overlooked and stuck in later.

b) The three-line ΕΠΙΟΥΑΛΟΥΕΝΝΙωΙ... inscription is still where Wilkinson found it in 1823. It is on the flat base of a broken pillar lying with other columns by the main loading ramp in the so-called Pillar Wadi that runs into the main wadi (from the north-east) at a point 1 km. or more below the main town.

Wilkinson (in CIG 4713 D) gives the full text as :—

ΕΠΙΟΥΑΛΟΥΕΝΝΙωΙ
ΠΡΕΙϹΚωΙ Ϗ ΛΕΓΕ ΚΒ
ΔΙΑΗΡΑΚΛΕΙΔΟΥΑΡΧΙΤΕΚ

and suggests the following interpretation :—

Ἐπὶ Οὐα (λεριῳ) Λου (κιῳ) Ἐννιῳ Πρεισκῳ χιλιαρκῳ λεγε (ωνος) ΚΒ, δια Ἡρακλειδου ἀρχιτεκ (τονος).

c) *Quarry chisellings.* Except for one or two in Wilkinson's article in The Journal of the Geographical Society (1832) and one or two mentioned by Schweinfurth, these seem to be unpublished and I give the ones I found below :—

1. ΚΑΛΛΒΥϹ Inside the town

2. ΆΛΠΡ XVIII Inside the town

3. CE EXLATARPOCR (300 yards upstream, S. side)

(*i.e.* ex latomia Harpocratis ?)

NOTES ON INSCRIPTIONS AND GRAFFITI AT MONS CLAUDIANUS AND MONS PORPHYRITES

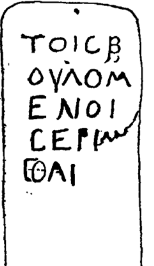
and on the 'Flavius' stone in Wadi Qattar, collected during a visit to the S.E. desert in the summer of 1949

BY

L. A. TREGENZA

I.—*Mons Claudianus.*

a) A cemetery of 30–40 graves was found on the more gentle lower slopes that terminate in a very low headland on the north side of the main wadi-flow, a few hundred yards down-stream from the castellum (see Plate I). The graves seem all to have been opened by subsequent treasure hunters and the only inscription I unearthed was the following short epitaph :—



TOIC
BOYΛOMENOIC
ENI?EΘAI.*....

---

* ἐρρῶσθαι has been suggested. If the word is unfinished, perhaps ἐντεθαπται ?

L. MASSIGNON : Essai sur les Origines de Lexique technique de la Mystique Musulmane (Paris 1922).

27. *See* ابن شاكر : فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٠٥

28. *See* R. BASSET : Introduction à la Traduction de la Burda (Paris 1894).

THE BARAD (in W.A. CLOUSTON : Arabian Poetry for English Readers pp. 322–341, Glasgow, 1881).

GABRIELI : Al—Burdatain pp. 30–85 (Florence 1901).

29. *See* المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٤٤٤ — ٤٢٧

30. *See* يوسف أحمد : المحمل والحج (القاهرة ١٩٣٧)

31. *See* OSMAN AMINE : MUHAMMAD ʿABDUH : Essai sur ses idées philosophiques et religieuses (Imprimerie Misr), M.I.P. Le Caire 1945.

32. ARBERRY IN S. GLANVILLE : The Legacy of Egypt (1942 Oxford).

FOU'ÂD ḤASANEIN ʿALÎ : Šauqî, der Fürst der Dichter.

ORIENTALISTISCHE STUDIEN : (Enno Littneann Leiden 1935).

33. GUSTAVE E. VON GRUNEBAUM : Medieval Islam p. 318 (Chicago 1947).

فؤاد حسنين علي : قصصنا الشعبي . القاهرة . دار الفكر العربي ١٩٤٦

34. *See* H.A.R. GIBB : Studies in Contemporary Arabic Literature (in Bulletin of the School of Oriental Studies).

THAHIR KHEMIRI AND G. KAMPFFMEYER : Leaders in Contemporary Arabic literature, (Veröffentlichung des Seminars für Geschichte und Kultur des vorderen Orients in Hamburg, 1930).

35. *See* مصطفى نظيف : الحسن بن الهيثم . بحوثه وكشوفه البصرية (مطبوعات جامعة فؤاد الأول)

36. *See* CARRA DE VAUX : Les Penseurs de l'Islam t. II (Paris 1921).

37. IBID t.I.

38. *See* زكي محمد حسن : فنون الاسلام (القاهرة ١٩٤٨)

39. *See* K.A.C. CRESWELL : Coptic Influences on Early Muslim Architecture (in Bulletin de la Socité d'Archéologie Copte. t.V, 1939).

40. *See* زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين (القاهرة ١٩٣٧)

41. *See* TH. ARNOLD and A. GUILLAUME : The Legacy of Islam (London 1931)

42. *See* M. DIMAND : A Handbook of Mohammedan Decorative Arts (New York 1944).

12. *See* SHAFIK GHORBAL : The Beginnings of the Egyptian Question and the Rise of Mehemet Ali (London 1928).

شفيق غربال : محمد على الكبير (القاهرة ١٩٤٤)

كريم ثابت : محمد على (القاهرة ١٩٤٠)

13. *See* PH. HITTI : History of the Arabs, Chapter XVI.

14. *See* C. BROCKELMANN : History of the Islamic Peoples (London 1949). pp. 131–163.

15. *See* R. GROUSSET : Histoire des Croisades vols. II et III (Paris 1935–36).

A. S. ATIYA : The Crusade in the Later Middle Ages (London 1938).

16. *See* G. WIET : Trois Formules d'Indépendances dans l'Egypt Médiévale (dans la Révue du Caire, 1942).

17. *See* TH. ARNOLD : The Caliphate (London 1924).

18. *See* الكندى : كتاب الولاة والقضاة

19. *See* تاج الدين السبكى : طبقات الشافعية الكبرى (القاهرة ١٣٢٤ هـ)

20. *See* I. GOLDZIHER : Die Religion des Islam.

I. GOLDZIHER : Vorlescung über den Islam (Heidelberg 1910).

I. GOLDZIHER : Muhammedanische Studien.

21. *See* ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٥

22. *See* C. J. BECKER : Beiträge Zur Geschichte Ägyptens Unter dem Islam (Strasburg 1903).

23. *See* M. VONDERHEYDEN : La Berbérie Orientale sous La Dynastie Benou'l-Arlab Chap. IV (Paris 1927).

24. *See* MUHAMMED KAMIL HUSSEIN : Shiism in Egypt before the Fatimids (in Islamic Ressearch Association Miscellany, vol. 1. no. 12, 1948).

25. *See* SILVESTRE DE SACY : Exposition de la Réligion des Druzes (Paris 1938).

C.F. SEYBOLD : Die Druzenschrift Kitāb al-Noqat wal-Dawa'ir.

PH. HITTI : The Origins of the Druze People and Religion (New York 1938).

محمد عبدالله عنان : الحاكم بأمر الله ، الفصل الرابع (القاهرة ١٩٣٧)

26. *See* R.A. NICHOLSON : Studies in Islamic Mysticism (Cambridge 1927).

A. BEL : L'Islam Mystique (Alger 1928).

Notes and Bibliography

1. *See* A. Butler: The Arab Conquest of Egypt. (Oxford 1902).
   E. Amélineau : La Conquête de l'Egypte par les Arbes (dans Rév. Hist., 1915).

   ابن عبد الحكم: فتوح مصر . نيوهيفن ١٩٢٢

2. *See* الكندى : كتاب الولاة والقضاة . طبعة جست(لندن ١٩١٢)

   سيدة اسماعيل كاشف: مصر فى فجر الاسلام من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية (القاهرة ١٩٤٧)

   F. Wustenfeld : Die Staathalter von Ägypten zur Zeit der Chalifen (Gottingen 1875).

3. *See* Zaky M. Hassan : Les Tulunides, Etudes de l'Egypte Musulmane à la fin du IXe siècle (Paris 1933).

   البلوى : سيرة احمد بن طولون (دمشق ١٣٥٨هـ — ١٩٣٩م).

4. *See* Ph. Hitti : History of the Arabs pp. 461-470 (London 1940) and C. Brockelmann : History of the Islamic Peoples (London 1949) pp. 131-155.

5. *See* ابن سعيد : السفر الرابع من كتاب المغرب فى حلى المغرب (طبعة تلكوست . ليدن ١٨٩٩)

6. *See* De Lacy O'Leary : A Short History of the Fatimid Khalifate (London 1923).

   حسن ابراهيم حسن: الفاطميون فى مصر (القاهرة ١٩٣٢)

   راشد البراوى: حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين (القاهرة ١٩٤٨).

7. *See* S. Lane-Poole : Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem (London 1893).

8. *See* W. Muir : The Mameluke or Slave Dynasty of Egypt (London 1896).

   على ابراهيم حسن: دراسات فى تاريخ المماليك البحرية (القاهرة ١٩٤٤)

9. *See* محمد مصطفى زيادة: بعض ملاحظات فى تاريخ دولة المماليك بمصر (فى مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، المجلد الرابع . الجزء الأول).

10. *See* Mohamed Mostafa : Beiträge zur Geschichte Ägyptens zur Zeit der türkischen Eroberung.

11. *See* حسين مؤنس: الشرق الاسلامى فى العصر الحديث (القاهرة ١٩٣٩).

There is also a group of oriental rugs which is now attributed to Egyptian manufactories from the fifteenth to the seventeenth century. Characteristic of these rugs is their geometrical design in tile or mosaic effect, combined with stylized linear arabesques, floral scrolls, trees and candelabra motives. The ground colour is usually a cherry and upon which the pattern is developed in blue, yellow and yellow green[42].

The inventory of Fatimid treasures as well as the many beautiful buildings which adorn Cairo and the Egyptian objects of art in Museums and private collections all this testifies to the extraordinary architectural and artistic productiveness of a scale and quality that find no parallel in Moslim countries except perhaps in Iran. The sultans of Egypt disposed of its natural wealth and of the enormous profit which they got from the Indian trade. With the decline of Bağdâd, and specially after its fall, Egypt became the great centre for the exchange of goods between Africa, Asia and Europe.

Unlike Iran, Turkey and Moslim Spain, Egypt has lost her language and her national past and has given itself entirely to Islam. It has contributed a lot to the development of Moslem civilisation. Many of the most brilliant stars in the political, intellectual and artistic firmament of Islam have been Egyptians.

occasionally in a red or brown lustre of great brilliancy. The decoration is sometimes figural, but usually it consists of birds, animals and palmette scrolls.

A type of Mamlûk pottery in the fourteenth and fifteenth centuries is of coarse red earthenware with incised designs, vovered with transparant brown, yellow, or green glaze and touched with other colours. The decoration consists of animals, interlacings, floral scrolls, coats of arms, and Arabic inscriptions mainly titles of high officials.

In the thirteenth and fourteenth centuries the glass workers of Egypt and Syria achieved their highest perfection in glass with enamelled decoration. The largest and best known class of Egypts-Syrian enamelled glass is composed of about three hundred mosque lamps and fragments and a small number of other pieces such as cups, basins, plates, etc., related in style to the lamps. The glass is either yellowish white or slightly tinged with green. The colours of the enamels are white, red, blue, green, yellow and rose. Gold is liberally used in the enrichment of the decoration, which consists principally of inscriptions—passages from the Koran, expressions of good will, and the names of sultans and amirs and floral motives.

The Arabic textiles of Egypt became famous all over the Moslim world. Silk fabrics with embroidered inscriptions were made for the Caliphs and amirs in state manufactories.

The fineness of Egyptian silks in Moslim Egypt was greatly admired by ancient travellers, who said that the textures of Cairene fabrics was as fine that a whole robe could be passed through a finger ring. The decoration of these silk fabrics consists of human figures, animals, birds, arabesques and Arabic inscriptions. It may be assumed that the robes of honour that the sultans were in the habit of bestowing upon their officials and servants as symbols of royal favour were made of costly embroideries on woollen or silk fabrics, or of woven brocades, but similar designs were applied by a printing process to linen or cotton cloths worn by humbler persons.

Wood-carving in Egypt during the Fatimid period reached a high level of perfection. There are beautiful doors composed of rectangular and triangular panels carved with arabesques of symmetrical composition. There are also carved-wood panels and friezes decorated with birds and animals or with figure subjects such as hunters, dancers, revelers, or musicians within medallions—all on a background of floral scrolls or arabesques in lower relief than the figures. Important monuments of wood-work in the late Fatimid period during the twelfth century are several prayer nicles in the Cairo Museum of Arab Art. The daborate decoration consists of finely designed scrolls and arabesques.

In the Mamlûk period, during the thirteenth and fourteenth centuries, the style of the arabesque reached its highest point of development and the wood-carvers attained their greatest technical skill. New varieties of palmettes and combinations of arabesques were created. For the decoration of doors and pulpits, small panels of carved wood, framed by interlacing bands in geometrical patterns were employed. Sometimes ivory was substituted for wood.

A variety of wood-work popular in Egypt was the turned lattice-work that attained its highest perfection in the fourteenth and fifteenth centuries. Lattice-work of this kind was used extensively in the windows of private houses. The window screen is called mashrabiya. By varying the arrangement of the turned balls and connecting links, the makers of lattice-work were enabled to produce a great variety of designs.

Egyptian potters of the Fatimid and Mamluk periods from the eleventh to the fifteenth century manufactured beautiful kinds of pottery. In the eleventh and twelfth centuries the technique of lustred ware was developed nearly to perfection.

The body of varying fineness, is covered with white, bluish white, or greenish white glaze, either opaque or transparent upon which the decoration is painted usually in gold lustre but

The mihrab, a recess or niche in the wall of the mosque indicating the direction of prayer, was a later addition into the equipment of the mosque. It has been proved that this innovation was of Christian origin and that the first concave mihrab had been constructed by Copts working in the mosque of Medine[39].

Moslim architecture and decorative arts in Egypt retained a certain Egyptian charcter. Many decorative motives were supplied by the Copts, the Christians of Egypt. Thus gradually developed the Egyptian schools of Moslim art, receiving currents of influence from Persia and Irak but following to a certain extent, the Greco-Roman and Coptic precedents.

Works in rock-crystal during the Fatimid period were world-famous and were imitated in Iran and Europe. Nasiri Khosrau, the Persian traveller who visited Egypt from 1047 to 1049 tells us that the rock-crystal out of which beautiful works were manufactured in Cairo was not as formerly been the case, brought from North Africa, but from a place near the Red Sea. This made the material cheaper and thus made possible production on a larger scale. The Egyptian historian Makrizi who lived in the fifteenth century gives us a datailed description of the immense quantities of works in rock-crystal that were found in the treasury of the fatimid caliph al-Mustansir when this was dispersed in 1062. The majority of crystal work has been conserved in European churches, from which some have now found their way to museums. Some have been mounted on objects belonging to European cathedrals. Most of the rock-crystal works brought to Europe from the East now contain holy relics, which were held in great esteem in medieval times. Because of its purity and transparency rock-crystal was regarded as a symbol of spiritual purity[40].

The earliest known Islamic book-bindings came from Egypt and may be dated from the eighth or ninth century. Their technique and decoration influenced the art of book-binding all over the Moslim world, and even in southern and central Europe[41].

encyclopaedists are Egyptians: al-Noweiry and al-Qalqashandi. Their works are full of historical, geographical and literary facts about the Moslim world especially Egypt and Syria[37].

An exceptional and important work during the Mamluk period is a compendium of theoretical and practical navigation by Ahmed Ibn Maged who, it is claimed, in 1497 piloted Vasco de Gama from Africa to India. This reminds us of the fact that Egypt contributed a large share in the establishment of the first Moslim Fleet. Abdullah Ebn Sad, who succeeded the Arab conqueror Amr Ibn al-As in governing the Nile Valley, was the second admiral of Islam. The first being Moawia the Umayad Caliph, who was at that time, governor in Syria. The naval operations were directed against the Byzantines, whether from Egypt under Abdallah Ibn Sad or from Syria under Moawiya. The help of the Copts and the Egyptian dockyards in building ships and putting an end to the Byzantine naval supremacy must have been immense,

Of great importance for the contribution of Egypt to Islamic civilisation is the fact that since the beginning of printing in Arabic characters in the East at the end of the 18th century, Egypt has taken the lead and remains to this day far in advance of other Islamic countries.

* * *

In the field of art Egypt produced two of the best styles in Moslem arts: the Fatimid and the Mamluk[38].

In fact the Arab conquerors found in Egypt ready to hand skilled craftsmen, specially in weaving, in wood-work and in glass industry. Coptic architects and masons enjoyed a great reputation in the beginning of Islam.

Papyri discovered near Sohag in Upper Egypt prove that Coptic skilled workmen were employed on the great mosque of Damascus and on the Aqsa Mosque at Jerusalem.

Greek, Babylonian and Egyptian, together with genuinely Arabian elements, have been welded into one by the unknown masters responsible for the overwhelming richness of the corpus of the Arabian Nights. Outwardly the Arabic language, inwardly, the spirit of Islâm unite those manifold threads into ons dezzling tapestry "[33]. These Arabian Nights the first draft of which was made in Irak about the middle of the tenth century, did not take its final form until the later Mamluk period in Egypt.

There remains to be mentioned the co ntribution made by Egyptian writers to the development of the new style in Arabic and adapting the classical Arabic to the requirements of the present day[34].

In appreciating the scientific work of the Egyptians, we should not forget such eminent scholars as Abou Kamel Shouga' Ibn Aslam who at the beginning of the tenth century perfected al-Khawarazmi's Algebra, Ali Ibn Yunus, the great astronomer (1009), Ibn al-Haytham, the principal Moslem physicist and student of optics (1039)[35], whose chief work was translated and published in Latin in 1572. It was influential in the development of optics in the Middle Ages[36].

The dean of Kalawun's hospital in Cairo, Ali Ibn al-Nafis, (1289) contributed a clear conception of the pulmonary circulation of the blood three centuries before the Portuguese Servetus, who is credited with this discovery. To Kalawun's son al-Naser, one of the few important Arabic treatises on veterinary medicine known, was dedicated by his master of the stable. Ophthalmology, the science of the eye, its diseases and remedies, was practised on a more scientific basis in Egypt and Syria throughout the twelfth and thirteenth centuries than anywhere else in the world.

The greatest Moslem zoologist is the Egyptian al-Damiri (1405). His leading work is Haiat al-Hayawan "Animal life", which is translated into English. Two of the few Moslem

chapter on "Faḍâ'il Misr" فضائل مصر or "the Superiority of Egypt", which is very much expanded in the Egyptian historians. There are even some books written on the subject.

But the most important intellectual contribution made by Moslim Egypt is its historical literature. In fact there is no Moslim country that can point to so perfect a historical tradition—on its political institutions also—as Egypt.

Egyptian historians in the Middle Ages did not write only on political history and biography of scholars. They surpassed other Moslem writers in studies in topography and archaeology, the so-called Khitat literature of which Maqrizi is the champion. His title to fame rests on his book "Al-Mawâ'ẓ wal' 'Itibâr" المواعظ والاعتبار devoted to Egyptian topography, history and antiquities.

In speaking of his book, al-Sakhawy, a contemporary of Maqrîẓî, wrote, rather maliciously, that it was very useful because the author, says Sakhawy, got possession of another author's manuscript,—al'-Awḥadî الأوحدى by name,—plagiarised it, and wrote some additions of no importance. The charge has some foundation but the fault was rather common among historians in the Middle Ages.

Reference should be made to eminent Moslem historians of Egypt like Ibn 'Abd al-Ḥakam, al-Kindî, Ibn al-Dâiah, Ibn-Doqmâk, al-Qodâ'î القضاعى, Ibn' Iyâs, Ibn Taghrî Bardy, al-Soijûṭî, Ibn Ḥagar, al-'Ainy al-Sharqâwî and 'Alî Pasha Mubârak. Many of these historians held several high officies in the government.

Egypt is most probably the home of the oriental popular literature. The popular tale if not actually created in the Nile Valley, at least received there its final form. The great romances of 'Antar, al-Ẓâher Baybars, Abou Zeid, Seif Ibn Zî Yazan are mostly Egyptian productions. "Indian and Persian, Jewish and

Welcome as this reinforcement was to the western-educated classes, it must not be imagined that the outcome was any radical revision of Islamic doctrine. Shaikh Muḥammad 'Abdu's own writings are distinguished more by a certain modernity of spirit than by originality in thought and teaching, and it was perhaps his cautiousness that, more than anything else, commended his views to the rising generation of scholars. The importance of his work was twofold : that he formulated a basis for the reinterpretation of Islâm without breaking with its historic past, and that, as Rector of al-Azhar, he began the process of reform of religious instruction by the introduction of modern subjects into the curriculum. By these means he contributed greatly to the broadening of orthodox Moslim opinion and demolished the barrier which separated Islâm from the modern world, both in his native land and wherever his influence was felt. His work was continued after him by his disciples who, though they may have come short of his heroic stature, have nevertheless by their publications and personal activities carried the principles of his teaching with tremendous effect into all parts of the Moslim world, principally by their monthly journal al-Manâr, "The Lighthouse" (*).

Let us turn back to the literary and scientific work of Moslem Egypt.

In the field of poetry Egypt has produced some famous men. Bahâ' al-Dîn Zuhair, Sâmy al-Bârûdî and Ḥâfez Ibrâhîm. But above all Shauqî who created the poetic drama in Arabic and "who was one of the most original and fertile geniuses in the whole of Arabic literature" [32]

Egypt had from the beginning a peculiar interest for the Moslims because it is several times mentioned in the Koran. It is also the mother-country of Mary the Copt, one of the wives of the Prophet. The Hadith or "Sayings of the Prophet" has a

(*) Gibb : Whither Islam, pp. 67-68.

we must glance for a moment at one of the technical features of Islamic theology. We have seen that primitive Islâm issued from Arabia in a relatively plastic condition, and that for two centuries or so it was engaged in adapting itself to its environments and working out the details of its theology. This process was carried through to completion by the labours of theologians and legists, who were generally recognised to possess the capacity of ijtihâd اجتهاد ("subjective effort"), *i.e.* the power to give a decisive interpretation on points of theology and law. Once these decisions were made, they were regarded as unalterable, and the "gate of ijtihâd" باب الاجتهاد was gradually narrowed down to minor points, until with the final settlement of these, it was closed altogether. Henceforth, in Sunni Islâm no theologian, however eminent, might claim the title of mujtahid مجتهد (in the Shi'a sect, however, the principal religious leaders have continued to be called by this term down to the present day), and for close on ten centuries its religious life has been regulated by taqlid تقليد, acceptance of the authority of the Fathers of the Church.

It was this dogma that was now disputed by the liberal theologians in Egypt. They asserted that the altered conditions of life and the new intellectual tendencies made the abandonment of simple taqlîd and the reopening of the gate of ijtihâd imperative, that the incompatibility of Islâm with modern thought was due only to its wrappings of outworn mediaeval scholasticism, and that, on the contrary, Islâm, rightly understood, in its original form, was not only in full agreement with the assured results of scientific investigation, but was even in closer harmony with them than any other religious system. They found a notable leader in the person of Shaikh Muḥammad 'Abdu (died 1905), one of the most remarkable and respected figures in the modern history of Islâm, whose personal character and capacities secured him a large circle of admirers and gained for the movement a widespread following, not only in Egypt but in other Moslim countries as well.

The Fatimids built the Azhar mosque and made it an academy. It has grown to become the most important college, for advanced Moslim studies, and it draws its pupils from every corner of the Moslim world.

Current tradition holds that the Egyptian queen Shagar al-Durr originated the idea of al Mahmal المحمل in the middle of the thirteenth century. But in several early works the claim is made that al-Haggag the Umayad viceroy in 'Irâq (714) was the one who initiated the practice. Whichever of the two stories be correct, it was quite evidently the Mamluk Sultan Baybars (1266-77) who celebrated the occasion with such special festivities that the custom was established on a firm basis. Ever since the 13th century the four mayor caravans to Mekka are those from Egypt, Syria, 'Irâq and Yemen. Mahmals, splendidly decorated litters carried on camels, have been sent by Moslim princes anxious to display their independance and assert their claim as protectors of the Holy places in Hijâz[30].

In modern times, Egypt has become the intellectual centre of the Moslim World. It produced the most authoritative modern Moslim theologian Shaikh Muhammad 'Abdu. The effect of his lifework was to remove the paralyzing inhibitions that were holding back Islâm, and to create fresh energies for the task of bringing its teachings and iustitutions into harmony with the new life of the Moslim countries. He formulated a basis for the reinterpretation of Islâm without breaking with its historic past and as rector of al-Azhar he began the process of religious instruction by the introduction of modern subjects in the curriculum[31].

The school of Shaikh Muhammad 'Abdu has long since worked towards a reinterpretation of the religious doctrines of Islâm. Its influence has been felt all over the Moslim world.

Let us quote from Professor Gibb the following passages about this movement led by al-Shaikh Muhammad 'Abdu : "If we are to understand the full significance of this movement and its methods,

Darazi, could not brave the rage of the people and escaped to found the Druze religion in the Lebanon [25].

The foundations of a complete theory and practice of mystical religion were laid by the Sufis of the ninth century A.D.[26] It was the Egyptian mystic Dhul-Nûn (d. 860), who gave Sufism its permanent shape. He introduced the idea, that the true knowledge of God is attained by one means only: ecstasy "al-Wagd" الوجد . This knowledge differs altogether, from intellectual and traditional knowledge: "al-'Elm" العلم. 'Aṭâ Allah al-Shadhilî, founder of the Shadhili brotherhood was born in Morocco, but spent the greater part of his active life in Egypt, where he died in 1258. The celebrated Sufi author al-Sha'rânî lived in Egypt, where he died at Cairo in 1565.

In the field of mystic poetry the Arabs produced only one great name: that of the Egyptian Ibn al-Fâreḍ (1181–1235). His masterpiece is a long ode forming an exquisite hymn of divine love. Another Egyptian poet worthy of mention is al-Bûṣîrî (1213-ca 1296)[27]. He composed the famous ode, entitled al-Burdah (The Prophet's mantle) in memory of his miraculous cure from a paralytic stroke by a vision of the Prophet casting his mantle over him. No other Arabic ode has attained the popularity of al-Burdah. Over ninety commentaries on it have been composed and it has been translated into many languages[28]. Its verses are often repeated at burials to the present day.

The Sufiah or mystic brotherhood system reached its zenith under Saladin and his successors. The long list of khankahs and zawiahs in Maqrîzi's monumental work about the topography of Cairo bears eloquent testimony[29]. The first khankah was built in the beginning of the ninth century. It was used for other purposes in the Fatimid period but made a wakf by Saladin. It was originally destined for Sufis from abroad but soon became the centre of Egyptian Sufism.

* * *

The Nile Valley had its own school of traditionists. The movement of collecting the traditions or sayings of the Prophet started somewhere about 700 A.D. and culminated with the formation of the six canonical books of tradition brought together by the beginning of the tenth century[20]. The compilers of these books all seem to have visited Egypt among other regions where they went for their materials. One of them, al-Nasā'i النسائي by name, was specially connected with Egypt having passed in it a considerable part of his life[21].

We notice that, by the ninth century Egypt had undergone a complete change and had been thoroughly incorporated in the Moslim word: the majority of the Egyptians professed Islam and spoke and wrote the Arabic tongue. Converted Copts (or christian of Egypt) had intermarried with the Arabs. The original high wall raised earlier between Arabs and non-Arabs had tumbled down[22].

Again it was from Egypt that the whole of North Africa and Spain was won for the Malikite school of Moslim law[23].

Early Islam split into two hostile camps on the issue of the Caliphate. They are the Sunnites or orthodox and the Shî'ites or the supporters of 'Alî and his sons as the true Caliphs. In Egypt there was a shî'ite opposition before the coming of the Fatimids[24].

For the first time, under the Shî'ite Fatimids, Egypt had a dynasty founded on a religious basis. Until the advent of the Fatimids, the Malikite and Shafi'ite rites were predominant in Egypt. The Fatimids introduced the Ismâ'ili laws. Egypt itself was however, not Shî'ite and the easy manner in which Saladin restored orthodoxy shows that the creed which had been forced upon the country had only been formally adopted.

The Fatimid Caliph al-Ḥâkem following the extreme development of Shiite doctrine declared himself the incarnation of God and was so accepted by a newly organized sect. The leader

secured from them decrees for their authority or diplomas of investiture which in reality had no significance. except perhaps to confer legitimacy upon their crowns [17].

When in 1517, the Ottoman Sultan Selîm conquered Egypt, he carried away with him to Constantinople the Caliph al-Mutawakkel, the last of the line. It is maintained but without sufficient warrant that the Abbasid Caliph made a transfer of his office to the Ottoman sultan. Anyhow, the Turkish sultans gradually absorbed the caliphal privileges and ultimately the title itself. In 1922, the Turkish National Assembly declared Turkey a republic and appointed a new caliph, but deprived him of the sultanate or of temporal power. In 1924 the Caliphate itself was abolished.

Muḥammed 'Alî laid the foundations of Modern Egypt. His grandson Ismâ'îl Pasha was constantly striving to bring Egypt into line with European civilisation, but it remained the cultural centre of the Moslim world.

* * *

Let us now turn to some aspects of Islamic culture in order to estimate the part performed by Egypt in the development of Islamic civilisation.

Egypt proved one of the easiest countries to islamise. It is one of the very few countries which gave up entirely their old nationality and language and were completely won to Islâm and Islamic civilisation.

In fact we have in Egypt an unbroken Arabic literary development from the beginnings of Islâm to the present day.

In theology, religious tradition and canon law Egypt had its own schools and learned authorities [18]. It was in the first place the cradle of important schools of Shafi'ite and Malikite Moslim law. The Shafi'ite school of law was taught in Egypt by its founder and eventually overspread the others. The most important scholars of that school, in the whole Moslim world are Egyptians [19].

defeat on the Mongols, who had advanced in Palestine contemplating a raid on Egypt. They had taken Bagdad and murdered the Abbasid Caliph in 1258. They conquered all Syria in 1260. This was a great peril threatening the near East and the Mosilem civilisation. If the Mongols had taken Cairo, they would have probably destroyed its treasures and manuscripts. The Nile Valley would not have had its period of artistic and literary prosperity under the Mamluks.

Baybars, whom, some modern orientalists, compare to Napoleon, was more than a military leader[16]. He realized Ibn Tulun's dream of making Egypt the metropolis of the Moslim Caliphate. Four centuries before Baybars, Ibn Ṭûlûn had invited to Egypt the Abbasid Caliph Mu'tamid, whose power was usurped by his brother and general in chief. Tqe presence of the Caliph in the Nile Valley would no doubt, have increased Ibn Tulun's prestige and might have changed to some extent the future both of the Caliphate and of Egypt. But the helpless Caliph was caught on his way to escape to Ibn Ṭûlûn and taken back to his Abbasid Capital.

* * *

The Caliph al-Muttaqî asked Al-Ikhshîd in 944 to rescue him from the intrigues of the Turks in Bagdâd but al-Ikhshîd could not persuade him to leave Irâq and move to Egypt.

Baybars invited from Damascus in 1261 a member of the Abbasid dynasty who had left Bagdâd when the Mongols under Hulagu in 1258 murdered his uncle the last Abbasid caliph. The Mamluk Sultan installed him with great pomp and ceremony as the Caliph al-Mustanṣir. Thus Baybars inaugurated in Cairo a new series of Abbasid caliphs who carried the name but none of the authority of the office. Their most important duties consisted in administering the religious wakfs and officiating at the ceremony of installing the new sultan. Certain Moslim rulers including some from India and the Ottoman Bayazid I,

The French Expedition in 1798, and the rise of Moḥammad Ali founder of the reigning Royal family begin the modern history of Egypt[12].

* * *

In discussing the part which Egypt played in the development of Islamic civilisation, we may begin by reviewing some momentous political events in which Egypt led the way or was the chief actor.

The feeling of discontent aroused by the unpopular administration of 'Othmân the third Caliph, proved particularly strong in Egypt which sent some five hundred rebels to Medîna. They were responsible for the murder of that Caliph and the beginning of the struggle for the vacant throne, first between Ali and his close rivals Talha and al-Zobeir and then between Ali and a new aspirant Mo'âwia, the champion of the Umayad cause, of which the murdered 'Othmân was a representative.

The Tulunid dynasty was the earliest example of a political crystallization of the ungovernable Turkish element in the heart of the Caliphate. Other and more important Turkish dynasties were soon to follow[14]. Ibn Ṭûlûn served as an example of what could be done in the matter of achieving military and political power at the expense of a large and unmanageable empire.

Under the Fatimids, Egypt was the metropolis of a large Shî'ite empire, five centuries before Chiism became the state religion of Persia, with the establishment of the Safavid dynasty.

Under the Ayyoubid dynasty, Saladin trapped the Crusaders and then crushed them between the two millstones of Moslim Syria and Egypt. The Crusaders invaded Egypt and landed twice in Damietta. The second time was in 1249. The French Army of the sixth Crusade was entirely destroyed. King Louis IX with most of his nobles was taken prisoner[15].

But it was the Mamluk Sulṭân Baybars who inaugurated the series of sultans who dealt the final strokes to the Crusaders' cause. Baybars had distinguished himself as a general under his predecessor when, at 'Ein Gâlût, he inflicted in 1260 a crushing

In 1250 the Ayyoubids of Egypt, the chief branch of the family who also frequently held Syria, made way for the Mamlûks or slave Sultans [8]. The Mamlûk Sultans of Egypt were Turkish and Circassian slaves and had their origin in the purchased bodyguard of the Ayyoubid Sultan al-Ṣâliḥ Ayyoub, the first of their line was Shagar al-Durr, widow of Sâliḥ and step-mother of his son Ṭurânsháh, the last Ayyoubid sultan.

Ṭurânshâh was killed and in the confusion that followed Shagar al-Durr seized the government. The majority of the Moslims cried out against the rule of a woman and it is said that the Abbasid Caliph in Bagdâd, addressed a note to the leaders of Egypt saying: "If you have no man to rule let us know and we will send you one". 'Izz al-Dîn Aybak, one of the leading mamluks and then commander-in-chief was chosen by the emirs to be sultan of Egypt. Shagar al-Durr married him. A representative of the Ayyoubid family was accorded the nominal dignity of joint sovereignty for a few years. Then followed a succession of Mamluk Sultans divided into two dynasties: the Bahri and the Burji [9]. The Bahri were chiefly Turks and Mongols and their rule in Egypt and Syria lasted till 1382. The Burgi ruled the country down to the beginning of the sixteenth century. In spite of short reigns of the Mamlûk Sultans and their frequent civil wars and the fact that they rejected the principle of hereditary succession they maintained as a rule a well organized government.

The corruption of the last Mamlûk Sultans and the desperate economic situation of the country aggravated by the loss of the Indian trade after Vasco de Gama's discovery of the route round the Cape of Good Hope and other international factors began to contribute to the poverty and misery of the land [10].

In 1517, the Mamlûk Empire was crushed by the Turks. The focus of Islamic power and civilisation shifted to Constantinople. The Ottoman régime in Egypt from the beginning of the 16th to the end of the 18th century is one of the darkest in Egyptian annals [11].

But the decline of the Fatimid power began under his feebel successors. The real power, passed into the hands of vizirs or prime ministers, who later even assumed the royal title "al-Malik".

The insubordination, and constant quarrelling of the Turkish and negro mercenary troops, among themselves, and with the Berber bodyguard, become one of the chief causes of the final collapse of the dynasty [6]. Matters were complicated by the attacks of the Crusaders, and the interference of Nur al-Din, the Moslim prince of Syria. After several military and diplomatic victories in Egypt, Shirkûh, Nûr al-Dîn's able general managed to receive in 1169 the post of vizir under the last Fatimid caliph. Shortly after his investiture, Shirkûh died and was succeeded by his nephew Ṣaladin who put an end to the Fatimid Caliphate and governed Egypt in the name of Nûr al-Dîn. He caused the Khutba or public prayer to be said in Egypt in the name of the contemporary Abbasid Caliph and Egypt became once more Sunnite (or orthodox) instead of Shî'ite. This important change was effected with so little disturbance that not even "two goats locked horns" as the famous historian Abulfida puts it.

On the death of Nur al-Din in 1174 Saladin founder of the Ayyoubid Dynasty, made himself the independant ruler of Egypt. He annexed Syria. The Holy cities of Ḥijâz, formed part of his dominion and he sent his brother to govern Yemen. In May 1175, Saladin at his own request was granted by the Abbasid Caliph a diploma of investiture or a warrant of authority over Egypt, North Africa, Nubia, western Arabia, Palestine and central Syria [7]. To quote the words of a modern historian "The Caliph thereby gave away what was in reality not his to give but what was flottering to him not to refuse".

The wide kingdom built by Saladin from the Tigris to the Nile, was divided among his various heirs, but his brother al-'Âdil gradually acquired predominancy. His descendants carried on his rule in the several provinces.

The founder of the Fatimid dynasty and his two successors sent expeditions to Egypt, but all these hostile undertakings led to no permanent occupation. The glory of the first and last conquest of Egypt from the Libyan desert fell to general Gawhar serving the fourth Caliph of the Fatimid dynasty. For two years he had been digging wells and building rest-houses on the road to Alexandria.

Egypt itself was in helpless disorder and the Fatimids had first hand information about the country, from an Egyptian emigrant, Y'akub Ibn Killis by name, a former protégé of Kâfûr, the Ikhshîd prince. Ibn Killis had left Egypt after the death of his protector. He went to North Africa, where his representation confirmed the Fatimid caliph's resolution to conquer the Nile Valley. At the head of over 100,000 men, all well mounted and armed, accompanied by a mob of camels and horses carrying stores and ammunition, general Gawhar marched from Qairawân in Tunisia in February, 969. Alexandria capitulated. There was some resistence at Fusṭât the capital of Egypt and at the opposite town of Giza, but finally on August 5th the Fatimid army entered the capital. Gawhar laid the foundations of a new city, Cairo, destined to be the metropolis of the vast Fatimid Empire which stretched from Syria to the borders of Morocco. This Empire included also the Holy cities in Ḥijâz, which the Ikhshidis had received from the Abbassid Caliph. The removal of the seat of goverment from North Africa to Cairo cost the Fatimids the loss of their western provinces.

During the peaceful reign of the Fatimid Caliph al-'Aziz, the successor of Mu'iz, the Fatimid Empire reached its zenith. The name of this caliph was cited in the Friday prayers from the Atlantic to the Red Sea and in Syria, Ḥijâz and Yemen. At least nominally, his rule covered that vast area. Sicily, too, acknowledged the Fatimid sovereignty. Under al-'Azîz, the Egyptian caliphate eclipsed that of Bagdad.

Ibn Ṭûlûn possessed himself forcibly of Syria, and ruled over both countries independent except in name. For the first time since Ptolemaic days, Egypt had become a sovereign state, and for the first time since Pharaonic days, it ruled Syria[3].

Other dynasties broke off entirely from the Caliphate or remained only nominally dependent upon the Caliph in Baġdâd[4].

But the Tulunid as well as most of the other dynasties had no national basis in the lands over which they ruled and therefore did not live long. Those rulers had no coherent body of supporters of their own race. They had to recruit their bodyguards and their armies from various alien sources. Such a rule can only be maintained by men of outstanding personal influence and no sooner does the mighty arm of the founder relay or pass away than disintegration sets in. No wonder that we find the state, set up by Ibn Ṭûlûn returning to the Abbasids under his son and fourth successor in 905.

After a brief interval of unsettled Abbasid rule in Egypt and Syria another governor of Turkish origin arranged the disorganized affairs of Egypt and received in 939 from the Abbasid Caliph the old Iranian princely title "Ikhshîd". In the next two years al-Ikhshîd following the Tulunid precedent added Syria and Palestine to his quasi-independent state. In the following year both Mekka and Medîna were incorporated. Henceforth, the fate of Ḥijâz was, for several centuries, linked with that of Egypt.

The two sons, who succeeded the founder of this Ikhshîd dynasty, ruled only in name, the reins of government, being held by Kâfûr, an able Abyssinian slave whom their father had bought for the equivalent of about eight pounds. The last representative of this dynasty was an eleven years old boy who in 969 was overthrown by the Fatimids[5].

This dynasty, boasting of descent from Fâṭima, daughter of the Prophet, had established itself in Tunis in 909 as a deliberate challenge to the religious headship of the Islamic world represented by the Abbasids of Baġdâd.

MOSLIM EGYPT AND ITS CONTRIBUTION TO ISLAMIC CIVILISATION

BY

Dr. ZAKY M. HASSAN

A few years after the death of Muḥammad the Prophet of Islâm, his followers obtained glorious victories in Palestine, Syria, Mesopotamia and Irân. They began a period of systematic campaigning, and soon realised the importance of the strategic position of Egypt and the richness of its grain-producing soil. In 641 they were masters of the Nile Valley[1].

Egypt became a province of the Caliphate, and was ruled by governors appointed by the successive caliphs of Medina, Damascus and Bagdâd and Samarra, up to the time when one of these governors, Ibn Ṭûlûn by name, established a practically independent dynasty in 868[2].

From 836 up till that time Egypt had been given in fee to successive Turks at Bagdâd or Samarra. These Turks appointed lieutenant governors to administer it for them.

Ibn Tulun came to Egypt as nâ'ib نائب (lieutenant) to one of those governors. When hard pressed for money because of rebellions and civil war in the Empire, the central Government in Bagdâd demanded but received no financial aid from Ibn Ṭûlûn. This event was a turning-point in the history of Egypt. It marked the emergence in the Nile Valley, of an independent state which maintained its sovereignty throughout the Middle Ages. Before this time, Egypt's rich revenues went partly into Medina, Damascus, Bagdâd or Samarra and partly into the pockets of successive governors. Now, money remained in the country. Egypt profited by the Tulunid régime and entered upon a period of comparative prosperity.

PLANCHES

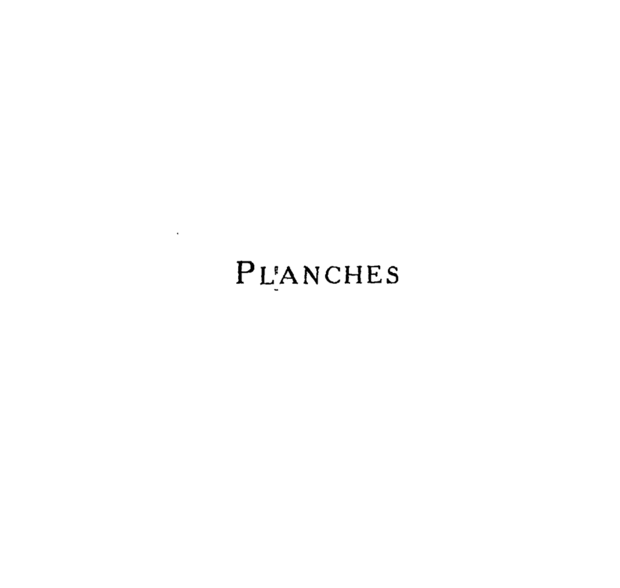




Fig. 1. VUE PANORAMIQUE D'AFKA
Extrait de La Syrie *d'Aujourd'hui*, par L. LORTET.

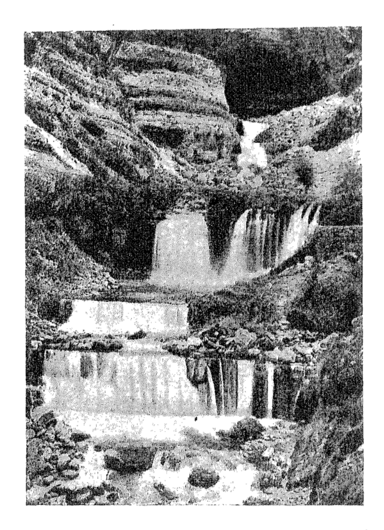


Fig. 2. La source du fleuve *Adonis* (actuellement *Nahr Ibrahim*) à Afka (ancienne Aphaca).

Extrait d'un prospectus touristique

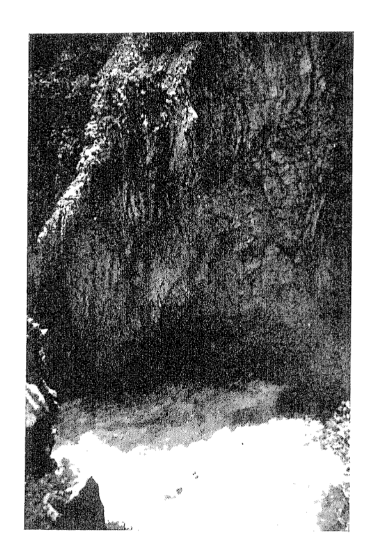


Fig. 3. La source de *Nahr el Arbaïn* (Torremt des Quarante Martyrs) à El Yamouneh en état d'ébulition printannière.

Photo Bobrovsky

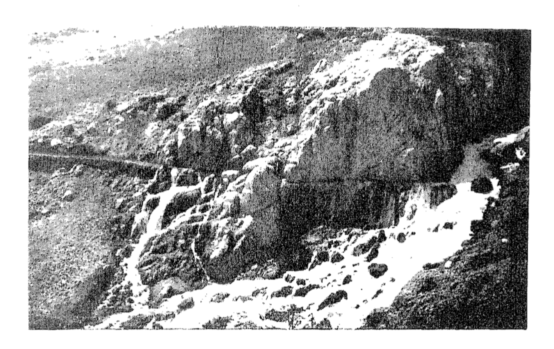


Fig. 4. Le TORRENT DE *Nahr el Arbaïn* JAILLISSANT DE LA GROTTE D'EL YAMOUNEH.

Photo Bobrovsky

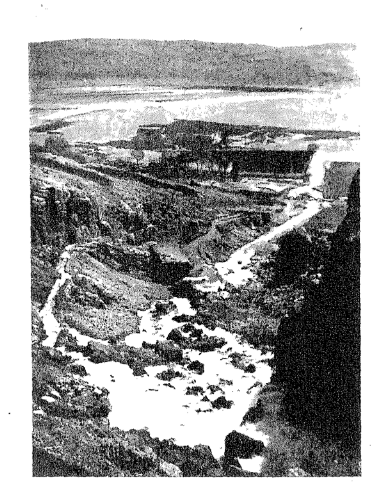


Fig. 5. Le torrent de *Nahr el Arbaïn* se jetant dans la "Petite Mer" près du "Chateau".

Photo Bobrovsky

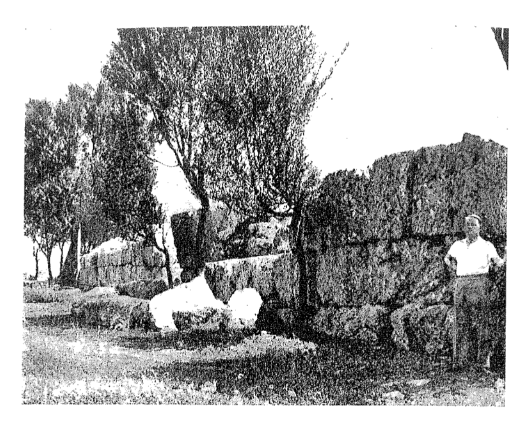


Fig. 6. Le "Château", entouré périodiquement des eaux écumeuses du torrent de *Nahr el Arbaïn.* *Photo de l'Auteur*

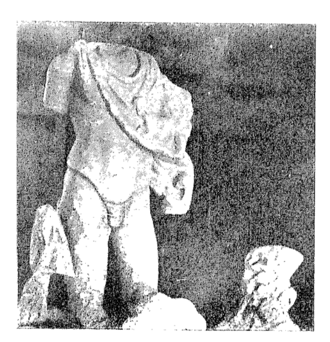


Fig. 7. La statue d'adolescent (Adonis?) trouvée non loin du "Chateau". *Photo de l'Auteur*



Fig. 8. Le lit désséché du torrent et le bassin sans eau de la "Petite Mer", périodiquement se vidant et se réemplissant.

Photo de l'Auteur



Fig. 9. La Forêt des Cèdres au haut de la *Kadisha.* *Photo de l'Auteur*



Fig. 10. Un cèdre séculaire. *Photo de l'Auteur*

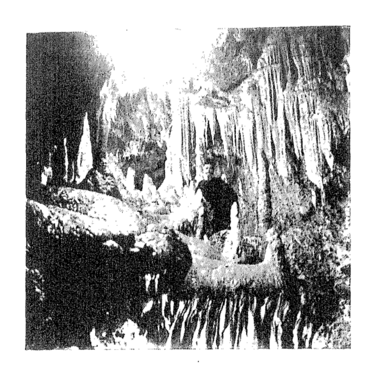


Fig. 11. Une grotte de stalactites. Au centre le R.P. Djadja qui l'a découverte.
Photo de l'Auteur



Fig. 12. Une autre grotte de stalactites d'où sort le torrent de la *Kadisha*.
Photo de l'Auteur



Fig. 13. PLAN SCHÉMATIQUE D'*Afka-Les Cèdres-Yamouneh.*

Dessin de l'Auteur

TABLE DES MATIÈRES

TABLE DES PLANCHES

prodigieuse de petits poissons" [1]. Le poisson d'El Yamouneh forme une espèce *sui generis* connue sous le nom de *Phoxinellus Libani Lort.* Nous trouvons dans ce qui précède un nouveau parallèle que voici :

Bata, dissimulant son coeur dans l'un des nombreux cônes (graines ?) du cèdre—Ishtar se cachant au milieu de la "quantité prodigieuse" de petits poissons [2].



---

(1) G. Blanche, *op. cit.*, p. 9,

(2) Bobrovsky, lui aussi, en parle dans sa lettre du 7. IV, **37**, accompagnant l'envoi des photos.

lequel se cache Xysuthros—Hasisutra—Athrahasis, lui-même remontant à *Zi-ud-sud-du* que nous connaissons d'après un fragment sumérien du Déluge identifié par Pœbel.

Les rapports qu'on relèvera dans l'histoire de Combabus, d'un côté. avec le conte égyptien et, de l'autre, avec l'épopée babylonienne. seront tant de nouveaux traits d'union entre ces deux derniers.

Appendice II

LA LÉGENDE D'ISHTAR SE TRANSFORMANT EN POISSON POUR ÉCHAPPER À LA POURSUITE DE TYPHON

Nous avons mentionné, à la page 74 la légende rapportée par le "Guide Bleu" où il est question d'Ishtar poursuivie par Typhon et cherchant refuge dans le lac d'El Yamouneh après s'être transformée en poisson. Cette légende rappelle à notre mémoire l'épisode du héros du *Pap. d'Orbiney*, lequel, poursuivi par son frère aîné Anubis, jette son membre génital à l'eau où il est avalé par le poisson *Nâr*, éponyme du *roi* de la I[ère] dynastie.

La légende d'Ishtar se place également en regard de l'épisode où la Fille de Râ, poursuivie par le Torrent, se voit enlever une boucle transmise ensuite au *roi* d'Égypte.

Dans ces deux versions, le tout (héros ou héroine) est remplacé par une partie (membre, boucle). C'est parail dans *De Dea Syria*. Ici encore le membre du héros, enfermé dans un vase scellé, est confié à la garde du *roi*. Somme toute, les symboles diffèrent, mais le fond est le même. Il s'agit de la virilité ou de la féminité du héros ou de l'héroine poursuivis, laquelle passe temporairement au pouvoir du roi-adversaire.

Il y a lieu de relever, en rapport avec la légende d'Ishtar se cachant parmi les poissous du lac, ce qui suit. Jusqu'à nos jours ce dernier en est plein et même quand il se vide "dans les petites flaques d'eau qui restent encore il y a une quantité

Pour se prémunir contre la tentation, le jeune homme se mutile et donne la chose coupée dans un vase scellé en dépôt au roi. Arrivée à Hiérapolis, la reine tombe follement amoureuse de son compagnon et, ne pouvant y tenir, lui rend visite dans la nuit. Combabus est obligé de lui faire part de son triste secret. Mais cela ne change que fort peu les choses. Combabus et la Reine s'aiment avec toute l'ardeur de la passion. Le roi est mis au courant de l'affaire et fait venir Combabus à sa résidence avec l'intention de le mettre à mort. Pour toute défense, le jeune homme lui fait apporter le dépôt et le décachète. Se rendant compte de son erreur, le roi comble son ami de faveurs et lui fait don de précieuses soieries. Combabus retourne à Hiérapolis et reprend ses relations d'ardent amour platonique avec la Reine. Il a, par la suite, de nombreux imitateurs. Et c'est ainsi que fut créée la confrérie des Galles.

Nous laissons aux personnes intéressées le soin de mettre de l'ordre dans cette version syrienne des " Deux Frères " et d'établir les parallèles. Nous serions tout disposé de prendre connaissance de leurs efforts. Avant de se mettre au travail, il serait, évidemment préférable, qu'ils lisent le texte complet de *De Dea Syria*. De l'autre côté, en mettant "Combabus" en regard avec les " Deux Frères", on ne doit pas perdre de vue "Gilgamish".

Et voilà pour quelle raison. Il a été suggéré avec justesse que le nom du héros de la version syrienne n'est autre que la forme grécisée de *Humbaba*, gardien de la Forêt des Cèdres, de la Montagne des Dieux et du sanctuaire d'Ishtar-Astarté (à comparer Combabus et Astarta-niku à Hiérapolis—Ville Sainte). Il y a dans *De Dea Syria* d'autres preuves que son auteur avait quelque connaissance de l'épopée babylonienne ou tout au moins du texte de la XIème tablette. contenant l'histoire du Déluge. Il le tenait d'une source grecque. C'est pourquoi le nom de l'homme, qui a survécu au désastre, est *Deucalion*. Il a dû en plus avoir vent de la version de Bérose. Ceci se laisse reconnaître par l'épithète de Deucalion-le *Scythe*, un nom transparent sous

Il y aurait, peut-être, de ceux qui nous reprocheraient de n'avoir pas parlé des autres versions-sœurs. Mais ceci n'était pas dans notre dessein. Le but de cet ouvrage n'est pas de faire le tour de l'horizon dans ce sens, mais seulement de démontrer que le conte des " Deux Frères " n'est pas une œuvre folklorique isolée, mais que tout au contraire, son sujet était bien connu au-delà des frontières de la Vallée du Nil, et cela depuis les temps les plus anciens.

Appendice I

HISTOIRE DE COMBABUS

(De Dea Syria)

Pour ne pas décevoir complètement nos lecteurs qui, peut-être, attendaient de nous d'autres histoires du type des "Deux Frères", nous allons résumer en quelques lignes celle qui fait partie de *De Dea Syria*, de Lucien de Samosate. Nous l'avons choisie de préférence aux autres pour cette simple raison que nous avons eu l'occasion de nous y référer (à la page 80).

Voici le résumé. Le roi de Syrie insiste que son ami, Combabus, accompagne sa femme Astarta-niku (Stratonice. 'A noter qu'encore ici il s'agit de la déesse Ishtar !) La Reine devait se rendre à Hiérapolis pour y construire un magnifique temple (1).

(1) A part le temple, il y avait à Hiérapolis un lac qui y jouait le rôle du *p; ym* ou de la " mer " douce, que nous avons eu l'occasion de relever dans les différentes versions du conte des " Deux Frères ". Nous avons contemplé, non sans mélancolie, les pauvres vestiges qui en restent de nos jours, lors de notre visite à Membidj, banal village circassien, situé sur l'emplacement des splendides constructions de jadis, attribuées à la reine Astarta-niku. Il y avait, dans le temps, à Hiérapolis d'autres choses que le lecteur attentif de *De Dea Syria* ne manquera pas de mettre en regard avec les " Deux Frères " et les histoires apparentées. Tout ce dont nous avons parlé est là, seulement présenté souvent d'une manière chaotique, pêle-mêle. On dirait, de vrais *membra disjecta* d'un grand ensemble ailleurs si harmonieux. Tel est, par exemple, le thème de la boucle de cheveux, enlevée à l'héroïne. Il se présente dans *De Dea Syria* sous forme de cheveux que les jeunes gens consacraient dans le temple local à l'âge de la puberté : les jeunes filles, leur chevelure, et les jeunes gens, les prémices de leur barbe.

la source de *Nahr Ibrahim* (ancien fleuve *Adonis*), en tenant compte de la localité-sœur, *El Yamouneh*, de l'autre côté du Mont Liban, et en ne perdant pas de vue la *Forêt des Cèdres* au haut de la Vallée de la *Kadisha* (pl. X, fig. 13).

La dite localisation conviendrait, comme nous l'avons dit, du point de vue *topographique*, *géographique* et *onomastique*. Le site enchanteur d'Afka-Yamouneh conviendrait en plus *du point de vue psychologique*. Nous avons entendu (*supra*, p. 81) ce que dit Renan à propos du "charme infini de la nature" de l'endroit en questisn qui y "conduit sans cesse à la pensée de la mort, conçue non pas comme cruelle, mais comme une sorte d'attrait dangereux". La manière dont se comporte le héros du conte égyptien, ne sert-elle par l'illustration á cet ordre d'idée, auquel se trouve intimement mêlée une femme idéalisée, une femme divine, en poussant trois fois de suite la belle Fille Solaire à l'immoler ?

Nous avons étudié en regard cinq œuvres folkloriques dont deux anciennes (conte égyptien, conte syrien et épopée babylonienne) et deux de notre temps (contes russe et turc), en prenant comme base le conte des "Deux Frères".

Nous avons établi des parallèles, tantôt couvrant tout le conte égyptien et tantôt ne se rapportant qu'à ses parties, médiane et dernière.

Dans la plupart des cas, les correspondances étaient de toute évidence. Mais parfois le parallélisme ne ressortait qu'après que nous nous fûmes référé aux *équivalences* et au principe de la *décomposition* des personnages, l'héroïne, mi-bonne, mi-méchante devenant de la sorte *deux* héroïnes dont l'une entièrement bonne et l'autre entièrement méchante, etc.

Il reste à ajouter que les deux contes, russe et turc, et l'épopée babylonienne, lesquels nous avons comparés avec les "Deux Frères", ne sont pas les seuls à ressembler au conte égyptien.

L'équivalence devient encore plus évidente, une fois que nous nous souvenons de la version biblique (Histoire de Samson) où nous entendons parler des rayons de miel extraits de la carcasse du lion (remplaçant ici le taureau), et de l'énigme du "fort" se transformant en "doux" (dans *Orbiney*, transformation du taureau *fort* en arbres aux fruits *doux*).

14–15. De nouveau, la version biblique, de préférence à la version babylonienne, nous vient à l'esprit quand nous entendons parler du "doux" (fruit ou pollen du perséa, plutôt qu'éclat de bois), absorbé par la Fille de Râ. Gilgamish porte les cornes, remplies d'huile, dans le sanctuaire de son aïeul divin, Lougalbanda. Mais ce qu'on y fait de l'huile nous reste inconnu. Dans "Samson", la chose est claire. Le miel est mangé par le héros en compagnie de ses parents, auxquels il l'apporte après lavoir extrait de la carcasse de l'animal abattu. Mais ni dans "Gilgamish" ni dans "Samson", il n'y a aucune allusion à la qualité fécondante du "doux".

16. Après et à cause du lancement du symbole phallique (membre ou cuisse du Taureau) à la figure de la déesse perfide, les dieux décrètent la mort de celui qui l'a fait, c'est-à-dire, d'Enkidou. A son tour, Bata, correspondant à ce dernier, comme nous l'avons dit plus haut, est mis à mort (en tout, trois fois). Et la dernière fois il périt dans les mêmes circonstances que le héros babylonien, mais encore plus vite que lui. Il meurt au moment même où, en tant qu'arbre abattu, il lance le symbole phallique dans la bouche de la perfide Fille de Râ.

Résumé Général

Nous avons revu la traduction des mots *pꜣ ʿš* et *pꜣ ym*, faite par M. Lefebvre et signifiant d'après lui "pin parasol" et "mer", voire "Dieu de la Mer", et nous nous sommes prononcé en faveur des anciennes traductions "cèdre" et "torrent".

Nous avons pris à tâche de localiser au Liban la "Vallée du Cèdre" où le héros des "Deux Frères" avait séjourné, dans la partie médiane du conte, et nous sommes arrivé à la conclusion qu'il fallait la situer dans le décor grandiose d'*Afka*, près de

8. Mais, à la longue, tant Bata que Humbaba sont vaincus et tués. De nouveau, comme dans le cas de la lutte initiale entre les deux frères, les choses se présentent dans l'épopée babylonienne d'une manière naturelle. Humbaba a la tête tranchée (?). Dans *Orbiney*, on coupe le "sommet" ou la "fleur" de l'arbre, avec lequel est mystérieusement lié le sort du héros, et, bien que lui-même ne fut pas blessé, Bata tombe raide mort.

9. Nous avons déjà parlé de l'apparition spontanée d'Ishtar, et que c'est autre chose tant qu'il s'agit de la Fille de Râ. Mais le fond de l'épisode, ici et là, est le même. Laissant de côté la séduction manquée dans "Gilgamish", nous avons, dans les deux œuvres, devant nous le héros tirant à clair la conduite peu scrupuleuse de la femme divine. Elle ne se donne que pour provoquer la mort de son ou de ses amants.

10–11. Furieuse que son ignoble manège soit révélé, la femme se venge en faisant mettre à mort le héros venu auprès d'elle sous l'apparence de taureau. Il y a, sous ce rapport, une différence notable, tant qu'il s'agit de "Gilgamish". Ici le taureau est le champion de la déesse, mais l'issue est la même. Le taureau céleste de feu, tout comme Bata-taureau, est mis à mort.

12. Ishtar assiste au combat des deux amis (héros dédoublé) contre le Taureau. *Orbiney* ne nous dit pas si la Fille de Râ assistait à la mise à mort de Bata-Taureau par les bouchers. La chose est possible. On se souvient de la fausse reine, dans la "Fille du Marchand" qui vient auprès de sa rivale, tuée par les gendarmes, et lui arrache le cœur. Ce détail ne manque pas dans l'épopée babylonienne. Seulement là c'est Gilgamish qui arrache le cœur du Taureau de Feu et le tend au dieu-soleil, Shamash.

13. Le parallélisme devient quelque peu obscur quand nous passons à l'épisode suivant. Nous devons, encore ici, faire appel aux "équivalences". Dans le conte égyptien nous avons devant nous deux superbes *arbres* ; dans l'autre, deux *cornes*. Tout de même, tant les arbres que les cornes sont, respectivement, coupés et détachées et provoquent l'admiration de tout le monde.

d'anormal. étant donné que là la prostitution sacrée était une institution aucunement réprouvable et même respectée.

4. Il est à remarquer que dans *Orbiney*, la lutte entre les deux frères aurait aussi bien pu n'avoir lieu, car là la femme n'était pas, en réalité, convoitée. Au contraire, dans "Gilgamish", elle devenait inévitable. Là il s'agissait, selon toute vraisemblance, de la possession de la femme que les deux futurs frères voulaient avoir, chacun à lui seul.

5. La lutte et la réconciliation, dans "Gilgamish" sont naturelles et dramatiques. Il n'y a là aucune intervention surnaturelle et, en définitive, le "frère ainé" est forcé de s'agenouiller devant le cadet. Tout autre vainqueur l'aurait tué et saisi le pouvoir. Enkidou ne fait ni l'un ni l'autre. Son adversaire a la vie sauve, et même devient son ami et frère, après avoir été adopté par Ninsoun, la mère de Gilgamish. Ce sont là des différences de détail. En tout cas, dans le conte égyptien, les deux frères restent aussi en vie.

6. Il y a également quelque différence, tant qu'il s'agit du départ vers la Vallée, *alias*, la Forêt des Cèdres, lesquels pouvaient, originairement, désigner un seul et même endroit. Gilgamish et Enkidou partent ensemble et bien armés, tous les deux. Dans *Orbiney*, les frères y arrivent séparément et seul l'aîné est armé.

7. La différence vraiment notable se trouve dans le fait que dans "Gilgamish" Enkidou et le résidant de la Forêt sont deux personnes différentes, tandis que dans *Orbiney*, les deux ne font qu'un. C'est là l'un des exemples de la *décomposition* dont il était question plus haut. Pareillement à l'aspect primitif d'Enkidou au début de l'épopée, le résident de la Forêt babylonienne est un être effrayant, même plus que ça, un monstre, tandis que Bata du début du conte et Bata, résident de la Vallée du Cèdre, ont tous les deux un aspect passablement civilisé. Sa nature redoutable d'autrefois ne ressort que du fait qu'il est invincible et anéantit toute une armée, envoyée par le pharaon pour lui enlever la Fille de Râ.

COMMENTAIRES

Le résumé en regard des deux œuvres, "Gilgamish" et "Deux Frères", nous montre combien plus ancien et violent est l'aspect de la première en comparaison avec la deuxième. C'est donc "Gilgamish" qui pouvait avoir servi de prototype aux "Deux Frères" et non pas l'inverse. Nous disons "pouvait", car une autre possibilité n'est aucunement exclue, à savoir que les deux remontent à un prototype commun, encore plus ancien que l'épopée babylonienne. Que ce soit ceci ou cela, nous croyons fermement que ce ne serait pas en Égypte qu'il faudrait le rechercher.

Dans les deux histoires mises en regard nous allons relever les traits suivants.

1. Le fait qu'Enkidou s'occupe d'un troupeau de bêtes sauvages et que Bata, non seulement a à sa charge des animaux domestiques, mais encore prête la main au labourage et aux semailles, nous suggère que la création de l'épopée babylonienne remonte à un stade plus ancien (chasse) (1), tandis que celle des "Deux Frères", à une époque postérieure (agriculture).

2. C'est comme un écho de l'état de prostituée sacrée de la fille, envoyée par le roi d'Érekh auprès d'Enkidou, que nous entendons la remarque de Bata que sa belle-sœur se comportait envers lui d'une façon indigne.

3. Ceci n'empêche point que les deux femmes respectives traitent le héros à la manière d'une mère. Les deux œuvres diffèrent, cependant, sous ce rapport, en ce que cette attitude se fait voir, dans "Gilgamish" *après* et, dans les "Deux Frères", *avant* la séduction. Il ne pourrait être autrement en Égypte, tandis qu'en Babylonie, l'attitude de mère *post factum* n'avait rien

(1) Et même, peut-être, à un stade encore plus ancien. N'oublions pas cette phrase : *it-ti ṣabiti*pl*-ma ik-ka-la šamma* "avec les gazelles il broutait l'herbe" (*Epopée*, tabl. I, col. IV, l. 3). Le *Papyrus d'Orbiney*, lui aussi, en garde un souvenir, mais très vague (voir *supra*, p. 62, no. 3).

Gilgamish	Deux Frères
8. Après l'exploit de la Forêt des Cèdres, Ishtar, venue on ne sait d'où, tâche de séduire Gilgamish, mais il la repousse, en lui rappelant ses anciennes amours qui tous finissent par la mort ou la misère de son amant.	8. Après le séjour dans la Vallée du Cèdre, Bata vient auprès de la Fille de Râ, sa ci-devant compagne, et lui rappelle sa perfidie qui provoqua sa mort.
9. La déesse furieuse supplie le dieu du ciel de venger son honneur.	9. La Fille de Râ demande au pharaon avec insistance de tuer Bata qui venait de l'offenser.
10. Le dieu Anou envoie le taureau céleste de feu dans la capitale de Gilgamish.	10. Bata vient dans la capitale du pharaon sous l'apparence d'Apis.
11. Ishtar assiste au combat du roi d'Érekh contre le taureau céleste.	11. La Fille de Râ obtient du pharaon l'ordre de tuer Bata-Taureau.
12. Les cornes détachées du Taureau égorgé sont remplies d'huile.	12. Des gouttes de sang de Bata-Taureau égorgé surgissent deux magnifiques perséas (arbres aux fruits doux).
13. Les énormes cornes de lapis-lazuli provoquent l'admiration de la population et sont portées par Gilgamish chez son aïeul divin, Lougalbanda.	13. Les perséas provoquent l'admiration du pharaon, qui vient exprès pour les voir.
14. Enkidou arrache le membre (ou la cuisse) du Taureau et le jette devant d'Ishtar.	14. Une particule fructifiante se détache de l'arbre, pendant qu'on l'abattait, et pénètre dans la bouche de la Fille de Râ, la rendant enceinte.
15. Les dieux font mourir Enkidou à cause de son outrage à la déesse.	15. Bata est mis à mort sur la demande de la Fille de Râ et sur l'ordre du pharaon.

Gilgamish	Deux Frères
1. Enkidou vit entouré d'animaux sauvages, loin de la résidence de son futur "frère aîné", le roi d'Érekh, Gilgamish.	1. Bata passe ses jours avec son bétail, en dehors de la ferme de son frère aîné, Anubis.
2. Le futur "frère aîné", Gilgamish, envoie auprès de lui une prostituée sacrée (hiérodule), avec mission de le séduire.	2. Le frère aîné envoie Bata à la maison où sa femme tente de le séduire. Mais il la repousse en lui reprochant sa conduite.
3. L'hiérodule, après avoir séduit Enkidou, se comporte envers lui comme une tendre mère. Elle lui donne un vêtement et lui fait manger un repas qui convient aux hommes (autrefois il se nourrissait d'herbe).	3. Bata estime la femme d'Anubis comme si elle était sa mère. Pour le séduire, elle lui promet un beau vêtement et veut lui offrir un banquet (autrefois il rentrait à la maison le soir avec une charge d'herbe sur les épaules).
4. Après l'union d'Enkidou avec l'hiérodule, le roi d'Érekh se bat avec lui dans un corps-à-corps dont l'issue doit être la mort de l'un d'eux.	4. Après la séduction manquée, mais présentée par la femme comme un fait accompli, Anubis se jette contre Bata avec l'intention de la tuer.
5. Les deux lutteurs se réconcilient.	5. Bata et Anubis se réconcilient.
6. Ils partent dans une expédition contre l'invincible Humbaba, que les dieux avaient placé comme gardien dans la Forêt des Cèdres.	6. Bata s'en va dans la Vallée du Cèdre tout seul. Plus tard son frère aîné s'y rend à son tour, en emportant avec lui des armes.
7. Humbaba a la tête tranchée (?) par le roi après que ses cèdres furent abattus.	7. Bata tombe raide mort après que son cèdre fut abattu et que la fleur sur son sommet fut coupée par les envoyés du pharaon.

av.J.C.) [1]. Ici l'on se trouve en présence, pourrait-on dire, de *jalons isolés* dont chacun, bien que correspondant à une étape du conte égyptien, n'est pas toujours conditionné, comme là, par celui qui le précède et, à son tour, n'explique pas toujours celui qui le suit. Si l'on nous permet une comparaison, c'est comme si, dans un cas, on était en présence d'un collier bien assorti avec des pièces faites d'une seule et même matière, et, que dans l'autre, nous ayions devant nous des gemmes, les unes éparses, les autres enfilées, et taillées dans des pierres différentes.

Pour n'en citer qu'un exemple, le conteur égyptien nous fait connaître la Fille de Râ dès le moment de sa création et nous donne une idée précise de ses relations avec le héros avant qu'elle ne le trahît et ne le mît à mort trois fois de suite. Nous avons en regard, dans "Gilgamish" Ishtar. Le parallèle est indéniable, mais la fille du dieu céleste Anou entre en scène *ex abrupto*, sans que nous sachions quoi que ce soit sur son passé et sur le rapport entre elle et Humbaba (correspondant à Bata, résidant de la Forêt des Cèdres). L'auteur ne nous renseigne pas davantage sur la raison pour laquelle elle apparaît en ce moment précis et non pas avant ou après. Ceci n'empêche point qu'elle se comporte envers le héros tout comme le fait la perfide favorite du pharaon. Et encore ici sa fureur s'abat, en définitive, non pas sur celui qui a provoqué son courroux mais sur son ami qui ne l'offença que par la suite (Enkidou correspondant à Bata).

Il nous semble donc tout indiqué de présenter les parallèles babyloniens sous forme tabulaire, en passant d'un "jalon" à l'autre à la manière d'un dévôt égrenant son chapelet.

[1] Voir les dernières traductions : R. Campbell Thompson. *The Epic of Gilgamish*, London, 1928, A. Schott, *Das Gilgamesch-Epos*, Reclam, 1934, et G. Contenau, *L'epopée de Gilgamesh*, Paris, 1939.

racontées encore de nos jours dans les bazars d'Istanboul et dans les villages russes. Nous terminerons notre enquête en remontant aux hautes époques, même par rapport à celle des Ramsès et des Seti, quand le conte égyptien eut la faveur d'être fixé par un docte scribe sur un rouleau de papyrus.

L'œuvre, qui nous fournira à son tour d'intéressants parallèles avec les "Deux Frères", est connue sous le nom de l'"Epopée de Gilgamish" dont certains fragments sont vieux de quatre mille ans et même plus. Avant de nous en occuper, quelques remarques préliminaires s'imposent.

En parlant de la "Fille-Citron" et de la "Fille du Marchand", nous avons relevé des cas où le héros (héroïne), unique dans une version, se trouvait *décomposé* en deux dans une autre. L'inverse peut également avoir lieu. Ensuite nous avons eu affaire à des *équivalences*, un terme qui désigne la présentation d'un seul et même concept folklorique sous différentes formes (symboles) parfois difficilement reconnaissables, surtout si l'on ignore le contexte. Ainsi nous avons vu que les parties sexuelles tranchées pouvaient être remplacées par le cœur ou les yeux arrachés, par une boucle de cheveux ou une épingle retirée des cheveux, et ainsi de suite.

L'épopée babylonienne nous donnera de nouveaux exemples, tant de la décomposition des personnes que des équivalences symboliques.

Quant à sa composition, par rapport au conte des "Deux Frères", voici ce qui est à relever dès maintenant. En lisant "Gilgamish", on se souvient constamment du conte égyptien, mais les ressemblances se présentent ici autrement que dans la "Fille-Citron" ou la "Fille du Marchand". Ces deux histoires, comme nous l'avons vu, nous présentent un développement suivi des thèmes et des motifs de l'ancien conte égyptien. C'est autre chose, tant qu'il s'agit de l'œuvre, connue principalement d'après les douze tablettes, sorties de la bibliothèque d'Ashourbanipal (VII sc.

trait particulier que les arbres se pétrifient sous les coups de haches (1).

L e g a r ç o n d a n s l e j a r d i n.—La Fille-Citron "ressort" toute vivante du tas des branches de l'arbre coupé. La fille du marchand est "retrouvée" dans le jardin. Dans le dernier cas, la chose est compliquée par le fait que tout d'abord c'est un jeune garçon qui y est découvert. Le "trouvaille" de la fille en sus de la "trouvaille" du garçon, toutes les deux faites par le roi, est un équivalent combiné de la naissance de l'héritier du roi, dans *Orbiney*. On pourrait peut-être voir dans le remplacement du garçon par la fille une conséquence d'un remplacement réel du héros de la version originale (égyptienne ?) par une héroïne, telle que nous la voyons dans les conte turc et russe.

L a f i n.—La fin est pareille au dénouement tel qu'il se présente dans les deux autres contes. On notera que ce que dit la Fille du Marchand à la fausse reine est une répétition presque textuelle du langage acerbe que Bata tient à la favorite royale. Le châtiment dans le conte russe est le même que dans le conte turc. La fille coupable est livrée à la furie des chevaux sauvages qui la mettent en pièces. Le conteur russe se montre même plus cruel que le conteur turc en faisant subir à la servante, par dessus le marché, le supplice qu'elle avait fait subir à sa maîtresse : avant de l'attacher aux chevaux, on lui arrache les yeux.

L'ÉPOPÉE DE GILGAMISH

(*Œuvre babylonienne*)

Prenant comme *tertium comparationis* l'ancien conte des "Deux Frères", nous avons analysé deux œuvres folkloriques,

---

(1) A comparer tout de même la branche d'arbre laquelle se dessèche après le départ de la colombe.

atténuée de la mort du héros, comme cela se voit dans *Orbiney* (cf. le héros gisant à demi-mort, après que lui furent arrachés les yeux, dans les "Aventures d'Horus et Seth"). Dans la "Fille-Citron", nous avons en regard un autre équivalent de la mort ou du profond sommeil, à savoir la disparition ou le départ.

Transformation en animal.—Nous avons vu, tant dans *Orbiney* que dans la "Fille-Citron", que le héros-martyr se transforme en un bel animal. Dans le conte égyptien, ceci a lieu après que son cœur arraché lui fut apporté et remis en place. A son tour, le conte russe nous parle de la transformation et, encore ici, la chose arrive après que l'organe arraché, en l'occurrence les yeux, fut remis en place. Il n'y a dans le dernier cas que cette différence que ce n'est pas le héros (héroïne) lui-même qui subit la transformation, mais *sa demeure* (la chaumière devenant un palais de cristal).

Deuxième mise à mort.—En tenant compte du "profond sommeil" de l'héroïne en tant qu'équivalent de la première mise à mort dans les versions-sœurs, c'est de la deuxième et non pas de la première mise à mort, qu'il nous est dit dans le conte russe, après que la fille du marchand fut reconnue par sa rivale et que cette dernière donna l'ordre aux gendarmes de la tuer sur le chemin de retour. Les deux autres contes connaissent ce motif avec quelques différences de détail.

Transformation en arbre.—Dans *Orbiney* et la "Fille-Citron", le héros et l'héroïne assassinés sous forme animale se transforment sans tarder en un arbre, dans le conte turc, et en deux arbres, dans le conte égyptien. C'est pareil dans le conte russe, avec cette seule différence qu'à la place d'un ou de deux arbres nous y trouvons tout un jardin.

Troisième mise à mort.—Pareillement au héros et à l'héroïne des deux autres contes, la fille du marchand, ressuscitée sous forme végétale, est reconnue de nouveau par la fille perfide, et celle-ci ordonne d'abattre le jardin. Ceci est parfaitement conforme aux autres versions. Il n'y a que ce seul

par son frère-berger, *alias* les yeux apportés à l'héroïne par le berger secourable,—tout cela, ce sont des parallèles très clairs.

L'existence de l'héroïne révélée au roi.—Le marchand louant la beauté et la sagesse de sa fille résidant dans une île lointaine, pendant qu'il montre au roi des étoffes, ceci correspond au motif de la boucle de cheveux de la Fille de Râ, apportée par un courant d'eau qui fit connaître au pharaon sa présence dans un pays lointain. La ressemblance des deux épisodes se précise davantage, une fois que nous nous rappelons que dans *Orbiney* il est question de vêtements, parfumés par la boucle de cheveux apportée au roi et que nous pensons qu'une étoffe à vendre est enroulée comme l'est une boucle de cheveux. A part cela, les étoffes mentionnées en rapport avec la fille et avec son arrivée dans la capitale, nous font penser aux "ornements de femme" dont fait présent à la Fille de Râ la duègne envoyée avec les soldats pour l'amener auprès du roi.

Les gendarmes.—L'objet ou l'organe, enlevé au héros ou à l'héroïne respectifs, varie d'un conte à l'autre, tout en restant au fond le même symbole (phallique). Dans *Orbiney*, nous entendons parler du "cœur arraché" (précédemment, des parties sexuelles coupées) (1), tant qu'il s'agit du héros, et de la boucle de cheveux enlevée, tant qu'il s'agit de l'héroïne. Dans la "Fille-Citron", il est question d'une épingle retirée des cheveux de l'héroïne. Enfin, dans la "Fille du Marchand", nous avons en regard des pièces d'étoffe, les yeux et le cœur (1), les deux derniers arrachés.

L'héroïne droguée.—Le profond sommeil, dans lequel est plongée l'héroïne, à force d'être droguée, est une présentation

(1) Le cœur faisant fonction de membre viril figure dans le récit de la naissance d'Hatshepsout où le dieu Amon rend enceinte sa mère, Ahmès, en posant sur elle son cœur (*ab*) (M. WERBROUCK, *Le temple d'Hatshepsout à Deir el Bahari*, p. 50 ; J. CAPART, *Les tablettes en schiste de l'Égypte primitive*, dans la *Revue des Questions historiques*, avril 1908 ; tirage à part, p. 20).

compte de son innocence, le frère aîné vient à son aide quand son cœur arraché est jeté à terre et qu'il tombe raide mort. Il y aurait apparemment une réminiscence du frère aîné, berger secourable, dans le fait que c'est précisément *un berger* qui vient en aide à la fille du marchand, après que celle-ci fut plongée dans un profond sommeil (équivalent de la mort) et eut les yeux arrachés (équivalent du cœur arraché).

Les deux diadèmes, comme réminiscence d'un autre conte égyptien.—Le motif des diadèmes est intéressant en ce qu'il nous fait connaître qu'à part les "Deux Frères", les conteurs russes avaient connaissance, au moins, d'un épisode d'une autre histoire égyptienne, à savoir des "Aventures d'Horus et Seth". Dans cet autre conte, il est question également de deux frères luttant pour la couronne de l'Égypte (à comparer la fille arabe, *alias* la servante de la fille du marchand, qui empêche l'héroïne de devenir reine). Le méchant frère Seth tombe à l'improviste sur le bon frère, Horus, l'assomme et lui arrache les yeux. Il les ensevelit, selon toute vraisemblance, dans *sa* montagne et de là ils ressortent après, transformés en deux lotus illuminant le monde.

De l'autre côté (dédoublement du thème), Horus recouvre la vue, après que la déesse-*vache* Hathor lui eut versé du lait dans ses orbites évidées.

En regard de tout cela, nous avons dans le conte russe l'héroïne aveuglée par sa méchante servante, qui confectionne deux splendides diadèmes, qu'elle envoie de bonne heure au roi en échange de ses yeux. C'est le berger, qui faisait paître les *vaches* (cf. *supra*), qui les lui apporte. Elle crache sur eux, les remet en place et recouvre de cette manière la vue.

Les deux diadèmes, présentés à l'aube, *alias* les deux lotus lumineux éclairant le monde ; les orbites vides, remplies de lait qui venait d'être trait, donc mousseux, *alias* les yeux humectés avec de la salive, liquide mousseux ; le cœur apporté au héros

Il est facile de se rendre compte, rien qu'à lire notre exposé sommaire, que le conte de la "Fille du Marchand" est bâti d'après le même schéma que le conte turc de la "Fille-Citron".

Ici et là, nous avons devant nous une victime innocente, mutilée par une servante, qui se donne pour elle et épouse le prince à sa place. Il s'ensuit la transformation de la fille mutilée, d'abord en un magnifique animal et ensuite en arbre splendide. Ils sont reconnus par la fausse princesse et anéantis par elle. L'animal est égorgé et l'arbre est abattu. Mais tout est en vain. La victime toujours renaissante met fin aux méfaits de la fille perfide, en les faisant connaître au prince. Celui-ci prend la fille ressuscitée pour épouse, tandis que la fausse princesse est attachée à des étalons sauvages qui la déchirent en mille pièces.

En analysant la "Fille-Citron" nous avons relevé ce que cette histoire a en commun avec l'ancien conte égyptien des "Deux Frères". Etant donné les ressemblances entre le conte de la "Fille-Citron" et celui de la "Fille du Marchand", il est clair que c'est pareil tant qu'il s'agit de ce dernier. Ici encore nous retrouvons tous les motifs du conte égyptien. Et même peut-être sont-ils présentés d'une manière plus nette, que dans le conte turc.

Nous allons relever, dans le conte russe, les parallèles suivants :

Deux frères.—Dans le *Papyrus d'Orbiney* il est question de deux frères. L'aîné est propriétaire d'une ferme et de champs cultivés. Le cadet, qui n'a rien, gagne son pain en soignant le bétail et en aidant à labourer et à ensemencer les champs. Un jour, quand il est faussement accusé par son frère d'avoir violé sa femme, il s'en va au loin tout en lui disant que désormais c'est lui, son aîné, qui allait s'occuper du troupeau. S'étant rendu

La fille du marchand l'avait prévu et c'est elle-même qui dit aux soldats de la tuer. Ils s'exécutent. La fausse reine s'empare de son cœur et, après lui avoir donné la forme d'un œuf, le garde chez elle.

Avant de partir, la fille avait cependant prévenu le berger qu'elle allait périr et qu'il le saurait en voyant la maison de cristal redevenir cabane. Ceci arrive en effet et le berger se porte en hâte sur les lieux du drame. Il rassemble les morceaux du cadavre déchiqueté, les met dans une bière et les enterre. Tout de suite en cet endroit surgit un magnifique jardin. Le roi le visite, l'admire et en parle à la fausse reine. Celle-ci fait abattre le merveilleux jardin, mais sous les coups des haches les arbres se pétrifient. Nouvelle visite du roi qui y trouve cette fois-ci un petit garçon. Le prenant pour un enfant abandonné, il l'emmène au palais.

Une fois là, le garçon commence à pleurer sans discontinuer. Pour l'amuser la reine lui donne l'œuf-cœur de sa ci-devant maîtresse. L'enfant se calme et s'enfuit en emportant le cœur. Le roi le suit dans la direction du jardin. Mais le garçon y arrive le premier et le roi ne le revoit plus. A sa place il trouve l'adolescente qui l'avait autrefois entretenu dans la maison de cristal, et apprend d'elle qu'elle était sa vraie fiancée.

Les deux s'en vont au palais et là la jeune fille raconte les méfaits de sa rivale. La servante tombe à genoux et supplie de lui pardonner "Et toi, lui dit la jeune fille : est-ce que tu as eu pitié de moi ? Tu m'as arraché les yeux et une autre fois tu as ordonné de me couper en morceaux !"

Le roi épouse la fille du marchand, tandis que la fausse reine est soumise aux mêmes supplices qu'elle avait fait subir à son innocente maîtresse. On lui arrache les yeux et on l'attache à des chevaux sauvages qui s'élancent dans la campagne et la déchirent en mille morceaux.

sagesse de sa fille, tout en étalant devant le roi sa marchandise qui consiste, en cette occurence, en belles étoffes. Il le fait avec une telle éloquence que le roi s'éprend d'elle, sans jamais l'avoir vue.

Il envoie auprès d'elle des gendarmes, porteurs d'une lettre, par laquelle il lui notifie son ordre de se préparer pour le rejoindre et devenir sa femme. La jeune fille se met à pleurer. Mais ceci ne l'empêche pas de faire le nécessaire pour le départ et de mettre la robe de noce.

C'est alors qu'intervient la servante qui, contrairement à sa jeune maîtresse, serait toute désireuse de devenir reine. Elle l'entraîne dans un endroit désert et, après l'avoir plongée dans un profond sommeil en lui administrant une forte drogue, elle lui arrache les yeux, les met dans sa poche et s'en va chez les gendarmes.

Elle se donne pour la fiancée, est menée au palais et devient reine.

La malheureuse fille du marchand recouvre ses sens et constate qu'elle est aveugle et ne peut qu'entendre. Elle découvre de cette manière qu'il y a dans le voisinage un berger. Elle l'appelle à son secours et le berger non seulement la reçoit dans sa cabane, mais encore l'aide à retrouver la vue. Pour cette fin, la fille l'envoie lui acheter du velours, de la soie et du fil d'or. En deux nuits elle confectionne deux magnifiques diadèmes. Le berger les porte au roi de bonne heure et les échange contre les yeux, arrachés par la fille perfide.

Rentrée en leur possession, la fille du marchand crache sur les yeux, les remet en place et ainsi recouvre la vue. Et, dès que cela a lieu, sa pauvre cabane se transforme en une maison de cristal. Elle est si belle que tout le monde en parle et le roi vient pour l'admirer. La jeune fille lui rend visite au palais. Elle est tout de suite reconnue par la fille perfide et celle-ci la fait assassiner sur le chemin de retour.

pas définitive. Tant Bata que la Fille-Citron reviennent à la vie. Les choses se passent dans le conte égyptien d'une manière plus compliquée que dans le conte turc. Bata sous forme de copeau, d'éclat de bois, de fruit ou de pollen, provenant de l'arbre abattu, pénètre dans le sein de la fille perfide par la bouche et après la période normale de gestation en ressort sous forme de bébé qui grandit comme tout enfant normal et atteint la maturité. Ce n'est seulement alors qu'il dévoile la perfidie de son ancienne compagne et se venge d'elle. Dans le conte turc tout se passe en vitesse. La Fille-Citron "sort" tout simplement du tas des branches de l'arbre abattu et d'emblée se fait reconnaître par le prince. Ici le motif de la mise au monde du vengeur par la fille perfide manque. Tout de même, il nous est dit qu'elle allait mettre au monde un enfant. Donc, le thème ne fait pas défaut. Il n'est présenté que sous une forme incomplète et disloquée.

Le châtiment de la fille perfide.—La fin dans les deux contes est la même. La perfidie de la fausse princesse, une fois dévoilée par le héros ou par l'héroïne, lui vaut la mort.

LA FILLE DU MARCHAND [1]

(Conte russe)

CONTENU

La fille d'un marchand en voyage d'affaires habite avec sa servante dans une île. Les deux se ressemblent à tel point qu'on pourrait prendre l'une pour l'autre. Seulement la servante est méchante et stupide, tandis que sa jeune maîtresse est bonne et a le don de clairvoyance. Malgré cela, leurs rôles seront renversés et c'est la servante qui va prendre la place de la maîtresse jusqu'au jour où elle sera démasquée.

Le père de la jeune fille, après avoir voyagé de province en province, arrive dans un pays étranger. Il loue la beauté et la

[1] A. N. Aphanassieff, *Les contes et légendes populaires russes*, vol. I, p. 183-188 ; édit. I. Ladignikoff, Berlin, 1922 (en russe).

venue du héros ou de l'héroïne donne lieu à l'émerveillement du prince qui leur témoigne une tendre sollicitude. C'est tout autre chose en ce qui concerne la favorite royale que le roi ou le fils du roi finit par épouser. Celle-ci ne tarde pas à reconnaître son ancienne compagne qu'elle avait trahie et elle s'empresse de la supprimer.

A partir de ce motif, le parallélisme entre les deux contes s'affermit davantage et toute confusion disparaît. Ici et là, nous assistons à deux nouvelles mises à mort, respectivement du héros et de l'héroïne, la première fois sous forme animale et la seconde sous forme végétale.

La mise à mort sous forme animale.—Dans les deux contes nous assistons tout d'abord à la mise à mort, respectivement, du héros et de l'héroïne tranformés en animaux. Ici et là, le meurtre se fait après une forte résistance de la part du prince et le prétexte est le même. La favorite à envie de manger la chair de l'animal.

Les gouttes de sang, jouant le rôle de germes.— Dans le conte turc, aussi bien que dans le conte égyptien, l'animal égorgé laisse tomber sur le sol des gouttes de sang et celles-ci, telles des graines, font pousser un arbre (deux, dans le conte égyptien). Dans un cas (tur.) c'est un cyprès, dans l'autre (ég.) ce sont deux perséas.

L'abattage de l'arbre et son but.—Le parallélisme reste parfait, tant qu'il s'agit du troisième meurtre qui est la mise à mort du héros ou de l'héroïne sous forme d'arbre. Comme dans le cas précédent, il se fait sur la demande pressante de la fille perfide donnant comme prétexte le désir d'avoir un meuble. Le genre et la destination de ce dernier n'est pas clair dans le conte des " Deux Frères ". Quant au conte turc la fille perfide, préoccupée de la proche venue au monde de son enfant, veut avoir un berceau.

Nouvelle resurrection du héros ou de l'héroïne.—La troisième mort, tout comme les deux premières, n'est

la vie. Comme la Fille-Citron, le cœur-graine de Bata absorbe l'eau et revit. A son tour, la princesse-cœur serait morte si elle n'était pas jetée dans la rivière.

Le secret révélé à la fille perfide.—S'assimilant davantage au héros du conte égyptien, la Fille-Citron joue non seulement le rôle de son cœur, mais encore de lui-même en entier. Bata a son secret, celui de son cœur posé sur le sommet de l'arbre, qu'il finit par révéler à sa perfide compagne. Cette confidence est la cause de sa transformation en animal, de sa venue dans la capitale et de tout ce qui s'ensuit. En regard de cela nous avons la Fille-Citron, elle aussi ayant un secret qui, une fois révélé à sa perfide compagne, l'obligera de se transformer en animal et de se rendre dans la capitale. Ici et là l'animal est beau et provoque l'émerveillement de tout le monde. Seulement, en rapport avec le changement de sexe, nous trouvons, dans un cas, un taureau et, dans l'autre, une colombe.

L'épingle retenant les cheveux.—La compagne du héros du conte égyptien part pour la capitale après que lui fut enlevée une boucle de ses cheveux. Dans le conte turc, nous entendons parler du départ dans la capitale de la Fille-Citron après que fut retirée l'épingle qui retenait ses cheveux. Le parallélisme n'est pas parfait, mais tout de même il est satisfaisant. Dans les deux cas il est question des cheveux et d'un objet en rapport avec eux.

Arrivée dans la capitale sous une apparence animale.—Nous avons déjà relevé le parallélisme, tant qu'il s'agit de l'arrivée dans la capitale, respectivement, du héros (*Orbiney*) et de l'héroïne (conte turc). Nous avons aussi noté que le remplacement du taureau par une colombe s'explique par la changement de sexe (homme, dans un cas, et femme, dans l'autre).

Émerveillement et affection pour le héros ou l'héroïne sous forme animale.—Dans les deux contes, la

Les deux filles.—Le héros du conte turc se trouve dans son oasis en compagnie d'une princesse, échappée à l'emprise d'un démon (dans le conte égyptien, la compagne du héros est créée par le dieu-bélier, Khnoum) ([1]). Elle habite au bord d'un courant d'eau, auprès d'un arbre, et non loin de là il y a une maison (dans le *Papyrus d'Orbiney*, un château) où se trouve son *alter ego*, la fille arabe([2]). Cette dernière s'approprie son identité, reçoit à sa place la visite des soldats et des musiciens, venus du palais, et épouse le prince après s'être rendue dans la capitale. Tout ceci figure également dans le conte égyptien : arrivée des soldats, envoyés par le pharaon, pour amener auprès de lui la Fille de Râ, départ pour la capitale et mariage avec le roi. On remarquera toutefois que la compagne du héros, dans *Orbiney*, se trouve décomposée en deux dans le conte turc. La Fille de Râ est à moitié bonne et à moitié mauvaise. Dans le conte turc, nous avons devant nous la Fille-Citron, en tout point parfaite, et son double, la Fille Arabe, en tout point mauvaise.

La princesse assise sur le sommet de l'arbre.— La Fille-Citron joue en même temps le rôle du *cœur* du héros égyptien, tant qu'elle est assise sur l'arbre. Bata, lui, avait placé son cœur sur le sommet de l'arbre, dans une fleur. Etant donné qu'il est question d'un cèdre, la "fleur" ne peut être qu'un cône, un fruit oval, qui est vert avant qu'il ne soit mûr et qui contient des graines. Tout comme le cœur de Bata, la Fille-Citron se trouve sur le sommet de l'arbre. C'est également en sa qualité de "cœur" qu'elle est jetée à l'eau et en boit à pleines gorgées. Nous trouvons en regard le cœur-graine de Bata, jeté dans un bol rempli d'eau, sans quoi il ne pouvait pas revenir à

([1]) A noter que les dieux d'Égypte devinrent par la suite des démons.

([2]) Autrement dit, une fille exotique. Le fait d'être "servante" la rapproche d'Ishtar-Astarté, laquelle était considérée, tantôt comme fille et tantôt comme *servante* du dieu du ciel, Anou.

Mais il ne faut pas beaucoup de temps pour établir les parallèles. Ce qui pourrait gêner une personne peu rompue aux avatars des thèmes folkloriques passant d'un milieu ethnique à l'autre, c'est que le conteur ottoman qui, pourrait-on dire, avait devant lui un jeu d'échecs en bon ordre, s'est plu à déplacer les pièces, tantôt s'imaginant jouer une partie, tantôt d'une manière capricieuse. Ainsi, il faisait jouer au roi le rôle de la reine, substituait un oiseau au cavalier, et ainsi de suite. Mais le "principe d'équivalences" nous aidant, ne perdant pas de vue que tout caprice a sa raison d'être et, enfin, en nous référant au schéma du conte égyptien, il nous sera facile de défaire son jeu et de remettre chaque pièce à sa place.

Le conte turc, tout comme l'histoire russe dont se propose de nous parler Lefebvre, ne se fait pas l'écho du début du conte des "Deux Frères" (séduction manquée, mutilation et fuite). Par contre, nous y trouvons pas mal d'épisodes correspondant à la partie médiane (séjour dans la Vallée du Cèdre) et à la dernière partie (transformation en animal et en arbre dans la résidence royale et châtiment de la fille perfide).

Toutefois, il serait erroné de dire que toute trace de la première partie des "Deux Frères" soit absente. Nous ne manquerons pas de nous souvenir de la fuite de Bata, poursuivi par son frère, qui le croit coupable d'avoir violé sa femme, en entendant parler de la poursuite du prince par le démon, auquel il avait ravi la Fille-Citron. Comme dans le conte égyptien, c'est d'abord l'aide des animaux et en définitive une étendue d'eau, infranchissable pour le poursuivant, qui met le prince à l'abri de sa vengeance.

Oasis dans le désert.—Le héros du conte turc finit par arriver dans un endroit où il y a un cours d'eau (rivière, et non pas mer !) et où se trouve un arbre (un tilleul remplaçant le cèdre). Auparavant il avait traversé une région sans eau. Celle-ci se place en regard du désert peu éloigné du domaine de Bata où, pareillement, il y a un cours d'eau et croit un arbre.

Une servante habitant une maison voisine vient puiser de l'eau dans la rivière et, apercevant la fille au haut de l'arbre, monte auprès d'elle et lui fait raconter son histoire. Elle apprend ainsi que dans le cas où l'on enleverait de ses cheveux une épingle qui les retenait, la jeune fille se transformerait en oiseau et s'envolerait au loin.

La servante ne perd pas le temps pour faire l'expérience, dans le but d'éloigner la princesse et de se donner pour elle. La transformation a lieu, comme prédit, et la fille arabe reste toute seule sur le sommet du peuplier.

L'escorte arrive, emmène la servante arabe au palais et le prince l'épouse.

Depuis que le mariage a eu lieu il vient tous les jours dans le jardin du palais royal une colombe blanche. Elle perche sur une branche et après son départ celle-ci se dessèche. Le prince en est informé et donne l'ordre de lui apporter le merveilleux oiseau. Il l'enferme dans une cage et le garde dans sa chambre.

Aussitôt que la fille arabe le voit, il lui vient l'envie de manger sa chair. Le prince ne le veut pas, mais elle insiste tant et si bien qu'il finit par céder, malgré la grande affection qu'il a pour la belle colombe.

L'oiseau est égorgé et là où tombent les gouttes de son sang, surgit un grand cyprès. L'arbre est abattu à son tour, toujours sur l'instance de la fausse princesse, qui dit vouloir en faire faire un berceau pour l'enfant qu'elle allait mettre au monde.

Mais voilà que la vraie princesse ressort du tas des branches de l'arbre coupé. Le prince la reconnaît et l'épouse.

Les méfaits de la fille perfide sont dévoilés et elle est mise à mort. On l'attache à des chevaux sauvages, qui la déchiquètent.

COMMENTAIRES

La lecture du conte turc nous donne de premier abord une image quelque peu confuse du conte égyptien des "Deux Frères".

localiser la " Vallée du Cèdre " de Bata au Liban, il faudrait ne pas perdre de vue le triangle *Afka-Yamouneh-Les Cèdres*, en haut de la montagne.

Après ces quelques pages d'introduction, qui nous seront utiles pour notre enquête sur les versions-sœurs du conte égyptien, nous allons passer en revue ces dernières, en nous limitant à deux histoires contemporaines et à deux légendes anciennes.

Nous commencerons par le conte ayant pour titre " La Fille-Citron ".

LA FILLE-CITRON [1]

(*Conte turc*)

CONTENU

Un jeune prince, envoûté par une vieille femme, éprouve un ardent amour pour une jeune fille, sans qu'il la connaisse. Elle est cachée à l'intérieur d'un citron dans le jardin d'un démon. Le prince y va, cueille le citron et l'emporte poursuivi du démon. Mais il traverse une eau, infranchissable pour son ennemi, et, après avoir parcouru le désert, il arrive au bord d'une rivière et s'y arrête.

Le prince coupe le citron en deux et de là sort la belle princesse. Il la jette à l'eau, car sans cela elle serait vite morte. La fille se baigne, se désaltère et le rejoint, désormais assurée contre la mort.

Le prince allait la prendre pour femme. Mais d'abord, il devait revenir chez lui, dans le palais royal, pour envoyer une escorte de soldats et des musiciens.

Restée seule, la princesse monte sur le sommet d'un peuplier, s'élevant au bord de la rivière et de là surveille la route.

[1] MARGARET KENT, *Fairy Tales from Turkey*, p. 38-47, Routledge, 1946.

La Légende de la Sainte Vierge qui fit jaillir un torrent en jetant son mouchoir contre le mur rocheux

Et voici une légende qui rapproche davantage de notre thème le torrent de la *Kadisha*.

Un jour, dit-on, il se présenta ici une femme avec un bébé mourant de soif. En ce temps-là il n'y avait encore ni grotte ni source, et tous ceux qui y habitaient étaient à court d'eau. On refusa donc d'en donner, ne fût-ce qu'une goutte à l'enfant mourant de soif. Alors la femme, fondant en larmes, jeta son mouchoir contre le mur rocheux, et—oh miracle !—le mur s'entreouvrit et il en sortit un torrent (ce torrent même que vous avez ici devant vos yeux !), le torrent de la *Kadisha* ! Et tout le monde comprit que c'était la Sainte Vierge et son Enfant Divin.

Cette touchante légende nous fut racontée par l'explorateur de la grotte cristalline, le prêtre maronite Djadja. Elle s'est gravée dans notre mémoire parce qu'elle nous rappelle la Vierge Solaire du conte des "Deux Frèrs", laquelle *donna naissance au Fils du Dieu-Soleil* (Bata-Pharaon). Celle-ci, une fois adaptée aux croyances chrétiennes, est devenue Sainte Marie avec le *Sol Invictus* dans ses bras, tandis que la boucle de cheveux s'est transformée en mouchoir, les deux jetés dans le torrent. On notera aussi la soudaineté de l'apparition de le source, toute pareille à celle de Yamouneh et du conte égyptien.

Ainsi, ce n'est pas seulement des ressemblances topographiques, géographiques et autres, qui attirent nos regards vers un certain site libanais, mais aussi un passage important des "Deux Frères", raconté, encore de nos jours, dans le voisinage de la fameuse Forêt des Cèdres.

Les rapprochements, que nous venons de faire, nous le proposons à titre documentaire. Tant qu'il s'agit de nous, qui avons visité tous les endroits mentionnés et pesé soigneusement sur place les *pro* et les *contra*, nous croyons que s'il y a lieu de

A Yamouneh, de nos jours, il n'y a pas de cèdres, bien que la hauteur, à peu près 1400 mètres, au-dessus du niveau de la mer, et le sol rocailleux leur conviennent à merveille. Les beaux conifères sur le versant donnant dans la Békaa seraient trop à portée de la main des envahisseurs assyriens et de ceux qui vinrent après en vagues consécutives, pour qu'il pût en rester un seul, au cas où il y en avait eu dans l'antiquité.

Mais jetons un coup d'œil du côté du versant occidental.

Yamouneh se trouve à peu de distance du *Col des Cèdres*. Ce nom serait déjà intéressant, s'il n'était qu'une réminiscence des temps révolus, mais il y a mieux que ça. Il suffit de traverser le col et dévaler quelque peu de l'autre côté de la crête pour se trouver *en pleine forêt des cèdres*, que nous avons déjà mentionnée (alt. 1850 m.). Ainsi, au rapprochement que nous—et avant nous les habitants de la région—avons fait entre Yamouneh et Afka, il n'y a qu'à ajouter la fameuse Forêt des Cèdre (pl. VIII, fig. 9–10), qui existe de nos jours, pour obtenit le dernier chaînon du parallèle phénicien à la "Vallée du Cèdre" avec son "château" et son fougueux "torrent", *pꜣ ym*, du conte égyptien.

Quant à la Forêt des Cèdres, le torrent est bien là pour nous aider à la raccorder aux sites de Yamouneh et d'Afka. On le découvre sur la gauche en descendant la chaussée, au bout d'un sentier latéral. Depuis deux dizaines d'années c'est là un nouveau attrait pour les touristes. Grâce à l'intrépide curiosité du R.P. Djadja, prêtre maronite, il a été établi que la source au-dessous de la Forêt des Cèdres parcourt dans les profondeurs de la montagne une suite de grottes ornées d'éblouissantes stalactites et stalagmites (pl. IX, fig. 11–12). Bien que de dimensions moyennes, elles charment par la pureté et la beauté de leur parure cristalline. Ces magnifiques salles, munies d'un éclairage électrique discret, ajoutaient une nouvelle touche de merveilleux à l'ensemble que nous étions en train de reconstituer.

mutilation semblable (1). On commençait par le pratiquer à Afka et on se rendait ensuite en pèlerinage à Yamouneh pour se purifier dans le lac sacré et y consulter l'oracle.

Et voici encore un nouveau détail qui évoque en notre mémoire un important épisode du séjour de Bata dans la Vallée du Cèdre. Nous parlons de la boucle de cheveux de sa compagne divine jetée dans le torrent *pꜣ ym*.

Cette boucle, de même que toute la chevelure de la Fille Solaire, ne devait-elle pas être d'or ou de pierre précieuse, comme c'était le cas pour son père Râ dont les os étaient en argent, les chairs en or et les cheveux en vrai lapis-lazuli ? (2) Eh bien, c'est d'objets en or et en pierres précieuses jetés dans le gouffre d'El Yamouneh, que nous entendons parler quand il est question des oracles qui y étaient délivrés. Ceux-là étaient considérés comme favorables si les présents tombaient au fond de l'eau. S'ils surnageaient, cela signifiait *la mort ou la ruine*. Tel était, par exemple, le cas du don de Zénobie, reine de Palmyre, à la veille de sa défaite par l'empereur romain Aurélien.

La boucle de cheveux de la Fille de Râ, qui ne se noya pas mais surnagea, n'était-elle pas, à son tour, un présage de la mort de Bata ?

Ainsi, à chaque moment de notre enquête à Yamouneh et à Afka, nos regards se trouvaient tournés vers le conte du *Papyrus d'Orbiney*.

La seule chose qui manque en définitive pour que le parallélisme soit parfait, c'est que dans le conte égyptien, les choses se passent parmi les cèdres, tandis que tant à Yamouneh qu'à Afka il n'y en a guère. Ce manque ne nous paraît pas d'importance.

(1) Voir notre "Appendice I", aux pages 106-108.

(2) *Légende de la destruction des hommes.* Tel était Râ à l'époque de sa sénilité. Quand il était jeune, il ne pouvait y être autrement. Nous voulons dire que son corps ne devait pas être fait de chair vulgaire, mais de matières précieuses.

flot) et à la présence ici et là d'un temple dédié à la même paire d'amants divins. Ce dernier détail mérite qu'on s'y arrête davantage.

Il s'agit du culte, le même des deux côtés du massif libanais, qui constitue le troisième et le plus important trait d'union entre Afka et Yamouneh. En en parlant, on ne peut ne pas relever *l'attrait de la mort*, l'irrésistible désir de souffrir et de se détruire qui est le propre des héros de nos contes, que ce soit Bata, la Fille-Citron ou autre. Partout le héros, bien qu'il se fût prémuni d'une manière ingénieuse contre la mort, dévoile lui-même son secret à sa perfide compagne, laquelle— il devait le savoir grâce à son don de clairvoyance—ne devait pas tarder à le trahir.

Cette tendance de s'immoler est à la base du culte d'Adonis, doublé de celui de Tammuz. " Le culte d'Adonis, nous dit Renan, fut la sanctification et l'idéalisation de la mort, tout un cycle d'idées fondées sur les mystères d'une autre vie en rapport avec les croyances égyptiennes sur Osiris et Agathodémon. C'est dans les environs de Gebeil (Byblos) que nous trouvons le plus de lumière sur la nature du culte d'Adonis ". Ce dernier, dit-il plus loin : " correspondait à un ordre d'idées et de sensations fort en harmonie avec le Liban. Le charme infini de la nature y conduit sans cesse à la pensée de la mort, conçue non comme cruelle, mais comme une sorte d'attrait dangereux " [1]. .

Les deux localités-sœurs, Afka et Yamouneh, de la région gyblite, convenaient donc à merveille, à cet égard aussi, à un héros du type de Bata. Mais nous pouvons resserrer davantage les liens entre Afka et Yamouneh, comme ne formant pratiquement qu'un seul et même domaine, en parlant des *pratiques du culte.*

Afka et Yamouneh étaient deux stations du même culte naturaliste et sensuel en l'honneur d'Adonis-Tammuz et d'Astarté (à comparer l'amour passionné de Bata pour la Fille du dieu-soleil, précédé de la terrible mutilation, qu'il s'était infligée lui-même, avec l'amour en tout point pareil de Combabus pour la reine Astarta-niku (Stratonice), lequel, à son tour, fait suite à une

---

[1] E. Renan, *Mission*, p. 215-216.

dans le lac en produisant un fort remous, dans le voisinage du قَصْر "château" ([1]).

Ne serait-il pas indiqué, vu ce qui a été dit, de chercher ici un parallèle au *p ỉ ym* du conte des "Deux Frères", plutôt que dans le *p ỉ ym* de Ras Shamra? Ceci ne nous éloignerait pas de la Phénicie, mais situerait les aventures de Bata dans un décor qui, à tous les égards, nous rappelle le paysage tel qu'il se présente à notre imagination en lisant le conte du *Papyrus d'Orbiney*.

Nous venons de parler du bassin *desséché*. C'est que ce n'est pas seulement le torrent qui est intermittent, mais aussi le lac, long d'un kilomètre et large de 500 à 700 m. Ceci ne fait certes qu'amplifier le phénomène, déjà frappant en lui-même, de la source bouillonnante à l'époque de l'équinoxe et tarissant quelques mois après. A son tour, la "petite mer" disparaît mystérieusement, engloutie, sans que cela se voit de surface, par un grand pertuis, nommé *Balaou*, ou "Gouffre", se trouvant vers le côté nord du lac, lequel dirige ses eaux, comme les habitants des deux versants du Mont Liban le croient fermement, par un long tunnel naturel, vers la grotte d'Afka (v. pl. X).

Ainsi, avons-nous dit, dans l'imagination populaire de nos jours et, très probablement des temps anciens, le *p ỉ ym* du versant oriental de la chaîne libanaise se trouvait complété par le torrent, encore plus puissant et combien pittoresque, du site occidental d'Afka. Ici et là il y avait en plus un temple renommé, dédié au même couple d'amants divins, Ishtar-Adonis, qui se prêtait de justesse à être transformé par le conteur égyptien en un château, abritant les amours de Bata et de la Fille Solaire.

Nous avons relevé plus haut deux contacts entre Afka et Yamouneh, le premier *d'ordre topographique* et le deuxième ayant trait aux *similitudes géographiques* (mur rocheux, caverne,

---

([1]) L'impression qu'on a devant soi une mer se dégage même du relief des rives du lac "inclinées *comme une plage de la mer*" (G. Blanche, *op. cit.*, p. 6).

tout indiqué à l'apparition soudaine du *p3 ym* roulant ses eaux fougueuses à la poursuite de la Fille de Râ, l'Astarté égyptienne, qui s'empresse de se réfugier dans le château où elle habitait en compagnie de Bata, sosie d'Osiris et d'Adonis ? "Astarté fuyant Typhon...", n'avons-nous pas lu cette phrase dans le "Guide Bleu ?"

Il y a aussi un fait linguistique qui apporte un témoignage dans le même sens. Le site porte le nom de *Yamouneh* qu'il doit au lac et au torrent qui l'alimente. C'est un dérivé du mot יָם *yâm* (1) (cf. arab. ﻳﻢ, assyr. *iâmu* ou *āmu*) signifiant "petite *mer*". Le mot hébreu désigne, une "mer *salée*"—Mer Rouge, Mer Morte ou la Méditerranée, celle-ci dite en assyrien *tiamtu rabitu ša šalmu šamši* "la grande mer (du côté) du coucher du soleil". *Mais*, en même temps, יָם désigne un puissant fleuve, le Nil ou l'Euphrate, et un lac d'eau douce (la Mer de Galilée). Le mot יָם *yâm* signifie enfin *un torrent*, au sens propre ou au figuré (2).

A part la preuve linguistique, nous avons recueilli un témoignage d'une source très humble, mais qui n'était pas à dédaigner, étant donné qu'il était fait d'une manière spotanée par un témoin oculaire sur le bord même du lac. C'est le chauffeur, qui au moment où nous longions la rive stoppa l'auto et dit (en français) en tendant la main vers le bassin desséché :

"Maintenant c'est comme ça ! Mais vous auriez dû le voir pendant la Fête (*sc.* la Fête des Quarante Martyrs). Alors c'est *comme une mer* !"

Il parlait très probablement de l'endroit où le torrent se jette

---

(1) Zosime et d'autres plus tard (Maundrell, Pococke) ont fait remonter le nom d'El Yamouneh à la λίμνη. Renan, qui donne une description du lac et de la source, commença par partager cette opinion, mais ensuite il changea d'avis. "Si Afka, dit-il (*Mission*, p. 307), est l'ancienne Aphaca (et il n'y a là pour lui aucun doute), le lac Yammouni n'est donc pas la λίμνη de Zosime".

(2) W. Gesenius, *Hebrew and English Dictionary of the Old Testament*, 1929, p. 410–411.

Tout le monde est d'accord sur la date du commencement et de la fin de ce remarquable phénomène. Ainsi nous lisons chez un auteur anglais :

> On the 9th day of ʿAdar (March), the Feast of the Forty Martyrs, the spring begins to flow, and continues to do so till the last day of Tammuz (July), when it ceases. All the natives agree in saying that it keeps to these dates within a day or perhaps two ([1]).

De là son nom *Nahr el Arbaïn* "Source des Quarante".

Nous devons à l'extrême obligeance de M. Paul Bobrovsky, de Beyrouth, qui nous avait accompagné à Afka l'année précédente, les magnifiques photos reproduites ici pour la première fois. C'est, répondant à notre demande et à son intérêt personnel pour le problème de la localisation de la résidence de Bata, qu'il s'est rendu à Yamouneh le 27 mars 1937, peu après la soudaien apparition annuelle de la "colossale gerbe d'eau" dont parle Blanche. Ces photos, prises plusieurs fois de suite, pour obtenir le meilleur résultat, et, dans un cas, au péril de sa vie ([2]), confirment on ne peut mieux la description de l'ancien consul de France.

La colossale gerbe d'eau, laquelle telle un geyser remonte avec fracas du fond de la grotte et retombe ensuite en torrent fougueux vers le temple du couple divin, Astarté-Adonis, la soudaineté et la force de cette éruption qui plus tard s'arrête d'une manière aussi subite, c'est là les traits caractéristiques de l'endroit ([3]). Ils devaient frapper l'imagination des anciens, comme ils le font de nos jours. Et n'est-ce pas là un parallèle

---

([1]) R. F. Burton, *Unexplored Syria*, v. II, p. 137.

([2]) Pour pouvoir photographier l'eau bouillonnante au fond de la "gueule de four", M. Bobrovsky n'a pas hésité, malgré son grand âge, à se pencher au-dessus du gouffre tourbillonnant, l'appareil en mains, avec trois Metualis qui le retenaient par derrière.

([3]) La force avec laquelle l'eau remonte du fond de la caverne verticale est déjà un fait remarquable. M. Alouf, Conservateur des ruines de Baʿalbek, nous a assuré que si l'on y jette une pierre, grosse comme une tête d'homme, elle se trouve rejetée par la pression de l'eau.

occidentale, nous voulons dire, à Afka. C'est que le courant ne se déverse pas de la montagne pendant toute l'année. Il est intermittant. Il n'y a de l'eau que pendant quatre mois. A Afka c'est pareil, tant qu'il s'agit des grandes eaux. Mais là l'écoulement, bien que fortement réduit, ne cesse pas complétement. A Yamouneh, le flot s'arrête net et pendant huit mois la gorge rocheuse reste vide. A la voir, comme nous l'avons fait en automne, on aurait de la peine à se la représenter à l'état d'ébullition printannière (pl. VII, fig. 8).

Et voici pour en finir le trait le plus curieux du courant de Yamouneh. Ce trait, c'est *la soudaineté de son apparition* des entrailles de la montagne et en ne se faisant annoncer qu'au tout dernier moment par un fort bruit et un tremblement souterrain formidable. Le torrent surgit *ex abrupto*, comme *pꜣ ym* dans le conte égyptien et avec un élan fougueux se précipite par un ravin dessséché vers le château-temple des amants divins. On l'appelle, encore de nos jours, قَصْر "château" ou قَلْعَة "château-fort".

Voyons comment les choses se passent.

Nous empruntons la description suivante à l'article d'un ancien consul de France à Tripoli :

Chaque année, au printemps, à jour fixe, il s'échappe du fond de la grotte une colossale gerbe d'eau qui remonte avec force la partie intérieure du torrent [1], de telle sorte que là, sur cette rampe de 15 à 20 mètres de longueur, les cailloux sont roulés de bas en haut, et l'eau arrivée à la crète de séparation des deux pentes, se précipite dans le grand bassin par la ravine desséchée.

Et telle est l'abondance des eaux qui s'échappent de cette gueule de four, qu'en très peu de jours, le bassin de Yamouny est transformé en un grand lac, et le temple d'Adonis devient comme un îlot isolé dans ce lac à une petite distance de la rive.

D'après les habitants Maronites et Metualis, cette éruption a toujours lieu le jour de la fête des Quarante Martyrs chez les Grecs, c'est-à-dire, le 9 mars qui correspond au 21 (actuellement, 22) de notre calendrier [2].

[1] *Cf.* L. Lortet, *La Syrie d'Aujourd'hui*, p. 628.

[2] G. Blanche, *Les eaux d'Adonis au Mont Liban* p. 7.

deux il n'y ait aucun rapport, direct ou indirect, il en reste, tout de même, la ferme croyance populaire qui seule compte pour nous en ce moment.

Il en résulte qu'en nous rendant à Yamouneh de Ba'albek pour y reprendre l'enquête commencée à Afka nous restions sur le même terrain folklorique. Nous ne faisions que jeter un coup d'œil sur le revers, nous faillîmes dire, de la médaille. Le revers était bien là, mais à la place de la médaille, c'était la crête libanaise. Comme nous l'avons dit, Afka et Yamouneh sont adossées au même massif, presque en regard et distantes l'une de l'autre de douze kilomètres environ.

La symétrie n'est pas seulement d'ordre topographique. Elle se complète par maints autres traits. *Grosso modo* on pourrait dire que Yamouneh est une replique d'Afka, placée sur le versant orienté vers la Vallée de la Bekaa, séparant le Liban de l'Antiliban. Nous y trouvons, en effet, un mur rocheux, une caverne d'où sort un impétueux torrent (pl. III-IV, fig. 3-4) et un temple, lui aussi consacré au couple Aphrodite-Adonis, tout près duquel les eaux mènent leur course folle (pl. V, fig. 5). Il y a une certaine différence de proportions. A Yamouneh, tout est à une échelle quelque peu réduite, exception faite pour le temple, de l'époque romaine (qui a pu remplacer un sanctuaire plus ancien), dont il reste actuellement non seulement le soubassement, mais aussi les murs, d'apparence cyclopéenne et s'élevant à une hauteur imposante (pl. VI, fig. 6). On a trouvé non loin de là une belle statue d'adolescent nu (Adonis ?), portant un agneau (en tant que protecteur des bergers) et un épis de blé (ou rameau ?) [1] (pl. VII, fig. 7).

Pour compenser les dimensions, moins grandes qu'à Afka, il y a, cependant, à Yamouneh un détail des plus intéressants, beaucoup plus accentué qu'il ne l'est dans la localité-sœur

[1] *Cf.* VIROLLEAUD, *Syria*, vol. XV (1934), p. 113 et pl. XXVII ; H. SEYRIG, *ibid.*, vol. XVIII (1937), p. 205, n. 3.

Il était donc tout indiqué de faire des recherches complémentaires. Comme nous l'avons déjà dit, c'était un autre site merveilleux, du nom de Yamouneh [1], où nous nous sommes rendu de Ba'albek le 27 août 1936, cette fois-ci, très confortablement en auto et, comme tout bon touriste qui s'estime, un guide en main, où nous venions de lire " On trouve dans la mythologie phénicienne des allusions au lac Yammouné ; Astarté fuyant Typhon s'y serait métamorphosée en poisson " [2]. Ceci nous posait d'emblée un problème : celui de trouver un rapport entre un poisson et une boucle de cheveux ! Nous avouons qu'il nous a pris fort peu de temps. Une fois arrivé sur place, nous avons préféré, comme toujours, ne nous baser que sur des données que nous pûmes recueillir nous-même. Et il y avait bien des choses à voir et à apprendre à El Yamouneh !

La localité en question se trouve au pied de Djebel El-Mounaytré (2500 m.), de l'autre côté de la chaîne libanaise, et une tradition populaire très persistante, bien que dénuée de fondement, veut voir dans les eaux d'Afka le déversoir du lac d'El-Yamouneh [3]. Tant que nous avons affaire au folklore, l'erreur concernant le régime des eaux locales, ne peut aucunement nous importuner. Que les eaux de Yamouneh soient les mêmes que celles d'Afka, que les deux, comme certains (parmi eux, Renan) l'ont suggéré, aient une source commune, ou qu'entre les

---

[1] Voici comment le décrit un grand connaisseur du Liban : " Le premier point remarquable qu'on rencontre à la descente du Liban est le lac El-Yammouni... Là dans une petite île artificielle, ou plutôt sur une substructure carrée en belles pierres, élevée sur le bord du lac, au milieu de sources dont les eaux vives l'entourent de toutes parts, paraissent les ruines... d'un seul (?) temple ". (E. RENAN, *Mission*, p. 305-306).

[2] *Les Guides Bleus*, *Syrie-Palestine*, 1932, p. 114 [8].

[3] Il est curieux que le grand géographe, ELISÉ RECLUS partageait cette erreur (" phénomène analogue à celui de la Garonne occidentale que forment les neiges de la Maladetta et qui s'engouffre dans le " Trou du Taureau ", pour surgir en gros bouillons à quelques kilomètres au nord et à 600 mètres plus bas au " Goueil de Djoueou ". *Géographie universelle*, vol. IX. p. 722).

fatigue disparut comme par enchantement et nous pûmes à loisir faire la reconstitution du domaine de Bata en ce site merveilleux où jadis la légende avait localisé les amours d'Adonis et de la Vénus-Aphrodite phénicienne.

Le torrent, sortant précipitamment de la montagne abrupte et tombant en une suite de cascades bruyantes, tout près des assises du temple encore visibles, cela ne pouvait, certes, ne pas évoquer dans notre mémoire le torrent, *pꜣ ym*, roulant tout près du château de Bata ses eaux fougueuses. Les cèdres ? A l'époque où nous étions à Afka, il n'y en avait pas un seul. Mais anciennement il en était, peut-être, autrement. Ou, tout au moins, il y avait eu des forêts entières dans les parages peu éloignés. Et l'on sait avec quelle facilité les conteurs rapprochent les lieux même distants !

Ainsi, tant qu'il s'agit d'Afka, nous avons, en somme, les éléments suivants en commun avec le conte égyptien :

1. région réputée pour ses cèdres,

2. torrent sortant de la montagne et tombant en cascades près d'une ancienne bâtisse,

3. temple de la déesse de l'amour dont les assises subsistent jusqu'à nos ours,

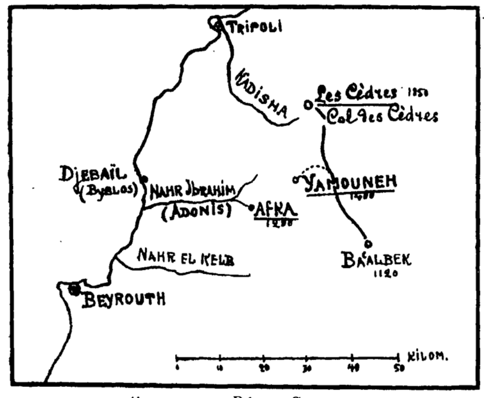
4. réminiscences des amours d'Astarté et d'Adonis—les deux pouvant être mis en regard de Bata et de la Fille de Râ—localisés dans les même parages,

5. site connu en Égypte, de même que devait l'être la Vallée du Cèdre où s'en alla Bata.

En revenant par la route de la montagne, parsemée de superbes genévriers géants (*Juniperus excelsa*) et embaumée du parfum des plantes alpines, nous en avons tiré la leçon suivante :

Afka est un endroit qui pouvait avoir attiré vers lui Bata, dégoûté par les propos licencieux de la femme de son frère aîné, sans qu'il y ait une preuve absolument sûre que cette localité, à elle seule, fût dans l'esprit de l'auteur du conte des "Deux Frères".

Ensuite nous nous rendîmes à Kartaba et de là, en quittant l'auto, nous nous mîmes en route à pied, quatre heures à l'aller et autant au retour, en compagnie d'une épouse courageuse, d'un fils très jeune et plein d'entrain, et d'un ami dévoué dont nous aurons l'occasion de reparler plus loin. Nous remontâmes le cours de *Nahr Ibrahim*, le fleuve *Adonis* des anciens, et nous finîmes par arriver à bout de souffle au pied d'une immense caverne d'où sort le fleuve (Plaches I–II ; fig. 1–2). Devant le grandiose amphithéâtre, d'une beauté incomparable [1], notre



CARTE DE LA RÉGION GYBLITE
Afka — Yamouneh — Les Cèdres

---

(1) *Cf.* ELISÉ RECLUS, *Geographie universelle*, vol. IX, p. 724 : " La Vaucluse du Liban est un des sites grandioses de la Syrie " et E. RENAN, *Mission*, p. 296 : " Afka est un des cites les plus beaux du monde ... La fraîcheur de l'eau, la douceur de l'air, la beauté de la végétation ont quelque chose de délicieux. L'enivrante et bizarre nature qui se déploie à ces hauteurs explique que l'homme, dans ce monde fantastique, ait donné cours à tous ses rêves ".

est, à son tour, un dieu de la mer et nécessairement faisant partie du panthéon phénicien. Lefebvre insiste sur la nature violente et insatiable du dieu phénicien [1], qui veut avoir à lui seul la déesse et les biens des dieux d'Égypte. Dans le cas contraire, il menace de submerger le pays jusqu'aux sommets des montagnes. C'est tout autre chose tant qu'il s'agit du *pꜣ ym* dans le conte des "Deux Frères". Là *pꜣ ym* ne fait aucunement montre de violence. Il ne fait qu'à demander au Cèdre de lui procurer une boucle des cheveux de la fille divine et encore ne garde-t-il pas pour lui-même, mais la porte en Égypte, pour faire connaître au pharaon l'endroit où se trouve la Fille Solaire. Il nous semble donc qu'il n'y a rien de commun entre le *pꜣ ym*, du conte égyptien, et celui de l'histoire d'Astarté et des légendes de Ras Shamra.

Nous sommes toutefois d'accord avec Lefebvre en ce qui concerne la localisation en Phénicie de la partie médiane du conte. Nous le croyons de longue date. Et c'est pour cette raison que lors de plusieurs visites au Liban nous nous sommes donné pour tâche de retrouver l'endroit qui se prêterait le mieux à la localisation du château de Bata où il filait un parfait amour avec la Fille du Dieu-Soleil et fut plus tard trahi par elle.

LOCALISATION AU LIBAN DU DOMAINE DE BATA

Ayant parcouru le Liban en long et en large, nous avons, en définitive, porté notre choix sur deux localités, *Afka* et *Yamouneh*.

Venant de Beyrouth, nous nous sommes arrêté près de l'embouchure de *Nahr el Kelb* pour nous récueillir devant les stèles des pharaons, côte à côte avec celles des rois assyriens (voir *Frontispice*). Ainsi, au début même de notre expédition, nous eûmes une vision de ce syncrétisme qui nous attendait à son terminus, à savoir la Venus locale (ci-devant Ishtar assyrienne) associée à Adonis, *versus* la Fille du Dieu-Soleil égyptien, amante de Bata-Osiris.

[1] *Ibid.*, p. 107.

Nous passons à l'autre mot, *pꜣ ym*.

Encore ici il s'agit non pas d'une fausse interprétation—le traducteur, en grammairien avisé qu'il est, pouvait-il en commettre une—mais bien, comme dans le cas précédent, d'un choix qui ne nous paraît pas heureux. Le mot *pꜣ ym* signifie, certes "la mer". Il n'y a qu'à ouvrir le dictionnaire pour en être instruit. Mais, de l'autre côté, de même que le mot arabe *baḥr* (بحر), il peut désigner tant la mer salée que la mer douce, une eau quelconque, plus ou moins étendue, lac, fleuve ou courant (v. *infra*, p. 78).

Laquelle des deux significations est préférable dans le cas présent ? Lefebvre choisit la mer salée, et même plus que ça. Il tient *pꜣ ym* pour le *Dieu de la Mer* et cela d'une manière précise. Pour lui il n'y a pas de doute que nous soyons en présence de la même divinité, violente et insatiable, qui figure dans les textes de Ras Shamra-Ougarit. Il y aurait là pour lui une indication de plus du contact culturel entre l'Égypte et la Syrie du Nord, une indication d'autant plus utile qu'il rapproche Bata d'Osiris qui, lui aussi, avait séjourné dans la région gyblite.

Mais Lefebvre, nous donne-t-il une preuve que *pꜣ ym* du conte des "Deux Frères" désigne vraiment le dieu de la mer syrienne qui figure dans la légende égyptienne d'Astarté, à laquelle il se réfère, en même temps qu'aux légendes de Ras Shamra ? Il n'en donne aucune. Il veut nous imposer son point de vue par le simple fait de sa traduction et par le renvoi à une annotation, aussi peu probante, que voici :

> Litt. "la Mer" *pꜣ ym*, personnifiée ou, plus exactement, représentée comme un dieu analogue au *Yam* phénicien ... Ici, c'est sur son domaine propre, la côte de Phénicie, que le Dieu de la Mer exerce sa violence et moleste une fille des dieux d'Égypte." (1)

Une simple référence au dieu phénicien de la mer et au *pꜣ ym* de la "Légende d'Astarté" ne peut pas, évidemment, être tenue pour une preuve que *pꜣ ym* du conte des "Deux Frères"

---

(1) *Op. cit.*, p. 150, n. 47.

INTERPRÉTATION DES MOTS P3 'Š ET *P3 YM*

M. Lefebvre traduit *p3 'š* par le "pin parasol". Le mot désigne plusieurs conifères, parmi lesquels se trouve, sûrement, le cèdre et peut-être le pin, pour ne parler que de ces deux espèces. Nous ne nous expliquons pas, au juste, la raison pour laquelle le traducteur a préféré le deuxième au premier, qui, lui, semblait être, depuis quelque temps, définitivement agréé. Actuellement, le pin parasol est l'arbre-type du paysage libanais, déboisé qu'il le fut à maintes reprises et, en définitive, pendant la première guerre mondiale. Mais était-ce ainsi à l'époque des Ramsès ? Alors ce n'était pas le sapin, le pin ou autre représentant de la famille des conifères qui venait à l'esprit quand on parlait du Liban—et c'est là que Lefebvre situe le château de Bata—mais la gloire du Liban, restée encore comme telle de nos jours en qualité d'emblème national. Je veux dire, le *Cedrus Libani*.

Il serait donc étrange que le conteur de l'époque de Ramsès eût choisi le pin parasol de préférence à l'arbre sacro-saint s'imposant au respect et à la vénération de tout le monde par sa majestueuse stature et par sa renommée de braver les siècles. Ne nous a-t-on pas montré dans la Forêt des Cèdres, la seule qui ait survécu, au haut de la Vallée de la *Kadisha*, des arbres, soi-disant millénaires, datant de l'époque pharaonique, ou, ce qui revient au même, "du temps de Salomon" ? Son bois—et les Égyptiens en faisaient une grande consommation—est sensé indestructible ou, tout au moins, très durable [1]. Ce serait donc un conifère tout désigné pour servir de support au symbole de l'immortalité, lequel est en cette occurence le cœur du héros.

[1] *Cf.* par exemple, ce témoignage : "In the palace of Versailles there is a richly carved gateway, above which is inscribed : " L'Hôpital des Chevaliers de St. Jean de Jérusalem dans l'Isle de Rodes ". It is made of cedar of Lebanon, and despite its indubitable antiquity, is in a state of perfect preservation" (A. HOWARD, *Timbers of the World*, London, 1934, p. 114).

les trésors de sa pensée et de son art, en échange des leurs. Les contes étaient du nombre. Celui des "Deux Frères" ne faisait pas exception à la règle. C'est pourquoi l'on retrouve ailleurs des œuvres folkloriques qui lui ressemblent, parfois de très près, et cela tant dans l'antiquité que de nos jours.

Le fond sera partout le même. Il s'agira d'un héros d'humble extraction, d'un rustre, vivant au milieu d'animaux, loin des hommes civilisés. Il a plus tard affaire à la fille du dieu-soleil ou du dieu du ciel, et est trahi par elle. Trois fois il est trahi, trois fois il est mis à mort. Mais, immanquablement, il résuscite et finit par devenir roi et châtier la fille, perfide malgré qu'elle soit de souche divine.

M. Lefebvre a bien reconnu ce rayonnement du conte nilotique et promet de nous parler, dans un avenir peu éloigné, d'une version, rappelant de près la deuxième partie du conte des "Deux Frères".

Il s'agit, comme il le dit, de la "bylina" (autrement dit, *starina*), ayant pour titre "*Ivan, fils du sacristin*".

Dans l'attente de cette publication, nous croyons opportun de signaler que ce ne serait là l'unique version-sœur des "Deux Frères" qui nous soit connue. Comme preuve, nous allons citer deux œuvres folkloriques de notre temps et deux autres, d'une époque ancienne, l'une d'elles de beaucoup plus ancienne, même en comparaison avec le temps des épigones de Ramsès II, auquel appartient le *Papyrus d'Orbiney*.

Mais avant de les aborder, nous croyons devoir faire, dès maintenant, quelques remarques à propos de la nouvelle traduction, pour ne pas interrompre plus tard notre exposé.

D'ailleurs les points, sur lesquels nous ne sommes pas d'accord avec Lefebvre, ne sont ni nombreux ni en eux-mêmes importants, surtout pour le lecteur ordinaire. Ils n'acquièrent de l'importance qu'en rapport avec le contexte et avec l'endroit où nous croyons devoir situer les péripéties tragiques du héros.

LE CONTE EGYPTIEN DES DEUX FRERES ET QUELQUES HISTOIRES APPARENTEES

La Fille-Citron — La Fille du Marchand Gilgamish — Combabus

LOCALISATION DU DOMAINE DE BATA À

Afka — Yamouneh — Les Cèdres

AVANT-PROPOS

Il vient de paraître une nouvelle traduction des contes égyptiens, faite avec cette érudition méticuleuse qui est le propre de M. Gustave Lefebvre, Membre de l'Institut [1]. Elle a beaucoup de mérites, surtout dans sa partie bibliographique. Chaque histoire est précédée d'une énumération de tout ce qui a été fait sur son compte, à partir de la découverte et la publication du texte et jusqu'aux diverses traductions qu'on en a faites et les études et commentaires dont il était l'objet.

Parmi les contes, compris dans la nouvelle édition, il y a un qui se distingue par le naturel de sa présentation et les états psychiques dont il est l'une des plus anciennes illustrations. C'est le célèbre conte des " Deux Frères ". Cette histoire, connue d'après un seul manuscrit (*Papyrus d'Orbiney*), s'impose à notre attention, non seulement comme une œuvre hors pair du génie de l'Égypte ancienne, vieille de quelque trois mille ans, mais encore par le fait de ne pas être restée en usage uniquement chez les anciens habitants de la Vallée du Nil.

Tout comme de nos jours, le pays vivait alors en étroite collaboration culturelle avec ses voisins, auxquels il transmettait

(1) G. LEFEBVRE, *Romans et contes égyptiens de l'époque pharaonique*, Paris, 1949.

A L'OCCASION DU VINGT-CINQUIÈME
ANNIVERSAIRE ACADÉMIQUE

DEDICACE

Cet ouvrage, qui illustre par ses parallèles folkloriques les liens culturels unissant l'Égypte au Lévant et aux pays du Nord, est dédié

Aux Collègues Égyptiens et Européens

avec lesquels l'Auteur a eu le plaisir de travailler, depuis le 10 décembre 1924 et jusqu'à cette date, à Mounira, Zaafaran et Guizeh, aussi bien que

A la jeune Equipe Égyptologique
de la Vallée du Nil

à la formation de laquelle il a contribué.

Parmi les noms, qu'il serait trop long d'énumérer ici, l'Auteur relève celui du grand Égyptologue disparu, qui par son érudition, ses conseils et son admirable exemple, plein de ferveur et de sentiment du devoir, a tracé à ses élèves le chemin à suivre. Ce nom est celui de

Wladimir Golénischeff

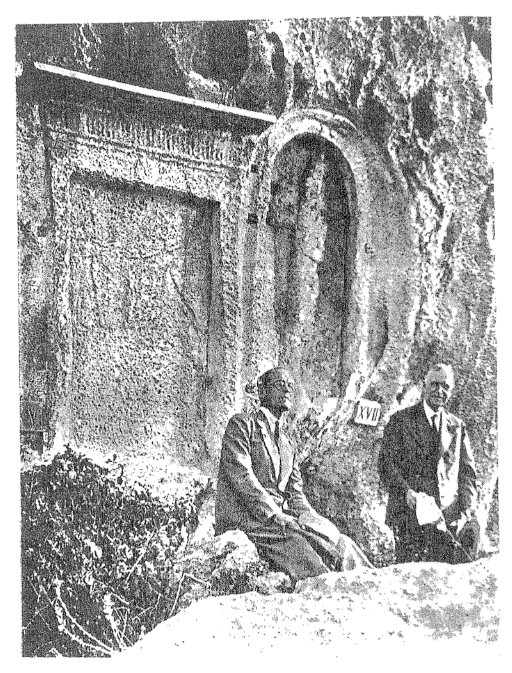
Qu'il ne soit jamais oublié en Égypte, laquelle, après son pays d'origine, il aimait le plus !

La pensée émue de l'Auteur va, enfin, à la mémoire de cet excellent homme, qui l'a aidé dans ses recherches au Liban, le voyageur infatigable et collectionneur passionné des antiquités égyptiennes et syro-égyptiennes

Paul Bobrovsky

Le Caire — Zamalek
10 décembre 1949

Frontispice



EN ROUTE POUR AFKA

L'Auteur (assis) et M. Paul Bobrovsky (debout) au pied des stèles de Ramsès II et d'Asarhaddon près de l'embouchure de *Nahr el Kelb* (Fleuve du Chien).

Photo de l'Auteur

LE CONTE EGYPTIEN DES DEUX FRERES ET QUELQUES HISTOIRES APPARENTEES

La Fille-Citron — La Fille du Marchand Gilgamish — Combabus

Localisation du domaine de Bata à

Afka — Yamouneh — Les Cèdres

PAR

VLADIMIR VIKENTIEV

of Socrates who in the splendour of his dying represents immortality. The "Republic" had appeared already with its first book which we call "Thrasymachus". It is now enlarged to the greatest breadth, to a conversation between Socrates and Plato's brothers Glaucon and Adimantus, of epic dimensions and none the less incessant highest spiritual tension. Socrates develops "justice" as the all embracing power which joins man to men, and the human community to the transcendent order of the universe, from the narrow circle of the family through the building of ideal human associations which vitalize eternity in present perfection up to the mythical vision of Necessity in the cosmic Beyond. We have interpreted the first words κατέβην χθὲς εἰς Πειραιᾶ, "I went down yesterday to the Piraeus" etc. The symbol of the harbour, of the glance into the wide world appeared important for the comprehension of the first book.

Now we see the same words used as introduction to the monumental whole, and in this second function they seem to contain a more important sign of Plato's universal wisdom. For every prophet the moment of his leaving the site of his solitary illumination and of his setting out for the message to his fellow creatures means the painful farewell to an undisturbed height and the descent to a doubtful adventure imposed by duty. The way to the sermon is always a way down. We find this symbol in the case of the gospels, of Zarathustra, of Buddha and others. When Plato wishes to communicate his mystical message to men it is done by Socrates telling of his descent.

These three dialogues, in which the rejuvenation of Hellenic beauty by Egyptian transcendentalism is launched for the spiritual humanisation of millennia, should be quoted, as Israel quotes the books of Moses, by their initial words which say more than the conventional titles. In the "δοκῶ μοι", the "αὐτός", and the "κατέβην" the symbolic irony of the promise prepares for fulfilment which far surpasses it.

So he sums up: "The popular saying is right. 'Beauty is a burden.' χαλεπόν τὸ καλόν. It seems to me, I know that!" Δοκῶ μοι, it seems to me, links up with the "Banquet" which begins with these very words.

Plato's revelation cannot be discussed here. The three dialogues which give it are the "*Banquet*", the "*Phaedo*" and the "*Republic*". All the motives of discussion which appeared in the long preparatory series as arguments, doubts, and hints are now brought to their clear and definite destination. They do not together form a philosophical system like any of those which begin with Aristotle. But no more are they direct exhortations to a perfect life like the speeches of Indian sages, but they represent in continuous tension the image of man's rising from illusion, decay, and change towards a life of mystical enlightenment and eternal presence. This life, of course, is meant to appear for men in the midst of the perishable earthly existence, although its secret sources of light stream from an "other", "transcendent" realm of unfathomable value. Socrates, the daemonic body, the living guide in this enhanced reality, emerges in the "Banquet" out of the flood of glittering joys as from the stage of a Dionysiac comedy. So the first words of the dialogue are: Δοκῶ μοι περὶ ὧν πυνθάνεσθε οὐκ ἀμελέτητος εἶναι. "It seems to me, I am not without practice in what you are inquiring about". This is said by Apollodorus, the sentimental disciple of Socrates, to unnamed friends who had evidently asked him to tell them the mythical adventure of Agathon's banquet and of the famous speeches which were given in its course. He says now: a short time ago I told this adventure to someone else, to Glaucon (Plato's brother), so it seems to me, I have had some practice in telling. Through these natural words there shines for us the announcement of a world of "it seems", of love and illusion, out of which, through consistent practice, something unknown will raise its light.

The symbolism of the initial hint in the "Phaedo" has been discussed. Αὐτός, "he himself", is put as pointing to the self

great demonstration. But Plato hesitates one moment more. He has examined his own artistic means. Why does he not use it to its full effect? Does he fear to be misunderstood? To appear as an "artist"? Does he want bluntly to reject the suspicion that he is interested in proffering exquisite words, in being applauded as a virtuoso of unparallelled mastery? (He may have had, in fact, some unwelcome public success of this kind). Words, poems, rhetorical achievements have beauty. But his "beauty" is something different. It does not want to be enjoyed, but to be revered. It is not consumed in fleeting sensations, but it is a source of inexhaustible renewal.

So Plato puts, as a last warning, a contrasting figure before the eyes of his reader, in order to show beyond dispute, what he should *not* expect from him. Ἱππίας ὁ καλός τε καὶ σοφός, ὡς διὰ χρόνου ἡμῖν κατῆρας ἐς τὰς Ἀθήνας. "Here is the beautiful and wise Hippias! What a long time, since you landed in Athens!" This salute contains the essence of the whole dialogue, the "*Hippias Major*" in absolute irony. The round about mountebank and representative virtuoso of illusionary nothingness, the sophist Hippias comes once more to the stage, and Socrates entreats him to give his revelation of "beauty". Hippias, with iron consistency, confounds "something beautiful" and "beauty" (καλόν τι and τὸ καλόν) and proposes as real beauty: a lovely girl. Through this Plato warns: do not expect from my work anything you expect from a lovely girl. In order to increase both the irony and the earnestness of his request Socrates does not proffer it on his own account. He prays in the place of an other individual, of an unnamed companion (embodying, of course, his conscience or better self). This troublesome fellow always pushes him on, as he complains to Hippias, not to be lazy and urges him to find the true beauty. Necessarily this talk remains absolutely without result, its failure is its result. Bene navigavi, cum naufragium feci, so could Socrates say, for any aim I could reach with Hippias is a fake.

which language too belongs, was not investigated by him. And he was indifferent to both the half-mystical "nature" and the rational "law". But he uses this problem and this dispute as a symbolic means of making his light shine.

Socrates participates in the argument and goes first, as is to be expected, to the side of Cratylus. With the showers of sparkling wit, which he pours over the hearer, Socrates shows in many groups of words how they could be interpreted as saying something about their essence. But he does not stop at the statement of this essence (or nature) after the view of Heraclitus. He goes on seeking symbolical hints at a transcending reality, at the very truth of being, in the words. The result of this chase through the Greek dictionary is the statement that higher lights do flicker in it with dimness and contradictory confusion only. Consequently, another way of direct relation to the true being must be found which neither the Rationalists nor the Obscurantists could detect. In short sentences Socrates states, for the first time without a shadow of irony, that a mystical vision must be opposed to empirical research. This is an open announcement of the revelation which is to follow. So we see the initial question of the "Cratylus" as another symbol used with irony in order to announce the main tendency of the dialogue. The two "philosophers" agree to bring Socrates into their argument. This makes us feel that Socrates will use the argument for his higher purpose and will point to a reality which is beyond either discussed solution. Whoever does not acknowledge this ironical symbolism must come to the conclusion (very commendable to the European philologist) that Plato himself did not exactly know what to think about language, that he seriously and helplessly wavered between various theories of his time.

He will now use a "word", in front of which the question of natural or conventional origin loses all relevance, as it speaks with overpowering intensity of life which is founded beyond nature and convention. We look forward impatiently to this

Cratylus, a young philosopher and adherent of the doctrines of Heraclitus: Βούλει οὖν καὶ Σωκράτει τῷδε ἀνακοινωσώμεθα τὸν λόγον; "Are you willing now that we should communicate our argument to Socrates too?" This is the only first sentence of all those dialogues, where Socrates is present, which is neither spoken by him nor to him. So the "*Cratylus*" is distinguished from all other works of Plato by the fact that the power of Socrates is not immediately displayed in its thought, but that a philosophical problem, not arising from the mystical plane, is brought into his orbit from outside. Plato is, we must repeat it, no scientific investigator nor systematic philosopher who is eager to solve problems by the logical evaluation of experience. Both experience and logic are for him no more than means of passing into a realm beyond the sensual and intellectual forms. But he is obliged to use words as devices for representing his transcendental tendencies. So he must be interested in this problem: is my device, the word, at all capable of doing this job and of conducting beyond sensual experience and logical necessity to mystical truth? Is the word a medium in which eternal light may shine?

Now there was a philosophical dispute about the origin of language in Plato's time. One party, amongst them the adherents of Heraclitus, declared language to be a formation of nature, of φύσις. They wanted to say that in every word the very nature of what it named was expressed. If someone is named Hermogenes (names and words are the same for this argument), he must be begotten by Hermes. This is a kind of empirical, obscure mysticism. Its adversaries pointed out that language is a convention, the words were formed by tradition or convention or edict—which are all comprised in the notion of νόμος or "law". The words could not say anything about the nature of the things they only designated for the purpose of understanding. This is plain rationalism. It is clear, neither solution could satisfy Plato. The origin of perishable things, to

Junker, about the problem of whether "virtue" can be taught or not. The discussion is different in principle from those with noble Athenian boys and men about the various kinds of virtue, e.g. of interior moderation in the "Charmides". There we saw virtue becoming conscious and efficient in the soul of the disciple as guided by the master.

But Meno is no noble creature. He is of the human type which Plato considers as the most fatal one. With great energy and intelligence, moreover, with an impressive presence, these gentlemen were only interested in power, glory, and enjoyment. Meno is therefore treated with superior irony, virtue cannot be strengthened in his heart nor made conscious in his mind. But Socrates, with the impact of his spiritual intensity, can force him to acknowledge that the traditional methods of teaching virtue do not suffice and that some better way of intuition is necessary. This nobler thought is threatened by the bitter enmity of the self-complacent citizen who in this dialogue challenges Socrates through the person of Anytus, the most insidious of his accusers in the later lawsuit (which is not directly mentioned here). Meno, the irresponsible egoist, is asked, at the end, with black irony, to appease the wrath of Anytus against Socrates. But the attentive reader is dismissed with the deep impression that Socrates is endowed with a mystical knowledge, through which a new kind of mastering life, of ἀρετή, is possible. It can be taught, that is, stirred up in impressionable souls. This half-revealed mystery is hinted at in the initial question of the dialogue. Ἔχεις μοι εἰπεῖν, ὦ Σώκρατες, ἆρα διδακτὸν ἡ ἀρετή; "Are you able to tell me, Socrates, whether virtue is teachable?" For the conventional gentleman this means only: Can the art of enjoying life be taught? But in this trivial problem the shimmer of the other world can be captured by anyone who "remembers" it.

The next dialogue, the "Cratylus" begins with a very different question. Hermogenes, a friend of Socrates', asks

absoluteness of the visionary to be free of moral, political, or schoolmasterly pedantry. Coming from the depth of mystery he was able to make a gracious game of his adjustment to necessity. It is not Socrates who is supposed to be the author of this oration, but Aspasia. As a woman of superior wit and cleverness it suits her well to represent the charm of self-adaptation. Socrates only reproduces the speech to his young friend Menexenus, who in the "Lysis" had played, after its hero, the descendant of Zeus, the part of the second winner. The whole thing *is* an affair of public superficiality. So Socrates asks in the first sentence: Ἐξ ἀγορᾶς ἢ πόθεν, Μενέξενε; "You've come from the market, I suppose, Menexenus?". This ironical warning given by Plato against his own fun needs no commentary.

With this charming gesture, which, for once, is female, the group of bellicose dialogues comes to an end. We approach the group of revelation. This is not displayed immediately. The three dialogues of uncovered light are preceded by three others of cautious preparation for the light. The first of these opens for the first time the view of mystical being as it had been represented by Socrates through mere living and is now caught by Plato in words. We saw, it is true, at the end of the "Gorgias" the opening of the cosmic hell. But its gruesome negativism is only a mystical warning. With infinite caution Plato is now prepared to do more than warning. He points to the unity of man and the cosmos which is the very basis of eternal life in reality. Socrates teaches us come l'uom s'eterna. Man "remembers" his great thoughts. His bringing of eternal values into present life, his knowledge of eternity is no result of concrete experience, but a reflection of the cosmic Beyond in the notions of human thinking. According to the symbolic formula man "remembers" what he has learnt in a previous pre-terrestral existence. This sublime information is given in the "*Meno*". But it is carefully wrapt into a broad layer of both playful irony and pugnacious hatred. Socrates argues with Meno, a Thessalian

man lives within the organisation of power, in his town,—Socrates and Plato live in Athens. So there must needs be some useful community between the two kinds of human beings. This community is based on necessity which in all human relations (even in those of criminals) manifests itself as order, as law which gives everyone his place in the whole. This law is to be found as we have seen at the beginning and at the end of Plato's whole work, and here in the centre it shows its power by keeping the sage among his personal enemies, by keeping Socrates in Athens inspite of everything. The next short dialogue, the "*Crito*" tells how this man, a loyal old friend of the family, who, however, is unfit for spiritual enthusiasm, comes into the prison and tries to persuade Socrates to flee as he is already condemned to death. In a fine plain discourse Socrates calls up the laws of Athens personified to forbid his flight as unworthy of a wise old man. No strong intellectual light is needed to demonstrate this opinion. It is determined by the idea of law as comprehensible to everyone. So this is a conversation in the half light of dawn. It starts with Socrates asking: Τί τηνικάδ' ἀφῖξαι, ὦ Κρίτων; ἢ οὐ πρῴ ἔτι ἐστίν; "Why do you come at this hour, Crito? Is it not still early?" As always there is a spiritual hint in the natural question.

In spite of all the acerbity of the antagonism between the bringer of a new life and the power organisation of the old life it is not only the laws, after all, which keep the two together in a common existence. Plato seems to have felt the need of softening his antagonism to his country after he had stated, beyond any doubt, the foundation of his spiritual opposition. So for once hes does not oppose Socrates (or himself) to Athens, but accepts the town as the heroine of an epic tale, within which her prowess and efficiency are frequently worthy of praise. To tell this story there existed the form of the funeral oration dedicated to the victims of war. The magnificent example of Thucydides' oration was present to Plato. Within his work this tale, given in the "*Menexenus*", is pure play, not lacking, however, in symbolic value. For it shows the spiritual

that a long preparation, of course, a series of other Socratic performances, must have preceded it. Our point is to oppose to the historical theory the mystical nature of Plato's work. He never intended to keep historical facts in memory, everything past and perishable was for him only important, when it could be seen as a simile of ever present and eternal existence. Words can only hint at it symbolically.

So the "Apology" of Socrates must be interpreted as a symbol. We have seen how it emerged from the symbolic context of the "Gorgias". Socrates is The Sage, the Athenian judges are The Bearers of Evil, the defence is the ironic reversal of accused and accuser, the beam of light which rises from the darkness of the illusionary lawsuit. With all that the symbolism of Plato could never be vague or confused. When he visualises a natural situation as the symbol of an eternal mystery he plunges with passionate interest into this situation and describes it with all the vital signs of its importance, because it is only through full and real nature that full and real supernature can be made distinct. Therefore this apology is treated in every way as a real and impressive defence in a real court. It is, ironically, Plato the great literary artist, not Plato the visionary, that triumphs. The result is that posterity, even in Greek times, has understood the words in their superficial meaning alone, which can be done only by separating the eternal Socrates from the perishable. But Plato's intention was the opposite of this: to weld the two together forever. Nevertheless we too find here a historical document, but only because the real Socrates in himself was a mystical being. As the whole speech is a gesture of ironical symbolism, from the first to the last word, a particular hint of beginning does not need to be stressed in it.

The deadly hostility between the sage and the power organisation (as far as it is not guided by the Platonic spirit) which had been brought to the stage of the "Gorgias" and the "Apology" immediately raises a serious problem. The wise

seductive illusions is Hell. The first time in Plato's dialogues a cosmic myth emerges which breaks up, with fiery hatred, the threatening abyss of eternal annihilation before the eyes of the seducers. So this thundering discussion begins with a trumpet call. Πολέμου καὶ μάχης φασὶ χρῆναι, ὦ Σώκρατες, οὕτω μεταλαγχάνειν. "This is the way to come to war and battle, Socrates, as they say". This too is a symbolic hint which touches only a reader who with Plato is shaken by the mystical force of words. For in ordinary meaning this sentence is a Greek idiom which states: you have come late, Socrates, to an interesting meeting. (To arrive in the right manner to a battle is, according to common sense, equal to arriving late).

In the long debate of the "Gorgias" the deadly antagonism had been worked out as it exists between the city which is greedy for temporal power and the sage who thinks only in terms of eternal being. One might gain the impression that the ironical situation might arise, in which the sage, the embodiment of value, would have to defend himself like a criminal before the criminal city. This situation with all its dramatic vehemence, the antithesis of the lie which gives itself a legal appearance and the truth which in its defense unmasks the illusionary character of this force, is exhibited by Plato with the mastery of a tragic poet in his next work, the "*Apology of Socrates*". In the face of this speech the interpreters of Plato show their mutual opposition in the clearest way. Whoever sees him as a writer with worldly aims, with realistic purposes, political programmes, and philosophical dogmas, will understand the "Apology" as a document of historical intention, rendering the thoughts which Socrates had propounded in court. If this is so, this work must be one of the first, perhaps the first of Plato's remaining works. We cannot discuss here the realistic arguments which oppose themselves to this interpretation. We should, however, listen to Nietzsche's assertion that the "Apology", with its light touch of things so profound, is a work of such superior literary skill

This goes one step farther in the contempt of the enemy. There Socrates fought against the anonymous, here he refuses to speak. That means he is opposed to an enemy with whom a real discussion is in itself impossible and with whom he speaks after all for no other reason than his obtruding himself as a sign of the time. In the conduct of speech no spiritual power, no σοφία, could be defended against the fool or demonstrated by the sage. This enemy, however, is not so vulgar as the two brothers, although he is still farther removed from the genuine spirit than they are. His force, and this is his danger, appears in the weight of his personality, in the negative genius of his spuriousness, with which he mixes and confounds illusion and reality, not-being and being. In this light Plato saw the sophist Hippias. Here we have first the shorter of the two dialogues named after him, the "*Hippias Minor*". He is an actor of spiritual actions, and unable, on principle, to understand what a spiritual problem is. Identical with the world of illusion he simply has no organ for feeling or seeking eternal reality. Socrates can force him only to the statement that it is better to do evil with intention than without it. As Hippias cannot approve of this, though he cannot help acknowledging it, he gives an impressive instance of the possibility that someone may express something in serious words even if he disapproves of it, while all the rest of his words are only used to describe his vainglorious unimportance.

The foolish and the meaningless word having been destroyed in this radical way the great tempest breaks out against the wickedness of active greed for power the concrete victim of which in Athens had been Socrates. In the "*Gorgias*" Socrates gives a battle against the mendacious and cruel violence as it raged in the Attic aristocracy and against all its seductive charms. It is not a moral fight for and against definite parties, but the defense of the powers which enable man to live a perfect life in cosmic harmony opposed to the decay and brutality in the service of illusionary values. The cosmic symbol for the corruption of

absolute hostility, but, if that is possible, with playfully sparkling fire. The first of these three lightnings betrays an overwhelming joy in attack, it is perhaps the wittiest production of the whole witty Greek literature. But we feel that this wit with its refinement expresses a violence of enmity, even more, a glowing hatred which is wholly strange to the playful dialogues of the first groupe, including the struggle against Thrasymachus. We are speaking of the "*Euthydemus*", the eristic agon between Socrates and the pair of brothers Euthydemus and Dionysiodorus, two out-and-out rascals in logical acrobatics who in their search for applause are in unconditional opposition to real logic. As courage in the "Laches" so is here σοφία, wisdom, the spiritual power which Socrates discusses, represents, incites, defines and doubts at the same time in order to strive with it towards the better being. Wisdom in this particular sense is meant as the basic rejection of folly, as the primary consolidation of eternal values. Its opposite, folly, is the impertinent pretention to be able to win the argument by mere words. It is vulgar and could never be supposed to exist in a serious philosophical antagonist. Protagoras and Gorgias do not fall under the sway of negative folly. But these brothers are popular clowns without personal weight (therefore their doubleness) in the style which was applauded in Athens at that time. Socrates does not really discuss with them, but fights against their hollow sounds. So the dialogue begins with the question of the elderly and not very intelligent Crito, put to his friend Socrates: Τίς ἦν, ὦ Σώκρατες, ᾧ χθὲς ἐν Λυκείῳ διελέγου; "Who was it, Socrates, with whom you were discussing yesterday on the playground?" If we look at the indefinite pronoun of the question we understand the symbolic hint. We are to hear, in this circle of merry youngsters, a verbal contest against an unnamed nonentity, that is, we are to hear fundamental wisdom defending itself against anonymously hostile folly.

Then, another friend, Eudicus, asks the sage: Σὺ δὲ δὴ τί σιγᾷς, ὦ Σώκρατες: "You, now, Socrates, why are you silent?"

to the cosmic powers the temporary contrast with the evil powers had to be renewed in all its sharpness. The darkest No had to be felt in order to evoke the brightest Yes.

Therefore a new group begins here, and it begins with a mystical gesture. Plato points openly at Socrates as the victim of public injustice, but not without securing at the same time his root in the soil of eternity, or to speak more popularly, not without representing Socrates as the wise reverer of genuine deity. This is done with that light grace which accompanies in Plato as in all profound minds the most difficult decisions. An ironical contrast is brought to the stage, to Socrates is opposed, let us say, the foolish reverer of faked deity. His name is *Euthyphro*, a kind of pedantic parson in the superstitious interpretation of sacred right and mythology. The discussion with him in which Socrates evokes the spiritual power of ὅσιον, piety, goes on before the King's Hall, where Socrates has to inform himself about the public accusation which has been brought up against him. He will have to defend himself against the indictment of corrupting the young. This is something *new* in both the most superficial and the most profound sense, the transition from sporting play to public battle. It is expressed by Euthyphro with a symbol which he naturally does not realize himself in his introductory question. Τί νεώτερον, ὦ Σώκρατες, γέγονεν, ὅτι σὺ τὰς ἐν Λυκείῳ καταλιπὼν διατριβὰς ἐνθάδε νῦν διατρίβεις περὶ τὴν τοῦ βασιλέως στοάν; "What new thing, Socrates, has happened that you have left the pastimes of the Lyceum and are now passing your time at the King's Hall ?"

With the fighting gesture of the "Euthyphro" executed in easy elegance but meant in stern seriousness, Plato prepares the violent blow which opens wide the abyss between good and evil and separates human spirituality from bestial greed down to the bottom of eternal existence. But he can never do enough in enforcing the preparation of such a decisive step. Before the stroke which will open hell he hurls two other lightnings of no less

The long dialogue "*Alcibiades Major*", whose exciting tensions and splendid tales will communicate all the good impulses of the leaning soul, bears Socrates' initial sentence: παῖ Κλεινίου, οἶμαί σε θαυμάζειν. "Son of Clinias, I think, you admire...". This is a bright and free variation of the obscure allusion at the beginning of the shorter dialogue. Instead of the personal and intimate name it brings the patronymic, which has a political significance, and states a spiritual act instead of the religious one: you admire. It is a symbol in irony again. For the natural admiration of Alcibiades refers to a factual complex which is furtheron expounded by Socrates. But it is a hint to the universal θαυμάζειν, to the awe which is awakened in the soul of the disciple in so far as he is striving towards wisdom. "I think", it is true, contains the tragic overtone which is resumed in the final formula of the dialogue. There Socrates says: "I am afraid, the city in stirring up your greed of power is stronger than your urge towards the true life".

The "city" is Athens which diverts the ambition of valuable men to the disastrous satisfaction of greed for power and has killed her most valuable citizen, Socrates, by legalised murder. It is important to understand that Plato in all the dialogues written up to this point has never alluded in so much as a syllable to the death nor (before that last sentence of the "Alcibiades") to the enmity of Socrates for Athens. Evidently he wished to represent the figure of the spiritual master, whom he resuscitated for his perplexed Greek readers at least a decade after his death, first in pure devotion to the eternal trends symbolized in his plays. Its lasting impact should not be marred by the reminiscence of that temporary conflict. From the start the sage is a spiritual fighter, acting against the sophists, those hawkers of wisdom, against the confused and confusing poets, against vain fools and irresponsible lust addicts. But this fight takes place in an atmosphere of beauty and youth. In order to reveal, however, in its full glory the daemon of Socrates devoted

it seems very important to see the full "Plato to-day" with his newly reappearing personal and mystical powers.

The prototype of the Socratic disciple whose tragic failure lent the master's fight for his soul a special intensity is Alcibiades. We find him already in the "Protagoras" with straightforward pleasure in philosophical disputes. Now he appears as the very representative of problematic discipleship. Plato prepares the atmosphere for his wide and lucid examination by a short and mysterious preliminary test Ὦ Ἀλκιβιάδη, ἆρά γε πρὸς τὸν θεὸν προσευξόμενος πορεύει; "Alcibiades, so you are on your way to worship the god?" (In the question it is implied that we see the proud youth with a crown). His prayer, of course, will be some traditional religious act which has nothing to do with philosophical problems. So the question proves to be a clear specimen of the symbolic hint which points from social convention to the mystical reality of divine guidance. Divine guidance in winning the perfect life under the power of Socrates. In the further discussion this "*Alcibiades Minor*" leads towards this aim by asking: does one know what to ask the god? We ask: can one seriously believe that the writer who brings in this problem has been pushed to it by his own uncertainty? No, with a superior and impressive gesture he provokes questioning before the image, which is still veiled, but has been raised by him. We wish to mention here that in this small dialogue appears the first of the few, but substantial records of the Egyptian experience in Plato's work. Ammon, the oracle-god of the oasis of Siwa and later father of the Great Alexander, is quoted by Socrates as teaching the Athenians that the εὐφημία of the Spartans is the best form of venerating the god—whereas Plato, of course, understands this "speaking with awe" as an ironically presented symbol of his own mystical language which in this way is sanctified by Egyptian wisdom.

But "Potidaea" means more than a place of battle in Plato's work which we are entitled or even obliged to see always as a unity. If we read the "Banquet" we learn from the talk of Alcibiades that Socrates near Potidaea went through a night of mystical rapture, that means, of present eternity (samâdhi in the Indian terminology). It seems characteristic of Plato that he slips a secret into his work which the unprepared reader cannot understand. He will remember when coming to the revelation of the later dialogue that Socrates had returned to fair Charmides and his friends from transcendent regions and that the quest for the healthy mind both presupposes and reopens mysteries undiscovered before.

One might expect that Plato would now approach these mysteries and give his readers access to his realm of thought, after such exciting preparations. But he still hesitates. He is still obsessed by the task of fertilising the psychological soil on which his seed is destined to fall. From the "Laches" to the "Charmides" the conduct of the discussion was determined by the spiritual power which educates man to try to make its essence comprehensible and fertile: courage, justice, friendship, moderation appeared as aims and means of preparation. Now Plato takes over again the line of the "Theages" whose spiritual process had consisted in the simple acceptance of Socrates as master by a boy. He is going to describe the testing of the disciple by the master in the light of many motives or virtues which lead to elated humanity. Modern scholars who according to the tendency of European science are always eager to appreciate objective researches and results think these personal conversations with their irregular treatment of problems unworthy of a great philosopher and declare them spurious. They have a specially odd feeling in face of the mystical motives which are necessarily adumbrated in them. So the "Theages" was straightway removed from "reasonable" Athens to the "degenerate" period of Neoplatonic magic. For our generation

τεῖχος. "I walked from the Academy towards the Lyceum outside the wall, near the wall". A leisurely walk in the fields, away from the Academy (which name at the time of the origin of the "Lysis", not at its dramatic time, already suggested a place of austere wisdom) to the Lyceum, a playground and sporting place for the young! Here the breath of relaxing from duty, of natural charm, of youthful play, in which we shall find a fine psychological impulse in striving towards perfection, is represented in the very first gesture. It prepares for the noble atmosphere which appears in the graceful talks of the "Lysis" as a condition for a rise to the heights.

In a powerful climax, as if moving from the dreams of childhood to the passions of puberty, "*Charmid s*" carries on proceeding in the same noble air to a severer, even violent spiritual search. For the first time there appears a clear notion of an other existence, of a life led with unsuspected forces and aims. The striving for perfection, the ἀρετή, which we have met before as courage and justice, appears now as σωφροσύνη, as interior moderation or self-discipline. The self overcomes the greedy ego in its adjustment to moderation as dictated by the healthy mind. This virtue is evoked in speeches and gestures, especially those of the marvellous youth Charmides, who was the brother of Plato's mother (in the matriarchal order his very father or male prototype). But the higher meaning of the self and its preservation can not yet be realised.

Also this dialogue, full of excitements and secrets, is told by Socrates. Ἧκον μὲν τῇ προτεραίᾳ ἑσπέρας ἐκ Ποτιδαίας ἀπὸ τοῦ στρατοπέδου. "I had arrived the evening before from the camp near Potidaea". What hint is given in this natural information that Socrates had returned from war the day before he was to track dawn the noble moderation together with Charmides? We feel immediately that the virile test through hardships and dangers confers on the wise man a dignity by which his pleasurable disputes with the younger win in weight and depth.

which clearly proves that Plato had much wider intentions with this work than those he carries out down to the preliminary clause of the "Thrasymachus". First there is a symbolism of movement in space. We shall meet other instances of it later. "I went to Piraeus"—that means, I left the narrow city and descended to the port, that is to a place with wide connections and prospects. And there is a new feast in this port. Literally the introduction of the Thracian enthusiastic cult of Bendis is mentioned, but through a thin veil shines for us the feast of new life, promised by Plato's higher enthusiasm. The mention of Glaucon, who was one of Plato's brothers, gives a personal note to the intellectual excitement from the start.

The writer seems to fear that his Socrates will be received too easily, that the severe and extraordinary character of his quest for truth will not be felt. Therefore he grants, in a kind of interlude, full liberty of speech to an adversary of Socrates, a follower of Thrasymachus, and shows him launching a vehement attack against the master who as he says is eloquent enough to call for a new life, but seems unable or unwilling to point out clear ways which will lead to it. Young *Clitopho* is the adversary whom Plato himself appoints to incite criticism. He gives his name to the little dialogue which contains only the impeachment provoked by a question of Socrates. It would be an exaggeration to look for an initial hint in this talk which as a whole is nothing but an ironical hint of warning not to take Socrates too lightly and to prepare for further messages.

Clitopho says in his speech that the quest for a better life ought to be secured by friendship. So Plato gives now a picture of Socrates displaying his magic power by founding friendship on virgin soil, in the souls of noble children, whom he entices as their best friend in exciting talks. This happens in the "*Lysis*", another dialogue told by Socrates and introduced by a symbol of movement in space. 'Επορευόμην μὲν ἐξ 'Ακαδημίας εὐθὺ Λυκείου τὴν ἔξω τείχους ὑπ' αὐτὸ τὸ

the sentence sounds the hint for the hearer who looks forward to Socrates: you know, the real fighter is Socrates.

On a much higher level than the power of courage which enables men to strive through dangers towards their high aim must be seen the power of right which evokes in the human soul the sense of law and the devotion to the order of eternity. This power is called δικαιοσύνη, justice. The first function of this "justice" consists in making safe the dignity which defends the human values from the bestial lust for domination. This is what Socrates does in the next dialogue where, in a circle of friends, he opposes with many tricks of eloquence the beast-like "power-professor" Thrasymachus and succeeds in making him ashamed of himself, by the superior demonstration of human moderation. The dialogue could be called "*Thrasymachus*". All linguistic indications put it immediately after the "Laches". Like all the dialogues of the group it ends with doubts which incite to further research. Plato made it, many years later, the first book of the "Republic" whose second to tenth books, much farther developed in language, immensely widen the orbit of this early conversation and bring an answer to its questions and doubts. The "Thrasymachus" is all seeking, inciting, playing, hinting—nothing of the great revelation which sets out in the second book with the words of Socrates: Ἐγὼ μὲν οὖν ταῦτα εἰπὼν ᾤμην λόγου ἀπηλλάχθαι. τὸ δ' ἦν, ὡς ἔοικε, προοίμιον. "I thought, when I had said this, I should have got rid of the discussion. But it was as it seems the prologue". This "prologue" itself, told by Socrates, begins: Κατέβην χθὲς εἰς Πειραιᾶ μετὰ Γλαύκωνος τοῦ Ἀρίστωνος προσευξόμενός τε τῇ θεῷ καὶ ἅμα τὴν ἑορτὴν βουλόμενος θεάσασθαι, τίνα τρόπον ποιήσουσιν ἅτε νῦν πρῶτον ἄγοντες. "I went down to the Piraeus yesterday with Glaucon, Ariston's son, in order to worship the goddess, also wishing to see, in what manner they would make the feast as they were to celebrate it now for the first time". This has a powerful sound, not heard so far,

announcement of a new Socrates who surprisingly (let us remember, many years after his death) enters the stage and starts a new upheaval of the spirit, revolting against the contemporary illusions, if not yet proffering his own message.

In order to make this message real and efficient its bearer must be seen in his matchless daemon-led humanity. He would not interest as a schoolmaster or an abstract professor, his living ethos must emanate from a magician of the soul upon an understanding boy. His personality with its power of changing men must be conjured up. This happens in the words: Ὦ Σώκρατες, ἐδεόμην ἄττα σοι ἰδιολογήσασθαι. "Socrates, I need a personal talk with you". It is the introduction to the "Theages", at the end of which the farmer Demodocus delivers his son Theages to Socrates as a fresh human plant to its nursery. All the emphasis in this precious talk is on the personal vitality of Socrates, for without it even the sublimest doctrine of virtue would be poor. Therefore the personal name "Socrates" is here the first call, with a touch of irony as the caller means it in a harmless daily sense. One should consider that in the long series of Socrates dialogues this one alone brings the name of the master who is invoked as the first word, this one alone, because Socrates is called in it in his pure personal value.

But the rôle of the guiding person becomes larger at once. In the following dialogues its significance is always expressed by introducing Socrates both as the leader in a logical dispute about some virtue and as the personal master of the same virtue. "Virtue" must be understood as a transcendental power which draws man to some unknown state of fulfilment. In the "*Laches*", the conversation of Socrates with the Athenian generals, the first form of virtue, ἀνδρεία, courage, is discussed. The first sentence says: Τεθέασθε μὲν τὸν ἄνδρα μαχόμενον ἐν ὅπλοις. "You have seen the man fighting in arms". In the natural context this refers to the performance of a professional fighter which the gentlemen have just attended. But through

The first leads to ἐστί, to "being", the second to "greediness" to the psychological symptom of essential instability, of not-being.

After this timeless statement of being and not-being Plato makes a second step, by advancing into the turmoil of time, of his time and its intellectual struggles. He fights with the utmost scathing merriment. Before directing the glance to eternal being he wishes thoroughly to reject the shining illusion. He feels that illusion in Greece is most fatally produced by poetry, by tragedy (snubbed in "Minos" already) and most perniciously, because most seductively, by Homer. With all his personal admiration and love for the father of poetry Plato acknowledges in him nothing but enthusiastic obsession, denying his right to cultural leadership. The poet is no better for him than his wanton and silly interpreter, the rhapsode Ion. Socrates salutes him with the first phrase of the dialogue "*Ion*". Τὸν Ἴωνα χαίρειν. "Hail Ion!" But these words can also mean: Let the Ionian alone! That is: farewell to Homer. Here for once thorough duplicity of sense expresses in the very first words the challenge of the whole.

This merry fighter Socrates, still young, not yet recognised as the unique leader of youth, although a great friend of many adolescents, now opposes himself to his whole epoch, not only to the poet of the past, with a bold confession of longing for a deeper wisdom. The superficial intellectualism of the time, its vain boasting and trading with spiritual values is represented in Plato's first long dialogue, the "*Protagoras*" with gay, but nevertheless biting mockery. The snobbish teachers profess social success as the aim of life, Socrates confronts it with a passionate urge for knowledge, not yet stressing its ethical influence upon the soul. So he describes his encounter with the sophist Protagoras to another nameless "companion" who opens the dialogue with the question: Πόθεν, ὦ Σώκρατες, φαίνει; "Where have you turned up from, Socrates?" Through this natural question there is the transparent

companion) as: "What kind of law have we got?" This is the superficial meaning, but there is an almost imperceptible overtone conveying the metaphysical concept: "What is the essence of law in our view?" "Law is Being", is Plato's doctrine, and he hints at this basic principle in the playful question: "What kind of law have we got?"

Although this is no place for polemics we must briefly recall the fact that modern critics are unanimous in considering the "Minos" as spurious, while the ancients never doubted its authenticity. There are no linguistic, historical or philosophical arguments for this act of slaughter. The "Minos" just seems to be too uncomplicated. Plato cannot be supposed to have said such trivial things. Here a confusion of triviality and simplicity seems to be at work. Simply to state the universally cogent power of law is characteristic of Plato's art. Apart from this representation of law the dialogues "Theages", "Clitopho" and "Minor Alcibiades" are condemned as far as we know by all modern scholars, "Hipparchus", "Major Alcibiades" and "Major Hippias" by most of them. We are going now to link up the rejected "Minos" with the suspected "Hipparchus" in order to listen to the same Socrates, putting to the same companion a question of the same generality: Τί γάρ τὸ φιλοκερδές, τί ποτ' ἐστί; "I wonder what greediness is?" The similarly short dialogue states that greediness cannot be defined and opposes to the great lawgiver Minos the petty tyrant Hipparchus whose "greediness" (ironically interpreted) showed up in the vanity with which he wanted to educate his subjects. Here we see against the absolute Yes of law the absolute No of ego-assertion, which feeds its unreality with spiritual values. Everything condemned by Plato in the general movement called "sophistic" is here already at the start a victim of deadly irony by being shown up as eluding definition. The τί of the beginning hints at the absolutely "questionable shape" of greed which consumes wisdom as food. The total contrast of yes and no is the contrast of ὁ νόμος and τί.

"Phaedo, were you yourself together with Socrates on that day ?" (The English translation of this and the following initial sentences cannot reproduce this effect of Plato's style). So the word "self" and the thought "Phaedo himself was present" does not express its metaphysical power, the power of the self, which pervades all the discussion. Its playful employment in the daily sense is just like a flicker of the light of the great self in the dim waters of human speech. But it *is* a flicker, a flashing up for him who listens with full attention. By hearing the word "self" in this spirit a devoted reader may be stirred up to the task which is waiting for him : to conceive in the dying master's revelation the pure self of man.

Let us now go back to the beginning. The first word of the first of Plato's dialogues, consequently the word with which he enters into the spiritual movement of Greece, of Europe, of the earth, is : ὁ νόμος. It introduces the question put into Socrates' mouth : ὁ νόμος ἡμῖν τί ἐστιν ; "What is the meaning of law for us?" A more important question could hardly be put. Buddha, likewise, at the beginning of his career, had raised the same question and found its answer in the all-importance of "dharma". Law is the foundation on which any order of the world and therewith any knowledge of being must rest. So Plato must establish its existence before starting on his way of knowledge. He does so with masterful simplicity in the small dialogue "*Minos*", where Socrates, consonant with the general character of this foundation, talks to some anonymous "companion". He develops the idea of fundamental immutability, which law as such must show in front of the superficial contradictions of single laws, and concludes with the mythical picture of the law-giver Minos, because law without living men would remain dead. The first word contains the whole, in this single case without irony and symbol, but simply as a statement. A very slight irony is given only in the double sense of "ἐστί". Ὁ νόμος ἡμῖν τί ἐστι ; could be understood (and will be understood at once by the

siren harmonies were able to force the souls wandering over the seas to land on his island of mystery.

The aim of a whole book on Plato would be to go through the complete series of the dialogues interpreting every detail of this symbolism of dialectic intensity, poetic animation and ethic man hunting on their way to mysterious perfection. Here we must limit ourselves to the discussion of only one means of symbolic expression which incites the will and belongs therefore to the symbolism of magic gesture. This is Plato's habit of hinting at the particular task of a dialogue in its very first words, thus trying to give a special direction to the will of his attentive reader. But this is not done in a realistic way by expounding or summarising in some way the content of the following discussions, but with playful irony by veiling the high motives in everyday phrases. It is as if the writer Plato would like to state from the beginning that his means, human speech, is on the one side ridiculously obscured like all changeable matters and on the other side paradoxically enabled to receive as a symbol in its dim body a beam of eternal light. We wish to begin by illustrating this trick with an example of outstanding clarity.

The dialogue "*Phaedo*", standing as it does between the "Banquet" and the "Republic" near the end of the whole series and like its two neighbours showing the unveiled revelation of Plato's vision, exhibits the man who is coming to perfection at the moment of his transition from confusing change to unchangeable being. In the "Phaedo" Socrates, by the radiating conception of his immortal substance (his "soul"), by the grace of his gestures, joking almost to the last, and by the tremendous dignity of his accepting fate, reveals, in one word, his self, his genuine and unfettered super-ego, the self of man which is identical with the cosmic soul as in India âtman with brahman. Well, the first word of the "Phaedo" is "self", in the question of Echecrates to Phaedo, who is going to tell the death story. Αὐτός, ὦ Φαίδων, παρεγένου Σωκράτει ἐκείνῃ τῇ ἡμέρᾳ;

aim. The distinction we make between history and fancy was not real for Plato, as from his metaphysical vantage point the natural separation into himself and Socrates, into a real and a fictitious Socrates, had simply been overcome by the uniting power of the magic landscape. Let us not forget that this mysterious unity of what is physically twofold can be stated or suspected throughout history under various manifestations. The Asiatic world of living wisdom is naturally full of them. In the West Leucippus and Democritus, later on Ammonius and Plotinus may be named. The most fascinating instance of this relationship on this side of India seems to be given by Christ and his evangelist John (whoever either of them was).

Socrates is the voice which leads with symbolic power of soul, his partners appear in the most varied guises. Not only do the partners change, but also their ethical "working up": The ethical situations are of the richest variety. It is thus necessary that the ethical stages which lead to fulfilment should be represented in a form which has immediate dramatic effect in every dialogue. There *must* be seeking, fighting, playing, alluding, alluring, hinting and doubting conversations in order to prepare the vision of the aim in its full weight. In this process we may indeed find a development of the writer, not of the thinker Plato. Not as a vessel of mystical illumination, but as a voice of action he is, one might say, the first person to be caught by the impulses of perfection which emerge from the transcendent light in the Socratic circle. This voice must needs get practice in speaking, it must learn and work out its style. This happens in the dialogues starting with the utmost simplicity and ending with the highest refinement, developing in between the melodies of joke and battle in ever richer instrumentation. This simile indeed seems singularly apt: the melos of Plato's vision, which is the core of his "philosophy", was present in his mind from the moment of his setting out to invent its vocal and instrumental scores, until his thoroughly mastered

alluring pictures of bodies and landscapes. But it has an expressive movement of its own. It is no more realistic than the other symbolic actions. This means that ethical guidance is not determined by a moral system for individuals nor by a political doctrine for communities. Plato is neither a schoolmaster nor a politician. But his intense activity from soul to soul, from will to will, leaving behind the domain of ethics, has a magic daemonism which perhaps represents his vision more impressively than his dialectics and his myths. For at this point Plato is not only one genius, but two. Socrates is the leader of the dialogues. The question is constantly asked: is he the historical or the Platonic Socrates? But there is no difference between the two, at any rate, no essential difference. Again, everything depends on the original interpretation of these Greek events. If one denies their transcendent reality one must, of course, separate Socrates and Plato most carefully. One must try to find out where the influence of the first begins and ends. But if one acknowledges that inseperable unity of mystical initiant and adept which is established as a fact in all stages of civilization there is no difficulty in seeing an important instance of this unity in Socrates and Plato.

The elemental activity of Socrates' daemon was not diluted by any other gifts. He awakened the daemon in Plato who thus became unable to separate his own ego from the master's ego, because both had vanished in their common transition to a higher, supra-personal plane. An imperative necessity, independent of his disciple's individual decision, made Socrates in Plato's dialogue the symbolic voice of the master. His gestures, his style of speech, and the events of his life, insofar as they were faithful mirrors of the mystical existence revealed by him, were taken over directly and copied by the writing disciple. This, however, did not prevent Plato from putting into the mouth of the leading daemon all those words of his own invention, which, from the very first dialogue onwards, were intended to direct the reader's thoughts towards the mystical

critics, because for them the three functions are not united by the common bond, and according to their personal preferences they praise the one function and blame the admixture of the others. As politicians they cannot put up with his playful irony, as poets they groan over his endless dialectics, as logicians they show up as fools in front of his fairy tales, because their intelligence does not help their comprehension. But whoever accepts the unity delights in enjoying the counterpoint of these various means of expression.

The first means is the dialectics. We cannot do more than point out the unrealistic character of these discussions which analyse, doubt and define or fail to define. They do not lead to definite logical results. For the discussion as such is a symbolic process: unflagging intensity, self-criticism and the deductive exercise of reason aim at a supra-rational result; they prepare the mind for the apparition of the mystical "truth", for the illumination of the whole man. Certain leading notions, for which Plato introduced the name of "ideas", are in themselves not scientific perceptions nor philosophical dogmas, but symbols of the transition from painful confusion to cosmic fulfilment. The second means is the description of beautiful human bodies and gestures on the one side and of cosmic landscapes and their austere glory on the other. These descriptions are like the breath of myth whose various waves pervade the dialogues with their highly praised charm. But this is no real poetry, no self-sufficient poetic act. Just as Faust realizes the majesty of the sun behind his back from its rainbow reflection in the waterfall so Plato shows "the Life" through the multicoloured splendour of its reflection in the bodies. He reveals the secretly flowing source in the rippling display of sensuous beauty. He hopes, outdistancing all poetic ambitions, to make the eyes of man strong enough one day to look directly into the sun.

The third means is ethical guidance, which in part is supported both by the quest for logical definition and by the

reality, before he started on his work, because it is the motive on which every detail of his work depends. Therefore not only his youth of nearly three decades down to the death of Socrates, but also his first journey to Sicily and more so his residence in Egypt, with its far reaching consequences, must belong to the preparatory stage. Every single dialogue, even the shortest and most playful one, is symbolic, mirroring in its particular way the general vision. Plato's intellectual development until he attained full self-awareness, that is, his boyish attempts, his wrestling with Socrates, his refusal to collaborate with political parties, his amalgamating of pre-Socratic and foreign ideas—all this preceded his first taking up the pen. There are no contradictions, no dogmatic developments in the dialogues (until the "Republic"), no specially "Socratic" opinions. Least of all is there any attempt at historical descriptions or actual discussion, e.g. concerning the law-suit of Socrates. On the contrary, every historical fact, every real person, every concrete opinion, uttered before his time and discussed by him, is always deprived of his "natural" character and changed into a symbol, in the course of representing the great mystical action.

The question, of course, arises at once: whence and whither this variety, these jokes, this stressing of uncertainty, this breaking off the conversation before definite results are obtained? To give an answer we must get a clearer view of the symbolism in Plato's style. The series of the dialogues as a whole, as well as any single dialogue, is as we have said logical, poetical and ethical at the same time. These three natural modes are all meant to represent the primary experience, every one with a particular symbolic value. The *unity* of the series and of the single dialogue is the result of one thing only: the genius of the writer Plato who succeeds in fusing those disparate elements into the convincing shape of conversation. We stress again that the persuasive force of this amalgamation is achieved only by the genuine experience of a transcendent reality. Interpreters who do not believe in this reality must become Plato's most untiring

life and man owe their existence is acting from a transcendent plane, intangible by any human sense. But the action of that power can be experienced immediately in a state of mystical perfection. Such an experience has been undergone by Plato, and his work is nothing but its symbolic expression. He intended to translate his ineffable experience into lasting words and to communicate it to kindred souls, leading them out of disorder and darkness towards a life of friendship and illumination.

Let us make a general survey on the work. One of the great triumphs of European philology is the definite statement of the order in which the dialogues were written. There are no ancient traditions about it, but a careful study of certain linguistic elements (independent of ideas, which always remain a matter of dispute) has brought forth a solid base for interpreting the development of Plato as a writer. All the main facts are uncontroversial nowadays. The centre of Plato's whole literary output is the "Republic", which necessarily divides the dialogues into two groups: those leading to it and those leading away from it. The second group is the work of old age, beginning with the "Theaetetus". We cannot deal here with its very complicated problems, though our subject, the initial hint, is to be found in them no less than in the dialogues of the first group, which form the long series of preparation to the "Republic". In this series absolute chronology cannot be settled, but seems rather unimportant. For the beginning and the end of this group are safely stabilized. When Plato finished his central expression of symbolic truth he must have been over fifty years old, probably nearer to sixty. At the other end, he cannot have started production before his full maturity, that means, not much before the end of his fourth decade.

To this date of beginning there is no objection for any external reason; but the date is imposed by an internal consideration, by our "Egyptian" principle of interpreting Plato's work. His mystical experience must have come to its most intense

of life was, after all, nothing but a philosophical school, the Academy, dignified, but unable to regenerate its disciples. Neither was his work as shaped in words adequate, with all its unparallelled art, to evoke that perfect life. From the beginning his work hovered in the air as an object of admiration without causing real bodies to move on the firm earth.

This tragedy was deeply felt by Plato and spreads a shimmer of divine melancholy over the writings of his old age. Posterity, however, has not been the loser. A Platonic state, it is true, was not founded, not even an Academic church, at the utmost a mystical community of heretics whose vigour was a painful stumbling block for many orthodoxies. But with greater relevance Plato's work, that summit and essence of Greek verbal power, has been acting, throughout whole millennia and whole civilisations, as a challenge of perfection which does not permit lazy enjoyment and illusionary conplacency to govern its receptive readers. Even the sober interpretation of Plato's style, by analysing his means of expression, must demonstrate that his word, as Goethe said, has come from heaven and is intended to penetrate earthly existence with its full glory.

The means of expression by which this spiritual act imposes itself on human speech is best called "symbolism". Plato's work as a whole, and every dialogue separately, are pure symbols. Every word in them is a concrete sign, so to say a watchword, of the presence of something transcending nature in mysticism. These symbols can be accepted only by persons for whom the mystical beyond has, on principle, the same reality as for Plato. Rational intolerance, denying the mystical act, must deny the substance of symbolic expression too, necessarily blaming Plato's "illusion" or praising his "poetry", both understood in a conventional realistic sense. A discussion about this basic contrast does not lead very far. For our purpose it may be allowed to state that we are trying to follow the Greek wizard's intentions to the full. He seems to prove that the creative power to which

the splendour of his particular genius. But how did he translate this vision into concrete life? By what means did he bring it into the consciousness of his fellow men? These means were, necessarily, Greek. To change a transcendental obsession into empirical forms Plato had to adapt himself to the given forms of Greek intellectual life. Let us remember, for a moment, another genius who about hundred years before Plato had been overwhelmed by a tremendous experience of mystical perfection. He lived in a community where mystical devotion in pure detachment was valued more than anything. This genius could therefore found a circle of visionaries who lived like him in total consecration to the absolute value and were supported in this endeavour by the kings, nobles, and workers of their mystery-conscious nation. So Buddha in India. On the other side let us imagine, for a moment, that Plato and his vision had appeared in modern, rationally organised Europe. Probably he would have had no choice but to concentrate all his mystical power on the construction of an abstract metaphysical system divided into logic, aesthetics, and ethics and to enrich European literature by a series of important books.

Classical Athens lay in the midst between North and East, between active technique and contemplative ecstasy, between scientific and mystic language. Two tendencies were almighty in the world of Hellenic mind: the spirit of politics animating the active life of communities, and that of poetry creating organisms of the rhythmic word. From neither tendency was Plato able or willing to shrink. On the one side, he aimed at founding a community which should be entirely guided by the powers of his sublime vision. But he could not concentrate upon this aim, he had to produce fine Greek words at the same time. Negatively speaking one might point out that he was not fully satisfactory as a legislative ruler or as a saintly model. Positively one might stress the overpowering strength of his poetical mastery. The result was tragic in a way: his creation

he came. Everything he utters refers to the eternal whole, to goodness, truth, and beauty whose challenge he strives to provoke in every bosom ".

Calling Plato's origin and substance for brevity's sake "mystical" we must remember how deeply Plato was imbued in various periods by mystical streams, pouring into his life from outside. First of all Greek civilization, with all its rational progress in philosophy, medicine, history etc., with all the Homeric joy of life, with all the democratic or oligarchic passion for ruling power, was still founded on a fertile soil of quietly venerated dark tradition which could never fail to stir up intense awe in noble souls. Among many mysterious customs the initiations of Eleusis may be mentioned as Plato, of course, from his early years belonged to their adepts. Then, as a youth still in his teens, he met the embodiment of impenetrable secrecy in the turmoil and sunshine of the Athenian market: Socrates. Here the voice of the ineffable daemon was manifesting a vitality, which overwhelmed, with rational words, both the obedient and the reluctant. Through the light of Socrates Plato found access to his predecessors in mystical inspiration. The wisdom of the past opened its treasuries whose lasting values in other parts of the Greek world were to be admired and assimilated by Plato on his great travels. The strongest mystical influence came to him from the school of Pythagoras. At last the travelling Athenian went farther than Sicily and Italy, he went to Egypt. In the priestly state on the Nile he saw a living community whose venerable age made the Hellenic attempts at wisdom seem like a childish adventure. In magic symbolism Egypt seemed to be ruled by a vast chorus of ringing cosmic powers. Of these a single voice or two were softly whispering at Eleusis. It is through the four names Eleusis, Socrates, Pythagoras, Heliopolis that the mystical reality which made itself master of Plato's mind can be understood in its full historical clarity.

So Plato was enabled, as hardly a Greek before him, to soar to the vision of a metaphysical beyond and to intensify it with

soul and are equally enhanced by the genius of the writer. But the unity of the work as a whole and of every single dialogue appears alone in the synthesis itself, transcending these three actions taken individually. It is impossible to admit a preponderance of one of these psychological tendencies and to put the others into a subordinate position. If we do this one of those false onesided Platos emerges: the philosopher or the poet or the politician. He was these three persons in one, because he was something else beyond them all, belonging to an original unity which must precede all secondary divisions.

How is it possible to approach this "something else beyond" in order to derive from it an understanding of Plato as a whole? He shows the way clearly enough to a sensitive reader. If we follow his words with some feeling for their personal overtones we must become witnesses of the presence in them of a universal conception which cannot be defined by isolated sentences. In German it has been called an "experience of essential life" an "urerlebnis" to which the logical, poetical, and ethical forms of expression incessantly allude without ever determining them. This universal experience is beyond all concrete events. Humanity in the earlier stages of its creative expansion has produced many devices in order to catch that reality from the beyond and to represent it within human life. Such devices are mysticism, myth, and magic. These primeval powers had a unique ascendancy over Plato's mind. They took up their abode in his genius, and he became their voice for his own and for all following times. So he was a mystical prophet, a messenger of myth, and a life creating magician in his one person. Nobody saw this clearer than Goethe: he calls Plato "a blissful spirit, whom it pleases to stay a while in the hostelry of the world. He is much less concerned with knowing the world, which he takes for granted, than with benignly illuminating it by what he brings and what it so badly needs. He penetrates to the depths in order to fill them with his essence rather than to investigate them. He moves to wards the heights with a yearning to rejoin the source from which

THE SYMBOLISM OF THE INITIAL HINT IN PLATO'S DIALOGUES

BY

HELMUT VON DEN STEINEN

[This essay gives some extracts of a new book : "The Egyptian Plato".]

In the following lines we intend to describe a certain means, one might even say, a certain trick, of literary expression which is to be found in every dialogue of Plato's. As far as we know it has never been analysed before. In a narrowly circumscribed way, it is a kind of hint, given by a short sentence, often by a question, at the opening of the dialogue. But in order to understand this tiny thing well it seems inevitable to give a general idea of Plato's way of literary expression. And this necessitates the question : *what* does he intend to express in his dialogues the style of which is his most personal invention ? For whoever approaches Plato's orbit must keep in mind the basic fact that his work is unique, it is sui generis, not merely in the splendour and vigour of its perfection, but more so in its very genre of which positively no other instance is offered either by ancient or modern, by occidental or oriental literature. Thus every single mode of Plato's expression must be explained by the style of this unique whole.

From the dwarflike "Minos" to the gigantic "Laws" every dialogue represents three heterogeneous actions of the mind, melted into that indissoluble and inimitable synthesis of the Platonic blend. These actions are : the logical quest after truth, the poetical design of pictures, the ethical urge towards a life of perfection. Reason, feeling, and will, so one might put it, are equally integrated into the work as given powers of the human

des massons" [1]. Piloti a pu voir, lui aussi, cette tombe ; mais il ne nous en dit rien. C'est cependant de la sorte qu'il souhaite lui-même être un jour "soubterrés en Babilonne en l'esglise de Madame Saincte Marie de la Cava" [2]. Vœu qui n'a pas été réalisé.

---

(1) *Histoire de l'Eglise d'Alexandrie, fondée par S. Marc, que nous appelons celle des Jacobites Coptes d'Egypte. Ecrite au Caire même, en 1672 et 1678, par le P. J. M.* Vansleb, *dominicain du Convent de la Minerve à Rome.* A Paris, chez la Veuve Clousier... et chez Pierre Promé, 1677, in-16.

(2) Piloti, fol. 61 r°.

successeur de Faradj, c'est-à-dire d'Al-Muaiyad Shaikh. la révolte de ce mameluk contre son maître qu'il fit exécuter explique qu'il ait poursuivi les fidèles de celui-ci [1].

Notons enfin qu'il est malheureusement impossible d'identifier l'église de Sainte-Marthe à Babylone (c'est-à-dire au Vieux-Caire) où, selon Pero Tafur, se trouvait la tombe de Pedro de Laranda. De tous les voyageurs du moyen âge, Pero Tafur est le seul à mentionner au Vieux-Caire une église de Sainte Marthe. Il y donnait rendez-vous tous les jours, nous dit-il, à Niccolo dei Conti qu'il avait rencontré au Sinaï et avec lequel il était revenu au Caire : " E llegamos á Babylonia é concertamos de nos ver cada dia en un yglesia que llaman Santa Martha, do esta enterrado un cuerpo santo de un Castellano que llaman Pedro de la Randa" [2].

Par deux fois Pero Tafur nomme ainsi cette église [3]. Mais en réalité, il ne semble pas y avoir jamais eu au Vieux-Caire d'église dédiée à Sainte Marthe. Peut-être faut-il lire " Santa Maria ", et cette église serait alors celle qu'on appelait au moyen âge " Sancta Maria de la Cava " à cause de sa crypte ancienne où la tradition dit que la Sainte Vierge se réfugia avec l'Enfant Jésus [4]. Sa célébrité devait la faire désigner naturellement comme point de rendez-vous, et nous savons qu'on pouvait y donner la sépulture, ce qui n'était pas le cas de toutes les églises. Le Père Vansleb, en la visitant en 1672, y a vu la tombe d'un Franc de 1402 avec une inscription, " mais la pierre y est mise à rebours par l'ignorance

(1) On peut négliger dans cette histoire les trois petits sultans intérimaires, Ahmed, fils d'Al-Muaiyad, Tatar, et Al-Salah Nâsir Al-Dîn, fils de Tatar, qui se sont succédé rapidement en 1421 et 1422 et n'ont régné chacun que quelques mois entre la mort d'Al-Muaiyad et l'avènement de Barsbey.

(2) *Andanças é Viajes...*, éd. Jimenez de la Espada, p. 111.

(3) *Ibid.*, p. 111, et p. 115.

(4) L'église est, depuis le quinzième siècle, placée sous le vocable de Saint Serge et appelée dans le pays " Abu Sarga ".

même de prévenances ! Il passe apparemment un certain temps dans le corps des mameluks, jusqu'à ce que la mort du sultan le laisse sans protecteur et à la merci d'un successeur au trône qui, comme il arrive dans ces temps de rivalités de palais, était un ennemi de son maître.

***

Certains petits points d'histoire restent toutefois à éclaircir. On aimerait d'abord savoir sous quel sultan Pedro de Laranda a fait ainsi carrière en Egypte. Ce sultan, contemporain de Piloti, était mort depuis un certain temps lorsque l'interprète Saym, qui parle de lui comme d'un ancien maître, raconte l'histoire à Pero Tafur, sous le règne de Barsbey, en 1437. Mais Saym, ayant alors quatre-vingt-dix ans, pouvait avoir servi plusieurs sultans avant Barsbey, lequel régnait depuis 1422. Il peut donc s'agir ici d'Al-Muaiyad, le prédécesseur immédiat de Barsbey, mort en 1421, ou, avant lui, de Faradj, assassiné en 1412.

Il faut pencher pour Faradj, car la capture de Pierre de Laranda semble, d'après Piloti, avoir suivi d'assez près l'expédition de Boucicaut dans le Levant en 1403, sous le règne de ce sultan. La noblesse de caractère que Piloti prête à Faradj, fils de Barkûk, convient d'ailleurs à merveille au sultan du récit de Saym.

D'autre part, le sultan suivant qui fit poursuivre et mettre à mort Pedro de Laranda, était mort aussi, d'après Pero Tafur, car si ce sultan avait été Barsbey, Pero Tafur nous le nommerait au lieu de le désigner simplement par l'expression : "un autre" ("*é fizieron otro*", nous dit-il, p.115). Il doit donc s'agir là du

= *traduction annotée par le Père.* F. LARRIVAZ S. J. *Extraits relatifs à l'Egypte suivant l'édition de 1940.* Le Caire, Imprimerie nationale, 1904, in-8°, p. 16 du texte latin, et p. 48 de la traduction française.

Les sultans, pour leur sécurité, trouvaient apparemment habile de s'entourer d'officiers chrétiens, parce que ceux-ci, en cas de révolte des mameluks, n'avaient pas les scrupules des musulmans à combattre leurs coreligionnaires.

bonnes relations de l'Egypte avec l'étranger, à la sécurité des mers et à l'importation régulière des velours et des draps d'or de Venise dans son magasin d'Alexandrie. Il ne s'est pas intéressé autrement au corsaire, auquel il doit le tracas de sa mission dans l'Archipel, et il ne s'est pas mis en peine d'en apprendre bien long sur les circonstances de sa mort.

Cette ignorance s'explique d'ailleurs. Simple marchand étranger en Egypte, n'ayant affaire à l'administration que pour son commerce, Piloti était mal placé pour recueillir sur les événements intérieurs du pays des détails comme ceux que Pero Tafur tient de la conversation du vieil interprète. On sait quelle est encore aujourd'hui, à l'égard des menus faits en pays musulman, l'ignorance des étrangers, même établis depuis longtemps, quand ils ne parlent pas couramment la langue et ne fréquentent pas suffisamment les milieux nationaux.

C'est pourquoi le récit circonstancié de Pero Tafur, tout enjolivement mis à part, a certainement plus de titres à la créance que celui de Piloti. Mais d'abord, son esprit est tout autre. En bon hidalgo, Pero Tafur sait apprécier la bravoure et les faits d'armes. Pedro de Laranda est d'ailleurs pour lui un compatriote—car le vieux Saym, qui a connu en son temps le corsaire devenu mameluk, ne doit pas être trompé en le donnant pour Castillan comme il l'était lui-même—. Pour Saym et pour lui, Pedro de Laranda n'a pas été livré par les Catalans, mais capturé par les Sarrasins alors qu'il il portait bravement secours à un associé catalan dans une opération de débarquement contre des forces supérieures. Reconnu pour être le fameux corsaire, il a l'honneur de se voir offrir la faveur du sultan moyennant une abjuration. Mais il reste noblement fidèle à sa foi, et... le sultan le prend quand même à son service ([1]), l'entoure

([1]) Le cas n'est pas absolument unique, et nous savons qu'il y en a eu d'autres. Bernard de Breydenbach a vu, en 1483, un mameluk hongrois de religion chrétienne au service du sultan Kaït-Bey. (*Les Saintes Pérégrinations de Bernard de Breydenbach*, Texte et =.

"El Soldan dixo: Yo te prometo de nunca te poner en guerra contro los Xpianos, é de te fazer governador de los Xpianos que tengo, é de te fazer muchas merçedes: é tu sírveme lealmente.

"E él gelo prometió.

"E luégo le mando asentar casa é dar gente que o serviese, é mantenimientos. E llamó á un amiralle suyo é encomendógelo; é dizie que quando se partió del Soldan para desçenderse á la çibdat, que le bolvió á llamar el Soldan é dixó: Mando que den al Xpiano tanto vino para él é para su casa quanto oviere menester, porque non falle mengua de su tierra.

"Esto me contó el Trujaman que lo avia visto, por magnificar á su señor el Soldan, é por me fazer plaçer en dezir bien de Castellano, pues quél lo era tambien.

"E murió aquel Soldan, é fizieron otro, el qual luégo embió por aquel cavallero que tenía en cargo á Pedro de la Randa, é mandó que lo truxesen allí con entençion de lo matar. El cavallero fuyó con él é metióse en un lugar; é allí el Soldan lo çercó é lo tomó, á él é á Pedro de la Randa. E mandóle que renegase la fé é se tornase Moro. E Pedro de la Randà non lo queriendo fazer, fué asserrado por la cabeça.

"E los Xpianos lo levaron á enterrar á una yglesia que esta en Babylonia, que dizen Santa Martha, é oy faze miraglos".

* * *

On voit que le récit de Pero Tafur diffère essentiellement de celui de Piloti et qu'il donne au personnage de Pedro de Laranda un relief tout autre. Pour Piloti, Pierre de Laranda n'est qu'un aventurier, un hors la loi qui a fini comme il arrive à cette sorte de gens. Il mérite à peine la mention d'un fait divers. Il a montré sans doute de la constance devant la mort; mais on ne sait pas si, pour l'auteur, les Catalans n'ont peut-être pas bien fait de le livrer. C'est que Piloti tient énormément aux

" E desque el Soldan supó como le trayan aquel tan famoso cossario é que tanto estrago avía hecho en los Moros, ovó muy grant plaçer ; é como lo tuvó delante, si preguntóle si era aquel Pedro de la Randa que tanto mal avía fecho á los Moros. Respondió que si. Preguntóle que era la cabsa porque tanto mal avía fecho á los Moros. Respondióle que porque eran enemigos de la fé ; é que si á ellos non, que si le paresçia que era mejor fazella á los Xpianos ?

" El Soldan le dixó que en pago de aquello, é porque paresçiése la justiçia de Dios, que renegáse la fé é conosçiése el mal que avía fecho, tornándose Moro ; é le perdonaría é faría merçedes. El respondió que non le podía él fazer tanto de bien quanto él faríe mal en perder el anima. El Soldan luégo mandólos asserrar por la cabeça entramos á dos.

" El Catalan dixó que quería ser Moro. E Pedro de la Randa, quando aquello vidó, apartó al Soldan é dixóle: Señor, yo me tornaré Moro si tu me vengas en fazer matar á este mi compañero. El Soldan dixó que le plaçíe ; é luégo Pedro de la Randa dixó al Catalan aparte : Amigo, ya non estamos en partido de salvar la vida puesto que renegemos la fé ; é pues ansí es, resçivamos este martyrio por Dios en descuento de nuestros pecados. El Catalan dixó que era muy bien dicho é le placíe ; é luego encontinente el Catalan resçibió la muerte.

" E el Soldan dixó á Pedro de la Randa : Ya he cumplido lo que tu me dixiste, agora tú cumple lo que prometiste. El le respondió : Soldan, yo non le fize sinon á fin de salvar el anima de mi compañero, que sentía en él tanto flaqueza que por miedo se quería renegar. Agora faz de mí lo que por bien tovieres.

" El Soldan le dixó : Tú servirme as bien, é faras lo que te yo mandaré, é andaras conmigo en las guerras, é daréte la vida.

" Respondió : Si non las ovierez contro los Xpianos.

L'interprète Saym raconta l'histoire de Pedro de Laranda à Pero Tafur, et voici comment celui-ci nous la rapporte à son tour dans ses *Andanças é Viajes* (1) :

" Un dia, el trujeman con quien yo posava, me contó un caso que acaesçió al Soldan su señor, que entonce era muerto, con un Castellano, aquel que dicen Pedro de la Randa ; é fué ansi.

" Pedro de la Randa era cossario, é aviéndolo por onbre muy valiente en aquellas mares, ovose de perder é fué preso de un navío de Moros, é levándole ansi preso, encontróse con ellos un cossario catalan llamado por nombre...(2). E desbarató los Moros é tomé el navío, é tomó allí á Pedro de la Randa. E de que lo conosçió, como era onbre tan famoso, dixóle que el lo refaría é le daría fusta é cabdal, con condición que siempre anduviesen en conserva é que ansí gelo prometiese. Pedro de la Randa dixó que le plaçía por condición que siempre la guerra se fiziese á los Moros, é nunca á los Xpianos, por quel le tenie jurado.

" El Catalan gelo otorgó, é fueronse á Rodas, é allí se adereszaron de todo lo necesçario para andar en cosso. E salieron del puerto é fizieron mucha guerra á los Moros, tomando muchos navíos dellos é faziendolos que aun ellos non osasen cargar en los de los Xpianos. E tanta fué la fama destos dos que ansi estavan los Moros amedrentados como si dos príncipes mayores de Xpianos aduvieran sobre la mar.

" E continuando su guerra, un dia ovó de ser como acostumbravan, si en la mar non fazían presa, desçendía el uno en tierra é el otro guardava los navíos. E fué ansí que un dia ovó de desçender el Catalan en tierra de Damieta, por fazer un salto, é sobrevinó tanta gente de los Moros que trayan á mal andar al Catalan. E Pedro de la Randa, como le vidó de la fusta donde estava, salió en tierra por le ayudar ; é tantos Moros cargaron dellos que los prendieron á amos á dos, é fueron levados al Soldan.

(1) *Ibid.*, pp. 112-115.

(2) *Le nom est laissé en blanc dans le texte.*

C'est en 1436 que, revenant de Terre Sainte et passant par Chypre, il fut chargé par le roi Jean III de Lusignan d'un message pour le sultan Barsbey, message qu'il apporta en Egypte l'année suivante. Il s'agissait des modalités de payement du tribut annuel dû par le roi de Chypre au sultan qui avait conquis Chypre en 1426 (1).

Au Caire, Pero Tafur fut l'hôte du premier interprète du sultan, vieux dignitaire âgé de quatre-vingt-dix ans, qui était d'origine sévillane. Notre jeune voyageur crut habile de lui déclarer qu'il était, lui aussi, de Séville, et ce léger mensonge lui réussit bien, car le plaisir de voir en lui un concitoyen le fit véritablement choyer du vieil interprète et de sa famille. Tout en l'interrogeant sur ses origines et sur ses voyages avec plus d'intérêt que n'en comportait strictement son rôle de fonctionnaire aux affaires étrangères, l'hôte de Pero Tafur ne manqua pas de lui confier sa propre histoire : d'origine juive, et grandi à Séville, il avait été mené tout jeune à Jérusalem par son père, à la mort duquel il était devenu musulman et avait changé son nom de Haym en celui de Saym. Entré au service du sultan d'Egypte, il était devenu premier interprète à la cour du Caire, peut-être déjà sous Faradj, et il conservait sous Barsbey cette charge qui était pour lui une fin de carrière. Il vivait paisiblement, entouré de ses femmes qui, à quatre-vingt-dix ans, dit Pero Tafur, lui donnaient encore des enfants (2).

= Il a été publié, avec des notes, par Marcos Jimenez de la Espada, sous le titre de *Andanças é Viajes de Pero Tafur por diversas partes del mundo avidos (1435-1439)*, dans la *Collecion de libros españoles raros o curiosos*, vol. 8. Madrid, Miguel Ginesta, 1874, in-12.

Malcolm Letts en a donné une traduction anglaise avec des notes : *Pero Tafur, Travels and Adventures, 1435-1439, translated and edited with an introduction by Malcolm Letts*. London, G. Routledge, 1926, in-8°. (Collecion des *Broadway Travellers* publiée par Sir E. Denison Ross et Eileen Power.)

(1) Voir : Charles Schefer, *Le Voyage d'outremer de Jean Thenaud*. Paris, Ernest Leroux, 1884, in-8°. Introduction, p. XVIII.

(2) *Andanças e Viajes* . . . , éd. Jimenez de la Espada, p. 78.

“ A celle fois le souldain commanda que Pierre de Laranda et ledit Zorzila fussent taillié par travers, et qu'ilz fussent temptés de renoyer la foy crestienne et le souldain leur donroit la vie. Mais ilz ne volurent oncques consentir, mais tousjours se tindrent fort alla foy crestienne. Et quant le souldain vei ce, il lez fist taillier par travers, et ainsi fenirent leur vie ” (1).

Piloti ne précise pas la date de l'exécution du corsaire, mais il faut croire, pour des raisons que nous allons examiner dans notre autre source, qu'elle eut lieu sous le sultan Al-Muaiyad Shaikh, le successeur de Faradj en 1412.

* * *

La légende allait s'emparer aussitôt du personnage de Pierre de Laranda, et c'est elle que nous trouvons dans le second récit contemporain que nous possédons à son sujet, celui de Pero Tafur.

Pero Tafur vint en Egypte en 1437, une trentaine d'années après ces événements, et un an avant que Piloti ne quittât définitivement le pays. Castillan, né à Cordoue vers 1410, et fils d'un conseiller municipal de cette ville, il venait, non en marchand, mais en gentilhomme chargé d'une mission diplomatique. Il avait débuté dans la carrière des armes. A vingt-cinq ans, il se battait aux côtés de son parent, don Enrique de Guzman, dans une entreprise d'ailleurs infructueuse contre la forteresse maure de Gibraltar. Il accomplit ensuite un long voyage dans les diverses cours de l'Europe et du Levant, et il nous en a laissé la relation (2). Rentré à Cordoue en 1439, il y succéda plus tard à son père dans sa charge et y mourut en 1484.

(1) Piloti, fol. 63 v.

(2) Nous n'avons de Pero Tafur, comme de Piloti, qu'un seul manuscrit, copie faite au dix-huitième siècle d'un manuscrit antérieur perdu. Il provient de la bibliothèque du Colegio Mayor de San Bartholomé à Salamanque, et se trouve aujourd'hui à la Biblioteca Patrimonial, Sala 2a. J., pl. 4. =

“ Et si me dist que je disisse que je voloye, que il me feroit toutes choses que je vodroye. Et moy non parust de demander, senon que je dis : Seigneur, je suis de l'isole de Crède, et somes voz voisins, là où naist la malvasia. Je vodtoye de grâce de povoir mettre pour chescun mois .v. bottes de ladicte malvasia en Alexandrie, et que je payasse rien.

“Et ainsi me ottroya ; et en tiroye de gain, pour chescun mois, .l. ducas. Mais de temps en temps vint que le souldain ne se cura ne apprisa crestien, ne ancore ne laissoit entrer malvasia en celle terre. Et si m'ait ([1]) Dieu pour testmoing que de telles allées en ay fais conscience d'avoir achacté lesdis Sarrasins ; mais j'en fuis constraint, et si me convenoit obéyr les commandemens de ma seigneurie.

“ En après, du souldain et de tous les armiraulx estoye bien venu et bien amé ... ”

* * *

Mais revenons à Pierre de Laranda. Le corsaire n'était pas demeuré insaisissable. Un jour, dit Piloti, il fut capturé par des Catalans qui le menèrent à Alexandrie et le livrèrent au sultan :

“ Depuis ([2]), Pierre de Larenda, Biscain, avecque deux ou trois naves, alloit contre poyens et contre Cathelains. Par telle manière que Cathalains avecque leur naves le prindrent, et si le portarent en Alexandrie et là le donnarent au souldain.

“ Depuis Zorczila de Salonicque avecque .ij. galiottes alloit contre payens et grant dompmage leur fist. Lequel Zorzila, soy trouvant desoubz Damiata, prinst Gazara ([3]) et desmonta en terre pour conquester. Mais sez compagnons l'abandonnarent et le laissarent en terre, et lez Sarrasins le prindrent et si le portarent au souldain.

([1]) Ms : *mez.*

([2]) Après l'expédition de Boucicaut dans le Levant en 1403.

([3]) Gaza.

vostre .ij.M. ducas, et avecques ceulx mander ung de leurs marchans, lequel deusse aller à cellui seigneur duc de l'Arcipielago et racchatter le Sarrasins qui se trouveroyent en ses mains et lez conduire et porter en la présence de la Vostre Seigneurie. De quoy ne fust jamais vérité que cellui seigneur soit soubmis au Venitians. Mais, pour conserver la vieille paix et bonne charité que tousjours ont eu avecques lez vostres passés, et à présent, avecque la Vostre Seigneurie, ont vout obéyr à vostre commandament, et receu lez .ij.M. ducas et mandé ung de leur marchans, qui fust ma personne propre. Et là, je suis allé avecque grans périlz, travaille et despens beaucop, et ay esté en la présence de celluy seigneur propre, longuement pratiquant et de grans parlemens fais avecque toutes lez raisons à moy possible à dire. Et au bout de trois mois fûmes d'acort de me donner lezdis esclaves pour .iij.M. ducas. Et si ay despendus en après, pour despens de leur vivres et pour le nole de nave jusques en Alexandrie, aultre mille ducas ; qui vient avoir estre despendus .ij.M. ducas plus. Lesquelx esclaves, celluy seigneur ne lez bailla pas pourquoy ilz fussent soubzmis à Venitians ; mais pour non venir en division avecque la seigneurie, a volust obéyr avecque son grant dompmage : pourquoy de Cathalains et d'aultres nation crestienne povoit avoir plus de .x.M. ducas ; et a souffert et receu dompmage de .vij.M. ducas ; et tel pechiés demeure sur lez ammes de Venitians qui sont occasion de tout. Et que ce soit la vérité de toutes lez choses que je dis à la Vostre Seigneurie, ilz sont yci présent les vostres Sarrasins : ilz soyent interrogués et demandés, et vous oyrés qu'il diront.

"Lesquelz Sarrasins, tout à une vois, confermèrent tout mon parler. Et yci le souldain respondist qu'il ne cognossoit nesuns crestiens pour sez amis exceptés Venitians ; et quant le temps verra, il proverra à tout leurs dompmages et travaille en par ceste occasion. Et subbitement commanda son chancelier, et escript par tout son pays que Venitians, par dessus toutes lez aultres nations crestiennes, fussent bien receus et bien venus.

"Depuis trois jours partîmes d'Alexandrie pour aller au Caire avecques lezdis esclaves, et avecque eulx et en leur compaignie de leurs parens et amis, de personnes plus de .C.et.L. Et, joinct au flume, sur pluseurs cermes ([1]) montâmes, et le pelon d'or mismes dessus la poppe de ma cerme. Et nous acostant sur la rive du flume, là où estoyent lez villages, tout le peuple venoyent à nous avecques présens de chose de mangier à grant sufficience. Et puis nous arivâmes au Caire, et tant de peuple innumérable ne ([2]) vindrent entour que nous ne podiens passer avant ; et avecque grant travaille arivâmes au chasteau en la présence du souldain. Et là, par moyen d'un trischement, je dis :

"Seigneur souldain, le beau présent que je apporte à la Vostre Seigneurie si est cest penon d'or, qui est l'enseigne que portent Venitians, lezquelx sont seigneurs de la mer. Et tous coursaires qui voyent ceste enseigne s'enfuyent et ne s'acostent pour le peur qu'il ont de lui. Et avec ceste seurté nous avons passés la mer salée et arivâmes en Alexandrie saulvement, de quoy le Grant Dieu en soit loé.

"De quoy le souldain, avecque joyeuse chiere et paroles gratieusez, dist qu'il acceptoit celluy présent, pourquoy li sambloit chose de grant seigneur. En tel manière que depuis, tousjours le faisoit porter dessus ses galées pour une excellente chose, et tout son peuple veyoient vollentier.

"Et mis à fin cestuy premier parlement, puis je dis :

"Seigneur souldain, la vérité, qui est Dieu grant, gouverne et soubstient le monde ; et la mensoignes, qui est l'ennemi, si fa le contraire. Pourquoy la Vostre Seigneurie a esté informée que le duc de l'Arcipielago si estoit soubzmis alla seigneurie de Venise ; et par tel information la Vostre Seigneurie manda ung commandement en Alexandrie que Venitians deusse recevoir de l'armiraille

([1]) Germes, bateaux du Nil, à fond plat et à voiles.

([2]) Forme atone du pronom *nous*.

veoir ceulx Sarrasins qui estoyent esclaves. Et estant cestui pilon d'or dessus la poppe de la nave, lez marchans sarrasins le levarent avecque leur mains, et si le mirent en une de barque armée qui vint pour lever lezdis marchans ; et ce veirent tous lez consoulz et marchans de chescune nation. Cestui pilon vint à estre porté dedans la terre ; de quoy lesdit consoul, doubtant que le peuple ne se movisse à fureur contre eulx et contre toute nation crestienne, que non lez taillassent en pièce, et avecque ceste dubie tous lez consoulz et marchans s'en allarent en la terre et firent serrer lez leurs fondigues, et firent fort lez portes, et firent serrer tous leurs fenestres ; et estoit avecque grant doubte et peur, et disoyent que la venue de Maunoli [1] nous fera taillier en pièce.

" Par tel manière que moy, avecques tous lez esclaves et avecque tout le peuple de la terre, et avecque l'enseigne de San Marc, de la rive de la mer venîmes en la terre jusques à l'ostel de l'armirail, qui demoroit au bout de la terre. Et si fûmes de tout le peuple bien veus, et ne fust personne qui nous contradist. Et estant en la présence de l'armirail, il en eust grant plaisir, disant que Venitians méritoyent tous honneurs, et bien cestuy nostre pays, et avecques paroles assés gratieusses de tout le peuple, disant tout bien de mes fais. Puis avecque tout le peuple retornâmes, car ilz m'acompaignarent jusques au fondigue de Venitians, avecque le penon desployé. En lequel fondigue consoulz ne marchans ne se mostroyent, mais tous se estoyent serré et muchiés [2]. Mais tant que eulx se asseurarent par ma vois, que ilz cognoissairent, et tous vindrent hors, et furent bien receu et honnourés de tout le peuple et citoyens de la terre. De quoy tous consoulz et marchans de toutes nations crestiens demorèrent content et consoulez de ma venue, et leur sambloit chose merveilleuse que le peuple ne se meust contre Crestiens.

(1) Forme familière d'*Emmanuel*, prénom de l'auteur.
(2) Cachés.

je vins jusques à l'isole de Acsia (1), à la présence du seigneur duc de l'Arcipielago. Avecque lequel fus et practiquai de rachatter lezdis Sarrasins, en lui recordant et confortant qu'il volisse faire chose que il demorasse en la grâce de Venitians : pourquoy eulx, comme esforscés de poyens, et non pas avecque raison ; mais besoignera que esforcent aultres, et passeront la mesure de la raison. Et avecques aultres raisons practiquâmes ceste occasion, en tant que alla fin de .ij. mois fûmes d'acors d'avoir lezdis Sarrasins, avecques aulcune fammes sarrasines qui estoyent avecque eulx, pour .iij.M. ducas. Et ainsi li fist le payement, dénotant à chescune personne que lezdis Sarrasins, avecques .viij. marchans qui estoyent entre eulx, lezquelx me cognoissoyent, estoit puissans de poyer .x.M. ducas ; mais le seigneur duc, pour estre bien avecques Venitians, consenti tout.

" Depuis que je fus parti de l'Arcipielago, et joinct en l'isole de Crède, en la cité de Candie, avecques tous lezdis Sarrasins et marchans qui estoyent de réputation et de plus que tous lez aultres, et ilz me disoyent : "Nous ne (2) tenons si obligé et bénéficié de Venitians, par lez vostres euvres et travaille que vous avés porté et eu pour nous afranchier, que nous délibérons que vous noz faites faire un pilon magnifique avecques lez enseignes de Venitians : pourquoy spérons de le mettre et desployer (3) en Alexandrie, et de là puis au Caire en la présence du souldain." De quoy, veue leur si faite bonne volenté, leur fis faire ung beau pilon d'or, qui me costa .xxxij. ducas, avecque l'enseigne de Misser San Marc Euvangeliste ; avecque lequel monta en nave avecque tous lez Sarrasins. Et si nous partîmes.

" Et joinct que fûmes au port de Alexandrie, tout le peuple de la terre, hommes, et fammes, vindrent alla marine, et aussi tous lez consoulz de chescune nation crestiennes ; et tous pour

(1) Naxos.

(2) Forme atone du pronom réfléchi : *nous.*

(3) Ms : *desployeri.*

environ .l.xxx. marchans qui là estoyent, et s'en alla devant l'armirail en lui agrevant que sez marchans et espices si estoyent retenues. Pour quoy subbitement l'armirail fist lire le commandement du souldain, lequel commandoit que le consoul [1] dez Venitians deust recevoir .ij.M. ducas—et que il lez li mande—, avecques lezquelx il doit mander ung de leur marchans à rachacter les .C.et.l. Sarrasins qui sunt à l'Arcipielago, et ilzceulx conduire en la présence du souldain ; et si lez espices et marchandises soyent retenues, que nesune chose puisse monter en galée.

"En tel manière que subbitement le consoul retourna à son fondigo avecque tous lezdis marchans, et fist conseil desputés. La caison fust délibérée de acchatter et mander à exécution le commandement du souldain, affin que lez marchans et les marchandises fussent delivres. Et avecque ceste délibération, il s'en revint devant l'armirail, et content de obéyr le commandement du souldain. Et receurent lez. ij.M. ducas ; et avecques ce toutes choses furent délibérées, par tel manière que, retourné que fust le consoul au fondigo, derechief ilz firent conseil pour délibérer quel [2] marchant il deust mander.

"Par tel manière [3] que, dit tous lez leurs raisons, délibérarent que je deusse estre celluy qui deusse aller en ladicte facende ; et ainsi référâmes à l'armirail, lequel demoura content. De quoy moy, constraint et non povoir faire de mains que de obéyr, pour non estre en disgrâce de ma seigneurie, je fus content de y aller. Pourquoy ledit conseil opponoit que, par moy avoir la practique des Sarrasins et dez Gretz, qui estoit meilleur ami que à aultre : et bien que je fus poyé, mais Dieu scet quel desconchement et dompmage fust en mes fais !

"De quoy, avecques ladictes galées, je m'en allay jusques à Rode, et de là, avecques lez galées de la garde, de lieux en lieux,

---

(1) Les mots : *le consoul* manquent dans le texte.

(2) Ms : *quil*.

(3) Le mot *manière* manque dans le ms.

miene nave avecques .C.et.l. Sarrasins: lezquelx Sarrasins a achaté le duc de l'Arcipielago, lequel seigneur est soubzmis alla seigneurie de Venise. Et pource que lez leurs parens me combattent tous lez jours que je veulle pourvoir de lez ravoir, et pour tant je commande que, se vous, Venitians, vollés estre en mon pays et estre mes amis, que vous pourvoyés que je raye lezdis Sarrasins". De quoy ledit consoul respondist beaucop de raisons, en lui démostrant que ledit seigneur de l'Arcipielago estoit en sa liberté et non pas soubzmis à Venitians. Et avecques aultres raisons vrayes, et avecque lez despens de mille ducas [1], il retourna en Alexandrie.

"De quoy depuis, par deux aultres fois, le souldain fist monter ledit consoul de Venitians au Cayre en sa présence, avecque celles meismes raisons et paroles ainsi comme il avoit dit au premier consoul : lezquelles consoulz [2] se espachairent comme fist le premier consoul, et tousjours avecque lez despens de mille ducas, retournoyent en Alexandrie.

"En telle manière que, depuis l'an .M.CCCC. et. viij., du mois d'octobre, estant faites la charge des espices de .iiij. galées venitians—et en estoit capitaine Misser Nicol Capelle—lezquellez espices estoyent tirée hors de la terre et jectées dessus la spiacza et commensée jà à chargier ; et en deffaillant de acomplir le terme des galées deux jours [3], l'armirail fist retenir tous lez marchans et toutes lez espices. En tel manière que le consoul congréga

(1) Il s'agit apparemment d'une indemnité de déplacement payée par le gouvernement egyptien au consul qui était appelé d'Alexandrie au Caire.

(2) Les consuls venitiens qui se sont succédé de 1402 à 1408, pendant les six années que traina l'affaire.

(3) Les épices destinees à l'exportation étaient retirées de la douane d'Alexandrie par la Porte de la Marine et descendues sur la plage où des barques les chargeaient pour les porter aux navires en rade. Ces navires ne recevaient l'autorisation de partir qu'après le payement de tous les droits : on leur rendait alors leurs voiles et leurs gouvernails qu'on leur avait enlevés à leur arrivée. Le règlement du port accordait deux jours aux capitaines pour faire leur chargement.

dut accepter la mission "pour non estre en disgrâce de sa seigneurie". Il s'en fut donc à Naxos plaider auprès de Jacques Crispo et lui représenter que la libération des Sarrasins lui vaudrait la faveur de Venise et apaiserait le ressentiment du sultan. Après de longs pourparlers il réussit à négocier le rachat des prisonniers pour la somme de 3.000 ducats—alors qu'ils étaient en mesure de payer pour eux-mêmes, nous dit-il, 10.000 ducats de rancon—. Il les embarqua pour le retour, et il nous raconte comment, pendant une escale à Candie—alors possession vénitienne et où l'auteur était né—il fit, sur leur prière, confectionner une bannière d'or à l'effigie de Saint Marc, bannière qu'ils arborèrent triomphalement sur la poupe de leur navire, et qu'à leur arrivée à Alexandrie ils portèrent en cortège par la ville jusqu'à la maison du gouverneur mameluk et au fundûk des Vénitiens. L'auteur l'offrit plus tard au sultan au Caire, en lui présentant les prisonniers libérés, et Faradj reçut très gracieusement ce présent auquel il attacha un grand prix et qu'il fit même arborer dans la suite sur ses galères.

Pour le rachat des prisonniers, pour le nolage de leur navire et pour leur nourriture, Piloti avait, nous dit-il, dépensé le double de la somme de 2.000 ducats donnée par le sultan. Mais le succès de sa mission valut à l'auteur sa récompense et ne contribua pas peu à la faveur dans laquelle Faradj tint les Vénitiens par la suite. Piloti nous rapporte son entrevue avec le sultan et l'habile discours qu'il lui fit à cette occasion par le moyen d'un interprete. Voici son texte concernant tous ces faits : [1]

"Et depuis certain temps, par maulvais Crestiens, fust donné à entendre au souldain du Caire comment le duc de l'Arcipielago estoit soubzmis de l'obédience de la seigneurie de Venise ; et ainsi, subbitement, manda en Alexandrie commandemens, et fist que le consoul de Venitians vint au Caire. Et, estant en la présence du souldain, dist audit consoul : "Par ung coursaire a esté prise une

---

[1] Piloti, fol. 57 v°-61 r.

de l'Archipel : on pensait bien recourir à Venise, car le duc était d'origine vénitienne ; mais il n'était pas soumis officiellement à la république sérénissime.

C'est que le duché de l'Archipel, ou de Naxos, après avoir appartenu de 1207 à 1383 à la famille vénitienne des Sanuto, était passé depuis à celle des Crispo, à la suite d'une usurpation. Francois Crispo, premier duc de cette dynastie, était mort en 1387, laissant ses cinq fils se partager l'Archipel. Jacques I^er^, dont il s'agit ici, avait reçu Naxos et le titre de duc, tandis que ses frères héritaient d'îles de moindre importance, comme Mélos, Kimolos, Anaphe, Syra et Ios. En fait, l'Archipel se trouvait toujours sous la suzeraineté de Venise, mais cette suzeraineté n'était pas politiquement reconnue ; elle ne le sera qu'après la mort de Jacques I^er^, par son frère et successeur Jean Crispo, en 1418 [1].

Par trois fois, dans les années 1402 à 1408, le sultan Faradj fit venir au Caire le consul vénitien d'Alexandrie et lui demanda d'intervenir auprès du gouvernement de Venise ; mais chaque fois le consul se récusa, disant que le duc de l'Archipel n'était pas soumis à la république. Décidé à en finir, en octobre 1408, le sultan fit retenir au port d'Alexandrie quatre galères vénitiennes qui y chargeaient des épices, et intima au consul l'ordre formel d'envoyer un négociateur à Naxos : il lui faisait d'ailleurs remettre deux mille ducats pour les frais de la mission.

Alors les marchands vénitiens d'Alexandrie se réunirent en conseil, au nombre de quatre-vingts, dit Piloti, pour désigner parmi eux ce négociateur ; et leur choix tomba sur Piloti lui-même comme étant celui d'entre eux qui était le mieux introduit auprès des Sarrasins et des Grecs. Piloti, malgré ses hésitations,

[1] William Miller, *The Latins in the Levant. A History of Frankish Greece (1204-1566)*. London, John Murray, 1908, in-8°. p. 603.

ne nous dise pas l'avoir jamais rencontré. Il a, en tout cas, joué un rôle dans une affaire à l'origine de laquelle Pierre de Laranda a été mêlé. Sans nous le présenter, il le mentionne à deux endroits de son traité, et voici ce qu'il nous dit d'abord de lui :

"Environ l'an .M.CCCC. et ij., soy trouvant ung nomé Pierre de Laranda avecques .ij. siennes naves en Lavant, lesquelx avoit et tenoit très bien en ordre et très bien armée, et alloit en cours contre Cathalains et contre Sarrasins ; de quoy il entrevint par son aventure qu'il se trouva desoubz l'isole de Cipre envers Sathalie (¹) et Candiloro (²), qui est pays de Turquie. Et du port de Sathalie se leva une nave de Sarrasins, laquel estoit d'Alexandrie et estoit allé en celle pars, et estoit environ de .vij.C. bottes (³), laquelle nave print ledit Pierre de Laranda. Et comment il la print : il la print chargié de marchandise d'une très grant valeur et avecque .C.et.l. Sarrasins. Et subbitement s'en alla à Misser Jaque Grispo, duc de l'Arcipielago, auquel seigneur vendit ladicte nave avecques lezdis .C.et.l. Sarrasins pour certe quantité d'argent. Puis ledit Pierre avecques ses naves se parti de là" (⁴).

Cette affaire qui, on l'a vu, n'était pas sans précédents, eut des suites. Arrêtons-nous y un moment avant de suivre Pierre de Laranda dans ses aventures. Elle jette un jour curieux sur la nature et les difficultés des relations diplomatiques à l'époque.

Les parents des Sarrasins vendus par le corsaire firent des démarches auprès du sultan—qui était alors Faradj—le priant d'agir pour faire rendre les prisonniers à la liberté et à leurs familles. Leurs démarches durèrent cinq ou six ans, d'après Piloti, car ce n'est qu'en 1408 que le sultan prit des mesures efficaces. La difficulté était de savoir comment faire pression sur le duc

---

(¹) Adaliya, port sur la côte méridionale de l'Asie Mineure.
(²) Alaya, port voisin d'Adaliya.
(³) Tonneaux.
(⁴) PILOTI, fol. 57 v.

souldain, affin que ilz peussent bien estre et demourer en Alexandrie, ilz le firent mourir de mal mort" (1).

Souvent on livrait aux Sarrasins le corsaire capturé. "Depuis," poursuit Piloti, "moulx aultres corsaires qui alloyent contre Sarrasins et Turs, tous ont esté pris et mis en mains de poyens" (2). La plupart meurent ainsi dans l'anonymat.

Piloti nous nomme cependant un corsaire qui semble avoir été célèbre et qu'il distingue de la tourbe des autres : Pierre de Laranda. C'était, nous dit-il, un Biscaïen qui fut livré au sultan d'Egypte par les Catalans et mis à mort plus tard en même temps qu'un autre corsaire du nom de Zorczila de Salonique. Or nous avons au sujet de Pierre de Laranda un autre témoignage contemporain, assez différent et heureusement plus détaillé, qui mérite d'être rapporté : on y voit, en effet, attribuer au personnage une personnalité attachante, et sa carrière y est présentée comme un curieux mélange de noblesse et d'aventure.

* * *

Le nom de Laranda était sans doute un surnom. A moins qu'il ne s'agisse d'une localité d'Espagne d'où il serait originaire, on ignore d'où le tenait notre corsaire. On sait que Laranda est l'ancienne appellation du chef-lieu de la principauté de Karamanie en Asie Mineure méridionale (aujourd'hui province turque de Konya) (3).

Piloti est le premier à nous parler du corsaire. Il s'est certainement trouvé en Egypte en même temps que lui, bien qu'il

(1) *Ibid.*, fol. 63 v°.

(2) *Ibid.*

(3) Les princes de Karaman Oghlou firent de Laranda leur capitale au début du quatorzième siècle, avant de consolider leur pouvoir dans la ville proche de Konya. Incorporée à l'empire ottoman en 1486, Laranda a reçu depuis cette époque le nom de Karaman, bien que le vieux nom de Laranda ait toujours été conservé dans l'usage officiel. (*Encyclopédie de l'Islam*, au mot *Karaman*).

bien quand ni où—une grande galère turque d'Adaliya ou d'Alaya transportant des passagers et des marchandises d'Asie Mineure à Alexandrie, ainsi que des esclaves destinés au sultan d'Egypte. Voici le texte :

"Par tel manière que l'une de leurs galées (galères turques d'Adaliya ou d'Alaya) rencontrarent Misser Incoteres Catelain qui s'en alloit en coursségue avecques deux de ses galées, et si rencontrarent ladicte galée, et furent ès mains et firent grande battaille. Mais alla fin ledit Misser Incoteres prinst celle galée avecques .C.et.L. Turs, entre marchans et esclaves qui venoyent estre porté au souldain, et avecques toutes marchandises, par tel manière que ladicte galée fust estimée de valeurs de .L. M. ducas" (1).

Son coup fait, ledit Messire Incoteres disparaît de l'histoire. Personne ne nous parle plus de lui. Il a gagné l'oubli et peut-être l'impunité ; pas plus que la mer, la chronique ne conserve sa trace.

Il arrive toutefois qu'on nous signale la capture et la fin d'un de ces aventuriers, et même qu'on nous rapporte leur exécution par la justice de leurs propres compatriotes. Ce fut le cas, du temps de Piloti, pour un certain Jacques Constance, originaire de Savone dans l'état de Gênes. Les Génois le prirent et le menèrent à Alexandrie, où ils le mirent à mort pour se concilier les bonnes grâces du sultan.

"Depuis, ung nomé Jaque Constance, Genevois, et estoit de Savonne, avecque une grande nave alloit guerroyant payens. Et Genevois proveyrent avecque leurs naves, et si le prindrent et si le menarent au port d'Alexandrie. Et pour contenter le

= Ce ms. a été publié en 1846 par le baron de Reiffenberg. Nous avons consacré à l'œuvre et à son auteur une série d'articles dans *Les Lettres Romanes*, tome II, nos. de mai, août et novembre 1948. Louvain, 97 rue Constantin Meunier, in-8°.

(1) *Ibid.*, fol. 38 r° et v°.

UN CORSAIRE DU QUINZIÈME SIÈCLE, PEDRO DE LARANDA.

PAR

P. H. DOPP

De tous les corsaires qui, au moyen âge, sur leurs vaisseaux à voiles et à rames, ont semé l'effroi par les routes de la Méditerranée et particulièrement dans les eaux du Levant, la plupart nous sont restés inconnus. Autre est le cas d'un grand capitaine, comme Boucicaut, maréchal de France et qui fut gouverneur de Gênes, et autre celui de beaucoup d'aventuriers isolés, surgis par surprise et disparus sans gloire, qui n'ont tenté aucun biographe. Leur personnalité, les détails de leur carrière, leur identité même échappe dans la plupart des cas à leurs contemporains et par conséquent à l'histoire. S'il arrive aux chroniqueurs du temps de se faire l'écho de l'un ou l'autre coup de main sensationnel qui a mis en émoi les milieux maritimes—perte de navire, passagers retrouvés à des années de là dans la condition d'esclaves—il est rare qu'ils soient à même de nous fournir des informations sur leurs auteurs. Un nom, parfois bizarre, l'indication d'une nationalité, c'est tout ce qu'ils nous livrent. Maigre fiche judiciaire, et qui est restée le plus souvent sans emploi, car comment poursuivre le pillard qui s'est dérobé ? Comment, à cette époque, obtenir d'une justice étrangère son extradition ou son châtiment ?

Ainsi par exemple, le marchand Emmanuel Piloti de Crète, dans les échos d'actualités qu'il lui arrive de nous transmettre au cours de son traité sur l'Egypte (1), nous parle d'un Catalan du nom d'Incoteres qui a capturé de son temps—mais on ne sait pas

(1) *Traité d'Emmanuel Piloti sur le Passage en Terre Sainte. (Incipit 1420).* Ms. de la Bibliothèque Royale de Belgique n° 15701.=

Buildings had on show. Second, how greatly superior he is to his illustrious Russian follower. Tchekov's story of the Railway Guard and the Matchmaker is perfect in its genre; takes no risks and avoids burlesque by a mile. Dickens in his story of the Beadle and the Matron sails right up to the burlesque and yet triumphantly rounds the rocks so often to English humourists so fatal. He satisfies a different genre, rarer and also superior. Third—though an afterthought—Dickens failed to extract the ultimate juice from his Newgate orange. In Greenwood he had the provident brute-man—the throw-back gallantly struggling to survive in the only way open to the throw-back who takes himself seriously. For good reasons (though not for the best) he dealt with Greenwood by division into Bumble and Sikes, neglecting the earnestness and will behind his man in favour of Bumble's stupidity and Sikes' recklessness. Had he sought seriously to keep entire the Man of Carpenter's Buildings, he would have been able to re-present the long-lost satyric drama in modern guise and perhaps so rescue British melodrama from the condition to which our Marlowes have reduced it.

It follows that Dickens split Greenacre into Bumble and Sikes, or, rather, divined the fact that Greenacre split naturally into the familiar Bumble-type and Sikes-type of early Victorian society, and could not use him in his unity for a story of contemporary life. Greenacre was a criminal both ambitious of respectability and lawlessly ferocious. Sikes (representing a more common type) took over his ferocity without his ambition or the coolness in thought and action necessary to his ambition. Obviously when Nancy died Dickens had had a good deal out of Greenacre. He did not refuse what was left. Sikes, and not Fagin, took Greenacre's execution-scene. "A huge crowd" (says a contemporary report of these events) "had gathered together in front of Newgate... The appearance of the scaffold at about four in the morning was a signal for deafening cheers, which were renewed again and again when the executioner came on the scene. At a quarter to eight the bell of St. Sepulchre's Church began to toll, and the shrieks and groans of the crowd were something appalling to listen to. As soon as Greenacre mounted the scaffold wild yells of execration greeted him... within two minutes of his appearance on the platform the bolt was drawn, and he ceased to live. One grasp of his hands was observed on the rope reaching its full tension: which elicited another shout from the surrounding throng, and the mob began to disperse". Dickens, executing Sikes, deliberately sets up his own private Newgate-scaffold-scene with the one major variation of an invisible hangman rather more inevitable than Ketch. The rest is according to the 1837 editions: watching crowds, execrations *crescendo* at key-moments, appearance of criminal, ascent to roof-platform, rope-fitting, launching, long drop, rope at tension, *jubilate*.

* * *

There are two reflections which may well arise from a parallel reading of the Greenacre-case and *Oliver Twist*. First, what a young man it is who sees so exactly what Carpenter's

her unpleasant laughter. It may be without significance that Bumble's wife triumphs as mistress of a laundry. There is no doubt as to how Dickens came by the name of Corney. With his flair in such matters he knew that Brown anyhow would not do; so chose the name of Mrs. Brown's landlady, Mrs. Corney, otherwise not distinguished by public attention.

How much of Mrs. Brown went over to Bill Sikes' girl Nancy is not so easy to determine. Her murder certainly supplied material for Sikes' final crime: the Greenacre rolling-pin, not to be resisted, became the housebreaker's club. And once more Greenacre had Mrs. Brown in his lonely upstairs room, once more enraged by a woman's deception. Two blows from a pistol, and the villain put down that pistol as his victim knelt to die. He needed a wooden club in order to square the scene with Camberwell—venue, motive, and method too. Nor did Dickens forget for a moment the central horror of Mrs. Brown's severed head, which, wrapped in a silk handkerchief, travelled on Greenacre's knee by public omnibus from Carpenter's Buildings to Gracechurch street. Before travel it was necessary to drain that head—mere flesh and blood, no more, but such flesh, and so much blood—as Sikes felt. Nancy, however,* the companion of thieves and mistress to a murderer, was not founded on Mrs. Brown, but on Greenacre's mistress, Sarah Gale, a younger woman, presumably like Nancy astray on the world in the heedlessness of helplessness and (if the clemency shown to her by her judges speaks to the point) vicious by circumstances rather than nature. That is a guess, but a good guess perhaps. Dickens had Sarah in mind when he proposed to emigrate Nancy to America, for Sarah, as we know, was also booked to take ship to America, along with Greenacre, the day after arrest. She was to Greenacre what Nancy was to Sikes and Mrs. Brown was not to Greenacre; her career, if not also her character, was essentially Nancy's; she suggested herself for sentimental treatment, and far better than Mrs. Brown could be made to balance against Mrs. Corney-Bumble.

eye with a rolling-pin. Was he, perhaps, a little tipsy? He says, not; he was merely exasperated. And he voices his earnest hope that "this vice of drinking may not be considered the cause of my unhappy accident". Far from taking refuge behind rum, in his confession he states frankly that he gave Mrs. Brown fair warning before he struck her. Why doubt the simple truth? Greenacre's self-respect demanded an end to Mrs. Brown's affectations of triumph: he could endure no more feigned laughter. And Mrs. Brown failed to appreciate her situation of danger.

If relieved of its over-serious, and dramatically false, exit-scene, this Brown-Greenacre affair was likely to repel no connoisseur of the drolleries. The magic rod of Boz touched Greenacre into Bumble. The Camberwell farce—but not also the Camberwell "tragedy"—came re-enacted at a workhouse without serious displacement of its original male element. That solemn seeker after main chances Greenacre-Bumble tiptoed slyly into the parlour of his mercantile Hymen to count silver spoons and thereafter receive his wages. Not from the hands of Jack Ketch, however. Dickens knew better than to photograph a Newgate Calendar. His selection and redistribution of the raw murder-material was masterly. And how masterly is well shown by the fact that much in his *Oliver Twist* most commended on the score of imaginativeness is owed to selection and redistribution. For his Bumble-Corney partnership Dickens used little of Mrs. Brown's personality; a sharper and less sympathetic female character was required by the plot which he had in mind. For his Bumble he drew heavily from Greenacre, eliminating Greenacre's streak of ferocity for transfer to Bill Sikes, and accentuating Greenacre's steadier qualities, the more worthy along with the less worthy. As leitmotif for his very successful Bumble-Corney courtship he took over what the murder gave him, a contest of mutual duplicity with honours going to the lady; exploiting Greenacre's particular situation as ardent cross-examiner for property and the general discords of elderly romance. As with Greenacre, so with Bumble the romance begins with the lady doubly in spirits and ends with

that Mrs. Brown's death was accidental: "while reeling backwards and forwards in her chair, she fell back with great violence against a chump of wood that I had been using". In his second version, composed in the shadow of hemp, he admitted that her death came by a blow struck by himself. Otherwise the versions were complementary, and together gave that sort of simple elucidation of multiple obscurities which few cunning liars achieve. Let us, then, accept his story. Intent on profiting by remarriage Mrs. Brown came to take tea with Mr. Greenacre, similarly intent. The lady took her tea laced. She was already "rather fresh from drinking, having in the course of the morning treated the coachman, and insisted upon having some more rum, a quantity of which she had with her tea". Refreshment taken, Mrs. Brown washed up the tea-things. The conversation was steered towards the important matter of Mrs. Brown's property. "I thought it a favourable opportunity to press upon her for the state of her circumstances", says Greenacre. "She was reluctant to give me any answer". This reluctance was not unexpected. And it did no more than confirm Greenacre in his contingent resolution to break with Mrs. Brown. At once he proceeded, not to murder, but to just rebuke. "I told her", he says, "that I had made some inquiry about her character, and had ascertained she had been to Smith's tally-shop in Long Acre, and tried to procure silk gowns in my name". From rebuke he was (clearly) to proceed to dignified withdrawal, and thereafter turn Mrs. Brown out into Camberwell's night with good advice. But Mrs. Brown would not play up to him. Instead she "put on a feigned laugh, and retaliated by saying she thought I had been deceiving her with respect to my property, by misrepresenting it". Evidently the programme returned upon its projector like a boomerang. Failing to be duly humiliated Mrs. Brown was enjoying herself in her own way. Comfortably warm in Greenacre's rocking-chair she had written him off as a source of silken ease. Her opportunity for a joining of hearts and housekeepings lost, she found in him a fund of amusement. Greenacre hit her over the

GREENACRE TO DICKENS

BY

D. L. DREW

On Christmas Eve 1836 Hannah Brown, widow, was killed by James Greenacre: who was convicted of murder, and hanged at Newgate in April 1837. His crime had consequences for literature in that its story was seized upon by Charles Dickens for some of the best things in his *Oliver Twist*, first printed in 1838. Though the business was revolting enough at first glance to persuade even the London public that no fun could be had out of it, Dickens, young as he was, saw clearer than his neighbours. If close attention was given to the principals' behaviour, there was plenty of fun on tap for a melodramatist moving comfortably in the grotesque.

By his own account Greenacre was rather over fifty years of age. He had buried three wives inside thirty years, and in two days was to marry Mrs. Brown. He had courted her deceitfully as a man of substance. She had accepted him as a prosperous laundress and woman of business able to "command at any time three or four hundred pounds". In fact, however, she had nothing. Like Mr. Bumble Greenacre was going dirt cheap at the altar of St. Giles, Camberwell, on Boxing Day. But somehow he found out that the bride would bring nothing better than herself into his joint-stock enterprise of matrimony. And when she visited him on Christmas Eve at his lodgings in Carpenter's Buildings, Camberwell, he cut up her body into three convenient parcels. These he scattered round London, and the hand of god duly reassembled.

Greenacre gave two versions of Mrs. Brown's last visit to his lodgings, one before his conviction, one after. In his first version, while defending his life, he told the one necessary lie,

CONTENTS

European Section :

BULLETIN

OF

THE FACULTY OF ARTS



VOL. XI—PART II

DECEMBER 1949

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year, in May and December. All requests for copies should be made to the Fouad I University Librarian, Giza. Communications regarding contributions should be addressed to **Dr. Fû'âd Hasanein 'Alî**, Editor of the Bulletin, Faculty of Arts, Giza, Egypt.

Fouad I Univ. Press, Cairo
1949

